روح المعاني

في

تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني

لغاية المحققين وعمدة المدققين مرجع أهل العراق
ومفتي بغداد العلامة أبي الفضل
شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي
المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ سقى الله ثراه
وصيب الرحمة والرضوان عليه سجال
الآصال والغدوات آمين

دار
إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

Marfat.com

تفسير

جزء تبارك

خلاصة المحققين وعمدة المدققين مرجع أهل
العراق ومفتي بغداد العلامة أبي الفضل
شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي
المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ سقى الله ثراه
صيب الرحمة وأفاض عليه
سجال الاحسان
والنعمة
آمين

الجزء التاسع والعشرون

عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية باذن من ورثة المؤلف بخط
(وامضاء علامة العراق المرحوم السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي)

إدارة الطباعة المنيرية
ودار
إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

Marfat.com

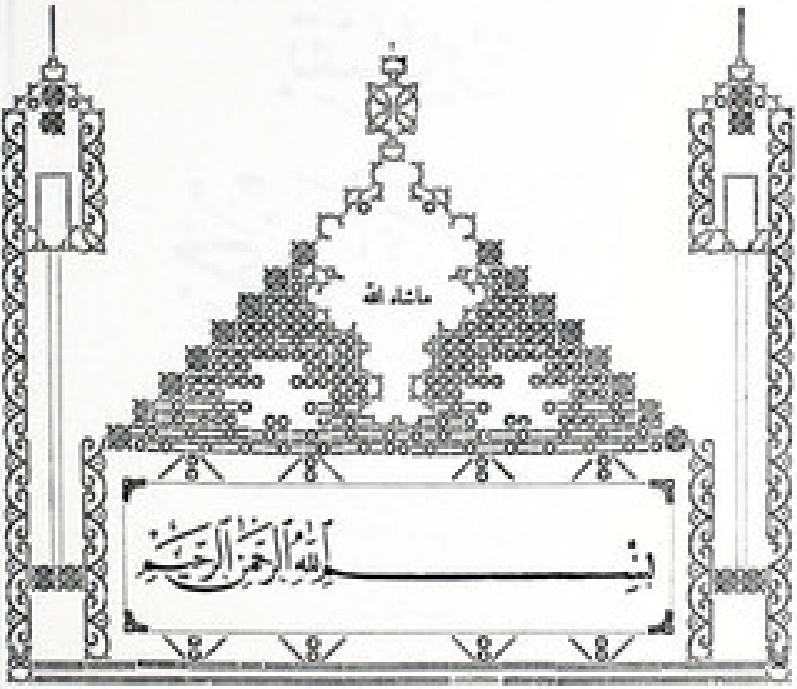

سورة الملك

وتسمى تبارك والمانعة والمنجية والمجادلة فقد أخرج الطبراني عن ابن مسعود قال كنا نسميها على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المانعة وأخرج الترمذي وغيره عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر وأخرج الطبراني والحاكم وابن مردويه وعبد بن حميد في مسنده واللفظ له عن ابن عباس أنه قال الرجل الا أتحفك بحديث تفرح به قال بلى قال اقرأ تبارك الذي بيده الملك وعلميها أهلك وجميع داري وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة يوم القيامة عند ربها تقول وتطلب لمن تنجيه من عذاب النار وتنجو بها صاحبها من عذاب القبر الحبر وفي جمال القراء تسمى أيضا الواقية المانعة وهي مكية على الاصح وقيل غير ثلاث آيات منها وأخرجه ابن جرير في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس وقال قول غريب انها مدنية وآيها احدى وثلاثون آية في المكي والمدني الاخير وثلاثون في الباقي وسيأتي ان شاء الله تعالى قريبا ما يرجحه ووجه مناسبتها لما قبلها انه تعالى لما ضرب مثلا للكفار بتلك المرأتين الملعون لها بالعقوبة وان كانتا تحت نبيين عظيمين ومثلا للمؤمنين بآسية ومريم وهما محمود لها بالسعادة وان أكثر قومهما كفار افتتح هذه بما يدل على احاطته عز وجل وقهره وتصرفه في ملكه على ما سبق به قضاؤه

Marfat.com

وقيل أن أولها متصل بقوله تعالى آخر الطلاق الله الذي خلق سبع سموات الخ فيه من مزيد البسط لما يتعلق بالملك وفصل بسورة التحريم لأنها كالتتمة من سورة الطلاق والسنة لما وقد جاء في فضائلها أخبار كثيرة بعضها ما مر آنفا ومنها ما أخرج الامام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه وغيرهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك ومنها ما جاء في حديث رواه الطبراني وابن مردويه بسند جيد عن ابن مسعود وآخر رواه عنه جماعة وصححه الحاكم من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب وأخرج ابن مردويه عن عائشة أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك كل ليلة لا يدعهما سفر ولا حضر وهذا وغيره قيل يذهب قراءتها كل ليلة والحمد لله الذي وفقني لقراءتها هكذا منذ بلغت من التمييز الى اليوم وأسأل الله تعالى التوفيق لما يسعد والقبول ورأيت في بعض شروح البخاري تذهب قراءتها عند رؤية الهلال وجاء الحفظ من النسكاره في ذلك الشهر بركة آيها الثلاثين والله تعالى الموفق

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ البركة النماء والزيادة حسية كانت أو عقلية وكثرة الخير ودوامه ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار كثرة ما يفيض منه سبحانه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة حينئذ يجوز أن تكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها قيل والاستقلال بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غير هاتين الصيغ في حقه تبارك وتعالى وقد مر تمام الكلام في هذا المقام واسنادها الى الموصول للاشعار بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها لان الذي يملك أنه سبحانه كامل الاحاطة والاستيلاء بناء على أن بيده الملك استعارة تبعية لذلك ولا تجوز في شيء من مفرداته أو ان الملك على حقيقته واليد مجاز عن الاحاطة والاستيلاء كما قيل والاسناد حينئذ اسناد الفعل به مع اعتبار التجريد في وجوده وكالات وجوده كان له الاختصاص بالوجود وكذلك في العرف العامي لا يطلق الملك على ما ليس كذلك فاذا قيل مثلا بيان معنى الآية تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه فانا وصفه بكامل الاحاطة والاستيلاء على كل موجود وقوله تعالى ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تكميل لذلك لان القرينة الأولى تدل على التصرف التام في الموجودات على مقتضى ارادته سبحانه وحكمته من غير منازع ولا مدافع لاتصرف فيها لغيره عز وجل كما يؤذن به تقديم الظرف وهذه تدل على القدرة الذاتية الدالة والقصر على الأول لأن تصرفه تعالى مقصور على تغيير أحوال الملك كما يشاء دون تصرف الملاك المجازي فقرنت بالثانية ليوذن بانه عز سلطانه قادر على التصرف وعلى ايجاد الاعيان التصرف فيها وعلى ايجاد عوارضها الثابتة وغيرها ومن ثم ترتب ذلك بالوصف المتضمن للعوارض وهذا ما اختاره العلامة الطيبي وصاحب الكشاف اختار في القرينة الأولى ما ذكرناه فيما من التخصيص بالوجود فقال أي تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود لا سيما وفي الثانية التخصيص بالمعدوم فقال وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة لقدرته على ما في الكشف ان الغني وان كان عاما في كل ما يصح ان يسمى ويخبر عنه لكن اختص بالمقرون بالقدرة اختص بالمعدوم لاستغناء الوجود عن الفاعل عند جمهور المتكلمين القائلين بان علة الاحتياج الحدوث وعليه الزمخشري وأصحابه وأما عند

Marfat.com

الذاتين بان علة الاحتياج الامكان لا لخصوص فلان الاختيار يستدعي سبق العدم وهي بالقريبة الثانية عليه تكميلا أيضا لان الاختصاص بالوجود فيه ايهام نقص واختار صاحب التقريب ان قوله تعالى الذى بيده الملك مطلق وقوله سبحانه وهو على كل شئ قدير عليا وضع له الذى فيكون قد قصد بيان القدرة أولا وهو بالتأخير أولى وبه يندفع ما يتوهم من كلام الزمخشري ولنظر فيه بان الذى لما كان يخلص الوجود وأشمل الموجود والمعدوم وهو على التعميم فلا وجه لتخصيصه بما لا يوجد مع الضمام كل اليه اللهم الا أن يقال خصصه بالايجاد ما فيه لم خصصه بالوجود وفيه ايضا نظر اذ لو عم الثاني لتحقق التكرار ايضا مع ان اليد مجاز عن القدرة فان تخصصت به كما هو مذهب تخصص الاول بالمعدوم وان لم تخصص لم يتخصص الثاني بالمعدوم وادعى صاحب الكشف سقوطه بما تقدم عنه واعترض عليه وأجيب بما لا يخلوا عن نظر فتأمل ومن الناس من حمل الملك على الموجودات وجعل اليد مجازا عن القدرة فيكون الذى في قدرته الموجودة وانت بعلم بان فيه ركاكة وأشار الى ان الخلاص منها بجعل اليد مجازا عن التصرف أو بتضمير الملك بالتصرف وقيل المراد من كون الملك بيده تعالى انه عز وجل مالك الملك فالملك وغير الراغب الملك في مثل ذلك بضبط الذى بالتصرف فيه بالحكم وشاع تخصيصه بما للعبادة ويقابله ميثة للملكوت وليس بمراد هنا كما لا يخفى وقوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوٰةَ﴾ شروع في تفصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة وبيان بعائها على قوانين الحكم والمصالح واستتباعها لغايات جلية والوصول بدل من الوصول الاول وصلته كصلته في الشهادة بتعاليه عز وجل وجواز الجر على كونه خبر مبتدا محذوف أى هو الذى خلق الموت على مذهب الكثير من أهل السنة صفة وجودية تضاد الحياة واستدل على وجوديته بتعلق الخلق به وهو لا يتعلق بالعدمي لازلية الاعدام وأما ماروى عن ابن عباس من انه تعالى خلق الموت في صورة كبش أملح لا يمر بشئ الا مات وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء لا تمر بشئ ولا يجد رائحتها شئ الا حي فهو أشبه شئ بكلام الصوفية لا يعقل ظاهره وقيل هو وارد على منهاج التمثيل والتصوير وذهب القدرية وبعض أهل السنة الى انه أمر عدمي هو عدم الحياة عما هي من شأنه وهو التبادر الاقرب وأجيب عن الاستدلال بالآية بان الخلق فيها بمعنى التقدير وهو يتعلق بالعدمي كما يتعلق بالوجودي أو ان الموت ليس عدما مطلقا بل هو عدم شئ مخصوص وهو ما يتعلق بالخلق والايجاد بناء على انه اعطاء الوجود والوجود دون اعطاء الوجود الذي في نفسه أو أن الخلق بمعنى الاعداد والاثبات دون الايجاد وهو بهذا المعنى يجري في العدميات أو ان الكلام على تقدير مضاف أى خالق الموت أو ان المراد بخلق الموت والحياة خلق زمانهما ومدة مبتدئهما لا يخفى ما في هذه الاحتمالات ومن الغريب ما قيل أنه كنى بالموت عن الدنيا اذ هو واقع فيها وبالحياة عن الآخرة من حيث لا موت فيها فتأمل قيل الذى خلق الدنيا والآخرة والحق انهما بمعناهما الحقيقي والموت على ما سمعت والحياة صفة وجودية بلا خلاف وهي ما يصح بوجوده الاحساس أو معنى زائد على العلم والقدرة يوجب الموصوف به حيا إن يكن قبله من صحة العلم والقدرة وتقديم الموت على تقدير كونه عدميا مطلقا أعني عدم الحياة عما هي من شأنه ظاهر السبك على الوجوه وعلى تقدير كونه العدم اللاحق كما هو الانسب بالآية هنا أعني عدم الحياة عما اتصفت بها فلان فيه مزيد عظة وتذكرة وزجر عن ارتكاب المعاصي وحث على حسن العمل ولذا ورد أكثروا من ذكرها تم الفجات والحياة وان كانت دائمة كذلك ضرورة أن من عرف انها نعمة عظيمة وكان داعية عمل شكر الله تعالى على الكنه ليست بثابتة الموت في ذلك فمن زعم انها الا دائمة فانما أصلا وانما

Marfat.com

ذكرت باعتبار توقف العمل عليها ولزيد في الظرف والذي في الوضعين مرض من القذف اليه أي الذي خلق موتكم العاري عن حياتكم أيها المكلفون ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ أي ليعاملكم معاملة من يختبركم ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أي أصوبه وأخلصه فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت مراتب أعمالكم وأصل البلاء الاختبار ولكن يقتضي عدم العلم بما أخبره وهو غير صحيح في حقه عز وجل حمل الكلام على ما ذكر ويرجع ذلك الى الاستعارة التمثيلية واعتبار الاستعارة التبعية فيه دونها دون في البلاغة واراد بالعمل ما يشمل عمل القلب وعمل الجوارح ولما قال صلى الله تعالى عليه وسلم في الآية أيكم أحسن عقلا وأورع من محارم الله تعالى وأسرع في طاعة الله عز وجل أي أيكم أتم فهما لما يصدر عن جناب الله تعالى وأكمل ضبطا لما يوحاه من خطابه سبحانه وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للمكلفين باعتبار أصنافهم القسمة الى الحسن والقبيح أيضا لا الى الحسن والأحسن فقط كما يدل بان المراد بالذات والقصد الاصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق أصل الايمان والطاعة في الباقين أيضا لكمال تمامية الموجبات له وأما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت أنواع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية أو الغرض فتدبر ولا تغفل ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ عز وجل وانما هو حمل يصدر عن عادله لسوء اختياره من غير ممنوع له ولا تقريب وفيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها مالا يخفى وجعل ذلك من باب الزيادة المطلقة أو من باب أي الفريقين خير مقاما ليس بذاك وأيكم أحسن مبتدأ وخبر والجملة في محل نصب على انها مفعول ثان ليبلوكم وذلك على ما في الكشاف لتضمنه معنى العلم وهل يسمى نحو هذا تعليقا أم لا قيل فيه خلاف ففي البحر لابي حيان نقلا عن أصحابه أنه يسمى بذلك قال اذا عدى الفعل الى اثنين ونصب الاول وجاءت بعده جملة استفهامية أو مقرونة بلام الابتداء أو بحرف نفي كانت الجملة معلقا عنها الفعل وكانت في موضع نصب كما لو وقعت في موضع المفعولين وفيما ما يعلق الفعل عن العمل وفي الكشاف هنا لا يسمى تعليقا لان التعليق أن يوقع بعد الفعل الذي يعلق ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت أيهما زيد وعلمت أزيد منطلق ولما اذا ذكر بعده أحد المفعولين نحو علمت القوم أيهم أفضل فلا يكون تعليقا الا بما من هذا القبيل واعترضه صاحب التقريب بان الفعل مضمر وهو الحق كما قال الفراء والزجاج ولا يلزم ذكر المفعول بعد التقدير ليبلوكم فيعلم أيكم أحسن وأيضا لا تقع الجملة الاستفهامية مفعولا ثانيا لعلمت وانما تقع موقع المفعولين في علمت أيهم خرج لان المعنى علمت جواب هذا الاستفهام ولا معنى لتقدير مثله في علمت أيهم خرج وأجيب بان التضمين يغني عن الاضمار وكون الجملة الاستفهامية لا تقع مفعولا ثانيا ضعيف لانها اذا وقعت مفعولا أولا في نحو لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على معنى لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد كما قال الخليل فلم يمنع وقوعها مفعولا ثانيا بتأويل ليعلمكم الذين يقال في حقهم أيهم أحسن والبه ذهب الطيبي ثم قال وقد انتصف صاحب الانصاف حيث قال التعليق من أحد المفعولين فيه خلاف والاصح هو الذي اختاره الزمخشري وهذا النحو عنه فيبدرج ويدري كيف يدخل ويخرج انتهى والذي ذكره في سورة هود أن في الآية تعليقا لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه ومنه بقوله أنظر أيهم أحسن وحيا فجلوا بين تلاعيب تناقيا وفي الكشف ان للاية هناك صريح بان التعليق فيه بمعنى تعليق فعل القلب على ما فيه استفهام وهو يقتضي خاص بفعل القلب من غير تخصيص بالسبعة القلبية الى مفعولين وفي الاستفهام خاصة دون مافيه لام الابتداء ونحوها صرح به الشيخ ابن الحاجب تبعا فلا ينافي ماذكر في هذه السورة من أنه ليس بتعليق فانما نفى التعليق بالمعنى المشهور وأما

Marfat.com

الحق من الاخبار في آية هود والتضمين في آية الملك إتقان فلا وجه له بعد تصريحه بانه استعارة التهى وكذا على هذا لا وجه لكون ماهناك اختياراً لمذهب الفراء والزجاج وماهنا اختيار لمذهب الآخر فتدبر وتذكر فقد أكثرنا مايستدل عن ذلك قديما وحديثا والله تعالى الموفق (وَهُوَ الْعَزِيزُ) أي الغالب الذي لايعجزه عقاب من أساء (الْغَفُورُ) ان شاء منهم أو لمن تاب على ماالمختار وبعضهم لايناسب بالمقام (الذي) (خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) قيل هو نعت العزيز الغفور أو بيان أو بدل واختار شيخ الاسلام أنه نصب أو رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه سبحانه وتعالى ومع الوصول الثاني في كونه مداراً للثناء كما تعلق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا وقوله تعالى (طِبَاقًا) صفة لسبع وكون الوصف للمضاف اليه للعدد ليس بلازم بل أكثري وهو مصدر طابقت النعل بالنعل اذا حاذيتها وصف به للمبالغة أو على حذف مضاف أي ذات طباق أو بتأويل اسم الفعول أي مطابقة ويجوز أن يكون مفعولا مطلقا مؤكدا لمحذوف أي طوبقت طباقا والجملة في موضع الصفة وأن يكون جمع طبق كجمل وجمال أو جمع طبقة كرحبة برحاب والكلام بتقدير مضاف لانه اسم جامد لا يوصف به أي ذات طباق وقيل يجوز كونه حالا من سبع سموات القريبة من المعرفة بتضمنه الكل وعدم فرد وراء ذلك وتعقب بان فصاري ذلك بعد القول والقول أن يكون نحو شمس عالمحصر في فرد وهو لاتجيء الحال الا أخرة منه فلا يقال طلعت علينا شمس مشرقة وأيضا كان المراد كما أخرج عبد بن حميد بعضها فوق بعض ولا دليل في ذلك على للاصلها كما زعمه متقدمو الفلاسفة ومن وافقهم من الاسلاميين مخالفين لما نطقت به الاحاديث الصحيحة وان لم يكثر منكر ذلك فيما أرى واختلف في موادها فقيل الاولى من موج مكفوف والثانية من درة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من زمردة بيضاء وقيل غير ذلك ولا أظنك تجد خبرا يعول عليه فيما قيل ولو طرت الى السماء وأظنك لو وجدت لا ألت مع اعتقاد أن الله عز وجل على كل شيء قدير وقوله تعالى (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ) إسنة أخرى على حاق الكشاف لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير الرابط للتعظيم والاشعار بعلة الحكم بحيث يمكن أن يترتب قياس من الشكل الاول ينتج نفي رؤية تفاوت فيها وبيانه عز وجل خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبان في ابداعها لنا جليلة وعاذكره ابن هشام في الباب الرابع من اللبس من ان اجلة الموصوف بها لايرجعها الا الضمير لما مذكورا ولما مقدرا ليس بجيد على جار الله والتوفيق بان ذلك انما في بعض التعظيم ليس بشيء لانه لابد له من نكتة سواء كانت التعظيم أو غيره واستظهر أبو حيان انه استئناف وان خلق الرحمن عام للسموات وغيرها والخطاب لكل أحد ممن يصلح لخطاب وجوز ان يكون للسيد المخاطبين صلى الله تعالى عليه وسلم ولعل الاول أولى ومن التأييد التي أي ماترى شيئا من تفاوت أي اختلاف وعدم تناسب كما قال قتادة وغيره من التوت فان الاشياء المتساوين يفوت منه بعضها في الآخر وفسر بعضهم التفاوت بتجاوز الشيء الحد الذي يجب له زيادة أو نقصا وهو الملائم بالاختلاف وعلى ذلك قول بعض الادباء

تناسبت الاعضاء فيه فلا ترى ✿ بعين اختلافا بل أتين على قدر

وقال السدي أي من عيب وإليه يرجع قول من قال أي من تفاوت يورث نقصا وقال عطاء بن يسار

Marfat.com

أي من عدم استواء وقيل أي من اضطراب وقيل أي من اعوجاج وقيل أي من تناقض ومآل الكل ما ذكرنا ومن الغريب ما قاله شيخ الطائفة الكفعمي في زماننا من أن بين الأشياء جميعها ربطا وهو نوع من التجاذب لا يفوت بسببه بعضها عن بعض وحمل الآية على ذلك والى نحوه ذهب الفلاسفة اليوم فزعموا ان بين الأجرام علويها وسفليها تجاذبا على مقادير مخصوصة به حفظت أوضاعها وارتبط بعضها ببعض لكن ذهب بعضهم الى أن ما به التجاذب والارتباط يضعف قليلا قليلا على وجه لا يظهر الا أثرا في مدد طويلة جدا واستدلوا من ذلك الى أنه لا بد من خروج هذا العالم المشاهد عن هذا النظام المحسوس فيحصل التصادم ونحوه بين الأجرام وقالوا ان كان قيامة فهو ذاك ولا يخفى حال ما قاله وما قالوه وان الآية على ما سمعت بمعزل عن ذلك وقرأ عبد الله وعلقمة والأسود وابن جبير وطلحة والأعمش من تفاوت بفتح الواو مصدر تفاوت وحكى أبو زيد عن العرب في تفاوت فتح الواو وضمها وكسرها والفتح والكسر شاذان كالبيطر وقوله تعالى ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ متعلق بما قبله على معنى التسبب أي عن الاخبار بذلك فانه سبب للامر بالرجوع دفعا لما يتوهم من الدية فهو في المعنى جواب شرط مقدر أي ان كنت في ريب من ذلك فارجع البصر حتى يتضح الحال ولا يبقى لك ريب وشبهة في تحقق ما تضمنه ذلك القول من تناسب خلق الرحمن واستجماعه ما ينبغي له والفطور قال مجاهد الشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر والظاهر أن المراد الشق مطلقا الا الشق طولا على ما هو أصله كما قال الراغب وفي سماء قول أبي عبيدة الصدوع وأنشد قول عبيد الله بن عتبة بن مسعود

شققت القلب ثم ذررت فيه ✽ هواك فليط فالأم الفطور

وقول السدي الخروق وأريد بكل ذلك ما يفهم من كلام بعض الآجلة الخلل وبه فسره قتادة وفسره ابن عباس بالوهن وجملة هل ترى تابع قال أبو حيان في موضع نصب بفعل معلق بمحذوف أي فانظر هل ترى أو ضمن فارجع البصر معنى فانظر بصرك ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي رجعتين أخريين فالرجع الثاني والزيادة الثانية التكرير والتكثير كما قالوا في لبيك وسعديك أي رجعة بعد رجعة أي رجعات كثيرة بعضها في أثر بعض وهذا ما أريد بأصل التثنية التكثير في قوله

لو عد قبر وقبر كان أكرمهم ✽ بيتا وأبعدهم عن منزل الذام

فانه يريد لو عدت قبور كثيرة وقيل هو على ظاهره وأمر برجع البصر الى السماء مرتين ازدكن غلط في الأولى فيستدرك بالثانية أو الأولى لبرى حسنها واستواءها والثانية ليبصر أبوابها في سيرها وانشقاقها ليس بشيء ويؤيد الأول قوله تعالى ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ فان جواب الأمر والجواب يقتضي التلازم وما تضمنت الآية من التلازم بالمعنى الذي يعرفه البصير هو مما أخذ من أصابعه الخ من اضافة السبب والخلل كالكسر فانظره عند طرد الصغار بناء على ما قبل انه مأخوذ من خسأ الكلب المتعدي أي طرده على انه استعارة لكن في الصحاح يقال خسأ بصره خسأ وخسوءا اي سدر والسدر تحير النظر فكان تفسير خاسئا بتحيرا أخذا له من ذلك أقرب وقالوا اختاروا التقديم لان فيه مبالغة وبلاغة ظاهرة مع كونه أبعد من التكرار مما لا يمع قوله تعالى ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة يقال حسر بصره يحسر حسورا أي كل وانقطع فهو حسير وحسور وقال الراغب الحسر كشف الملبس عما عليه يقال حسرت عن الذراع أي كشفت والحاسر من لا درع عليه ولا مغفر ونافة حسير لتحسر عنها اللحم والقوة ونوق حسرى والحاسر أيضا الذي لا سلاح له قواه ويقال له أيضا حسور أما الحاسر فتصور انه قد حسر بنفسه قواه وأما الحسور فتصور أن التعب قد

Marfat.com

حسير وحسير في الآية يصح ان يكون بمعنى حاسر وان يكون بمعنى محسور والجملة في موضع الحال كالوصف السابق من البصر ويحتمل ان تكون حالا من الضمير في ينقلب وقرأ الحوذاني عن الكسائي ينقلب بالرفع وخرج على ان الجملة في موضع حال مقدرة وقوله تعالى (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ) الخ كلام مسوق للحث على النظر قدرة وامتنانا وفي الارشاد بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة العيب والقصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها أي وبالله لقد زينا السماء (الدُّنْيَا) منكم أعني التي عن أنتم دانوا منكم من غيرها قد نوها بالنسبة الى ما تحت وأما بالنسبة الى من حول العرش فبالعكس (بِمَصَابِيحَ) جمع مصباح وهو السراج وتجوز به عن الكواكب ثم جمع أو تجوز بالمصابيح ابتداء عن الكواكب وفسره بعض القائلين بنفي السراج فيكون حينئذ تجوزا على تجوز ولا حاجة اليه مع تصريحهم بان المصباح نفس السراج أيضا وتكيرها لتعظيم أي بمصابيح عظيمة ليست كمصابيحكم التي تعرفونها وقيل للتنويع والاول أولى والظاهر أن المراد الكواكب المضيئة بالفعل فخرج السراج من السيارات والتوابت بناء على أنها كلها في أفلاك وهي متفاوتة قربا وبعدا في نحن السماء الدنيا وكون السماء هي الفلك خلاف المعروف عن السلف وأما هو فقول قاله من أراد الجمع بين كلام الفلاسفة الاولى وكلام الشريعة فضاع فيما بين الاسلام واعتقاده من اعتقاده وعن عطاء أن الكواكب في قناديل معلقة بين السماء والارض يسلاسل من نور في أيدي ملائكة وعليه فزينا السماء بمصابيح كقول القائل * زينت السقف بالقناديل * وهو ظاهر لكن الخبر لا يكاد يصح ومن اعتقد ان السماء الدنيا فلك القمر والست الباقية أفلاك السيارات الباقية على الترتيب المذكور وان للثوابت فلكا مخصوصا يسمى بلسان الشرع بالكرسي أو جوز ان تكون هذه في فلك زحل وهو السماء السابعة أو يكون بعضها في فلك وبعضها الآخر في آخر فوقه أو كل منها في فلك وسماء غير السبع والاقتصار على العدد القليل لا يتنافى الكثير قال ان تخصيص السماء بالتزيين بها لانها المشاهدة عليها ولا يرى جرم ما فوقها أو رعاية لمقتضى المقام العامة للفرق المتميز بين سماء وسماء عليهم فهم يرون الكواكب كجواهر متلألئة على بساط الفلك الازرق الاقرب ومن اشتهر ما عليه أهل الهيئة اليوم من ان الكواكب فلك الجانب القدرة سواحر في بحر جو الفضاء على وجه مخصوص تقتضيه الحكمة ومجاريها فيه هي افلاكها وقد تحركت اذ تحركت في خلاء أو ملابسه مع قوى بها تجاذبت وارتبطت وطا حركات على أنفسها وحركات فيرذلك وليست مرئوية كما اشتهر في اجرام سماوية تتفاوت الابتعاد لا حقيقة تسمى أفلاكا أو سماء وهي متفاوتة قربا وبعدا تفاوتا كليا وان رؤيت كلها قريبة لسبب خفي الى الآن عليهم حتى ان منها ما لا يصل شعاعه الينا إلا الى عدة سنين مع ان شعاع الشمس وبينها وبينها أربعة وثلاثون مليونا من الفراسخ والقليون ألف ألف يصل الينا في ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية الى آخر ما زعموا فيها قال يجوز ان يراد بالسماء الدنيا طبقة مخصوصة في هذا الفضاء وبالمصابيح كواكب فيها نفسها قد زينت تلك الطبقة بها تزيين فضاء دار بطيور يطرن وحالات فيه مثلا أو جمع مارى من الكواكب وان كان فوقها وتزيينها بذلك باظهاره فيها كما مر والت تعلم أن من تصدى لتطبيق الآيات والاخبار على مقالة الفلاسفة مخطئا فقد تصدى لامر لا يكاد يتم له والله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم احق بالاتباع نعم تأويل الدليل انما ينبغي اذا قام الدليل القطعي على خلاف مدلول عليه واشتر أدلة الفلاسفة قاعدة على العجز عن اثباتها اثباتا صحيحا مما يخالف أدلة أهل الشرع كما لا يخفى على من استقصاه بمصابيحه (وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ) الضمير للمصابيح على ما هو الظاهر لا للسماء الدنيا على معنى جعلناها أي من حيث كونها قابلة لرجوم جمع

Marfat.com

رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به أي يرمى فصار له حكم الأسماء الجامدة ولذا جمع وإن كان الأصل في المصادر أنها لا تجمع وقيل إنه هنا مصدر بمعنى الرجم أيضا والمراد بالشياطين مسترقوا السمع ورجمهم على ما اشتهر بانقضاض الشهب التي هي من الكواكب وإليه ذهب غير واحد من المفسرين وهو مبني على ما قرره الفلاسفة المتقدمون من أن الكواكب نفسها غير منقضة وأما انقضاض شعل نارية تحدث من أجزاء متصاعدة لكرة النار المتاخمة لفلك القمر بواسطة تسخين الكواكب للأرض فالتجوز في إسناد الرجم إليها أو في لفظها وهو مجاز بوسائط وقال الشهاب لا مانع من جعل الانقضاض نفسه من جنس الكواكب وإن خالف اعتقاد الفلاسفة وأهل الطبيعة ولكن في النصوص الآتية ما فيه رجوم للشياطين انتهى (وأقول) لا يخفى أن ذلك الذي لا يتم أيضا إلا بثبوت كرة النار الذي لا تزال يستدلون عليه الآن بحدوث هذه الشهب وسلف الأمة لا يقولون بذلك وكذا أهل الفلسفة الجديدة ومؤلاء إن يعتقدوا إلى الآن أمر هذه الشهب لكن يميلون إلى أنها أجسام تنفصل عن الكواكب التي يزعمونها عوالم مشتملة على حيوان ونحوه فتسقط على الأرض على ذلك وخرجت لبعض الحوادث من حد القوى الجاذبة لها إلى ما انفصلت عنه وإتصل إلى حد جذب قوة الأرض لها فبقيت تدور عند منتهى كرة الأرض وما يحيط بها من الهواء فإذا عرض لها الدخول في هواء الأرض أثناء حر كتها احترقت كلا أو بعضا أو تتمزق بعض الأجسام المحفوظة من الهواء لاصطدامها الهواء وربما تعمل في بعض حركاتها إلى حد جذب الأرض فتقع عليها ويحتمي يزعم في الحجارة الساقطة من الجو التي تسمى عندهم بالأبرولیت يتكون حجارة الهواء أنها من تلك الأجسام وفي ذلك حديث طرافة ورجم بظنون فاسدة وقصارى ما يقال في هذه الشهب أنها تحتمل أن تكون ناشئة من الجرام من جنس الكواكب فيها قوة الاحتراق سواء كان كل منهن محترقا أو لا متكونة في جو هذا الفضاء المتاخم الأرض لغاية صغرها لا تتضاءل ولو بالمطارات حتى إذا قربت بانقضائها تتوهدت وقد تصادف في انقضاضها أجساما متصاعدة من الأرض فتحترقها وربما يتصل الطريق إلى ما يقرب من الأرض جدا وربما تتكونت الحجارة من ذلك ثم إن المثل يجوز أن يكون لها دوران على شكل من الأشكال فترجع بعد ما يتباعد طالبي الانقضاض وأن تتلاشى بعد انقضاضها ويخلق الله تعالى غيرها من مادة لا يعلمها إلا هو عز وجل والضمير المنصوب في حيالها وإن عاد على المصابيح لكن لم يعد عليها الا باعتبار الجنس دون خصوصية كونها مزينة بها السماء الدنيا نظير وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره وعندي درهم ونصفه لنا أن المزينين باعتبار الظهور ولا ظهور لهذه الأجرام قبل انقضاضها وإن اعتبر في كونها مصابيح أو كواكب أو نجوما ظهورها في نفسها ولئن يقرب منها دون خصوصية ظهورها لنا ولئن كونها زينة للسماء كونها زينة لها في الجملة فالأمر ظاهر جدا ويحتمل أن تكون ناشئة من المصابيح المتعاهدة المزين بها بأن ينفصل عنها وهي في محلها شعل هي الشهب وما ذلك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة والبه ذهب البعباني وكثير وهو محتمل الآن يكون لكل منها قابلية أن ينفصل عنه ذلك وإن يكون القابلية لبعضها دون بعض وهذا لعدم الاطلاع على حقائق الأجرام العلوية وأحوالها في أنفسها والكلام نحو قولك السكن الأمير فيه كذا في تمر كذا وجملها ترمى بالبنادق من يقرب منه فانه لا يلزم أن يكون لكل واحد منها قابلية الرمي ثم لا يلزم أن يكون كل ما يتباعد من الشهب فيسا من المصابيح بل يجوز أن يكون بعضه وهو الذي ترمى به الشياطين منها وبعضه من أمور حدثت في الجو من أبخرة أو نحوه وتفاوت الشهب قلة وكثرة يحتمل أن يكون لتفاوت حوادث الجو وأن يكون لتفاوت الاسترقاق وليس في الآيات والأخبار ما هو نص في أن الشهب لا ترمى الشياطين فيحتمل

Marfat.com

أن يكون أكثر الشهب من الحوادث الجوية وذوات الأذناب منها في رأي القدماء وهي في أعتقادهم لذاتها نجوم كثيرة جدا تدور لا كما يدور غيرها من النجوم فتقرب تارة وتبعد أخرى فتخرج من مدارات السيارات الى حيث لا تشاهد أصلا عند فلاسفة العصر وهم فيها كلام أطول من اذنابها وقد أورد الامام الرازي في هذا الفصل أسئلة وشبها الجاب عنها بما الجاب ونحن فعلنا نحو ذلك فيما تقدم على وجه أتم فليتذكر وقد أطنبنا هناك الكلام فيما يتعلق بهذا المقام الا أن بعضا عاد كرتاد هناك فحذف من الموضعين ما حذف وبقي ما قدر بعد أن تتأمل حق التأمل وتتدبر وقيل معنى الآية وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون المعتقدون تأثير النجوم في السعادة والشقاوة ونحوهما وقد رددنا عليهم أو يرد فيما تقدم فارجع اليه ان اردت فالمقام نفيس جدا ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ ﴾ وهيأنا للشياطين ﴿ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ عذاب النار المسعرة المشتعلة في الآخرة بعد الاحراق في الدنيا بالشهب ولا يلزم من ذلك انهم خلقوا من نار لانهم ليسوا نارا فقط بل هي اغلب عناصرهم فهي منهم كالتراب من بني آدم فيترتب من ذلك على أن تكون نارا أقوى من نار واستدل بالآية على ان النار مخلوقة الآن وعلى ان الشياطين يكلفون ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ من غير الشياطين أو منهم ومن غيرهم على أنه تعميم بعد التخصيص لدفع أيهام اختصاص العذاب بهم والجار والمجرور خبر مقدم وقوله تعالى ﴿ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾ مبتدأ مؤخر والحصر اضافي بقرينة النصوص الواردة في شدة العذاب فلا حجة فيه لمن قال من الرجئة لا يعذب غير الكفرة وقرأ الضحاك والاعرج وأسيد بن أسيد الثقفي وحسين في رواية هرون عنه عذاب بالنصب عطفا على عذاب السعير أي واعتدنا للذين كفروا عذاب جهنم ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ أي جهنم ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا ﴾ أي طرحوا فيها كما يطرح الحطب في النار المطيبة ﴿ سَمِعُوا لَهَا ﴾ أي لجهنم فلها هو الظاهر ويؤيده ما بعد والجار والمجرور متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى ﴿ شَهِيقًا ﴾ لانه في الاصل صفة فلما قدمت صارت حالا أي سمعوا لها شهيقا أي صوتا كصوت الحمير وهو حسبما ذكر الشنيع فوق ذلك استعارة تصريحية وجوز أن يكون الشهيق لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها ومن أنفسهم كقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق والكلام على حذف مضاف أو تجوز في النسبة والغرض بيان ذلك انما يكون لهم بعد القرار في النار وبعد ما بلغال لهم الحنوا فيها وهو بعد مئة آلاف سنة من دخولهم كما في بعض الآثار ورده بان ذلك انما يدل على الحصار لهم حينئذ في الزفير والشهيق لا على عدم وقوعهما منهم قبل ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ ﴾ أي والحال انها تكاد تميز بعضها من بعض فكان الرجل يهم فخلجان يتميز فيه ﴿ وَهِيَ تَفُورُ ﴾ أي يتفصل بعضها من بعض ﴿ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ من شدة الغضب عليهم قال الراغب الغيظ أشد الغضب وقال الزمخشري في الفصيح الغضب أو أسوء وقد شبه اشتمال النار بهم في قوة تاثيرها فيهم وايصال الضرر اليهم بالغيظ الشديد على غير الباغي في ايصال الضرر اليه على سبيل الاستعارة التصريحية وجوز ان تكون هنا تخييلية لائمة للمكنية بان غضبهم في شدة غليانها وقوة تاثيرها في أعلى ما يكون شديد الغيظ على غيره مبالغ في ايصال الضرر اليه فتوهم لها صورة كصورة الحالة المطلقة الوجدانية وهي الغضب الباعث على ذلك واشير لتلك الحالة المتوهمة الغيظ وجوز أن يكون الاسناد في تكاد تميز الى جهنم مجازا وانما الاسناد الحقيقي الى الزبانية وان يكون الكلام على تقدير مضاف أي لتميز زبانيتها من الغيظ وقيل ان الله تعالى يخلق فيها نارا لا توقد عليهم فلا مجاز بوجه من الوجوه وورد في بعض الاخبار ما يؤيد ذلك وزعم بعضهم أنه لا حاجة الى ما ذكر لكان تكاد كما في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو سلم فالاستعارة وفيه ما فيه والجملة

Marfat.com

لها حال من فاعل تفور أو خبر آخر وقرأ طلحة تميز بتاءين وأبو عمرو وذكاد تميز بادغام الثاء في التاء والضحاك تمايز على وزن تفاعل وأصله تتمايز بتاءين وزيد بن علي وابن أبي عبلة تميز من ماز ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ استئناف مسوق لبيان حال أهلها بعد بيان نفس النار قيل لبيان حال آخر من أحوال أهلها وجوز أن تكون الجملة حالا من ضميرها أي كلما ألقي فيها جماعة من الكفرة ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ وهم مالك وأعوانه عليهم السلام والسائل يحتمل أن يكون واحدا وان يكون متعددا وليس السؤال سؤال استعلام بل هو سؤال توبيخ وتقريع وفيه عذاب روحاني لهم منضم الى عذابهم الجسماني ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ يتلو عليكم آيات الله وينذركم لقاء يومكم هذا ﴿قَالُوا﴾ اعترافا بأنه جرى عليهم ما أزاح عللهم بالكلية ﴿بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ وجمعوا بين حرف الجواب وتلس الجملة الجواب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير وتحسرا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم وتهيدا لما وقع منهم من التفريط لتدعما واقتضاها على ذلك أي قال كل فوج من تلك الأفواج قد جاءنا نذير أي واحد حقيقة أو حسبما كذر بنو اسرائيل فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وبلغنا ما أنزل الله تعالى من آياته ﴿فَكَذَّبْنَا﴾ ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى ﴿وَقُلْنَا﴾ في حق ما تلاه من الآيات اثر ابطالنا في التكذيب وتماديا في النكير ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ على أحد ﴿مِن شَيْءٍ﴾ من الأشياء فضلا عن تنزيل الآيات على بشر مثلكم ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ أي ما أنتم إذ عاندتم وتماديتم ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع أن المخاطب في فوج نذير باعتبار أمثاله ولو فرض ان يمثل أولئك فوج النذر فهم نذير والأصل أنت وأمثالك ممن ادعى أو يدعى دعواك مبالغة في التكذيب وتماديا في التضليل لا يخفى عليه تعميم النزل مع ترك ذكر النزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما وأما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فلأن أمر تحقق يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية لكن لا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجتماع النذر على مالا يختلف من الشرائع والاحكام باختلاف العصور والأقوام وأين هم من ذلك وقد حال التعريض دون التصريح هذا اذا جعل ماذكر حكاية عن كل واحد من الأفواج كما هو الظاهر وأما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذير إما بمعنى الجمع لانه قيل وهو يستوي فيه الواحد وغيره أو مصدر مقدر بمضاف علم أي أهل نذير أو منعوت به للمبالغة فيتفق كلا طرفي الخطاب في الجمعية ويستدعي من بعض العبارات جواز اعتبار الجمعية باحد الأوجه المذكورة على الوجه الأول أيضا وفيه بحث وجوز ان يكون الخطاب من تمام الحكاية فالكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما الزموا عليه في الدنيا أو ما لهم أو عذاب ضلالهم نسبة لاسم سببه وهو خلاف الظاهر فلا يخفى ولكنا ما قيل من جواز كونه من كلام النذير الكفرة حكوه للخزنة وفي الكشف هذا الوجه فيه تكلف بين فانه أن يكون مقول قول محذوف يستدعيه قد جاءنا نذير كأنه قيل بلى قد جاءنا نذير قال ان أنتم الا في ضلال كبير فكذبنا وقلنا وقدم فكذبنا وقلنا تنبيها على ان التكذيب لم يكن مقصورا على قولهم هذا وأما أن يكون التكذيب واقعا على الجملة أعني ان أنتم وقولهم سبحانه وقلنا ما نزل الله من شيء عطف على كذبنا قدم على حاله ليجري مجرى الاعتراض مؤكدا حكم التكذيب ودالا على عدم القصر أيضا والأول أولى التفي واستدل بالآية على انه لا تكليف قبل البعثة وحمل النذير على ما في العقول من الادلة كما لا يخفى منصف ذوي العقول ﴿وَقَالُوا﴾ أيضا معترفين بأنهم لم يكونوا ممن يسمع أو يعقل كان الخزنة قالوا لهم في اضاعف التوبيخ ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ كلاما ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾

Marfat.com

ثبتا ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي في عدادهم ومن جملتهم والراد بهم قيل الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير وقيل الكفار مطلقا واختصاص اعداد السعير بالشياطين لنوع لقوله تعالى انا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا والآية لا تدل على الاختصاص وفيه دغدغة لطالب تعرفها عما يأتي ان شاء الله تعالى قريبا فلا تغفل وتقييم السياق والعقل التنزيلهم منزلة العدم وفي ذلك مع اعتبار عموم المسموع والمعقول مالا يخفى من البالغة واعتبرها بعض الاجلة خاصين قال أي لو كنا نسمع كلام النذير فقيه جلة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقه بالمعجز أو نعقل فنفكر في حكمه ومبانيه نفكر المستبصرين ما كنا في وفيه اشارة الى ان السماع والعقل هنا بمعنى القبول والتفكر والتردد لانه يمكن اتحاد كل منهما بخلاصيهمن السعير أو التنويع فلا ينافي الجمع وقيل أشير في الى قسمي الايمان التقليدي والتحقيقي أو الى الاحكام التعبدية وغيرها واستدل بالآية كما قال ابن السماني في القواطع من قال بتحكيم العقل وأنت تعلم ان قصاري ماتشعر به ان العقل يرشد الى العقائد الصحيحة التي بها النجاة من السعير وأما انها تدل على أن العقل حجة كما يقول المعتزلة فلا واستدل بها أيضا كما نقل من ابن المنير على ان السمع أفضل من البصر ومن العجيب استدلال بعضهم بها على انه لا يخلد الكافر قال ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ الذي هو كفرهم ﴿وَتَكْذِيبِهِمْ﴾ بآيات الله تعالى ونذره عز وجل ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي فبعدا لهم من رحمة تعالى وهو دعاء عليهم وقرأ أبو جعفر والكسائي فسحقا بضم الحاء والسحق مطلقا البعد والنصب على انه مصدر مؤكد أي سحقهم الله تعالى سحقا قال الشاعر

يجول بأطراف البلاد مغربا ✽ وتسحقه ريح العشا كل مسحق

وقيل هو مصدر لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قوله ✽ وان أعلك فذلك كان قدري ✽ أي تقديري والتقدير فسحقهم الله سحقا أي اسحاقا أو بفعل مرتب على ذلك الفعل أي فأسحقهم الله تعالى فسحقوا سحقا كما في قوله

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع ✽ من المال الا مسحت أو مجلف

أي لم يدع فلم يبق الا مسحت والى أول الوجهين ذهب أبو علي الفارسي والزجاج وبعد ثبوت الفعل الثلاثي المتعدي كالبيت وبه قال أبو حيان لا يحتاج الى ما ذكر واللام في لأصحاب التبيين كالتي في جيء لك وفي الآية على ما قيل تغليب ولعل وجهه عند القائل وهو ان السوق يقتضي ان يقال فسحقا لهم ولأصحاب السعير فانه تعالى بين أولا أحوال الشياطين حيث قال سبحانه واعتدنا لهم عذاب السعير ثم بين أحوال الكفار حيث قال عز وجل والذين كفروا بربهم عذاب جهنم والأوفق بفراد الغلب والأبعد من شبهة التكرار ان يراد بالموصول غير الشياطين ثم قال تعالى شأنه فسحقا لأصحاب السعير فكان السوق يقتضي فسحقا لهم ولأصحاب السعير لكن لم يقل كذلك لأجل التغليب حيث أطلق أصحاب السعير على الشياطين والكفار جميعا ولا يضر في هذا دلالة غير آية على عدم اختصاص أصحاب السعير بالشياطين بل يتعالق على سائر الكفرة أيضا لانه يكفي في التغليب الاختصاص الثابت من السوق هنا ولا توقف له على عدم جواز اطلاق ذلك على غير الشياطين في شيء من المواضع على انه يمكن ان يقال لا حاجة الى التزام اختصاص أصحاب السعير بالشياطين أصلا ولو بحسب السوق بل يكفي لصحة التوجيه كونهم أسبق في دخول السعير والكفار ملحقين بهم لا يضر به قوله تعالى مالنا في أصحاب السعير بمعنى في عدادهم وجملتهم فحينئذ يكون الداخل في السعير قسمين وكان مقتضى الظاهر ذكرهما في الدعاء عليهم بالسحق كما يشهد به سياق الآية لكنه عدل وغلب

Marfat.com

أصحاب السير الدال على الاصالة على غيره من التوابع وذكر أن في هذا التغليب ايجازا وهو ظاهر ومبالغة أي في الابعاد اذ لو أخره لم من الفريقين بالذكر لامكن ان يتوهم تفاوت الابعادين بأن يكون ابعاد الكفرة دون ابعاد الشياطين على ما يشعر به مجيئهم الشياطين أصلا وأضمهم ملحقة بهم فلما ضموا اليهم في الحكم به دل على ان ابعادهم لم يقصر عن ابعاد أولئك وأيضا شأن غلب سبحانه وتعالى أصحاب السير وهم الشياطين على الكفار فقد جعل الكفار من قبيل الشياطين فكأنهم هم بأعيانهم وفيه من المبالغة مالا يخفى وتعليلا فان ترتب الحكم على الوصف وكذا تعلقه به يشعر بعليته له فيشعر ذلك بان الابعاد حصل لهم لاجل كونهم أصحاب السير وقيل في توجيه التغليب وما فيه من الامور التي لا غير هذا وقد عد ذلك من المشكلات وفعدا مشرقا لبغاء الروم وغيرهم من البغاء الاعلام ولعل ما ذكرناه أقرب الى الافهام وأبعد عن النزاع والخصام فتامل والله تعالى ولي الانعام ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي يخافون عذابه غائبا عنهم أو غائبين عنه أو من أجل الناس غير مراءين أو بما خفي منهم وهو قلوبهم ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ عظيمة لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ لايقادر قدره وتقديم المغفرة على الاجر لان درء المضار أهم من جلب المنافع ولجلالة المذكور قيل استئناف بياني وقوله تعالى ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ خطاب عام لمكلفين كما في قوله تعالى أولا ليبلوكم عطف على مقدر قال في الكشف أصل الكلام والذين كفروا منكم أيها المكلفون الناطون والذين يخشون منكم فقطع هذا الثاني جوابا عن السؤال الذي يخطر من بيان حال الكافرين مع ان ذكرهم بالعرض وهو ماذا حال من أحسن عملا ومن طرح تحصا عند الابتلاء فأجيب بقوله تعالى ان الذين يخشون الخ فأثبت لهم كمال العلم اذا يخشى الله من عباده العلماء وكمال القوى لقوله تعالى بالغيب وفي هذا القطع ترشيح السبق الرموز اليه في قوله تعالى أيكم أحسن عملا أي ليبلوكم أيكم الذي تخلصا لهم بأنهم المقصودون بالو عطف على التساوي ثم قيل فائدة في السر والعلن ودعوا أنتم أيها الطاعنون على خفيتكم وأنيبوا الى الخشية والتقوى أنها المشرون واعتقدوا استواء اسراركم وجهركم في علم ربكم فكونوا على حذر واخشوه حق الخشية فقوله تعالى ذلك عطف على هذا المضمر وجوز أن يجعل قوله تعالى ان الذين الخ استطرادا عقيب ذكر الكفار وجزائهم وقوله سبحانه وأسروا أو اجهروا على سبيل الالتفات الى أصحاب السير البعد العهد وزيادة الاختصاص عطفا على قوله تعالى والذين كفروا كأنه قيل والكافرين يربهم عقاب جهنم ثم قيل من صفتها كيت وليت واسراركم بالقول وجهركم به أيها الكافرون سيان فلا تفوتوننا جهركم بالكفر والبغضاء أو أبطنتموها من تتمة الوعيد ثم قال والاول املا بالقبول انتهى ويظهر لي بعد الاول ويؤيده الثاني ماروى عن ابن عباس انه قال نزلت وأسروا الخ في المشركين كانوا يتالون من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيوحي اليه عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم أسروا ذلك أو اجهروا به فان الله تعالى يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع مايحذرونه من أول الامر والمبالغة في شمول علمه عز وجل الربط بجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية أولان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو أو مباديه مضمر في القلب غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتعلية الصدور بلام الاختصاص ووصف الضمائر بصاحبتها من الجزالة مالا يخفى كأنه قيل أنه عز وجل مبالغ في الاحاطة بضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة بصدورهم

Marfat.com

بحيث لا تكاد تفارقها أصلا فتحكيف لا يعلم ما تسرونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى أنه تعالى عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وقوله تعالى (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) انكار وتوبيخ لمن هذه حاطة علمه جل شأنه ومن قاعل يعلم أي ألا يعلم السر والجهر من أوجده بوجب حكمته جميع الاشياء التي هامن جملتها وقوله تعالى (وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) حال من قاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفي أي ألا يعلم ذلك والحال انه تعالى المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن وقيل حال من قاعل خلق والاول أظهر وقدر مفعول يعلم ما سمعت وليجعل الفعل من باب يعطي ويمنع ليكون هذه الحال على ماقيل اذا لو قلت الا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لاشهاد الا يعلم على الحال والنفي لا يوقع بنفسه فلا يقال ألا يعلم وهو عالم ولكن ألا يعلم كذا وهو عالم كل شيء وأورد عليه ان اللطيف هو العالم بالخفيات فيكون المعنى ألا يكون عالما وهو عالم بالخفيات وهو مستقيم واجيب بأن لا يعلم من ذلك الباب وهو على ماقرره السكاكي مستغرق في القسم الخطابي واللطيف الخبير من يوصل علمه الى ماظهر من خلقه وما بطن فيهما سواء في الاستغراق والاطلاق وتعقب بأن الاستغراق غير لازم كما ذكره الزمخشري في قوله تعالى ولما ورد ماء مدين الآية ولو سلم فالوجه مختلف لان العموم المستفاد من التعريف ليس العموم المستفاد من الاول لان اللطيف الخفايا خاصة ويلزم العلم بالجلايا من طريق الدلالة ثم ان الغزالي اخبر في مفهوم اللطيف مع العلم بخفايا الامور سلوك سبيل الرفق في ايصال مايصلحها فلا يتكرر مع الخبير بناء على انه العالم بالخفايا أيضا والوجه في الخاتمة الى التقدير كما قال بعض الائمة ان قوله تعالى ألا يعلم تذييل بعد التذييل بقوله سبحانه عليم بذات الصدور فربط المعنى ان يقال ألا يعلم هذا المعنى أعني قولكم السر به أو ألا يعلم سرا وجهرا من يعلم دقائق الخفايا وجلائلها جملها وتفاصيلها ولو قيل ألا يكون عالما بالغ العلم من هو كذا لم يرتبط ولسكان فيه عي وقصور وجوز كون من مفعول خلق واستظهره أبو حيان أي ألا يعلم مخلوقه وهذه حاله ورجح الاول بان فيه اقامة الظاهر مقام الضمير الراجع الى الرب وهو أولى على المحذوف أعني السر والجهر وتعميم المخلوق للتناول لها تناولا أوليا وليهتدا قدورا من خلق الاشياء لانا على ان حذف المفعول للتعميم (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا) خبر صيغة يسهل جدا عليكم السلوك فيها فهو فعول للغيابة في الذل من ذل بالضم وبكسر ضد الصعوبة ويستعمل المضموم فيما يقابل العز كما يقتضيه كلام القاموس وقال ابن عطية الذلول فعول بمعنى مفعول أي مذللة كركوب وحلوب التي ولعلب بان فعله لاصر والذا يعدى بالهمزة أو التضعيف فلا يكون بمعنى المفعول واستظهر أن مذللة خطا وقال بعضهم يقولون الراية اذا كانت منقادة غير صعبة ذلول من الذل بالكسر وهو سهولة الانقياد في الكلام استعارة وقيل تذييه بليغ وتقديم لكم على مفعول الجعل مع ان حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ماأخر فان ماحقه التقديم اذا أخر لاسيما عند كون المقدم ما يدل على كون المؤخر من منافع القاطنين تبقى النفس مترقبة لو رودد فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله تعالى (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) الترتيب الامر على الجعل المذكور وزعم بعضهم انها فصيحة والمراد بها كما قيل على ما روى عن ابن عباس وقتادة وغيرهما جبالها وقال الحسن طرقها وفجاجها وأصل المنكب مجمع ملتقى العضد والكتف واستعماله فيما ذكر على سبيل الاستعارة التصريحية التحقيقية وهي قرينة للتكميلية الارض حيث شبهت بالبعير كما ذكره الخفاجي ثم قال فان قلت كيف تكون مكية وقد ذكر طرفها الآخر في قوله تعالى ذلولا قلت هو بتقدير أرضا ذلولا فالمذكور جنس الارض المطلق والتشبيه هو

Marfat.com

لفرد الخارجي وهو غير مذكور فيجوز كون ذلك الاستعارة والكناية حينئذ هي مدلول الضمير لا التصرح بها في النظم الكريم والنافع من الاستعارة ذكر المشبه به لا بما يصدق عليه فتأمل إلا تفلل وفي الكشاف التنبيه في مثالها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية الآن التكوين وامتناعا من الذلوب أرق شيء من البعير وأنبأه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويشدد عليه فإذا ترك بلغة من التذليل والراضة ليس هنا أمر بالمشي حقيقة وانما القصد به الى جهة مثلا لفرط التذليل سواء كانت الماشي مقتسرة بالجبال أو غيرها وسواء كان ما قبل استعارة أو تخييلا ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ انتقلوا يا أيها جل شأنه وكثيراً ما يعبر عن وجوه الانتفاع بالاكل لانه الاهم الاعم وفي أنوار التنزيل أي انتموا من نعم الله سبحانه وامثال على أن الاكل مجاز عن الانتفاع من قبيل ذكر الملزوم وارادة اللازم قيل وهو المناسب لقوله تعالى امشوا وجوز بعض البقاء على ظاهره على أن ذلك من قبيل الاكتفاء وليس بذاك واستدل بالآية على ندب التسبب والكسب وفي الحديث ان الله تعالى يحب العبد المؤمن المحترف وهذا لا يناني التوكل بل أخرج الحكيم الترمذي عن سويد بن غفلة قال مر عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بقوم فقال من أنتم فقالوا المتوكلون قال أنتم المتاكلون انما المتوكل رجل القى حبه في بطن الارض وتوكل على ربه عز وجل وقام الكلام في هذا المقام في محله والمشهور ان الامر في الموضعين للاباحة وجوز كونه لمطلق الطلب الآن من المشي وما عطف عليه ماهو واجب كما لا يخفى ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ أي المرجع بعد البعث لا الى غيره عز وجل فبالغوا في شكر نعمه التي منها تذليل الارض وتمكينكم منها وبث الرزق فيها وتما يقضي منه العجب جواز عود ضمير رزقه على الارض باعتبار أنها مبدأ أو عنصر من العناصر أو الاول وهو يستوي فيه المذكر والمؤنث والاضافة لادنى ملابسة أي من الرزق الذي خلق عليها وكذا ضمير اليه أي والى الارض نفسها أو ورجوعكم فتحشرون من بيوتكم وقصوركم الى قبوركم وجوز اليه النشور قيل عطف على العلة بعد ملاحظة ما تراتب عليها وقيل حال مقدرة من ضمير القاطنين المرفوع المقدر ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ وهو الله عز وجل كما ذهب اليه غير واحد فقيل على تاويل من في السماء أمره سبحانه وقضاؤه بمنى انه من التجوز في الاسناد أو ان ليبتدأ المقدر او اسم من في السماء أمره فلما حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ارتفع واستتر وقيل على المقدر خالق من في السماء وقيل في بمعنى على وبراد العلو بالقهر والقدرة وقيل هو مبني على زعم العرب حيث كانوا يزعمون أنه سبحانه في السماء فكانه قيل أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان وهذا في غاية السخافة فكيف يناسب بناء الكلام في مثل هذا المقام على زعم بعض زعم الجهلة الا يخفى على النصف أو هو غيره عز شانه والباء ذهب بمعنى فقيل أريد بالوصول اللائق بشانه تعالى أو ان ليبتدأ المقدر او اسم من في السماء أمره فلما حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ارتفع واستتر وقيل على المقدر خالق من في السماء وقيل في بمعنى على وبراد العلو بالقهر والقدرة وقيل هو مبني على زعم العرب حيث كانوا يزعمون أنه سبحانه في السماء فكانه قيل أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان وهذا في غاية السخافة فكيف يناسب بناء الكلام في مثل هذا المقام على زعم بعض زعم الجهلة الا يخفى على النصف أو هو غيره عز شانه والباء ذهب بمعنى فقيل أريد بالوصول اللائق بشانه تعالى عليه السلام الموكلون بتدبير هذا العالم وقيل جبريل عليه السلام وهو الملك الموكل بالخسف وأئمة السلف لم يذهبوا الى غير المثال والآية عندهم من المتشابه وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم آمنوا بمتشابه ولم يتمثل أولوه فهم مؤمنون بانه عز وجل في السماء على المعنى الذي أراده سبحانه مع كمال التنزيه وحديث الجارية من أدلى الادلة لهم في هذا الباب وتاويله بما أول به الخلف خروج عن دائرة الانصاف عند أولي الالباب وفي فتح الباري للحافظ ابن حجر أسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال اتفق الفقهاء كلهم من الشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن والاحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير وأسند البيهقي بسنده صحيح عن أحمد بن أبي الحواري عن سفيان بن عيينة في ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه تفسيره تلاوته والسكوت عنه وهذه طريقة

Marfat.com

الشافعي وأحمد بن حنبل وقال امام الحرمين في الرسالة النظامية اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تاويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن وذهب أئمة السلف الى الانكفاف عن التأويل واجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها الى الله عز وجل والذي ترتضيه رأيا وندين الله تعالى به عقيدة اتباع سلف الأمة لدليل القاطع على أن اجماع الأمة حجة فلو كان تاويل هذه الظواهر حتما لاوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة واذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع انتهى كلام الامام وقد تقدم النقل في ذلك عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الامصار كالثوري والاوزاعي ومالك والليث ومن عاصرهم وكذا من أخذ عنهم من الائمة فكيف لايوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام انتهى كلام الحافظ على وجه الاختصار ونقل نصوص الائمة في اجراء ذلك على الظاهر مع التنزيه من غير تأويل يفضي الى تبديد وتطويل وقد أتيت فيه الشيء مقررة ومختصرة وفي تلبيه المقول لفسيح مقاليدها ابراهيم الكوراني أن اجماع القرون الثلاثة على اجراء المتشابهات على مواردها مع التنزيه ليس كمثله شيء دليل على أن الشارع صلوات الله تعالى وسلامه عليه أراد بها ظواهرها والجزم بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم دليل على عدم المعارض العقلي الدال على تقويض مادل عليه الدليل النقلي في نفس الامر وان توهمه العاقل في طور النظر والفكر فمعرفة الله تعالى بهذا النحو من الصفات طور وراء ذلك انتهى وانا أقول في التأويل اتباع الظن وقول في الله عز وجل بغير علم والا لاتحمايذ كرونه من المعنى فيه مع ان الامر ليس كذلك حيث يذكرون في تاويل شيء واحد وجوها من الاحتمالات وفيما عليه السلف سلامة من ذلك ويكفي هذا في كونه أحسن المسالك

وما على اذا ماقلت مستندي ... دع الجهول يظن الجهل عدوانا

وقرأ نافع ألئنتم بتحقيق الهمزة الاولى وتسهيل الثانية وأدخل أبو عمرو وقالون بينهما الفا وقرأ قنبل بابدال الاولى واوا مضمومة قبل واو مدة ومد عن ورش غير ذلك أيضا وقوله تعالى ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ بدل اشتمال من من وجوز أن يكون على حذف الجار أي من أن يخسف بوجهه حينئذ النصب أو الجر والباء للملابسة والارض مفعول به ليخسف والخسف قد يتعدى قال الراغب يقال خسفه الله تعالى وخسف هو قال تعالى خسفنا به وبداره الارض أي ألئنتم من أن يذهب الارض الى سفل ملتبسة بكم وزعم بعضهم لزوم لزومه وان الارض نصب بنزع الخافض أي أن يخسف بكم في الارض وليس كذلك ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ حين الخسف ﴿تَمُورُ﴾ تريج وتضطرب اضطرابا شديدا وأصل المور الترديد في الهبوب والذهاب ﴿أَمْ أَلِئنتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ اضراب عن الوعيد بما تقدم الى الوعيد بوجه آخر أي بل ألئنتم من في السماء أن يرسل الخ وقد تقدم الكلام في الخاسب والوعيد بالخسف أولا لمناسبة ذكر الارض في قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا وقد ذكر الله في تسهيل الذي في منا أيها وذكر الرسال الخاسب ثانيا وهذا في مقابلة الامتنان بقوله تعالى وكلوا من رزقه ألا ترى الى قوله تعالى وفي السماء رزقكم قاله في الكشف وفي غرة التنزيل الراغب في وجه تقديم الوعيد بالخسف على الوعيد بالخاسب انه لما كانت الارض التي مهدها سبحانه وتعالى لهم لاستقرارهم يعبدون فيها خالقها فعبدوا الاصنام التي هي شجرها أو حجرها خوفوا بما هو الرهب اليهم والتخويف بالخاسب من السماء التي هي مصاعد أعمالهم الصالحة والاجل أيهما يدل على عباسات كفرهم وقبائح أعمالهم ولما أشير اليها أولا الى قوله ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أي انذاري فنذير مصدر كالنكير في أول حسان

Marfat.com

فانظر منلها نصحا قريبا ٭ من الرحمن ان قبلت نذيرى

وهو مضاف الى ياء المتكلم والقراء مختلفون فيما لهم من حذفها وصلا وأثبتها وقفا ومنهم من حذفها في الحالين اكتفاء بالكسرة والتي قبلها وقد وقرئ على اثباته عند مشاهدتك المخاطب به ولكن لا يناسب المقام حينئذ وقرئ مشاقصيفون بالنون الخفيفة (وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أي من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة قوم نوح وعاد وأضرابهم والالتفات الى الغيبة لايراد الاعراض عنهم (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) أي انكاري عليهم بالعذاب أي كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد القسمي لا تكذيبهم فقط الكلام في نكير كالكلام في نذير وفي الكلام من المبالغة في تسلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه مالا يخفى (أَوَلَمْ يَرَوْا) أعلموا ولم ينظروا (إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ) باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها أعني ماتقدم من رؤسها صفا ونصب صافات على الحال من الطير أو من ضميرها في فوقهم وهو في موضع الحال فتكون الحال متداخلة وجوز أن يكون ظرفا للصافات أو أوارو ومفعول صافات على الاحتمالات محذوف كما أشرنا اليه والمسبب ذكر الاخبار بالطير ذكر التوحيد بالمناسب لاسيما اذا فسر بالطيارة فقد أطلقت اطلاق بعضهم الفيل حينما رئيها بالطير في ذلك الذكر قريش بتلك القصة (وَيَقْبِضْنَ) ويضممن أجنحتهن اذا ضربن بها جنوبهن والعطف على صافات لان الذي يصففن ويقبضن أوصافات وقابضات وعطف الفعل على الاسم في مثله فصيح شائع وفكه جائز حسن الا عند السهيلي فانه عنده قبيح نحو قوله

بات يعشيها بعضب باتر ٭ يقصد في أسوقها وجائر

فانه أراد قاصد وجائر ولما كان أصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل فيها مد الاطراف وبسطها وكان القبض طارئا على البسط للاستظهار به على التحرك حسبما هو طار غير أصل بلفظ الفعل وبنا هو أصل بلفظ الاسم على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة ويجدد حينا أثر حين كما يكون من السابح (مَا يُمْسِكُهُنَّ) في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى طبيعة الاجسام الثقيلة من النزول الى الارض والانجذاب اليها (إِلَّا الرَّحْمَنُ) الواسع رحمته الذي حيث برأهن عز وجل على أشكال وخصائص وألهمهن حركات قد تأتي منها الجري في الهواء والطيفة مستانفة أو حال من الضمير في يقبضن وقرأ الزهري مايمسكهن بالتشديد (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) دقيق العلم فيعلم سبحانه وتعالى كيفية البدائع المذكورات وتدبير المصنوعات ومن هذا حاله عز وجل الطير على وجه يناسب به مجرى الجو مع قدرته تعالى أن يجريه عليه بدون ذلك الا أن الحكمة اقتضت ربط المسببات بالاسباب ليس فيما ذكرنا لزوم الى مايضر من أقوال أهل الطبيعة لان كون طبيعة الاجسام الثقيلة مايمنعها محسوس لا ينكره الا من كابر حسه ومنه كون الامساك بالسبب السابق وكونه مبدأ من آثار رحمته تعالى الواسعة وأبى ذلك أبو حيان توهما منه ان نزوع الى مايضر من أقوال أهل الطبيعة وقال نحن نقول ان الثقل الاشياء اذا أراد الله سبحانه امساكها في الهواء واستقلاله الى العرش كان ذلك واذا أراد جعلها تزال ماهو أخف سفلا الى منتهى مايمكن كان أيضا وليس ذلك لذلك أو ثقل أو خفة ونحن لانكر ان الله تعالى على كل شيء قدير وانه سبحانه فعال لما يريد وانه لا يتوقف فعله عز وجل على السبب عقلا بيد أنا نقول انه تعالى اقتضت حكمته في هذا العالم ذلك الربط وهذا أمر عادي اختاره تعالى حكمة وانفضلا أو

Marfat.com

شامل وعلا غير مالكان لإنشاء وتقدير بكل شيء على بعيد الفاصلة أو القصر ورداً على من زعم عدم شمول علمه تعالى
لها (أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ) متعلق عند كثير بقوله سبحانه
أولم يروا الى الطير فقال في الارشاد وهو تبكيت لهم بنفي أن يكون لهم ناصر غير الله تعالى إثر بيان عجزهم بعنوان
الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن أو ناصر من عذابه تعالى إثر هو الانسب بقوله تعالى بعدان أمسك
رزقه كقوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا في التبيين ما مر آنفاً من الاستفهام هناك متوجه الى نفي المانع
وتحققه وهنا متوجه الى تعيين الناصر التبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وأم منقطعة مقدرة ببل للانتقال
من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير الدالة على نماحيب آثار قدرة الله
عز وجل الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لأن
بعدها من الاستفهامية والاستفهام لا يدخل على الاستفهام في العروف عندهم وهي مبتدأ وهذا خبره وفي
الوصول هذا الاحتمالات المشهورة في ما الموجبة ينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه
الأول اما حال من فاعل ينصركم أو نعت لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم كما في قوله تعالى من ينصرني
من الله فالمعنى من هذا الطير الذي هو في زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن أو ينصركم نصرا كائنا
من دون نصره تعالى أو ينصركم من عذاب كائن من عند الله عز وجل وقوله تعالى (إِنِ الْكَافِرُونَ
إِلَّا فِي غُرُورٍ) اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال أي ما هم في زعمهم أنهم محفوظون من النوائب
بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط وان آلهتهم تحفظهم من بأس الله تعالى الا في غرور عظيم وضلال
فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به في الجملة والالتفات الى التبية للايذان بالتناهي
لعظم الاعراض عنهم وبيان قبائحهم للغير والاظهار في موضع الاضمار لتعليلهم بالكفر وتعليل غرورهم به
والكلام في قوله تعالى (أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ) أي الله عز وجل (رِزْقَهُ)
بامساك المطر وسائر مباديه كالذي مر وقوله تعالى (بَل لَّجُّوا) اضراب عن مقدر يستدعيه المقام كأنه
قيل أثر التبكيت والتعيير لم يتأثروا بذلك ولم يتدبروا فلجوا بل لجوا وتمادوا (فِي عُتُوٍّ) في عناد واستكبار
وطغيان (وَنُفُورٍ) شراد من الحق الذي عليهم وجعل ناصر الدين أم من هذا الذين هو أبلغ عديلا للوجه الاول
أو إبداء على معنى ألم ينظروا في أمثال هذه الصنائع من القبض والبسط والامساك وما شاكل ذلك مما يدل على كمال
القدرة فلم يعقلوا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب أم لكم جند ينصركم من دون الله ان أرسل
عليكم عذابه وقال الله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا أنه أخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من
ينصرهم استدراجا بأنهم اعتقدوا هذا القسم وجعل قوله تعالى أم من هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه
أم من يدار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم فقيل إنه عليه الرحمة جعل في الأولى أم متصلة ومن استفهامية
وجعل في الثانية أم منقطعة ومن موصولة وهذا الذي مبتدأ وخبر واقع صلة على تقدير القول وقدر
الاستيجان أن يقال الذي هذا الذي يرزقكم ويجعل هذا قائما مقام الضمير الراجع الى الموصول الاول
ومن قيسل مبتدأ خبره محذوف أي رازق لكم وكأنه أشار بذلك الى صحة كل من الأمرين في الوضعين
وحديث لزوم اجتماع الاستفهامين في بعض الصور ودخول الاستفهام على الاستفهام قيل عليه انه ليس
بضائر اذ لا مانع من اجتماع الاستفهامين اذا قصد التأكيد وقد نقل ابن الحاجري عن جميع البصريين
ان أم المنقطعة أبدا بمعنى بل والهمزة أي ولو دخلت على استفهام نحو أم هل تستوي الظلمات وأم هل تستوي

Marfat.com

تعالون ومذهب غيرهم انها قد تأتي بمعنى الاستفهام المجرد وروى ذلك عن أبي عبيدة وانها قد تأتي للاضراب المجرد وقد تضمنت الاستفهام الانكاري أو الطلبي والزمخشري قال في الموضعين أم من يقدر أنه ويقال هذا لمن وجوز في هذا أن يكون الاشارة الى مفروض وان يكون الاشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون بركة آلهتهم فكأنهم الجند والناصر والرازق والآية على هذا ليست متعلقة بقوله تعالى أولم يروا على ما حققه صاحب الكشف قال بعد أن أوضح بلازمه اذا تقرر ذلك فاعلم أن الذي يقتضيه النظر على هذا التفسير أن يكون قوله تعالى أم من هذا الذي هو جند متعلقا بحديث الخسف وقوله سبحانه أم من هذا الذي يرزقكم بحديث ارسال الحاصب على سبيل التنزل كأنه لما قيل أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فتضطربون اثره بعد ما كانت في غاية الثبات عقب بقوله أم أمنتم الفوج الذي هو في زعمكم هو جنده لكم يمنعكم من عذاب الله تعالى ويأمنه على ان أم منقطعة والاستفهام بمعنى بل والهمزة كما قيل أأمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا بعد ما يرسل عليكم رعته فقيل بقوله أم أمنتم الذي تتوهمون انه يرزقكم وأما قوله تعالى ولقد كذب الذين من قبلهم فاعتراض يتضمن التحذير وان في الامم الخالية الخسوف بهم والارسال عليهم الحواصب الى غير ذلك من أنواع عذابه عز وجل ما يسليهم الطمأنينة والوقار لو اعتبروا وكذلك قوله سبحانه أو لم يروا الصوير للقدرة تعالى الباهرة وان من قدر على ذلك كان الخسف وارسال الحاصب عليه أهون شيء وفيه كما انه يعظم قدرته وشمول رحمته أنسك الطير كذلك لما كان العذاب والا فهؤلاء يستحقون كل نكال وفي الاتيان بهذا من التحذير الدال على تسفيه رأيهم وتقدير القول الدال على الزعم والتأكيد بالموصولين الدال على تأكد اعتقادهم في ذلك الباطل ان كان الاشارة الى الاصنام أو كل المتسكع بهم كائنا من كان ان كان الاشارة الى فوج مفروض لان حاصل في الامن يقتضي ذلك وهذا أبلغ وأما قدمه الزمخشري ما يقتضي منه العجب وأوقع الاعجاز التنزيل كانه رأى الدين تم قال فهذا ما حديث البديع الاعتراف بان الاعتراف من ابلغ كلام الله تعالى الرجال ما أبعد مثل هذا منهم ولكن أنسى يقول أمامنا الشافعي * أحب الصالحين ولست منهم اتشبه * والسري لعل أبدع ونبوأما قاله من القبول فتدوي القبول الحل الارفع ويحيق طرف تمر دعوته * على فضله العالي فلله دره وظاهره أن من في الموضعين فاعل لفعل محذوف دل عليه السياق أمني امنكم لا مبتدأ خبره محذوف كما قيل فيما سبق وقد جوز في الآية غير ما تقدم من أوجه الاعراب وهو أن يكون من خبرا مقدما وهذا مبتدا ورجح على ما مر من مكيه بأنه سالم مما فيه من الاخبار بالمعرفة عن النكرة فانه غير جائز عند الجمهور وجوازه مذهب سيبويه اذا كان المبتدا اسم استفهام أو أفعل تفضيل . وقرأ طلحة في الاولى أمن بتخفيف الميم وتشديد في الثانية كالجماعة وقوله تعالى ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما في الدنيا وتحقيقا للمآل مذهبهما والقائل بترتب ذلك على ما ظهر من سوء حال الكفرة وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء الشر والفتور فان تقدم الطرفة عليها صورة اذا هو لاقتضاء الصدارة وانما يحسب الذي فالتي بالعكس على ما هو المشهور حتى لو كان مكان الطرفة مثل الليل قبل من يمشي الخ ومن موصولة مبتدأ ويمشي صلته ومكبا حال من الضمير المستتر في يمشي وعلى وجهه ظرف لغو متعلق بمكبا أو مستقر حال والاول أولى وأهدى خبر من ومن الثانية معطوف على الاولى وهو من عطف المفرد على المفرد كما في قولك أزيد أفضل أم عمرو وقيل أم عمرو مبتدأ خبره محذوف دلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك لما سمعت والمكب الساقط على وجهه يقال أكب خر على

Marfat.com

وجيه وهو من باب الاشتقاق والمشهور أنه لازم وثلاثيه متعد فيقال كبه الله تعالى فانكب وقد جاء ذلك على خلاف القياس وله نظائر يسيرة كامرت الناقة وحرنت وأنشق البعير رفع رأسه وشنقت واقشع الغيم وقشعته الريح أي أزالته وكشفته وأنزفت البئر ونزفتها أخرجت ماءها وأنسل ريش الطائر ونسلته وقال بعضهم التحقيق ان الهمزة فيه للصيرورة فمعنى أكب صار ذا كب ودخل فيه كما في الام اذا صارت ذات لبن والقض اذا صار ناقضا لما في مزوده وليست للمطاوعة ومطاوع كب أنكب كما مر وقد ذهب الى ذلك ابن سيده في المخصص والجوهري وغيرهما وتبعه ابن الحاجب وأكثر شراح المفصل الا ان كلام بعض الاجلة ظاهر في التسوية بين المطاوعة والصيرورة وحكى ابن الاعرابي كبه الله تعالى وأكبه بالتعدية وفي القاموس ما هو نص فيه وعليه الاطلاقة القياس والقن أقن يقن وهو يقر في كل ساعة ويطر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلاف اجزائه بانخفاض بعض وارتفاع بعض آخر لعمى وأرشد الى القصد الذي يؤمه أم من يمشي قائما سالما من الخبط والعثار على طريق مستوى الاجزاء لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولم يصرح بطريق الكافر بل أشير اليه بما دل على تعيره وعدم استقامته أعني مكبا للاشعار بان ما عليه لا يليق أن يسمى طريقا وعبر بمقيم السوي بمستوى الجهة قابل الانحراف على ان الكلب للصنف الذي ينحرف هكذا وهكذا وهو غير مناسب هنا لان قوله تعالى على صراط مستقيم يعبر بالتكرر وأصل هذا مثله على مالي البحر في قولك السهل أحق من الجبل والآية على ما روي عن ابن عباس نزلت في أبي جهل عليه اللعنة وحمزة رضي الله تعالى عنه والمراد العموم كما روي عن ابن عباس أيضا وجاهد والضحاك وقال قتادة نزلت مخبرة عن حال الكافر والمؤمن في الآخرة فالكفار يمشون فيها على وجوههم والمؤمنون يمشون على استقامة وروي أنه قيل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يمشي الكافر على وجهه فقال عليه الصلاة والسلام ان الذي أمشاه في الدنيا على رجليه قادر على ان يمشيه في الآخرة على وجهه وعليه فالأثيل وقيل المراد بالكب الامشي وبالسوي البصير وذلك اما من باب الكناية أو من باب المجاز المرسل وهو لا يأبى حمله بعد تسليما ان سمعت كما هو معلوم في محله ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ﴾ أي أوجدكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ أي القلوب ﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي ذلك النعم فان تستعملون السمع في سماع الآيات التنزيلية على وجه الانتفاع بها والابصار في النظر بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤن الله عز وجل والافئدة بالتفكر بها فيما تسمعونه وتشاهدونه ونصب قليلا على انه صفة مصدر مقدر أي شكرا قليلا وما مزيدة لتأكيد القلة والجملة حال مقدرة والقلة على ظاهرها أو بمعنى النفي ان كان الخطاب للكفرة وجوز في الجملة ان تكون مستأنفة والاول أولى ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أي خلقكم وكثركم فيها لا غير عز وجل ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الجزاء لا الى غيره سبحانه كما زعم المشركون فلا تشركوا به تعالى أحدا ﴿وَيَقُولُونَ﴾ من غلظ عنودهم وفرط جهلهم ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ أي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى والبعث الموعود ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يخاطبون به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا يستعجلونه عليه الصلاة والسلام في الموعود ولا يأبى الاضافة والآيات المقتضية لوجوب الحشر عطوف أي ان كنتم صادقين فيما تخبرونا من مجيء الساعة الحشر فيما تعدوننا ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ أي العلم بوقته ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ عز وجل لا يطلع عليه غيره عز وجل كقوله تعالى قل انما علمها عند ربي ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أنذركم وقوع الموعود لا محالة وأما الوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار والقائل قوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليه كانه قيل وقد أتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه الخ وهذا

Marfat.com

نظير قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده الا ان التقدير هناك أمر واقع سريع على ما قلنا به وههنا أمر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستشراف وقوله تعالى (زُلْفَةً) حال من مفعول رأوه اما بتقدير المضاف أي ذا زلفة وقرب أو على انه مصدر بمعنى الفاعل أي مزدلفا أو على أنه مصدر نعت به مبالغة أو ظرف أي رأوه في مكان ذي زلفة وفسر بعضهم الزلفة بالقرب والامر عليه ظاهر وكذا على ما روى عن ابن زيد من تفسيره بالخاطر وقال الراغب الزلفة المنزلة والحظوة ومنه الآية قيل معناه زلفة المؤمنين وقيل زلفة لهم واستعمال الزلفى في منزلة العذاب كاستعمال البشارة ونحوها من الالفاظ التي ولا زلفة في هذا القول (سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) سائها رؤيتها بأن غشيتها بسيها السكآبة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتعليم بالكفر وللايذان بعلية السآمة به وأتم أبو جعفر والحسن وأبو رجاء وشيبة وابن وثاب وطلحة وابن عامر وابو عمرو والكسائي كسر سين سيئت للضم (وَقِيلَ) توبيخا لهم وتشديد العذاب بهم (هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ) أي تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على أنه تفتعلون من الدعاء والياء صلة الفعل وقيل هو من الدعوى أي تدعون أنه لا يبعث ولا حشر فالياء سببية أو للملابسة باعتبار الذكر وأيد التفسير الاول بقراءة أبي رجاء والضحاك والحسن وقتادة وابن يسار وعبد الله بن مسلم وسلام ويعقوب تدعون بسكون الدال وهي قراءة ابن أبي عبلة وأبي زيد ونصر عن أبي بكر والاصمعي عن نافع وذكر الزمخشري في سورة المعارج ان يدعون مخففا من قولهم دعا بكذا اذا استدعاه وعن الفراء انه من دعوت أدعو والمعنى هذا الذي كنتم به تستعجلون وتدعون الله تعالى بمجيئه بمعنى قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك الخ وروى عن مجاهد ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد أما قبل من ان الموعود الخسف والحاصب وقد وقعا لان المراد بالخسف القذف كما في قوله

ولا يقيم على خسف يراد به ✽ الا الاذلان عير الحي والوتد

والحاصب المعنى وقد روى صلى الله تعالى عليه وسلم به في وجوههم كما في الخبر المشهور أولم يقفا بناء على ما عرف أولا من المراد بهما ولا يضر ذلك اذ تخلف الوعيد لاضير فيه فليس بخبر كما لا يخفى وكان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فقال سبحانه له عليه الصلاة والسلام (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أي أروني كما هو المشهور وقدر بعضهم (إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ) أي من المؤمنين (أَوْ رَحِمَنَا) أي بالنصرة عليكم (فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِّن عَذَابٍ أَلِيمٍ) أي فمن يجيركم من عذاب النار وأليم الظاهر مقابل النصر القاضي بالالم على ان وجوب النوار تعالى فانهم الاجارة والظاهر ان جواب الشرط والمعطوف عليه محذوف والمعنى حاصل الذي لا ضير لكم من عذاب النار لكفركم الموجب له انقلبنا الى رحمة الله تعالى بالهلاك كما تمنون لان فيه الفوز بنيل الآخرة أو بالنصرة عليكم والادالة للاسلام كما نرجو لان في ذلك الظفر بالدارين وينضمن ذلك حثهم على طلب الخلاص بالايمان وان فيما هم فيه شغلا شاغلا عن تمني هلاك النبي عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين وهذا أوجه أو جه ثلاثة ذكرها الزمخشري ثانيا ان المعنى ان أهلكنا الله تعالى بالموت ونحن عدا تكم والآخذون بحجزكم فمن يجيركم من النار وان رحمنا بالغلبة عليكم وقتلكم مكي ماتمنون فمن يجيركم لان القتول على أيدينا هالك في الدنيا والآخرة وعلى هذا الجواب يتعدد الموجب ورجح الاول بأن فيه تسفيها لرأيهم لطلبهم ما هو سعادة أعدائهم ثم الحث على ما هو أسرى وهو الخلاص مما هم فيه من موجب الهلاك

Marfat.com

وهذا في الأول من حيث أنهم لم يشهدوا هلاك من يجيء من العذاب بارشاده والسياق لدعي الأول وثانيا ان الذي ان أهلكنا الله تعالى في الآخرة فنحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا إيمان له وعلى هذا الجواب متمدد أيضا والهلاك فيه محمول على لازمه دون الحقيقة كما في سابقه والغرض الجزم بانهم لا يجارون فلم وان حاصله لما تردد بين الهلاك بالعذاب والرحمة بالايمان وهم مؤمنون قالوا يكون حال من لا إيمان له وهذا فيبعد (قُلْ) أي لهم جوابا عن تمنيهم ملا يجديهم بل يريدهم مبرما بسوء ما هم عليه (هُوَ الرَّحْمَٰنُ) أي الله الرحمن (آمَنَّا بِهِ) أي فيجيرنا برحمته عز وجل من عذاب الآخرة ولم نكفر مثلكم حتى لا يجار البتة وقد جعل الكفر سبب الاساءة في الآية الاولى جعل الايمان سبب الاجارة في هذه ايتم التقابل ويقع التعريض موقعه ولم يقدم مفعولا. آمنا لانه لو قيل به آمنا كان ذهابا الى التعريض بإيمانهم بالاصنام وكان خروجا عما سيق له الكلام وحسن التقديم في قوله تعالى (وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا) لانتضاء التعريض بهم في أمر التوكل كذلك أي وعليه توكلنا وتم التوكل فحصرنا لاعلى العدد والعدد كما أنتم عليه والحاصل انه لما قرر فيما قبل الاهلاك والرحمة وفسر رحمة الدنيا والآخرة أكدهما بحصولهما لهم في الدارين لايمانهم وتوكلهم عليه تعالى خاصة وفي ذلك تحقيق عدم حصولها للكافرين لانتفاء الوجهين ثم في الآية خاتمة على منوال السابقة وتبيين ان أحسن العمل الايمان والتوكل على الله تعالى وحده وهو حقيقة التقوى وقوله تعالى (فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) أي في الدارين وعيد بعد تخييض الوجيب لكنه أخرج مخرج الكلام المنصف أي من هو منا ومنكم في الخ وقرأ الكسائي فسيعلمون بياء الغيبة نظرا الى قوله تعالى فمن يجير الكافرين وقوله سبحانه (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أي أخبروني (إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) أي غائرا ذاهبا في الارض بالكلية ومن الكلي لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به للمبالغة أو مؤول باسم الفاعل وأيا كان فليس المراد بالماء ماء معينا وان كانت الآية كما روى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن الكلبي نازلة في بشر زمزم وبشر ميمون بن الخضرمي (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) أي جار أو ظاهر سهل المأخذ لوصول الأيدي ... وهو قابل من معن أو مفعول من عين وعيد في الدنيا خاصة والرد على الوعيد السابق به تنزيلا بالادنى على الاعلى والكل انما يتعبدهم عز وجل للحياة الباقية فانهم عبدوه لغاية وطلبت هذه الآية عند بعض المستهزئين فلما سمع في يأتيكم الخ قال لعين به الفؤس والمعاول فذهبوا فجاءوا بها فنودوا بالله تعالى من الجرأة على الله جل جلاله وآياته والصحيح الآيات على هذا الطرز هو ما اختاره بعض الائمة وهو أبعد منزى من غيره والله تعالى أعلم بأسرار كلامه

(سورة ق)

هي من أوائل ما نزل من القرآن بمكة فقد نزلت على ما روى عن ابن عباس اقرأ باسم ربك ثم هذه ثم المزمل ثم المدثر وفي البحر أنها مكية بلا خلاف فيما بين أهل التأويل وفي الاتقان استثنى منها أبو نعيم الزيادة ومن قاصر الى الصالحين فانه مدني كذا في الخازن وفي جمال القراء وآيها ثنتان وخمسون آية بالاجماع ومناسبتها السورة التي قبلها من حيث ختم تلك بالوعيد وافتتاح هذه به وقال الجلال السيوطي في ذلك إنه تعالى لما ذكر في آخر تلك التهديد بكوير الله استنظر عليه في هذه بذكر أصحاب الرس في إلخ هالك طال عليهم فإنهم كانوا لم يجدوا له أثرا حتى ظنوا أنهم ضلوا الطريق ولما كان هذا في الدار وهي الجرام كثيفة فضاؤه الذي هو الطيف أقرب الى الانحناب ولهذا قال

Marfat.com

سبحانه هنا وهم يكذبون فاسبحت كالصريم وقال جل وعلا هناك ان اصبح ماؤكم غورا فالشارة الى انه يصبر عليه في ليلة كما أسرى على الحر في ليلة التي ولا يخالف عن حسن وقال أبو حيان فيه انه ذكر فيما قبل اشياء من أحوال السعداء والاشقياء وذكر قدرته الباهرة وعلمه تعالى الواسع وانه عز وجل اوشك ان يخسف بهم الارض أو لا يرسل عليهم حاصباً وكان ما أخبر به سبحانه هو ما أوحي به الى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فتلاه عليه الصلاة والسلام وكان الكفار ينسبونه في ذلك مرة الى الشعر ومرة الى السحر ومرة الى الجنون فبدأ جل شأنه هذه السورة الكريمة ببراءته صلى الله تعالى عليه وسلم مما كانوا ينسبونه اليه من الجنون وتعظيم أجره على صبره على أذاهم وبالثناء على خلقه فقال عز من قائل

(بسم الله الرحمن الرحيم) بالسكون على الوقف وقرأ الاكثرون بسكون النون وادغامها في واو (والقلم) بناءه بعض وبدونها عند آخرين وقرئ بكسر النون وقرأ ابن عباس وابن أبي اسحق وعيسى بخلاف عنه بفتحها وقل لاتفاقهما كذلك وجوز أن يكون الفتح بإضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر والنصب وكون ذلك نصباً باضمار اذكر ونحوه لاقتضاء امتناع الصرف التعريف والتأنيث على انه علم السورة ثم ان جعل اسما للحروف مسرودا على نمط التعديد فالحذف على ما اشتهر وبين في موضعه أو اسما للسورة فمنصوبا على الوجه الذي ذكر أو مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف فالواو في قوله تعالى والقلم للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف على الشائع واختار الشافعيان ن من التهجي وغير واحد من الخلف انه هنا من أسماء الحروف وقالوا يؤيد ذلك انه لو كان اسم جنس أو علما لاعرب منونا أو ممنوعا من الصرف والكتب كما ينطق به وكون كتابته كما ترى اية الوقف والحذف الوصل خلاف الاصل وكون خط المصحف لا يقاس مسلم الا ان الاصل اجراؤه على القياس ما أمكن وقيل هو اسم لدوات عليه الارض يقال له اليهموت بفتح الياء الثانية وسكون الهاء وفي حديث رواه الضياء في المختار والطبراني وصححه وجمع عن ابن عباس خلق الله تعالى النون فبسطت الارض عليه فاضطربت النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال ثم قرأ ن والقلم الخ وروى ذلك عن مجاهد وروى عن ابن عباس أيضا والحسن وقتادة والضحاك انه اسم الدواة وأنكر الزمخشري ورود النون بمعنى الدواة في اللغة أولي الاستبعاد الذي نبه به وقال ابن عطية يحتمل أن يكون لغة لبعض العرب أو لفظة أعجمية عربية وأنشد قول الشاعر

اذا ما الدوق يرح بي اليهم ❊ أغث النون بالسبع الجروم

والاكثرون منهم من فسر القلم بالذي خط في اللوح المحفوظ ما هو كائن الى يوم القيامة ومنهم من فسره بالملائكة الكرام الكاتبين والى هذا ذهب المتقدمون الا قليلا والآخرون منهم من فسره بالجنس على ان التعريف فيه جنسي ومنهم ومن قبل من فسره بما تقدم أيضا لكن الظاهر من كلامهم ان الدواة ليست عبارة عن الدواة المعروفة بل هي دواة خلقت يوم خلق ذلك القلم وعن معاوية بن قرة يرفعه ان ن لوح من نور والقلم قلم من نور يجري بما هو كائن الى يوم القيامة وعن جعفر الصادق انه نهر من أنهار الجنة وفي البحر لعله لا يصح شيء من ذلك أي من جميع ما ذكر في ن ما عدا كونه اسما لهذه الحروف وكأنه ان كان مطلقا على الروايات التي ذكرناها لم يعتبر تصحيح الحاكم فيما روى أولا عن ابن عباس ولا كون أحد رواته الضياء في المختار الذي هو في الاعتبار قريب من الصحاح ولا كثرة رواته ممن هو الذي يغلب على الظن لكثرة الاختلاف فيما روى عنه في تعيين المراد به حتى انه روى عنه انه آخر حرف من حروف الرحمن وان هذا الاسم الجليل فرق في الر وحم ون ولا يخفى انه ان أريد الحوت أو نهر في الجنة يصير الكلام من باب الخليفة وأنت بالنسبة وأما ان أريد الدواة فانكر أب من ذلك أشد الانكار على انه كما سمعت

Marfat.com

من الزمخشري لغة لم تثبت والرد عليه أنا ياتي باثبات ذلك من اللغات وأتى به وذكر صاحب القاموس لايتمش حجة على انه معنى لغوي ولي صحة الروايات بكلام والبيت الذي انشده ابن عطية لم يثبت عربيا وكونه يعني الحوت الملتقم على الدواة مجازا بعلاقة الشابهة كان بعض الحيتان يستخرج منه شيء أشبه سوادا من النفس يكتب به لايخفى مافيه من السماجة فان ذلك البعض لم يشتهر حتى يصح جعله مشبها به مع انه لادلالة للمشكر على ذلك المشتهر بعينه وكونه يعني الحرف مجازا عنها أدهى وأمر كما قيل والبحث في البعض مجاله قصاص هذا الفصل ورواياته لايعول عليها ولا ينبغي الاصغاء اليها ثم ان استحقاق القلم الاعظم بالاقسام به انما أريد به قلم الوحي الذي جاء في الاخبار انه أول شيء خلقه الله تعالى أو قلم الكرام الكاتبين ظاهر وأما استحقاق مايملي الناس انما أريد به الجنس لذلك فلكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكفى بها فضلا وجلالة وتنكير ﴿ما﴾ للتعظيم والتفخيم في قوله سبحانه ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي يكتبون الملائم مرادا به قلم الوحي وعبر عنه بضمير الجمع تنظيما له أو له مرادا به جنس ما به الخط فضمير الجمع لتعدده لكنه ليس بكاتب حقيقة بل هو آلة الكاتب فالاسناد اليه اسناد الى الآلة مجازا والتعبير عنه بضمير العقلاء لقيامهم وعملهم فاعلا أو لملكية أو الحفظة الكاتبين من القلم أو لهم باعتبار أنه أريد بالقلم أصحابه تجوزا أو بتقدير مضاف معه ولا يخفى ما هو الاوجه من ذلك وأما كونه لما وهي بمعنى من فتكلف يرده والظاهر فيها أنها اما موصولة أي والذي يسطرونه أو مصدرية أي وسطرهم ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ جواب القسم والباء الثانية مزيدة لتأكيد النفي ومجنون خبر ما والباء الاولى للملابسة والجار والمجرور في موضع الحال من الضمير في الخبر والعامل فيها معنى النفي والمعنى انتفى عنك الجنون في حال كونك ملتبسا بنعمة ربك أي منبا عليك بما أنعم من حصافة الرأي والنبوة والشهامة واختاره ناصر الدين وقريب منه جعل الباء للسببية والجار والمجرور متعلقا بالنفي كالظرف الاتي لا بمجنون لئلا يفيد انتفى عنك الجنون بسبب نعمة ربك عليك ووجوز أن تكون الباء للملابسة في موضع الحال والعامل مجنون وهو لا يمنع العمل لانها مزيدة وتبعه ناصر الدين بان فيه نظرا من حيث المعنى ووجهه بأن محصله على هذا التقدير أنه انتفى عنك الجنون وقت التباسك بنعمة ربك ولا يفهم منه انتفاء مطلق الجنون عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وهل المراد الا هذا وقيل عليه لايخفى انه وارد على ماختاره هو أيضا أي وذلك لان المعنى حينئذ انتفى عنك ملتبسا بنعمة ربك الجنون ولا يفهم منه انتفاؤه عنه عليه الصلاة والسلام في جميع الاوقات وهو المراد والجواب بأن تلك الحالة لازمة له صلى الله تعالى عليه وسلم غير منفكة عنه فنفيه عنه فيها مستلزم للنفي عنه دائما وسائر الحالات وتعقب بأن هذا متأت على كلا التقديرين لاختصاص له باحدهما دون الآخر وأنت خبير بانفراق بينهما لزوم النفي على تقدير كون العامل مجنونا أشير اليه انه انتفى عنك الجنون الواقع عليك حالة الانتفاء المذكور وهذا يدل على أمكان وقوعه في تلك الحالة بل على تحققه أيضا وهو مستلزم لامكان تصور وجود الجنون ووقوعه وقت التباسه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنعمة ومن جملتها الحصافة ولايرد هذا على التقدير الختار الانتفاء المفهوم حينئذ لايكون واردا على الجنون المقيد بما ذكر وهو وان كان مفيدا فيه أيضا لامتيعه لكون قيده لازما لذات المنفي عنه كما عرفت هذا وقيل اذا حمل الباء على السببية واعتبر الظرف لغوا يظهر عدم جواز تعلقه بما بعده من حيث المعنى ظهور نار القرى ليلا على علم ولهم في الجملة الحالية والحال اذا وقعت بعد النفي كلام ذكره الطيبي وحقق انه حينئذ انما يلزم انتفاء مقارنة الحال لذي الحال لانفيها نفسها فتدبر ولا تغفل وجوز كون بنعمة ربك قسما متوسطا في الكلام لتأكيده من غير تقدير جواب

أو

Marfat.com

أو يقدر له جواب يدل عليه الكلام المذكور واستظهر هذا الوجه أبو حيان والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه صلى الله تعالى عليه وسلم والايذان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه في العلو الى غاية لاغاية وراءها والمراد تنزيهه صلى الله تعالى عليه وسلم عما كانوا ينسبونه اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من الجنون حسداً وعداوة ومكابرة فالمراد بالكلام أنت منزه عما يقولون (وَإِنَّ لَكَ) بمقابلة ما قالوا أو ان الشعائر الدين جاهدت لمحطمات أعباء الرسالة (لَأَجْرًا) لتوانيا مطيبا الاجاد قدره (غَيْرَ مَمْنُونٍ) أي مقطوع مع عظمه أو غير ممنون عليك من جهة الناس فانه مجازاة تعالى بلا واسطة أو من جهته تعالى لانك حبيب الله تعالى وهو عز وجل أكرم الاكرمين ومن شيمة الاكارم أن لاتنوا بانعامهم لاسيما اذا كان على أحبائهم كما قال

سأشكر عمرا ان تراخت منيتي ● أيادي لم تمنن وان هي جلت

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) لادراك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحمل من جهتهم الايحاشه أشد الناس من أولى العزم وفي حديث مسلم وأبي داود والامام أحمد والدارمي وابن ماجه والنسائي عن سعد بن هشام قال قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق نبي الله كان القرآن وأردت بذلك على ما قيل ان ما فيه من المكارم كله كان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وما فيه من الزجر عن مساوئ الاخلاق كان منزجرا به عليه الصلاة والسلام لانه المقصود بالخطاب بالقصد الاول كذلك ينبغي فؤاده وربما يرجع الى هذا قولها كما في رواية ابن المنذر وغيره عن أبي الدرداء انه سألها عن خلقه عليه الصلاة والسلام فقالت كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه وقال العارف بالله تعالى الرصفي أرادت بقولها كان خلقه القرآن تخلقه باخلاق الله تعالى الكلية لم تصرح به نادباً منها وفي الكشف أنه أدمج في هذه الجملة انه صلى الله تعالى عليه وسلم متخلق باخلاق القهر وجل بقوله سبحانه عظيم وزعم بعضهم أن في الآية رمزا الى أن الاخلاق الحسنة مما لاتجامع الجنون وانه لما كان الانسان أحسن أخلاقا كان أبعد من الجنون ويلزم من ذلك أن سوء الاخلاق قريب من الجنون (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) أي الجنون كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وابن المنذر عن ابن جبير وعبد بن حميد عن مجاهد وأطلق على الجنون لانه فتن اي محن بالجنون وقيل لان العرب يزعمون ان الجنون من تخييل الجن وهم الفتان فذلك منهم والباء مزيدة في المبتدأ وجوز ذلك سيبويه أو الفتة فالمفتون مصدر كالمعقول والمجلود أي الجنون كما اخرجه عبد بن حميد عن الحسن وابي الجوزاء وهو بناء على أن المصدر يكون على وزن المفعول كما جوز بعضهم والباء عليه للملابسة أو بأي الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بأبي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهما والباء على هذا بمعنى في وقدر بأي الفريقين منكم دفعا لما قيل من ان الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجماعة قريش ولا يصح أن يقال لجماعة وواحد في أيكم زيد وأيد الاعراض بأن قوله تعالى فستبصر ويبصرون خطاب له عليه الصلاة والسلام خاصة وجواب التأييد أن الخطاب بظاهره خص برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليجري الكلام على نهج السوابق ولا يتأثر لكنه ليس السوابق في الاختصاص حقيقة لدخول الامة فيه أيضا فيصح تقدير بأي الفريقين وادعى صاحب الكشف ان هذا أوجه الاوجه لافادته التعريض وسلامته عن استعمال النادر يعني زيادة الباء في المبتدأ وكون المصدر على زنة المفعول وإليه ذهب الفراء ويؤيده قراءة ابن أبي عبلة في أيكم وأيا كان فالظاهر ان بأيكم المفتون مبتدأ وخبر والجملة على سبيل التنازع والفراء فستبصر

Marfat.com

ويعلمون ذلك يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وروى ذلك عن ابن عباس وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة الأمر بغلبة الإسلام واستيلائك عليهم بالقتل والسبي وسيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم أذلة صاغرين وبقضاء هذا ما كان يوم بدر ومن قال ان ذلك وعيد بعذاب يوم بدر وقال أبو عثمان المازني ان الكلام قد تم عند قوله تعالى ويبصرون ثم استأنف فقال سبحانه بأيكم المفتون على انه استفهام يراد به التوبيخ والتقريع أمرين معلومين للخلق عن أحدهما وتعيين وجوده والآخر وهو ما ترى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ استئناف لبيان ما قبله وتأكيد لما تضمنه من الوعد والوعيد أي هو سبحانه أعلم بمن ضل عن سبيله المؤدي الى سعادة الدارين وهلم في تيه الضلال متوجها الى ما يقتضيه من العقوبة الأبدية ويزيد النكال وهذا هو المفتون الذي لا يفرق بين النفع والضرير بحسب الفطرة فيؤثر النفع الذي يؤثره فيجره وهو عز وجل أعلم بالمهتدين الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل محذور وهم الضلال الراسخون فيجزي كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب وفي الكشاف ان ربك هو أعلم بالمهتدين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو أعلم بالضلال وهم المهتدون أو يكون وعيدا ووعدا وأنه سبحانه أعلم بجزاء الفريقين قال في الكشف هو على الأول تذييل مؤكد لما رمز اليه في السابق من أن المفتون من تزلفك به جار على أسلوب التوكيد في عدم التصريح ولكن على وجه أوضح فان قوله تعالى بأيكم المفتون لا تبين فيه بوجه وهذا يدل هو أعلم بالمجنون والعاقل يدل على أن الجنون بهذا الاعتبار لا يأبه لوجوده وثبت لهم صرف الضلال في دين هذا الزعم وعلى الثاني هو تخريب أيضا ولكن على سبيل التصريح لان بين ضل أقيم مقام بهم وبالمهتدين أقيم مقام بكم ولعل ما ذكرناه أملا بالفائدة وكان لتقديم الوعيد ليتصل بما أشعر به أولا والتعبير في جانب الضلال بالضل للايذان بأنه خلاف مالتقتضيه الفطرة وزيادة هو أعلم لزيادة التقرير مع الايذان باختلاف الجزاء والفاء في قوله تعالى ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ لترتيب النهي على ما بني عنه مالية من اعتناء صلى الله تعالى عليه وسلم وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا تهييج وإلهاب للتصميم على معاملتهم أي دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك وجوز أن يكون نهيا من مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما في ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم استمالة لقلوبهم لا من طاعتهم حقيقة ونهي عنه قوله تعالى ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ ﴾ الآية تعليل النهي أو للانتهاء وانما عبر عنها بالمداهنة للمبالغة في التغير أي أحبوا لو تلاينهم وتساهلهم في بعض الأمور ﴿ فَيُدْهِنُونَ ﴾ أي فهم يدهنون حينئذ أو فهم الآن يدهنون طمعا في ادهانك فالفاء فصيحة داخلة على جملة مسببة عما قبلها وقدر المبتدأ لمكان رفع يدهنون والفرق بين الوجهين أن النفي على أنهم تمنوا لو تدهن فتترتب مداهنتهم على مداهنتك فقيه ترتب احدى المداهنتين على الأخرى في الخارج ولو فيه غير مصدرية وعلى الثاني هي مصدرية والترتب ذهني على ودادتهم وتمنيهم وجوز أن تكون الفاء لسبب يدهنون على تدهن على انه داخل معه في حيز لو متسبب منه والمعنى ودوا لو تدهن يدهنون عقيب ادهانك ومالتقدم أبعد من القبيل والقبيل وأيا كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الادهان الذي هو اظهار الملاينة والمساهلة خلافا لما في جانب عليه الصلاة والسلام فالمعتبر بالنسبة الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط وأما اظهار خلافها فليس في حيز الاختيار لهم في غاية الكراهة وانما اعتبر بالنسبة اليه عليه الصلاة والسلام وفي بعض المصاحف فالمدهنون فيدهنوا بدون نون الرفع فقيل لو منصوب في جواب التمني الذي ودوا وقيل انه عطف على تدهن بتأويل أن لو يستقيم ان الثانية لا تدخل جواب لو ويشبك منها وما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا

Marfat.com

كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا ولعل هذا مراد من قال أنه عطف على توهم أن وجوب النصب على أن لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مقول ودوا أي ودوا الدهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾ لتيابالحلف في الحق والباطل وكثرة يوشك جريان ذلك على اعتياد الحلف لأنه مبتذل فلا تحفل الكاذب وأساس الباقي وهو يدل على عدم استعظام عظمة الله عز وجل وهو أم كل شر عظماً وعملاً وذكر بعضهم ان كثرة الحلف مذمومة ولو في الحق لما فيها من الجرأة على اسمه جل شأنه وهذا النهي للتهييج والايلاب أيضاً أي دم على ما أنت عليه من عدم طاعة كل حلاف ﴿ مَهِينٍ ﴾ الحقير الرأي والتدبير وقال الرماني المهين الوضيع لاكثاره من القبيح من المهانة وهي القلة وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد عن مجاهد انه قال هو الكذاب في العرف وأخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس أنه الكذاب ﴿ هَمَّازٍ ﴾ عياب طعان قال أبو حيان هو من الهمز وأصله في اللغة الضرب عنفاً باليد او بالعصا ونحوها ثم استعير للذي ينال بلسانه قال منذر بن سعيد وبعينه واشارته ﴿ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه الافساد بينهم قال الراغب النميم والنميمة مصدران بمعنى السعاية والافساد وقيل النميم جمع نميمة ويريدون به الجنس واصل النمة الهمس والحركة الخفية ومنه اسكت الله تعالى نمته اي صاتهم عليه من حركة ﴿ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ أي بخيل ممسك من منع معروفه عنه اذا أمسكه فاللام للتقوية والخير على ما قيل المال أو منع الناس الخير وهو الاسلام من منعت زيداً من الكفر اذا حملته على الكف فذكر المنوع منه كأنه قيل مناع من الخير دون المنوع وهو الناس عكس وجه الاول والتعميم هنا مما ذكر المنوع منه أولع ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ مجاوز في الظلم حده ﴿ أَثِيمٍ ﴾ كثير الآثام وهي الافعال البطالة من الثواب والمراد بها المعاصي والذنوب ﴿ عُتُلٍّ ﴾ قال ابن عباس الشديد الخلق وقال الكلبي الشديد الخصومة بالباطل وقال ممعن وقتادة الفاحش اللئيم وقيل هو الذي يصل الناس أي يجرهم إلى حبس أو عذاب بعنف وغلظة ويقال عتل بالنون كما يقال علبه بالنون والام قال ابن السكيت وقرأ الحسن عتل بالرفع على القطع ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ أي المذكور من مثالبه وقبائحه وبعد هنا كثم الدالة على التفاوت الرتبي فتدل على أن مابعده أعظم في القباحة وفي الكشف أشعر كلام الزمخشري أنه متعلق بمحذوف يدل عليه لزم تبايته من الصفات السابقة وتبا بين مابعده أيضاً لانه في سياق ﴿ زَنِيمٍ ﴾ وهي ملحق بقوم ليس منهم كما قال ابن عباس والمراد به ولد الزنا كما جاء بهذا اللفظ عنه رضي الله تعالى عنه وأنشد الحسان

زنيم تداعته الرجال زيادة ✽ كما زيد في عرض الأديم الأكارع

وكذا جاء عن عكرمة وأنشد

زنيم ليس يعرف من أبوه ✽ بغي الأم ذو حسب لئيم

من الزنة بفتحات وهي مايتدلى من الجلد في حلق الشاة والعلقة من أذنها لشبه قذرك بمعلقة وانما كان هذا أشد المعايب لان العالب أن النطفة اذا خبثت خبثت الثاني ومنها ومن ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم فرج الزنا أي ولده لا يدخل الجنة أو هو الدخول على الغالب فانه في الغالب طبيعة تكون خبيثة لا خير فيه اصلاً فلا يدخل بالجنة وقال بعض الاجلة هذا خارج مخرج التهديد والتعريض بالزاني وحمل على أنه لا يدخل الجنة مع السابقين لحديث الفارسي عن عبد الله بن عمر مرفوعاً لا يدخل الجنة عاق ولا ولد زنية ولا منان ولا مدمن خمر ولا سلك في قول الباقر والثاني ومدمن الخمر ولا ارتياب أنهم عند أهل السنة ليسوا من زمرة من لا يدخل الجنة أبداً وقيل المراد انه لا يدخل الجنة بسبب أبويه اذا مات صغيراً بل يدخلها بمحض فضل الله تعالى

Marfat.com

ورعته سبحانه كأطفال الكفار عند الجمهور وروى ابن جرير عن ابن عباس أن الزنيم هو الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بالزنمة وفي رواية ابن أبي حاتم عنه هو الرجل يمر على القوم فيقولون رجل سوء والمآكل واحد وعنه أيضا أنه الشرور بالآثام ولا يخفى أن الناس بون معدن الشرور بل من لم يصل في ذلك الأمر الفظيع إلى تلك الرتبة كذلك في الأغلب ولأجل هذا احتيج إلى كثرة الاستشهاد في هذا الباب وفي قول الشاعر ألا كفاك وهو

ولكم بذلت لك الود ناصحا ✽ فحدوت نحلك في الطريق الأوعج
ولكم وجهتك للجميل فوله ✽ يوما فخالفني إلى لا ترشد

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عنه أنه قال نزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا تطع كل حلاف الخ فلم يعرف حتى نزل عليه الصلاة والسلام بعد ذلك زنيم فعرفناه له زنمة في عنقه كزنمة الشاة والمشكل هذا بأن الزنيم عليه ليس صفة ذم فضلا عن كونه أعظم فيه من الصفات التي قبل ذلك على ما يفيده بعد ذلك ولا يكاد يحسن تعليل النهي به على أن من المعلوم أن ليس المراد بالموصوف بهذه الصفات شخصا بعينه لكان في ويحمل مناجاة في الروايات من أحاديثه بن الغيرة المخزومي وكان دعيا في قريش ليس من صميمهم ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده أو الحكم طريد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو الأخنس ابن شريق وكان أصله من ثقيف وعداده في زهرة أو الأسود بن عبد يغوث أو أبو جهل على بيان سبب النزول وقيل في ذلك ان المراد منه مبهم الحقق بعد ذمه بما تقدم وهو كما ترى فتأمل فلعلك تظفر بالرجح الباذون مع الاشكال وقوله تعالى ﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ بتقدير لام التعليل وهو متعلق بقوله سبحانه لا تطع أي لا تطع من هذه مثاله لان كان مشمولا منفيا بالنهي وقوله سبحانه ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله وجوز أن يكون لان متعلقا بنحو كذب يدل عليه الجملة الشرطية بتقدير مقدما دفعا للحصر كأنه قيل كذب لان كان الخ والمراد انه بطر نعمة الله تعالى ولم يعرف حقها ولم يجوز تعلقه بما ذكر بعد لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله والمانع من يقول بالمراد التوسع في الظرف يجوز ذلك ولقائل من يجعل إذا هنا ظرفية وقال أبو علي الفارسي يجوز تعلقه بمثل وان كان قد وصف ونعقبه أبو حيان بأن قول كوفي ولا يجوز ذلك عند البصريين وقيل متعلق بزنيم ويحسن ذلك اذا فسر بفيصح الأعمال وقرأ الحسن وابن أبي اسحق وأبو جعفر وأبو بكر وحمزة وابن عامر ألأن كان على الاستفهام وحقق الهمزتين حمزة وسهل الثانية بالقلب على مذهب البصريين وقال بعض قرأ أبو بكر وحمزة بهمزتين وابن عامر بهمزة ومدة والباقي أكذب بها الان كان ذا مال وأبنيه الان كان الخ وقرأ نافع في رواية اليزيدي عنه ان كان بالكسر على أن شرط النهي في النهي عن الطاعة كالتعليل بالعذر في النهي عن قتل الأولاد بمعنى النهي في غير ذلك بطريق الأولى فزيدت بدلالة النهي والشرط والعلة في ذلك مما لا مفهوم له أو على أن الشرط للمخاطب وحاصل النهي لا تطع كل حلاف الخ تارطا يسارة لان الطاعة الظاهر لهذا بمنزلة اشتراط هذا في الطاعة وفيه تنزيل المخاطب منزلة من شرط ذلك وحققه زيادة الايضاح والتبيان وتعريضا بان سبب النهي مكرمة والظاهر أن الجملة الشرطية بعد استئناف وقيل هذا مما اجتمع فيه شرطان وليسا من القبيل المشترك الوقوع فالمتأخر لفظا هو المتقدم والمتقدم لفظا هو شرط في الثاني فهو كقوله

فان مضرت بعدها ان وأنت ✽ تلمس من مالنا فقولا لانا

وقرأ الحسن أئذا على الاستفهام وهو استفهام تقريع وتوبيخ على قوله أساطير الأولين ﴿ سَنَسِمُهُ ﴾ سنجعل له سمة علامة ﴿ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ أي على الأنف وهو من باب الطلاق ممتنع على ثقافة فليطلق الانسان كالسيف الله

Marfat.com

أن تلك الخصائص وغيرها من غاية الاذلال لان السمة على الوجه تبين حتى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عنه في الحيوانات ولمن قاله فكيف على أكرم وضع منه وهو الانف لقد ما وقد قيل الجمال في الانف وعليه قول بعض الادباء

وحسن الفتى في الانف والانف عاطل ✻ فكيف اذا الخال كان له حليا

وجعلوه مكان المذلة والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وهي أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع أنفه ورغم أنفه ومنه قول جرير

لما وضعت على الفرزدق ميسمي ✻ وعلى البعيث جدعت أنف الاخطل

وفي لفظ الخرطوم استهانة لانه لا يستعمل الا في الفيل والخنزير فهو التعبير عن الانف بهذا الاسم ترشيح لما دل عليه الوسم على المعنى المقصود من الاذلال والمراد سنسمه في الدنيا وذلك غاية الاذلال وكون الوعيد المذكور في الدنيا هو المروي عن قتادة وذهب اليه جمع الا انهم قالوا التي سنفعل به في الدنيا من القتل والاستئصال بالسيف ما بقي فيه ولا يخفى فيكون ذلك كالوسم على الانف لانا بينا ٥ تقول سأطوقك طوق الخزانة أي أثبت لك الامر بينا فيلك وزاد ذلك حسنا ذكر الخرطوم الذي هو بين ما تقدم فرق لا يخفى وقال بعض هو في الآخرة ومن القائلين بأن هذا وعيد يأمر يكون فيما بين قيل هو لمقاتلي بدر على أنفه في جهنم وحكي ذلك عن ابن زيد وقال آخرون منهم يوسم يوم القيامة على أنفه سمة يعرف بها كفره والحياط قدره وقال أبو العالية ومقاتل واختاره الفراء المراد بياض وجهه يوم القيامة قبل دخول النار وذكر الخرطوم والمراد الوجه مجازا ومن القائلين بذلك يكون في الدنيا من قال هو وعيد بما أصابه يوم بدر فانه خطم فيه بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وروى هذا عن ابن عباس والمعروف في كتب السير والاحاديث ان أبا جهل قتل يوم بدر والباقون ماعدا الحكم ماتوا قبله فلم يسم أحد منهم بذلك الوسم ولهذا الحكم أيضا انه وسم بذلك وان كان إثبت قبل وعن النضر بن شميل أن الخرطوم الخمر وأنشد

تظل يومك في لهو وفي لعب ✻ وأنت بالليل شراب الخراطيم

وان الذي سنحده على شربها ولعب بالنرد تفيه الرواية بأن أولئك الكفرة تعاطوها قبل تحريمها الى ما عدا الحكم وهو يثبت الوعد على أنهم إن يكونوا ملتزمي الاحكام بالدراية أيضا لتعهد الله وفوات طائفة الذين ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ أي أصبنا أهل مكة بالبلية وهي القحط بدعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف ﴿كَمَا بَلَوْنَا﴾ أي مثل ما بلونا فالكاف في محل نصب صفة مصدر مقدر وما مصدرية وقيل بمعنى الذي أي كالبلاء الذي بلونا ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ المعروف خبرها عندهم كانت بأرض اليمن بالقرب منهم قريبا من صنعاء لرجل كان يؤدي حق الله تعالى منها فلما مات صارت الى ولده فتعوا الناس خيرها ويخلوا بحق الله تعالى منها فكان ماذا كره الله تعالى وكانت على ما أخرج ابن المنذر وغيره عن ابن جرير بأرض اليمن يقال لها صوران بينها وبين صنعاء ستة أميال وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس لم يكن من الحبشة كانت لابيهم جنة وكان يطعم منها المساكين فلما مات قال بنوه ان كان أبونا لاحمق حين يطعم المساكين فاقسموا على أن لا يطعموا منها مسكينا. وأخرج عبد بن حميد عن قتادة أنه قال كانت لدارع من بني اسرائيل وكان يمسك قوت سنة ويتصدق بالفضل وكان بنوه يذمونه من الصدقة فلما مات أقسموا على منع المساكين وفي رواية أنها كانت لرجل صالح على فرسخين من صنعاء وكان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل وما في أسفل الاكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما في البساط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح

Marfat.com

خفية عن المساكين كما قال عز وجل ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ معمول لقوله ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ ليقطعن ثمارها بعد استوائها ﴿مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصباح وهذا حكاية لتقسيمهم لا على منطوقهم والا لقيل لنصرمنها بنون التكلم وكلا الأمرين جائز في مثله ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ قيل أي ولا يقولون ان شاء الله تعالى ولم يستثنوا مع أنه شرط من حيث أن مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله تعالى ولا أخرج الا أن يشاء الله تعالى بمعنى واحد وقال الامام أصل الاستثناء من الثنى وهو الكف والرد وفي التقييد بالشرط رد لانعقاد ذلك اليمين فالحلف عليه حقيقة وقيل أي ولا يستثنون عما هموا بمن منع المساكين والظاهر على القولين عطفه على أقسموا فتفنى الظاهر وما استثنوا وكأنه انما عدل عنه الى استحضار الصورة لما فيها من نوع غرابة لان اللائق في الحلف على ما يلزم منه ترك طاعة الاستثناء وفي الكشف هو حالهم غير مستثنين وفي العدول الى المضارع نوع تغيير وتنبيه على مكان خطئهم وفيه رد لما ذكرنا وقيل الثنى ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج أبوهم وعليه هو معطوف على قوله تعالى ليصرمنها ويقسم عليه أو على قوله سبحانه مصبحين الخ وهو مبنى لا غبار عليه ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ أي أحاط نازلا على الجنة ﴿طَائِفٌ﴾ أي بلاء عظيم فهو مذكور وقول قتادة طائف أي عذاب بيان لحاصل المعنى ونحوه قول ابن عباس أي أمر وعن الفراء تخصيص الطائف بالامر الذي يأتي بالليل وكان ذلك على ما قال ابن جريج نشأ من نار خرج من وادي جهنم وقيل الطائف هو جبريل عليه السلام اقتلعها وطاف بها حول البيت ثم وضعها قرب مكة حيث مدينة الطائف اليوم ولذلك سميت بالطائف وليس في أرض الحجاز بلدة فيها الماء والشجر والاعناب غيرها ولا يصح هذا عندي كالقول بأن الطائف المدينة المذكورة كانت بالشام فنقلها الله تعالى الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه السلام وكذا القول بانها طافت على الماء في الطوفان ولو قيل على ذلك على ظاهر حديث طرافة لا بعد حديث طرافة وقرأ النخعي طيف ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ مبتدىء من جهته عز وجل ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ في موضع الحال والمراد أنهم نياما كما روى عن قتادة وقيل المراد وهم غافلون لغفلة كثيرة عما جرت به المقادير والاول أظهر من جهة السياق والسباق ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ كالليل الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شيء فعيل بمعنى مفعول وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو يذكر الثنى لغة خزيمة وعنه أيضا الصريم رملة بالين معروفة لا تنبت شيئاً وقال مؤرج كالرملة الصرمت من معظم الرمل وهي لا تنبت شيئا ينفع وقال مقاتل والفراء وجماعة الصريم الليل والمراد أصبحت محترقة تشبه الليل في السواد وقال الثوري كالصبح من حيث ابيضت كالزرع المحصود وقال بعضهم يسمى كل من الليل والنهار صريما لانصرام كل عن صاحبه وانقطاعه عنه ﴿فَتَنَادَوْا﴾ نادى بعضهم بعضا ﴿مُصْبِحِينَ﴾ المتقسم السابق ﴿أَنِ اغْدُوا﴾ أي أي اخرجوا على أن أن تفسيرية واغدوا بمعنى اخرجوا أو بان اغدوا على أن أن مصدرية وقبلها حرف جر مقدر وهي يجوز أن توصل بالامر على الاصح ﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أي بساتينكم ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ أي قاصدين الصرم وقطع الثمار فاغدوا وقيل يحتمل أن يكون المراد ان كنتم أهل عزم واقدام على رأيكم من قولهم سيف صارم وليس بذاك وظاهر كلام جار الله ان غدا بمعنى بكر يتعدى بالى وعدى هنا بعلى لتضمين الغدو معنى الاقبال كما في قولهم يغدى عليه بالجفنة ورواح أي فاقبلوا على حرثكم بالزرع ويجوز أن يكون من غدا عليه اذا غار بان يكون قد شبه غدوهم لقطع الثمار بغدو الجيش على نبيء لان معنى الاستعلاء والاستيلاء موجود فيه وهو الصرم والقطع

Marfat.com

ويكون هناك استعارة تبعية وجوز ان تبقى الاستعارة تخييلية وقال أبو حيان الذي في صحاح ان غدا يتعدى بعلى كما في قوله

وقد غدو على ثبة كرام ٭ نشاوى واجدين لما نشاء

وكذا بكر مرادفه كما في قوله

بكرت عليم غدوة فرأيته ٭ غدوا لديه بالصريم عوائله

(فانطلقوا وهم يتخافتون) أي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وهي خفض الصوت وخفت كلامها في مشي الكتم ومنه الخفوت للخفاش والخفوف للاقحوان الخ والجملة حالية من ضمير انطلقوا (أن لا يدخلنها اليوم) أي الجنة (عليكم مسكين) ان مفسرة لان التخافت من معنى القول او مصدرية والتقدير بان ويؤيده الاول قراءة عبد الله وابن ابي عبلة باسقاطها وعليه قيل هو بتقدير القول وقيل العامل فيه يتخافتون لتضمنه معنى القول وهو الذهب الكوفي فيه وفي امثاله والمعنى فانطلقوا يتهامسون بالنهي المسكين عن الدخول الدالة في النفي من تمكنه منه كقولهم لا أرينك هنا (وغدوا على حرد) أي منع كما قال ابو عبيد وغيره من قولهم حاردت الابل اذا قلت البانها وحاردت السنة قل مطرها وخيرها والجار متعلق بقوله تعالى (قادرين) قدم للحصر ورعاية الفواصل أي وغدوا قادرين على منع لا غير والنبي انهم عزموا على منع المساكين وطلبوا حرمانهم وتكدفهم وهم قادرون على تنعيمهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على المنع والحرمان وذلك انهم ظنوا حرمان المساكين فتحملوا الحرمان أو غدوا على عادتهم جهتهم وذهاب خيرها بحال كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على حرمان انفسهم مكان كونهم قادرين على الانتفاع والحصر على الاول حقيقي وعلى هذا اضافي بالنسبة الى انتفاعهم من جنتهم والحرمان عليه خاص بهم وجوز أن يكون على حرد متعلقا بغدوا والمراد بالحرد حرد الجنة حين به مضافة للحرث كما انه لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد جئت نيتهم عاقبهم الله تعالى بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها فيغدوا على حرث وانما غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام للتهكم أي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وقيل الحرد الحرد بفتح الراء وقد قرىء به وهو بمعنى الغيظ والغضب قال أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الاصمعي وأنشد

اذا جياد الخيل جاءت ترد ٭ محمومة من غضب وحرد

أي لم يغدوا الا على اغضاب بعضهم لبعض كقوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون وروى هذا عن سفيان والسدي والحسن حقيق ادعائي أو اشتقاقي وقيل بمعنى القصد والسرعة وأنشد

أقبل سيل جاءنا من أمر الله ٭ يحرد حرد الجنة المغله

أي غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وروى هذا عن ابن عباس فعلى حرد ظرف مستقر حال من ضمير غدوا وقادرين حال أيضا الا انها حال مقدرة على ما قيل وقيل حال حقيقية بناء على القيد بعند أنفسهم وانما قيد به لان ثمار جنتهم هالكة فلا قدرة لهم على صرامها وقد فنيت وقال الازهري حرد اسم قريتهم وفي رواية عن السدي اسم جنتهم ولا أظن ذلك صرامها وقيل الحرد الانفراد يقال حرد عن قومه اذا تنحى عنهم وزل منفردا وكوكب حرود منزل عن الكواكب والمعنى وغدوا الى جنتهم منفردين عن المساكين ليس أحد منهم معهم قادرين على صرامها وهو من باب التهكم وقيل قادرين على هذا القول من التضييق أي مضيقين على المساكين اذ حرموهم ما

Marfat.com

كان أوهم بإتيانهم منها وهو حال مقدرة ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا ﴾ أول ما وقع نظرهم عليها ﴿ قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾ طريق جنتنا وماهي بها قاله قتادة وقيل لضالون من الصواب في فعلنا على تقدير الساكنين وليس بذاك ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ قالوا بعد ما تأملوا ووقفوا على حقيقة الأمر مضربين عن قولهم الأول أي لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على أنفسنا ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أي أعدلهم رأيا وأجودهم عقلا ورأيا أو أوسطهم سنا ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ أي لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون إليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله تعالى وتوبوا إليه عن عقد النية الخبيثة من فوركم وسارعوا إلى خير شرعا قبل حلول النقمة فعصوه فحيق ويدل على هذا التفسير قوله تعالى ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ لان التسبيح ذكر الله تعالى ولما كانا الخ ندامة واعتراف بالذنب فهو توبة والظاهر أنهم لما تكلموا بما كان يدعوهم إلى التكلم به على أثر مفارقة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاتفاقهما في بعض التعظيم فإن وجل لان الاستثناء تفويض إليه سبحانه والتسبيح تنزيه الله تعالى وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم فكأنه قيل ألم أقل لكم لولا تستثنون أي تقولون إن شاء الله تعالى وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي وابن المنذر عن ابن جريج وحكاه في البحر عن مجاهد وأبي صالح أنهما قالا كان استثناؤهم في ذلك الزمان التسبيح كما تقول نحن إن شاء الله تعالى وجعله بعض الحنفية استثناء اليوم فعند ذلك لزوجته أنت طالق سبحان الله لا تطلق ونسب إلى الامام ابن الهمام وادعى أنه قاله في فتاويه ووجه بأن المراد بسبحان الله فيما ذكر تنزيه الله عز وجل من أن يخلق البغض إليه وهو الطلاق فانه قد ورد أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق وأنكر بعض المتأخرين نسبته إلى ذلك الامام المتقدم ونفى أن يكون له فتاوى واعترض التوجيه المذكور بما اعترض وهو لعمري أدنى من أن يعترض عليه وأنا أقول أولى منه قول النحاس في توجيه جعل التسبيح موضع الاستثناء أن المعنى تنزيه الله تعالى أن يكون شيء إلا بمشيئته وقد يقال لعل من قال ذلك بنى الأمر على صحة ما روى وإن شرع من قبلنا شرع لنا إذا قصه الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم علينا من غير نكير وهذا على علاته أحسن مما قيل في توجيه كما لا يخفى وقيل المعنى لولا تستغفرون ووجه التجوز يعلم مما تقدم ﴿ فَمَا قَبِلَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴾ بلوم بعضهم بعضا كان منهم على ما قيل من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من أنكره ولا بأس بذلك باسناد الافعال فيما سبق إلى جميعهم لعلم في غير موضع ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾ متجاوزين حدود الله تعالى ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا ﴾ أي يعطينا بدلها لما تبنا كما تنبؤا الاعتراف بالخطيئة ﴿ خَيْرًا مِنْهَا ﴾ أي من تلك الجنة ﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا ﴾ لا إلى غيره سبحانه ﴿ رَاغِبُونَ ﴾ راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع ومن مجاهداتهم كما روى أنهم قايضوا خيرا منها وروى أنهم تعاقدوا وقالوا أن أبدلنا الله تعالى خيرا منها تصدقنا كما صنع أيوب فدعوا الله عز وجل وتضرعوا إليه سبحانه فأبدلهم الله تعالى من الجنة ما هو خير منها وقال ابن مسعود بلغني أن القوم دعوا الله تعالى وأخلصوا وعلم الله تعالى منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الجيران فيها عنب يحمل على الرجل منها عنقود وقال أبو خالد الهيثمي رأيت ثلاثة أعناق قطفوا منها كالرجل الأسود القائم وأستظهر أبو حيان أنهم كانوا مؤمنين أصابوا معصية وتابوا وحكى عن بعض أنهم كانوا من أهل الكتاب وعن البشري أن الظاهر قولهم أنهم تابوا وأخلصوا ولو قف الحسن في إيمانهم فقال لا أدري أكان قولهم إنا إلى ربنا راغبون إيمانا أو على حد ما يكون من الكافرين إذا أصابتهم الشدة وسئل قتادة منهم أهم من

Marfat.com

أهل الجنة أم من أهل النار فقال فسائل قد كفتني لمتا وقرأ نافع وأبو عمرو وابن ذكوان (كَذَّبَ بِهِ) جملة من مبتدا وخبر مقدم للافادة التصريح بالمعهود أي مثل ذلك العذاب الذي بلونا به أهل مكة من الجدب الشديد وأصحاب الجنة مما قص عذاب الدنيا والكلام قبل وارد تحذيرا لهم كأنه قيل ابتلاء سبحانه عن طامة الكفار وخاصة رؤسائهم ذكر عز وجل أن تمردهم لما أتوه من المال والبنين وعقب جل وعلا بأنهما اذا لم يشكرا المنعم عليهما يؤل حال صاحبهما الى حال أصحاب الجنة مدحا فيه ان خيبت الية والزوى من الناس لكن انا أنفض بهم الى ماذكر فعاندوا الحق تعالى بعناد من هو على خلافه وأشرف الموجودات وانطح رحمه أولى بأن يقضي بأهل مكانى البوار وقوله تعالى (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ) أي أعظم وأشد تحذير من العناد بوجه أبلغ وقوله سبحانه (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) نعي عليهم الغفلة أي لو كانوا من أهل العلم لفعلوا ذلك أو لو لاحضرات مقدوم (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ) أي من الكفر كالبحر أو من المعاصي كما في الارشاد (عِنْدَ رَبِّهِمْ) أي في الآخرة كما يقتضيه كونه مختصا به عز وجل اذ لا يتصرف فيه غيره جل جلاله أو في جوار قدسه (جَنَّاتِ النَّعِيمِ) جنات ليس فيها الا النعيم الخالص من شائبة ما ينغص من الكدورات وخوف الزوال وأخذ المصر من الاضافة الى النعيم لافادتها التميز من جنات الدنيا والتعريض بان جنات الدنيا للغالب عليها النقص

طبعت على كدر وأنت تريدها ● صفوا من الاقذار والاكدار

وقوله تعالى (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ) تقرير لما قبله من فوز المتقين ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله تعالى ان صح أنا بعث كما يزعم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يعطونا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف والعطف على مقدر يقتضيه المقال أي فيجيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات تأكيد الرد وتقديمه (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) تعجبا من حكمهم استبعادا له وايذانا بانه لا يصدر من عاقل اذ معنى مالكم أي شئ حصل لكم من خلل الفكر وفساد الرأي (أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ) نازل من السماء (فِيهِ) أي في الكتاب والجار متعلق بقوله تعالى (تَدْرُسُونَ) أي تقرؤن فيه والجملة صفة كتاب وجوز أن يكون فيه متعلقا بتعلق الخبر أو هو الصفة والضمير للحكم أو الامر وتدرسون مستأنف أو حال من ضمير الخطاب وقوله تعالى (إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ) أي لاجل ما تختارونه وتشتهونه كالتخير الشيء واختاره أخذ خيره وشاع في أخذها يريد معلقا مفعول تدرسون اذ هو المدروس فهو واقع موقع القراءة وأصله أن لكم فيه ما تخيرون بفتح همزة أن وترك اللام في خبرها فلما جيء باللام كسرت الهمزة وعلق الفعل عن العمل ومن هنا قيل انه لا يضمن تضمين تدرسون معنى العلم ليجري فيه العمل في الجمل والتعليق وجوز أن يكون هذا حكاية للمدروس كما هو عليه فيكون بيانا لنفس الكتاب من غير تحويل من الفتح الى الكسر وضمير فيه على الاول للكتاب وأعيد تأكيدا وعلى هذا يعود الامر أو الحكم فيكون المعنى ما خط في الكتاب أن الحكم أو الامر مفوض لهم فنفس قول صاحب التقريب ان الخط فيه لا يساعده الاستثناء بلى أولا من غير حاجة الى جعل ضمير فيه ليوم القيامة بقرينة المقام أو لمكان الفاصل عليه بقوله تعالى مضمرا يعود على الاستئناف هو الحكم أيضا وجوز الوقف على تدرسون (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ) استئناف على معنى ان كان لكم كتاب فلكم فيه ما تخيرون وهو كما ترى والظاهر ان أم لكم الخ مقابل لما قبله نظرا الى المعنى اذ معناه أعندكم علم حتى حكمتم بهذا أم جاءكم كتاب

Marfat.com

به تخييراً وتفويضاً الأمر اليكم وقرأ طلحة والضحاك أنلكم بفتح الهمزة واللام في لما زائدة كقراءة من قرأ الا أنهم ليأكلون الطعام بفتح همزة انهم وقرأ الاعرج آنلكم بالاستفهام على الاستئناف ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا ﴾ أي أقسام وقسرت بالعهود والمواثيق الايمان عليها من اطلاق الملزوم على اللازم أو اللازم على الملزوم ﴿ بَالِغَةٌ ﴾ أي أقصى ما يمكن والمراد متناهية في التوكيد وقرأ الحسن وزيد بن علي بالغة بالنصب على الحال من الضمير المستتر في علينا أو لكم وقال ابن عطية من إيمان التخصيص بها بوصف وفيه بعد ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ متعلق بالقدر في لكم أي ثابتة لكم الى يوم القيامة لا تخرج من عهدتها الا بيومئذ اذا حكمتم وأعطيتم ما تحكمون أو متعلق ببالغة أي ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه والغرة لم يبق منها يمين بالى على الأول لغاية الثبوت المقدر في الظرف فهو كآجل الدين وعلى الثاني لغاية البلوغ فهي كقولك ابرىء منها الى وقت كذا لا يحل الى ذلك اليوم وليس من تأجيل القسم عليه في شيء اذ لا مدخل لبالغة في القسم عليه فتأمل وقوله تعالى ﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ جواب القسم لان معنى أم لكم ايمان علينا أم أقسمنا لكم وهو جار على تفسير الايمان بمعنى العهود لان العهد كاليمين من غير فرق فيجاب بما يجاب به القسم وقرأ الاعرج آن لكم بالاستفهام أيضاً ﴿ سَلْهُمْ ﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باسطاعهم عن رتبة الخطاب أي سلهم بمكانهم ﴿ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ ﴾ الحكم الطارىء عن مائرة العقول ﴿ زَعِيمٌ ﴾ قائم بتصدي تصحيحه والجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني لسل والعامل عند أبي حيان وجماعة معلق عنها لكون الاستفهام وكون السؤال منزلا منزلة العلم لكونه سبباً لحصوله ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾ يشاركونهم في هذا القول ويتابعونهم عليه ﴿ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ في دعواهم اذ لا أقل من التقليد وقد نبه سبحانه وتعالى في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن أن يتعلقوا به في تحقيق دعواهم حيث نبه جل شأنه على نفي الدليل العقلي بقوله تعالى مالكم كيف تحكمون وعلى نفي الدليل النقلي بقوله سبحانه أم لكم كتاب الخ وعلى نفي ان يكون الله تعالى وعدهم بذلك وعد الكريم بقوله سبحانه أم لكم أيمان علينا الخ وعلى نفي التقليد الذي هو أوهن من حبال القمر بقوله عز وجل أم لهم شركاء وقبل التي أم لهم آلهة عدوها شركاء في الالوهية تجعلهم كالساجين في الآخرة وقرأ عبد الله وابن أبي عبلة فليأتوا بشركهم والمراد به ما أريد بشركائهم ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ متعلق بقوله تعالى فليأتوا على الوجوب ويجوز تعلقه بقدر اذكر أو يكون كيت وكيت وقيل بخائسة وقيل بترهبهم وأيا ما كان فالمراد بذلك اليوم عند الجمهور يوم القيامة والساق معروف القدم وكشفها والتعبير عنها مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب حتى استعمل بحيث لا يتصور ساق يوجه كما في قول حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ✻ وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقول الراجز

الحيت من نفسي ومن اشفاقها ✻ ومن طواد الجد عن أرزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها ✻ حراد أبرى اللحم عن عراقها

وأصله تصوير الفدرات عن سوقهن في الحرب فانهن لا يفعلن ذلك الا اذا عظم الخطب واشتد الامر فيشمرن عن السوق بذيل الصيانة والى نحو هذا ذهب مجاهد وابراهيم النخعي وعكرمة وجماعة وقد روى أيضاً عن ابن عباس أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الاسماء والصفات من طريق عكرمة عنه أنه سئل عن ذلك فقال اذا حدث عليكم شيء من القرآن فابتغوه في

Marfat.com

الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر

صبرا عناق أنه شر باق ٭ قد سن لي قومك ضرب الاعناق ٭ وقامت الحرب بنا على ساق

والروايات عنه رضي الله تعالى عنه بهذا المعنى كثيرة وقيل ساق النبي أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان والمراد يوم يكشف عن أصل الامر فتظهر حقائق الامور وأصولها بحيث تحير عيانا وإليه يشير كلام الربيع بن أنس فقد أخرج عبد بن حميد عنه أنه قال في ذلك يوم يكشف القناع وكذا ما أخرجه البيهقي عن ابن عباس أيضا قال حين يكشف الأمر ويبدو الاهوال وفي الساق على هذا المعنى استعارة تصريحية وفي الكشف تجوز آخر أو هو ترشيح للاستعارة بناء على حقيقته وتنكير ساق قيل للتهويل على الأول وللتحقير على الثاني وقيل لا ينظر الى شيء منهما على الأول لان الكلام عليه تمثيل وهو لا ينظر فيه لقدر ذلك أصلا وذهب بعضهم الى أن المراد بالساق ساقه سبحانه وتعالى وان الآية من المتشابه واستدل على ذلك بما أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وابن المنذر وابن مردويه عن أبي سعيد قال سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا وأنكر ذلك سعيد بن جبير أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه أنه سئل عن الآية فغضب غضبا شديدا وقال ان القوم يزعمون ان الله سبحانه يكشف عن ساقه وانما يكشف عن الأمر الشديد وعليه يحمل ما في الحديث على الأمر الشديد أيضا وأضافه اليه عز وجل لتهويل أمره وتفاقم الأمر عليه سواء عز وجل وأرباب الباطن من الصوفية يقولون بالظاهر ويدعون ان ذلك عند التجلي الصوري وعليه حملوا أيضا ما أخرجه اسحق بن راهويه في مسنده والطبراني والدارقطني في الرؤية والحاكم وصححه وابن مردويه وغيرهم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة وينزل الله في ظلال من الغمام فينادي مناد يا أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم وصوركم ورزقكم أن يولي كل انسان منكم ما كان يعبد في الدنيا ويتولى أليس ذلك عدلا من ربكم قالوا بلى قال فليتعلق كل انسان منكم الى ما كان يتولى في الدنيا ويتمثل لهم ما كانوا يعبدون في الدنيا ويقال لمن كان يعبد عيسى عليه السلام شيطان عيسى وكذا يقال لمن كان يعبد عزيرا حتى تمثل لهم الشجرة والعود والحجر ويبقى أهل الاسلام جثوما فيتمثل لهم الرب عز وجل فيقال لهم مالكم لم تنطلقوا كما انطلق الناس فيقولون ان لنا ربا ما رأيناه بعد فيقول فيم تعرفون ربكم إن رأيتموه قالوا إذا رأيناه عرفناه قال وما هي قالوا يكشف عن ساق فيكشف عند ذلك الحديث وهو نظائر من المتشابه عند السلف وقرأ ابن مسعود وابن أبي عبلة يكشف بفتح الياء مبنيا للفاعل وهي رواية عن ابن عباس وقرأ ابن هرمز نكشف بالنون وقرىء يكشف بالياء التحتية مضمومة وكسر الشين من أكشف اذا دخل في الكشف ومنه المكشف للرجل فهو مكشف اطلبت غنه الطبا وقرىء تكشف بالتاء الفوقية والبناء للفاعل وهو ضمير الساعة المعلومة من ذكر يوم القيامة أو الحال المعلومة من دلالة الحال وبها والبناء للمفعول وجعل الضمير الساعة أو الحال أيضا وتعقب بأنه يكون الأصل حينئذ يكشف الله الساعة عن ساقها مثلا ولو قيل ذلك لم يستقم لاستدعائه ابداء الساق وانجلاب الساعة كما تقول كشفت عن وجهها القناع والساعة ليست مستترا على الساق حتى تحتكشف وأجيب انها جعلت مترا مبالغة لان القدرة تبالغ في الستر جهدها فكأنها تنفي الستر فقيل تكشف الساعة وهذا كما تقول كشفت زيدا عن جهله اذا بالغت في اظهار جهله لانه كان مترا على جهله يستر مساويه غاية وأظهرته اظهارا لم يخف على أحد وقيل عليه ان الانجلاب حينئذ لاهوال

Marfat.com

ولا يخفى ما فيه من التكلف ولا عبرة بما ذكر من اتصال المصنوع وان تكلفا منه جعل عن ساق بدل الشدائد من الضمير المستتر في الفعل بعد نزع الخافض منه والاصل يكشف عنها أي من الساعة أو الحال فنزع الخافض واستتر الضمير وتعقب بأن ابدال الجار والمجرور من الضمير المرفوع لا يصح بحسب قواعد العربية فهو ضعيف على إباية وتكلف على تكلف وقيل ان من ساقية نائب الفاعل وتعقب بأن حق الفعل التذكير لصرفه عن هنه ومن بعده ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴾ توبيخا وتنبيها على تركهم اياه في الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم في ذلك ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على أنهم يقصدونه فلا يأتي منهم وعن ابن مسعود تعلم أصلابهم أي ترد عظاما بلا مفاصل لا تثنى عند الرفع والخفض وتقدم في حديث البخاري ومن معه ما سمعت وفي حديث لصير أصلاب المنافقين والكفار كصياصي البقر عظما واحدا والظاهر ان الداعي الله تعالى أو الملك وقيل هو ما يرونه من سجود المؤمنين واستدل أبو مسلم بهذه الآية على ان يوم الكشف في الدنيا قال لانه تعالى قال ويدعون الى السجود ويوم القيامة ليس فيه تعبد ولا تكليف فيراد منه اما آخر أيام التمحيص في دنياه حين يرى الملائكة وانقضاء العرض والحرم والعجزة ويدفع بما أشرنا اليه ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ ﴾ حال من مرفوع يدعون على ان أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور أثره فيها ﴿ تَرْهَقُهُمْ ﴾ تلحقهم وتغشاهم ﴿ ذِلَّةٌ ﴾ تعذبهم ﴿ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴾ في الدنيا والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير أو لان المراد به الصلوات المكتوبة كما قال الحسن والنبي أو جميع الطاعات كما قيل والدعوة دعوة التكليف وقال ابن عباس وابن جبير كانوا يسمعون الاذان والنداء للصلاة فلا يجيبون ﴿ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ متمكنون منه أقوى تمكن أي فلا يجيبون اليه ويأبونه وترك ذكر هذا ثقة بظهوره ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ أي اذا كان حالهم ما سمعت فكل من يكذب بالقرآن الى واستكفني فان في ما بارغ بالك ويخلي عنك وهو من بارغ الحمار بغبد ان الكلام يغبد ان الكلام يثمن من الوفاء بالقصى ما يجوز حول أمنية الخاطب وربما يزيد عليه وقد حققه جار الله بما حاصله ان من استكفى أحدا ترك الامر اليه والا كان استدعاء الاستكفاء فالمعنى الرادف أعني التخلية وان يقدره وإياه مقام الاستكفاء مبالغة وايماء عن الكناية الرائعة كيف وهذا الكافي طلب الاستكفاء بقوله ذرني وأبرز ترك الاستكفاء في صورة المنع مبالغة على مبالغة فلو لم يكن شديد الوثوق بتمكنه من الوفاء أقصى الممكن وفوق مايجوم حول خاطر المستكفي لما كان الطالب على هذا الوجه الابلغ وجه ومن في موضع نصب اما عطفا على المنصوب في ذرني أو على انه مفعول معه وقوله تعالى ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ﴾ استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الكلام السابق اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يكذب باعتبار لفظها أي سنستدرجهم الى العذاب درجة فدرجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ اذ استدراج يزعمون ان ذلك لايثار لهم وتفضل على المؤمنين مع انه سبب لايلامهم ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾ وأمهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ لا يدفع بحيلة وتسمية ذلك كيدا وهو ضرب من الاحتيال لكونه في صورته حيث انه سبحانه يفعل معهم ما هو نافع لهم ظاهرا ومراده عز وجل به الضرر لما علم من خبث جبلاتهم وتمادبهم في الكفر والكفران ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ ﴾ على الابلاغ والارشاد ﴿ أَجْرًا ﴾ ماديا ﴿ فَهُمْ ﴾ لاجل ذلك ﴿ مِنْ مَغْرَمٍ ﴾ أي غرامة مالية ﴿ مُثْقَلُونَ ﴾ يكلفون حملا ثقيلا فيمتنعون عنه وهذه الجملة على ما قاله

Marfat.com

ان الشيخ معطوفة على قوله تعالى أم لهم شركاء (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ) أى الغيبات أو اللوح وأطلق الغيب عليه مجازا لانه محل لكتابة الغيبات أو للظهور صورة مجازا على الخلاف المعروف فيه والقرينة (فَهُمْ يَكْتُبُونَ) ما يحكمون به ويستندون بذلك عن علمك (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أراد أن يدعو على ثقيف لما آذوه حين عرض عليه الصلاة والسلام نفسه على القبائل بمكة فنزلت وقيل أراد عليه الصلاة والسلام أن يدعو على الذين ايزعوا باحد حين اشتد بالمسلمين الامر فنزلت وعليه تكون الآية مدنية (وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) هو يونس عليه السلام كما انه المراد من ذى النون الا انه فرق بين ذى وصاحب بان أبلغ من صاحب قال ابن حجر لاقتضائها تعظيم المضاف اليها والموصوف بإضافته ومن ثم قال سبحانه في معرض مدح يونس عليه السلام وذا النون والنبى عن اتيانه ولا تكن كصاحب الحوت اذ النون لكونه جبلا قالحة سودة أظلم وأشرف من لفظ الحوت ونقل مثل ذلك السرمتى عن الخليل وفرق بعضهم بغير ذلك كما هو مذكور في حواشينا على رسالة ابن عصام في علم البيان (إِذْ نَادَى) في بطن الحوت (وَهُوَ مَكْظُومٌ) أى مغموم غيظا على قومه اذ لم يؤمنوا لما دعاهم الى الايمان وهو من كظم السقاء اذا ملأه ومن استعماله بهذا المعنى قول ذى الرمة

وأنت من حب مى مضمر حزنا ٭ عانى النؤاد قريح القلب مكظوم

والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهى لا على النداء فالامر مستحسن والمراد لم يذكر النادى والمنصوب بضاف محذوف أى لا يكن حالك كحاله وقت نداله أى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والغضب فتبتلى بما ابتلى عليه السلام (لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ) وهو توفيقه للتوبة وقبولها ومن قرأ نعمة فاكبر الفضل على القراءتين لان الفاعل مؤنث مجازى مع الفصل بالضمير وقرأ عبدالله وابن عباس تداركته بتاء التأنيث وقرأ ابن هرمز والحسن والاعمش تدارك بحذف احدى التاءين وأصله تتدارك فابدل التاء الثانية دالا وأدغمت الدال في الدال والمراد بحكاية الحال الماضية على معنى لولا ان كان يقال فيما بعد تدارك (لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ) بالارض الخالية من الاشجار أى في الدنيا وقيل يراد القيامة لقوله تعالى فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ولا يخفى بعده (وَهُوَ مَذْمُومٌ) في موضع الحال من مرفوع نبذ وعليها يتعين جواب لولا لان المقصود امتناع نبذه مذموما لا قد حصل النبذ فدل على أن حاله كانت على خلاف الذم والغرض ان حالة النبذ والانتباه كانت مغايرة لحالة الا لامة والاجتباء لقوله سبحانه فالتقمه الحوت وهو ملوم ولى الارشاد ان الجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون النهى عنه أمرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله سبحانه (فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ) عطف على مقدر أى فتداركته نعمة من ربه فاجتباه أى اصطفاه بان رده عز وجل اليه بالوحى وأرسله الى مائة الف أو يزيدون وقيل استئناف ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة وانما كان رسولا لبعض الرساتيق في أرض الشام (فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) من الكاملين في الصلاح بان عصمه سبحانه من أن يعمل فعلا يكون تركه أولى وظاهر كلام بعضهم ان الجعل من الصالحين تصيير للاجتباء قبل وفسر الصالحين بالانبياء وهو مبنى على انه لم يكن قبل الواقعة نبيا واستدل بالآية على خلق الافعال لان جعله صالحا يجعل صلاحه وخلقه فيه وهو من جملة الافعال ولا قائل بالفرق والمعتزلة يؤولون ذلك تارة بالاخبار بصلاحه وأخرى بالعطف به حتى صالح على انه يحتمل ان يراد بالصالحين الانبياء كما قيل فلا تفيد الآية أكثر من كون النبوة مجعولة وهو مما اتفق

Marfat.com

عليه القرطبي فقدر (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) ان عن الفصيحة واللام دليلها لانها لاتدخل بعد النافية ولما تسمى العارفة على عرف عند النحاة وانفق انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني او يكاد يأكلني أي لو امكنه بنظره الصرع أو الاكل لفعله وجعل مبالغة في عداوتهم حتى كأنها سرت من القلب والجوارح الى النظر فعاد يعمل عمل الجوارح وأنشدوا قول الشاعر

يتقارضون اذا التقوا في موطن ✽ نظرا يزل مواطيء الاقدام

او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روى انه كان في بني اسد عياذون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وقال الكلبي كان رجل من العرب يمكث يومين او ثلاثة لا يأكل ثم يرفع جانب خبائه فيقول لم ار كاليوم فتى ولا فتاة احسن من هذه فانحط طائفة منها ونهاك فاترح الكفار منه ان يصيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجابهم واشد

قد كان قومك يحسبونك سيدا ✽ واخال انك سيد معيون

فعصم الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وانزل عليه هذه الآية وقد قيل ان قراءتها تدفع ضرر العين وروى ذلك عن الحسن وفي كتاب الاحكام انها اصل في ان العين حق والاولى الاستدلال على ذلك بما وردوصح من عدة طرق ان العين تدخل القبر والجمل القدر وبما اخرجه احمد بسند رجاله ثقات الى ابي امامة الهيثمي ثقات عن ابي مرفوعا ان العين لتوتي بالرجل يا ذن الله تعالى حتى يصعد حالقا ثم يأتي متعالى فيرد ذلك من الاحاديث الكثيرة وذلك من خصائص بعض النفوس وقد تعالى ان يخلص ماشاء منها بما شاء واضافه الى العين باعتبار ان النفس تؤثر بواسطتها غالبا وقد يكون التأثير بلا واسطتها بان يوجد الله تعالى شيء فتتوجه اليه نفسه فتفسده ومن قال ان الله تعالى أجرى العادة بخلق ماشاء عند مقابلة العين للمعين من غير تأثير أصلا فقد سد على نفسه باب العلل والتأثيرات والاسباب والمسببات وخالف جميع العقلاء قال ابن القيم وقال بعض أصحاب الطبائع انه يتبين العين اذوة سمية تؤثر فيما نظره كما فصل في شرح مسلم وهذا لايتم عندي فيما لم يره ولا في نحو ماتضمنته حديث أبي نمر المتقدم آنفا ولا في اصابة الانسان عين نفسه كما حكاه الناوي فانه لايقتل الصل سمه ومن ذلك ماحكاه الصباني قال نظر سليمان بن عبد الملك في المرآة فاعجبته نفسه فقال كان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبيا وكان أبو بكر صديقا وكان عمر فاروقا وعثمان حييا ومعاوية حليما ويزيد صبورا وعبد الملك سائسا والوليد جبارا وأنا الملك الشاب وأنا دار عليه الدهر حتى مات ومثل ذلك مايقال انه من باب التأثير في القوة المعروفة اليوم بالقوة الكهربائية عند الطبائعيين الجدد بن فقد صح ان بعض الناس يكرر النظر الى بعض الاشخاص من فوقه الى قدمه فيصرعه كالمغمى عليه وربما يقف وراءه جاعلا اصابعه حذاء نقرة رأسه ويوجه نفسه اليه حتى تضعف قواه فيقعد نحو الارض ويتكلم اذ ذاك بما لايتكلم به في وقت آخر وأنا لاأزيد على القول بانه من تأثيرات النفوس ولا أكيف ذلك فالنفس الانسانية من أعجب المخلوقات الله عز وجل وكم طوى فيه من اسرار وعجائب تتحير فيها العقول ولاينكرها الا مجنون أو جهول ولا يبعد ان انكر العين لكثرة الاحاديث الواردة فيها ومعاضدة آثارها على اختلاف الاعصار ولا أخص ذلك بالنفوس الخبيثة كما قيل فقد يكون من النفوس الزكية والمقهور ان الاصابة لاتكون مع كراهة المعين وبغضه وانما تكون مع استحسانه والى ذلك ذهب القشيري وكأنه يشير بذلك الى الطعن في صحة الرواية هنا لان الكفار كانوا يبغضونه عليه الصلاة والسلام فلا تتأتى لهم أصابته بالعين وفيه

Marfat.com

نظر وحكم الثاني على ما قال القاضي عياض أن يجتنب وينبغي للامام حبسه ومنعه من مخالطة الناس كما
ضرره ماله ويرزقه من بيت المال هذا وقرأ نافع ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى أزلقه وقرأ عبد الله
وابن عباس والأعمش وعيسى ليزهقونك بالهاء بدل اللام أي ليهلكونك ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ أي وقت
سماعهم القرآن وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه ولما كما أشرنا اليه ظرفية متعلقة بيزلقونك ومن
قال انها حرف وجوب لوجوب ذهب الى أن جوابها محذوف لدلالة ما قبل عليه أي لما سمعوا الذكر كادوا
يزلقونك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لغاية حيرتهم في أمره عليه الصلاة والسلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن
من عجائب الحكم وبدائع العلوم ولتنفير الناس عنه ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوا
منه صلى الله تعالى عليه وسلم رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾
على انه حال من فاعل يقولون والرابط الواو فقط أو مع عموم العالمين كما قيل مفيد لغاية بطلان
قولهم وتعجيب للسامعين من جراءتهم على التفوه بتلك العظيمة أي يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين
أي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من أمور دينهم فأين من أنزل عليه ذلك وهو مطلع على أسراره
طرا ومحيط بجميع حقائقه مما قالوه وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وعموم العالمين لما
فيه من الاعتناء بما ينفعهم وقيل الضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكونه مذكرا أو شرفا للعالمين لا ريب
فيه ورجح بان الجملة عليه تكون صريحة في رد دعواهم الباطلة وانت تعلم ان الاول اولى والله تعالى اعلم

(سورة الحاقة)

مكية وآيها احدى وخمسون آية بلا خلاف فيهما وبعد الاولى لما أخرج الامام احمد عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه قال خرجت أتعرض لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فوقفت
خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت اعجب من تأليف القرآن فقلت هذا والله شاعر فقال وما هو بقول شاعر قليلا ما
تؤمنون قلت كاهن فقال ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل الى آخر السورة فوقع الاسلام في قلبي كل موقع وفي ما
وقع في ن ذكر يوم القيامة مجملا وشرح سبحانه في هذه السورة الكريمة نبأ ذلك اليوم وشأنه العظيم وضمنه عز وجل
ذكر أحوال أمم كذبوا الرسل عليهم السلام وما جرى عليهم ليزدجر المكذبون المعاصرون له عليه الصلاة
والسلام فقال عز من قائل

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الْحَاقَّةُ﴾ أي الساعة أو الحالة التي يحق ويجب وقوعها أو التي
تحق وتثبت فيها الأمور الحقة من الحساب والثواب والعقاب أو التي تحق فيها الامور أي
تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته وروي هذا عن ابن عباس وغيره واسناد الفعل
لها على الوجهين الاخيرين مجاز وهو حقيقة لما فيها من الامور أو لمن فيها من أولي العلم وفي الكشف
كون الاسناد مجازيا انما هو على الوجه الاخير وأما على الوجه الثاني فيحتمل الاسناد المجازي أيضا لان الثبوت
والوجوب ثالثها ويحتمل ان يراد ذو الحاقة من باب تسمية الشيء باسم ما يلابسه وهذا أرجح لان الساعة وما
فيها سواء في وجوب الثبوت فيضعف قرينة الاسناد المجازي والتجوز في التصوير ومبالغة انتهى وبحث فيه الجلبي
بما فيه بحث فارجع اليه وتدبر وقال الازهري الحاقة القيامة من حاققته فحققته أي غالبته فغلبته فهي حاقة لانها
تحق كل محاق في دين الله تعالى بالباطل أي كل مخاصم فتغلبه وظاهر كلامهم أنها على جميع ذلك وصف
حذف موصوفه للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانه مجرى الاسم وقيل انها على ما روي عن

Marfat.com

ابن عباس من كونها من أسماء يوم القيامة اسم جامد لايشتق موصوف محذوف وقيل هي مصدر كالعاقبة والعافية وأيا كان فهي مبتدأ خبرها جملة ﴿ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ على ان مبتدأ والحاقة خبر أو بالعكس ورجح مني والأول هو المشهور والرابط العادة المذكورة بلفظه والاصل ما هي أي أي شيء هي في حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تعظيما لشأنها وتهويلا لأمرها وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ أي أي شيء أعلمك ما هي أكد طوطاوفخامتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى ان أعظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لايكاد تبلغه دراية أحدولا وهم وكيفما قدرت حاقيتها ورددتها وأعظمتها وأعظمتها فلا يتسنى الاعلام ومنه يعلم أن الاستفهام كني به عن لازمه من انها لاتصل ولايصل اليها دراية دار ولا تبلغها الأوهام والأفكار وما في موضع الرفع على الابتداء وادراك خبره ولا مساغ هنا لعكس وما الحاقة جملة محلها النصب على اسقاط الخافض لا ان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني وتعليق هذا الفعل على ماقيل لما فيه من معنى العلم والجملة أعني ماأدراك الخ معطوفة على ماقبلها من الجملة الصغرى ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾ بالقيامة التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسبب بالانشقاق والانتثار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع وهو ضرب شيء شيء فيها تعديدا لفوظاوايقاع استئناف مسوق لبيان بعض أحوال الحاقة له عليه الصلاة والسلام أثر تقريراته مالاجراء صلى الله تعالى عليه وسلم يا أحد واليوم كونها بحيث يحق اعلالا من يكذب بها كأنه قيل وما أدراك الحاقة فكذبت بها ثمود وعاد فاهلكوا ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا ﴾ أي أهلكهم الله تعالى وقرأ زيد بن علي فهلكوا بالتاء للفاعل ﴿ بِالطَّاغِيَةِ ﴾ أي الواقعة الجاوزة للحدوهي الصيحة لقوله تعالى في هود وأخذ الذين ظلموا الصيحة وبها فسرت الصاعقة في حم السجدة أو الرجفة لقوله سبحانه في الاعراف فأخذتهم الرجفة وهي الزلزلة المسببة عن الصيحة فلا تعارض بين الآيات لان الاسناد في بعض الى السبب القريب وفي بعض آخر الى البعيد والاول مروي عن قتادة قال أي بالصيحة التي خرجت من حديد صيحة وقال ابن عباس وأبو عبيدة وابن زيد ما معناه الطاغية مصدر فكأنه قيل بطغيانهم وأيد بقوله تعالى كذبت ثمود بطغواها والقول عليه الاول لمكان قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾ وايضاح ذلك ان الآية فيها جمع وتفريق فلو قيل أهلك هؤلاء بالطغيان على ان ذلك سبب جالب وهؤلاء بالريح على انه سبب آلي لم يكن طباقا لم جاز أن يكون هؤلاء أيضا هلكوا بسبب الطغيان وهذا معنى قول الزمخشري في تضعيف الذي لعدم الطباق بينها وبين ريح لا أن ذلك لان أحدهما عين والآخر حدث وما ذكر من التأييد لايخفى حاله ولذا يرجح الأول على قول مجاهد وابن زيد أيضا أي بسبب الفئة الطاغية التي فعلوها وهي عقر الناقة وعلى ماقيل الطاغية عاقر الناقة ولفظ فيها للعاقرة أو في رجل واحدة وأهلكوا كلهم بسببه لرضاهم بفعله وما قيل أيضا بسبب الفئة الطاغية ووجه الرجحان يعلم مما ذكر ومن الكلام في الصرصر فتذكر وهو صفة ريح ولذا قوله تعالى ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ أي شديدة العصف أو عتت على عاد فما قدروا على ردها والخلاص منها بحيلة من استكبر بباطل أو اعتقاد في حقيرة فانها كانت تزعم من مكانهم وتهلكهم والعتو عليها استعارة وأصله تجاوز الحد وهو قد يكون بالنسبة الى الغير وقد لا يكون ومنه يعلم الفرق

Marfat.com

بين الوجهين وأخرج ابن جرير عن علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه انه قال لم تنزل قطرة الا بمكيال على يدي ملك الا يوم نوح فانه انزل الماء دون الخزان فطغى الماء على الخزان فخرج فذلك قوله تعالى انا لما طغى الماء ولم ينزل نبي من الريح الا بمكيال على يدي ملك الا يوم عاد فانه انزل لها دون الخزان فخرجت فذلك قوله تعالى بريح صرصر عاتية عتت على الخزان وفي صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما مايوافقه فهو تفسيرها ثور وقد حكى ذلك في الكشاف ثم قال ولها عبارة عن الشدة والافراط فيما وخرج ذلك في الكشف على الاستعارة التبعية ثم قال ان نقل انها صارت بحيث يفهم منه القصد من دون نظر الى أصل القصة جاز ان يقال انه كناية عنه كما فيما نحن فيه ويجوز ان يكون هناك تشبيه بليغ من العتو وهو الخروج عن الطاعة وقوله تعالى (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ) الخ استئناف جيء به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح ويجوز أن يكون صفة أخرى وأنه جيء به الى مايتوهم من انها كانت من اقترانات بعض الكواكب ببعض وتروكها في بعض المنازل اذ لو وجدت الاقترانات المقتضية لبعض الحوادث كان ذلك بتقديره تعالى وتسبيبه عز وجل لامن ذاتها استقلالا والسبب الذي يذكره الطبائعيون لذلك هو ان تكاثف الهواء في الجهة التي يتوجه اليها وتراكم بعضه على بعض بانخفاض درجة حرارته فيقل تمدده ويتكاثف ويترك أكثر الثقل الذي كان محمولا به خاليا أو يتجمع جزئي يحمل في الابخرة الكثيرة في الهواء فتخلو اجزاؤها وعلى التقديرين يجري الى ذلك الثقل الهواء الجاور بقوة البخار فيحدث ويستمر حتى يقل ذلك الفضاء ويتماثل فيه الهواء فيسكن عند ذلك وتفاوت سيرها سرعة وبطأ فتقطع الريح المسافة على ما قيل في الساعة الواحدة نحو فرسخ والتوسط فيها نحو أربعة فراسخ والقوية نحو ثمانية فراسخ وماهي أقوى منها نحو ستة عشر فرسخا وماهي أقوى ويسمى العاصف نحو ستة عشر فرسخا وماهي أقوى وتسمى الزعزعة نحو تسعة وعشرين فرسخا وقد تقطع في ساعة نحو ستة وثلاثين فرسخا وهذا أكثر ماقيل في سرعة الريح وقد عدوا آلة يزعمون انها مقياس يستعلم بها قوة هبوب الريح وضعفه وهذا غير بعيد من النوع الانساني ويقال فيما ذكروه من السبب نحو ماسمعت آنفا ومعنى سخرها عليهم سلطها عز وجل بقدرته عليهم (سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا) أي متتابعات كما قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وأبو عبيدة جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت كيها على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم فهي مجاز مرسل من استعمال القيد وهو الحسم الذي هو تتابع الكي في مطلق التتابع وفي الكشف هو مستعار من الحسم بمعنى الكي شبه الايام بالحاسم والريح للابسها بها وهبوبها فيها واستمرار وصفها أو صفاتي قولهم يوم يارد وحار الى غير ذلك بفعل الايام كل بما يناسبه وتتابعها بتتابع الكيات حتى ينحسم الانحسام أي استئصال الداء الذي هو القصد والمعنى بعد التلخيص متتابعة هبوب الرياح حتى أتت عليهم وأستأصلتهم أو نحسات معدومات كما قال الخليل قبل والمعنى قاطعات الخير بنحوستها وشؤمها فصول حسوماً لخلوف أو قاطعات قطعت دابرهم وأهلكتهم من أحسمه اذا قطع ابن زيد وقال الراغب الحسم ازالة أثر الشيء يقال قطعه فحسمه أي أزال مادته وبه سمي السيف حساما وحسم الداء ازالة أثره بالكي وقيل الحسوم الدوام من حسمه اذا منعه وبه سمي الكي حسوما في الآية قيل حاسما أثرهم وقيل حاسما خيرهم وقيل قاطعا لدابرهم وقال ذلك داخل في عمومه فلا تغفل ويجوز أن يكون حسوما مصدرا لاجم حاسم وانتصابه اما بفعله المقدر حالا أي يحسمهم حسوما يعني استأصلهم استئصالا أو على العلة أي سخرها عليهم لاجل الاستئصال أو على أنه صفة أي ذات حسوم وأيدت المصدرية بقراءة السدي حسوما بفتح الحاء على انه حال من الريح

Marfat.com

أي سخرها مسلطة عليهم كونه مفردا على ذلك وهي كانت أيام العجوز من صبح الاربعاء لتمام بقين من شوال لغروب الاربعاء الآخر والعاصفة أيام العجوز لان العجوز أمن عادتها ان تدور في سرب فاتر عنها الريح في اليوم الثامن وأهلكتهم أو لانها أعجز الشداد فالعجوز بمعنى العجز ولسانها الصبر والوبر والآس والمؤتمر والعال ومعلق الجر ومعلق الظبي ولم يذكر هذا الثامن من قال انها سبعة لا ثمانية كما هو المختار (فَتَرَى الْقَوْمَ) أي ان كنت حاضرا حينئذ فالخطاب فيه لقومي (فِيهَا) أي في الايام والليالي وقيل في مهاب الريح وقيل في ديارهم والاول أظهر (صَرْعَى) أي هلكى جمع صريع (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ) أي أصول نخل وقرأ أبو نوفل الأعجز على وزن أفعل كأضبع وأضبع وحكى الاخفش أنه قرىء نخيل بالياء (خَاوِيَةٍ) خلت أجوافها بالي وفساد وقال ابن شجرة كانت تدخل من أفواههم فتخرج من أجوافهم من الحشو من أدبارهم فصاروا كاعجاز النخل الخاوية وقال يحيى بن سلام خلت أبدانهم من أرواحهم فكانوا كذلك وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال كانوا في سبعة أيام في عذاب ثم في الثامن ماتوا وألقتهم الريح في البحر فذلك قوله تعالى (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) أي بقية على أن الباقية اسم كالبقية لا وصف والتاء فيه للنقل إلى الاسمية أو نفس الباقية على ان الموصوف مقدر والتاء للتأنيث وقال ابن الانباري أي باق والتاء للمبالغة ويجوز أن يكون مصدرا كالطاغية والكاذبة أي بقاء والتاء للوحدة (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ) ومن تقدمه من الامم الكافرة كقوم نوح عليه السلام وقيل تعميم بعد التخصيص فان منهم عادا وثمود وقرأ ابو رجاء وطلحة والجحدري والحسن بخلاف عنه وعاصم في رواية أبان والنحويان وأبان ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء أي ومن في حيزه وجانبه والمراد ومن عنده من اتباعه وأهل طاعته ويؤيده قراءة أبي وابن مسعود ومن معه (وَالْمُؤْتَفِكَاتُ) أي قرى قوم لوط عليه السلام والمراد أهلها مجازا باطلاق الحل على الحال أو بتقدير مضاف وعلى الاسناد المجازي والقرينة العطف على من تصف بالبقية وقرأ الحسن هنا والمؤتفكة على الافراد (بِالْخَاطِئَةِ) أي بالخطأ على انه مصدر على زنة فاعلة أو بالفعلة أو الافعال ذات الخطأ العظيم على ان الاسناد مجازي وهو حقيقة لاصحابها واختيار العظم لانه لا يحمل الفعل خاطئا الا اذا كان صاحبه بالغ الخطأ ويجوز ان تكون الصيغة للنسبة (فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ) أي فعصى كل أمة رسولها حين ارادها عما كانت تتعاطاه من القبائح فافراد الرسول على ظاهره وجوز أن يكون جمعا أو عما يستوي فيه الواحد وغيره لانه مصدر في الاصل وأريد منه التكثير لاقتضاء السياق له فهو من مقابلة الجمع بالجمع المقتضي لانقسام الآحاد أو الطلق الفرد عليهم لانحلاله معنى فيما أرسلوا به والظاهر ان هذا بيان لقبيحهم بالخاطئة (فَأَخَذَهُمْ) أي الله عز وجل (أَخْذَةً رَابِيَةً) أي زائدة في الشدة كازدياد قبائحهم في القبح من ربا الشيء اذا زاد (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ) جاوز حده المعتاد حتى أنه علا على أعلى جبل خمس عشرة ذراعا أو طغى على خزانه على ما سمعت قيل هذا وذاك بسبب اصرار قوم نوح عليه السلام على فنون الكفر والمعاصي ومبالغتهم في تكذيبه عليه السلام فيما أوحي اليه من الاحكام التي من جملتها أحوال القيامة (حَمَلْنَاكُمْ) أي في أصلاب آبائكم أو حملنا آباءكم وأنتم في اصلابهم على أنه بتقدير مضاف وقيل على التجوز في الخاطبين بارادة آبائهم المحمولين بطريق الحقيقة ونحوه بيد (فِي الْجَارِيَةِ) في سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء ايام الطوفان لا حبسهم فيها الى السفينة لا يحرب عنه كما في قولك ابيت بمكان كذا بل متعلق بمحذوف هو حال من مفعوله أي رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه

Marfat.com

تنبيه على ان مدار نجاتهم بعض عصمته عز وجل وانما الصفة سبب صورى وكثر استعمال الجارية في السفينة وعليه ٥ تسمون جارية في بعض جارية ٥ ﴿ لِنَجْعَلَهَا ﴾ أى الفعلة التى هى عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين ﴿ لَكُمْ تَذْكِرَةً ﴾ عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته ﴿ وَتَعِيَهَا ﴾ أى تحفظها والوعى ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء أن تحفظه في غيرنفسك من وعاء ﴿ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ أى من شأنها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به وعن قتادة الواعية هى التى عقلت عن الله تعالى واتعظت بما سمعت من كتاب الله تعالى وفى الخبر أن النبى صلى تعالى عليه وسلم قال لعلى كرم الله تعالى وجهه أنى دعوت الله تعالى أن يجعلها أذنك ياعلى قال على كرم الله تعالى وجهه فما سمعت شيئا فنسيته وما كان لى ان أنسى وفى جعل الاذن واعية وكفا جعلها حافظة ومتذكرة ونحو ذلك تجوز والفاعل الحقيقى هو صاحبها ولا يشعر بها حقيقة الا السمع والتذكر الدلالة على قلتهن وان من عداهن مع قلته بسبب لجاة الجم الغفير واداة تسليم وقيل ضمير جعلها للجارية وجعلها تذكرة لما أنه على ماقال قتادة أدركها أوائل هذه الامة أى أدركوا نواسيها على الجودى كما قال ابن جريج بل قيل ان بعض الناس وجد شيئا من أخبارها بعد الاسلام بكثير والله تعالى أعلم بصحته ولا يخفى ان القول عليه ماقدمناه. وقرأ ابن مصرف وأبو عمرو في رواية هرون وخارجة عنه وقيل بخلاف عنه وتميا باسكان العين على التشبيه بكتف وكبد كما قيل وقرأ حمزة باختلاس الكسر وروى عن عاصم انه قرأ بتشديد الياء قال في البحر قيل هو خطأ وينبغى أن يتأول على انه أريد به شد بيان الياء احترازا عن سكونها لادغام حرف في حرف ولا ينبغى أن يجعل ذلك من التضعيف في الوقف ثم أجرى الوصل مجرى الوقف وان كان قد ذهب اليه بعضهم وروى عن حمزة وموسى بن عبد الله العبسى وتميا باسكان الياء فاحتمل الاستئناف وهو الظاهر واحتمل أن يكون مثل قراءة من أوسط ماتطعمون أهاليكم بسكون الياء وقرأ نافع اذن باسكان الذال للتخفيف ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ شروع ببيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شانها باعلاك مكذبيها والراد بالنفخة الواحدة النفخة الاولى التى عندها خراب العالم كما قال ابن عباس وقال ابن السيب ومقاتل هى النفخة الآخرة والاول أولى لانها المناسبة لما بعد وان كانت الواو لا تدل على الترتيب لكن عادة الظاهر من غير داع الى الاحالة اليه والنفخة قال جار الله في حواشى كشافه المرة ودلالتها على النفخ الثانية غير مقصودة وبعدوث الامر العظيم بها ودعى عقبها انما استعظم من حيث وقوع النفخ مرة واحدة لا من حيث أنه نفخ فيه على ذلك بقوله سبحانه واحدة وعن ابن الخاجب ان نفخة لم يوضع للدلالة على الوحدة على حيالها وانما وضع للدلالة على النفخ والدلالة على الوحدة الثانية غير مقصودة وتعقب بان هذا بعد التسليم لا يضر لان الكلام فى مقتضى المقام لا أصل الوضع وقد تقرر أن الذى سبق له الكلام يجعل مسندا حتى كان غيره مطروح فالمرة هى المسندة نظرا للمقام دون النفخ نفسه وان كان النظر الى ظاهر اللفظ يقتضى العكس فافهم وأيضا كان اسناد الفعل الى نفخة ليس من اسناد الفعل الى المصدر المؤكد لضرب وان لم يلاحظ ما بعده من قوله سبحانه واحدة وحسن تذكير الفعل الفعل وكون المرفوع غير حقيقى التأنيث وكونه مصدرا فقد ذكر الجاربردى فى شرح الشافية ان تأنيثه غير متبر لتأويله بأن والفعل والتقدير ان واحدة صفة مؤكدة وأطلق عليها بعضهم التوكيد وبعضهم البيان وذكر الطيبى ان التوابع كالبدل وعطف البيان والصفة بيان من وجه للنبوع عند أرباب المعانى وتمام الكلام فى ذلك فى المطول وقرأ أبو السمال نفخة واحدة بنصبهما على اقامة الجار والمجرور

Marfat.com

مقام الفاعل (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ) رفعنا من أحيازها بمجرد القدرة الالهية من غير واسطة مخلوق أو بتوسط نحو ريح أو ملك فيسل او بتوسط الزلزلة أى بأن يكون لها مدخل في الرفع لا أنها رافعة لها حادثة اياها بقال أنها ليس فيها حمل والتاهي اضطراب وقيل يجوز ان يخلق الله تعالى من الاجرام العلوية مافيه قوة جذب الجبال ورفعها عن أماكنها أو ان يكون في الاجرام الموجودة اليوم مافيه قوة ذلك الا ان في الدين مانعا من الجذب والرفع وانه يزول بعد فيحصل الرفع وكذا يجوز أن يخترعه ذلك بالنسبة الى الارض وان تكون قوتا الجاذبين مختلفتين فاذا حصل رفع كل الى غاية يريدها الله تعالى حدث في ذلك الجانب مالم يبق معه ذلك الجذب من زوال مسامته ونحوه وحصل بين الجبال والارض ما يوجب التصادم ويجوز أيضا أن يحدث في الارض من القوى ما يوجب قذفها للجبال ويحدث للارض نفسها ما يوجب رفعها عن حيزها وكون القوى منها ماهو متأثر ومنها ما هو متحاب كما لايخفى بفكر وقيل يمكن أن يكون رفعهما بمصادمة بعض الاجرام كذوات الاذناب على ما قيل فيها جديدا للارض فتتفصل الجبال وترتفع من شدة المصادمة ورفع الارض من حيزها ولا يخفى ان في هذا على ما فيه لا يحتاج اليه ويكفينا القول بأن الرفع بالقدرة الالهية التي لا يتعاصاها شيء وقرأ ابن أبي عبلة وابن مقسم والاعمش وابن عامر في رواية يحمي وحملت بتشديد الميم وحمل على التكثير ويجوز أن يكون تضعيفا للفعل فيكون الارض والجبال المفعول الاول أقيم مقام الفاعل والمفعول الثاني محذوف أي قدرة أو ريحا أو ملائكة أو يكون المفعول الثاني أقيم مقام الفاعل والاول محذوف وهو أحد الذكورات (فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) فضربت الجبلان اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تفتت وترجع كما قال سبحانه كثيبا مهيلا وقيل تفرق اجزاؤها كما قال سبحانه هباء منبثا وفرق ابن الملك والدقي بان في الاول تفرق الاجزاء وفي الثاني اختلافها وقال بعض الاجلة أصل الدك الضرب على المرتفع ليتخفض ويلزمه التسوية غالبا فلما شاع فيها حتى صار حقيقة ومنه أرض دكاء للمنبسة السنوية وبعيرا دك وناقة دكاء اذا ضعفا فلم يرتفع سنامهما واستوت خدبتهما مع ظهريهما فالمراد ههنا فبسطا بسطة واحدة وسويتا فصارتا أرضا لاترى فيها عوجا ولاأمتا ولعل التفتت مقدمة للتسوية أيضا وقال الراغب الدك الارض الليئة السهلة وقوله تعالى فدكتا أى جعلتا بمنزلة الارض الليئة وهذا أيضا يرجع الى التسوية كما لا يخفى وحكى في مجمع البيان أنهما اذا دكتا تفتت الجبال وتفتتها الريح وقيل الارض مستوية وتلى الضمير لارادة الجنسين كما أشرنا اليه (فَيَوْمَئِذٍ) أي حينئذ على ان المراد باليوم مطلق الوقت وهو ههنا منصوب بفعل فيه مابعد والتنوين عوض عن المضاف اليه أى فيوم اذ نفخ في الصور وكان كيت وكيت (وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) أى قامت القيامة وتغيير الواقعة بصيغة بيت القدس واقع من درجة القبول (وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ) فتطرت وتميز بعضها من بعض ولعله اشارة الى ما تضمنه قوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج انه قال ذلك قوله تعالى وفتحت السماء فكانت أبوابا ولا منافاة بينهما وكذا لامنافاة بين كون الانشقاق لنزول الملائكة وكونه لهول يوم القيامة لان الامر قد يحكمون له علل شتى مثل هذه العلل والمراد بالسماء جنسها وقيل السموات السبع وأيما كان فلا يشترط لصحة الانشقاق كونها أجساما صلبة اذ يصلب نحو ذلك ما ليس بصلب أيضا فقد وصف البحر بالانشقاق (فَهِيَ) أى السماء (يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) ضعيفة من وهي القربة ضعف وتدلى للسقوط وقال ابن شجرة من رقوطم

Marfat.com

وهو الساق اذا انطرق ومن المتاخم قول الراجز

بكل سيل من وهي سلؤه * ومن هريق بالفلاة ماؤه

(والملك) اي الجنس المتعارف بالملكية وهو امهن للملائكة عند الزمخشري وجاء فوله ذكره الجوهري ايضا وقال ابو حيان الملك اسم جنس يراد به الملائكة ولا يظهر انه امهن للملائكة وتحقيق هذا المقام بالاتزيد عليه في شرح التلخيص العلامة الثاني وحواشيه فارجع ان اردت الله (على أرجائها) أي جوانبها جمع رجى بالقصر وهو من ذوات الواو وانما برزت في التثنية قال الشاعر

كأن لم ترى قبلي أسيرا مكبلا * ولا رجلا يرمى به الرجوان

والضمير للسماء والمراد بجوانبها اطرافها التي إذا تشقق أخرج ابن المنذر من ابن جبير والضحاك قالا اذا انشقت السماء كان الملك على أرجائها أي على ما يتشقق منها وامثل ذلك التجاسيم الاطراف عادا خلقهن ملائكة عظاما عظمهم الله عز وجل أو اجنحة هناك لنزول وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد عن الربيع بن أنس قال والملك على ارجائها أي الملائكة على شقايا ينظرون الى ذي الارض وسمائكم من الفزع والاول أظهر واحل هذا الاشتقاق بمعمومة الملائكة عند النفخة الاولى واحيائهم وهم يحيون قبل الناس كما تقتضيه الاخبار ويجوز أن يكون ذلك بعد النفخة الثانية والناس في الحشر فقد بعض الآثار ما يشعر بالتفاق قبل مماء يومئذ ونزول ملائكتها واليوم متسع كما أشرنا اليه وقال الامير يحتمل انهم يقفون على الارجاء لحظة ثم يموتون ويحتمل أن يكون المراد بهم الذين استثنام الله تعالى في قوله سبحانه الا من شاء الله وعلى الوجهين يحمل ما يقال الملائكة يموتون في الصعقة الاولى لقوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض فكيف يقال انهم يقفون على ارجاء السماء وفي أنوار التنزيل لعل قوله تعالى وانشقت السماء الخ تمثيل لخراب العالم بخراب البنيات وانضواء أعلها الى أطرافها وان كان على ظاهره فلعل موت الملائكة اثر ذلك الشق وأنا لا أقول باحتمال التمثيل وفي البحر عن ابن جبير والضحاك ان ضمير ارجائها للارض وان بعد ذكرها قالا انهم يقفون ايها يحفظون أطرافها كما روى ان الله تعالى يأمر ملائكة السماء الدنيا فيقفون صفا على حافات الارض ثم ملائكة الثانية فيصفون حولهم ثم ملائكة كل سماء فكلما تد أحد من الجن والانس وجد الارض أحيط بها وامل ما تقتاء منها أولى بالاعتماد (ويحمل عرش ربك فوقهم) أي فوق الملائكة الذين على الارجاء المدلول عليهم بالملك وقيل فوق العالمين وقيل الضمير يعود على الملائكة الحاملين أي يحمل عرش ربك فوق ظهورهم أو رؤسهم (يومئذ ثمانية) والترجيح وان تأخر لفظا لكنه متقدم رتبة وفائدة قولهم الدلالة على أنه ليس المحمولا بأيديهم كما تقدم مثلا وأيد هذا واختار الظهور بما أخرج الترمذي وأبو داود وابن ماجه عن العباس بن عبد المطلب في حديث وفوق ذلك ثمانية أو عال بين أظلافهن وورك لهن ما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء الى السماء والمراد بالاوعال فيه ملائكة على صورة الاوعال كما قال ابن الاثير وغيره وهي جمع وعل بكسر الين تيس الجبل واستدل به على ان المراد ثمانية أشخاص والاخبار الدالة على ذلك كثيرة الا أن فيها تعارضا من حيث دلالة بعضها على أن بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر ودلالة بعض آخر على أن لكل واحد منهم أربعة أوجه وجه ثور ووجه نسر ووجه أسد ووجه انسان وفيه لكل واحد منهم أربعة أجنحة أما جناحان فعلى وجهه لحافظين أن يخطر الى العرش فيصعق وأما جناحان فيطيرون بهما وأبو حيان لم يقل بصحة شيء من ذلك حيث قال ذكروا في صفات هؤلاء الثمانية أشكالا مشكلة ضربنا عن ذكرها صفحا وأخرج عبد بن حميد

Marfat.com

عن ابن زيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال يحمله اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية وأخرج عنه ابن أبي حاتم أنه بلغه أن حملة العرش الآن اسرافيل عليه السلام قال وميكائيل عليه السلام ليس من حملة العرش وعليه فمن زعم انهما وجبرائيل وعزرائيل عليهم السلام من جملة حملته يلزمه اثبات ذلك بخبر يعول عليه وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك وعن وهب ابن منبه أيضا لم يكن لا قولهم قدسوا الله الذي ملأت عظمته السموات وأكثر الأخبار في هذا الباب لا يعول عليه وأخرج عبد بن حميد عن الضحاك أنه قال يحمل ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله عز وجل وأخرج بهذا القول ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس وقال الحسن الله تعالى أعلم كم هم أثمانية أصناف أم ثمانية أشخاص وأنت تعلم أن الظاهر المؤيد ببعض الأخبار الصحيحة أنهم ثمانية أشخاص وإذا كان فالظاهر أن هناك حملا على الحقيقة وإليه ذهب محيي الدين قدس سره قال ان الله تعالى ملائكة يحملون العرش الذي هو السرير على أكتافهم هم اليوم أربعة وغدا يكونون ثمانية لاجل الحمل الى أرض المحشر وله قدس سره في الباب الثالث عشر من فتوحاته كلام واسع في حملة العرش لا سيما على تفسيره بالثمانية فليرجع اليه من شاء لكن ذهب لهم كلامه وجوز أن يكون ذلك تمثيلا لعظمة عز وجل بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس لقضاء المهام فالمراد تجليه عز وجل بصفة العظمة وجعل العرش في قوله تعالى (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ) مجازا عن الحساب والمراد يومئذ تحاسبون لكنه شبه ذلك بعرض السلطان العسكر ليعرف أحوالهم فعبر عنه به وأخرج الامام أحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله والجملة النوض فيما يتبادل عليه الافهام تتفتح في الصور ويجعل يومئذ تعرضون بدلا من فيومئذ لما وقد سمعت أن الزمان منسحب لجميع ما ذكر وغيره وقوله تعالى (لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) حال من مرفوع تعرضون أي تعرضون غير خاف عليه عز وجل سر من أسراركم قيل ذلك أيضا وأما العرض لافتضاء الحال والغاية الجلية والبالغة في العدل أو غير خاف يومئذ على الناس لقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي وابن وثاب وطلحة والاعمش وابن مقسم عن عاصم وغيرهم لا يخفى بالياء التحتانية (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) لفصيل الاحكام العرض والمراد بكتابه ما كتب الملكان فيه ما فعله في الدنيا وقد ذكروا أن أعمال كل يوم وليلة تكتب في صحيفة فتضم صحف العبد الواحد إلى أن توصل له فيؤتاها موصولة وقيل يشخص ما في جميع الصحيفة واحدة وهذا ما جزم به القرافي عليه الرحمة وقال القولين يصدق على ما يؤتاه العبد كتاب وقيل ان العبد يكتب في قبره أعماله في كتاب وهو الذي يؤتاه يوم القيامة وهذا قول ضعيف لا يعول عليه وسيأتي ان شاء الله تعالى بيان كيفية ذلك العبد ذلك (فَيَقُولُ) تبجحا وافتخارا (هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ) قال الرضي هاء اسم فعل وفيه لغات الاولى بالف مفردة ساكنة الواحد والاثنين والجمع مذكرا كان أو مؤنثا الثانية ان تلحق هذه الالف المفردة كاف الخطاب المرفية كما في ذلك وتصرفها نحو هاك هاكما هاكم الثالثة أن تلحق الالف همزة مكان الكاف وتصريفها تصريف الكاف نحو هاؤما هاؤم هاء هاؤما هاؤن الرابعة أن تلحق الالف همزة مفتوحة قبل كاف الخطاب وتصرف الكاف الخامسة هاء بهمزة

Marfat.com

ساكنة بعد الهاء. الكل السادسة ان تصرف هذه الجملة تصريف مع السابعة أن تصرفها تصريف خلف ومن ذلك ما حكى الكسائي من قول من قبل له هذه بالفتح الأم إعاء وإعاء بفتح همزة المتكلم وكسرها الثامنة ان تلحق الالف همزة وتصرفها تصريف ناد والثلاثة الأخيرة أفعال غير منصرفة لانها لا مضارع ولا بنات أفعال قال الجوهري هاء بكسر الهمزة يعني هات وبفتحها يعني خذ وإذا قيل لك هاء بالفتح قلت ماأعاء أي ما آخذ وما أعاء على مافي بسم فاعل أي ما أعطي وهذا الذي قال مبني على السابعة نحو ما أخاف وما أخاف انتهى . وقال أبو القاسم فيها لغات أجودها ما حكاه سيبويه في كتابه فقال العرب تقول هاء يارجل بفتح الهمزة وهاء يا امرأة بكسرها وهاؤما يا رجلان أو امرأتان وهاؤم يارجال وهاؤن يا نسوة قالبم في هاؤم كالبم في أنتم وشبهها كقصرها في بعض الاحيان وكسرهما يحذفوا وهو متعد بنفسه الى المفعول تحذيه والمفعول المحذوف دل عليه المذكور أعني كتابيه وهو مفعول القرؤا واختير هذا دون العكس لانه لو كان مفعول هاؤم قبل القرؤه اذ الاولى اضمار الضمير اذا أمكن كما واقعا لم يظهر في الاول لئلا يعود على متأخر لفظا ورتبة وهو منصوب مع ان الناصب على اللغة الجيدة اسم فعل فلا يتصل به الضمير وقيل هاؤم بمعنى تعالوا فيتعدى بالى وزعم الفتى ان الهمزة بدل من الكاف قيل وهو ضعيف الا ان كان قد عنى انها تحل محلها في لغة كما سمعت فيمكن لا انه بدل صناعي لان الكاف لا تبدل من الهمزة ولا الهمزة منها وقيل هاؤم لغة وضعت لاجابة الداعي عند الفرح والتقاطوفي الحديث انه عليه الصلاة والسلام نادى اعرابي بصوت عال فجاوبه صلى الله تعالى عليه وسلم هاؤم بصولة صوته وجوز ان يكون هذا الفتى هنا فانه يحتمل ان ينادي ذلك الوقتي كتابه بمبتهج القرباؤه واصحابه مثلا ليقرؤا كتابه فيجيبهم لزيد فرحه ونشاطه بقوله هاؤم وزعم قوم انها مركبة في الاصل ها أبوا أي اقصدوا ثم نقلها التخاطب والاستعمال الى ما ذكر وزعم آخرون ان الميم ضمير جماعة الذكور والهاء في كتابيه ولغة في حسابيه وماليه وسلطانيه ولغة ماعيه في القارعة للسكت لا ضمير لغية حقها ان تحذف وصلا وتثبت وقفا لتصان حركة الموقوف عليه فاذا وصل استغنى عنها ومنهم من أثبتها في الوصل لاجرائه مجرى الوقف أو لانه وصل بنية الوقف والقراآت مختلفة فقرأ الجمهور باثباتها وصلا ووقفا قال الزمخشري اثباتها للمصحف الامام وتبعه ابن الزبير قال تقابل القراءة باتباع المصحف الحبيب مع أن المعتمد الحق أن القراآت بتفاصيلها منقولة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأخذ في التفنيع عليه وهو كما قال وقرأ ابن محيصن بحذفها وصلا ووقفا واسكان الياء فيما ذكر ولم يتأل ذلك في ماعيه فيما وقفت عليه وابن أبي اسحق والاعمش بطرح الهاء فيهن في الوصل لا في الوقف وطرحها حمزة في مالي وسلطاني وما هي في الوصل لا في الوقف وفتح الياء فيهن وما قاله الزهراوي من أن اثبات الياء في الوصل لحن لا يجوز عند أحد مكابرة البين وكان ذلك متواتر فوجب قبوله ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أي علمت ذلك علما قاله الاكثرون بناء على أن الظاهر من حال المؤمن تيقن امور الآخرة كالحساب فالقول عنه ينبغي ان يكون كذلك لكن الامور النظرية لكون تفاصيلها لا تخطر من تردد ما في بعضها مما لا يفوت اليقين به كسهولة الحساب وشدته مثلا عبر عن العلم بالظن مجازا للاشعار بذلك وقيل لما كان الاعتقاد بامور الآخرة مطلقا مما لا ينفك من الهواجس والخطرات النفسية كسائر العلوم النظرية نزل منزلة الظن فعبر عنه بذلك وفيه اشارة الى أن ذلك غير قادح في الايمان وجوز أن يكون الظن على حقيقته على أن يكون المراد من حسابه ما حصل له من الحساب اليسير فان ذلك مما لا يقين به وانما ظنه ورجحه لمزيد وثوقه برحمة الله تعالى عز وجل وفضل

Marfat.com

ذلك عند الموت فقد دلت الاخبار على أن اللائق بحال المؤمن حينئذ غلبة الرجاء وحسن الظن وأما قبله فاستواء الرجاء والخوف وعليه يظهر جدا وقوع هذه الجملة موقع التعليل للتبشير به الجملة الاولى من حسن الحال فكأنه قيل اني على ما يحسن من الاحوال أو اني لفرح مسرور لاني ظننت بربي سبحانه انه يحاسبني حسابا يسيرا وقد حاسبني كذلك فالله تعالى عند ظن عبده به وهذا أولى مما قيل يجوز ان يكون المراد اني ظننت أني ملاق حسابي على الشدة والمناقشة لما سلف مني من الهفوات والآن ازال الله تعالى عني ذلك وفرج عني وقيل يطلق الظن على العلم حقيقة وهو ظاهر كلام الرضي في أفعال القلوب وفيه نظر ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ قال أبو عبيدة والفراء أي مرضية وقال غيرهما أي ذات رضى على أنه من باب النسبة بالصيغة كلابن وتامر ومعنى ذات رضى ملتبسة بالرضا فيكون بمعنى مرضية أيضا وأورد عليه أنه ما أريد به النسبة لا يؤنث كما صرح به الرضي وغيره وهو هنا مؤنث فلا يصح هذا التأويل الا أن يقال التاء فيه للمبالغة وفيه بحث وقال بعض المحققين الحق ان مرادهم أن مالقصد به النسب لا يلزم تأنيثه وان جاء فيه على خلاف الاصل الغالب أحيانا والمشهور حمل ما ذكر على أنه مجاز في الاسناد والاصل في عيشة راض صاحبها فأسند الرضا اليها لملابستها ملبوسها دائما من الثياب كأنها نفسها راضية ويجوز أن يكون فيه استعارة مكنية وتخييلية كما فصل في مطولات كتب المعاني ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ مرتفعة المكان لانها في السماء فنسبة العلو اليها حقيقة ويجوز أن تكون مجازا وهي حقيقة لقدر جناتها وما فيها من بناء ونحوه أو يكون هناك مضاف محذوف أي عالية درجاتها أو بناؤها أو أشجارها وفي البحر عالية مكانا وقدرا ولا يخفى ما في استعمال العلو فيهما من التكلف ﴿ قُطُوفُهَا ﴾ جمع قطف بكسر القاف وهو ما يجتنى من الثمر زاد بعضهم بسرعة ولا أدري ذلك لانها من دأب القطف بفتح القاف وهو مصدر قطف وقد يحملوا قطوفها جمعا له لان المصدر لا يطرد جمعه وقوله تعالى ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ أي قريبة يتناول الرجل منها وهو قائم كما قال البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه وقال بعضهم يتدلى عليها القائم والقاعد والمضطجع بليه من شجرتها وعليه يجوز أن يكون مراد البراء التمثيل وأخرج عبد بن حميد عن قتادة انه قال دنت فلا يرد أيديهم منها بعد ولا شوك وفسر الدنو عليه بسهولة التناول ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ باضمار القول أي يقال لهم ذلك وجمع الضمير رعاية لمعنى ﴿ هَنِيئًا ﴾ صفة لمحذوف وقع مفعولا به والاصل أكلا وشربا هنيئا أي غير منغصين لحذف القول به وأقيمت صفته مقامه وصح مجيء صفة ذلك مع تعدده لان قليلا يستوي فيه الواحد فما فوقه وجعل بعضهم المحذوف مصدرا وكذا صفته أي هنيئا ووجه عدم تثنيه بان المصدر يتناول القليل والكثير أيضا فلا تخفى وجوز أن يكون نعتا على المصدرية للفعل من لفظه وفعيل من صيغ المصادر كما أنه من صيغ الصفات أي هنأ هنيئا والجملة في موضع الحال والكلام على حذف المضاف بقرينة ما قدمنا من الامثلة السالفة ﴿ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ أي الماضية وهي أيام الدنيا وقيل أي الخالية من الفائت أي الخفيفة وهي أيام الدنيا أيضا وقيل أي التي أخلصوها من الشهوات النفسانية وحمل عليه ما روي عن مجاهد وابن جبير ووجه من تفسير هذه الايام بأيام الصيام وأخرج ابن المنذر عن يعقوب الحذاق قال بلغني أنها كانت أيام الفارعة يقول الله تعالى يا أولياني هنأتكم اليوم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم من الاشربة وفارت أعينكم وخمصت بطونكم فكلوا اليوم في نعيمكم واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية والظاهر ان ما على تفسير الايام الخالية بايام الصيام قيد محمولة على الصوم والصوم في الآية هو الظاهر ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ

فيقول

Marfat.com

فيقول (يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه) ليتني من تمام القول والجلاء الحساب عابسوه (يا ليتها) أي الموتة التي متها في الدنيا (كانت القاضية) أي القاطعة لأمري ولم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى فالضمير للموتة الدال عليها الفعلان ينبغي لها ذكر ويجوز أن يكون للحالة المشاهدة من الطلاق أي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت على لا أنه وجدها أمر من الموت فتمناه عندها وقد قيل أشد من الموت ما يتمنى الموت عنده وقد جوز أن يكون للحياة الدنيا المفهومة من السياق أيضا والمراد بالقاضية الموتة فقد اشتهرت في ذلك أي يا ليت الحياة الدنيا كانت الموتة ولم أحلق حياً وتفسير القاضية بما ذكر اندفع ما قيل انها تقتضي تجدد أمر ولا تجدد في الاستمرار على العدم ليصح هذا الوجه لا يخلو من بعد (ما أغنى عني ماليه) أي ما أغنى عني شيئا الذي كان لي في الدنيا من المال ونحوه كالاتباع على أن ما في ما أغنى نافية وما في ماليه موصولة فاعل أغنى ومفعوله محذوف وليه جار ومجرور في موضع الصلة ويجوز أن يجعل ماليه عبارة عن مال مضاف الى ياء المتكلم والأول أظهر شمولا للاتباع ونحوها لا يأتي اعتبار ذلك على الثاني الا باعتبار اللزوم ويجوز أن تكون ما في ما أغنى استفهامية للانكار وماليه على احتمالية أي أي شيء أغنى عني مالي (هلك عني سلطانيه) أي بطلت حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا وبه فسره ابن عباس ومجاهد والضحاك وعكرمة والسدي وأكثر السلف أو ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيراً ذليلا أو تسلطي على القوى والآلات التي خلقت لي فعجزت عن استيفاء لذاتها في الطاعات يقول ذلك تحسرا وتأسفاً وإلى هذا ذهب قتادة مشيرا الى وجه اختياره دون الثاني أخرج عبد بن حميد عنه أنه قال أما والله ما قال من دخل النار كان أمير قرية ولكن الله تعالى خلقهم وسلطهم على أبدانهم وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وبما أشار اليه رجح الأول على الثاني أيضا لكن قيل ما بعد أشد مناسبة لو سلط إن شاء الله تعالى على ذلك وعن ابن عباس أنها نزلت في الأسود بن عبد الأسد ويحكى عن فاخرة للقلب بعض الدولة ابن بويه انه لما أنشد أوله

ليس شرب الكأس الا في المطر ... وغناء من جوار في سحر
غانيات سالبات النهى ... ناعسات في لضايب الوتر
مبرزات الكأس من مطلها ... ساقيات الراح من فاق البشر
عند ذا الدولة وابن ركنها ... ملك الأملاك غلاب القدر

بلغ بعضهم وعين وكان لا يطلق لسانه الا بإذنه الا آية وفي نسبة الثاني أنه لما احتضر لم ينطلق لسانه الا بتلاوة ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه نسأل الله تعالى الثبات والعافية وروى عن أبي عمرو انه ادغم هاء السكت من ماليه في هاء هلك وهو ضعيف قياسا لان هاء السكت لاندغم لتكون الوقف عليها محققا أو مقدرا كما في شرح التوضيح وفيه رواية الادغام فيما ذكر عن ورش وشعب بان المروي عنه انما هو النقل في كتاب التي والله تعالى أعلم (خذوه) بتقدير القول أي فيقول الله تعالى للزبانية خذوه (فغلوه) أي شدوه بالاغلال (ثم الجحيم صلوه) أي لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظيمة التي هي دركة الجحيم لعظم ما أوتي به من المعصية وهي الكفر بالله تعالى العظيم وقيل حيث كان يتعظم على الناس وهو مبني على اختصاص ما قبل بالسلاطين بقرينة تعظيم أمره وتعميم الله تعالى على ما فيه وجوب عما بعدته عما يفهم من كلام قتادة بانه لا خير في كونه بيانا لحال بعض من أولي

Marfat.com

كتابه بمشيئته ومشيئة ملائكته ان شاء الله تعالى من قوله سبحانه ولا بعض ابغ فكم من أهل النار من لا يكون كذلك وأيضا قد ذكروا ان الجحيم اسم لطبقة من النار فتامل (ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا) أي قياسها ومقدار طولها (سَبْعُونَ ذِرَاعًا) يجوز ان يراد ظاهره من العدد المعروف والله تعالى أعلم بحكمة كونها على هذا العدد ويجوز أن يراد به التكثير فقد تكثر السبعة والسبعون في التكثير والمبالغة ورجح بانه أبلغ من اية لان على ظاهر والذراع مؤنث قال ابن الضحاك وقد ذكره بعض فيقال للثوب خمس أذرع وخمسة أذرع والمراد بالذراع عند العرب وهي ذراع اليد الان الله سبحانه انما خاطبهم بما يعرفون وقال ابن عباس وابن جريج ومحمد بن المنكدر ذراع الملك وأخرج ابن المبارك وجماعة عن توف البكالي أنه قال وهو يومئذ بالكوفة الذراع سبعون باعا والباع ما بينك وبين مكة ويحتاج الى نقل صحيح وقال الحسن الله تعالى أعلم بأي ذراع هي والسلسلة حلق تدخل في حلق على سبيل الطول كأنها من تسلسل الشيء اضطرب وتونيها للتفخيم وروى عن ابن عباس أنه قال لو وضع منها حلقة على جبل لذاب كالرصاص (فَاسْلُكُوهُ) أي فادخلوه قال قوله تعالى فسلكه ينابيع في الأرض وادخاله فيها بأن تلف على جسده وتلوى عليه من جميع جهاته فبقي مرهقا فيها بينها لا يستطيع حراكا وعن ابن عباس ان أهل النار يكونون فيها كالتعلب في الحية والتعلب طرف خشبة الرمح والحية الزج وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان السلسلة تدخل في استه ثم تخرج من فيه ثم يظمون فيها كما يظم الجراد في العود ثم يشوى في رواية أخرج عنهم ابن السائب في دبره حتى تخرج من منخريه ومن هنا قيل ان في الآية قلبا والأصل فاسلكوها فيه والظهور على الظاهر والعاد جزائية كما في قوله تعالى وربك فكبر والتقدير مهما يكن من شيء فاسلكوه في سلسلة الخ فقدم الظرف وما معه عوضا عن المحذوف والتوسط للعاد كما هو حقها والدال على التخصيص كأنه قيل لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كما أنها أقطع من سائر مواضع الأرحاء من الجحيم ويجوز أن يكون التقدير هكذا ثم مهما يكن من شيء فتى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فيه فتعديان تقديم الظرف على الفعل الدلالة على التخصيص وتقديمه على الفاء لمحذف حرف الشرط للتعويض وتوسيط العاد وثم في الموضعين لتفاوت ما بين أنواع ما يعذبون به من الغل والتصلية والسلك على ما اختاره جمع ويجوز بعضهم أنها على ظاهرها من الدلالة على المهلة ورجح الأول بأنه أنسب بمقام التهديد وزعم بعض أن ثم الثانية لعطف قول مضمر على ما أضمر قبل حذوه اشعارا بتفاوت ما بين الامرين وفاء فاسلكوه لعطف القول على القول للايذان بوقوعه عقبه عطف على معطوف واحد ويلزمه أن يكون تقديم السلسلة على العاد بعد حذف القول لا يلزم التوابع المذكور ومبنى هذا التكلف الباعث الدلالة عما ذكرناه فلا تغفل وبقي منه شيء وهو ما قيل ان ليس في الآية ما يفيد التخصيص لان في سلسلة ليس معمولا لاسلكوه لاستلزام الجمع بين حرفي عطف بل هو معمول لمحذوف فيقدر مقدما على الاصل على أن تقديم الجحيم بالقرينة على كون في سلسلة مقدما على عامله (إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ) تعليل على طريقة الاستئناف البيانية كأنه قيل لم استحق هذا فقيل لانه كان في الدنيا مستمرا على الكفر بالله تعالى العظيم وقيل أي كان في علم الله تعالى التعلق بالاشياء على ما هي عليه في نفس الامر أو لا يصدق الايمان به عز وجل والاول هو الظاهر وذكر العظيم للاشارة الى وجه عظم عذابه وقيل للاشعار بانه عز وجل المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها الى غيره استحق أعظم العقوبات (وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) أي ولا يحث على بذل طعامه الذي يستحقه في ماله الموسر فيه مضاف مقدر لان الحض انما يكون على الفعل والطعام ليس

Marfat.com

ويجوز أن يكون الطعام بمعنى الاطعام بوضع الاسم موضع المصدر كالسلام بمعنى الاعطاء أى ولا يحث على أطعام المسكين فضلا عن أن يفعله فليس هناك مضاف محذوف وقيل ذكر الحض للاشعار بأن تارك الحض بهذه المرتبة كيف بتارك الفعل ومما أحسن قول زينب العشرية ترثى أخاها يزيد

اذا نزل الاضياف كان مقدماً ٭ على الحي حتى تستقل مراجله

تريد حفدهم على القرى واستعجالهم ولما كنى عليهم وفيه أوجه من المدح وكان أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلنا نصلب السلسلة بالايمان أفلا نطلع لعلها اقتبس ذلك من الآية فانه جعل استحقاق السلسلة معللا بعدم الايمان وعدم الحض وتخصيص الامرين بالذكر قيل لنا أن أقبح الفضائل الكفر وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب وفى الآية دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع كالاصول والالم يعاقبوا على ترك الحض على طعام المسكين ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴾ قريب مشفق يهمه ويدفع عنه لان أولياءه يتحامونه ويفرون منه ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ قال الفراء يجرى هو وما يجرى من الجراح اذا غسلت فجاء من الغسل وقال ابن عباس فى رواية ابن أبى حاتم وابن المنذر من طريق عكرمة عنه الصديد الذى يسيل من لحوم أهل النار وفى معناه قول فى رواية ابن جرير من طريق على بن أبى طلحة عنه هو صديد أهل النار وأخرج ابن أبى حاتم من طريق مجاهد عنه أنه قال ما أدرى ما الغسلين ولكنى أظنه الزقوم والا الزقوم فى الاول وأخرج الحاكم وصححه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لو أن دلوا من غسلين يهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا وجمع بعضهم متحدا مع الضريع وقال بعضهم هما متباينان وسيأتى الكلام فى ذلك ان شاء الله تعالى وله خبر ليس قال الهروى ولا يصح أن يكون هنا ولم يبين ما المانع من ذلك وتبعه القرطبى فى ذلك وقال الان الذى يصير ليس هنا طعام الا من غسلين ولا يصح ذلك الان ثم طعاما غيره وهنا متعلق بما قبله من معنى النفى لتقدم ذلك أبو حيان فقال اذا كان ثم غير من الطعام وكان الا فى أغلب أحواله تصح الحصر بالنسبة الى اختلاف الاوقين وأما ان كان الضريع هو الغسلين فلا يظهر فلا تناقض بين هذا الحصر والحصر فى قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع اذ المحصور فى الآيتين هو من شئ مراحد وانما ينتج ذلك من وجه غير ما ذكره وهو اتحادا جنسا هنا الطعامان كما هو اليوب تعلقين بما قبله الخبر وهو العامل فى هنا وهو عامل معنوى فلا يتقدم معموله عليه فلو كان العامل لفظيا جاز كقوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد فله متعلق بكفوا وهو خبر يكن له وفى الخلاف العامل المعنوى على متعلق الخبر والظرف المحذوف بحث ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ أصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطأ المقابل للصواب دون المقابل للعمد والمراد بهم على ما روى عن ابن عباس المشركون وقرأ الحسن والزهرى والكلبى وطلحة فى رواية الخاطئون بياء مضمومة بدلا من الهمزة وقرأ ابو جعفر وشيبة وطلحة فى رواية أخرى والنخعى بخلاف عنه الخاطون بطرح الهمزة بعد ابدالها تخفيفا على انه من خطئ كفرح اذا عد من هتر وعن ابن عباس ما يصر بانكار فالتأخرج الحاكم وصححه من طريق أبى الاسود الدؤلى وابى بن يعمر عنه انه قال ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصائبون وفى رواية ما الخاطون كلنا نخطو كانه يريد أن التخليف محكما ليس قياسا وهو ملبس مع ذلك فلا يرتكب وقيل هو من خطا يخطو كرماه يرميهم الذين يخطون من الطاعة الى العصيان ومن الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله عز وجل فيكون كناية من المذنبين أيضا فتأمل والمراد بهذه الآيات أن المؤمن الطائع يؤتى كتابه بيمينه والكافر يؤتى كتابه بشماله ولم يعلم منها حال الفاسق الذى مات على فسقه من غير توبة بل قيل ليس فى القرآن بيان حاله

Marfat.com

صريحا وقد اختلف في أمره فجزم الماوردي بأن الظهور انه يؤتى كتابه بيمينه ثم حكى قولا بالوقف وقال لا قائل بأنه يؤتاه بشماله وقال يوسف بن عمر اختلف في عصاة المؤمنين فقيل يأخذون كتبهم بايمانهم وقيل بشمائلهم واختلف الأولون فقيل يأخذونها قبل الدخول في النار ويكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها وقيل يأخذونها بعد الخروج منها ومن أهل العلم من توقف لتعارض النصوص ومن حفظ حجة على من لم يحفظ والثبت مقدم على النافي ثم انه ليس في هذه الآيات تصريح بقراءة العبد كتابه والوارد في ذلك مختلف والذي يجمع الآيات والاحاديث على ما قال القاضي أن من الآخذين من لم يقرأ كتابه لاشتباله على المخازي والقبائح والجرائم والفضائح فباطنه بسبب ذلك الدهش والرعب حتى لا يميز شيئا كالكافر ومنهم من يقرؤه بنفسه ومنهم من يدعو أهل محاضره لقراءته اظهارا لما فيه وظواهر النصوص أن القراءة حقيقية وقيل مجازية عبر بها عن العلم وليس بشيء واختلف الحسن يقرأ كل انسان كتابه أميا كان أو غير أمي وظواهر الآثار ان الحسنات تكتب متميزة من السيئات فقيل ان سيئات المؤمن أول كتابه وآخره حسناته تلويك قد سترتها وغفرتها وان حسنات الكافر أول كتابه وآخره سيئاته قد ردتها عليك وما أحبطها وقيل يقرأ المؤمن سيآت نفسه ويقرأ الناس حسناته حتى يقولوا ما لهذا العبد سيئة ويقول مالي حسنة وقيل كل يقرأ حسناته وسيآته وأول سطر من كتاب المؤمن أبيض فاذا قرأه ابيض وجهه والكافر على ضد ذلك وظواهر الآيات والاحاديث عدم اختصاص ابتداء الكتب بهذه الاعضاء تردد فيه بعض العلماء لما في بعضها مايشعر بالاختصاص ففي حديث رواه أحمد عن أبي الدرداء انه عليه الصلاة والسلام قال وقد قال له رجل كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح عليه السلام الى امتك يا رسول الله هم غر محجلون من أثر الوضوء ليس أحد كذلك غيرهم وأعرفهم انهم يؤتون كتبهم بايمانهم الحديث وقد تقدم تتذكر والحق أن الخبر في هذه الامور حكيم حكم الأساس على ما بحثه القرطبي وصرح به غيره نعم الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام لا يأخذون كتابا بل ان السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ومنهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه لا يأخذون أيضا كتابا وأول من يؤتى كتابه بيمينه فلله شمائل كسماع القدسي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كما في الحديث وبعده أبو سلمة بن عبد الأسد وأول من يأخذ كتابه بشماله أخوه الأسود بن عبد الأسد الذي مر ذكره غير بعيد والآثار في كيفية وصول الكتب الى أيدي أصحابها مختلفة فقد ورد أن الريح تطير بها من خزانة تحت العرش فلا تخطىء صحيفة عنق صاحبها وورد أن كل أحد يدعى فيعطى كتابه وجمع يأخذ الملائكة عليهم السلام بأيمانهم أو شمائلهم فتأتي أيديهم والله تعالى أعلم وتمام الكلام في هذا المقام يطلب من محله ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ قد تقدم الكلام في لا القسم بمواقع النجوم وما تبصرون وما لا تبصرون المخلوقات والمكيفات والميه يرجع قول قتادة هو عام في جميع خلوقاته عز وجل وقال عطاء ما تبصرون من آثار القدرة وما لا تبصرون من اسرار القدرة وقيل الأجسام والارواح وقيل الدنيا والآخرة وقيل الانس والجن والملائكة وقيل الخلق والخالق وقيل النعم الظاهرة والباطنة والاول شامل لجميع ما ذكر وسبب النزول على ما قال مقاتل ان الوليد قال ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ساحر وقال ابو جهل شاعر وقال عتبة كاهن فرد الله تعالى عليهم بقوله سبحانه فلا أقسم الخ ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي القرآن ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ ﴾ يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول من نفسه ﴿ كَرِيمٍ ﴾ على الله عز وجل وهو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قول الاكثرين وقال ابن السائب ومقاتل وابن قتيبة هو جبريل عليه السلام وقوله تعالى ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ الخ قيل دليل لما قاله الاكثرون لان النفي على الحقيقة أنه

Marfat.com

عليه الصلاة والسلام رسول لا شاعر ولا كاهن كما يشعر بذلك سبب النزول وتوضيح ذلك أنهم ما كانوا يقولون في جبريل عليه السلام انه كذا وكذا وانما كانوا يقولونه في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلو أريد برسول كريم جبريل عليه السلام لفات التقابل ولم يحسن العطف كما لا يخفى انه لقول عالم وماهو بقول جاهل ولو قلت وماهو بقول شجاع لسبت الى ما تكره وتعلقه بعض الآلة بأن هذا صحيح ان سلم أن النفي على اثبات رسول لا شاعر ويكون قوله تعالى الخ قول رسول لا قول شاعر اثباتا للرسالة على طريق الكناية أما اذا جعل المقصود من السياق اثبات حقية التنزيل وأنه من الله تعالى فذكر قول الرسول الكريم وقول الشاعر والكاهن كما هو الظاهر لا يحوج الى ذلك كما لا يخفى على ذي مسكة وقوله تعالى (قليلا ما تؤمنون) أي تصدقون تصديقا قليلا على أن قليلا صفة للمصدر المطلق المؤمنون وما مزيدة للتأكيد والقلة بمعناها الظاهر لأنهم لظهور صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم لزم تصديقهم له عليه الصلاة والسلام في الجملة وانما أظهروا خلافه عنادا وأبوه المرديا بالتنكير وحمل الزمخشري القلة على العدم والنفي أي لا تؤمنون البتة ولا يلزم فيه سوى أنه دون الأول في الظهور وقال أبو حيان لا يراد بقليلا هنا النفي المحض كما زعم فذلك لا يكون الا في أقل نحو أقل رجل يقول ذلك الا زيد وفي قل نحو قل رجل يقول ذلك الا زيد وقد يكون في قليل وقلة اذا كانا مرفوعين نحو ما جوزوا في قوله

أبحث كالت بقة فوق بقة ☆ قليل بها الأصوات الا بغامها

اما اذا كان منصوبا نحو قليلا ضربت أو قليلا ماضربت على أن تكون ما مصدرية فان ذلك لا يجوز لانه في قليلا ضربت منصوب بضربت ولم تستعمل العرب قليلا اذا انتصب بالفعل نفيا بل مقللا لكثير وأما في قليلا ماضربت على ان تكون ما مصدرية فيحتاج الى رفع قليل لان ما المصدرية في موضع رفع على الابتداء اه . وأنت تعلم أن مثل ذلك لا يسمع على مثل الزمخشري بغير دليل فان الظاهر أن يقال الا عن وقوف وهو فارس ميدان العربية وجوز كونه صفة لزمان محذوف أي زمانا قليلا تؤمنون وذلك على ما قيل اذا كانوا من خلقهم أو من خلق السموات والأرض فانهم يقولون حينئذ الله تعالى وقال ابن عطية نصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تؤمنون ويحتمل أن تكون ما نافية فيتفق اعانهم البتة ويحتمل أن تكون مصدرية وما يتصف بالقلة هو الايمان القوي وقد صدقوا باشياء يسيرة لا تغني عنهم شيئا لكون العمدة والمعاقد الذين كانوا يأمرهم بها عليه الصلاة والسلام حقا وصوابا اه . وتعقب بانه لا يصح نصب قليلا بفعل مضمر دال عليه تؤمنون لانه انما أن تكون ما القدرة منه نافية فالفصل الذي بالا يجوز حذفه وكذا حذف ما فلا يجوز زيدا ما اضربه على تقدير ما أضرب زيدا ما أضربه وان كانت مصدرية كانت هي في موضع رفع على الفاعلية بقليلا أي قليلا ايمانكم ويرد عليه لزوم عمله من غير تقدم ما يعتمد عليه ونصب لا تنصب له وأما في موضع رفع على الابتداء ويرد عليه لزوم كونه مبتدأ بلا خبر لان ما قبله منصوب لا مرفوع فتأمل وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بخلاف عنهما والحسن والجحدري يؤمنون بالياء التحتية على الالتفات (ولا بقول كاهن) تقدمون مرة أخرى (قليلا ما تذكرون) أي تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الأمر عليكم وتمام الكلام فيه اعرابا وكلاما فيما قبله وكذا القراءة وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية قيل لما أن عدم معارضة القرآن العدم أمر بين لا ينكره الا معاند فلا

Marfat.com

عذر لهم فيما في ترك الايمان وهو أكفر من حاريخلاف ما بانته الكهانة فانها تتوقف على تذكر أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعاني القرآن الثانية لطريق الكهانة ومعاني أقوالهم وتعقب بان ذلك أيضا مما يتوقف على كمال فطنة وأجيب بانه يكفي في الفرق بينهما أن توقف الأول دون توقف الثاني ﴿تَنزِيلٌ﴾ أي هو تنزيل ﴿مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نزله سبحانه على لسان جبريل عليه السلام وقرأ أبو السماك تنزيلا بالنصب بتقدير نزله تنزيلا ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ التقول الافتراء وسمي قولا لانه قول متكلف والاقاويل الاقوال القراء وهي جمع قول على غير القياس أو جمع أقوال فهو جمع الجمع كاناعيم جمع أنعام وأباييت جمع أبيات وفي الكشاف سمي الاقوال المتقولة أقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع أعجوبة من القول وتعقبه ابن المنير بأن أفعولة من القول غريب عن القياس التصريفي وأجيب بأنه غير وارد لان مراده أنه جمع للمفرد غير مستعمل لانه لا وجه لاختصاصه بالافتراء فيما مر والاحسن أن يقال يتم اختصاصه وضعا وأنه جمع على ما سمعت والتحقير جاء من السياق والمراد أنه لو ادعى علينا شيئا لم نقله ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ﴾ أي لامسكناه وقوله تعالى ﴿بِالْيَمِينِ﴾ أي بيان يمينه بعد الابهام كما في قوله سبحانه أشرح لك صدرك ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ أي وتينه وهو كما قال ابن عباس نياط القلب الذي اذا انقطع مات صاحبه وعن مجاهد أنه الحبل الذي في الظهر وهو النخاع وقال الكلبي هو عرق بين الحلقوم والمريء وهي منصب المنق والحلقوم وقيل عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر ومنه قول الشماخ بن ضرار

اذا بلغتني وحملت رحلي ... عرابة فاشرقي بدم الوتين

وهذا تصوير للاهلاك بالقطع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو أن يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وعن الحسن أن المعنى لقطعنا بينه ثم لقطعنا وبينه مهلة وتمثلا والباء عليه زائدة وعن ابن عباس أن اليمين بمعنى القوة والمراد أخذه بقهر وشدة وضعف بأن فيه ارتكاب مجاز من غير فائدة وأنه يفوت فيه التصوير والتفصيل والاجمال ويعير منه زائدا لا فائدة فيه وقرأ ابن كثير وابن محيصن ولو يقول مضارع قال أي ولو تقول محمد الفصول فناسب الفاعل بعض ان كان قد قرئ سر فوعا وان كان قد قرئ منصوبا فهو علينا ﴿فَمَا مِنكُم﴾ أيها الناس ﴿مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ﴾ أي عن هذا القتل وهو القتل ﴿حَاجِزِينَ﴾ أي مانعين بمعنى انا نمنع أحدا من انتهاكه واستظهر هو وضمير عنه للقول والمعنى فما يحول أحد بيننا وبينه والظاهر في حاجزين أن يكون خبرا لما على لغة الحجازيين لانه هو غلط الزائدة ومن زائدة واحد اسمها ومنكم قيل في موضع الحال منه لانه لو تأخر لكان صفة له فلما تقدم انعرب حالا كما هو المتبادر في نحو النكرة اذا تقدم عليها ونظر في ذلك وقيل لبيان أو متعلق بحاجزين كما تقول ما فيك زيد راغبا ولا يمنع هذا الفصل من النصاب خبر ما وقال الحوفي وغيره ان حاجزين نعت لاحد وجمع على المعنى لان في معنى الجماعة يمنع في النفي العام الواحد والجمع والذكر والمؤنث ومنه لا أخرى بين أحد من رجالكن لا أحد من النساء فاحد مبتدأ والخبر منكم وضعف هذا القول بأن النفي يتسلط على الخبر وهو كون منكم فلا يتسلط على الحجز مع أن الطريق يتسلط عليه ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لانهم المنتفعون به ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ فنجازيهم على تكذيبهم وقيل الخطاب للمصلين والمعنى ان منهم لمن سيكذبون القرآن ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ﴾ عظيمة ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ حين مشاهدتهم ثواب المؤمنين وقال مقاتل وان تكذيبهم القرآن لحسرة عليهم فاعاد الضمير المصدر المفهوم من قوله تعالى مكذبين والاول أظهر

Marfat.com

(وَإِنَّهُ) أي القرآن (لَحَقُّ الْيَقِينِ) أي اليقين حق اليقين والفرق بين اليقين واليقين نحو عين الشيء ونفسه والاضافة بمعنى اللام على ما صرح به في الكشف ويجوز أن تكون الاضافة فيه على معنى من أي الحق الثابت من اليقين وقد تقدم في الواقعة ما ينفعك هنا فتذكره وذكر بعض الصوفية قدست أسرارهم أن أهل مراتب العلم حق اليقين ودونه عين اليقين ودونه علم اليقين فالاول كعلم العاقل بالموت اذا غافه والثاني كيقين به عند معاينة ملائكته عليهم السلام والثالث كعلمه به في سائر أوقاته وتمام الكلام في ذلك يطلب من كتبهم (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) أي فسبح الله تعالى بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالقول عليه وشكرا على ما أوحى اليك من هذا القرآن الجليل الشأن وقد مر نحو هذا في الواقعة أيضا فارجع اليه ان أردت والله تعالى الموفق

(سورة المعارج)

وتسمى سورة الواقع وسورة سأل وهي مكية بالاتفاق على ما قال القرطبي وفي مجمع البيان عند الحسن الا قوله تعالى والذين في أموالهم حق معلوم وآيها ثلاث واربعون في المدني والشامي وأربعون في غيره وهي كالتتمة لسورة الحاقة في بقية وصف القيامة والنار وقد قال ابن عباس لما نزلت عقيب سورة الحاقة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) أي دعا داع به فالسؤال بمعنى الدعاء ولذا عدي بالباء تعديته يا في قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة والمراد استدعاء العذاب وطلبه وليس من التضمين في شيء وقيل الفعل متضمن معنى الاهتمام والاعتناء أو هو مجاز عن ذلك فلذا عدي بالباء وقيل ان الباء زائدة وقيل انها بمعنى عن كما في قوله تعالى فاسأل به خبيرا والسائل هو النضر بن الحرث كما روى النسائي وجماعة وصححه الحاكم عن ابن عباس وروى ذلك عن ابن جريج والسدي واليهود حيث قال استكبارا واستهزاء اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل هو أبو جهل حيث قال أسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في علي كرم الله تعالى وجهه من كنت مولاه فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حقا فأمطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من أسفله فهلك من ساعته وأنت تعلم ان ذلك القول منه عليه الصلاة والسلام في أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه كان في غدير خم وذلك في أواخر حجة الحجيرة فلا يكون ما نزل مكيا على الجمهور في تفسيره وقد سمعت ما قيل في مكية هذه السورة وقيل هو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم استعجل عذابهم وقيل هو نوح عليه السلام سأل عذاب قومه وقرأ نافع وابن عامر سال بألف كفضل سايل بياء بعد الالف فقيل يجوز أن يكون قد أبدلت همزة الفعل ألفا وهو يدل على غير قياس وأما قياس هذا بين وبين ويجوز أن يكون على لغة من قال سلت أسال حكاها سيبويه وفي الكشاف هو من السؤال وهو لغة قريش يقولون سلت تسأل وهما يتسايلان وأراد انه من السؤال المهموز معنى لا اشتقاقا يدل على ذلك سايل وفيه دلالة على انه لا حرف بين الياء وليس من تخفيف الهمزة في شيء وقيل السوال بالواو الصريحة مع ضم السين وكسرها وقوله يتسايلان سوال يتساولان فتكون ألفه منقلبة عن واو كما في قال وخاف وهو الذي ذهب اليه أبو علي في الحجة وذكر فيها ان أبا عثمان حكى عن أبي زيد انه سمع من

Marfat.com

العرب من يقولها يتساوى الان ثم ان في دعوى أون سئلت السائلة قريش تردد والظاهر خلاف ذلك وأقصد ا لورود سأل قول حسان يجوز عذيلا لما سألوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يبيح لهم الزنا

سألت هذيل رسول الله فاحشة ● ضلت هذيل بما قالت ولم تصب

وقول آخر سائلتاني الطلاق أن رأتاني ● قل مالي قد جئتماني بنكر

ويجوز أن يكون سأل من السؤال وأبدل قراءة ابن عباس سال سيل فقد قال ابن جني السيل هنا الماء السائل وأصله المصدر من قولك سال الماء سيلا الا انه أوقع على الفاعل كما في قوله تعالى ان أصبح ماؤكم غورا أي غائرا وقد اسلموا مع في التعبير من ذلك بالوادي فقيل للتدفع وادبعذاب واقع والتعبير بالماضي قيل للدلالة على تحقق وقوع العذاب إما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر وقد قتل يومئذ النضر وأبو جهل وأما في الآخرة وهو عذاب النار وعن زيد بن ثابت أن سائلا اسم واد في جهنم وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد عن ابن عباس ما يحتمله (لِّلْكَافِرِينَ) صفة أخرى لعذاب أي كائن للكافرين أو صلة لواقع واللام للتعليل أو بمعنى على ويؤيده قراءة أبي على الكافرين وان صح ما روى عن الحسن وقتادة ان أهل مكة لما خوفهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعذاب سألوا عنه على من ينزل وبمن يقع فنزلت كان هذا إيقاد كلام جوابا للسائل أي هو للكافرين وقوله تعالى (لَّيْسَ لَهُ دَافِعٌ) صفة أخرى لعذاب أو حال منه لتخصيصه بالصفة أو بالعمل أو من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب على ما قيل أو استئناف أو جملة مؤكدة نحو للكافرين على ما سمعت آنفا فلا تغفل وقوله سبحانه (مِّنَ اللَّهِ) متعلق بدافع ومن ابتدائية أي ليس له دافع يرده من جهته عز وجل لتعلق إرادته سبحانه به وقيل متعلق بواقع فقيل انما يصح على قول الحسن وقتادة وعليه يلزم الفصل بالأجنبي لان للكافرين على ذلك جواب سؤال تم ان التعلق بواقع على ما معنا قوله فان جعل للكافرين من صلته أيضا كان الظهر وإلا لزم الفصل بين المعمول وعامله بما ليس من تتمته لكن ليس أجنبيا من كل وجه (ذِي الْمَعَارِجِ) عن لمعارج درجات والمراد بها على ما روى عن ابن عباس السموات تعرج فيها الملائكة من سماء الى سماء وبه يشعر بعضهم فقال أي ذي المصاعد التي تصعد فيها الملائكة بالأوامر والنواهي وقيل هي مقامات معنوية تكون فيها الأعمال والأذكار أو مراتب في السلوك كذلك يترقى فيها المؤمنون السالكون أو مراتب للملائكة عليهم السلام وأخرج عبد بن حميد عن قتادة تفسيرها بالفضائل والنعم وروى نحوه ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس وقيل هي الغرف التي جعلها الله تعالى لأوليائه في الجنة والأنسب بما يقتضيه المقام من التهويل ما هو أعلى على عزه عز وجل وعظم ملكوته تعالى شأنه (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ) أي جبريل عليه السلام كما ذهب اليه الجمهور أفرده بالذكر تنبيها على فضله بناء على المشهور من أنه عليه السلام افضل الملائكة وقيل لغير التشريف وان لم يكن عليه السلام أفضلهم بناء على ما قيل من ان اسرافيل عليه السلام أفضل منه وقال مجاهد الروح ملائكة حفظة للملائكة الحافظين لبني آدم لا ترهم الحفظة كما لا نرى نحن حفظنا وقيل خلق على صورهم حفظة للملائكة مطلقا كما أن للملائكة حفظة الناس وقيل ملك عظيم الخلقة يقوم وحده يوم القيامة صفا وبقوم الملائكة كلهم صفا وقال أبو صالح خلق كهيئة الناس وليسوا بالناس وقال قيمة بن ذؤيب روح الميت حين تقبض ونفسه أراد الميت المؤمن وقرأ عبد الله والكسائي وابن مقسم وزائدة عن الأعمش يعرج بالياء التحتية (إِلَيْهِ) قيل أي الى عرشه تعالى وحيث يحيط علمه أو امره سبحانه وليس هو من قبيل قول ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي أي الى

حيث

Marfat.com

حيث أسرى عز وجل به وقيل الراد الى محل يره وكرامته جل وعلا على ان الكلام على حذف مضاف وقيل الى المكان الذي اليه المآل عليه السلام وفسر بمحل الملائكة عليهم السلام من السماء ومعظم السلف يمتنعون ذلك من التشابه مع تنزيهه عز وجل عن المكان والجسمية واللوازم التي لا تليق بشأن الالوهية وقوله تعالى (في يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) أي من سنيكم الظاهر فمثله يخرج واليوم بعض الوقت والراد به مقدار ما يقوم الناس فيه لرب العالمين الى ان يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار من اليوم الآخر والذي لا نهاية له ويشير الى هذا ما أخرج الامام أحمد وابن حبان وأبو يعلى وابن جرير والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا واختلف في الراد بهذا التقدير على هذا الوجه فقيل الاشارة الى استطالة ذلك اليوم لشدته لأنه بهذا القدار من العدد حقيقة وروى هذا عن ابن عباس والعرب تصف أوقات الشدة والحزن بالطول وأوقات الرخاء والفرح بالقصر ومن ذلك قول الشاعر

من قصر الليل اذا زرتني ✿ أشكو وتشكين من الطول

وقوله ليلي وليلى ثم تومي اختلافهما ✿ بالطول والطول باطويل لو امتدلا

يجور بالطول ليلي كلما بخلت ✿ بالطول ليل وان جادت به بخلا

وقوله ويوم كظل الرمح قصر طوله ✿ دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

الى ما لا يكاد يحصى وفي قوله عليه الصلاة والسلام في الخبر السابق انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من صلاة مكتوبة اشارة الى هذا وكذا ما روى عن عبد الله بن عمر من قوله يوضع للمؤمنين يومئذ كراسي من ذهب ويظل عليهم الغمام ويقصر عليهم ذلك اليوم ويهون حتى يكون كوقت من أيامكم هذه ولينظر على هذا القول ما حكمة التعبير على العدد المذكور وقيل هو على ظاهره وحقيقته وان في ذلك اليوم خمسين موطنا كل موطن ألف سنة من سني الدنيا أي حقيقة وقيل الخمسون على حقيقتها الا ان الذي مقدار ما يقضي فيه من الحساب قدر ما يقضي بالعدل في خمسين ألف سنة من أيام الدنيا وهو مروي عن عكرمة وأنكر بعضهم ان المقدار المذكور عليه مجاز عما يلزمه من كثرة ما يقع فيه من المحاسبات أو كناية فكأنه قيل في يوم يكثر فيه الحساب وطول بحيث لو وقع من غير أسرع المحاسبين في الدنيا طال الى خمسين ألف سنة وتخصيص عروج الملائكة والروح بذلك اليوم مع ان عروجهم متحقق في غيره أيضا للاشارة الى عظم هوله وانقطاع الخلق فيه الى الله عز وجل وانتظارهم أمره سبحانه فيهم أو للاشارة الى عظم الطول على وجه آخر وأيا كان فاجلة استئناف مؤكد لما سبق له الكلام وقيل هو متعلق بواقع وقيل بدافع وقيل بسأل اذا جعل من السؤال لأنه من السؤال لأنه لم يقع فيه والراد باليوم على هذه الأقوال ما أريد به فيما سبق ويعرج الملائكة والروح اليه مستطرد عند وصفه عز وجل بذي المعارج وقيل هو متعلق بتعرج كما هو الظاهر الا أن العروج في الدنيا والعلى تعرج الملائكة والروح الى عرشه تعالى ويقطعون في يوم من أيامكم يقطعه الانسان في خمسين ألف سنة أمر شديد فيه وروى عن ابن اسحق ومقاتل سيدرجا صعودا فاهرا وروى عن ابن عباس أيضا واختلف في تحديد المسافة فقيل هي من وجه الأرض الى منتهى العرش وقيل من قعر الأرض السابعة السفلى الى العرش وفصل بان

Marfat.com

تحتى في أرض خسمائة عام وبين كل ارضين خسمائة عام وبين الأرض العليا والسماء الدنيا خسمائة عام وبين كل سماء كذلك وما بين كل سماءين كذلك وما بين السماء العليا ومقعد الكرسي كذلك والجموع ذلك أربعة عشر الف عام ومن مقعد الكرسي الى العرش مسيرة ست وثلاثين الف عام فالمجموع خمسون الف سنة وفي خبر أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس نحوه ولعله لا يصح وان لم نبعد هذه المسافة من الملائكة عليهم السلام عند من وقف على سرعة حركة الأضواء وعلم أن الله عز وجل على كل شيء قدير ومن الناس من اعتبر هذه المدة من الأرض الى العرش عروجا وهبوطا واعتبرها كذلك من الأرض الى مقر السماء الدنيا في قوله سبحانه يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة ومن يعتبر أحد الأمرين يعتبر هنا نحوه بين السماء الدنيا والأرض وسيأتي ان شاء الله تعالى ما للمتصوفة في ذلك وقيل الكلام بيان غاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على سبيل التمثيل والتخييل والمراد انها في غاية البعد والارتفاع المنوي على بعض الأوجه في المعارج أو المسمى كما في بعض آخر وليس المراد التحديد وعن عكرمة أن تلك المدة هي مدة الدنيا منذ خلقت الى أن تقوم الساعة الا أنه لا يدري أحد ماضي منها وما بقي أي تعرج الملائكة اليه في مدة الدنيا وبقاء هذه البنية وهذا يحتاج الى نقل صحيح والظاهر انه أراد بالدنيا مقابل الأخرى ويشمل العرش ونحوه ورده عليه ان ما ورد عن علي كرم الله تعالى وجهه جوابا لمن سأله متى خلق الله تعالى العرش يكذبه فانه يدل على ان ما مضى من أول زمن خلقه الى اليوم يزيد على خمسين الف سنة بالوف ألوف سنين لا يحصيها الا الله عز وجل وانه اولى بالقبول مما قاله مكرمة والحق انه لا يعلم مبدأ الخلق ولا مدة بقاء هذه البنية الا الله عز وجل ويدأنا نعلم بتوفيق الله تعالى ان هذا العالم حادث معدوم زمانيا وانه ستبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرز الخلائق لله تعالى الواحد القهار ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ متفرع على قوله تعالى سأل سائل ومتعلق به تعلقا معنويا لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بناء على ان السائل النضر وأضرابه وذلك مما يضجره عليه الصلاة والسلام أو كان عن تضجر واستبطاء للنصر بناء على انه صلى الله تعالى عليه وسلم هو السائل فكأنه قيل فاصبر ولا تستعجل فان الموعود كائن لا محالة والفاء على هذا أيضا على قراءة من قرأ سأل سائل من السيلان كقراءة سال سيل ولا يظهر تفرعه على سأل من السؤال ان كان السائل نوحا عليه السلام والصبر الجميل على ما أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن ابن عباس ما لا شكوى فيه الى أحد غير الله تعالى وأخرج عن عبد الأعلى بن الحجاج انه ما يكون معه صاحب المصيبة في القوم بحيث لا يدري من هو ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ أي العذاب الواقع أو اليوم المذكور في قوله تعالى في يوم كان مقداره الخ بناء على ان المراد به يوم الحساب متعلقا بمتضرع على ما سمعت أولا أو بواقع أو بسأل من السيلان أو يوم القيامة المدلول عليه بواقع على وجه قد يدل عليه كلام الكشاف من تخصيص عود الضمير الى يوم القيامة بما اذا كان في يوم يتعلقا بواقع فيه بحث ومتى يرونه يختلفونه ﴿بَعِيدًا﴾ أي من الامكان والمراد أنهم يستبعدون وقوعه لجهلهم أو من الوقوع والمراد انهم يستبعدون أنه لا يقع أصلا وان كان ممكنا ذاتا ولازم ذلك فعل ممكنا بالنسبة الى يوم القيامة والحساب لتنزل الامرين بل ربما تسميهم يستبعدون بالنظر بمعرفتهم حيث يزعمون ان آلهتهم تدفع عنهم ما يخوفون في امره لكون العذاب ان اريد به عذاب يوم القيامة فهو ليوم القيامة عندهم الوان لا يقع بالنسبة اليهم بمقتضى زعمهم دفع آلهتهم اياه عنهم وان أريد به عذاب الدنيا فالظاهر انهم لا يتخون امكانه واذا يتخون وقوعه ولا امكان تتم دعوى انهم يتخون امكانه الذاتي ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ أي من الامكان والتعبير به للمشاكلة كما قيل

Marfat.com

يا في تراه اذ هو ممكن ولا معنى لوصف الممكن بالقرب من الامكان لدخوله في حيزه والمراد وصفه بالامكان أي وتراه ممكنا وهسذا على التقدير الاول في يرونه بعيدا أو تراه قريبا من الوقوع وهذا على التقدير الثاني فيه وقد يقال كذلك على الاول أيضا على معنى انهم يرونه بعيدا من الامكان ونحن نراه قريبا من الوقوع فضلا عن الامكان والمعنى أولى من تقدير الامكان في الجانبين وجعلهم اليأس علة للامر بالصبر وقيل ان كان للتعجيل هو النصر وأضرابه فهي مسألة بالنسبة لاستبعادهم ووجوبا منه وان كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهي لعلل الماضين الامر بالصبر من تراءا الاستعجال بان رؤيتهذلك قريبا توجب الوثوق وترك الاستعجال وقوله سبحانه (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ) قيل متعلق بقريبا أو يضمر يدل عليه والفعل وهو يقع أو بدل من في يرونه على به دون تعرج والنصب باضماران على الجار والمجرور ذلك اذليس بدلا من الضمير وحده فاشتراط أبي حيان قراءة الفعل كون الجار زائدا أو شبه كرب غير صحيح ولا يحتاج تصحيح البدلية الى التزام كون حركة يوم بناءية بناء على مذهب الكوفيين الجوزين لذلك وان أضيف لمعرب وذكر أنه على هسذه التقادير الثلاث الراد بالعذاب عذاب القيامة وأما اذا أريد عذاب الدنيا فيتعين أن يكون التقدير يوم تكون السماء يكون كيت وكيت ولانهم لما استعجلوا العذاب اجيبوا بأن الوقوع ثم قيل ليس ذلك في جنب ما أعد لكم يوم تكون السماء كالمهل فحينئذ يكون العذاب الذي هو العذاب ثم لا يخفى أن البدلية ممكنة على تقدير تعلق في يوم يخرج أيضا بناء على أن المراد به يوم القيامة أيضا كما قدمنا وأن الاولى عند تعلقه بقريبا أن لا يراد من القرب من الامكان الاحتمال الثاني لما في تقييده باليوم نوع ايهام وأن ضميري يرونه وتراه اذا كانا ليوم القيامة يلزم وقوع الزمان في الزمان في قولنا يقع يوم القيامة يوم تكون كالمهل ويجاب بما لا يخفى وجوز في البحر كونه بدلا من ضمير تراه اذا كان عائدا على يوم القيامة وفي الارشاد كونه منصلا بما يؤيس له دافع وبعضهم كونه مفعولا به لاذكر محذوفا وتعلقه بتراه كما قاله مكي لا تراه وكذا تعلقه بيصروونهم كما حكاه ومنشأه ما معنى أن يقال متعلقه يود الآتي بعيد فتأمل والمهل أخرج أحمد والضياء في المختارة وغيرهما عن ابن عباس انه دردي الزيت وهو ما يكون في قعره وقال غير واحد المهل ما اذيب على مهل من الفلزات والمراد يوم تكون السماء واهية وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في الآية ان السماء الآن خضراء وانها تحول يوم القيامة لونا آخر الى الحمرة (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) كالصوف المنفوش عليه او الاحمر او المصبوغ الوانا الاول واختار جمع الاخير وذلك لاختلاف الوان الجبال فيها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن اى المنفوش كما في القارعة اذا طيرته الريح وعن الحسن تسير الجبال مع الرياح ثم يبد ثم تصير كالعهن ثم تنسف فتصير هباء (وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا) اى لا يسأل قريب مشفق قريبا مشفقا عن حاله ولا يكلمه لانشغال كل منهم بما يعنيه عن ذلك اخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد عن قتادة وفي رواية اخرى عنه لا يسأله عن حاله لانها ظاهرة وقيل لا يسأله أن يحمل عنه من أوزاره شيئا لما يسه من ذلك وقيل لا يسأله شفاعة وفي البحر لا يسأله نصره ولا منعت لعلمه أنه لا يجد ذلك عنده والمسئول الاول أبلغ في التهويل وأيما كان فقوله يسأل الثاني محذوف وقيل حميما منصوب بنزع الخافض أي لا يسأل حميم عن حميم وقرأ أبو حيوة وشيبة وأبو جعفر والزهري بخلاف عن ثلاثتهم ولا يسأل مبنيا للمفعول أي لا يطلب من حميم حميم ولا يكلف احضاره أولا يسأل منه حاله وقيل لا يسئل ثقوب حميمه ليؤخذ بها (يُبَصَّرُونَهُمْ) أي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما يشهم من التنازل الا انتفاء المجال أو تفهيم وقيل ما يغني عنه من مشاهدة

Marfat.com

الخال كبياض الوجه وسواده ولا يخفى حاله ويبصرونهم قبل من يبصره بالنبي اذا أوضحته له حتى يبصره ثم ضمن معنى التعريف أو حذف الصلة ايضا لا وجع الضميرين لعموم الجميع والجملة استئناف كأنه لما قيل لا يسأل أحد قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ويجوز أن تكون صفة أي حميما مبصرين معرفين اياهم وأن تكون حالا اما من الفاعل أو من المفعول أو من كليهما ولا يضر التذكير لكون الحميم وهو مسوغ الحالية ورجحت على الوصفية بأن التقييد بالوصف في مقام الاطلاق والتعميم غير مناسب وليس فيها ذلك فلا تغفل وقرأ قتادة يبصرونهم مخففا مع كسر الصاد اي يشاهدونهم ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ اي يتمنى الكافر وقيل ال مغاب وقوله تعالى ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ اى العذاب الذى نزل به يومئذ ﴿بِبَنِيهِ وَصَٰحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب ويشبك منهاوها بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الخ والجملة استئناف لبيان ان امتثال المجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى أن يفتدي بأقرب الناس اليه وأعظمهم بقابه فضلا أن يهتم بحاله ويسأل عنها ويجوز أن تكون حالا من ضمير الفاعل على فرض أن يكون هو السائل فان فرض أن السائل المفعول فهي حال من ضميره وقيل الظاهر جعلها حالا من ضمير الفاعل لانه المتبنى وأيضا كان فالمراد يود المجرم منهم وقرأ نافع والكسائي في أنوار التنزيل والاعرج يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن وقرأ أبو حيوة كذلك وبتنوين عذاب فيومئذ حينئذ منصوب بعذاب لانه في معنى تعذيب ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ أي عشيرته الاقربين الذين فصل عنهم كما ذكره غير واحد ولك من قول الراغب عشيرته المنفصلة عنه وقال ثعلب فصيلته آباؤه الادنون وفسر أبو عبيدة الفصيلة بالفخذ ﴿ٱلَّتِى تُـْوِيهِ﴾ أي تضمه اشمالها أولها ذابها في النوائب ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الثقلين الانس والجن أو الخلائق العاقلة فيدخل فيهم من التغليب ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ معطوف على يفتدي والضمير المرفوع المصدر الذي في ضمن الفعل أي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء ويجوز أبو حيان عود الضمير الى المذكور والمرفوع عوده الى من في الأرض وثم الاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده ويطعم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وعيبات وقرأ الزهري تؤويه وينجيه بضم الهاءين ﴿كَلَّا﴾ ردع للمجرم عن الوداد والتصريح بامتناع الانجاء وضمير ﴿إِنَّهَا﴾ للنار الدلول عليها بذكر العذاب وقوله تعالى ﴿لَظَىٰ﴾ خبر ان وهي علم لجهنم أو للدركة الثانية من دركاتها مشتق من اللظى بمعنى اللهب الخالص ومنع الصرف للعلمية والتأنيث ويجوز أن يراد اللهب على الجملة كان لها لهب خالص وحذف التنوين اما لاجراء الوصل مجرى الوقف أو لانه علم جنس معدول عن لهاب اللام كقعدر اذا أردت سحرا بعينه وقوله تعالى ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ أي الاطراف كاليد والرجل كما أخرجه ابن المنذر وابن عبد عن مجاهد وأبي صالح وقاله الراغب وغيره وقيل الاعضاء التي ليست بمقتل والجائل رس فالنوى اذا لم يقتل أو جمع شواة وهي جلدة الرأس وأنشدوا قول الاعمى

قالت قتيلة مالك * فأجبتها شيباتوك

وروى هذا عن ابن عباس وقتادة وقرة بن خالد وابن جبير وأخرجه ابن أبي شيبة عن مجاهد وأخرج هو عن أبي صالح والسدي تفسيرها بلحم الساقين وعن ابن جبير العصب والعقب وعن أبي العالية عظام الوجه وفسر نزعها لذلك بالبابها له فتاكله ثم يعود وهكذا نصب بتقدير أعني أو أخص وهو مراد من قال نصب على الاختصاص للتهويل ويجوز ان يكون حالا والعامل فيها لظى وان كان علما فيها فيه من

Marfat.com

معنى التلقي كما مر في الظرف في قوله

* أتا ابن دارة معروفا بها نسبي * وهل بدارة يا للناس من عار

والمعنى أعدها والخبر الثاني يسمى أو المبتدأ أضمت معنى التنبيه أو معنى إيلاء وارتضاه الرضي وقيل حال من ضمير تدعو فهو عليه وجوز الزمخشري أن يكون ضمير الهاء ما ترجع منه الخبر أعني الظي ويحتمل أن يكون ضمير الشأن وقرأ الأكثرون نزاعة بالرفع على أنه خبر لأن أو صفة للظى وهو ظاهر على اعتبار كونها نكرة وكذا على كونها علم جنس لأنه لا فرق بين العلم الجنسي في اجراء العرى النكرة أو هو الخبر والظى بدل من الضمير وان اعتبر تنكيره فيبدل على أن بدل النكرة غير متسوغ بدون الصفة فقد أجازه الرضي وغيره من النحاة لما تضمن فائدة كما هو موجود على هذه القراءة ان يكون ضمير انها قصة والظى مبتدأ بناء على أنه معرفة ونزاعة خبره وقوله تعالى (تَدْعُوا) خبر مبتدأ مقدر أو حال متداخلة أو مترادفة أو مفردة أو خبر بعد خبر على قراءة الرفع فالاشتمال والبدلية على حقيقتهما وذلك كما روى عن ابن عباس وغيره يخلق الله تعالى فيها القدرة على الكلام كما يخلقه في جلودهم وأيديهم وأرجلهم فتناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وروى أنها تقول لهم الى الي يا كافر يا منافق ويجوز ان يراد به الجذب والاحضار كما في قولهم ذرية بعض الشر بعض

أسبي بوهين عجالاً لرنعة * من ذي الغوارس تدعو أنفه الرتب

ونحو قوله أيضا لبالي الهوى يطيفي فأتبعه * مكاكي ضارب في غرة الشهب

ولا يبعد أن يقال شبه إتيانها لهم أو استعدادهم لها على ما قيل بدعائها لهم فعبر عن ذلك بالدعاء على سبيل الاستعارة وقال ثعلب تدعو بك من قولهم العرب دعاك الله تعالى أي أماتك كذا حكاه الخليل عنهم وفي الأساس دعاه الله تعالى بما يكره أتاه به وأصابهم دواعي الدهر صروفه ومن ذلك قوله

دعاك الله من رجل بأفعى * اذا نادا البيون سرت عليكا

واستظهر انه معنى حقيقي للدعاء لكنه غير مشهور وفيه تردد وجوز ان يكون الدعاء لازمها وأسند اليها مجازا أو الكلام على تقدير مضاف أي تدعو زبانيتها (مَنْ أَدْبَرَ) في الدنيا عن الحق (وَتَوَلَّى) اعرض عن الطاعة (وَجَمَعَ فَأَوْعَى) اى جمع المال فجعله في وعاء وأكثر مرارا يؤد حقوقه وتشاغل به عن الدين إما باقتنائه حراما وتأثيلا وهذا اشارة الى كفار العباد ومعاملوف عبدالله بن مكيم فقد اخرج ابن سعيد عن الحكم ابن عتيبة قال كان عبدالله بن مكيم لا يربط كيسه ويقول سمعت الله تعالى يقول وجمع فاوعى (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلوع سريعة السير وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وغيرهما عن عكرمة قال سئل ابن عباس عن الهلوع فقال هو كما قال الله تعالى (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ) الخ واخرج ابن المنذر عن الحسن انه سئل عن ذلك ايضا فقرأ الآية وحكى نحوه عن ثعلب قال قال في محمد بن عبدالله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله تعالى ولا يكون لتفسير ابين من تفسيره سبحانه يعني قوله تعالى اذا مسه الآية ونظير ذلك قوله

الا ليت الذي يظن بك الظـ * ـن كان قد رأى وقد سمعا

والجملة المؤكدة في موضع التعليل لما قبلها والانسان الجنس أو الكافر قولان أيد ثانيهما بما روى

Marfat.com

الطبري عن ابن عباس ان الآية في أبي جهل بن هشام ولا يأبى ذلك ارادة الجنس والشر الفقر والمرض ونحوهما وأل للجنس أي اذا مسه جنس الشر (جَزُوعًا) أي مبالغا في الجزع مكثرا منه والجزع قال الراغب أبلغ من الحزن فان الحزن عام والجزع حزن يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطعه عنه وأصله قطع الحبل من نصفه يقال جزعه فانجزع وتصور الانقطاع فيه قيل لجزع الوادي لمنقطعه والانقطاع اللون بتغير، قيل للخرز أنملون جزع ومنه استير قولهم لحم مجزع اذا كان داكنا وقيل للبسرة اذا بلغ الارطاب نصفها مجزعة (وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ) المال والغنى أو الصحة (مَنُوعًا) مبالغا في المنع والامساك واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية ظرف لمنوعا والوصفان على ما اختاره بعض الاجلة صفتان لاشفان لمنوعا الواقع حالا ﴿ هو الانسب بما سمعت عن ابن عباس وغيره وقال غير واحد الاوصاف الثلاثة أحوال قبل مفارقة ان أريد اتصاف الانسان بذلك بالفعل فانه في حال الخلق لم يكن كذلك وانما حصل لهذلك بعد تمام عقله ودخوله تحت التكليف وحقيقة ان أريد اتصافه بعد هذه الامور من الامور الجبلية والطبائع الكلية المندرجة فيها تلك الصفات بالقوة ولا مانع عند أهل الحق من خلقه تعالى الانسان وطبعه سبحانه اياه على ذلك وفي زوالها بعد خلاف فقيل انها تزول بالمعالجة والولاء لم يكن لقبح منها والنبي عنها فائدة وهي ليست من لوازم الانسانية فالله تعالى كما خلقها يزيلها وقيل انها لا تزول وانما تستر وتمنع الزء من آثارها الظاهرة كما قيل ◻ والطبع في الانسان لا يتغير ◻ وهذا الخلاف جار في جميع الامور الطبيعية وقال بعضهم الامور الثابتة منها لاصل المزاج لا تتغير والثابتة لمرضه قد تتغير وذهب الزمخشري الى أن في الكلام استعارة فقال المعنى ان الانسان لابتاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما مطبوع وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري كقوله تعالى (خلق الانسان من عجل) الا ان في البطن والبخل يمكن به علم ولانه ذم والله تعالى لا يذم فعله سبحانه والقائل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها على المكاره وخلقوها من الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وتعقب بانه في الهند أطلع وأطلع فيسرع الى الشدى ويحرص على الرضاع وان مسه أدنى جزع وبكى وان تمسك بشيء فزوحم عليه منع بما في قدرته من الضعر ابويكاد وفي البطن لا يعلم حاله وأيضا الاسم يقع عليه بعد الوضع فما بعده هو المتبر وان الذم من حيث القيام بالعبد كما حقق في موضعه وان الاستثناء إنما منقطع لانه لما وصف سبحانه من أمر وتوق ممالا يليه وجزعه قال تعالى لكن المصلين في مقابلتهم أولئك في جنات ثم كر على السابق وقال قال الذين آمنوا بالغاء تخصيصا بعد تعميم ورجعا الى بدء لانهم من المستثنين الذين افتتح السورة بذكر سؤالهم أو متصل على أنهم لم يستمر خلقهم على الطبع فان الاول لما كان ممايلا لانسان بمقتضاه خلقا مستمرا على الطبع والجزع الا المصلين فانهم لم يستمر خلقهم على ذلك فلا يرد ان الطبع الذي في اليد لو كان مرادا لما صح استثناء المصلين لانهم كغيرهم في حال الصلوة التي وهذا الاستثناء هو ما تضمنه قوله تعالى (إِلَّا الْمُصَلِّينَ) الموقد وصفهم سبحانه بما ينبيء عن كمال تنزههم عن الطبع من الاستغراق في طاعة الخلق عز وجل والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل فقال عز من قائل (الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) أي مواظبون على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بغيره من النوافل وفيه اشارة الى فضل المداومة على العبادة وقد أخرج ابن حبان عن أبي سلمة قال حدثتني عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خذوا من العمل ما تطيقون فان الله تعالى لا يمل حتى تملوا قالت فكان أحب الاعمال الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما داوم عليه وان قل وكان اذا صلى صلاة دام عليها

Marfat.com

وقرأ أبو سفيان الذين هم على صلاتهم يداومون وأخرج أحمد في مسنده عنها أنها قالت كان عليه السلام إذا قال على شيء صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة قال جابر الله أي ما فعل من أفضل الطير الأولاد اعتاد ذلك وبلغه كما جاء وقد روي بإن الصلاة التي يستمر عليها الشخص ثم في جعله نفس الحالة ما لا يخفى من المبالغة والدلالة على أنه كان ملكة له عليه الصلاة والسلام وقيل داءمون أي لا يلتفتون فيها ومنه الدائم وروى ذلك عن عمران بن حصين والشعبي عليه عامر أخرج ابن المنذر عن أبي الطير أن عقبة قال لهم من الذين هم على صلاتهم داءمون قال لنا الذين لا يزالون يصلون فقال لا ولكن الذين إذا صلوا لم يلتفتوا عن يمين ولا شمال وإليه ذهب الزجاج فتضمر الآية ذم الالتفات في الصلاة وقد تعالت الأخبار بذلك واستعمل معظم بها على أنه كبيرة وتغليظ في الزواجر وعن ابن مسعود ومسروق ان دوامها أداؤها في مواقيتها وهو كما ترى ولعل ترك الالتفات والأداء في الوقت يتضمنه ما يأتي من المحافظة ان شاء الله تعالى والمراد بالصلاة على ما أخرج عبد بن حميد عن إبراهيم التيمي الصلاة المكتوبة وعن الامام أبي جعفر رضي الله تعالى عنه ان المراد بها النافلة وقيل ما أمروا به مطلقا منها وقرأ الحسن صلواتهم بالجمع (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ) أي نصيب معين يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس وهو على ما روى عن الامام أبي عبد الله رضي الله تعالى عنه ما يوظفه الرجل على نفسه يؤديه في كل جمعة أو كل شهر مثلا وقيل هو الزكاة لانها مقدرة معلومة وطلب بان السور مكية والزكاة فرضت وعين مقدارها في المدينة وقيل ذلك كانت مفروضة من غير تعيين (لِّلسَّائِلِ) الذي يسأل (وَالْمَحْرُومِ) الذي لا يسأل فيظن أنه غني فيحرم واستعماله في ذلك على سبيل الكناية ولا يصح أن تراد به من حرموه لأنه تقسيم لزوم التناقض كالا يخفى (وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) المراد التصديق به بالاعمال حيث يتبعون أنفسهم في الطاعات البدنية طمعا في المثوبة الاخروية لان التصديق القلبي عام لجميع المكلفين لا امتياز فيه لاحد منهم وفي التعبير بالمضارع دلالة على أن التصديق والاعمال تتجدد منهم آنا فآنا (وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ) خائفون على أنفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استصغارا لها واستقلالا لجنابه عز وجل لكونه تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون وقوله سبحانه (إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ) اعتراض موكد بأنه لا ينبغي لاحد ان يأمن عذابه عز وجل وان بالغ في الطاعات فهو لا محالة كان السلف الصالح وهم خائفون وجلون حتى قال بعضهم يا ليتني كنت شجرة تعضد وآخر ليتني إذا مت لم أبعث الى غير ذلك (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) سبق نظيره في سورة المؤمنين على وجه مستوفى فتذكر (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) لا يخونون بأي من جوقها وأنواعها لكثرة الأمانات جمعت وليجمع العهد قيل إنما جاء به ليس كالامانة كثرة وقيل لانه مصدر وبدل على كثرة الأمانة ما روى الكلبي قال أحد عشر من ما افترض عليه من الطاعات والأقوال والأحوال والأفعال ومن الحقوق في الأموال وحقوق الأهل والعيال وسائر الأقارب والمملوكين والجار وسائر المسلمين وقال السدي ان حقوق الشرع كلها أمانات قد قبلها المؤمن وضمن أداءها بقبول الايمان وقيل كل ما أعطاه الله تعالى للعبد من الاعضاء وغيرها أمانة عنده فمن استعمل ذلك في غير ما أعطاه لاجله وأذن سبحانه له به فقد خان الامانة والخيانة فيها وكفا الصدر بالعهد من الكبائر على ما نص غير واحد وقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر مرفوعا أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه

Marfat.com

خصلة من النفاق حتى يدعها اذا اؤتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وأخرج البيهقي في شعب الايمان عن أنس قال ما خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له وقرأ ابن كثير لأمانتهم بالافراد على ارادة الجنس (وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ) مقيمون لها بالعدل غير منكرين لها أو لشيء منها ولا مخفين اياها لحقوق الناس فيما يتعلق بها وتعظيما لأمر الله عز وجل فيما يتعلق بحقوقه سبحانه وخص بعضهم الشهادة بما يتعلق بحقوق العباد وذكرها مندرجة في الامانات الا انها خصت بالذكر لابانة فضلها وجمعها لاختلاف الانواع ولو لم يعتبر ذلك أفرد على ما قيل لانها مصدر شامل للقليل والكثير وقرأ الجمهور بالافراد على ما سمعت آنفا (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) أي يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها باستعارة الحفظ من الضياع للاتمام والتكميل وهذا غير الدوام فانه يرجع الى أنفس الصلوات وهذا يرجع الى أحوالها فلا يتكرر مع ما سبق من قوله تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون وكأنه لما كان ما يراعى في اتمام الصلاة وتكميلها مما يتفاوت بحسب الاوقات جيء بالمضارع الدال على التجدد كذا قيل وقيل ان الاتيان به مع تقديم هم لمزيد الاعتناء بهذا الحكم لما ان أمر التقوى في مثل ذلك أقوى منه في مثل هم يحافظون واختير هذا هنا دون ما في الصدر لان المراعاة المذكورة كثيرا ما يغفل عنها وفي افتتاح الأوصاف بما يتعلق بالصلاة واختتامها به دلالة على شرفها وعلو قدرها لانها معراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ولذا جعلت قرة عين سيد المرسلين صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات ايذانا بان كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للآخر (أُولَئِكَ) اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد لبعد المشار اليهم اما في الفضل أو في الذكر باعتبار مبدأ الاوصاف المذكورة وهو مبتدأ خبره (فِي جَنَّاتٍ) أي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى (مُكْرَمُونَ) خبر آخر أو هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه للاهتمام مع مراعاة الفواصل أو مضمر هو حال من الضمير في الخبر أي مكرمون كائنين في جنات (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ) أي في الجهة التي تليك (مُهْطِعِينَ) مسرعين نحوك مادي أعناقهم اليك مقبلين بأبصارهم عليك ليظفروا بما يجعلونه هزؤا (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) جماعات في تفرقة كما قال أبو عبيدة وأنشدوا قول عبيد بن الابرص

فجاؤوا يهرعون اليه حتى • يكونوا حول منبره عزينا

وخص بعضهم في جماعة ثلاثة ثلاثة أشخاص أو أربعة جمع عزة وأصلها عزوة من العزو لأن كل فرقة تعتزي وتنتسب الى غير من تعتزي اليه الاخرى فلامها واو وقيل لامها هاء والاصل عزهة وجمعت بالواو والنون كما جمعت سنة واخواتها وتكسر العين في الجمع وتضم وقالوا عزى على فعل ولم يقولوا عزات ونصب عزين على انه حال من الذين كفروا أو من الضمير في مهطعين على التداخل وعن اليمين اما متعلق به لانه بمعنى متفرقين أو بمهطعين أي مسرعين من الجهتين أو هو حال أي كائنين من الجهتين روي انه عليه الصلاة والسلام كان يصلي عند الكعبة ويقرأ القرآن فكان المشركون يجتمعون حوله حلقا حلقا وفرقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه عليه الصلاة والسلام ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فلندخلنها قبلهم فنزلت وفي بعض الآثار ما يشعر بأن الأول أن

لا يجلس المؤمنون عزين لانه من عادة الجاهلية (أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ) أي كلا إيمان وهو انكار لقولهم ان دخل هؤلاء الجنة الخ وقرأ ابن يعمر والحسن وأبو رجاء وزيد بن علي وطلحة والفضل عن عاصم يدخل بالبناء للفاعل (كَلَّا) ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) قيل هو تعليل للردع ومن أجلية والمعنى انا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فلم يستكملوا بذلك فهو بمنزل من أن يقول مثواً الكافرين فلن أدخل أن يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وانكار البعث وكون ذلك معلوما لهم باخبار نبيهم اياه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل من إضافية والمعنى انهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس التي لم تستكمل بالايمان والطاعة ولم تتخلق باخلاق الملائكة عليهم السلام لم تستعد لدخولها فلا تطمع كافرى ومالمعنى الديار الرومية ان الاقرب كونه تعليلا مستأنفا قد سبق تمهيدا لما يعده من بيان قدرته عز وجل على أن يبدلهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما نزل عليه عليه الصلاة والسلام من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشىء بدلهم قوما آخرين فان قدرته سبحانه على ما يعلمون من النشأة الاولى حجة بينة على قدرته عز وجل على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى (فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) أي اذا كان الامر كما ذكرنا من ان خلقهم مما يعلمون وهو النطفة القذرة فلا أقسم برب المشارق والمغارب (إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ) أي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم وناتي بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم (وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) أي بمغلوبين ان أردنا ذلك لكن مشيتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم وفيه نوع بعد والاقرب كونه في معنى التعليل لكن على وجه قرر بصاحب الكشف فتدبر والمراد بالمشارق والمغارب مشارق الشمس السبعة والثلاثون ومغاربها كذلك أو مشارق ومغارب الشمس والقمر على ما روى عن عكرمة أو مشارق الكواكب ومغاربها مطلقا كما قيل وذهب بعضهم الى ان المراد رب المخلوقات بأسرها والكلام في فلا أقسم قد تقدم وقرأ قنبل فلا قسم بلا دون السم بعد القاف مسهلا وابن عيص وابو حيوة والمفضل والمطوعي عن عاصم (فَذَرْهُمْ) خلهم غير مكترث بهم (يَخُوضُوا) في باطلهم الذي من جملته ما حكى عنهم (وَيَلْعَبُوا) في دنياهم (حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) هو يوم البعث عند النفخة الثانية قوله سبحانه (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ) أي القبور قالوا بدل من يومهم وهو مفعول به ليلاقوا وتفسيره بيوم يوقنهم أو بيوم بدر أو بيوم النفخة الاولى وجعل يوم مفعولا به لمحذوف كاذكر أو مشغلا يشرطيهم ذلة مما لا يخفى ان يذهب اليه وما في الآية من معنى الغاية منسوخ بآية السيف وقرأ أبو جعفر وابن عيص يلقوا مضارع

Marfat.com

الى وروى أبو بكر عن عاصم أنه قرأ يخرجون على البناء للمفعول من الاخراج (سِرَاعًا) أي مسرعين وهو حال من مرفوع يخرجون وهو جمع سريع كظريف وظراف (كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ) وهو ما نصب فعبد من دون الله عز وجل وعبده غير واحد مفردا وأنشد قول الأعشى

وذا النصب المنصوب لا تنسك ... لعاقبة والله ربك فاعبدا

وقال بعضهم هو جمع نصاب ككتاب وكتب وقال الأخفش جمع نصب كرهن ورهن والأنصاب جمع الجمع وقرأ الجمهور نصب بفتح النون وسكون الصاد وهو اسم مفرد قيل الصنم المنصوب للعبادة أو العلم المنصوب على الطريق ليهتدى به السالك وقال أبو عمرو هو شبكة يقع فيها الصيد فيبادر اليها صاحبها مخافة أن يفلت الصيد وقيل ما ينصب علامة للنزول للطلاب وغيره وقرأ أبو عمران الجوني وعاصم نصب بفتح النون والصاد فعل بمعنى مفعول وقرأ الحسن وقتادة نصب بضم النون وسكون الصاد على أنه تخفيف نصب بضمتين أو جمع نصب بفتحتين كرهن ورهن (يُوفِضُونَ) أي يسرعون وأصل الايفاض كما قال الراغب أن يحدو من عليه الوقضة وهي الكلة فتحدخش عليه ثم استعمل في الاسراع وقيل هو مطلق الاسراع روى عن الضحاك والاكثرون على الأول والمراد أنهم يخرجون مسارعين الى الداعي يسبق بعضهم بعضاً والاسراع في السير الى المعبودات الباطلة كان عادة للمشركين وقد رأينا كثيرا من اخوانهم الذين يجددون توابيت الائمة ويحومون رضي الله تعالى عنهم كذلك وكذا عادة من خل الطريق أن يسرع الى أعلامها وعادة الجندأن يسرعوا نحو منزل الملك (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ) لعظم ما تعاقبوه ووصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها (تَرْهَقُهُمْ) تغشاهم (ذِلَّةٌ) شديدة (ذَٰلِكَ) الذي ذكر مما يلقى فيه من الاحوال الهائلة (الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) أي في الدنيا واسم الاشارة مبتدأ واليوم خبره والموصول صفته والجملة بعده صلته والعائد محذوف أي يوعدونه وقرأ عبد الرحمن بن خلاد عن داود بن صالح عن يعقوب والحسن بن عبد الرحمن عن القسام فلة بغير تنوين مضافا الى ذلك اليوم بالجر هنا واعلم أن بعض الصوفية في هذا الزمان ذكر في شأن هذا اليوم الذي أخبر الله تعالى ان مقداره خمسون ألف سنة ان المراتب أربع الملك والملكوت والجبروت واللاهوت وكل مرتبة عليا محيطة بالسفلى وأعلى منها بمقدر درجات لانها تمام المرتبة لان الله تعالى خلق الاشياء من عدم فبضات يعني من سر عدم مراتب الافلاك التسعة والعناصر في عالم بحسبه ولما ترتبت مراتب الاعداد على الاربع والالف منتهى المراتب وأقصى الغايات ولما كانت النسبة الى الرب أي الى وجهة الحق هي الغاية القصوى بالنسبة الى ما عداها ان الى ربك المنتهى كان اليوم الواحد المنسوب اليه ألفا ولما كان اليوم الروحي ألف سنة كما قال سبحانه وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون فاذا ترقى الكون واقتضت الحكمة ظهور النشأة الاخرى وبروز آثار الاسم الاعظم في مقام الاوحية في المرتبة الجامع لتمام الكون والالوان والكونات في العدد الواحد على مراتبها في الاعيان فظهر سر النون من كلمة كن لظهور فيكون فظهر الخمسون في العود كما ترى في البدء وهو قوله سبحانه كما بدأكم تعودون فكان اليوم الواحد عند ظهور الاسم الاعظم في الجنة الجامعة خمسين ألف سنة فالالف لترقي الواحد ولما كانت المراتب خمسين كان خمسين ألفا والخمسون لتفاصيل ظهور اسم الرب عند ظهور اسم الله في عالم الامر الذي هو أول مراتب التفصيل في قوله تعالى كن وان أول ظهور التفصيل خمسين لان التوحيد الظاهر في النقطة والالف والحروف والكلمة التامة والدلالة التي هي تمام الجملة انما كانت

Marfat.com

في عشرة عوالم الراتب الحيوانات أو لان الطبائع الاربع مع حصول المزاج بطيور طبيعة خامسة وبالعلم الطبيعة انما كانت في عشرة عوالم بحسبها فكان المجموع عشرين والعوالم العشرة هي عالم الامكان وعالم الفؤاد وعالم القلب وعالم العقل وعالم الروح وعالم النفس وعالم الطبيعة وعالم المادة وعالم المثال وعالم الاجسام والمحسوس في وجه الرب ووجهة الخلق في العالم الاول الذي هو الآخر تكون خمسين الف سنة انتهى فان فهمت منه معنى صحيحا فلله ذوو العقول ولا يأباه العقول فذاك والا فاحمد الله تعالى على العافية واسأله عز وجل التوفيق الوصول الى معالم التحقيق والشيخ الاكبر قدس سره أيضا تكلم في هذا المقام فمن أراده فليتتبع كتبه وليسأل الله تعالى الفتوحات وهو سبحانه ولي الطيبات

(سورة نوح عليه السلام)

مكية بالاتفاق وهي ثمان وعشرون آية في الكوفي وتسع في البصري والشامي وثلاثون فيما عداذلك ووجه اتصالها بما قبلها على ما قال الجلال السيوطي وأشار اليه غيره أنه سبحانه لما قال في سورة المعارج القادرون على أن يبدل خيرا منهم عقب تعالى بقصة قوم نوح عليه السلام للتسلية على افراقهم عن آخرهم بحيث لم يبق منهم في الارض ديار وبدل خيرا منهم فوقعت مواقع الاستدلال بالاستظهار لتلك الدعوى كما وقعت قصة أصحاب الجنة في سورة ن موقع الاستظهار لما ختم به تبارك هذا مع تواخي مطلع السورتين في ذكر العذاب الموعد به الكافرون ووجه الاتصال على قول من زعم أن السائل هو نوح عليه السلام ظاهر وفي بعض الآثار ما يدل على ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بشر بها على قومه نوح عليه السلام يوم القيامة أخرج الحاكم عن ابن عباس مرفوعا قال ان الله تعالى يدعو نوحا وقومه يوم القيامة أول الناس فيقول ماذا أجبتم نوحا فيقولون ما دعانا وما بلغنا ولا نصحنا ولا أمرنا ولا نهانا فيقول نوح عليه السلام دعوتهم يا رب دعاء فاشيا في الاولين والآخرين أنه ليبعد أذ حتى انتهى الى خاتم النبيين أحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانتسخه وقرأه وآمن به وصدقه فيقول الله عز وجل للملائكة عليهم السلام ادعوا أحمد وأمته فيدعونهم فيأتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته يسعى نورهم بين أيديهم فيقول نوح عليه السلام لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته هل تعلمون أني بلغت قومي الرسالة واجتهدت لهم بالنصيحة وجهدت أن استنقذهم من النار سرا وجهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا فيقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته نشهد بما أنصدعت الكتب في جميع ما قلتم من الصادقين فيقول قوم نوح عليه السلام وانى علمت هذا الشر أنكم ونحن أول الامم وانت آخر الامم فيقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم انا أرسلنا نوحا الى قومه حتى يختم السورة فاذا ختمها قالت أمته نشهد إن هذا لهو النصح الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فيقول الله عز وجل عند ذلك امتازوا اليوم أيها المجرمون

(بسم الله الرحمن الرحيم إنا أرسلنا نوحا) هو ابن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس عليه السلام الجوابق بمعرب والكرماني معناه بالسريانية الساكن وصرف لعدم زيادته على الثلاثة مع سكون وسطه وليس بعربي أصلا وقول الحاكم في المستدرك انما سمي نوحا لكثرة نوحه وبكائه على نفسه واسمه عبد الغفار لا أصله يصح وكذا ما يقال في سبب بكائه من أنه عليه السلام رأى كلبا أجرب قذرا فبعق عليه فأمسكه فقال فقال أتسبني أم تسب خالقي فدعى وناح فلك والمشهور أنه عليه السلام إن لك بفتح اللام وسكون الهمزة بعدها كاف ابن متوشلخ بفتح الميم وتشديد المثناة المضمومة بعدها واو ما كنا وفتح الفوقين المشددتين واللام والخاء المعجمة

Marfat.com

ابن خنوخ بفتح الخاء المعجمة وضم النون الخفيفة وبعدها واو ساكنة ثم خاء معجمة وشاع اخنوخ بهمزة أوله وهو ادريس عليه السلام بزيرة بشناة من تحت مفتوحة ثم راء ساكنة مهملة ابن مهلا يل بن قينان بن أنوش بالنون والشين المعجمة ابن شيث بن آدم عليه السلام وهذا يدل على أنه عليه السلام بعد ادريس عليه السلام وفي المستدرك أن أكثر الصحابة رضي الله تعالى عنهم على أنه قبل ادريس وفيه عن ابن عباس كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون وفيه أيضا مرفوعا بعث الله تعالى نوحا لاربعين سنة فلبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وذكر ابن جرير ان مولده كان بعد وفاة آدم عليه السلام بمائة وستة وعشرين عاما وفي الترغيب النووي رحمه الله تعالى أنه أطول الانبياء عليهم السلام عمراً وقيل انه أطول الناس مطلقا عمراً فقد عاش على ما قال شداد الفا وثلثمائة وخمسين سنة ولم يسمع عن أحد أنه عاش كذلك بنى بالاتفاق لئلا يرد الخضر عليه السلام وقد يجاب بغير ذلك وهو على ما قيل أول من شرعت له الشرائع وسنت له السنن وأول رسول أنذر على الشرك وأهلكت أمته والحق أن آدم عليه السلام كان رسولا قبله أرسل الى زوجه حواء تعالى بنيه وكان في شريعته وما تدعو بشريعة نوح في قول وفي آخر لم يكن في شريعته الا الدعوة الى الايمان وبقال نوح عليه السلام شيخ المرسلين وآدم الثاني وكان عقيق الوجه في رأسه طول عظيم العينين غليظ العضدين كثير لحم المنكبين ضخم السرة طويل اللحية والقامة جسيما واختلف في مكان قبره فقيل بمسجد الكوفة وقيل بالجبل الاحمر وقيل بجبل جبل لبنان بمدينة الكرك وفي اسناد الفعل الى ضمير العظمة مع تأكيد الجملة مالا يخفى من الاعتناء بامر ارساله عليه السلام ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ قيل هم سكان جزيرة العرب ومن قرب منهم لأن الارض بأسرها لاختصاص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعموم البعثة من بين المرسلين عليهم السلام وما كان نوح بعد قصة الغرق على القول بعمومه أمر افاق وأشتهر أنه عليه السلام كان يسكن أرض الكوفة وهناك أرسل ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ أي أني أنذر قومك على أن أن تفسيرية لما في الارسال من معنى القول دون حروفه فلا محل لها من الاعراب أو بان أنذرهم أي بانذارهم أو لانذارهم على أن أن مصدرية وقبلها حرف جر مقدر هو الباء أو اللام وفي الحل بعد الحذف من الجر والنصب قولان مشهوران واعلم أبو حيان على جواز هذا الوجه في بحره هذا ومنعه في موضع آخر وحكى المنع عنه ابن هشام في اللبيب وقال زعم أبو حيان أنها لا توصل بالامر وان قال شيء سمع من ذلك فأن فيه تفسيرية واستدل بدليلين أحدهما أنها اذا قدرا بالمصدر كانت مع الامر التالي أيضا في حيز المفعول به فعلا ولا مفعولا لا يصح أن قم ولا كرهت ان قم لا يصح ذلك مع الماضي والمضارع والجواب عن الاول ان فوات معنى الامرية عند التقدير بالمصدر لفوات معنى المضي والاستقبال في الموصولة بالمضارع والماضي عند التقدير المذكور ثم أنه يسلم مصدرية المخففة مع لزوم نحو ذلك فيها في نحو قوله تعالى والخامسة ان لعنت الله عليها اذ لا يفهم الدعاء من المصدر الا اذا كان مفعولا مطلقا نحو سقيا ورعيا وعن الثاني انه انما منع ما ذكره لانه لا معنى لتعليق الاقلاع والكراهية بالانشاء لا لما ذكره ثم ينبغي له ان لا يسلم مصدرية كي لانها لا تقع فاعلا ولا مفعولا وانما تقع المفعولة بلام التعليل ثم مما يقطع به على قوله بالبطلان حكاية سيبويه لثبوت اليه بان قم واحتمال زيادة الباء لا يقول وهم فاحش لان حروف الجر مطلقا لا تدخل الا على الاسم اوما في تأويله انتهى واجاب بعضهم عن الاول أيضا بانه عند التقدير يقدر الامر فيقال فيما نحن فيه مثلا انا ارسلنا نوحا الى قومه بالامر بانذارهم وتعقب بانه ليس هناك فعل يكون الامر مصدره كامرنا أو نأمر ثم انه يكون المعنى في

Marfat.com

نحو امرته بأن قم أمرته بالأمر بالقيام وأشار الزمخشري الى جواب ذلك هو انه اذا لم يسبق لفظ الأمر أو ما في معناه من أخوات رست فلا بد من تقدير القول لئلا يحال الطلب فيقال هنا أرسلناه بأن قال له أنذر أي بالأمر بالانذار واذا سبقه ذلك لا يحتاج الا تقديره لان ما آل للعبارات أعني أمرته بالقيام وأمرته بأنه قم وان قم بدون الباء على أنها مفسرة الى واحد وفي الكشف لو قيل أن التقدير وأرسلناه بالأمر بالانذار من دون اضمار القول لان الامرية ليست متداول جوهر الكلمة بل من متعلق الأداة فيقدر بالمصدر تبعا وفي أمر الخاطب الكتفي بالصيغة تحقيقا لكان حسنا وهذا كما ان التقدير في ان لا يزني خيرته عدي الزنا فقدر الكف بالمصدر على سبيل التبعية واما اذا صرح بالأمر فلا يحتاج الى التقدير بمصدر الطلب ابتداء ولو قدر أمرته بالأمر بالقيام أي بأن يأمر نفسه به مبالغة في الطلب لم يبعد عن الصواب ولا فهم منه ما فهم من الاول وأبلغ استعمل الشيء من غير ملاحظة الاصل وادعى بعضهم ان تقدير القول هنا ليس لئلا يفوت معنى الطلب بل لان الباء المذوفة الملابسة والرسالة نوح عليه السلام لم يكن ملتبسا بانذاره اياهم وانما هو ملتبس بقول الله تعالى له عليه السلام أنذر ولما كان هذا القول منه تعالى الطالب الانذار قيل الذي أرسلناه بالأمر بالانذار وحكاية هذا القائل لا يبالي بفوات معنى الطلب كما يقتضيه كلام ابن هشام المتقدم آنفا وبحث الخفاجي فيما ذكروه من الفوات فقال كيف يفوت معنى الطلب وهو مذكور صريحا في أنذر ونحوه وما أوله بالمصدر المسبوك تأويل لا يناقشه لانه مفهوم أخذوه من موارد استعماله فكيف يقال صريح منطوقه قد ذكروه مما لا وجه له وان اتفقوا عليه فاعرفه التهى (وأقول) لعلهم أرادوا بفوات معنى الطلب فواته عند ذكر المصدر الحاصل من التأويل بالفعل على معنى انه اذا ذكر بالفعل لا يتحقق معنى الطلب ولا يتحد الكلامان ولم يريدوا انه يفوت مطلقا كيف وتحققه في التطوق الصريح كثار على علم ويؤيد هذا متهم بطلان اللازم المشار اليه بقول ابن هشام ان فوات معنى الامرية عند التقدير بالمصدر كفوات معنى النفي والاستقبال الخ فكأنه قيل لانسلم ان هذا الفوات باطل فلم لا يجوز أن يكون كفوات معنى النفي والاستقبال وفوات معنى العناد في نحو أن غضب وقد أجيبوا أن ذلك ليس بباطل لانه فوات عند الذكر بالفعل وليس بلازم وليس بفوات مطلقا الظهور ان التطوق الصريح متكفل به فتدبر وقرأ ابن مسعود أنذروا بغير أن على ارادة القول أي قائلين أنذروا (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) عاجل وهو ما حل بهم من الطوفان كما قال الكلبي أو آجل وهو عذاب النار كما قال ابن عباس والمراد أنذرهم من قبل ذلك لئلا يبقى لهم عذر ما أصلا (قَالَ) استئناف بياني كأنه قيل فما قال عليه الصلاة والسلام بعد هذا الارسال فقيل قال لهم (يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) منذر موضح طريقة الامر والنهي لكم للتقوية أو للتعليل أي لاجل تمكنكم من غير أن تأتكم آجلا وقوله تعالى (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ) متعلق بنذير على مصدرية أن وتفسيريتها ومن نظير في التفسيرية قوله سبحانه (يُغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) مجزوم في جواب الامر واختلف في من فقيل ابتدائية وان لم تعلق هنا قارنة الى وابتداء الفعل من جانبه تعالى على معنى انه سبحانه يبتدئ هداياتهم بمغفرة ذنوبهم احسانا منه عز وجل وتفضلا وجوز أن يكون من جانبهم على معنى أول ما يحصل فيسبب إيمانهم مغفرة ذنوبهم وليس بذاك وقيل بيانية ورجوعه الى معنى الابتدائية المشهده الرضي ويقدر قبلها مبهم يفسر بعد خولها أي يغفر لكم أفعالكم التي هي الذنوب وقيل زائدة على رأي الاخفش الجوز لزيادتها مطلقا وجزم بذلك هنا وقيل تبعيضية أي يغفر لكم بعض ذنوبكم واختار بعض واختلف في البعض المغفور فذهب قوم الى أنه حقوق الله تعالى فقط شائعة على الايمان وآخرون الى انه ما اقترفوه قبل

Marfat.com

الإيمان مطلقا الظاهر ما ورد من أن الإيمان يجب ما قبله واستدل ذلك الحبر بن عبد السلام في الفوائد المنتشرة وأجاب عنه فقال كيف يصح هذا على رأي سيبويه الذي لا يرى كالأخفش زيادتها في الواجب بل يقول انها للتبعيض مع ان الاسلام يجب ماقبله بحيث لا يبقى منه شيء والجواب ان اضافة الذنوب اليهم اقتضت حقيقة فيما وقع امامهم بقلم لا يكون ذنبا لهم واضافة ما يقع على طريق التجوز كما فعلوا واحتطوا أبدا لكم اذا اريد بها الايمان المستقبلة واما كانت الاضافة تارة تكون حقيقة وتارة تكون مجازا فسيبويه يجمع بين الحقيقة والمجاز فيها وهو جائز بل عند اصحابه الشافعية ويكون المراد من بعض ذنوبكم البعض الذي وقع التبي ولا يحتاج الى حديث الجمع من خص الذنوب المغفورة بحقوق الله عز وجل وهيا بحث وهو ان الحمل على التبعيض بأباه يغفر لكم ذنوبكم وان الله يغفر الذنوب جميعا وقد نص البعض في شرح الجمل على ان ذلك هو الذي دعا الاخفش للجزم بالزيادة هنا ووجهه ابن الحاجب حيث له ورده بعض الاجلة بان الوجهة الجزئية من لوازم الوجهة الكلية ولا تناقض بين اللازم والملزوم وميناء الغفلة عن كون مدلول من التبعيضية هي البعضية المجردة عن الكلية الثانية لما لا الثابتة لما في ضمنها فيضمنها والاناقش الفرق بينها وبين من البيانية من حيث الحكم ولما تيسر تمشية الخلاف بين الامام أبي حنيفة وصاحبيه فيما اذا قال طالق نفسك من ثلاث ماشئت بناء على أن من التبعيض عنده والبيان عندهما قال في الهداية وان قال لها طالق نفسك من ثلاث ماشئت فلها ان تطلق نفسها واحدة وثنتين ولا تطلق ثلاثا عند أبي حنيفة وقالا تطلق ثلاثا ان شاءت لان الله ما عمكة في التعميم وكلة من قد تستعمل للتمييز فتحمل على تمييز الجنس ولابي حنيفة ان الله من حقيقة في التبعيض وما للتعميم فيعمل بهما الشبه . ولا خفاء في أن بناء الجواب المذكور على كون من للتبعيض انما يصح اذا كان مدلولها حينئذ البعضية المجردة الثابتة للكلية ومن هنا تعجب من صاحب التوضيح في تقرير الخلاف المذكور حيث استدل على أن رواية التبعيض بقوله ولم يدر أن البعض المراد قطعا على تقدير البيان البعض العام الشامل لما في ضمن الكل لا البعض المجرد المراد ههنا فالتمثيل على الوجه المذكور لا يتم التقريب بل لا انطباق بين التعليل والمعلل على ما قيل وصوب العلامة التفتازاني حيث قال فيما علقه على التوضيح مستدلا على ان البعضية التي تدل عليها من التبعيضية هي البعضية المجردة الثابتة للكلية لا البعضية التي هي أعم من أن تكون في ضمن الكل أو بدونه لاتفاق النحاة على ذلك حيث احتاجوا الى التوفيق بين قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم وقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا فقالوا لا يبعد أن يغفر سبحانه الذنوب الوم وبعضها لا خرى أو خطاب البعض لقوم نوح عليه السلام وخطاب الكل لهذه الامة ولم يذهب احد الى ان التبعيض لا ينافي الكلية ولم يصوب الضرير في رده عليه قائلا وفيه بحث اذ الرضى صرح بعدم المنافاة بينهما حيث قال ولو كان ايضا خطابا لامة واحدة فغفران بعض الذنوب لا ينافي غفرانك كلها بل عدم غفران بعضها ينافي غفرانك كلها لان قول الرضى فيما مر لما علمت أن مدلول التبعيضية البعضية المجردة واعترض قول النحاة أو خطاب البعض لقوم نوح عليه السلام وخطاب الكل لهذه الامة بأن الاخبار عن مغفرة البعض ورد في مواضع منها قوله تعالى في سورة ابراهيم يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ومنها في سورة الاحقاف يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ومنها ما هنا وهو الذي ورد في قوم نوح عليه السلام وأما ما ذكر في الاحقاف فقد ورد في الجن وما ورد في ابراهيم فقد ورد في قوم نوح وعاد وثمود على ما أفصح به السياق فكيف يصح ما ذكره وقيل حتى يتبين في خطاب الكفار دون المؤمنين في جميع

Marfat.com

القرآن تفرقة بين الخطابين ووجه بان الكفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين معطوفة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الطرفين عن الظلم واعترض بأن التفرقة المذكورة انما تتم لو لم يجيء الخطاب للكفرة على العموم وقد جاء حينئذ كما في سورة الانفال قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقد أسلفنا ما يتعلق بهذا المقام أيضا فتذكر وتأمل (وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى) هو الامد الاقصى الذي قدره الله تعالى بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره عز وجل لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح في ان لهم أجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو الذي يقوله تعالى (إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ) أي ما قدره عز وجل لكم على تقدير بقائكم على ما أنتم عليه (إِذَا جَاءَ) وأنتم على ما أنتم (لَا يُؤَخَّرُ) فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر والعصيان فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه وجوز أن يراد به وقت اتيان العذاب المذكور في قوله سبحانه من قبل أن يأتيهم عذاب أليم فانه أجل مؤقت له حتما وأيا كان لا تناقض بين يؤخركم وان أجل الله اذا جاء لا يؤخر كما يتوهم وقال الزمخشري في ذلك ما حاصله ان الاجل أجلان وأجل الله حكمه حكم المعهود والمراد منه الاجل المسمى الذي هو آخر الآجال والجملة عنده تعليل لما فهم من تعليقه سبحانه التأخير بالاجل المسمى وهو عدم تجاوز التأخير عنه والاول هو المعول عليه فان الظاهر أن الجملة تعليل للامر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتأخير الى الاجل المسمى فلا بد أن يكون المنفي عنه مجيء الاجل هو التأخير الموعود فكيف يتصور أن يكون ما فرض مجيئه هو الاجل المسمى الذي هو آخر الآجال (لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أي لو كنتم من أهل العلم لسارعتم الى الامر بالكف لستم من أهله في شيء فلذا لم تسارعوا فجواب لو محذوف يدل عليه ما قبله ويجوز أن يكون معلقا بآخره أي لو كنتم من أهل العلم لعلمتم ذلك أي عدم تأخير الاجل اذا جاء وقدمه لقدرته والفعل في الوجهين منزل منزلة اللازم ويجوز أن يكون محذوف القصد التعميم أي لو كنتم تعلمون شيئا ورجح الاول بعدم احتياجه للتقدير والجمع بين صيغتي الماضي والمضارع للدلالة على استمرار النفي المفهوم من لو وجعل العلم الذي هو العلم النظري لا الضروري ولا ما يعمه فانه مما لا يتفي الفهم الا على سبيل المبالغة (قَالَ) أي نوح عليه السلام مناجيا ربه عز وجل وحاكيا له سبحانه بقصد الشكوى وهو سبحانه أعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من الليل والنهار في تلك المدد الاطوال بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاز في الاخبار قبل عهد معهود وشاقت عليه الحيل وعيت به الحال (رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي) الى الايمان والطاعة (لَيْلًا وَنَهَارًا) أي دائما من غير فتور ولا توان (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا) عما دعوتهم اليه والاسناد الزيادة الى الدعاء من باب الاسناد الى السبب على حد الاسناد في سرتني رؤيتك وفرارا قبل تمييز وقيل مفعول له بناء على تعدي الزيادة والناقص الى مفعولين وقد قيل انه يثبت وان ذكر ويضعفه وفي الآية مبالغات بليغة وكان الاصل فلم يجيبوني ونحوه فعبر عن ذلك بزيادة الفرار المسند الدعاء وأوقعت عليهم مع الايمان بالنفي والاثبات (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ) أي الى الايمان فتعلق الفعل محذوف وجوز جعله منزلا منزلة اللازم والجملة عطف على ما قبلها والسبب ذلك من عطف الفعل على الجملة كما توهم حتى يلتئم ان الواو من الحكاية لا من المحكي (لِتَغْفِرَ لَهُمْ) أي بسبب الايمان (جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ)

Marfat.com

أي سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة فهو كناية عما ذكر ولا تنع من الحمل على الحقيقة وفي نسبة الجعل الى الاصابع وهو منسوب الى بعضها وايثار الجعل على الادخال مالا يخفى (واستغشوا ثيابهم) أي بالغوا في التغطي بها كأنهم طلبوا من ثيابهم أن تتداخل لئلا يروه كراهة النظر اليه من فرط كراهة الدعوة وفي التعبير بصيغة الاستفعال مالا يخفى من المبالغة وكذا في تعميم آلة الابصار وغيرها من البدن بالستر مبالغة في اظهار الكراهة وفي الآية مبالغة بحسب الكيف والكم وقيل بالعموق ذلك لئلا يسمع قومه عليه السلام قيده وهو وجه ضعيف قاله قيل عليه انه يأباه ترتبه على قوله كلما دعوتهم الخ الآن يحمل مجازا عن ارادة الدعوة وهو تمكيس لامر الخطب بالنظم (وأصروا) أي أبوا عن الكفر والعاصي وتمكنوا وجدوا فيها مستمرا من أصر الحمار على العانة اذا صر أذنيه أي ضم فيهما وتصبها مستوين وأقبل عليها يكدمها ويطردها وفي ذلك غاية الذم لهم وعن جار الله لو لم يكن في ارتكاب العاصي الا التشبب بالحمار لكفى به مزجرة لكيف والتشبيه في أسوأ أحواله وهو حال التكبر والعناد وما ذكر من الاستمرار قيل في أصل اللغة وقد صار الاصرار حقيقة عرفية في الملازمة والانهماك في الامر وقال الراغب الاصرار التعقد في الذنب والتمديد فيه والامتناع من الاقلاع عنه وأصله من الصر أي العقد والربط لا يأبى ماتقدم بناء على أن الاصل الاول العقد والاصل الثاني ماسمعت أولا (واستكبروا) من اتباعي وطاعتي (استكبارا) عظيما وقيل نوعا من الاستكبار غير معهود والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق له (ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) أي دعوتهم مرة بعد مرة وكرة بعد كرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وهو تعميم لوجوه الدعوة بعد تعميم الاوقات وقوله ثم اني دعوتهم جهارا يشعر بسبوقية الجهار بالسر وهو الاليق بمن عده الاجابة لان أقرب الى القبول من اللطف بالمدعو فتم تفاوت الوجوه وان الجهار اشد من الاسرار واجمع بينهما لفظ من الاخراد وقال بعض الاجلة ليس في النظم الجليل مايقتضي ان الدعوة الاولى كانت سرا فقط فلعل ذلك أخذ من المقابلة ومن تقديم قوله ليلا ونهارا بعنوان قومه وقوله فرارا فان الفرار ملائم له . وجوز كون ثم على معناها الحقيقي وهو التراخي الزماني لكنه باعتبار مبدأ كل من الاسرار والجهار ومنتهاه وباعتبار منتهى الجمع بينهما لئلا ينافي عموم الاوقات السابق ويحسن اعتبار ذلك وان اعتبر عمومها عرفيا كما في لا يشتم العسل عن مائة وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدرية لان أحد نوعي الدعاء كما نصب القرفصاء في قعدت القرفصاء عليها لانها أحد أنواع القعود أو أريد بدعوتهم جاهرتهم أو صفة لمصدر محذوف أي دعوتهم دعاء جهارا أي مجاهرا يتجه لطلبه أو مصدر في موقع الحال أي مجاهرا أو اسم الفاعل (فقلت استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر والعاصي فانه سبحانه لا يغفر أن يشرك به وقال ربكم تحريكا لداعي الاستغفار (إنه كان غفارا) دائم المغفرة كثيرها للتائبين فانهم تعالوا قالوا ان لنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا والطف بنا جل وعلا بعد ما مكثنا عليه دهرا طويلا فامرهم بما يمحق ما سلف منهم من العاصي ويجلب اليهم النافع وذلك بدعائهم على الاستغفار بالامور التي أحب اليهم وأوقع في قلوبهم من الامور الاخروية أعني ما تضمنه رسل السماء الى أممهم لذلك لما جبلوا عليه من محبة الامور الدنيوية * والنفس مولعة بحب العاجل * قال قتادة كانوا أهل حب لدنيا فاستدعاهم الى الآخرة من الطريق التي يحبونها وقيل لما كذبوه عليه الصلاة والسلام بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم أنهم ان آمنوا يرزقهم الله تعالى المطلوب ويدفع عنهم ما هم فيه وهو قوله (يرسل السماء عليكم مدرارا)

Marfat.com

أي كثير الدر ورأى السيلان والسيلان السحاب أو المطر ومن اختلافها على المطر وكذا على البنات أيضا قوله

انا نزل السماء بأرض قوم ✻ رعيناه وان كانوا غضابا

وجوز أن يراد بها الغلظة على ما سمعت تعبيرا وهي تذكر وتؤنث ولا يأبى بأنيثها وصفها بمدرار الآتي سيخ المبالغتها كما صرح به سيبويه يشترك فيها الذكر والأنثى وفي البحر ان مفعالا لا تلحقه التاء الا نادرا ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ ﴾ أي بساتين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ﴾ فيها او بعطفا ﴿أَنْهَارًا﴾ جارية وأعاد فعل الجعل دون أن يقول يجعل لكم جنات وأنهارا لتغاير ما فان الاول جعل للمنافع متدخل فيه بخلاف الثاني ولما قال يمددكم بأموال وبنين ولم يعد العامل كما قبل وهو كما ترى والعل الاولى أن يقال ان الاعادة للاعتناء بامر الانهار لما ان لها مدخلا عاديا أكثر ما في وجود الجنات وفي بقائها مع منافع اخر لا تخفى ورعاية لمدخليتها في بقائها الذي هو أهم من اصل وجودها مع قوة هذه المدخلية اخرت عنها وان ترك اعادة العامل مع البنين لانه الاصل او لانه لما كان الامداد اكثر ما جاء في الخير وبه ورد على من الاموال والبنين بدون الآخر ترك اعادة العامل ليتم بالاشارة الى ان التفضل بكل غير منقص بفقد الآخر وتأخير البنين قيل لان بقاء الاموال غالبا بهم لا سيما عند أهل البادية مع رمز الى أن الاموال تصل اليهم آخر الامر وهو مما يسر النفوس ﴿لَا يَخْفَى فَأَمَّا مَا وَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ الْمُرَادُ بِالْجَنَّاتِ وَالْأَنْهَارِ مَا فِي الْآخِرَةِ وَالْجُمْهُورُ عَلَى الْأَوَّلِ وَرُوِيَ مِنَ الرَّبِيعِ بْنِ صبيح ان رجلا الى الحسن وشكا اليه تجدب فقال له استغفر الله تعالى واتاه آخر فشكا اليه الفقر فقال له استغفر الله تعالى واتاه آخر فقال ادع الله سبحانه ان يرزقني ابنا فقال له استغفر الله تعالى واتاه آخر فشكا اليه جفاف بساتينه فقال له استغفر الله تعالى فقلنا أتاك رجال يشكون أنواعا ويسألون أنواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فقال ما قلت من نفسي شيئا انما اعتبرت قول الله عز وجل حكاية عن نبيه نوح عليه الصلاة والسلام انه قال لقومه استغفروا ربكم الآية ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ انكار لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على أن الرجاء بمعنى الخوف كما أخرجه الطستي عن ابن عباس لنافع بن الازرق متمثلا قول أبي ذؤيب

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها ✻ وخالفها في بيت نوب عوامل

أو على اصله بمعنى الاعتقاد كما أخرجه عن ابن جبير وأبو الشيخ وجماعة وعبر به الرجاء التابع لاداني الظن بالمفرد لا ترجون حالا من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم على ان الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية كما يلمع اليه ما روي عن مقاتل وقتادة انكم تعبدون معه سبحانه غيره وقع حالا من وقارا ولونا آخر لكان صفة لانه لو تقدم لكان صفة له والوقار بالكسر رزانة جامعة من الخير بمعنى العظمة لانه على ما نقل الخفاجي عن الانصاف ورد في صفاته تعالى بهذا المعنى ابتداء أو لانه بمعنى التؤدة لكنها غير مناسبة له سبحانه فاطلقت باعتبار غايتها وما يتسبب عنها من العظمة في نفس الامر أو في نفوس الناس أي أي سبب حصل لكم حال كونكم غير خائفين أو غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه سبحانه بالايمان به جل شأنه والطاعة له تعالى ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ أي والحال انكم على حال منافية لذلك التعظيم عليه بالكلية وهو انكم تعلمون انه عز وجل خلقكم مدرجا لكم في حالات عناصر ثم أغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم خلقا آخر كان التصوير في بطون امهاتكم وتوجيه الانكار الى ما ذكر من الحال مع ان المنافي بذلك انما هو الانكار الصادر عن العاقل فاجلة حال من فاعل لا ترجون مقررة للانكار والاطوار الاحوال المختلفة وأنشدوا قوله

فان أفاق فقد طارت عمايته ✻ والمرء يخلق طورا بعد أطوار

Marfat.com

وحملها على ما سمعت من الأحوال كما ذهب اليه جمع وعن ابن عباس وجماعة ما يقتضي ان القصر على ذكر النطفة والعلقة والمضغة وقيل المراد بها الأحوال المختلفة بعد الولادة الى الموت من الصبا والشباب والكهولة والشيخوخة والقوة والضعف وقيل من الألوان والهيآت والأخلاق والشكل المختلفة وقيل من الصحة والسقم وكمال الأعضاء ونقصانها والغنى والفقر ونحوها هذا وقيل الرجاء بمعنى الأمل كما هو الأصل المعروف فيه والوقار بمعنى التوقير كالسلام بمعنى التسليم وأريد به التعظيم وقد بيان للتوقير المنفي فهو خبر مبتدأ محذوف أي ارادتي لله أو متعلق بمحذوف يفسره المذكور أي توقرا لله ولم يعلق بالمذكور بناء على ما صح عن ما فيه من أن معمول المصدر مطلقا لا يتقدم عليه ولو تأخر لكان صلة له على مافي الكشاف وفيه ان المعنى مالكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم في دار الثواب وحاصله مالكم لا ترجون ان توقروا وفسروا على البناء للمفعول فكأنه قيل لمن التوقير الذي يعظمنا ويختص به العظماء ايانا فقيل لله وفسره بقوله على حال الخ اشارة الى انه ينبغي عليهم اقرارهم كذلك قبل مالكم مقترين غير راجين . وجعل الحث على الرجاء كناية عن الحث على الايمان والعمل الصالح لانتفاء انتفاء الأسباب بخلاف الغرور وهي كناية ايمائية اذ لا واسطة ولو جعلت رمزية لطف الفرق بين الرجاء والغرور على الأكثر لكان وجها قاله في الكشف وتعقب ذلك مافي الدر المروية عليه الرحمة بأن عدم رجاء الكفرة تعظيم الله تعالى اياهم في دار الثواب ليس في حيز الاستبعاد والانكار مع أن في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف وفي جعل لله بيانا للموقر ودعوى أنه لو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض مما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضي أن يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون التوقير صادرا عنهم والوقار وصفا له عز وجل التي وأجيب عن أمر التناقض بذلك اذا قلت ضرب لزيد جاز أن يكون زيد فاعلا وان يكون مفعولا وكفى شاهدا صحة الاستئناف عند التأخر يحتمل أن يكون الوقار بمعنى التوقير صادرا منه تعالى فيكون الوقار وصفا للمخاطبين ويحتمل أن يكون منقلبه فيكون التوقير صادرا عنهم والوقار وصفا له تعالى غاية ما في الباب انه قدم وانتصب لتقدمه والمصدر المتأخر صار بيانا وعينت القرينة ارادة صدور التوقير عنه عز وجل وأين هذا من التناقض ثم يبقى الكلام في القرينة وتعيينها السياق بناء على ان القوم استبعدوا ان يخيفوا ويلطف الله تعالى بهم ان لم تركوا بالكلية فيكون هذا من تتمة ازالة الدهشة فيما سمعت من قولهم كيف يخيفنا ويلطف بنا الخ ويعلم من هذا الجواب من قوله ان عدم رجاء الكفرة تعظيم الله تعالى ليس في حيز الاستبعاد كما لا يخفى وعليه قيل يكون قوله تعالى وقد خلقكم الخ قوله سبحانه حجاجا للدلالة على أنه جل شأنه لا يزال يتم عليكم مع كفركم فكيف لا يلطف بكم ويوقركم اذا آمنتم وتدبر الأطوار مما يجري الانسان في أثنائهن من الأدوار المختلفة الصبا والشباب والكهولة وغيرها مما يكون بعضها على حال الكفر وبصلح لان يمتن به ويلتزم كون الاعادة في الأرض من النعم عندهم بناء على ان فيها ستر فظاعة الايمان على أسهل وجه بعد حلول الموت الضروري في هذه النشأة والانصاف بعدمها بله ثم لم يتم ان الوجه المذكور متكلف بعيد عن الظاهر بمراحل وقيل المعنى مالكم لا تتخذون لله تعالى حلما وتركه معاجلة بالعقاب فتؤمنوا فالرجاء بمعنى الخوف والوقار بمعنى الحلم حقيقة كما هو ظاهر كلام الراغب أو استعارة له لاشتراكهما في الثبات أو مجازا اذ لا يخلف الحلم عن الوقار عادة وفي رواية عن ابن عباس تفسيره بالعافية حيث قال أي لا تخافون لله عاقبة وهو من الكناية حينئذ أخذا من الوقار بمعنى الثبات وعن مجاهد والضحاك ان المعنى ما لكم لا تبالون لله تعالى عظمة قال الطيبي

Marfat.com

هذه لغة أهل الحجاز وعقيل وخزاعة ومضر؛ يقولون لم أرج أي لم أبال والظهر الحاني ماذكرناه أولا ولما ذكر من آيات الأنفس ماذكر اتبعه بشيء من آيات الآفاق ولبعد أحد الأمرين عن الآخر وتباينهما لم يأت بالعطف بل قطع فقال ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي متطابقة بعضها فوق بعض وتصوير التطابق بالتوافق في الحسن والاشتمال على الحكم وجودة الصنع مما يرى في خلق الرحمن من تفاوت معدول عن الظاهر الذي تطابقت عليه الأخبار من غير داع إليه ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ منور الوجه الأرض في ظلمة الليل وجهه فيهن مع أنه في أحداهن وهي السماء الدنيا كما يقال زيد في بغداد وهو في بلخ منها والرجح له الإبجاز والملابسة بالكلية والجزئية وكونها طباقا شفافة ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ يزيل ظلمة الليل ويبصر أهل الدنيا في ضوئها وجه الأرض ويباشرون الآفاق كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره وتنوينه للتعظيم وفي الكلام تشبيه بليغ والكون السراج أعرف وأقرب جعل مشبها به ولاعتبار التدلي إلى الغير في مفهومه بخلاف النور كان أبلغ منه ولعل في تشبيهها بالسراج القائم ضياءه لا بطريق الامكاس رمزا إلى أن ضياءها ليس مستمدا إليها من كوكب آخر كما أن نور القمر مستمد عليه من الشمس لاختلاف تشكلاته بالقرب والبعد منها مع خسوفه بحيلولة الأرض بينه وبينها وجزم أهل الهيئة القديمة بذلك وفي رواية لأبي نصر ان ضياء الشمس مفاض عليها من العرش وأظن ان من يقول انها تدور على كوكب آخر من أهل الهيئة الجديدة يقول باستفادتها النور من غيرها ثم الظاهر ان المراد وجعل الشمس فيهن فقيل هي في السماء الدنيا في فلك في تخومها وقيل في السماء الرابعة وهو المذهور عند متقدمي أهل الهيئة واستدلوا عليه بما هو مذكور في كتبهم وفي البحر حكاية قول انها في الخامسة ولا يكاد يصح وما يضحك الصبيان فضلا من قول ذوي العرفان ما حكي فيه أيضا انها في السماء الرابعة وفي الصيف في السابعة وذهب متأخرو أهل الهيئة إلى انها مركز السيارات وعدوا الأرض منها ولم يعدوا القمر لدورانه على الأرض وهو بينها وبين الشمس عندهم وسنعمل ان شاء الله تعالى رسالة في تحقيق الحق والحق عند ذوي أنظر من الشمس ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ أي أنشأ كم إنشاءا مستعيرا الانبات للانشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الأرض لكونه محسوسا وقد أنكر احساسه وهم وان لم ينكروا الحدوث جهلوا بانكار البعث كن أنكره ففي الكلام استعارة مصرحة تبعية ومن ابتدائية داخلة على المبدأ البعيد ونباتا قال أبو حيان وجاءة مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزوائد والأصل انباتا أو نصب باضمار فعل أي فنبتم نباتا وفي الكشف ان الانبات والنبات من الفعل والافعال وهما واحد في الحقيقة والاختلاف بالنسبة إلى القيام بالفاعل والقابل فلا حاجة إلى تضمين فعل آخر ولا تقديره ثم ان الانبات ان حمل على معناه الوضعي فلا احتياج إلى التقدير اذ هو في نفسه متضمن للنبات كما أشرنا إليه فيكون نباتا نصبا بالمنبتكم لهذا التضمن وان حمل على التصرف من اطلاقه على مقدمة الانبات من اخفاء الحب في الأرض مثلا فالوجه الحمل على ان المراد المنبتكم فنبتم نباتا ليكون فيه استعارة بنحو التكملة التي جرت في قوله تعالى فابجست من الدلالة على القدرة وسرعة خلقها حكمها وجوز ان يكون الأصل المنبتكم من الأرض انباتا فنبتم نباتا فحذف من الجملة الأولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء بما ذكر في الأخرى على أنه من الاحتباك وقال القاضي اختصر الكلام بالدلالة الالتزامية وفيه على ما قال الخفاجي الاشعار المذكورة فتأمل ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي في الأرض بالدفن عند موتكم

Marfat.com

(وَيُخْرِجَكُمْ) منها عند البعث والحشر (إِخْرَاجًا) علقا لاريب فيه وعطف بيدع بثم لما بين الانشاء والاعادة من الزمان التراخي الواقع فيه التكليف الذي به استحقوا الجزاء بعد الاعادة وعطف بخرج جكم الواو دون ثم مع ان الاخراج كذلك لان احوال البرزخ والآخرة في حكم شيء واحد فكانت بمنزلة واحدة ولا يجوز أن يكون بعضها حقيق الوقوع دون بعض بل لابد ان تقع الجملة لا محالة وان تأخرت عن الابعاد (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا) تتقلبون عليها كالبساط ولبس فيه دلالة على ان الارض مبسوطة غير كرية كما في البحر وغيره لان الكرة العظيمة يرى كل من عليها ما يليه مسطحا ثم ان اعتقاد الكرية أو عدمها ليس بأمر لازم في الشريعة لكن كريتها كالامر اليقيني وان لم تكن حقيقية ووجه توسيط الحكم بين الجمل ومقوله الصريح يعلم مما مر غير مرة (لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا) طرقا (فِجَاجًا) واسعات جمع فج فهو صفة مقدمة نعت سبلا وقال غير واحد هو اسم للطريق الواسعة وقيل اسم للمسلك بين الجبلين فيكون بدلا أو عطف بيان ومن متعلقة بما قبلها لتضمنه معنى الاتخاذ والافهو يتعدى بفي أو يضمر هو حال من سبلا أي سبلا كائنة من الارض ولو تأخر لكان صفة لها (قَالَ نُوحٌ) أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه عز وجل أي قال عليه السلام مناجيا له تعالى شاكيا اليه عز وجل (رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي) أي ما اطاعني فيما أمرتهم به مع ما بالغت في ارشادهم بالطرق المذكور (وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا) أي واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة فصاروا اسوة لهم في الخسار والظاهر ان اتباع عامتهم ومفلتهم لا أولئك الرؤساء وصفهم بذلك اعتبار بالهم لتبوح لوجاهتهم الخاصة لهم بسبب الاموال والاولاد لا لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة وقرأ ابن الزبير والحسن والنخعي والاعرج وعمرو الاخوان وابن كثير أبو عمرو وناقع في رواية خارجة عنه وولده بضم الواو وسكون اللام فقيل هو مفرد لغة في ولد بفتحهما كالحزن والحزن وقيل جمع له كالاسد والاسد وفي القاموس الولد محركة وبالضم والكسر والفتح واحد وجمع وقد يجمع على أولاد وولدة والدة بكسرهما وولد بالضم التي وقرأ بالكسر والسكون الحسن أيضا والجحدري وقتادة وغير وطلحة وابن أبي اسحق وأبو عمرو في رواية (وَمَكَرُوا) عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها وكان فيه اشارة الى اجتماعهم في المكر ليكون أشد وأعظم وقيل عطف على عصوني والاول أنسب لدلالته على ان التابعين ضموا الى الضلال الاضلال وهو الأوفق بالسياق كان المتبادر ان ما بعده من صلة الرؤساء أيضا باعتبار ذلك العطف على ان التي مكر بعضهم ببعض وقال بعضهم بخلاف المتبادر (مَكْرًا كُبَّارًا) أي كبيرا في الغاية فهو من صيغ المبالغة قال عيسى بن عمر هي لغة يمانية وعليها قول الشاعر

يضاحك الشمس منها كوكب شرق ... مؤزر بعميم النبت مكتهل

وقوله والمرء يلحقه تبيان ندى ... خلق الكريم وليس بالوشاء

وقد سمع بعض الاعراب الطغام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ هذه الآية فقال ما أفصح ربك يا محمد وانما اختير التنوين في محكما لتفخيم زاد أمر المبالغة في مكرهم أي كبيراً في الغاية وذلك احتيالهم في الدين وصدهم الناس عنه وافترائهم وتحريضهم على أذية نوح عليه السلام وقرأ عيسى وابن محيصن وأبو السمال كبارا بتخفيف الباء وهو بناء مبالغة أيضاً الا أنها دون

Marfat.com

البالغة في الشدة ومثل كبار في ذلك حسان وطوال وطياب وجدل الى ألفاظ كثيرة وقرأ زيد بن علي وابن هرمز فيما روى عنه وهب بن واضح كبارا بكسر الكاف وفتح الباء قال ابن الانباري هو جمع كبير كما قيل مكرا مكان مكوب وأما جدل بنى فذلك وصف بالجمع ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ﴾ أي لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح عليه السلام ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ أي ولا تتركوا عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت أكبر أصنامهم ومعبوداتهم الباطلة وأعظمها عندهم وان كانت متعاونة في النظم فيما بينها بزعمهم كما يوحي اليه العبادة لامع بعض وتركها مع آخر وفيل أخره يعوق ونسر عن النوح لكثرة تكرار لا وعدم اللبس وقد انتقلت هذه الاصنام الى العرب أخرج البخاري وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال صارت الاوثان التي كانت في قوم نوح عليه السلام في العرب بعد أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني قطيف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع وكانت هذه الاسماء اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان اليهم ان انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ودرس العلم عبدت وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن محمد بن كعب القرظي أنه قال كان لآدم عليه السلام خمسة بنين ود وسواع الخ فكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان فقال حزنتم على صاحبكم هذا قالوا نعم قال هل لكم أن أصور لكم مثله في قبلتكم اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا نعم فصور صورته في قبلتهم ثم قال هل لكم أن أصور لكم مثله في مؤخر المسجد قالوا نعم فصوره ثم مات آخر منهم فصور صورته في مؤخر المسجد فتقضت الاشياء حتى تركوا عبادة الله تعالى وعبدوا هؤلاء فبعث الله تعالى نوحا عليه السلام فدعاهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادتها فقالوا ما قالوا وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة بن الزبير أن ودا كان أكبرهم وأبرهم وكانوا كلهم أبناء آدم عليه السلام وروى أن ودا أول معبود من دون الله سبحانه وتعالى أخرج عبد بن حميد عن أبي مظهر قال ذكروا عند أبي جعفر رضي الله تعالى عنه يزيد بن المهلب فقال اما انه قتل في أول أرض عبدفيها غير الله تعالى ثم ذكر ودا وقال كان رجلا مسلما وكان محببا في قومه فلما مات عكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى إبليس جزعهم تبدى في صورة انسان ثم قال أرى جزعكم على هذا فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم تذكرونه قالوا نعم فصور لهم مثله فوضعوه في ناديهم فجلوا يذكرونه به فلما رأى مابهم من ذكره قال هل لكم أن أجعل لكم في منزل كل رجل منكم تمثالا مثله فيكون في بيته فيذكر به قالوا نعم ففعل فأقبلوا يذكرونه به وأدرك أبناؤهم فجلوا يرون مايصنعون به ويتناسلون ودرس أمر ذكرهم اياه حتى انتقضوه الا يعبدونه من دون الله تعالى فكان أول من عبد غير الله تعالى في الارض ودا وأخرج ابن المنذر وغيره عن أبي عثمان النهدي أنه قال رأيت يغوث وكان من رصاص يحمل على جمل أجرد ويسيرون معه لا يجيزونه حتى ينزلوه حيث ينزلون هو الذي يترك هنا ويرك تراوا وقالوا قد رضي لكم المنزل فينزلون حوله ويضربون عليه بنساء(١) وقيل يعبد بقاء أعيان تلك الاصنام وانتقالها الى العرب فالظاهر انه لم يبق الآ الاسماء فانتحلت العرب أصناما وسموها بها وقالوا أيضا عبدود وعبد يغوث يدنون أصنامهم ومرآه أبو عثمان منها مسمى باسم ماسلف ويحكى أن

(١) (قوله وقيل يعبد الخ) فما خرج الافرنج في حدود الالف والمائتين والستين أصناما وتماثيل من أرض أنوصل كانت منذ نحو من ثلاثة آلاف سنة فلاتغفل اه منه

Marfat.com

وما كان على صورة رجل وسواعا كان على صورة امرأة ويغوث كان على صورة أسد ويعوق كان على صورة فرس ونسرا كان على صورة نسر وهو مناف للتقدم انهم كانوا على صور الذين صالحين وهو الاصح وقرأ نافع وأبو جعفر وشيبة بخلاف عنهم وما بضم الواو وقرأ الاشهب العقيلي ولا يغوثا ويعوقا بتنوينهما قال صاحب اللوامح جعلهما فعولا فذلك منعا صرفهما وهو في قراءة الجمهور صفتان من الغوث والعوق يقبل منهما وهما صرفان فذلك منعا الصرف لاجتماع التعريف الذين هما التعريف ومشابهة الفعل المستقبل وتبعه أبو حيان فقال هذا تخليط اما أولا فلا يمكن أن يكونا فعولا لان مادة يغث منقوصة وكذلك يعق واما ثانيا فلو سميتا بصفتين لان يفعلا لم يجيء اسما ولا صفة وانما امتنعا من الصرف للعلمية ووزن الفعل ان كانا عربيين والعلمية والعجمة ان كانا عجميين وقال ابن عطية قرأ الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهو وهم لان التعريف لازم وكذا وزن الفعل واثبت ذلك أن الاعمش لم ينفرد بذلك وليس بوهم فقد خرجوه على أحد وجهين أحدهما أن الصرف للتناسب كما قالوا في سلاسلا وأغلالا وهو نوع من المشاكلة ومعدود من المحسنات وثانيهما أنه جاء على لغة من يصرف جميع ما لا ينصرف عند عامة العرب وذلك لغة حكاها الكسائي وغيره لكن يرد على هذا أن اللغة غير فصيحة لا ينبغي التخريج عليها (وَقَدْ أَضَلُّوا) أي الرؤساء (كَثِيرًا) خلقا كثيرا أي فعل هؤلاء الموصين بأن يتمسكوا بعبادة الاصنام فهم ليسوا بأول من أضلوهم ويشعر بذلك النفي والاقتران بقد حيث أشعر ذلك بأن الاضلال استمر منهم الى زمن الاخبار بإضلال الطائفة الاخيرة ويجوز أن يراد بالكثير هؤلاء الموصين وكان الظاهر وقد أضل الرؤساء اياهم أي الموصين الخاطيء بقوله لانقرن آلهتكم فوضع كثيرا موضع ذلك على سبيل التجريد وقال الحسن وقد أضلوا أي الاصنام فهو كقوله تعالى رب انهن أضللن كثيرا من الناس وضمير الضلاء لتنزيلها منزلتهم عندهم وعلى زعمهم ويحسنه على ما في البحر عود الضمير على أقرب مذكور ولا يخفى ان عوده على الرؤساء أظهر لانهم المحدث عنهم والذي فيهم أمكن وجملة قيل حالية أو معطوفة على ما قبلها وقوله تعالى (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا) قيل معطوف على رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال ورب الواو الثانية عند وما بعد قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الخ أي قال هذين القولين على ان الواو من كلام الله تعالى لانها داخلة في الحكاية وما بعدها هو الملكي وإليه ذهب الزمخشري وانما ارتكب ذلك فرارا من عطف الانشاء على الخبر وقيل عطف عليه والواو من الملكي والتناسب التعالية وخبرية غير لازم في المعطوف كما قاله أبو حيان وغيره وفيه خلاف وفي الكشف انه أن تجعله من باب واجزني عليا أي فاخذلهم ولا تزدهم وفي المد دل الى الظالمين انتصار باستحقاقهم الدعاء عليهم وابداء لعذره عليه السلام وتحذير وللعلم لغيرهم وفيه أنه بعض ما يناسب من الاوجه وهو متى حسن فتدبره العطف على محذوف التالي وقيل الاولى أن يقال ان العطف على رب انهم عصوني والواو من الملكي والتناسب حاصل وقال الخفاجي الظاهر أن الغرض من قوله رب انهم الخ الشكاية وابداء العجز واليأس منهم فهو طلب النصرة عليهم لقوله رب انصرني بما كذبون والواو لم يقصد ذلك التكرر مع ما مر منه عليه السلام عليه فلا يكون كناية عن قوله اخذلهم أو انصرني أو اظهر دينك أو نحوه فهو من عطف الانشاء على الانشاء من غير تقدير وبعيد له أن الله تعالى سمى بشاره دعاء حيث قال سيجعله فعدا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون قدير وهو حسن خال من التكلف وارتكاب المخالف فيه الا أن في الدعاء وغضاضة والزام الضلال الذي يزيدهم اثما الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم فيكون ذلك دعاء عليهم بعدم تيسير أمورهم وانما الضلال بمعنى الخذلان كما في قوله تعالى ان المجرمين في ضلال

Marfat.com

وسمر وهو مأخوذ من الضلال في الطريق لأن من ضل فيها هلك فيكون المعنى أغلظكم وقسره ابن بحر بالعذاب وهو قريب مما ذكر وقيل هو على ظاهره أعني الضلال في الدين والدعاء بزيادته انما كان بعد ما أوحي اليه عليه السلام أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وما آتاه الدعاء عليهم بزيادة عذابهم يحتاج الى دليل وبما سمعت ينحل ما يقال ان طلب الضلال ونحوه انما يجوز جائز مطلقا أو اذا دعى به على وجه الاستحسان وبدونه وان كان جائزا لكنه غير ممدوح ولا مرضي فكيف دعا بذلك نوح عليه السلام عليهم ﴿مِمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ﴾ أي من أجل خطياتهم ﴿أُغْرِقُوا﴾ بالطوفان لأمن أجل أمر آخر فمن تعليلية وما زائدة بين الجار والمجرور لتعظيم الخطايا في كونها من كبائر ما يمنى مدومن إ برزيادتها جعلها نكرة وجعل خطياتهم بدلا منها وزعم ابن عطية ان من لابتداء الغاية وهو كما ترى وقرأ أبو رجاء خطياتهم بابدال الهمزة ياء وادغامها في الياء وقرأ الجحدري وعيد عن أبي عمرو خطياتهم على الافراد مهموزا وقرأ الحسن وعيسى والاعرج بخلاف عنهم وأبو عمرو خطاياهم جمع تكسير وقرأ عبد الله من خطياتهم ما أغرقوا بزيادة ما بين خطياتهم وأغرقوا وخرج على أنها مصدرية أي بسبب خطياتهم اغراقهم وقرأ زيد بن علي فرقوا بالتشديد بدل الهمزة وتلاها الفاء ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ هي نار البرزخ والمراد عذاب القبر ومن مات في ماء أو نار أو أكله السباع أو الطير مثلا أصابه ما يصيب المقبور من العذاب وقال الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون بالنار من جانب وأنشد ابن الانباري

الحق مجتمع طورا ومفترق ✻ والحادثان فنون ذات أطوار

لا تعجبن لاضداد اذا اجتمعت ✻ فالله يجمع بين الماء والنار

ويجوز أن يراد بها نار الآخرة والتعقيب على الاول ظاهر وهو على هذا لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال فكأنه شيء متصل بالآخر به بعد بانفصال بين أصلا ويجوز أن تكون الفاء للتعقيب مستعارة للسببية لأن السبب للمسبب وان تراخى عنه فقد شرط أو وجود مانع وتنكير النار اما للتعظيم بها وتهويلها أو لانه مر وصل أحد عظيم على حسب خطياتهم نوعا من النار ولا يخفى ما في أغرقوا فادخلوا نارا من الحسن الذي لا يجاري وقد تعالى وتعالى والتنزيل ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ أي فلم يجد أحد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض لاتخاذهم آلهة من دونه سبحانه وتعالى وبانها غير قادرة على نصرهم وتبكيتهم ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطياتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام الايذان من أول الامر بأن ما أصابهم من الاغراق والاحراق إنما هو لاجل خطياتهم التي عدها نوح عليه السلام وأشار الى استحقاقهم للهلاك لاجلها الا انه حكاية الناعي الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال والاقوال والا لاخر من حكاية دعائه هذا لما مضى الدهار الروية عليه الرحمة وقيل انه عطف على لم يجدوا أو على جملة مما خطياتهم الخ وليس المراد حقيقة الدعاء بل التشفي واظهار الرضا بما كان من هلاكهم بعيد غاية البعد والصرف ان هذا الدعاء كان قبل هلاكهم والديار من الاسماء التي لا تستعمل الا في النفي العام بقال ما بالدار ديار أو ديور كقيام وقيوم أي ما بها أحد وهو فيعال من الدار أو من الدور كما مر قيل لا تذر على الأرض من الكافرين من يسكن دارا أو لا تذر عليها منهم من يدور ويتحرك وأصله ديوار اجتمعت الواو والياء وسبقت احدهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء وليس بفعال والا لكان دوارا اذ لا دامي القلب حينئذ ومن الكافرين حال منه ولو أخر كان صفة له والمراد بالكافرين قومه الذين دعاهم الى الايمان والطاعة فلم يجيبوا فان

Marfat.com

ان الناس متشرين في مشارق الارض ومغاربها نحو اقطارهم اليوم وكانت بعثته لبعض منهم كسكان جزيرة العرب ومن يقرب منهم فذلك وان كانوا غير متشرين كذلك بل كانوا في الجزيرة وقريبا منها فان كانت البعثة لبعضهم أيضا فكذلك وان كانت لكلهم فقد استدل بأنه يلزم عموم البعثة وقد قالوا بانه خصوص بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وأجيب بان ذلك العموم ليس كعموم بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم بل لانحصار أهل الارض في قطعة منها وانحصار ضروري وليس عموما من كل وجه وهذا نحو ما يقال في بنات آدم عليه السلام الى زوجته وأولاده فانهم حينئذ لم يكونوا الا كأهل بيت واحد على انه قيل لا اشكال ولو قلنا بانتشار الناس اذ ذاك كانتشارهم اليوم وارساله اليهم جميعا لان العموم المخصوص بنبينا عليه الصلاة والسلام هو العموم المتدرج فيه الانس والجن الى يوم القيامة بل للملائكة عليهم السلام ولمن والمشهور انه عليه السلام كان مبعوثا لجميع أهل الارض وأنه ما آمن منهم الا قليل واستدل عليه بهذا الدعاء وعموم الطوفان وتعقب بان الارض كثيرا ما تطلق على قطعة منها فيحتمل أن تكون هنا كذلك سلمنا الارادة لكن الدعاء على الكافرين وهم من بعث اليهم فدعاء لم يجيبوه وحكمهم من عدا أهل السفينة أول الستة والطوفان لاتسلم عمومه وان سلم لايقتضي ان يكون كل من لحق به مكلفا بالايمان به عليه السلام عاميا بتركه فالبلاء قد يعم الصالح والطالح لكن يصدرون مصادر شتى كما ورد في حديث خسف البيداء ويرشد الى هذا ان أولاده قد أغرقوا على ما قيل معهم وقد سئل الحسن عن ذلك فقال علم الله تعالى براءتهم فاهلكهم بغير عذاب نعم الحكمة في اهلاك هؤلاء زيادة عذاب في آبائهم وأمهاتهم اذا بصروا أطفالهم يغرقون وزعم بعضهم ان الله تعالى اعقم ارحام نسائهم وأيبس اصلاب رجالهم قبيل الطوفان باربعين أو سبعين سنة فلم يكن منهم صبي حين الغرق ويحتاج الى نقل صحيح وحكم الله عز وجل لاتحصى فانهم ﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ ﴾ أي على الارض كلا أو بعضا ﴿ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ﴾ من طريق الحق والمراد بهم من آمن به عليه السلام وباضلالهم ايام ردهم الى الكفر بنوع من المكر أو الراديهم من ولد منهم وبلغ زمن التكليف أو من يولد من أولئك المؤمنين بدعوى الى الايمان وباضلالهم ايام صدهم عن الايمان وفي بعض الاخبار ان الرجل منهم كان يأتي بابنه اليه عليه السلام ويقول احذر هذا فانه كذاب وان أبي أوصاني بقتل هذه الوصية فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك قيل ومن هنا قال عليه السلام ﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ أي من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه لاستحكام علمه بذلك بما حصل له من التجربة ألف سنة الا خمسين عاما ومنه قوله عليه السلام ان تذرهم يضلوا عبادك وقيل أراد من جبل على الفجور والكفر وقد سلم في ذلك بوحي أو نحوه سبحانه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومن قتادة وعكرمة نصب الربيع وابن زيد عليه السلام ما دعا عليهم الا بعد ان أخبر ح الله تعالى ان مؤمن من الاصلاب وارحام نسائهم وإنما قالا ذلك لما علما انه لم يبق بعد أن يئس من أن يدعا من أن الدعاء بالاستئصال مع احتمال أن يكون من اخلافهم من يؤمن محالا يليق بعد أن الانبياء عليهم السلام ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ أراد أباه تارخ بن ناشور على(١)

وقد تقدم ضبط ذلك واسمه شمخى بالشين والخاء المعجمتين بوزن سكرى بنت أنوش بالالف بوزن أسود وكانا مؤمنين وقولا ذلك لم يجز الدعاء لها بالمغفرة وقيل أراد بهما آدم وحواء وقرأ ابن عيينة والمحمدي ولوالدي بكسر الدال واسكان الياء فاما أن يكون قد خفي أباه الاقرب أو أراد جميع من والدوه

(١) قوله وقد تقدم ضبط ذلك لكن قيل في تلك انه بتحتين وبدال فيه لاشك كما هو مشكول على مافي جامع الاصول بضم الميم وفتح النون وفتح الواو وسكون الدين المعجمة وكسر اللام وبالحاء المهملة اه منه

Marfat.com

الى آدم عليه السلام ولم يكفر ﴾ قال ابن عباس نوح أبو ماينه وبين آدم عليه السلام وقرأ الحسنان بن علي كرم الله تعالى وجهه وابن وثاب وزيد بن علي والحسين رضي الله تعالى عنهم وعبيد بن عمير والنخعي والزهري والوالبي نبذة ولد بفتي ساكنا وحاما على ما قيل وقرىء وكان سلما كان نبيا ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ قيل أراد مسجده وقيل سفينته وقال الجبور وابن عباس أراد مسجده وفي رواية عن الجبائي أراد شريعته استعار لها اسم البيت كما قالوا قواعد الاسلام وفسطاط الدين والتابوت الذي تخرج من أعواده لعمان بقوله ﴿مُؤْمِنًا﴾ وقيل يمكن أن يجيء بمخرج آخر بأن الايمان ما قبل له أنه ليس من أعمالك ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي من قل أمنة الى يوم القيامة وهو تعميم بعد التخصيص واستغفر ربه عز وجل اظهارا لمزيد الافتقار اليه سبحانه وحيا للمستغفر لهم من والديه والمؤمنين وقيل أنما استغفر لهذا مع علمه بالكافرين لانه انتفاعهم ولا يخفى ان السياق يأباه وكذا قوله ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ أي هلاكا وقال مجاهد خسارا والاول أظهر وقد دعا عليه السلام دعوتين دعوة على الكافرين ودعوة للمؤمنين وحيث استجيبت له الاولى فلا يبعد أن تستجاب له الثانية والله تعالى أكرم الاكرمين وأعظم آيات هذه السورة الكريمة تغيرها نعرف أن القوم كفرة هالكون يوم القيامة فالحكم بتجهنمهم لا يقتضي علم الشيخ الاكبر قدس سره في فصوصه مما يبرأ الى الله تعالى منه كزعم ان نوحا عليه السلام لم يدعهم على وجه يقتضي ايمانهم مع قوله سبحانه الله أعلم حيث يجعل رسالته وقصاري ما أقول ربي اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات

﴿ سورة الجن ﴾

وتسمى قل أوحي الى وهي مكية بالاتفاق وآيها باختلاف قالوا ثمان وعشرون آية وجه اتصالها قال الجلال السيوطي فكرت فيه مدة فلم يظهر لي سوى انه سبحانه قال في سورة نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال عز وجل في هذه السورة لئن ازداد بكثرة وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ومعنا وجه بين في الارتباط انتهى وفي قوله لئن ازداد بكثرة شيء ستعلمه إن شاء الله تعالى ويجوز أن يضم الى ذلك اشتمال هذه السورة على شرح ما يتعلق بالسماء كالسورة السابقة وذكر العذاب لمن يعصي الله عز وجل في قوله سبحانه ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا فانه يناسب قوله تعالى أغرقوا فادخلوا نارا على وجه وقال أبو حيان في ذلك انه تعالى لما حكى نادى فوح في الكفر والعكوف على عبادة الاصنام وكان أول رسول الى أهل الارض كما ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم آخر رسول الى أهل الارض والعرب الذين هو منهم صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا عباد أصنام كقوم نوح حتى انهم عبدوا أصناما مثل أصنام أولئك في الاسماء أي اوعينها وكان ما جاء به عليه الصلاة والسلام عربيا الى الرشد وقد سمت العرب وتوقف عن الايمان به أكثرهم أنزل الله تعالى سورة الجن وجعلها أثر سورة نوح نبكتا قريش والعرب في كونهم تباطؤا عن الايمان وكانت الجن خيرا منهم اذ أقبل الايمان من أقبل منهم وهم من غير جنس الرسول عليه الصلاة والسلام حتى كادوا يكونون عليه لبدا ومع ذلك التباطي قيم مكذبون له ولما جاء به حسدا وبغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فقال عز من قائل

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة والمنهال عن أبي عمرو وحمزة بن [illegible] وحي بلا همزة وهو يحتمل أوحى بالهمز ومنه قول العجاج ✻ وحي لها القرار

Marfat.com

فاستقرت * وقرأ زيد بن علي وجوية فيما روى عنه الكسائي وابن أبي عبلة في رواية أعي بإدغام واو وحي حمزة كما قالوا في وعد أعد قال الزمخشري وهو من القلب المطلق جوازه في قل وأو مضمومة ولعل أطلقه المازني في المكسورة أيضا كاشاح وإعاء وإسادة وهذا أحد قولين للمازني والقول الآخر قصر ذلك على السماع وما ذكره من الخلاف الجواز في المضمومة غلب بأن المضمومة قد تكون أولا وحشوا وآخرا ولكل منها أحكام وفي بعضها خلاف وتفصيل مذكور في كتب النحو فليراجع وزاد بعض الأجلة قلب الواو المضموم ما قبلها فقال نه أيضا مقيس مطرد وأنه قد يرد ذلك في المفتوحة كأحد وعلى جميع القراآت الجار متعلق بما عنده ونائب الفاعل ﴿ أَنَّهُ ﴾ الخ على أنه في تأويل المصدر والضمير للشأن ﴿ اسْتَمَعَ ﴾ أي القرآن كما ذكر في الأعراف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه ﴿ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ النفر في المشهور ما بين الثلاثة والعشرة وقال الجربري في درته ان النفر انما يقع على الثلاثة من الرجال الى العشرة وقد وهم في ذلك فقد يطلق على ما فوق العشرة في الفصيح وقد ذكره غير واحد من أهل اللغة وفي كلام الشيخ حمدتي بضعة عشر نفرا ولا يختص بالرجال بل ولا بالناس لاطلاقه على الجن هنا وفي الجمل الرهط والنفر يستعمل الى الاربعين والفرق بينهما أن الرهط يرجعون الى أب واحد بخلاف النفر وقد يطلق على القوم بمعنى قوله تعالى وأعز نفرا وقول امرىء القيس

فهو لا ابن لي (١) ربيت * ماله لا عد من نفره

وقال الامام الكرماني النفر مشتق آخر في العرف وهو الرجل والراد بالعرف عرف اللغة لا تفسير بالمعنى الصحيح فليحفظ والجن واحده جني كروم وروس وهم أجسام عالمة لها طبع النارية كما يشهد له قوله تعالى وخلق الجان من مارج من نار وقيل الحرارة قابلة جيها أو صنف منها للتشكل بالاشكال المختلفة من شأنها الخفاء وقد ترى بصور غير صورها الاصلية بل وبصورها الاصلية التي خلقت عليها كالملائكة عليهم السلام وهذا للتأييد صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ومن شاء الله تعالى من خواص عباده عز وجل ولها قوة على الاعمال الشاقة ولا مانع عقلا من أن تكون بعض الاجسام اللطيفة النارية كالبخار النافذ أنواع الجسم الكثيف في اللطيفة ولها قبول الحياة والقدرة على أفعال غيبية مثلا وقد قال أهل الحكمة الجديدة بأجسام لطيفة أثبتوا لها من الخواص ما يحير العقول فلتكن أجسام الجن على ذلك النحو من الاجسام وعالم الطبيعة أوسع من أن تحيط بحصر ما أودع فيه الافهام وأكثر الفلاسفة على انكار الجن وفي رسالة الحدود لابن سينا الجني حيوان هوائي متشكل بأشكال مختلفة وهذا شرح الاسم وظاهره نفي أن يكون لهذه الحقيقة وجود في الخارج ونفي ذلك كفر صريح كما لا يخفى واعترف جمع عظيم من قدماء الفلاسفة وأصحاب الروحانيات بوجودهم ويسمونهم بالارواح السفلية والقهور انهم زعموا انها جواهر قائمة بانفسها ليست اجساما ولا جسمانية وهي أنواع مختلفة بالماهية باختلاف ماهيات الامراض فبعضها خيرة وبعضها شريرة ولا يعرف عدد أنواعها وأصنافها الا الله عز وجل ولا يبعد على هذا أن يكون في أنواعها ما يقدر على افعال شاقة عظيمة يعجز عنها البشر بل لا يبعد أيضا على ما قيل ان يكون لكل نوع منها تعالق بنوع مخصوص من اجسام هذا العالم ومن الناس من زعم ان الارواح البشرية والنفوس الناطقة اذا فارقت أبدانها ازدادت قوة وانما بسبب ما في ذلك العالم الروحاني من انكشاف الاسرار الروحانية فاذا تعلق حدوث بدن آخر مغايرة لما هي كائن لتلك النفس المفارقة من البدن تعلقت تلك النفس به تعلقا ما وتصير كالمقارنة لتلك البدن في الفضائل وتدبيرها لذلك البدن فان اتفق هذه الحالة في النفوس المطهرة

(١) قوله لمن لبغال أعي إذا توارى الدمث

Marfat.com

سمي ذلك الدين ملكا وتلك الامانة اقلاما وان اختلفت في الفنون الضرورة سمي ذلك الدين شيطانا وتلك الامانة وسوسة والكل عذاب لاقوال السلف وظاهر الآيات والاحاديث وجمهور ارباب العقل مترقون بوجودهم المسلمين وان اختلفوا في حقيقتهم وتمام الكلام في هذا المقام يطلب من كتاب الرجان وفي التفسير الكبير طرف مما يتعلق بذلك فارجع اليه ان اردته واختلف في عدد المستمعين فقيل سبعة فمن زر ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهل نصيبين قرية باليمن غير القرية التي بالعراق ومن عكرمة انهم كانوا اثني عشر ألفا من جزيرة الموصل وأين سبعة أو تسعة من اثني عشر ألفا ولعل النفر عليه اللعنة وفي الكشاف كانوا من الشياطين وهم أكثر الجن عددا وعدة جنود ابليس منهم والآية ظاهرة في أنه صلى الله تعالى عليه وسلم علم استماعهم له بالوحي لا بالمشاهدة وقد وقع في الاحاديث أنه عليه الصلاة والسلام رآهم وجمع ذلك بتعدد القصة قال في آكام المرجان ما حاصله في الصحيحين في حديث ابن عباس ما قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانطلق بطائفة من اصحابه الى عكاظ وقد حيل بين الجن والسهاء بالشهب فقالوا مالكم الا الذي حدث فاضربوا مغاربها الارض ومشارقها فمن ذهب اتيامة منهم عليه الصلاة والسلام وهو يصلي الفجر باصحابه نخلة فلما سمعوا له قالوا هذا الذي حال بيننا وبين السهاء ورجعوا الى قومهم وقالوا يا قومنا الخ فأنزل الله تعالى عليه قل أوحي الخ ثم قال ورتق ابن عباس انما هو في هذه القصة واستماعهم للاولة صلى الله تعالى عليه وسلم في الفجر في هذه القصة لا مطلقا ويدل عليه قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الخ فانها تدل على أنه عليه الصلاة والسلام كلمهم ودعاهم وجعلهم رسلا لمن عداهم كما قاله البيهقي وروى أبو داود عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتاني داعي الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن قال وانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نيرانهم الخ وقد دلت الاحاديث على أن وفادة الجن كانت ست مرات وقال ابن تيمية أن ابن عباس علم ما دل عليه القرآن ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وأبو هريرة من اتيان الجن له صلى الله تعالى عليه وسلم ومكالمتهم اياه عليه الصلاة والسلام وقصة الجن كانت قبل الهجرة بثلاث سنين وقال الواقدي كانت سنة احدى عشرة من النبوة وابن عباس تأخر اسلامه في حجة الوداع فقد علمت أن قصة الجن وقعت ست مرات وفي شرح البيهقي من طريق شعبة عن ابن مسعود أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلى العشاء ثم انصرف فأخذ بيدي حتى أتينا مكان كذا فأجلسني وخط علي خطا ثم قال لا تبرحن خطك فينا انا جالس اذ اتاني رجال منهم كأنهم الزط فذكر حديثا طويلا وذلك صلى الله تعالى عليه وسلم ما جاءه الى السحر قال وجعلت اسمع الاصوات ثم جاء عليه الصلاة والسلام فقلت اين كنت يا رسول الله فقال أرسلت الى الجن فقلت ما هذه الاصوات التي سمعت قال هي اصواتهم حين ردوني وسألوا عن وقد يجمع الاختلاف في القلة والكثرة بان ذلك لتعدد القصة أيضا والله تعالى أعلم واختلف فيما استمعوه فقال عكرمة اقرأ باسم ربك وقيل سورة الرحمن (فَقَالُوا) اي لقومهم عند رجوعهم اليهم (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا) اي كتابا مقروءا على ما فسر به بعض الاجلة وفسر بذلك للاشارة الى أن ما ذكروه في وصفه مما يأتي وصف له به دون القرءان من حيث انه لفظ والمراد انه من الكتب السماوية والتنوين للتفخيم اي قرآنا جليل الشأن (عَجَبًا) بديعا مباينا للكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) الى الحق والصواب وقيل الى التوحيد والايمان وقرأ عيسى الرشد بضمتين وهما لغتان نحو العنق والعنق (فَآمَنَّا بِهِ) اي بذلك القرآن من غير ريث (وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) حسبما تطق به ما فيه من دلائل التوحيد او حسبما تطق به الدلائل العقلية على التوحيد وانما عطف هذه الجملة

Marfat.com

بالفاء قال الخفاجي لان تفهيم الاشراك انما قام عندهم من الدليل العقلي فليتأمل لا يترتب على الايمان بالقرآن وانما سمعوه من القرآن فليتأمل يمكن في ترتيبها عليه عطف الاول بالفاء خصوصا والباء في به تحتمل السببية فيعم الايمان به الايمان بما قبله فتأمل اذا قلت ضربته فتأدب وانقاد لي فهم ترتب الانقياد على الضرب ولو قلت فانقاد لم يترتب على الاول بل على ما قبله وقيل عطفت بالواو والتفويض الترتب الى ذهن السامع وقد يقال ان الجموع فآمنا به ولن نشرك سبب عن مجموع انا سمعنا الخ فكونه قرآنا مسبب عن الايمان به وكونه يهدي الى الرشد يوجب قلع الشرك من اصله والاول اولى وجوز ان يكون ضمير به لله عز وجل لان كونه سبحانه ربنا يناسب ما قبله فلا تغفل ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ اختلفوا في المراد في هذه وما بعدها الى واما ما الثقلين ولذلك اتت بمن دون غيرها فقرأ العالمين عاصم وحمزة والكسائي وخلف وحفص بفتح الهمزة فيهن وواقفهم أبو جعفر في ثلاثة ماعدا وانه فانه يقول وانه كان رجال وقرأ الباقون بكسرها في الجميع واتفقوا على الفتح في أنه استمع وان المساجد لان ذلك لابد أن يكون من قول الجن بل هو مما أوحي بخلاف الباقي فانه يصح أن يكون من قولهم ومما أوحي واختلفوا في أنه لما قام فقرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة والباقون بفتحها فذا قصة يعني الآية وهو الدول عليه ووجه الكسر في ان هذه وما بعدها الى وانا ما الثقلين ظاهر كالكسر في أنا سمعنا قرآنا لظهور عطف الجمل على القول بعد القول ووضوح الدراهيا تحته وأما وجه الفتح فقيل حذف واو العاطف فيه فقال الفراء والزجاج والزمخشري هو العطف على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيها وكذلك الباقي ويكون في الجار والمجرور الذي الظاهر مع الزائد وليس من العطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار المنوع عند البصريين في شيء وان قيل به هنا بناء على مذهب الكوفيين الموزين له ولو قيل انه بتقدير الجار لاطراد حذفه قبل ان وان لكان سديدا كما في الكعب وشطب ويكفي العطف على ما في حيز آمنا فقال فيه يعدل الى لانهم بإخبارهم أنهم آمنوا بانهم لما سمعوا الهدى آمنوا به ولا انهم آمنوا بانه كان رجال اذا حكى الله تعالى عنهم أنهم قالوا ذلك عبرين عن أنفسهم لاصحابهم وأجيب من القائلين انه بان الايمان والتصديق يحسن في بعض تلك المعلومات بلا شبهة فيمضي في الباقي ويحمل على الغلبة على حد قوله ورجحين الطواحب والبرونا فيخرج على ماخرج عليه أمثاله فيقول صدقنا بما يفصل الجميع أو يقدر مع كل ما يناسبه وقال أبو حاتم هو العطف على ناب فاعل أوحي أعني انه استمع بالغ أن المساجد لله أن الوحي دين عبادة الجن بطريق الحكاية لأنه قيل قل أوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات وتعب بان حكاية عبارتهم تقتضي ان تكون أن في كلامهم مفتوحة الهمزة ولا يظهر ذلك الا أن يكون في كلامهم ما يقتضي الفتح كما سمعوا أو اعطوا أو نحو ذلك لكنه أسقط وقت الحكاية والاخبار لاسقاطه وجه وعلى تقدير الظهور فالفتح ليس لاجل العطف فان النائب عن الفاعل عليه مجموع الجملة على ارادة اللفظ دون التمثيل من ان ومابعدها والاصح أن يقال الوحي كيت وكيت وهذه العبارات فان كانت ان في كلامهم مكسورة الهمزة وهت دعوى أن الحكاية اقتضت فتحها مع ارادة هذه العبارات منه فذاك والا فالامر كما ترى فافهم وتأمل والجد العظمة والجلال يقال جد في عيني أي عظم وجل أي وصدقنا ان العلي ارتفع عظمة وجلال ربنا أي عظمت عظمته عز وجل وفيه من المبالغة مالا يخفى وقال أبو عبيدة والاخفش الملك والسلطان وقيل الغنى وهو مروي عن أنس والحسن في الآية والاول مروي عن الجمهور والجد على جميع هذه الاوجه مستعار من الجد الذي هو البخت وقوله عز وجل ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ عليها تفسير للجملة

Marfat.com

وبيان حكمها وقد لم يتعلق علمنا بمراد وصفه عز وجل بالتعالي عن الصاحبة والولد لسلطته أو لسلطانه أو لغناه سبحانه وتعالى وكأنهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ اعتقده كفرة الجن من تشبيه سبحانه بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستظهوه وتنزهوه تعالى عنه . وقرأ حميد بن قيس جد بضم الجيم قال في البحر وسناء العظيم حكاه سيبويه واضافه الى ربنا من اضافة الصفة الى الموصوف والذي تعالى ربنا العظيم وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة وابن محيصن وعمرو بن فائد وابن مقسم أيضا ربنا بالرفع وخرج على أن الجد بمعنى العظيم أيضا وربنا خبر مبتدأ محذوف أي هو ربنا أو بدل من جد وقرأ أيضا جداً منونا منصوبا على أنه تمييز محول عن الفاعل وقرأ هو أيضا وقتادة جدا بكسر الجيم والتنوين والنصب ربنا بالرفع قال ابن عطية نصب جدا على الحال والذي تعالى ربنا حقيقة وتمكنا وقال غيره هو صفة لمصدر محذوف أي تعالا جدا وقرأ ابن السميفع جدا ربنا أي جدواه ونفعه سبحانه وكان المراد بذلك الذي فلا تغفل ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ﴾ هو ابليس عند الجمهور وقيل مردة الجن والاضافة للجنس والمراد سفهاؤنا ﴿ عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾ أي قولا ذا شطط أو بعد من القصد وتجاوز للحد أو هو في نفسه شطط اذ هو كفر بخلقه من الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه عز وجل وتعالى الايمان والتصديق بذلك قولين دل ما يقتضيه السياق على ما في حيز لما أن ابليس باعتبار نفسه فانهم كانوا قائلين قولا سفيهين من قبل باعتبار كونه شططا كان قبل وصدقنا كان ما كان قول سفيه الى حضرته سبحانه كان شططا ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ اعتقادنا نحو من تقليدهم السفيه أي كنا نظن ان الانس والجن لعظم شأنهم عند الله تعالى أحد فينزه الله سبحانه الصاحبة والولد وذلك اعتقدنا صحة قول السفيه وامثاله الايمان متعلق بما يشعر به الافهام عقلا ويتعالى اليه من عظيم في ظنهم كأنه قيل وصدقنا بخطئنا في ظننا الذي لاجله اعتقدنا ما اعتقدنا وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول كما في قعدت القرفصاء أو وصف لمصدر محذوف أي قولا كذبا أي مكذوبا فيه لاستحالا يتصور صدور الكذب منه وان اشتهر توصيفه به كالباطل وجوز أن يكون من الوصف بالمصدر مبالغة وهي واجبة للحق دون الباقي وقرأ الحسن والبجدري وعيسى الرحمن بن أبي بكرة ويعقوب وابن مقسم تقول مضارع تقول وأصله تتقول بتاءين حذفت احداهما فكذبا مصدر مؤكد لان الكذب هو التقول ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ كان الرجل من العرب اذا أمسى في واد قفر وخاف على نفسه نادى بأعلى صوته باعزيز هذا الوادي أعوذ بك من السفهاء الذين في طلبتك يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس وذلك قوله تعالى ﴿ فَزَادُوهُمْ ﴾ اي زاد الرجال العائذون الجن ﴿ رَهَقًا ﴾ أي تكبرا وعتوا فالضمير المرفوع لرجال الانس والمنصوب لرجال الجن وهو قول ابن عباس وابن زيد والحسن وعبيد بن عمير وجماعة الا أن منهم من فسر الرهق بالاثم وأنشد الطبري لذلك قول الاعشى

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ✽ عار عليك اذا فعلت عظيم

فانه أراد ما لم يتنه عنه فالنهي هنا فزادت الانس الجن ما أتاهم الانهم معشوم فزادوهم استعلاء لغلبهم الله تعالى أو فزاد الجن العائذين غيا بأن أطمعوهم حتى استعاذوا بهم فالضميران على عكس ما تقدم وهو قول قتادة وأبي العالية والربيع وابن زيد واقتصر على الاول الطيبي وعلى هذا قيل الترتيب الاخباري ويجب الغراء الا أن ما بعد الفاء قد يتقدم اذا دل عليه السياق كقوله تعالى وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا وجمهور النحاة على خلافه وقيل في الكلام حذف أي فاتبعوهم فزادوهم ولا بأس ظاهرة في أن لفظ الرجال يطلق على ذكور الجن كما يطلق على ذكور الانس وقيل لا يطلق على ذكور الجن

Marfat.com

ومن الجن في الآية متعالى يعوذون ومعناها أنه كان رجال من الانس يعوذون من شر الجن برجال من الانس وكان الرجل يقول مثلا أعوذ بعفريفة بن بدر من جن هذا الوادي وهو قول غريب مخالف لما عليه الجمهور المؤيد بالآثار ولعل تعالى الايمان بها باعتبار ما يشعر به من كون ذلك ضلالا موجبا لزيادة الرهق . وقد جاء في بعض الاخبار ما يدل بدل هذه الاستعاذة فقي حديث طويل أخرجه أبو نعيم البجزي في الابانة من طريق مجاهد عن ابن عباس وقال غريب جدا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا أصاب أحدا منكم وحدة أو نزل بأرض مجلة فليقل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن النهار ومن طوارق الليل الا طارقا يطرق بخير (وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا) أي الانس (كَمَا ظَنَنْتُمْ) أيها الجن على أنه كلام بعضهم لبعض (أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا) أي من الرسل الى أحد من العباد وقيل أن لن يبعث سبحانه احدا بعد الموت وأيدا كان فالمراد وقد أخطأوا وأخطأتم والله متعالى الايمان وقيل التقى ان الجن ظنوا كما ظننتم أيها الكفرة ان لم يبعث فتكون هذه الآية من جملة الكلام الموحى بمعطوفا على قوله تعالى إنه استمع على قراءة الكسر تكون استئنافا من الله تعالى وكذا ما قبلها على ما قيل وفي الكشاف قبل الآيتان من هذه وقوله تعالى وانه كان رجال الخ من جملة الوحي وتعقب ذلك في الكشف بأن فيه ضعفا لان قوله سبحانه وانا لمسنا السماء الخ من كلام الجن أو مما صدقوه على القراءتين لان من الوحي اليه فتخلل ما تخلل وليس اعتراضا غير جائز الا ان يقال بأنه يجري مجراه لكونه بؤكد ما حدث عنهم في تماديهم في الكفر أولا ولا يخفى ما فيه من التكلف انتهى وأبو السعود اختار في جميع الآل المصدرة بأنا العطف على أنه استمع على نحو ما سمعت عن أبي حاتم وقد سمعت ما فيه آنفا وان عدة من التبعية لسببها ضمير الشأن والجملة بعدها خبر وجملة ان لن يبعث الخ قيل سادة مسد مفعولي ظنوا وجوز أن تكون سادة مسد مفعولي ظننتم ويكون الساد مسد مفعولي الاول محذوفا كما هو الغالب في أمثال ذلك ورجح الاول في الآية بأن ظنوا هو المقصود فيها فجعل المذكور له أحق وأما ظننتم فذكور بالتبع ومنه يعلم ان كون الخطاب أحد الثاني في باب التنازع ليس على اطلاقه (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ) أي طلبنا بلوغها لاستماع كلام أهلها أو طلبنا خبرها والمس قيل مستعار من المس الطالب كالجس بقول لمسه والمسه ولمسه كطلبه وأطلبه واطلبه والظاهر ان الاستعارة هنا تبعية لانه مجاز مرسل لاستعماله في لازم معناه والسماع على ظاهرها (فَوَجَدْنَاهَا) أي صادفناها وأصبناها فوجدت لواحد وقوله تعالى (مُلِئَتْ) في موضع الحال بتقدير قد أو بدونه وان كانت وجد من أفعال القلوب فهذه الجملة في موضع المفعول الثاني وقرأ الاعرج ملئت بالياء دون همز (حَرَسًا) أي حراسا اسم جمع كخدم كما ذهب اليه جمع لانه على وزن يتأتى في المفردات كبصر وقد نسب اليه فقيل حرسي وذهب بعض الى انه جمع والصحيح الاول ولذا وصف بالمفرد فقيل (شَدِيدًا) أي قويا ونحوه قوله

بنيه بحصبة من مالها * أخفى رجالا وركبا عاديا

ولو روعي معناه جمع بأن يقال شدادا الا أن يقطر الظاهر وزن فعيل فانه يستوي فيه الواحد والجمع والمراد بالحرس الملائكة عليهم السلام الذين يلونهم من قرب السماء (وَشُهُبًا) جمع شهاب وقد مر الكلام فيه وجوز بعضهم ان يكون المراد بالحرس الشهب والعطف متأتي قوله * وهذه أتى من دونها النأي والبعد * وهو خلاف الظاهر ودخول الناس لما لم يبلغ في حيز الايمان ولذا أكثر الجن الآتية في غاية الخفاء والظاهر تقدير

Marfat.com

نحو تخبرنا فيما لا يظهر لخوفنا في ذلك وتأويل أنا ندان أول الأمر بما ينسحب على الجميع (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ) قيل هذا (مِنْهَا) أي من السماء (مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ) أي مقاعد كائنة للسمع خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للرصد والاستماع والسمع متعلق بنفس أي لاجل السمع أو بمضمر هو صفة للمقاعد وكيفية قعودهم على ما قيل ركوب بعضهم فوق بعض وروى في ذلك خبر مرفوع وقيل لا مانع من ان يكون بعروج من شاء منهم بنفسه الى حيث يسمع منه الكلام (فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ) فالذي شرح الرسول الآن بمعناه هنا القرب مجازا فيصح مع الماضي والمستقبل وفي البحر أنه ظرف زمان الحال ويستمع مستقبل فاتسع في الظرف واستعمل للاستقبال ﴿ قال ﴾ سأسمي الآن اذ بلغت أناها ﴿ قالوا فمن يقع منه استماع في الزمان الآتي (يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا) أي يجد شهابا راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم فرصد صفة شهابا فان كان مفردا فالامر ظاهر وان كان اسم جمع فرصد كحرس فوصف المفرد به لان الشهاب اعدة منه واحراقه جبل كانه شهب ونظير ذلك وصف الطاوهو واحد الاسماء بضياع في قول القائل

كأن فروه رجل حين ضمت ✿ حوالب فرزلوا مما حواها

ويجوز كونه مصدرا له أي لاجل الرصد وقيل يجوز أن يكون اسم جمع صفة لما قبله بتقدير ذوي شهاب فكأنه قيل يجدله ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة عليهم السلام الذين يرجونهم بالشهب ويذودونهم من الاستماع وفيه بعد وفي الآية رد على من زعم ان الرجم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو احدى آيات عليه الصلاة والسلام حيث قيل فيها ملئت وهو ﴿ قال الجاحظ ظاهر في ان الحادث هو القل والكثرة انما قوله سبحانه تقعد منها مقاعد على مافي الكشاف فكأنه قيل كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها فمن يستمع الخ ويدل على وجود الشهب قبل ذكرها في شعر الجاهلية قال بشر بن أبي خازم

والطير يرهقها الغبار وجحشها ✿ ينفضن خلفهما انفضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر

والنفض كالدري يتبعه ✿ نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع يصف فرسا

يرد علينا العير من دون إلفه ✿ لو النور كالدري يتبعه الدم

فان هؤلاء الشعراء كلهم ﴿ قال الحبر يزي جاهليون ليس فيهم مخضرم وما رواه الزهري عن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما عن ابن عباس بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس في نفر من الأنصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم وروي عن معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أرأيت قوله تعالى والذي تقعد فقال فاطت وشددأمرها حين بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ قال بعد أخذ بالثمن الآية أيضا والمعنى ان الرمي لم يكن أولا ثم حدث المنع من بعض السموات ثم كثر ومنع به الشياطين عن جميعها بمولد النبي عليه الصلاة والسلام ويجوز أن تكون الشهب من قبل حوادث كونية لاتمنع الشياطين أصلا والحادث بعد البعثة رمي الشياطين بها على معنى انهم اذا عرجوا للاستماع رموا بها فلا يلزم أيضا أن يكون كل ما يحدث من الشهب اليوم للرمي بل يجوز أن يكون لامور أخر بأسباب يخلقها الله تعالى ويجاب بهذا عن حدوث الشهب في شهر رمضان مع ما جاء من انه تصفد مردة الشياطين فيه ولن يقول ان الشهب لا تكون الا للرمي جواب آخر مذكور

Marfat.com

في موضعه وذكروا وجداتهم القاعدة معلومة من الحراس ومنع الاسترقاق بالكلية قبل بيان لما حلهم على الضرب في البلاد حتى مروا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستمعوا قراءته عليه الصلاة والسلام وقولهم (وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ) بحراسة السماء (أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) أي خيرا كاستعمالك ما تعادل في الخير الحال عما كانوا ألفوه والاستدراك لأمر خطير والتردد إلى الاحتمالين جبرا ولا يخفى حال قولهم أشر أريد الخ من الأدب حيث لم يصرحوا بنسبة الشر إلى الله عز وجل كما صرحوا بالخير وإن كان فاعل الكل هو الله تعالى والجمع بين الأدب وحسن الاستدلال (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ) أي الموصوفون بصلاح الحال في شأن أنفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون إلى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا إلى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة (وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ) أي قوم دون ذلك الفاتر ونحوه حذف الموصوف لما كان بعض اسم مجرور بمن مقسم عليه والصفة ظرف كما هنا أو جملة كما في قوله منا أقام ومنا ظعن وأرادوا بهؤلاء القوم المتصدين في صلاح الحال على الوجه السابق لا في الإيمان والتقوى كما قيل فإن هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) وأما حالهم بعد استماعه فستحكي بقوله تعالى وأنا لما سمعنا الهدى إلى قوله تعالى وأنا منا المسلمون الخ وجوز بعضهم كون دون بمعنى غير فيكون دون ذلك شاملا للشرير المحض وأيا ما كان فطبقة كما الخ تفسير للقسمة المتقدمة لكن قيل الأنسب عليه كون دون بمعنى غير والكلام على حذف مضاف أي كذوي طرائق أي مذاهب أو مثل طرائق في اختلاف الأحوال أو كانت بعض الطرائق قددا وكون هذا من تلك التركيبات لا يلتفت إليه وعدم اعتبار التشبيه البليغ ليستغنى عن تقدير مثل قيل لأن المثل ليس محل المبالغة وجوز الزمخشري كون طرائق منصوبا على الظرفية بتقدير في أي كنا في طرائق وتعقب بأن الطريق اسم خاص لموضع يستطرق فيه فلا يقال للبيت أو المسجد طريق على الاتساع وإنما يقال جعلت المسجد طريقا فلا ينتصب منه على الظرفية إلا في الضرورة وقد نص سيبويه على أن قوله ☆ كما عسل الطريق الثعلب ☆ شاذ فلا يخرج القرآن الكريم على ذلك وقال بعض النحاة هو ظرف عام لأن كل موضع يستطرق طريق والقدد المتفرقة المختلفة قال الشاعر

القابض الباسط الهادي بطاعته ● في فتنة الناس إذ أهواؤهم قدد

جمع قدة من قد القطع لأن كل طريق لامتيازها منقطع من غيرها (وَأَنَّا ظَنَنَّا) أي علمنا الآن (أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ) أي أن الشأن لن نعجز الله تعالى كائنين (فِي الْأَرْضِ) أي أينما كنا من أقطارها (وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا) أي هاربين منها إلى السماء فالأرض مفعول به على الحقيقة كان وإن الخ في مقابلة ما قبل لزم أن يكون الهرب إلى السماء وقيه نوع مبالغة كأنه قيل لن نعجزه سبحانه في الأرض ولا في السماء وجوز أن لا ينظر إلى عمومه ولا خصوص كأني أرى بابا الغرائب وجعل الفوت على قسمين أخذا من لفظ الهرب والمعنى لن نعجزه سبحانه في الأرض إن أراد بنا أمرا ولن نعجزه عز وجل هربا إن طلبنا وحاصله إن طلبنا لم نفته وإن هربنا لم نخلص منه سبحانه وفائدة ذكر الأرض تصوير أنهما مع هذه البسطة والفراغة ليس فيها منجا منه تعالى ولا مهرب البتة فقدرته سبحانه وزيادة تمكنه جل وعلا ونحوه قول القائل

ولئك كالليل الذي هو مدركي ● وإن خلت أن المنتأى منك واسع

وقيل فائدة ذكر الأرض تصوير تمكنهم عليها وقابليتهم عن فعل استوائه سبحانه وتعالى وليس بذاك وكون في الأرض

وهربا

Marfat.com

وهو باطل كما أشرنا اليه والذي عليه الجمهور وجوز في هو الوجه الاول أن يكون تمييزا أو لان من القائل أي ان سجزه سبحانه هو ربنا (وَأَنَّا كُنَّا نَسْتَمِعُ الْهُدَى) أي القرآن الذي هو الهدى به (آمَنَّا بِهِ) من غير تلعثم وتردد (فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ) وما أثره عز وجل (فَلَا يَخَافُ) جواب الشرط ومثله من التي لا يصح فيه دخول الفاء وتركها كما صرح به في شرح التسهيل الا ان الاحسن تركها لو قدرها مبتدأ لتكون الجملة اسمية فتوافق اقترانها بالفاء اذا وقعت جوابا الا فيما شذ من نحو ٭ من يفعل الحسنات الله يشكرها ٭ مطلقا ومنهم أوجب التقدير لزعمه عدم عمل دخول الفاء في ذلك أي فهو لا يخاف (بَخْسًا) أي نقصانا في الجزاء وقال الراغب البخس النقص على سبيل الظلم (وَلَا رَهَقًا) أي غشيان فلة من قولهم ارهقه العسر وأرهقه اذا أعجله ومطلق الغشيان وقال الراغب رهقه الامر أي غشيه بقهر وفي الاساس رهقه بذا غشيه وعبي مراهق مدان للعلم وفي النهاية يقال رجل فيه رهق اذا كان يحتمل الشر ويتهاون وحاصل المعنى فلا يخاف أن يبخس حقه ولا ان ترهقه زلة فالصدر اني بخسا مقدر باعتبار المقول وليس المعنى على ان غير المؤمن يبخس حقه بل النظر الى تأكيد ما ثبت للمؤمن الجزاء لو فيره كلا وأنا غيره فلا نصيب له فضلا من الكمال وفيه ان ما يجزى به غير المؤمن مبخوس في نفسه وبالنسبة الى هذا الحق فيه الى البخس وان لم يكن هناك بخس حق كما في الكشف أو فلا يخاف بخسا ولا رهقا لانه لم يبخس أحدا حقا ولا رهقه ظلما فلا يخاف جزاءهما وليس من اختيار مذاق أعني الجزاء بل ذلك بيان لحاصل المعنى وان ما ذكر في نفسه مخوف فانه يصح ان يقال خفت الذنب وخفت جزاءه لان ما يتولد منه المحذور محذور وفيه دلالة على أن المؤمن لاجتنابه البخس والرهق لا يخافهما فان عدم الخوف من المحذور انما يكون لانتفاء المحذور وجاز أن يحمل على الاخبار وأصل الكلام فمن لا يبخس أحدا ولا يرهق ظلمه فلا يخاف جزاءها فوضع ما في النظم الجليل موضعه تنبيها بالسبب على المسبب والاول كما قيل أظهر وأقرب مأخذا وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس انه قال في الآية لا يخاف نقصا من حسناته ولا زيادة في سيئاته وأخرج عبد بن حميد عن قتادة أنه قال فلا يخاف بخسا ظلما بأن يظلم من حسناته فينقص منها شيء ولا رهقا ولا أن يحمل عليه ذنب غيره وأخرج نحوه عن الحسن وابن أبي الدنيا أنسب بالترغيب بالايمان وبالنظر الرهق أيضا نظرا الى ما سمعت من قوله تعالى وترهقهم ذلة وقرأ ابن وثاب والاعمش فلا يخف بالجزم على أن الناهية لا تأتي الا للجواب المقترن بالفاء لا يصح جزمه وقبل الفاء زائدة ولا النافية ولا يبنى وأيا ما كان فالقراءة الاولى أدل على تحقق أن المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره وذلك التقدير هو عليها وبناء الفعل عليه نحو هو عرف ويجتمع فيه القوى والاختصاص اذا اقتضاها المقام وقرأ ابن وثاب بخسا بفتح الخاء المعجمة (وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) الجائرون على طريق الحق الذي هو الايمان والطاعة يقال قسط الرجل اذا جار وأنشدوا

قوم هم قتلوا ابن هند عنوة ٭ عمرا وهم قسطوا على النعمان

(فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ) الاشارة الى من أسلم باعتبار اتصافه بالجمع باعتبار المعنى (تَحَرَّوْا) توخوا وقصدوا (رَشَدًا) عظيما يفهم الى العارفين وقرأ الاعرج رشدا بضم الراء وسكون الشين (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ) الجائرون عن سنن الاسلام (فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) توقدبهم كالتوقد بالكفرة الناس والمستظهر أن في أسلم الخ من كلام الجن وقال ابن عطية الوجه أن يكون خاطبهم الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وبه يندفع ما يعد من الآيات في الكشاف زعم من لا يرى

Marfat.com

الجن وإبان الله تعالى أوحى ما عليهم وما عدمسليهم وكفى به وعدا ان قال سبحانه فأولئك تحروا رشدا. فذكر سبب الثواب والله عز وجل أعدل من أن يعاقب الفاسد ولا يثيب الراشد وهو ظاهر في أنه من كلام عز وجل وقوله تعالى ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا ﴾ الخ معطوف فعلى فاعل قوله سبحانه استمع ولا يضر تقدم المعطوف على غيره على القول به لظهور المعنى وعدم الالتباس وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وقرأ الاعمش وابن وثاب بضم واو لو والنون وأوحى الى أن الشأن لو استقام الانس والجن أو كلاهما ﴿ عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ التي هي ملة الاسلام ﴿ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ أي كثيرا وقرأ عاصم في رواية الاعمش بكسر الغين والمراد لوسعنا عليهم الرزق وخصص الماء الغدق بالذكر لانه أصل النماء وكثرته أصل السعة فقد قيل المال حيث المواشي وجوده بين العرب ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ أي لنختبرهم كيف يشكرون أي لنعاملهم معاملة المختبر وقيل لو استقاموا على الطريقة الحق أي لو ثبتناهم على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته سبحانه ولم يتكبروا عن السجود لآدم ولم يكفروا بنبيه وآله على الاسلام لاسبغنا عليهم ووسعنا رزقهم لنختبرهم ويجوز على هذا رجوع الضمير الى القاسطين وهو المروي عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن جبير والضحاك قيل لان التعريف للعهد والمعهود طريقة الجن المقتضية على غيرها وقيل لان جلها طريقة وما عداها ليس بطريقة بهم منه كونها مقتضية وقيل الذي انه لو استقام الجن على طريقتهم وهي الكفر ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لتوقعهم في الفتنة وتعذيبهم في كفر ان النعمة وروي نحو هذا عن الضحاك والربيع بن أنس وزيد بن أسلم وأبي الجلد يريد انهم اعتادوا الضجر على من أسلم وقالوا أي لو كفر من أسلم من الناس لاستبدع الخ وهو خلاف الظاهر لاستعمال الاستقامة في الطريقة في الاستقامة في الكفر وكون النعمة المذكورة استدراجا من غير قرينة عليه مع ان قوله تعالى ولو ان أهل القرى آمنوا الخ يؤيد الاول ومن الغريب أن التذييل بقوله عز وجل ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ ﴾ الخ نصر ما قيل قال لانه تهديد للمنعمين السابق من الوعيد اي لنستدرجهم فنبتليهم النعمات التي هي موجبة لقيام والاعراض عن ذكر الله تعالى وفيه نظر والذكر مصدر مضاف لفاعله يجوز به عن العبادة أو هو بمعنى الذكر مضاف لفاعله ويفسر بالموعظة وقال بعضهم المراد بالذكر الوحي أي ومن يعرض عن عبادة ربه تعالى أو عن موعظته سبحانه أو عن وحيه عز وجل ﴿ يَسْلُكْهُ ﴾ مضمن معنى ندخله ولذا تعدى الى المفعول الثاني أعني قوله تعالى ﴿ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ بنفسه دون في أو هو من باب الحذف والايصال والصعد مصدر وصف به مبالغة أو تأويلا أي ندخله عذابا يطلب المعذب ويغلبه وفسر بدأب يقال فلان في صعد من أمره أي في مشقة ومنه قول عمر رضي الله تعالى عنه ما تصعدني شيء كما تصعدني خطبة النكاح أي ما شق علي وكأنه انما قال ذلك لانه كان من عادتهم أن يذكروا جميع ما كان في الخاطب من الاوصاف الوروثة والاكتسابة فكان يشق عليه ارتجالا أو كان يعمل أن يقول الصدق في وجه الخاطب وعشيرته وقيل انما شق من الوجوه ونظر بعضهم الى بعض وقال أبو سعيد الخدري وابن عباس صعد جبل في النار قال الخدري كلما وضعوا أيديهم عليه ذابت وقال مكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى الى أعلاها عمر الى جهنم فمتى هذا قال أبو حيان يجوز أن يكون بدلا من عذاب على حذف مضاف أي عذاب صعد ويجوز أن يكون مفعول نسلكه وعذابا مفعول من أجله وقرأ الكوفيون يسلكه بالياء وباقي السبعة بالنون وابن جذب بالنون من أسلك وبعض التابعين بالياء كذلك وهما لغتان سلك وأسلك قال الشاعر يصف جيشا مزودين

Marfat.com

حتى انا أملكوهم في (١) قتادة ● تلا كيا تطرد الجلة الشردا

وقرأ أبو حيوة بضم الهمزة وفتح النون قال الحسن بمعناه لا راحة له (وأن المساجد لله) عطف على أنه استمع فيوحى جملة الوحي والظاهر أن المراد بالمساجد المواضع المعدة للصلاة والعبادة أي وأوحي الى أن المساجد مختصة بالله تعالى شأنه (فلا تدعوا) أي فلا تعبدوا أيها (مع الله أحدا) غيره سبحانه وقال الحسن المراد في موضع سجد فيه من الارض سواء أعد لذلك أم لا اذ الارض كلها مسجد لهذه الامة وكأنه اخذ ذلك من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الصحيح جعلت لي الارض مسجدا وطهورا واشتهر ان هذا من خصائص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أي شريعته فيكون له ولأمته عليه الصلاة والسلام وكان من قبل انما تباح لهم الصلاة في البيع والكنائس واستشكل بان عيسى عليه السلام كان يكثر السياحة وغيره من الانبياء عليهم السلام يسافرون فاذا لم تجز لهم الصلاة في غير ما ذكر لزم ترك الصلاة في كثير من الاوقات وهو بعيد لا سيما في الحضر عليه السلام واذا قيل الخصوص كونها مسجدا وطهورا أي للجموع ويكفي في اختصاصه اختصاص الزمم وأجيب بان المراد الاختصاص بالنسبة الى الامم السالفة دون أنبيائها عليهم السلام والخضر ان كان حيا اليوم فهو من هذه الامة سواء كان نبيا أم لا لخبر لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي وحكمه فيه نبيا ظاهر والامر فيه غير بين سهل وقيل المراد بها المسجد الحرام أي الكعبة نفسها أو الحرم كله على ما قبل والجمع لان لها تابعة منه مسجد له خصوصة أولانه لما كان قبلة المساجد فان كل قبلة متوجهة نحوه جعل كأنه جميع المساجد مجازا وقيل المراد هو وبيت المقدس فقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس لم يكن يوم نزلت وأن المساجد لله إلا في الارض مسجدا لا المسجد الحرام ومسجد ايليا بيت المقدس وأمر الجمع عليه أظهر منه على الاول لا أنه على الاول خلاف الظاهر وما ذكر لا يتم دليلا له وقال ابن عطاء وابن جبير والزجاج والفراء المراد بها الاعضاء السبعة التي يسجد عليها واحدها مسجد بفتح الجيم وهي القدمان والركبتان والكفتان والوجه أي الجبهة والانف وروى ان المنصور سأل أبا جعفر محمد بن علي بن موسى الكاظم رضي الله تعالى عنهم عن ذلك فأجاب بما ذكر وقيل السجدات على ان المسجد بفتح الجيم مصدر ميمي ونقل عن الخليل بن أحمد ان قوله تعالى وأن المساجد بتقدير لام التعليل وهو متعلق بما بعده والمساجد بمعناها المعروف أي لان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ولما لم تكن العلة في جواب شرط محقق كانت في الحقيقة زائدة فلا يمتنع تقديم مدخول ما بعدها عليها ثم قال غير واحد حيي بها تضمن الكلام معنى الشرط والمعنى ان الله تعالى يحب أن يوحد ولا يشرك به أحد فان يوحدوه في سائر المواضع فلا تدعوا معه أحدا في المساجد لان المساجد له سبحانه مختصة به روي عن الاشراف في أقبح وأقبح والظاهر هذا قول ابن عباس لا يلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا على وجه ولا بعد ذلك من الشرط المحقق ويندفع بما ذكر لزوم جعل الفاء لانها السببية ومعناها مستفاد من اللام المقدرة وقيل في دفعه أيضا أنها تأكيد اللام أو زائدة حيي بها للاشعار بمعناها وأنها مقدرة والخطاب في تدعوا قيل للجن وأيد بما روى عن ابن جبير قال ان الجن قالوا يا رسول الله كيف نشهد الصلاة معك على نائنا فنزلت الآية لخاطبهم على معنى ان عبادتكم حيث كانت مقبولة اذا لم تشركوا فيها وقيل هو خطاب عام وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله عز وجل فأمرنا أن نخلص لله تعالى العبودة اذا دخلنا المساجد ينبغي بهذه الآية ومن ابن جريج بلغني فأمرنا الخ فالمراد أن يوحدوه وسيأتي ان شاء الله تعالى ما يتعلق بذلك أيضا وقرأ

(١) القلائد ثلثة معروفة اه منه

Marfat.com

كما في البحر ابن عمرو وطلحة وإن المساجد بكسر همزة إن وحمل ذلك على الاستئناف (وأنَّ) بفتح الهمزة عند الجمهور على أنه معطوف على الضمير المجرور في قوله تعالى (فآمنا به وأنه تعالى أي وأوحي إلي أن الشان (لما قام عَبْدُ اللهِ) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله تعالى (يَدْعُوهُ) حال من عبد أي قام عبداً يدعوه عز وجل وذلك قيامه عليه الصلاة والسلام لصلاة الفجر بنخلة كما مر (كادُوا) أي الجن كما قال ابن عباس والضحاك (يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) متراكبين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء أصحابه به قياما وركوعا وسجودا لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا نظيره وهذا كالظاهر في أنهم كانوا كثيرين لا تسعهم ونحوها وإيراده عليه الصلاة والسلام بلفظ العبد دون لفظ النبي أو الرسول أو الضمير لمالأته مقول على لسانه صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه أمر أن يقول أوحي لكذا فجيء به على ما يقتضيه مقام العبودية والتواضع أو لأنه تعالى عدل عن ذلك تنبيها على أن العبادة من العبد لا تستلزم النبوة وقال عليه الصلاة والسلام لأنه سبحانه كما هو رفعه نفسه من الزين فلا وجوه الأثر بعد العين وحيث كان هذا العدول منه جل وعلا لما لكذا ولكذا لا أنه تصرف من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى ما يتنع كما قاله بعض الأجلة الجمع بين الحسنين وقال الحسن وقتادة ضمير كادوا للكفار قريش والعرب فيراد بالقيام القيام بالرسالة وبالتلبد التلبد العداوة والمعنى وأنه لما قام عبد الله بالرسالة يدعو الله تعالى وحده ويخبرهم أنهم يدعون من دونه كادوا لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكبين وجوز أن يكون الضمير على هذا للجن والإنس ومن فسادة أيضا ما يقتضيه قال لبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفؤه فأبى الله تعالى الا أن ينصره ويظهره على من ناوأه وفي البحر أبعد من قال عبد الله هنا نوح عليه السلام كاد قومه يقتلونه حتى استغفد الله تعالى منهم قاله الحسن وأبعد منه قول من قال انه عبد الله بن سلام اه والمعنى أنه لا ينبغي القول بذلك ولا أظن له صحة بوجه من الوجوه وقرأ نافع وأبو بكر كما قدمنا وابن عامر وطلحة كما في البحر وابنه بكسر الهمزة وحمل على ان الجملة استئنافية من كلامه عز وجل وجوز أن تكون من كلام الجن معطوفة على جملة الأمر مما حكوا فيها لقومهم لما رجعوا إليهم مبلغا وأمن صلاة صلى الله تعالى عليه وسلم وازدحام أصحابه عليه في التسامع به وحكى ذلك من ابن جرير وجوز نحو هذا على قراءة الفتح بما نقل ما سمعت عن أبي حاتم أو بتقدير ولخبرك أو نحوه هذا وفي الكشف الوجه على تقدير أن يكون وان المساجد من جملة الوحي أن يكون فلا تدعوا خطابا للجن محكيا أن جعل قوله تعالى وانه لما قام الخ معطوفا على قراءة الكسر من مقول الجن لئلا ينفك النظم لو جعل ابتداء قصة ووحيا آخر منقطعا عن حكاية الجن وكذلك لو جعل ضمير كادوا للجن على قراءة الفتح أيضا والأصل ان المساجد لله فلا تدعوا أيها الجن مع الله أحداً فقيل قل يا محمد فتحرك مكة أوحي الي كذا وإذا كان كذلك فيجيء في ضمن الحكاية التي هذا الحكم بالنسبة الى المخاطبين أيضا لاتحاد القصة وأما لو جعل خطابا عاما فالوجه ان يكون ضمير كادوا راجعا الى الكفرين أو الى الجن والانس وأن يكون على قراءة الكسر جهة استئنافية لابتداء قصة منه جل شأنه في الاخبار عن حال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو تمهيد لما يأتي من بعد وتوكيد لما ذكر من قبيل فكأنه قيل قل فتحرك مكة ما كان من حديث الجن وإيمان بعضهم وكفر آخرين منهم ليكون حكاية ذلك لطفا لهم في الاتيان بما كانوا فيه من الايمان ثم قيل وانه لما قام عبد الله يدعوه وبوحده كاد الفريقان من كفرة الجن والانس يكونون عليه لبدا دلالة على عتوهم وانهماكهم مع هذه الدلائل الباهرة والآيات الزاهرة وما أحسن التقابل بين قوله تعالى وان المساجد لله وبين هذا القول كأنهم نهوا الجم عن الاشراك ودعوا الى التوحيد فقابلوا ذلك بمعاداة من يوحد الله

Marfat.com

سبحانه ويدعوه ولم يرضوا بالاله وحده وهذا من خواص الكتاب الكريم ويديع أسلوبه اذا أخذ في قصة ذكر قصة جيلها متناسقتين فيما سبق له الكلام وزاد عليه الثانية على بنائها في تناسب غاية الاولى وفائقتها في اوائل هذا الوجه من الوجاهة بمكان وأما لو فسر بما حكي عن الخليل والاين الساجد فلا تدعوا الخ فلوجه أن يكون استطراداً ذكر عقيب وعيد المرض والظل على هذا على الاعضاء السبعة أظهر لان فيه مذكرا لكونها مما تنتهي الناس بها عليهم وتنبيها على ان الملكة في خلقها خدمة العبود من حيث العدول عن لفظ الاعضاء واسمائها الخاصة الى الساجد ودلالة على أن ذلك باقي الاشراك وحينئذ لا يبقى اشكال في الرابط ما بعده بما قبله على القراءتين والاوجه والله تعالى أعلم به فتأمل ﴿ واللبد بكسر اللام وفتح الباء كما قرأ الجمهور جمع لبدة بالكسر نحو كسرة وكسر وهي الطاقات شبيت بالتي يتخذ القتيد بعضه فوق بعض ويقال للجراد ومنه كما قال الجياني قول عبد مناف بن ربع الهذلي

عاقوا بسنة أبيات وأربعة ✻ حتى كأن عليهم جابيا لبدا

وقرأ مجاهد وابن محيصن وابن عامر بخلاف عنه لبدا بضم اللام جمع لبدة كزبرة وزبر وعن ابن محيصن أيضا تسكين الباء وضم اللام وقرأ الحسن والجحدري وابو حيوة وعاصة عن ابي عمرو بضمتين جمع لبد كرهن ورهن او جمع البود كصبور وصبر وقرأ الحسن والجحدري ايضا بخلاف عنهما لبدا بضم اللام وتشديد الباء جمع لابد ولبد رجاء بكسرها وتشديد الباء المفتوحة ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا ﴾ اعبد ﴿ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ ﴾ في العبادة ﴿ أَحَدًا ﴾ فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب او الاطباق على عداوتي وقرأ الاكثرون قال على انه حكاية ما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم لقريش لما عابوا عليه ما رجعوه الى قولهم فلا تفعل وقراءة الامر وهي قراءة عاصم وحمزة وأبي عمرو بخلاف عنه الظهر والى لقوله سبحانه ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ اي ولا نفعا غير باسم السبب عن المسبب والمعنى لا استطيع ان اضر كم ولا انفعكم لانه الضار والنافع هو الله عز وجل وأولا أملك لكم عبادا لان الضر مراد به الغي عبر باسم السبب عن المسبب ويدل عليه قراءة ابي غيا بدل ضرا والمعنى لا استطيع أن أقسركم على الغي والرشد انما القادر على ذلك هو الله سبحانه وتعالى وجوز أن يكون في الآية الاحتباك والاصل لا أملك لكم ضراً ولا نفعا ولا غيا ولا رشداً فترك من كل المتقابلين ما ذكر في الآخر وقرأ الاعرج رشدا بضمتين ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ ﴾ ان أرادني سبحانه سوء ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ أي معدلا ومنحرفا وقال الكلبي مدخلا في الارض وقال السدي حرزا وأصله المدخل من اللحد والمراد ملجأ يركن اليه وأنشدوا

يا لهف نفسي ونفسي غير مجدية ✻ على وما من قضاء الله ملتحد

وجوز فيه الرفع على انه اسم كان وعلى انه مصدر وهذا على ما قيل بيان لتجزه عليه الصلاة والسلام عن شؤن نفسه بعد بيان العجز عن شؤن غيره صلى الله تعالى عليه وسلم عن شؤن غيره وقيل في الكلام حذف وهو قالوا أرأيت ما تدعوا اليه ونحن نخبرك فقل اني لن يجيرني الخ وقيل هو جواب لقولهم ردوا سيدنا الجن وقدروا دعوا عليك أو عابوا آلهتنا فقل اني لن يجيرني الخ تحكم والاولان ليسا بشيء وقوله تعالى ﴿ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ ﴾ استثناء من مفعول لا أملك كما يشير اليه كلام قتادة ومايئهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة فلا اعتراض بكثرة الفصل للبعدة لذلك فان كان النفي لا أملك ان اضركم ولا انفعكم كان استثناء متصلا لانه قيل لا أملك شيئا الا بلاغا وان كان النفي لا أملك ان أقسركم على الغي والرشد كان منقطعا أو من باب ✻ لا عيب فيهم

Marfat.com

غير أن سيوفهم * ﴾ في الكشاف وظاهر كلام بعض الأجلة أنه إذا استثناء متصل من رشدا فإن الإبلاغ ارشاد ونفع والاستثناء من المعطوف دون المعطوف عليه جائز وإذا استثناء منقطع من ملتحدا قال الرازي لأن البلاغ من الله تعالى لا يكون داخلا تحت قوله سبحانه من دونه ملتحدا لأنه لا يكون من دون الله سبحانه بل منه جل وعلا وبإعانته وتوفيقه وفي البحر قال الحسن هو استثناء منقطع أي لن يجيرني أحد لكن أن بلغت رحمتي بذلك والإجارة مستعارة للبلاغ إذ هو سبب إجارة الله تعالى ورحمته سبحانه وقيل هو على هذا الذي استثنا متصل والمعنى لن أجد شيئا أميل إليه واعتصم به إلا أن أبلغ وأطيع فيجيرني فيجوز نصبه على الاستثناء من ملتحدا أو على البدل وهو الوجه لأن فيه نفيا وعلى البدل خرجه الزجاج انتهى والأظهر ما تقدم وقيل إن الا مركبة من ان الشرطية ولا النافية والمعنى إن لا أبلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب فهو كقولك الا قياما فقعودا وظاهره أن المصدر سد مسد الشرط كسول كان ولم في حذف جملة الشرط مع بقاء الأداة كلام والظاهر إن اطراد حذفه مشروط بقيد لا ﴾ في قوله

فطلقها فلست لها بكفء * وإلا يعل مفرقك الحسام

مالم يسد مسده شيء من معمول أو مفسر كان أحد من المتركين استجارك والناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر والإيعاد وقوله تعالى ﴿ وَرِسَالَاتِهِ ﴾ معطوف على بلاغا من الله متعلق بمحذوف وقع صفة أي بلاغا كائنا من الله وليس بصلة لا يبتدئ بمن كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بلغوا عني ولو آية والمعنى على ما عطفت أو إلا الاستثناء لا أملك لكم الا تبليغا كائنا من الله تعالى ورسالاته التي أرسلني عز وجل بها وفي الكشف في الكلام اضمار أي بلاغ رسالاته وأصل الكلام الإبلاغ رسالات الله فعدل إلى النزل ليدل على التبليغ بمبالغة وإن كلا من الشيئين أعني كونه من الله تعالى وكونه بلاغ رسالاته يقتضي القصر لذلك انتهى . وفي عبارة الكشاف من عالمه لكن قيل عليه لا يخفى تقدير المضاف فيه أعني بلاغ فإنه يكون العطف حينئذ من عطف الشيء على نفسه الا أن يوجه بأن البلاغ من الله تعالى فيما أخذه عنه سبحانه بغير واسطة والبلاغ في رسالات فيما هو بها وهو بعيد غاية البعد فافهم واستظهر أبو حيان عطفه على الاسم الجليل فقال الظاهر عطف رسالاته على الله أي الا أن أبلغ عن الله وعن رسالاته وظاهره جعل من يعص عن وقد تقدم منه أنها لابتداء الغاية وقرىء قال لا أملك أي قال عبد الله لقدر محكيين أو للجن وجوز أن يكون من حكاية الجن لقومهم هذا ووجه ارتباط الآية بما قبلها قيل بناء على أن التبليغ عداوة أنهم لما تبلدوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم متظاهرين عداوة قيل له عليه الصلاة والسلام ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ أي ما أردت لأنفسكم به أنا فإن الى الله تعالى وفيه تهديد عظيم وتوسيل الى الله جل وعلا وإنه سبحانه هو الذي يجزيه بحسن صنيعه وسوء صنيعهم ثم فيه مبالغة من حيث أنه لا يدع التبليغ لتظاهرهم هذا فإن الذي يستطيعه عليه الصلاة والسلام هو التبليغ ولا يدع الاستطاع ولهذا قال الا بلاغا وجعله بدلا من ملتحدا شديد الطباق على هذا والشرط قريب منه وأما إن كان الخطاب للجن والتبليغ للتعجيب فالوجه أنهم لما تبلدوا لذلك قيل له عليه الصلاة والسلام قل لهم مالكم لزموهم على متعجبين مني ومن تطامن أصحابي على العبادة التي ليس الى النفع والضر الا أنا مبلغ عن الضار النافع فاقبلوا أنتم منا على العبادة ولا تقبلوا على التعجيب فإن العجب ممن يعرض عن المنعم المتفضل الضار النافع وإن اعتبر قوة الارتباط بمقتضى أولو يا كون التبليغ كان للعداوة وتسمية الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي في الأمر بالتوحيد إذ الكلام فيه فلا يصح استدلال المعتزلة ونحوهم بالآية

Marfat.com

على تخليد العصاة في النار وجوز أن يراد بالرسول رسول الملائكة عليهم السلام دون رسول البشر فالمراد بعصيانه ان لا يبلغ الرسل اليه ما ارسل اليه والوصل وهو خلاف الظاهر (فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) أي في النار أو في جهنم وجمع خالدين باعتبار معنى من كما ان الافراد قبل باعتبار لفظها ولو روعي هنا أيضا لقيل خالدا (أَبَدًا) بلا نهاية وقرأ طلحة فان بالفتح للمزة على ان التقدير كما قال ابن الانباري وغيره جزاؤه ان له الخ وقد نص النحاة على أن أن بعد فاء الشرط يجوز فيها الفتح والكسر فقول ابن مالك بعد ما قرأه أحد وهو لحن لانه بعد فاء الشرط تالية من قلة تشبه وضعه في النحو وقوله تعالى (حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا) جملة شرطية مقرونة بحتى الابتدائية وهي وان لم تكن جارة فيها معنى الغاية فدخولها غاية لمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار الانصار عليه الصلاة والسلام واستقلالهم لعدده كأنه قيل لا يزالون يستضعفون ويستقلون حتى اذا رأوا ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة الخ فلم الاستضعاف من هو ويدل على ذلك أيضا جواب الشرط لكما قاله قبل على ما قيل لان قوله سبحانه قل أما أدعوربي لم يرض بالشركين كيفما قدر بل السورة المكية من مفتتحها وقتادة مرض عال مدرك مكة ونسبة الرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتسرية عنه عليه الصلاة والسلام وتسير لهم بقصور نظرهم عن الحق مع ادعائهم الفطانة وقلة الصائم ومبادهتهم بالتكذيب والاستهزاء بدل مبادعة الحق بالتصديق والاستهداء ويجوز حمل ذلك على غاية قوله تعالى يكونون عليه لبداً ان فسر بالتأييد على المعاونة ولا مانع من تخلل أمور غير أجنبية بين الغاية والمغيا فقول أبي حيان انه بعيد جداً لطول الفصل بينهما بالجمل الكثيرة التي هي كجملة اياه غاية لاضعفت الجملة قبل يعني قال له تارجيهم من الحكم بكينونة النار له ومثل ذلك ما قيل من انه غاية لمحذوف والتقدير دعهم حتى اذا رأوا الخ والظاهر أن من استفهامية كأشرنا اليه وهي مبتدأ وأضعف خبر والجملة في موضع نصب بما قبلها وقد علق عن العمل لكان الاستفهام وجوز كونها موصولة في موضع نصب بيعلمون وأضعف خبر مبتدأ محذوف والجملة صلة والتقدير فسيعلمون الذي هو أضعف وحسن حذف صدر الصلة طولها بالتمييز وجوز تفسير ما يوعدون بيوم بدر وجميع الاولياء بان الظاهر ان قوله سبحانه (قُلْ إِنْ أَدْرِي) أي ما أدري (أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا) رد لمقالة المشركين عند مباهيهم بذلك ومقتضى حالهم انهم قالوا انكارا واستهزاء متى يكون ذلك الموعود بل روى من مقاتل ان النضر بن الحرث قال ذلك فقيل قل إنه كائن لا محالة وأما وقته فما أدري متى يكون والاخرى بسؤالهم وهذا الجواب ارادة ما في يوم القيامة المنكرين له أشد الانكار والحق وقته من الخلائق غاية الخفاء والمراد بالامد الزمان البعيد بقرينة المقابلة بالقريب والا فهو وضعا شامل لهما ولما وصف بعيداً في قوله تعالى (تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) وقيل ان معنى القرب يأتيه من مفارقة الدنيا فكأنه قيل لا أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم هو مؤجل ضرب له غاية والاول أولى وأقرب (عَالِمُ الْغَيْبِ) بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أي هو سبحانه عالم الغيب وجوز أبو حيان كونه بدلا من ربي وغيره أيضا كونه بيانا ويأبى الوجهين الفاء في قوله تعالى (فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) اذ يكون النظم حينئذ أيجعل له عالم الغيب أمدا فلا يظهر على غيبه أحدا وفيه من الاخلال بالايمان واضافة عالم الى الغيب محضة للتصدي للتبادل فيفيد تعريف الطرفين التخصيص وتعريف الغيب الاستغراقي وفي الرضي أن اسم الجنس أعني الذي يقع على القليل والكثير باللفظ الواحد اذا استعمل ولم تقم قرينة تخصصه ببعض ما يصدق عليه فهو في الظاهر لاستغراق الجنس

Marfat.com

أخذا من استقراء كلامهم أعني التراب بابس والماء بارد فإن فيه هاتان العينان حاله كذا فإن قلت فإن قولهم اليوم يتفكه العفارة النوم مع الجاوس لا ينافضها لكن مناقضا لذلك اللفظ الثبي وهو يؤيد ارادة ذلك هذا لان الثبب كالماء يقع على القليل والكثير بلفظ واحد ولا يضر في ذلك جمعه على ثيوب كما لا يضر في جمع الماء على مياه وكذا المراد بغيبه جميع غيبه وقد تعين عليه مزيد زائده معللا له بكون اسم الجنس المضاف بمنزلة المعرف باللام سيما اذا كان في الأصل مصدرا ومزى الى شرح المقاصد ما يقتضيه ويزيل يقتضيه أيضا من اعتبار كون الاضافة للعهد وان المعهود هو الغيب المستمر أو من اعتبارها للاختصاص وان الغيب المختص به تعالى بمن المختص عنه سبحانه به هو كل غيب واعتناء بشأن الاختصاص جيء بالمظهر موضع المضمر وأجلة استئناف لدفع توهم نشأ من ثق الدراية والمداد لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب والمراد بالاظهار ما في الاطلاع الكامل الذي تنكشف به جلية الحال على أتم وجه كما يرشد اليه حرف الاستعلاء فكأنه قيل اذا قلت ما أدري قرب ذلك الموعد الغيب ولا يعده فانه سبحانه وتعالى عالم الغيب وحده فلا يطلع على ذلك المختص عنه به تعالى اطلاعا كاملا أحداً من خلقه ليكون الحق بالتفرد وأبعد عن توهم مساواة علم خلقه لعلمه سبحانه وانما يطلع جل وعلا اذا اطلع من شاء على بعضه مما تقتضيه الحكمة التي هي مدار سائر أفعاله عز وجل وما ثبت على العلم به مما لم يطلعنا الله تعالى عليه لما ان الاطلاع عليه مما لا تقتضيه الحكمة التشريعية التي يدور عليها فلك الرسالة بل هو مخل بها وان شئت فاعتبر الجملة واقعة موقع التعليل لنفي الدراية السابقة ولما كان مساق الكلام مما قد يتوهمون منه أنه عليه الصلاة والسلام لم يطلع على شيء من الغيب عقب عز وجل الكلام بالاستثناء المنقطع كما روى في البحر عن ابن عباس الذي هو مبنى الاستدراك لدفع ذلك على أبلغ وجه حيث هم الامر في الرسل المرتضين وأتم كيفية الاظهار مقام الاظهار مع الاشارة الى البعض الذي اختصوا عليه المناسب لمقام الدعوة فقال عز من قائل ﴿ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ أي لكن الرسول المرتضى يظهره جل وعلا على بعض الغيوب المتعلقة بأمر الشرائع من ارتضى بالرسول لمتعلقاتها اما لكونه من مبادئها بأن يكون معجزة واما لكونه من أركانها وأحكامها كمادة التكاليف الشرعية وكيفيات الاعمال وأجزيتها ونحو ذلك من الامور الغيبية التي يتوقف عليها تمام الرسالة بان يسلك من جميع جوانبه عند اطلاعه على ذلك حرسا من الملائكة عليهم السلام يحرسونه من تعرض الشياطين لما أريد اطلاعه عليه اختطافا أو تخليطا ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ متعلق بيسلك وعلة له والضمير لمن أي لاجل أن يعلم ذلك المرتضى الرسول ويصدق تصديقا جازما ثابتا مطابقا للواقع ﴿ أَن قَدْ أَبْلَغُوا ﴾ أي المذكر قد أبلغ اليه الرصد وهو من قبيل بنو تميم قتلوا زيدا فان المبلغ في الحقيقة واحد منهم وهو جبريل عليه السلام كما هو المشهور من أنه المبلغ من بين الملائكة عليهم السلام الى الانبياء عليهم السلام ﴿ رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ وهي الغيوب المظهر عليها أيا هي من غير اختطاف ولا تخليط وعلى هذا فليكن من مبتدأ وجملة يسلك خبره وهي بالتذكير لكونه اسم موصول وقوله تعالى ﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ أي بما عندهم الرصد ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ أي مما كان ومما سيكون ﴿ عَدَدًا ﴾ أي فرد فرد مما علمه سبحانه بتقدير أو بدونه جيء به لمزيد الاعتناء بأمر علمه تعالى بجميع الاشياء وتفرده سبحانه بذلك على أتم وجه بحيث لا يشاركه سبحانه في ذلك الملائكة الذين هم وسائط العلم فكأنه قيل لكن الرسول يعلمه الله تعالى بواسطة الملائكة ببعض الغيوب مما له تعلق برسالته والحال انه تعالى قد أحاط علما بجميع أحوال أولئك

Marfat.com

أو ساقط وعلم حال وعلا جميع الأشياء بوجه جزئي تفصيلي فأين الوساطة منه تعالى أو حال من قال بقولهم حتى يرد به الإشارة إلى أن الرصد أقدم لم يزيدوا ولم ينقصوا فيما يقولوا بأنه قبل ليلغ الرسول ان قد أبلغ الرصد اليه رسالات ربه في حال ان الله تعالى قد علم جميع أحوالهم وعلم كل شيء فلو أنهم زادوا أو نقصوا عند الإبلاغ لعلمه سبحانه فما كان يختارهم الرصدية والضبط هذا ما سنح للذهن القاصر في تفسير هذه الآيات الكريمة وليست على يقين من أمره بيد أن الاستدلال بقوله سبحانه فلا يظهر ابلغ على ذلك كرامة الأولياء بالاطلاع على بعض الغيوب لا يتم عليه لان قوله تعالى فلا يظهر على غيبه أحداً في قوة قضية سالبة جزئية فمحمولها بعض الممنوع في حيز السلب وأكثر استعمالاته لسلب العموم وصرح به فيما نقل في شرح المقاصد لا لعموم السلب وهو سلب جزئي فلا ينافي الايجاب الجزئي كان يظهر بعض الغيب على ولي على نحو ما قال بعض أهل السنة في قوله تعالى لا تدركه الابصار ولا يرد أن الاستثناء يقتضي أن يكون الرائي الرسول مطلقا على جميع غيبه تعالى بناء على ان الاستثناء من النفي يقتضي ايجاب نقيضه للمستثنى ونقيض السالبة الجزئية الموجبة الكلية مع أنه سبحانه لا يظهر أحداً كائنا من كان على جميع ما يعلمه عز وجل من الغيب وذلك لانقطاع الاستثناء المصرح به ابن عباس ولئلا الزم أن الله تعالى نفى اظهار شيء من غيبه على أحد الا على الرسول فيلزم أن لا يظهر سبحانه أحدا من الملائكة على شيء منه لان الرسول هنا ظاهر في الرسول البشري لقوله تعالى فانه يسلك الخ وذلك ليس الا فيه كما لا يخفى على من علم حكمة الملك ويلزم أن لا يظهر أيضا أحدا من الانبياء الذين ليسوا برسل بناء على ارادة النبي الخاص من الرسول هنا وقد نبهنا ذكر نا أولا وكذا لا يريد أنه يلزم أن لا يظهر الراضي الرسول على شيء من الغيوب التي لا تتعلق برسالته ولا يحل الاظهار عليها بالحكمة التدريجية اذ لا حصر لبعض الظهر فيما يتعلق بالرسالة وأنما أشير الى التعلق بها لاقتضاء المقام لذلك وكون في غيب يظهر عليه الرسول لا يكون الا متعلقا برسالته على توقف والمفسرين هنا كلام لا بأس بذكره بما له وما عليه حسب الامكان ثم الامر بعد ذلك اليك فقولنا كان مذهب أكثر أهل السنة المقبول بكرامة الولي بالاطلاع على الغيب وكان ظاهر قوله تعالى فلا يظهر الخ دالا على نفيها ولهذا قال الزمخشري ان في هذا ابطال الكرامات أي في الجملة وهي مالان من الاظهار على الغيب الا أن الذين تضاف اليهم وان قالوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد حصر الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكرامة والتعميم لان أحدهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط التي أبعدوا وأتهموا وأيدوا وأنهموا في تفسير الآية على وجه لا يتأتى مذهبهم ولا يتم عليه استدلال المعتزلي على مذهبه فقال الامام ليس في قوله تعالى على غيبه صيغة عموم فيكفي في العمل بمقتضاه ان لا يظهر تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فتحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية أنه تعالى لا يظهر هذا الغيب لأحد فلا يبقى في الآية دلالة على انه سبحانه لا يظهر شيئا من الغيوب لأحد ويؤيد ذلك وقوع الآية بعد قوله تعالى قل ان أدري أقريب ما توعدون والمراد به وقوع يوم القيامة ثم قال فان قيل اذا حاتم ذلك على القيامة فكيف قال سبحانه الا من ارتضى من رسول مع انه لا يظهر هذا الغيب لأحد من رسله فلنا بل يظهره عند القرب من اقامة القيامة وليس لا ولد قال تعالى يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ولا شك أن الملائكة يعلمون في ذلك الوقت وأيضا يحتمل أن يكون هذا الاستثناء منقطعا لأنه قبل عالم الغيب فلا يظهر على غيبه المخصوص وهو قيام القيامة أحدا ثم قيل الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه حفظة يحفظونه من شر مردة الانس والجن التي وكلت بأن لا تغيب

Marfat.com

ما يدل على الصوم كما سمعت أولا والسياق لا يأباه. اللهم الا أن يطعن في ذلك وأيضا ظاهر جوابه الاول من قبل كون المراد بالرسول في الآية الرسول الملكي ويأباه ما بعد من قوله تعالى فلا يسلك الخ على أن علم الملائكة بوقت الساعة يوم تعلق السماء ليس من الاظهار على الغيب بل ومن اظهار الغيب وابراز الشهادة كالاظهار للطرهاند تروه ومالي الأرحام عند وضعه الى غير ذلك وأيضا الانقطاع على الوجه الذي ذكره بعيد جدا اذ في قطع المناسبة بين السابق واللاحق بالكلية اللهم الا أن يقال منه لا يضر في المقطع وقيل ان الاظهار على الغيب بمعنى الاطلاع عليه على التم وجه بحيث يحصل به أعلى مراتب العلم والمراد عموم السلب ولا يضر في ذلك دخول ما يفيد العموم في حيز النفي لان القاعدة الكثرية لا مطردة لقوله تعالى (والله لا يحب كل مختال فخور) وقوله سبحانه (والله لا يحب كل كفار اثيم) وقد نص على ذلك العلامة التفتازاني فيكون المعنى فلا يظهر على شيء من غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه سبحانه يظهره على شيء من غيبه بأن يسلك الخ ولا يرد كرامة الولي اذ ليست من الاظهار المذكور اذ لا يحصل له أعلى مراتب العلم بالغيب الذي يخبر به وانما يحصل له ظنون صادقة ونحوها وكذا شأن غيره من ارباب الرياضات من الكفرة وغيرهم ونسب بأن من الصوفية من قال كالذبح محي الدين قدس سره بنزول الملك على الولي واخباره اياه ببعض المغيبات احيانا ويرشد الى نزوله عليه قوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) الآية وكون ما يحصل له اذ ذاك ظنيا ونحو الاعلم كالعلم الحاصل للرسول بواسطة الملك لا يخلو عن بحث بل قد يحصل له بواسطة الالهام والنفث في الروع ونحو ما يحصل للرسول وأيضا يلزم ان لا يظهر الملك على الغيب اذ الرسول المتلقي رسول البشر على ما هو الظاهر والتزام انه لا يظهر بالملقى السابق ويظهر بواسطته مما لا وجه له أصلا وأيضا يلزم أن ما يحصل النبي غير الرسول بالملقى الاخص المتبادر هنا ليس بعلم بالمعنى المذكور وهو كما ترى وقيل المراد بالغيب في الموضعين الجنس والاظهار عليه على ما سمعت ولذا عدم ورود الكرامة والبحث فيه كالبحث في سابقه وزيادة وقال صاحب الكشف في الرد على الزمخشري الغيب الذي كان مفسرا بما فسره في قوله تعالى يؤمنون بالغيب فالآية حجة عليه لانه جوز هناك أن يعلم بالملائمة تعالى أو بنصبه الدليل وهذا الثاني أعني القسم الثاني تنفيه الآية وترشد الى ان تهذيب طرق الادلة أيضا بواسطة الانبياء عليهم السلام والعقل غير مستقل وأهل السنة عن آخرهم على أن الغيب بذلك المعنى لا يطلع عليه الا رسول أو آحاد منهم وليس فيه نفي الكرامة أصلا وان اراد الطاعن عن الخمس في الحال مطلقا فلا بد من التخصيص بالاتفاق فليس فيه ما يفيدنا أيضا وان فسر بالمعلوم كما ذكره في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة فلا بد أيضا من التخصيص وكذلك لو فسر بما غاب عن العباد أو بالسر على أن ظاهر الآية أنه تعالى عالم كل غيب وحده لا يظهر على غيبه الخاص به وهو ما يتعلق بذاته تعالى وصفاته عز وجل بدلالة الاضافة الا رسولا وهو كذلك فان غيبه تعالى لا يطلع عليه الا بالاعلام من رسول ملكي أو بشري ولا في غيبه تعالى الخاص مطلع عليه بل بعضه وأقل القليل منه فعدم العموم على أن غير هذا النوع الخاص من الغيب لامنع من اطلاع الله تعالى غير الرسول عليه فهذا ظاهر الآية دون تعسف ثم لو سلم فالثاني انما يستفاد ولذا قال سبحانه لا يطلع على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول لم يدل على انه لا يجوز اطلاع غير الرسول على البعض وانما يطلق ينزل على الكامل منه فيرجع الى ما اخترناه وتعاضد دلالة التعريف الاضافة والاطلاق فلا وجه لتخطئة بهذه الآية ومنه يظهر أن الاستدلال من الآية على ابطال الكهانة والتنجيم غير ناهض وان كان ابطلها حقا لا انكره فضلا عن تكفير من قال بدلالة على حياة أموات لانه كفر بهذه الآية كما نقله شيخنا الطيبي عن الواحدي

Marfat.com

والزجاج وصاحب اللطائف التي وبحث فيه بان حمل غيبه على الغيب الخاص بمعنى ما يتعلق بذاته تعالى وصفاته عز وجل مما لا يناسب السياق وبأن ظاهر ما قرره على احتمال الاستغراق يقتضي عدم تقدير العمل الاستثناء ويجاب عند ما نفى للمستثنى أن يظهر الرسول على جميع غيبه تعالى الى ما يظهر بالتأمل وذكر العلامة البيضاوي أولا ما يفهم منه عمل ما قبل حمل غيبه على العموم مع الاختصاص أي عموم الغيب المخصوص به علمه تعالى وحمل فلا يظهر على سلب العموم وحمل الرسول على الرسول البشري واعتبار الاستثناء منقطعا على أن المعنى فلا يظهر على جميع غيبه المختص به علمه تعالى أحدا الا من ارتضى من رسول فيظهره على بعض غيبه حتى يكون اخباره به معجزة فلا يتم الاستدلال بالآية على نفي الكرامة وفسر الاختصاص بانه لا يعلمه بالذات ولكنه يعلمه حقيقيا يقينيا بغير سبب كاطلاع الغير الا هو سبحانه وأما علم غيره سبحانه لبعضه فليس علما بالغيب لا بحسب الظاهر وبالنسبة لبعض البشر وقيل أراد بالغيب المخصوص بتعلق علم يتعب دونه ولا يقدح في الاختصاص علم الغير به باعلامه تعالى اذ هو اضافي بالنسبة الى من لم يعلم وقال ثالثا في الجواب عن الاستدلال وانه أراد الجواب عند القوم ما تضمنه وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير توسط وكرامات الاولياء على الكيفيات اذا تكون تلقيا من الملائكة أي بالنفث في الروع ونحوه وحاصله ان الاستدلال انما يتم ان لو تحقق كون المراد بالرسول رسول البشر والملك جميعا أو رسول البشر فقط وبالاظهار الاظهار بواسطة أولا والكل ممنوع اذ يجوز أن يخص الرسول برسول الملك وأن يراد بالاظهار الاظهار بلا واسطة ويكون المعنى فلا يظهر بلا واسطة على غيبه الا رسل الملائكة لا يتأتى ذلك اظهار الاولياء على غيبه لانه لا يكون الا بواسطة وهو جواب يمنع المقدمتين وان كان يكفي فيه منع احدهما كما قيل الامام والقفال في شرح المقاصد ونعلب بأن رسل البشر قد يطلعون بغير واسطة أيضا وفي قصة الخراج والكليم موسى عليه السلام ما يكفي في ذلك على أن قد قيل عليه بعد ما قيل وأغرب ما قيل في هذا المقام كون الآتي قوله تعالى الا من ارتضى المستثنى والمعنى فلا يظهر على غيبه أحدا ولا من ارتضى من رسول وحاله لا يخفى لتأبى تفسير قوله تعالى فانه يسلك الخ بما سمعت هو الذي عليه جمهور المفسرين وكانت الحفظة الذين ينزلون مع جبريل عليه السلام على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ما أخرج ابن المنذر وجماعة عن ابن جبير أربعة وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال ما أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم آية من القرآن الا ومعها أربعة من الملائكة يحفظونها حتى يؤدونها الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قرأ عام الغيب الآية وقد يكون مع الوحي أكثر من ذلك فقي بعض الاخبار انه نزل مع سورة الانعام سبعون ألف ملك وجاء في شأن آية الكرسي ما جاء وقال ابن كيسان لاحت دقيقة بخاطري الفاتر فقسا يوجسه مثلها في بطون الدهار وهي ان المراد من بين يديه في الآية القوى الظاهرة ومن خلفه القوى الباطنة ولذلك قال سبحانه يسلك الخ أي يدخل حفظة من الملائكة يحفظون قواه الظاهرة والباطنة من الشياطين ويحصنونه من وساوسهم من تلبك الجهتين ولو كان المراد حفظة من الجوانب كي لا يقربه الشياطين عند ازال الوحي فتلقي غير الوحي أو تسمعه فتلقيه الى الكهنة فتخبر به قبل اخبار الرسول كما ذهب اليه صاحب التيسير وغيره فيما كان نظم الكلام على الوجه المذكور فان عبارة يسلك وتخصيص الجهتين المذكورتين انما يناسب ما ذكرناه لا ما ذكروه التي ولا يخفى انه نحو من الاشارة وأهل التسير يسلك على تفسير الجمهور لتصوير الجهات التي تأتي منها الشياطين بالصور الغريبة والمسالك الدقيقة وفي ذلك من الحسن ما فيه وذهب كثير الى أن ضمير ليعلم لله تعالى وضمير أبلغوا

Marfat.com

انما الرصد أو لئن ارتضى واطلع باعتبار معنى من كان الافراد في الضميرين قبل باعتبار لفظها التي له تعالى بسلكهم ليعلم أن الملائكة قد أبلغوا رسالات ربهم عليها مستتبعا للجزاء وهو أن يعلمه تعالى موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى حتى يعلم المجاهدين فالغاية في الحقيقة هو الايفاء والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بأمرها والا فتعلق بترتب الجزاء عليهما والبالغة في الحث عليهما والتحذير من التفريط فيهما وقوله تعالى وأحاط بما لدنه متعلق على الاظهر أو حال من فاعل يسلك حتى به لدفع التوهم وتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور أو عطف كالذي مر بعض على بعض لان ليعلم تضمن معنى علم فصار المعنى قد علم ذلك وأحاط بما لديه وجوز أن يكون ضمير يعلم للرسول الموحى اليه وضمير أبلغوا للرصد النازلين اليه بالوحي وروى عن ابن جبير ما يؤيده أو للرسل سواء وأحاط بما لديهم عطف على أبلغوا أو على لا يظهر وعن مجاهد ليعلم من كذب وأشرك أن الرسل قد أبلغوا وفيه من البعد ما فيه وعليه لا يتم هذا العلم على ما في البحر الا في الآخرة وقيل ليعلم الجن أن الرسل قد أبلغوا وقيل ليعلم الجن أن الرسل قد أبلغوا ما أنزل اليهم وليكونوا هم الملقين باسترقاق السمع وقلا التوالين كما ترى وضبط عددا عند جمع على انه تمييز محول عن المفعول به والاصل أحصى عدد كل شيء الا أنه قال أبو حيان في كونه تمييزا من لسان العرب خلاف وأنت تعلم أن التحويل فيه تقديري وجوز أن يكون حالا أي معدودا محصورا ولا يضر تذكير صاحبها المضاف وأن يكون نعتا على المصدر يعني احصاء فتأمل جميع ذلك والله تعالى الموفق لدقائق أحسن المسالك وقرئ عالم بالنصب على المدح وعلم فعلا ماضيا للغيب بالنصب وقرأ ابن عباس وزيد بن علي ليعلم بالبناء للمفعول والزهري وابن أبي عبلة ليعلم بضم الياء وكسر اللام من الاعلام أي ليعلم الله تعالى من شاء أن يعلمه أن قد أبلغوا الخ وقرأ أبو حيوة ورسالات الافراد وقرأ ابن أبي عبلة وأحاط وأحصى في جميع المفعول في الثلاثين ورفع كل على الابتداء والفاعل هو الله عز وجل فهو سبحانه محيط بالاحوال كلها والقصى لكل شيء عددا

(سورة المزمل)

مكية كما في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة كما ذكر الماوردي الا آيتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليها وهي في البحر من الجمهور أيضا مكية الا قوله تعالى الزيتك يعلم الى آخرها وتبعه الجلال السيوطي بعد نقل الاستثناء عن مكية ابن الفرس بقوله ويرده ما أخرجه الطبراني عن عائشة أن ذلك نزل بعد نزول صدر السورة بسنة وذلك حين فرض قيام الليل في أول الاسلام قبل فرض الصلوات الخمس وسيأتي ان شاء الله تعالى ما يتعلق بهذا الموضوع آيها عشرة آية في الاخير وتسع عشرة في البصري وعشرون في عدها وما بعدها سبحان سورة المزمل أمر الرسل عليهم الصلاة والسلام لفتح عز وجل هذه بمخاطبة بعضهم بها وعليهم الصلاة والسلام وهو وجه في التسمية وفي تناسق الدرر لابن الزبير أما قيام الليل فلما بقوله تعالى في آخر تلك وأنه لما قام عبد الله يدعوه وبقوله سبحانه وأن المساجد لله الآية

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ أي المتزمل من تزمل يثبله لما تلقف يقال فلان تلقف الشيء وتلقمه اذا ابتلعه وقد قرأ أبي على الاصل وعكرمة المزمل بتخفيف الزاي وكسر اللام أي المتزمل جسمه أو نفسه وبعض السلف المزمل بالتخفيف وفتح اللام اسم مفعول ولا تدافع بين القراءات فانه عليه الصلاة والسلام هو المتزمل نفسه الكريمة من غير ذهبة لكن اذا نظر الى ان أفعالهم لله تعالى فنسبة تزمله

Marfat.com

غيره ولا حاجة الى أن يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم زمل نفسه أولا ثم أمر فزمله غيره أو أنه زمله غيره أولا ثم نشط عند مازمل به فزمل هو نفسه والجمهور على انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جاءه ذلك في غار حراء وجاور وجاوز وجرح إلى خديجة رضي الله تعالى عنها فقال زملوني زملوني فزملته بأبي القدر وعلى ثر هذه الرات بأبي الزمل وأخرج الزبير والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الدلائل عن جابر رضي الله تعالى عنه قال لما اجتمعت قريش في دار الندوة قالوا موعدنا هذا الرجل أيما الصدر الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر فقالوا يفرق بين الحبيب وحبيبه فتفرق القوم على ذلك فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل عليه السلام فقال يأيها المزمل يا أيها المدثر ونداؤه عليه الصلاة والسلام بذلك لأنيس له وملاطفة على عادة العرب في التودد في الخطاب من وصفه الذي هو عليها كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي كرم الله تعالى وجهه حين غاضب فاطمة رضي الله تعالى عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا تراب قصداً لرفع الحجاب وطي بساط العتاب وتنشيطه له لئلا يرد عليه بلا حتكمل ٥ وقل ما يفعل المحبوب المحبوب ٥ وزعم الزمخشري أنه عليه الصلاة والسلام نودي بذلك تهجينا للحالة التي عليها من التزمل في قطيفة واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن الى آخر ما قال وينادى عليه بما قال الآخرون بسوء الأدب ووقاه في بعضه من وقاه وقال صاحب الكشف اراد انه عليه الصلاة والسلام وصف بما هو ملتبس به بذاءه تقاعده فهو من لطيف العتاب التزوج بعض الرأفة وليتنطه ويجيء مستعداً فاوعده تعالى بقوله سبحانه انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ولا ريب برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مثل هذا النداء فقد خوطب بما هو أشد في قوله تعالى عبس وتولى ومثل هذا من خطاب الادلال والتروّف لا يقاعده مالي ضمنه من البر والتقريب هما في ضمن يأيها النبي يأيها الرسول من التعظيم والترحيب التي ولا يخفى أنه لا يندفع به سوء أدب الزمخشري في تعبيره فانه تعالى وان كان له أن يخاطب حبيبه بما شاء لكن لا يجري على ما تعارفه سبحانه به بل يلزمنا الأدب والتعظيم لجنابه الكريم ولو خاطب بعض الرعايا الوزير بما خاطبه به السلطان لطرده الحجاب ورعا كان العتاب هو الجواب وقيل كان صلى الله تعالى عليه وسلم متزملا بمرط لعائشة رضي الله تعالى عنها يصلي فنودي بذلك تأنيسا له وتحسينا لحاله التي كان عليها ولا يأباه الأمر بالقيام بعد ما علله بما علله أمر بالمداومة على ذلك والمواظبة عليه أو تعليله بما علله لا يوجبان القدر مايقوم الى ما قبل نصف اليل او دونه على ان الدور ما من اوائل مايزل بكور سول الله صلى الله تعالى عليه وسلم النداء الذكور كان وهو عليه الصلاة والسلام في بيت خديجة رضي الله تعالى عنها وسلم منه حال ماروى عن عائشة أنها سئلت ماكان ينزله صلى الله تعالى عليه وسلم قالت كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعا نصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي وكان سداه شعرا ولحمته وبرا وتكلف صاحب الكشف فقال الجواب أنه عليه الصلاة والسلام عقد في مكة فلما نزل بعد العقد صار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم رد على انه بعد وفاة خديجة انتهى وقال في قول عائشة نصفه علي الخ وجوابه أنه يمكن أن يكون قد بات صلى الله تعالى عليه وسلم في بيت الصديق رضي الله تعالى عنه ذات ليلة وكان الرط على عائشة وهي طاهرة والرق الطوله على النبي عليه الصلاة والسلام طهرت ذات أم الؤمنين الاالالة على انها حكاية مابعد البناء فرقا مايتكلف لصحة هذا القول التي وأنت ترى أن هذا الحديث لم يخرج في الكتب الصحيحة

Marfat.com

كما قاله ابن حجر بل هو خلاف ظاهر ومثل هذه الاحتمالات لا يكتفى بها بل قال أبو حيان أن كذب صريح وعن قتادة كان صلى الله تعالى عليه وسلم قد ثقل في ثيابه الصلاة واشتد لها فكان يا أيها المزمل على معنى يا أيها المتهد للعبادة وقال عكرمة المعنى يا أيها المزمل النبوة وأعبائها والمزمل كالمدثر لفظا ومعنى ويقال المزد بها أي احتملها وقم بتدبيره اجراء مراسم النبوة بتحمل الحمل الثقيل لما فيهما من المشاق وجوز أن يكون كناية عن التأهل لعدم التمرن وأورد عليه نحو ما أورد على وجه الزمخشري ومع صحة المعنى الحقيقي واعتضاده بالاحاديث الصحيحة لا حاجة الى غيره كما قيل (قُمِ الَّيْلَ) أي قم الى الصلاة وقيامه دوام عليها وأيا ما كان فمقبول قم مقدر والليل منصوب على الظرفية وجوز أن يكون منصوبا على التوسع والاستثناء الجائز واجب هذا الى الكوفيين وما قيل الى البصريين وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل فلا تقدير وقرأ أبو السمال بضم الميم اتباعا لحركة القاف وقرىء بفتحها طلبا للخفة والكسر في قراءة الجمهور على أصل التقاء الساكنين (إِلَّا قَلِيلًا) استثناء من الليل وقوله تعالى (نِصْفَهُ) بدل من قليلا بدل الكل والضمير الليل وفي هذا الابدال رفع الابهام وفي الآيات بقليل مايدل على ان النصف المذكور مذكر الفاصل بمنزلة الكل والنصف الفارغ وان ساواه في الكمية لا يساويه في التعلق (أَوِ انْقُصْ مِنْهُ) عطف على الامر السابق والضمير المجرور الليل أيضا بدليل الاستثناء لانه الذي سيق له الكلام والليل للنصف اقرب (قَلِيلًا) أي نصفا قليلا أو مقدارا قليلا بحيث لا ينحط عن نصف النصف (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) عطف أيضا على ما سبق وكذا الكلام في الضمير ولا يختلف المعنى على القولين فيه وهو مخير صلى الله تعالى عليه وسلم بين أن يقوم نصف الليل أو أقل من النصف أو أكثر بيد أنه رجح الاول بان في جعل معيار النقص والزيادة النصف المقارن للقيام وهو اولى من جعله النصف الباقي منه بالكفاية وان تساويا كمية وجعل بعضهم الابدال من الليل الباقي بعد النبا والضميرين له وقال في الابدال من قليل ليس ببعيد فحاصل الامر الخلاف بالاعتبار الذي يتبعه هذا الابدال هو الجزء الباقي بعد النبا المقارن للقيام لا الجزء الخارج الباقي منه ولا يخفى انه على طرق النظم وكذا اعترض ابو حيان ذلك الابدال بقوله ان ضمير نصفه حينئذ لا يعود على البدل منه ولا على المستثنى منه وهو الليل لا يجوز ان يعود على البدل منه لانه يكون استثناء المجهول من المجهول اذ التقدير الا قليلا نصف القليل وهذا لا يصح له معنى البتة ولا جائز أن يعود على المستثنى منه لانه يلزم فيه الاستثناء اذ لو قيل قم الليل نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه افاد مثله على وجه أخصر واوضح وأبعد عن الالباس وفيه أن اختار النسائي وما زعمه من الاولوية قد أشرنا الى دفعه وأوضحه بعض الاجلة بقوله ان فيه تنبيها على تخفيف القيام وتسهيله لان قلة احد النصفين تلازم قلة الآخر وتنبيها على تفاوت ما تشغل به الطاعة وما خلا منها الاشعار بان البعض المتداول بمنزلة الكل مع ما في ذلك من البيان بعد الابهام الذاهي الى التمكن وزيادة التشويق وعلى الدين الدق الاول ايضا بان قوله استثناء مجهول من مجهول غير صحيح لان الليل معلوم وكذا بعضه من النصف وما دونه وما فوقه ولا ضير في استثناء المجهول من المعلوم نحو فشربوا منه الا قليلا بل لا ضير في ابدال المجهول من مجهول كما في جاءني جماعة بعضهم شعراء ومع هذا القول عليه ما سلف وجوز ان يكون نصفه بدلا من الليل بدل بعض من كل والاستثناء منه والكلام على نية التقديم والتاخير والاصل قم نصف الليل الا قليلا وضمير منه وعليه للاقل من النصف المفهوم من مجموع المستثنى منه فكأنه قيل قم أقل من نصف الليل بان تقوم ثلث الليل أو انقص من ذلك الاقل قليلا بان تقوم ربع الليل أو زد على الاقل بان تقوم النصف فالتخيير على هذا بين الاقل من النصف والاقل من الاقل والازيد منه وهو النصف

Marfat.com

بينه وما آله الى التخيير بين النصف والثلث والربع فالفرق بين هذا الوجه وما ذكر قبل مثل الصبح ظاهر وفي الكشاف مايفهم منه على ماقيل ان التخيير فيما وراء النصف أي فيما يقال عن النصف وزيد على الثلث فلا يبلغ بالزيادة النصف ولا بالنقصان الثلث قال في الكشف وانما جعل الزيادة دون النصف والنقصان فوق الثلث لانهما لو بلغا الى الكسر الصحيح لكان الاحب ان يذكر بصريح اسميهما وأيضا البيان الثاني دليل على القريب من ذلك الاقل وما انتهى الى كسر صحيح فليس بناقص قليل في ذوق هذا القائل وكذا القول في جانب الزيادة انتهى وقد بنى الامر على كونه أقل من النصف انتهى وهو وجه متكلف ونحوه فيما أرى ماسمعت فيه وظاهر كلام بعضهم أن ذكر الثلث والربع والنصف فيه على سبيل التمثيل لان الاقل والانقص والازيد مصورات فيما ذكر وجوز ايضا كون الكلام على نية التقديم والتأخير كما مر آنفا لكن مع جعل الضميرين النصف لا الاقل منه كما في ذلك والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم عليه الصلاة والسلام اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه فكأنه قيل قم اقل من نصف الليل على البت او انقص من النصف او زد عليه تخييرا قيل والاعتناء بشأن الاقل لانه الاصل الواجب المرور على نحو أكرم اما زيدا واما زيدا او عمرا وانما قدم ان فيه تكلفا لان تقديم الاستثناء على البدل ظاهر في ان البدل من الحاصل بعد الاستثناء لان في تقدير تأخير الاستثناء عدولا عن الاصل من غير دليل ولان الظاهر على هذا رجوع الضميرين الى النصف بعد الاستثناء لانه السابق لا النصف المطلق وأيضا الظاهر ان النقصان رخصة لان الزيادة ثقل والاعتناء بشان العزيمة اولى ثم فيه انه لايجوز قيام النصف وبرده القراءة الثابتة في السبعة ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه بالجر فان استعمال من جواز الاقل على جوازه لمفهوم الموافقة لزم ان يلتزموا التعرض لزيادة على النصف لذلك أيضا ولا يخفى ان بعض هذا يرد على الوجه الذي آنفا واعترض قوله الظاهر ان النقصان رخصة بأنه على نظر إلى الظاهر انه من قبيل قال أكثمت عمرا فمن عندك فالتخيير ليس على حقيقته وفيه بحث وجوز أيضا كون الابدال من قليلا كما قدمنا أولا لكن مع جعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع وضمير عليه لهذا القليل وجعل الزيد على هذا القليل أعني الربع نصف الربع كأنه قيل قم نصف القليل أو انقص من النصف قليلا نصفه أو زد على هذا القليل قليلا نصفه وما أنه قم نصف القليل أو انقص نصفه أو زد على نصف النصف نصف نصف النصف فيكون التخيير فيما اذا كان القيل ست عشرة ساعة مثلا بين قيام ثماني ساعات وأربع وست ولا يخفى ان الاطلاق في أو زد عليه ظاهر الاشعار بأنه غير مقيد بقليلا اذ لو كان للاستثناء لاكتفى في أو انقص اتى بالاول أيضا ومن هنا قيل يجوز ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون التخيير بين النصف والثلث والربع وفيه ان جعلها تتمة الثلث لا دليل عليه سوى موافقة القراءة بالجر في نصفه وثلثه بعد وجوز الامام ان يراد بقليلا في قوله تعالى الا قليلا الثلث وقال ان نصفه على حذف حرف النصب فكأنه قيل ثلثي القيل أو قم نصفه او انقص من النصف أو زد عليه وأطال في بيان ذلك والقلب عند وضع ذلك لا يخفى حاله وذكر أيضا وجها ثانيا لا يخفى أمره على من أحاط بما تقدم خبرا ثم تصيد القليل بالثلث مروى عن الكلبي ومقاتل وعن وهب بن منبه تفسيره بما دون الصدار والسدس وهو على ما قدمنا نصف واستدل به من قال بجواز استثناء النصف وما فوقه على ما فصل في الاصول وقال الزمخشري الامر بالقيام والتخيير في الزيادة والنقصان وقع على الثلثين من آخر الليل لان الثلث الاول وقت الغفلة والاستثناء وارد على المأمور به فكأنه قيل قم ثلثي الليل الا قليلا ثم جعل نصفه

Marfat.com

بدلا من قليلا فصار القليل منصرا بالنصف من الثلثين وهو قليل على ما قدم أو انقص منه أي من المقدور به وهو قيام الثلثين قليلا اى ما دون نصفه أو زد عليه فكان التخيير فى الزيادة والنقصان والعامل الثلثين انتهى . وهو كما ترى وقيل الاستثناء من اعداد الليل لا من أجزائها فتعريف الاستغراق اذ لا عهد فيه والضمير راجع اليه باعتبار الاجزاء على ان هناك استخداما أو شبهه والتخيير بين قيام النصف والناقص منه والزائد عليه وهو بمكان من البعد وبالجملة قد أكثر المفسرون الكلام فى هذه الآية حتى ذكروا ما لا ينبغى تخريج كلام الله تعالى العزيز عليه وأظهر الوجوه عندى وأبعدها عن الكلف وأليقها بجزالة التنزيل هو ماذكرناه أولا والله تعالى أعلم بما فى كتابه الجليل الجزيل وسيأتى ان شاء الله تعالى مايتعلق بالامر فى قوله سبحانه قم الليل الخ (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ) أى فى اثناء ماذكر من القيام أى اقرأه على تؤدة وتمهل وتبيين حروف (تَرْتِيلاً) بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها فولهم ثغر رتل يسكون التاء ورتل بكسرها اذا كان منفلجا لم تتصل أسنانه بعضها ببعض وأخرج العسكرى فى المواعظ عن على كرم الله تعالى وجهه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال بينه بيانا ولا تنثره نثر الدقل ولا تهذه هذا الشعر فتفرقوا همه ليس بآخر سورته ولا يكن هم أحدكم آخر السورة (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ) أى سنوحى اليك وايثار الالقاء عليه الذى تعالى (قَوْلاً ثَقِيلاً) وهو القرآن العظيم فانه بما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام مأمور بتحملها وتحميلها للامة وهذه الجملة المؤكدة معترضة بين الامر بالقيام وتعليله الآتى للتسهيل ما كلفه عليه الصلاة والسلام من القيام كأنه قيل انه سيرد عليك فى الوحى المنزل تكاليف شاقة حسما بالنسبة اليها سهل فلا تبال بهذه المشقة وتمرن بها لما بعدها وادخل بعضهم فى الاعتراض جملة ورتل الخ وتعقب بانه لا وجه له وقيل معنى كونه ثقيلا انه رصين لاحكام مبانيه ومتانة معانيه والمراد انه راجح على ما عداه لفظا ومعنى لكن تجويز الثقيل فى الراجح لان الراجح من شانه أن يكون كذلك وفى معناه مقابل المراد كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف وقيل معناه انه ثقيل على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية السر وتجريد النظر فالثقيل مجاز عن الشاق وقيل ثقيل فى الميزان والثقل اما حقيقة أو مجاز عن كثرة ثواب قارئه وقال أبو البقاء والقرطبى ثقله على الكفار والمنافقين بالوزر وعيبه وقيل لثقل نقب يثقل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم الوحى به بواسطة الثقل فانه كان يوحى اليه عليه الصلاة والسلام على اشد منها ان لا يمثل له الثقل ويخاطبه بل يعرض له عليه الصلاة والسلام أحيانا لشدة الجذاب روحه الشريفة الملا الاعلى بحيث يسمع ما يوحى به اليه ويشاهده ويحسه هو عليه الصلاة والسلام دون من معه وفى هذه الحالة كان يعرض فى بدنه ثقلا حتى كادت تبرك به صلى الله تعالى عليه وسلم أن ترض فخذ زيد بن ثابت وقد كانت عليها وهو يوحى اليه وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن نصر والحاكم وصححه عن عائشة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا أوحى اليه وهو على ناقته وضعت جرانها فما تستطيع ان تتحرك حتى يسرى عنه وثبت انا سنلقى عليك قولا ثقيلا وروى الشيخان ومالك والترمذى والنسائى عنها انها قالت ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون ثقيلا صفة لمصدر محذوف فاقيم مقامه وانتصب لتضمنه أى القاء ثقيلا وليس صفة قولا وقيل ذلك كناية عن بقائه على وجه الدهر لان الثقيل من شانه ان يبقى فى مكانه وقيل ثقلها اختيار ثقل حروفه حقيقة فى اللوح المحفوظ فمن يعلمهما ان كل حرف من القرآن فى اللوح أعظم من جبل

Marfat.com

ماف وان للانكار اجتست من الطرف ان يفلو مما طاقوه حتى بابى اسرائيل عليه السلام وملك الموت فيبرمه ويقله باذن الله تعالى لا يقوته ولكن الله عز وجل طوله ذلك وهذا مما يحتاج الى نقل صحيح عن الصادق عليه الصلاة والسلام ولا أظن وجوده . والآية قيل على معظم هذه الأوجه مستأنفة للتعليل فان التهجد بعد النفس لان تباشر تتله فتأمل . والاستدلال بالآية على أنه لا ينبغي أن يقال سورة خفيفة بما أن الله تعالى سمى فيها القرآن به قولا ثقيلا وهذا من باب الاحتياط كما لا يخفى ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ أي ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة أي تنهض من تدأمن مكانه وتنبر النابض وأنشد قوله

تنشأت الى خوص يرى نبها السرى * وأشرف منها مشرفات القناعد

وظاهر كلام القاموس ان نشأ يستعمل لغة عربية وقال الكرماني في شرح البخاري هي لغة حبشية عربوها وأخرج جا عنهم عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة أبو حيان عن ابن جبير وابن زيد وجيل ناشئة جمع ناشئ فكانه أراد النفوس الناشئة أي القائمة ووجه الافراد ظاهر والاضافة اما بمعنى في أو على نحو سيد قضى وهذا أبلغ أو ان اضافة الليل على ان الناشئة مصدر نشأ بمعنى قام كالعاقبة واسنادها الى الليل مجاز كما يقال قام ليله وصام نهاره وخص مجاهد هذا القيام بالقيام من النوم وكذا عائشة ومنعت أن يراد مطلق القيام وكان ذلك بسبب ان الاضافة الى الليل في قولهم قيام الليل تفهم القيام من النوم فيه أو القيام وقت النوم لمن قال الليل كله أو ان العبادة التي تنشأ أي تحدث بالليل على ان الاضافة اختصاصية أو بمعنى في أو على نحو مكر الليل وقال ابن جبير وابن زيد وجماعة ناشئة الليل ساعاته لانها تنشأ أي تحدث واحدة بعد واحدة أي متتالية والاضافة عليه اختصاصية أو ساعاته الاول من نشأ اذا ابتدأ وقال الكسائي ناشئة أوله وقريب منه ماروى عن ابن عمر وانس بن مالك وعلي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم هي ما بين المغرب والعشاء ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا ﴾ أي هي خاصة دون ناشئة النهار أشد مواطأة بواطن قلوبنا لسانها ان أريد بالناشئة النفس المتهجدة أو بواطن فيها قلب القائم لسانه ان أريد بها القيام أو العبادة أو الساعات والاسناد على الاول حقيقي وعلى هذا مجازي وما اختار الاستمارة الكنائية بلسان بذلك أو أشد موافقة لما يراد من الاخلاص فلا مجاز على جميع المعاني وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد والعربيان وطاء بكسر الواو وفتح الطاء ممدودا على أنه مصدر واطأ وطاء كقاتل قتالا وقرأ قتادة وشبل من أهل مكة بكسر الواو وسكون الطاء والهمز مقصورا وقرأ ابن محيصن بفتح الواو ممدودا ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ أي وأسد مقالا أو أثبت قراءة لحضور القلب وعدم الاصوات وقيلا عليهما مصدر لكنه على الاول عام للاذكار والادعية وعلى الثاني مخصوص بالقراءة ونصبه ونصب وطأ على التمييز وأخرج ابن جرير وغيره عن انس بن مالك أنه قرأ وأصوب قيلا فقال له رجل اكتفر زعار القوم قيلا فقال ان أصوب وأقوم واحد وأشباه هذا راجعه ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ اي تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشؤونك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل واسل السبح الذر السريع في الماء فاستعير للذهاب مطلقا كما قاله الراغب وأنشدوا قول الشاعر

اباحوا أكم شرق البلاد وغربها * فهنيا لكم باصاح سبح من السبح

وهذا بيان لفائدة الحث على قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الفضل وقيل ان لك في النهار فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك وقيل ان لك من الليل شيء فاته في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه فالسبح الفراغ وهو مستعمل في ذلك لغة أيضا لكن الاول أوفق بمن أولهم سبح في الماء وأنسب بالمقام ثم أن

Marfat.com

الكلام على هذا اما لتعميم الحالة يكون عليه أن النهار يصلح للاستراحة فليغتنم الليل للعبادة وليتفكران لم يكلف اشتغالها بالعبادة أو تأكيد للاحتفاظ به بانه ان فاتك لا بد من تداركه بالنهار ففيه متسع للتقلب فيه للخروج الى مبنى جميل الليل والنهار خلفة وقرأ ابن يسير وعكرمة وابن أبي عبلة سبحا بالحاء المهملة أي تفرق فلب بالذواغل مستعار من سبح الصوف وهو نفشه ونشره أجزاه وقال غير واحد خففت التكاليف قال الاصمعي يقال سبح الله تعالى عنك اي خفف وفي الحديث لا تسبحي بدعائك أي لا تخففي ومنه قوله

فسبح عليك الهم واعلم بانه * اذا قدر الرحمن شيأ فكان

وقيل السبح المد يقال سبحي فطنك أي مديه ويقال للقطع الطين سباتح الواحدة سبيحة ومنه قول الاخطل يصف فرسا وكلابا

فأرسلوهن يذرين التراب كما * يذري سباتح قطن نفش أوتار

وقال صاحب اللوامح ان ابن يسير وعكرمة فسرا سبحا بالمعجمة بعد أن قرآه فقالا معناه نوما أي ينام بالنهار ليستعين به على قيام الليل وقد يحتمل هذه القراءة غير هذا المعنى لكنهما فسراها فلا تتجاوز عنه والعل ذلك لتفسير بالملازم ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ ﴾ أي دم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن وغير ذلك وفسر الامر بالدوام لانه عليه الصلاة والسلام لم ينسه تعالى حتى يؤمر بذكره سبحانه والمراد الدوام العرفي لا الحقيقي لعدم امكانه ولان مقتضى السياق أن هذا تعميم بعد التخصيص كان المعنى على ما سمعت من اعتبار ليلا ونهارا ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ ﴾ أي وانقطع اليه تعالى بالعبادة وجرد نفسك لها سواء عز وجل واستغرق في مراقبته سبحانه وكان هذا أمرا بما يتعلق بالباطن بعد الامر بما يتعلق بالظاهر وتأكيد ذلك قال سبحانه ﴿ تَبْتِيلاً ﴾ ونصبه بتبتل لتضمنه معنى بتل على ما قيل وقد تقدم الكلام في تحقيق ذلك عند قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا فتذكر فانا في العهد من قدم وكيفما كان الامر فقيه مراعاة الفواصل ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما رب بالنصب على الاختصاص والمدح وهو يؤيد الاول وقرأ الاخوان وابن عامر وأبو بكر ويعقوب رب بالجر على أنه بدل من ربك وليدل على اضمار حرف القسم وجوابه لا إله إلا هو وفيه حذف حرف القسم من غير ما يسد مسده وايقاء عمله وهو ضعيف جدا كما بين في العربية وقد نقل هذا عن ابن عباس ونقله أبو حيان بلفظه لعله لا يصح عنه لما فيه اضمار الجار في القسم ولا يجوز عند البصريين الا في لفظة الجلالة لكثرة نحو الله لافعلن كذا ولا قياس عليه ولان الجملة المنفية في جواب القسم اذا كانت اسمية تنفى بما لا غير ولا تنفى بلا إلا الجملة المصدرة بمضارع كتيرا وعاص في سماع قليلا التي وظاهر كلام ابن مالك في التسهيل الملازمة لوقوع الجملة المنفية جوابا للقسم وقال في شرح الكافية ان الجملة الاسمية تقع جوابا للقسم مصدرة بلا النافية لكن يجب تكرارها اذا تقدم خبرها أو كان المبتدا معرفة نحو والله لا في الدار رجل ولا امرأة ووالله لا زيد في الدار ولا عمرو ومنه يعلم أن المسألة خلافية بين هذين الامامين وقرأ ابن عباس وعبد الله وأصحابه رب المشارق والمغارب وبجمعهما وقد تقدم الكلام في وجه الافراد والجمع والله في قوله تعالى ﴿ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾ الترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به عز وجل ووكيل فعيل بمعنى مفعول أي موكول اليه والمراد من اتخاذه سبحانه وكيلا ان يعتمد عليه سبحانه ويفوض اليه أمر

Marfat.com

إليه عز وجل وذكر أن مقام التوكل فوق مقام التبتل لما فيه من رفع الاختيار وفيه دلالة على غاية الحب له تعالى وأنشدوا:

هواي له فرض تعطف أم جفا ⁂ ومنهله عذب تكدر أم صفا
وكلت إلى المعشوق أمري كله ⁂ فإن شاء أحياني وإن شاء أتلفا

ومن كلام بعض السادة من رضي بالله تعالى وكيلا وجد إلى كل خير سبيلا ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ مما يؤذيك من الخرافات ككونهم يفرق بين الحبيب وحبيبه على ما سمعت في بعض روايات أسباب النزول ﴿ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ بأن تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل أمورهم إلى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ ﴾ أي خلني وإياهم وكل أمرهم إلي فإن في ما يفرغ بالك ويجلي همك وهو في أن تمام الكلام في ذلك وجوز في المكذبين هنا أن يكونوا هم القائلين ففيه وضع الظاهر موضع الضمير وسما لهم بميسم الذم مع الإشارة إلى علة الوعيد وجوز أن يكونوا بعض القائلين فهو على معنى ذرني والمكذبين منهم والآية قيل نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقيل في المطعمين يوم بدر ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾ أرباب التنعم وغضارة العيش وكثرة المال والولد فالنعمة بالفتح التنعم وأما بالكسر فهي الإنعام وما ينعم به وأما بالضم فهي المسرة ﴿ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ أي زمانا قليلا وهو مدة الحياة الدنيا وقيل المدة الباقية إلى يوم بدر وإياما كان فقليلا نصب على الظرفية وجوز أن يكون نصبا على المصدرية أي إمهالا قليلا والتفعيل لتكثير المفعول ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا ﴾ جمع نكل بكسر النون وفتحها وهو القيد الثقيل وقيل الشديد وقال الكلبي الأنكال الأغلال والأول أعرف في اللغة وعن الشعبي لم تجعل الأنكال في أرجلهم خوفا من هربهم ولكن إذا أرادوا أن يرتفعوا استفلت بهم والجملة تعليل لقوله تعالى ذرني وما عطف عليه فكأنه قيل كل أمرهم إلي ومهلهم قليلا لأن عندي ما أنتقم به منهم أشد الانتقام أنكالا ﴿وَجَحِيمًا﴾ نارا شديدة الإيقاد ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ ينشب في الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم وعن ابن عباس شوك من نار يعترض في حلوقهم لا يخرج ولا ينزل ﴿ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يقادر قدره ولا يعرف كنهه إلا الله عز وجل كما يشعر بذلك المقابلة والتنكير وما أعظم هذه الآية فقد أخرج الإمام أحمد في الزهد وابن أبي داود في الشريعة وابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب من طريق حمران بن أعين عن أبي حرب بن الأسود أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمع رجلا يقرأ إن لدينا أنكالا الخ فصعق وفي رواية أنه عليه الصلاة والسلام نفسه قرأ إن لدينا أنكالا فلما بلغ أليما صعق وقال خالد بن حسان أمسى عندنا الحسن وهو صائم فأتيته بطعام فعرضت له هذه الآية إن لدينا الخ فقال ارفعه فلما كانت الثانية أتيته بطعام فعرضت له أيضا فقال ارفعه وكذلك الثالثة فانطلق ابنه إلى ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فحدثهم بحديثه فجاؤوا معه فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق وفي الحديث السابق الأصح ما يقيم عذر الصوفية ونحوهم الذين يصعقون عند سماع بعض الآيات ويضعف إنكار عائشة رضي الله عنها ومن وافقها عليهم إلا أن يقال إن الإنكار ليس إلا على من يصدر منه ذلك اختيارا وهو أهل لأن ينكر عليه كما لا يخفى أو يقال صعق من الصعق بسكون العين وقد يحرك غشي عليه لا من الصعق بالتحريك شدة الصوت وذلك مما لم تنكره عائشة رضي الله تعالى عنها ولا غيرها وللإمام في الآية كلام على نحو كلام الصوفية قال اعلم أنه يمكن حمل هذه المراتب الأربعة على العقوبة الروحانية أما الأنكال فهي عبارة عن بقاء النفس في قيد التعلقات الجسمانية واللذات البدنية فإنها في الدنيا لما اكتسبت ملكة تلك المحبة والرغبة فبعد البدن يشتد الحنين مع أن آلات الكسب

Marfat.com

قد بطلت فصارت تلك كالاشكال والقيود القائمة له من التخلص الى عالم الروح والصفاء ثم يتولد من تلك القيود الروحانية نيران روحانية فان شدة ميلها الى الاحوال البدنية وعدم تمكنها من الوصول اليها توجب حرقة شديدة روحانية فان تشتد رغبته في وجدان شيء ثم انه لا يجده فانه يحترق قلبه عليه فذلك هو الجحيم ثم انه يتجرع غصة الحرمان وألم الفراق فذلك هو الزقوم من قوله سبحانه وطعاما ذا غصة ثم أنه بسبب هذه الاحوال في محرومان لجهل نوراته تعالى والانخراط في سلك القدسيين وذلك هو الزقوم قوله عز وجل وعذابا أليما وتنكير عذابا يدل على انه أشد مما تقدم وأنكى واعلم اني لا أقول المراد بالآية ما ذكرته فقط بل أقول انها تفيد حصول المراتب الاربعة الجسمانية وحصول المراتب الاربعة الروحانية ولا يمتنع الحمل عليهما وان كان اللفظ بالنسبة الى المراتب الجسمانية حقيقة وبالنسبة الى المراتب الروحانية مجازا لكنه مجاز متعارف مشهور النبي وتنقلب بانه بالحمل عليهما يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز أو عموم المجاز من غير قرينة وليس في الكلام ما يدل عليه بوجه من الوجوه وأنت تعلم ان أكثر ابواب الاشارة عند الصوفية من هذا القبيل وقوله تعالى (تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ) قيل متعلق بتذرون وقيل صفة عذابا وقيل متعلق بأليما واختار جمع انه متعلق بالاستقرار الذي تعلق به لدينا أي استقر ذلك العذاب لدينا وظهر يوم تضطرب الارض والجبال وتتزلزل وقرأ زيد بن علي ترجف مبنيا للفعول (وَكَانَتِ الْجِبَالُ) مع صلابتها وارتفاعها (كَثِيبًا) رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه فكانه في الاصل فعيل بمعنى مفعول ثم قلب حتى صار فاعلا مع الموامد والكلام على التشبيه البليغ وقيل لا مانع من أن تكون رملا حقيقة (مَهِيلًا) قيل أي رخوا إذا وطئت القدم زل من تحتها وقيل منثورا من هيل هيلا اذا نثر وأسيل وكونه كثيبا باعتبار ما كان عليه قبل النثر فلا تنافي بين كونه مجتمعا ومنثورا وليس المراد انه في قوة تلك وصفه كما قيل (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ) خطاب للمكذبين أولي النعمة سواء جعلوا القائلين أو بعضهم فيه التفات من الغيبة وهو الالتفات جميل الموقع أي انا أرسلنا اليكم أيها المكذبون من أهل مكة (رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ) يشهد يوم القيامة بما صدر منكم من الكفر والعصيان (كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا) وموسى عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخله في الشبه أو لانه معلوم غني عن البيان (فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ) الذكر الذي أرسناه اليه فالتعريف للعهد الذكري والكاف في محل النصب على أنها صفة لمصدر محذوف على تقدير رسالتها أي ارسالا مثل ارسالنا أو الجار والمجرور في موضع الصفة على تقدير حرفيتها أي ارسالا كائنا كالذي أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم فعصيتموه وكما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وفي اعادة فرعون والرسول مظهرين تفظيع لشأن عصيانه وان ذلك لكونه عصيان الرسول لا لكونه عصيان موسى وفيه ان عصيان القاطبين أقبح وادخل في الذم اذ زاد جل وعلا لهذا الرسول وصفا آخر اقتضى شاهدا عليكم وأدهى فيه انهم لو آمنوا كانت الشهادة لهم وقوله تعالى (فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا) أي ثقيلا رديء الذي من قولهم كلأ وبيل وخم لا يستمرأ لثقله والوبيل أيضا الحبة الضخمة ومنه الوابل للقطر العظيم لقطره خارج عن التشبيه حي به لايذان الخاطبين انهم مأخوذون مثل ذلك وأشد وأشد وقوله تعالى (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) مراتب على الارسال فالعصيان ويوما مفعول به لتتقون ما بتقدير مضاف أي عذاب أو هول يوم أو بنفسه الا ان التقي عليه وضمير يجعل اليوم والجملة صفته والاسناد مجازي وقال بعض المدرسين ان تعالى والاسناد حقيقي والجملة صفة محذوفة الرابط أي يجعل فيه قال قوله

Marfat.com

تعالى واتقوا يوما لا يجزي فيه ولد عن والده شيئا كما أرسلنا الى آخر الى هذا الزيادة على زيادة في التهويل فكانه قيل هبوا انكم لا تؤمنون في الدنيا أخذة فرعون واضرابه فكيف تقون أنفسكم هول القيامة وما أعد لكم من الاثقال ان دمتم على ما أنتم عليه ودمتم في الكفر وفي قوله سبحانه ان كفرتم وتقديره تقدير مشكوك في وجوده ما يليه على أنه لا ينبغي أن يبقى مع ارسال هذا الرسول لاحد شبهة تبقيه في الكفر فهو النور الذي وجوز أن يكون يوما ظرفا لتتقون على معنى فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا والكلام حينئذ لتحت على الاقلاع من الكفر والتحذير عن مثل عاقبة آل فرعون قبل أن لا ينفع الندم وجوز أيضا ان ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم والمعنى فكيف يرجى اقلاعكم عن الكفر واتقاء الله تعالى وخفيته وأنتم جاحدون يوم الجزاء فانه لما قيل يوم ترجف عقب بقوله تعالى فكيف تتقون الله ان كفرتم به فاريد ذكر اليوم بصفة أخرى زيادة في التهويل والوجه الاول أولى لانه في الكشف وقال الصلاة الطيبي في الوجه الاخير أني انتصاب يوما بتتقون كفرتم انه أوقع الاثيب بني خوفا كم بالاثقال والجحيم وأرسلنا اليكم رسولا شاهدا يوم القيامة يكفركم وتكذيبكم وأنذرنا كم بما فعلنا بفرعون من العذاب الوبيل والاخذ الثقيل فما نجع فيكم ذلك كله ولا انتفعتم الله تعالى فكيف تقون أنفسكم ان جحدتم يوم القيامة والجزاء وفيه ان هذه التقوى والخشية الايمان يوم القيامة لتبني . ولا يخفى ان جزالة النظم ترجيح الاول وذهب جمع الى أن الخطاب في انا ارسلنا اليكم عام للموجود والآخر فالظاهر أنه ليس من الالتفات في شيء وأيدا كان فجعل الولدان شيبا أي شيوخا جمع أشيب قيل حقيقة فقيب الصبيان وتبيض شعورهم من شدة يوم القيامة وذلك على ما أخرج ابن المنذر عن ابن مسعود حين يقول الله تعالى لآدم عليه السلام قم فاخرج من ذريتك بعث النار فيقول يا رب لا علم لي الا ما علمتني فيقول الله عز وجل أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيخرجون ويصيرون الى النار سودا مقرنين زرقا كالحين قال ابن مسعود فاذا خرج بعث النار شاب كل وليد وفي حديث الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس نحو ذلك وقيل مثل في شدة الهول من غير ان يكون هناك شيب بالفعل فالمعنى يقولون في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل في ذلك ان الهموم اذا تدافقت على المرأ أضعفت قواه وأسرعت فيه الشيب ومن هنا قيل الشيب نوار الهموم وحديث البعث لا يأبى هذا وجوز الزمخشري أن يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وان الاطفال يلقون فيه أو ان الدهشة والشيب وليس المراد به التقدير المحقق بل وصف بالطول فقط على ما تقرره والا فهو أطول من ذلك وأطول فلا اعتراض لكنه مع هذا ليس بذاك والظاهر عموم الولدان وقال السدي هم هنا أولاد الزنا وقيل هم أولاد المشركين وقرأ زيد ابن علي يوم بغير تنوين نجعل بالنون فالظرف مضاف الى جملة نجعل الخ (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ) أي منفرق وقرئ مستفطر أي متشقق (بِهِ) أي بذلك اليوم والباء للآلة كما في قولك فطرت العود بالقدوم فالمنفطر به يعني ان السماء على عظمها واحكامها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله فما ينفطر الشيء بما ينفطر به فما ظنك بغيرها من الخلائق وجوز أن يراد السماء متلبسة به الآن لما يؤدي الى انفطارها العظيم عليها وخلقتها من وقوعه كقوله تعالى ثقلت في السموات فالكلام من باب التخييل والانفطار كناية عن الهيبة في تلك الغاية والمراد افادة انه الآن على هذا الوصف والاول أظهر وأوفق لا كثر الآيات وكان الظاهر السماء منفطر بدون التاء لان التغيير ان السماء مؤنثة لكن اجري اجراء ذلك على موصوف مذكر فكأنه قيل شيء منفطر به والنكتة فيه التنبيه على أنه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا

Marfat.com

ما يعبر عنه بالتي، وقال أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة والكسائي وتبعهم منذر بن سعيد التذكير تأويل السماء بالسقف وكان السكاكة فيه تذكير معنى السقفية والاظلال ليكون أمر الاخطار أدعى وأهول وقال أبو علي الفارسي التقدير ذات انفطار كقولهم أمرأة مرضع أي ذات رضاع بجري على طريق النسب وحكى عنه أيضا ان هذا من باب الجراد المنتشر والدبر الأخضر والمجاز نخل منقعر يعني ان السماء من باب اسم الجنس الذي بينه وبين مفرده تاء التأنيث وان مفرده سماءة واسم الجنس يجوز فيه التذكير والتأنيث فجاء منفطر على التذكير وقال الفراء السماء يعني الظلة تذكر وتؤنث فجاء منفطر على التذكير ومنه قول الشاعر

فلو رفع السماء اليه قوما ... لحقنا بالسماء وبالسحاب

وعلى الاحاجة الى التأويل والمطلب نكتة اعتبار التذكير مع ان الاكثر في الاستعمال اعتبار التأنيث والها ظاهرة لان له أدنى قوم وحمل الباء في به على الآلة هو الاوفق التأويل أمر ذلك اليوم وجوز حملها على الظرفية أي السماء منفطر فيه وعود الضمير المجرور على اليوم هو الظاهر الذي عليه الجمهور وقال مجاهد يعود على الله تعالى أي بأمره سبحانه وسلطانه عز وجل فيوعده كالضمير في قوله تعالى ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ فانه لله تعالى لمقتضى السياق والصدر مضاف الى فاعله ويجوز أن يكون اليوم كضمير به عند الجمهور والصدر مضاف الى مفعوله ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ اشارة الى الآيات المتلوة على التوابع الماضية ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي موعظة ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ بالتقرب اليه تعالى بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته عز وجل ومفعول شاء المحذوف والمعروف في مثله ان يقدر من جنس الجواب أي فمن شاء اتخاذ سبيل الى ربه تعالى اتخذ الخ وبعض قدره الانتظام لمناسبة ما قبل أي فمن شاء الانتظام اتخذ الى ربه سبيلا والمراد من نوى أن يعمل له الانتظام تقرب اليه تعالى لكن ذكر السبب وأريد مسببه فهو المجاز في الطريقة واختار في البحر ما هو المعروف وقال ان الكلام على معنى الوعد والوعيد ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾ أي زمانا أقل منهما مشتملا فيه الادنى وهو اسم تفضيل من دنا اذا قرب لا أن المسافة بين النصفين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز فهو فيه مجاز مرسل لان القرب يقتضي قلة الاحياز بين القريبين فاستعمل في لازمه أو في مطلق القلة وجوز اعتبار التشبيه بين القرب والقلة ليكون هناك استعارة والارسال أقرب وقرأ الحسن وشيبة وأبو حيوة وابن السميفع وعصام وابن مجاهد عن قنبل فيما ذكر صاحب الكامل ثلثي باسكان اللام وجاء ذلك عن نافع وابن عامر فيما ذكر صاحب اللوامح ﴿وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ بالنصب عطفا على أدنى كأنه قيل يعلم أنك تقوم من الليل أقل من ثلثيه وتقوم نصفه وتقوم ثلثه وقرأ العربيان ونافع ونصفه وثلثه بالجر عطفا على ثلثي الليل أي تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف وأقل من الثلث والاول مطابق لكون التحقير فيما بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين والثاني مطابق لحكون التحرير بين النصف وهو أدنى من الثلثين وبين الثلث وهو أدنى من النصف وبين الربع وهو أدنى من الثلث أذا قال غير واحد فلا تغفل واستشكل الامر بأن التفاوت بين القراءتين ظاهر فكيف وجه صحة علم الله تعالى لتداولهما وهما لا يجتمعان وأجيب بان ذلك بحسب الاوقات فوقع كل في وقت فكانا معلومين له تعالى واستشكل أيضا هذا القيام على التقدير كون الامر واردا بالاكثر بانه يلزم اما مخالفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما أمر به أو اجتهاده والخطأ

Marfat.com

في موافقة الامر وللامر فيما غير صحيح أما الاول فظاهر لاسيما من أولى الامر الوجوب وأما الثاني فلان من جوز اجتهاده عليه الصلاة والسلام واخطأ فيه يقول انه لا يقره عليه الصلاة والسلام على الخطأ وأجيب بالتزام الامر وارده بالاقل لكنهم زادوا حذرا من الوقوع في المخالفة وكان يدق عليهم علم الله سبحانه أنهم لو بالغوا بالاشق وقعوا في المخالفة فنسخ سبحانه الامر كذا قيل فتأمل فالقيام بعد محتاج اليه وقرأ ابن كثير في رواية شبل وذلك باسكان اللام (وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ) عطف على الضمير المستتر في تقوم وحسنه الفصل بينهما أي وتقوم يسلك طائفة من أصحابك (وَاللَّهُ يُقَدِّرُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ) لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله تعالى فان تقديم اسمه تعالى مبتدأ مبنيا عليه يفيد دال على الاختصاص على مانص عليه جار الله وبؤيده قوله تعالى (عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ) فان الضمير لمصدر يفيد لا لقيام المفهوم من الكلام والمعنى علم ان لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ولا يأتي لكم حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تأخذوا بالاوسع الاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) أي بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه فالكلام على الاستعارة حيث شبه الترخيص بقبول التوبة في رفع التبعة واستعمل اللفظ الشائع في المشبه به في المشبه كما في قوله تعالى فتاب عليكم وعفا عنكم الآن باشروهن وزعم بعضهم انه على ما يتبادر منه فقال فيه دليل على انه كان فيهم من ترك بعض ما أمر به وليس بشيء (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) أي فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها وقيل الكلام على حقيقته من طلب قراءة القرآن بعينها وفيه بعد من مقتضى السياق ومن ذهب الى الاول قال ان الله تعالى افترض قيام مقدار معين من الليل في قوله سبحانه قم الليل الخ ثم نسخ بقيام مقدار ما تيسر في قوله سبحانه فتاب عليكم فاقرؤا الآية فالامر في الموضعين للوجوب الاول للوجوب والثاني معناه من حيثية وثانيا كان بعضا معلقا ثم نسخ وجوب القيام على الامة معلقا بالصلوات الخمس ومن ذهب الى الثاني قال ان الله تعالى رخص لهم في ترك جميع القيام وأمر بقراءة شيء من القرآن ليلا فكأنه قيل فتاب عليكم ورخص في الترك فاقرؤا ما تيسر من القرآن ان شق عليكم القيام فان هذا الاشق وتدلون بهذه القراءة ثواب القيام وصرح جمع ان فاقرؤا على هذا أمر ندب بخلافه على الاول هذا واعلم انهم اختلفوا في أمر التهجد فمن مقائل وابن كيسان انه كان فرضا فيكفي قيل ان فرض الصلوات الخمس نسخ بين الا ما تطوعوا به ورواه البخاري ومسلم في حديث جابر وروى الامام أحمد ومسلم وأبو داود والدارمي وابن ماجه والنسائي عن سعد بن هشام قال قلت لعائشة يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق نبي الله تعالى القرآن ثم ذكرت أن أقوم ولا أسأل أحدا عن شيء حتى أموت ثم بدا لي فقلت أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت ألست تقرأ يا أيها المزمل قلت بلى قالت فان الله تعالى افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام نبي الله واصحابه حولا وأمسك الله تعالى خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء حتى أنزل الله تعالى في آخر السورة التخفيف وصار قيام الليل تطوعا وفي رواية عنها انه دام ذلك نحاية أشهر وعن قتادة دام عاما أو عامين وعن بعضهم أنه كان واجبا واتفق وقع التغيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وكان الرجل كما قال الكلبي يقوم حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ مابين الخمسين والثلثين وقيل كان نافلة بدليل التغيير في المقدار وقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك حكاه غير واحد ويحتوا فيه لكن قال الامام صاحب الكذب لم يرد هذا القائل ان التغيير ينافي الوجوب بل استدل بالاستقراء وان الفرائض لها اوقات محدودة

Marfat.com

منسوخة كانت أو ضيقة إلى بفوض التحديد الى رأي العامل وهو دليل حسن وأما القائل بالفرضية فقد نظر الى اللفظ دون الدليل الخارجي والكل وجه وأما قوله والقوله تعالى ومن الليل الخ فالاستدلال بناء على ما ذهبت بأن هناك زائدة على الفرائض التي خاصة دون غيرك لأنها تطوع لهم وهذا القائل لا يمنع الوجوب في حقه عليه الصلاة والسلام وانما يمنعه في حق غيره صلى الله تعالى عليه وسلم والآية تدل عليه فلا نظر فيما ذكر سبحانه في تلك السورة ومن الليل أي خص بعض الليل دون توقيت وهيأ وقت جل وعلا ودل على مشاركة الأمة له عليه الصلاة والسلام قوله تعالى وطائفة من الذين معك ترل ماتم على الوجوب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة وهيأ على التنفل في حقه وحق الأمة وهذا قول سديد الا ان قوله تعالى علم أن لن تحصوه فتاب عليكم يؤيد الأول الذي ومن بالأول القول بالفرضية عليه عليه الصلاة والسلام وعلى الأمة وظواهر الآثار الكثيرة لشهد له لكن في البحر أن قوله تعالى وطائفة من الذين معك دليل على انه لم يكن فرضا على الجميع اذ لو كان فرضا عليهم لكان التركيب والذين معك الآن اعتقد انه كان منهم من يقوم في بيته ومنهم من يقوم معه فيكن اذ ذاك الفرضية في حق الجميع التي وأنت تعلم انه لا يتعين كون من البعضية بل تحتمل أن تكون بيانية ومن يقول بالفرضية على الكل صدر الأسلام يحملها على ذلك دون البعضية باعتبار الغلبة فانها ليست بذلك والله تعالى أعلم وأفادت الآية على القول الأخير في قوله سبحانه فاقرؤا الندب قراءة شيء من القرآن ليلا وفي بعض الآثار من قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وفي بعضها من قرأ مائتا آية كتب من القانتين وفي بعض خمسين آية والمنول عليه من القولين فيه القول الأول وقد سمعت ان الأمر عليه للإيجاب وانه كان يجب قيام شيء من الليل ثم نسخ وجوبه عن الأمة بوجوب الصلوات الخمس فهو اليوم في حق الأمة سنة وفي البحر بعد تحرير فاقرؤا يصلوا وحكاية ماقيل من النسخ وهذا الأمر عند الجمهور أمر إباحة وقال الحسن وابن سيرين قيام الليل فرض ولو قدر حلب شاة وقال بن جبير وجماعة هو فرض لابد منه ولو بقدار خمسين آية التي وظاهر سياقهم هؤلاء قائلون بوجوبه اليوم والنسخ بنسخ الوجوب مطلقا وأما نسخ وجوب معين وهذا خلاف المعروف فعن ابن عباس سقط قيام الليل عن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصار تطوعا وبقي ذلك فرضا على رسول الله عليه الصلاة والسلام وأظن الأمر عليا عن الاستدلال فتطوع بسقط الليل والقائل نعم كان السلف الصالح يتابرون على القيام متابرتهم على فرائض الأسلام لما في ذلك من الحلوة بالحبيب والأنس به وهو القريب من غير رقيب فسأل الله تعالى ان يوفقنا لما وفقهم ويمن علينا كما من عليهم في حينا بحث وهو ان الأمام أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه استدل بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن على أن القرض في الصلاة مطلق القراءة لا الفاتحة بخصوصها وهو ظاهر على القول بانه عبر فيه عن الصلاة بركنها وهو القراءة أو عبر عنها بالسجود والقيام والركوع في مواضع وقدر ما تيسر بآية على ما حكاه عنه القاوردي وبثلاث على ما حكاه عنه ابن العربي والمسألة مقررة في الفروع وخص الشافعي وملك ما تيسر بالفاتحة واحتجوا على وجوب قراءتها في الصلاة بحديث كثيرة منها ما قال أبو حامد الاسفرائني عن ابن المنذر باسناده عن أبي هريرة عنه عليه الصلاة والسلام لا تجزي صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب ومنها ما روى أيضا عن أبي هريرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم كل صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج فهي خداج أي ناقصة فالباقي أو فناقصان واعترض بأن الناقصان لا يدل على عدم الجواز وأجيب بانه يدل لان التكليف بالصلاة قائم والأصل في الثابت البقاء فالقضاء عند الاتيان بها على صفة الكمال فعند النقصان وجب أن يبقى على الأصل ولا يخرج عن العهدة

والسكد

Marfat.com

وأستدل بقول أبي حنيفة بعدم جواز صوم يوم العيد قضاء عن رمضان مع عدم الصوم فيه عنده مستدلا عليه بأن الواجب عليه الصوم الكامل والصوم في هذا اليوم ناقص فلا يفيد الخروج عن العهدة ومنها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا صلاة لا بفاتحة الكتاب وهو ظاهر في القصور اذ التقدير لا صلاة صحيحة أو ما وافترض بجواز ان يكون التقدير لا صلاة كاملة فانه لما امتنع نفي مسمى الصلاة لثبوته دون الفاتحة لم يكن بد من صرفه الى حكم من أحكامها وليس الصرف الى الصحة أولى من الصرف الى الكمال وأجيب بانا لا نسلم امتناع دخول النفي على مسماها لان الفاتحة اذا كانت جزءاً من ماهية الصلاة تنتفي الماهية عند عدم قرائتها فيصح دخوله على مسماها وانما يمتنع لو ثبت انها ليست جزءاً منها وهو أول المسألة سلمنا لكن لا نسلم ان صرفه الى الصحة ليس أولى من صرفه الى الكمال بل هو أولى لان الحمل على المجاز الأقرب عند تعذر الحمل على الحقيقة أولى بل واجب بالاجماع ولا شك ان الوجود الذي لا يكون صحيحا أقرب الى العدم من الوجود الذي لا يكون كاملا ولان الأصل بقاء ما كان وهو التكليف على ما كان ولان جانب الحرمة أرجح لانها أحوط ومنها ان الصلاة بدون الفاتحة توجب فوات الفضيلة الزائدة من غير ضرورة للاجماع على أن الصلاة معها أفضل فلا يجوز للعبد الاتيه لانه قبيح عقلا فيكون قبيحا شرعا لقوله عليه الصلاة والسلام ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح ومنها ان قرائتها توجب الخروج عن العهدة بيقين فتكون أحوط فوجب القول بوجوبها لنص دع ما يريبك الى ما لا يريبك وللمعقول وهو دفع ضرر الخوف عن النفس فانه واجب. وسكوت المفتد الوجوب يورث الخوف لجواز كونها فاتحتين معارض باعتقاد عدمه فيتقابلان وأما في العمل فالقراءة لا توجب الخوف وتركها يوجبه فالاحوط القراءة الى غير ذلك واجاب سادتنا الحنفية عما أجابوا واستدلوا على أن الواجب ما تيسر من القرآن لا الفاتحة بخصوصها بما روى منها ما روى أبو عثمان النهدي عن أبي هريرة أنه قال أمرني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أخرج وأنادي لا صلاة الا بقرائة ولو بفاتحة الكتاب وبدفع بأنه معارض بما نقل عن أبي هريرة انه قال أمرني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أخرج وأنادي لا صلاة الا بفاتحة الكتاب وبانه يجوز أن يكون المراد من قوله ولو بفاتحة الكتاب هو انه اقتصر على الفاتحة لكن يجب الحمل عليه جمعا بين الادلة وفيه تصدق والحمل الاول في الجواب جواز كون المراد ولو بفاتحة الكتاب ما هو السابق الى الفهم من قول القائل لا حياة الا بقوت ولو الجزر في يوم أو قبة وهو ان هذا القدر لا بد منه وعليه يصير الحديث من ادلة الوجوب ومنها انه لو وجبت الفاتحة لصدق قولنا كلما وجبت القراءة وجبت الفاتحة ومنشاء مقدمة صادقة وهي انه لو لم تجب الفاتحة لوجبت القراءة لوجوب مطلق القراءة بالاجماع فنتيجة القضيتان لو لم تجب الفاتحة لوجبت الفاتحة وهو باطل واجيب بمنع الصغرى بأي لا نسلم صدق قولنا لو لم تجب الفاتحة لوجبت القراءة لان عدم وجوب الفاتحة محال والمحال جاز ان يستلزم المحال وهو رفع وجوب مطلق القراءة الثابت بالاجماع سلمناها لكن لا نسلم استحالة قولنا لو لم تجب الفاتحة لوجبت الفاتحة لما ذكر آنفا وجعل بعض الناس حجة على الحنفية لان في الاستلزام عدمه وجوده ثبت وجوده ضرورة ورد بان هذا انما يلزم لو كانت اللازمة وهي قولنا لو لم تجب الفاتحة لوجبت ثابتة في نفس الامر وليس كذلك بل هي ثابتة على تقدير وجوب قراءة الفاتحة فلهذا لا يصير حجة عليه ويتم الكلام على ذلك في موضعه وأنت تعلم أنه على القول الثاني في الآية لا يظهر الاستدلال بها على فرضية مطلق القراءة في الصلاة اذ ليس فيها عليه أكثر من الامر بقراءة شيء من القرآن قل أو أكثر بعد ما افترض

Marfat.com

عليهم من صلاة الليل فليته وقوله تعالى ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾ استئناف مبين لحكمة أخرى غير ما تقدم من عسرة احصاء تقدير الأوقات مقتضية للترخيص والتخفيف أي علم ان الحال سيحكون منكم مرضى ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ يسافرون في التجارة ﴿ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ وهو الربح وقد عم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم والحلال على موضع الحال ﴿ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ بعني الجاهدين وفي قرن المسافرين لابتغاء فضل الله تعالى بهم اشارة الى انهم نحوهم في الاجر أخرج سعيد بن منصور والبيهقي في شعب الايمان وغيرهما عن عمر رضي الله تعالى عنه قال ما من حال يأتيني عليه الموت بعد الجهاد في سبيل الله أحب الي من أن يأتيني وأنا بين شعبتي جبل أتمس من فضل الله تعالى وتلا هذه الآية وآخرون يضربون الخ وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من جالب يجلب طعاما الى بلد من البلدان المسلمين فيبيعه السعر يومه الا كانت منزلته عند الله ثم قرأ رسول الله صلى تعالى عليه وسلم وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله والمراد انه عز وجل علم ان سيكون من المؤمنين من يشق عليه القيام لعلم سبحانه عسر احصاء تقدير الأوقات ولما كان الأمر كما ذكر وتعاضدت مقتضيات الترخيص ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ أي من القرآن من غير تحمل الشاق ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ أي المفروضة ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ كذلك وعلى هذا أكثر المفسرين والظاهر انهم عنوا بالصلاة المفروضة الصلوات الخمس وبالزكاة المفروضة أختها المفروضة واستشكل بأن السورة من أوائل ما نزل بمكة فرض الصلوات الخمس الا بعد الاسراء والزكاة انما فرضت بالمدينة وأجيب بأن الظاهر الى ذلك يجعل هذه الآيات مدنية وقيل ان الزكاة فرضت بمكة من غير تعيين للانصباء والذي فرض بالمدينة تعيين الانصباء فيمكن أن يراد بالزكاة الزكاة المفروضة في الجملة فلا مانع من كون الآيات مكية لكن يلتزم لكونها نزلت بعد الاسراء وحكم على صلاة الليل السابقة حيث كانت مفروضة بناني الترخيص وقيل يجوز أن تكون الآية مما تأخر حكمه عن نزوله وليس بذاك ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ أريد به الانفاق في سبل الخيرات أو أداء الزكاة على أحسن الوجوه وأتمها فقراء ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ ﴾ أي خير كان مما ذكر ومما لم يذكر ﴿ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ أي من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تأكيد لضمير تجدوه وان كان بصورة المرفوع والمؤكد منصوب لان هو يستعار تأكيد الضمير ورود النصوب كما ذكره الرضي أو ضمير فصل وان لم يقع بين معرفتين فان أفعل من في حكم المعرفة وقد يقع من حرف التعريف كالعلم وجوز أبو البقاء البدلية من ضمير تجدوه ورده أبو حيان بان الواجب عليها اباء وقرأ أبو السماك بالامالة وأبو السماك بالكاف القوي وأبو السمال هو خير وأعظم برفعهما على الابتداء والخبر وجيء بالجملة في موضع المفعول الثاني لما أن أبوزيد هي التي تعبر فون ما بعد الناسخة بلغوا ان كان زيد هو العائل بالرفع وعليه قول قيس بن ذريح

تحن الى لبنى وأنت تركتها ● وكنت عليها بالملا أنت أقدر

فقد قال أبو عمرو الجرمي أنشده سيبويه شاهداً الرفع والقوافي مرفوعة ويروى القدرا ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ﴾ في كافة أحوالكم فان الانسان فما يخلو عما يعد تقريطا بالنسبة اليه وعد من ذلك الصوفية قراءة العابد عبادته قيل وهذه الاشارة أمر بالاستغفار بعد الأوامر السابقة بالمحافظة على الصلاة وايتاء الزكاة والاقراض

Marfat.com

الحسن ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ فيغفر سبحانه ذنب من استغفره ويرحمه عز وجل وفي حذف المفعول دلالة على العموم وتفصيل الكلام فيه معلوم نسأل الله تعالى مطلع مغفرته ورحمته لنا ولوالدينا ولكافة مؤمني بريته بحرمة سيد خليقته وسند أهل صفوته صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وصحبه وشيعته

(سورة المدثر)

مكية قال ابن عطية بإجماع وفي التحرير قال مقاتل الا آيا وهي وما جعلنا عدتهم الا فتنة الخ وسيأتي ان شاء الله تعالى ما يدل بان قوله تعالى عليها تسعة عشر مدني بما فيه وآيها ست وخمسون في العراقي والمدني الاول وخمس وخمسون في الشامي والمدني الاخير على ما فصل في محله وهي متواخية مع السورة قبلها في الافتتاح بنداء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصدر كليهما نازل على المشهور في قصة واحدة وبدئت تلك بالامر بإنذار القبائل وهو عبادة خاصة وهذه بالامر بالانذار وفيه من تكميل النبي ما فيه وروى أبو الشيخ الازدي عن جابر بن زيد وهو من علماء التابعين بالقرآن ان المدثر نزلت عقب الزمل وأخرجه ابن الضريس عن ابن عباس وجعلوا ذلك من أسباب وضعها بعدها والظاهر ضعف هذا القول فقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وجماعة عن يحيى بن أبي كثير قلت سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت فقال جابر لا أحدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت مجاوري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فجئت منه رعبا فرجعت فقلت دثروني فدثروني فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وفي رواية فجئت أهلي فقلت زملوني زملوني فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر الخ قوله تعالى قوله تعالى قرآن الفجر واحدة ولو كانت يا أيها الزمل هي النازلة قبل فيها الذكرت ثم ظاهر هذا الخبر يقتضي ان يا أيها المدثر نزل قبل اقرأ باسم ربك والذي في الصحيحين وغيرهما عن عائشة أن ذلك أول ما نزل من القرآن وهو الذي ذهب اليه أكثر الامة حتى قال بعضهم هو الصحيح والصحة للخبرين احتاجوا للجواب فقال في الاتقان خمسة أجوبة الاول ان السؤال في حديث جابر فان عن نزول سورة كاملة فبين ان سورة المدثر نزلت بكمالها قبل تمام سورة اقرأ فان أول ما نزل منها صدرها الثاني ان مراد جابر بالاولية أولية مخصوصة عما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة الثالث ان المراد أولية مخصوصة بالامر بالانذار وغير بعضهم عن هذا بقوله أول ما نزل للنبوة اقرأ باسم ربك وأول ما نزل للرسالة يا أيها المدثر الرابع ان المراد أول ما نزل بسبب متقدم وهو ما وقع من المدثر الثاني عن الرعب وأما اقرأ فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم الخامس ان جابر استخرج ذلك باجتهاده وليس هو من روايته فيقدم عليه ما روت عائشة رضي الله تعالى عنها ثم قال وأحسن هذه الاجوبة الاول والاخير انتهى وفيه نظر فتأمل ولا تغفل

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ أصله المتدثر فادغم وهو على الاصل في حرف أي من تدثر لبس الدثار بكسر الدال وهو ما فوق القميص الذي يلي البدن ويسمى شعارا لاتصاله بالبشرة والشعر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار والتركيب على ما قيل دائر مع معنى الستر على سبيل القبول كان الدثار ستر بالغ مكشوف تودي صلى الله تعالى

Marfat.com

عليه وسلم باسم مشتق من صفته التي كان عليها تأنيسا له وملاطفة كما سمعت في يا أيها المزمل وتدثره عليه الصلاة والسلام لما سمعت آنفا وأخرج الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما فلما أكلوا قال ما تقولون في هذا الرجل فاختلفوا ثم اجتمع رأيهم على أنه ساحر يؤثر فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فحزن وقنع رأسه وتدثر أي كما يفعل النائم فانزل الله تعالى يا أيها المدثر الى قوله تعالى ولربك فاصبر . وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية على معنى التحلي بها والتزين بآثارها وقيل أطلق المدثر وأريد به الغائب عن النظر على الاستعارة والتنبيه فهو نداء له بما كان عليه في غار حراء وقيل الظاهر أن يراد بالمدثر وكذا بالمزمل الكناية عن التشمر للتبليغ الفارغ لانه في أول البعثة فكانه قيل له عليه الصلاة والسلام قد مضى زمن الراحة وجاءك اثناء من التكاليف وعداية الناس وانت تعلم أنه لا ينافي ارادة الحقيقة وأمر التلطيف على حاله وقال بعض السادة اي يا أيها المدثر بحقيقة الهمدية بمنار الصورة الآدمية أو يا أيها الغائب عن أنظار الخليقة فلا يعرفك سوى الله تعالى على الحقيقة الى غير ذلك من العبارات والكل اشارة الى ما قلنا في الحقيقة المحمدية من انها حقيقة الحقائق التي لا يقف على كنهها أحد من الخلائق وعلى لسانها قال من قال

وانى وان كنت ابن آدم صورة ✻ فلي فيه معنى شاهد بابوتي

وانها التعين الاول وخازن السر الاول وانها الى أمور هيهات أن يكون العقل اليها منتهي

أبا الورى فيم معناه فليس يرى ✻ في القرب والبعد منه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد ✻ صغيرة وتكل الطرف من أمم
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته ✻ قوم نيام تسلوا عنه بالحلم
فبلغ العلم فيه انه بشر ✻ وانه خير خلق الله كلهم :

وقرأ عكرمة المدثر بتخفيف الدال وتشديد الثاء المكسورة على زنة الفاعل وعنه أيضا المدثر بالتخفيف والتشديد على زنة المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك أي شد والمعنى أنه المعمول عليه في العظائم بمنوطة وأمور جلائل مقدمها بمربوطة فكانه قيل لابن لوقف أمور الناس عليه لانه وسيلتهم عند الله عز وجل ﴿قُمْ﴾ من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم وجعله أبو حيان على هذا المعنى من أفعال الشروع كقولهم قام زيد يفعل كذا وقوله ✻ على ما قام يدعى ليم ✻ وقام بهذا المعنى من أخوات كاد وطفق بناء لا يحتاج بعده هنا لانه استعمال غير مألوف وورود الامر منه غير معروف مع احتياجه الى تقدير الخبر فيه وكله تعسف ﴿فَأَنذِرْ﴾ أي فافعل الانذار أو أحدث فلا يقصد منذر مخصوص وقيل يقدر المفعول خاصا أي فانذر عشيرتك الاقربين شأنه لابتعاد المعنى في الواقع وقيل يقدر عاما أي فانذر جميع الناس لقوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولم يظن هنا ويصر لانه كان في ابتداء النبوة والانذار هو الغالب اذ ذاك أو هو المتعاد لان الانذار يلزمه التبشير وفي هذا الامر بعد ذلك النداء اشارة عند بعض السادة الى مقام الجلوة بعد الخلوة قالوا والبها الاشارة أيضا في حديث كنت كنزا مخفيا فاحببت أن اعرف الخ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ واخصص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء والعظمة اعتقادا وقولا ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والامر بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم غني عن الاستدلال وجوز أن يحمل على تكبير الصلاة فقد أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال قلنا يا رسول الله كيف نقول اذا دخلنا في

Marfat.com

الصلاة فانزل الله تعالى وربك فكبر فأمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن نفتتح الصلاة بالتكبير وأنت تعلم أن نزول هذه الآية كان حيث لا صلاة أصلا فهذا الخبر ان صح مؤول والقاء هنا وفيما يعد لافادة معنى الشرط فكأنه قيل وما كان أي أي شيء حدث فلا تدع تكبيره عز وجل فالقاء جزائية وهي لكونها على ما قبل مرتبطة لا يضر عمل ما بعدها فيما قبلها وقيل انها دخلت في الكلام على توهم شرط فلما لم تكن في جواب شرط اعتل كانت في الحقيقة زائدة فلم يمتنع تقديم معمول ما بعدها عليها كذلك ثم ان في ذكر هذه الجملة بعد الامر السابق مقدمة على سائر الجمل اشارة الى مزيد الاهتمام بامر التكبير وايماء على ما قيل الى أن المقصود الاولى من الامر بالقيام أن يكبر ربه عز وجل وينزهه من الشرك فان أول ما يجب معرفة الله تعالى ثم تنزيه عما لا يليق بجنابه والكلام عليه من باب اياك أعني واسمعي ياجارة وقد يقال لعل ذكر هذه الجملة كذلك مسارعة لتصديقه عليه الصلاة والسلام على الانذار وعدم مبالاته بما سواه عز وجل حيث تضمنت الاشارة الى ان نواصي الخلائق بيده تعالى وكل ما سواه مقهور تحت كبريائه تعالى وعظمته فلا ينبغي ان يرهب الا منه ولا يرغب الا فيه فكأنه قيل قم فأنذر وأخلص ربك بالتكبير فلا يصدنك شيء عن الانذار فتدبر ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ تطهير الثياب كناية عن تطهير النفس عما تذم به من الافعال وتنقيتها عما يستهجن من الاحوال لان من لا يرضى بنجاسة ما يلابسه كيف يرضى بنجاسة نفسه يقال فلان طاهر الثياب نقي الجيب والاردان اذا وصف بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق ويقال فلان دنس الثياب وكذا دنس الثياب للفاجر ولمن قبح فعله ومن الاول قول الشاعر

ويحيى ما يلابسه خلق ✲ ويحيى طاهر الاثواب حر

ومن الثاني قوله لام ان عامر بن جهم ✲ أودى حميدا في ثياب دسم

وكانت جهور السلف والخلف على نحو هذا المنوال في هذه الآية الكريمة فأخرج ابن جرير وغيره عن قتادة انه قال في يقول طهرها من المعاصي وهي لغة عربية قالت العرب اذا نكث الرجل ولم يف بعهد قالوا ان فلانا لدنس الثياب واذا وفى وأصلح قالوا ان فلانا لطاهر الثياب وأخرج ابن المنذر عن أبي مالك انه قال في نفسه وأخرج هو وجماعة عن مجاهد أنه قال أي وعملك فاصلح ونحوه عن أبي رزين والسدي وأخرج هو أيضا وجماعة منهم الحاكم وصححه عن ابن عباس انه قال وثيابك فطهر أي من الاثم وفي رواية عن الغدر أي لا تكن غدارا وفي رواية جماعة عن عكرمة ان ابن عباس سئل عن قوله تعالى وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على غدرة ولا فجرة ثم قال ألا تسمعون قول غيلان بن سلمة

فاني بحمد الله لا ثوب فاجر ✲ لبست ولا من غدرة أتقنع

وغيره عن الضحاك وابن جبير ومن الحسن والقرظي أي وخلقك فحسن وأصل الكناية عن النفس بالثياب قول عنترة

فشككت بالرمح الطويل ثيابه ✲ ليس الكريم على القنا بمحرم

وفي رواية عن الحبر وابن جبير انه كنى بالثياب عن القلب كما في قول امرىء القيس

فان تك قد ساءتك مني خليقة ✲ فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

وقيل كنى بها عن الجسم كما في قول ليلى وقد ذكرت ليلا ركبها قوم وذهبوا بها

وما شبهها الا النعام الشرا ✲ ردوهايا ثوب خفاق الاذري

وطهارة الجسم قد يراد بها أيضا نحو ما تقدم . ومناسبة هذه المعاني لمقام الدعوة مما لا يخفى عليه وقيل على كون تطهير الثياب ككناية عما من شأنه أن يكون ذلك أمراً باستكمال القوة العلمية

Marfat.com

بعد الأمر باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه وقيل انه أمر له صلى الله تعالى عليه وسلم بالتخلق بالأخلاق الخمسة الموجبة لقبول الانذار بعد أمره عليه الصلاة والسلام بتخصيصه ربه عز وجل بالتكبير الذي ربما يوهم ايذاء خفض الجناح لما سواه عز وجل واقتضاء عدم المبالاة لا ثرات بين كان فضلا عن اعداد الله جل وعلا فسكان ذكره لدفع ذلك الوهم وقيل على تفسير الذثر بالتعثر بالنبوة والكمالات النفسانية التي ظهر بشارات النبوة وآثارها وأنوارها الساطعة من مشكاة ذلك عما يدنسها من الخلق والفجور وقلة الصبر وقيل الثياب كناية عن النفس كما قال تعالى هن لباس لكم وتطهيرهن من الخطايا والذنوب بالوعظ والتأديب كما قال سبحانه قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقيل تطهير من اشتبار المؤمنات الخائف منهن وقيل وطؤهن في القبل لا في الدبر وفي الطهر لاني الحيض حسكاه ابن بحر وأصل القول فيما أرى بعيد عن السياق ثم رأيت الطبرسي صرح بذلك وذهب جمع الى أن الثياب على حقيقتها فقال محمد بن سيرين أي اغسلها بالماء ان كانت متنجسة وروى نحوه عن ابن زيد وهو قول الحنفي رضي الله تعالى عنه ومن هنا ذهب غير واحد الى وجوب غسل النجاسة من ثياب الصبي وأمر صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك على ماروى عن ابن زيد مخالفة للمشركين لانهم ما كانوا يصونون ثيابهم عن النجاسات وقيل ألقى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم سلا شاة فدق عليه فرجع الى بيت حزينا فدثر فقيل له يا أيها المدثر قم فانذر ولا تضعف تلك السفاهة عن الانذار وربك فكبر عن أن لا يتظلم منهم وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات وأراد بالتطهير من النجاسة الصلاة بدون ملاحظة قصة قيل خلاف الظاهر ولا تناسب الجملة عليها قبلها الا على تقدير ان يراد بالتكبير التكبير للصلاة وبعض من فسر الثياب بالجسم جوز ابقاء التطهير على حقيقته وقال أمر عليه الصلاة والسلام بالتنظيف وقت الاستجداد لان العرب ما كانوا ينظفون أجسامهم أيضا عن النجاسة وكان كثير منهم يدل على عليه وا . بعض الامر لمطلق الطلب فان تطهير ما ليس بطاهر من الثياب واجب في الصلاة وغيوب في غيرها وقيل تطهيرها تقصيرها وهو أيضا أمر له عليه الصلاة والسلام برفض عادات العرب المذمومة فقد كانت عادتهم تطويل الثياب وجرها الذيول على سبيل الفخر والتكبر قال الشاعر

ثم راحوا عبق المسك بهم ... يلحنون الارض هداب الازر

وفي الحديث أزرة المؤمن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من ذلك ففي النار واستبداد التطهير في التقصير مجاز الزومه فكثيرا ما يقضي تطويلها الى جر ذيولها على القاذورات ومن الناس من جعل التقصير بمعنى ازالته من التطهير كناية عن عدم التكبر والخيلاء ويكون ذلك أمرا له صلى الله تعالى عليه وسلم بالتواضع والمداومة على تركه جر ذيول التكبر والخيلاء بعد أمره بتخصيص الكبرياء والعظمة به تعالى قولا واعتقادا فكانه قيل وربك فكبر وأنت لا تتكبر لينتفي بذلك أمر الانذار وبعض من يرى جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز حمل التطهير على حقيقته ومجازه أعني التقصير والتوصل الى ارادة مثل ذلك عنده من لا يرى جواز الجمع سبيل وجوز أن يراد بالتطهير ازالة ما يستقذر مطلقا سواء النجس أو غيره من المستقذر الطاهر ومنه الاوساخ فيكون ذلك أمرا له صلى الله تعالى عليه وسلم بتنظيف ثيابه وازالة ما يكون فيها من وسخ وغيره من كل ما يستقذر فانه منفر لا يليق بمقام النبوة ويستلزم بعذا بالاولى تنظيف البدن من ذلك وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم أنظف الناس ثوبا وبدنا وربما يقال باستلزام ذلك بالاولى أيضا الامر بالتنزه عن القذر القولي والفعلي كالفحش والتفاظ والبذاءة الى غير ذلك فلا تغفل (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) قال النبي الرجز

Marfat.com

العذاب وأصله الاضطراب وقد أقيم مقام سببه المؤدي اليه من الاثم فكأنه قيل اهجر الاثم والعاصي المؤدي الى العذاب أو الكلام بتقدير مضاف أي أسباب الرجز أو التجوز في النسبة على ما قبل ونحو هذا قول ابن عباس الرجز السخط وفسر الحسن الرجز بالمعصية والتخلي بالاثم وهو بيان للمراد ولما كان المخاطب بهذا الامر هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو البريء من ذلك كان من باب اياك أعني واسمعي أو المراد الدوام والثبات على غير ذلك وقيل الرجز اسم لصنمين اساف ونائلة وقيل للاصنام عموما وروى ذلك عن مجاهد وعكرمة والزهري والكلام على ما سمعت آنفا وقيل الرجز اسم القبيح المستقذر والرجز كما قال جامع مكارم الاخلاق كأنه قيل اهجر الجفاء والسفه وكل شيء يشين ولا تتخلق باخلاق هؤلاء الكفرة ومثل يحتمل ان يكون هذا أمرا بالثبات على تطهير الباطن بعد الامر بالثبات على تطهير الظاهر بقوله سبحانه وثيابك فطهر وقرأ الاكثرون الرجز بكسر الراء وهي لغة قريش وبني الكسور والمضموم واحد عند جمع وعن مجاهد ان المضموم بمعنى الصنم والكسور بمعنى العذاب وقيل الكسور النجاسة والعجور والمضموم اساف ونائلة وفي كتاب الخليل الرجز بضم الراء عبادة الاوثان وبكسرها العذاب ومن كلام السادة أي العلماء فاترك وهو مبني على انه أريد بالرجز الصنم والدنيا من أعظم الاصنام التي عبدها بنو العبد وبنو مولاه وعبدتها أكثر من عبدته فانها تعبد في البيع والكنائس والصوامع والمساجد وغير ذلك أو أريد بالرجز القبيح المستقذر والدنيا عند العارف في غاية القبح والقذارة فمن الاعراض عن الله تعالى وجهه أنه قال الدنيا أحقر من ذراع خنزير مبتلى على كلب في يد مجذوم وقال الشافعي

وما هي الا جيفة مستحيلة ● عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها ● وان تجتذبها نازعتك كلابها

ويقال قل ما ألقى من الله عز وجل فهو رجز يجب على طالب الله تعالى هجره اذ به الهجر ينال الوصال وبذلك القطع يحصل الاتصال ومن أعظم الآء من الله تعالى النفس ومن مقابيل أي نفسك فطهرها بالكلية عن كل ما تنفر من باب اياك أعني أو القصد فيه الى الدوام والثبات كالذي قبله ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ أي ولا تعط مستكثرا أي طالبا للكثير من العطاء فله ابن عباس قيل تعطي من الاستكثار وهو أن يهب شيئا وهو يطمع أن يعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهذا جائز وما الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة موقوفا على شريح المستكثر يثاب من هبته والاصح عند الشافعية أن النهي للتحريم وانه من خواص عليه الصلاة والسلام لان الله تعالى اختاره عليه الصلاة والسلام أكمل الصفات وأشرف الاخلاق فامتنع عليه أن يهب لعوض أكثر وقيل هو نهي تنزيه للكل أو ولا تعط مستكثرا أي راثيا لما تعطيه كثيرا فالنهي للوجهين لا فالطالب كما في الوجه الاول الظاهر والنهي عن ذلك لانه نوع العتاب وفيه يخل خلق وعن الحسن والربيع لا تمنن بحسناتك على الله تعالى مستكثرا لها أي راثيا إياها كثيرة فتناقص عند الله عز وجل وعد من استكثار الحسنات بعض السادة ورؤية أنها حسنات وعدم خشية الرد والغفلة عن كونها منه تعالى حقيقة ومن ابن زيد لا تعط يا أعطاك الله تعالى من النبوة والقرآن مستكثرا بأي طالبا كثير الاجر من الناس وعن مجاهد لا تضعف من عملك مستكثرا لطاعاتك فتمن من قولهم حبل متين أي ضعيف ويتضمن هذا المعنى ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس أنه قال أي لا تقل قد دعوتهم فلم يقبل مني عند دعوتهم وقرأ الحسن وابن أبي عبلة تستكثر بسكون الراء وخرج على اتباع حركة الجزم بعد نقل حركة الهمزة وبالادغام فيقول ولا تمنن لا تستكثر لان من شأن المنان بما يعطي أن يستكثره أي يراه كثيرا ويحمد به وهو بعد الاشباع وقيل بعد كل من قال على دعاء الاتحاد وفي

Marfat.com

الكشف الابدال من أن على أن الان هو الاعتداد بما أعطى لا الاعطاء نفسه فيه لطيفة لان الاستكثار مقدمة الان فكأنه قيل لا تستكثر فضلا عن ان وجوز أن يكون سكون وقف حقيقة أو بإجراء الوصل مجراه أو سكون تخفيف على أن شبه نمرو بعضد فسكن الراء الواقعة بين الثاء وواو ولربك فاسكن الضاد وليس بذاك والجملة عليه في موضع الحال وقرأ الحسن أيضا والاعمش تستكثر بالنصب على اضمار أن كقولهم مره يحفرها أي أن يحفرها وقوله

ألا أيهذا الزاجري احضر الوغى ٭ وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

في رواية نصب أحضر وقرأ ابن مسعود أن تستكثر باظهار أن فان يمنى الاعطاء والكلام على ارادة التعليل أي ولا تمنن لاجل أن تستكثر أي تطلب الكثير من تعطيه وأيده أراد النهي الاول في قراءة الرفع ويجوز الزمخشري في تلك القراءة أن يكون الرفع لحذف أن وابطال عملها كما روى أحضر الوغى بالرفع فالجملة حينئذ ليست حالية وتعقبه أبو حيان بأنه لا يجوز حمل القرآن على ذلك اذ لا يجوز ماذكر الا في الشعر ولما متنوعة عنه مع صحة معنى الحال ورده بان الحذف القياس بقاء عملها بعد حذفها وأما الحذف والرفع فلا محذور فيه وقد أجازه النحاة ومنه تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ قيل على أذى المشركين وقيل على أداء الفرائض وقال ابن زيد على حرب الاحمر والاسود وفيه بعد اذ لم يكن جهاد يوم نزولها وعن النخعي على عطيتك كأنه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء من غير استكثار والوجه كما قال جار الله أن يكون أمرا بنفس الفعل والمعنى لقصد جهته تعالى وجانبه عز وجل فاستعمل الصبر فيتناول لعدم تقدير التعلق القصد المعموم فيه مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على أذى المشركين لانه فرد من أفراد العام لا لانه وحده هو المراد وعن ابن عباس الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه صبر على أداء الفرائض وله ثلثمائة درجة وصبر عن محارم الله تعالى وله ستمائة درجة وصبر على المصائب عند الصدمة الاولى وله تسعمائة درجة وذلك لتعدد على النفس وعدم تمكن منه الا بعد يقين وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أما تأتي هؤلاء ما يوعدون به على مصائب الدنيا وذكروا أن الصبر باعتبار تعلقه أربعة أقسام فرض كالصبر عن المحظورات وعلى أداء الواجبات ونفل كالصبر عن المكروهات والصبر على المندوبات ومكروه كالصبر على اداء المسنونات والصبر على فعل المكروهات وحرام كالصبر على من يقصد حريمه بمحرم وترك التعرض له مع القدرة الى غير ذلك وتمام الكلام عليه في محله وفضائل الصبر الشرعي المشهود بما لا تحصى ويكفي في ذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا ﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾ أي نفخ ﴿فِي النَّاقُورِ﴾ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت وأصله الثقب الذي هو سببه ومنه منقار الطائر لانه يثقر به وبهذه السببية تجوز به عنه وشاع ذلك وأريد به النفخ لانه نوع منه والفاء للسببية فانه قيل لصبر على أذاهم حين يأتيهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فالمعنى اذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والعدول في هذا الجزاء وذلك اشارة الى وقت النقر المفهوم من فاذا نقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد لفظا بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة وعلو الرتبة في الايشاء ويومئذ قيل بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن والظاهر يوم عسير فكأنه قيل فيوم النقر يوم عسير وجوز أن يكون يومئذ ظرفا مستقرا أي يوم عسير أي صفة له فلما تقدم عليه صار

Marfat.com

حالا منه والذي أجاز ذلك على مذهب الكسائي ان التقدير فذلك وقت النقر وأوقع يوم عسير لان يوم القيامة يأتي ويقع من نقر في الناقور فهو على مسوغ من الربح العبدي أي وقوع العبد فيه وعلى هذا فذلك الوقوع وقوع يوم على وقوع ما ظرف له فهو من تقديم معمول المصدر أو معمول عامل صلته على المصدر ان جعل ظرف الوقوع المقدر أو ظرف عسير والتصريح بلفظ وقوع إيذان بتغاير وقوع إيزاء الذي ينقص من جهل الزمان مظروف الزمان بوجه ما الى الجملة فتدبر وظاهر صنيع الكشاف اختيار هذا الوجه ولكنا لم نر صاحب الكشف اقتفاه وجه على أتم وجه وادعى فيما سبق نسخا نعم يجوز عليه الرحمة ان يكون يومئذ معمولا دالا عليه الجزاء أيضا لان تحقيق فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين يومئذ وأيدا كان فعلى الكافرين متعلق بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير أو حال من المستكن فيه وأجاز أبو البقاء تعلقه بيسير في قوله تعالى (غَيْرُ يَسِيرٍ) وهو الذي يقتضيه كلام قتادة ونقله أبو حيان بانه ينبغي أن لا يجوز لان فيه تقديم معمول المضاف اليه على المضاف وهو ممنوع على الصحيح وقد أجازه بعضهم في غير حلا فما على لا يقول أنا زيدا غير راض وزعم الخوفي ان اذا منطقة بأنذر والفاء زائدة وأراد أنها معمول به لانذر كأنه قيل قم فانذرهم وقت النقر في الناقور وقوله تعالى فذلك اشارة جلية مبتدأ تعالى موضع التعليل وهو كما ترى وجوز أبو البقاء تخريج الآية على قول الاخفش بأن تكون اذا مبتدأ والخبر فذلك والفاء زائدة وجملة يومئذ ظرفا لذلك والانتظام في مرية من انه كلام الاخفش وقال بعض الاجلة ان ذلك مبتدأ وهو اشارة الى المصدر أي فذلك النقر وهو العامل في يومئذ ويوم عسر خبر المبتدأ والمضاف مقدر أي فذلك النقر في ذلك اليوم نقر يوم وفيه تكلف وعدول عن الظاهر مع أن عسر اليوم غير مقصود بالافادة عليه وظاهر السياق قصد بالافادة وجعل العلامة الطيبي هذه الآية من قبيل ما التحد فيه الشرط والجزاء نحو من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله اذ جعل الاشارة الى وقت النقر وقال ان في ذلك مع ضم التكرير دلالة على الخطب الجليل والامر العظيم وفيه نظر وفائدة قوله سبحانه غير يسير أي سهل بعد قوله تعالى عسير تأكيد عسره على الكافرين فهو يمنع أن يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بتيسره على المؤمنين كأنه قيل عسير على الكافرين غير يسير عليهم كما هو يسير على أضدادهم المؤمنين ففيه جمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ولا يتوقف هذا على تعلق على الكافرين بيسير تمم الامر عليه أظهر كما لا يخفى ثم مع هذا لا يخلو قلب المؤمن من الخوف أخرج ابن سعيد والحاكم عن يزيد بن عكرمة قال أتينا زرارة بن أوفى فقرأ المدثر فلما بلغ فاذا نقر في الناقور خر ميتا فكنت فيمن حمله وأخرج ابن أبي شيبة والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال لما نزلت فاذا نقر في الناقور قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فقالوا كيف نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وعلى الله توكلنا واختلف في أن المراد بذلك الوقت يوم النفخة الاولى أو يوم النفخة الثانية ورجح انه يوم الثانية لان الذي يحاسب عسره بالكافرين وأما وقت النفخة الاولى فذلك الذي هو الاصعق يعم البر والفاجر وهو على القليل الخلص بل كان حيا عند وقوع النفخة (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي كما روى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم بل قيل كونها فيه متفق عليه وهو يقتضي أن هذه السورة لم تنزل جملة اذ لم يكن أمر الوليد وما انتهى نزول الآية فيه في بدء البعثة فلا تعلق وحيدا حال إما من الياء في ذرني وهو الذي عن مجاهد أي ذرني وحدي معه فانا أكفيك في الانتقام من كل منتقم أو من التاء في خلقت أي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد فانا أهلكه لا أحتاج الى استمداد في اهلاكه

Marfat.com

أو من الضمير المحذوف العائد الى من على ما مر نظيره أبو حيان أي ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وجوز أن يكون منصوبا بأذم ونحوه فقد كان الوليد يلقب في قومه بالوحيد فيكون الله تعالى به وبأخيه أو صرفه عن الغرض الذي كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه الى حيث ذمه وعيبه أو أراد سبحانه وحيدا في الحبث والشرارة أو وحيدا عن أبيه لانه كان دعيا لم يعرف نسبه للغير حقيقة كما مر في سورة نون (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا) مبسوطا كثيرا أو ممدودا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر وقيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من الابل والنعم والجنان والعبيد وقيل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره صيفا وشتاء وقال النبان بن بشير للمال الممدود هو الأرض لانها مدت وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه المتقل الذي يجيء شهرا بعد شهر فهو ممدود لا ينقطع وعن ابن عباس ومجاهد وابن جبير كان له ألف دينار وعن قتادة مائة ألف دينار وقيل تسعة آلاف دينار وعن سفيان الثوري روايتان أربعة آلاف دينار وألف ألف دينار وهذه الاقوال ان صحت ليس المراد بها تعيين المال الممدود وانه متى أنفق يراد به ذلك بل بيان أنه كان بالنسبة الى المخاطبين عنده لذا (وَبَنِينَ شُهُودًا) حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يغيبون عنه للتصرف في عمل أو تجارة لكونهم مكفيين لوفور تمولهم وكثرة مخدومهم أو حضورا في الأندية والمحافل لوجاهتهم واشتهارهم أو تسمع شهاداتهم فيما يتعلق بأبيهم واختلف في عددهم فعن مجاهد أنهم عشرة وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وهشام وقد أسلم هؤلاء الثلاثة والعاص وقيس وعبد شمس وعمارة واختلفت الرواية فيه أنه قتل يوم بدر أو قتله النجاشي الحبشة نسبت اليه في حرم الملك والروايتان متفقتان على أنه قتل كافرا ورواية القتلي عن مقاتل السلامة لا تصح ونص ابن حجر على أن ذلك غلط وقد وقع في هذا الغلط صاحب الكشاف وتبعه فيه من تبعه والعجب أيضا أنهم لم يذكروا الوليد بن الوليدين أسلم مع أن الخبرين من آخرهم أخطؤا على اسلامه (وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا) بسطت له الرياسة وأعددت له ما يليق بها من المال والجاه عند أهل الدنيا وأصل التمهيد التسوية والتهيئة وتجوز به عن بسطة المال والجاه وكان لكثرة غناه وثروة حاله الرائق في الأعين منظرا وعند الناس بالغ رجحانه قريش وكذا كانوا يلقبونه بالوحيد يعني الفرد بالرئاسة وعن ابن عباس وصت له مابين اليمن الى الشام وعن مجاهد مهدت له المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ) على ما أوتيه وهو استبعاد واستكبار لطمعه وحرصه لما لأنه في غنى كل الاستبعاد على ما أولى سعة وكثرة أو لانه منافق لا هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم وعن الحسن وغيره أنه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي واستعمال ثم للاستبعاد كثير قيل وهو غير الخارت الزمخشري بل هو الذي يصح بعيدا غير مناسب لما عطف عليه كما تقول لمسيء الى ثم ترجو احساني وكان ذلك التنزيل البعد المعنوي منزلة البعد الزماني (كَلَّا) ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله سبحانه (إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) جملة مستأنفة استئنافا بيانيا لتعليل ما قبل كأنه قيل لم زجر عن طلب المزيد وما وجه عدم اجابته فقيل انه كان معاندا لآيات النعم وهي دلائل توحيده أو الآيات القرآنية حيث قال فيها ما قال والمعاندة تناسب الازالة وقطع المزيد قال مقاتل نازل الوليد بن المغيرة وللحديث الآتية في ناس من ولده وولد عمه هلك (سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا) سأغشيه مشقة لا مطمع في الصعود معها مستعار من الذي يرهق الانسان من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق شبه ما يسوقه الله تعالى له من المصائب وأنواع الشدائد بتكليف الصعود في الجبال الوعرة

Marfat.com

الصدقة وأطلق النظم عليه على سبيل الاستعارة التبعية وروى أحمد والترمذي والحاكم وصححه وجماعة عن أبي سعيد الخدري مرفوعا الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم يكلف أن يصعد عقبة في النار فما وضع عليها يده ذابت واذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت واذا رفعها عادت ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ تعليل لوعيد واستحقاقه له أو بيان لسببه لا بأنه عز وجل فيكون جملة مفسرة لذلك لا محل لها من الاعراب وما بينهما اعتراض وقيل اعلة عليه بدل من قوله تعالى انه كان لآياتنا عنيداً أي انه فكر ماذا يقول في شأن القرآن وقدر في نفسه ما يقول ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تعجيب من تقديره واصابته في الظروف به الغرض الذي كان يتحيفه قريش فهو نظير قاتلهم الله أنى يؤفكون أو تأكيد عليه تهكما على نحو قاتله الله ما أشجعه أو حكاية لما كرروه على سبيل الدعاء عند سماع انه أخطأ فالضرب تقول قاتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما أشعره يريدون انه قد بلغ البلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك وما آله على ما قيل الى الاولى وان اختلف الوجه روي أن الوليد بن المغيرة جاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأن رقه فبلغ ذلك أبا جهل فقال يا عم ان قومك يريدون ان يجمعوا لك مالا فيعطوكه فانك أتيت محمداً لتعرض لما عنده قال قد علمت قريش أني من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك منكر له وانك كاره له قال وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني لا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله ان لقوله الذي يقوله حلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو وما يعلى وانه ليحطم ما تحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال دعني حتى أفكر فلما فكر قال ما هو الا سحر يؤثر فسجد بذلك وقال عجي السنة لما نزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله تعالى للصبر قام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المسجد والوليد قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي عليه الصلاة والسلام لاستماعه أعاد القراءة فانطلق الوليد الى مجلس قومه بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى فقال قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل أنا كفيكموه فقعد اليه حزينا وقال يا أعداء فقام فاتاه فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو فكر فقال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا مسجين بقوله متعجبين منه ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تكرير للمبالغة كما هو معتاد من أعجب غاية الاعجاب والعطف بثم لدلالة على تفاوت الرتبة وان الثانية أبلغ من الاولى فكأنه قيل قتل قتل نوع من القتل لايل قتل بأشده وأشده ولقد ساغ العطف فيه بيد انه تأكيد ونحوه قول قوله

وهل من ذنب اليه سم علمته ✻ سوى أنني قد قلت يا سرحة اسقني

ألا يا اسقني ثم اسقني ثم اسقني ✻ ثلاث تحيات وان لم تكلمي

والاطراد في الاعجاب بتقدير يدل على غاية التهكم بدون فرح بحصول تفكيره وقال الراغب في غرة التنزيل كان الوليد بن المغيرة لما سئل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فمر ما أتى به من القرآن فقال ان قلنا شاعر فليست العرب اذا عرضت ما أتى به على الشعر وان يقصد بهذا التقدير تكذيب الرسول صلى الله تعالى عليه

Marfat.com

وسلم بضرب من الاحتيال فذلك كان في تقدير مستحقا للعقوبة من الله تعالى هي كالقتل اعملا له فالأول لتقديره على البشر أي أهلك اعلاك القتول كيف قدر وقوله تعالى ثم قتل كيف قدر لتقديره الآخر فانه قدر أيضا وقال فان ادعينا ان ما أتى به من كلام الكهنة كذبتنا العرب اذا رأوا هذا الكلام مخالفا لكلام الكهان فهو في تقديره له على كلام الكهنة مستحق من العقوبة لما هو كالقتل اعملا له فإذا ذلك فلم يكن في الآية تكرار والأول هو ما ذهب اليه جار الله وجعل الدعاء اعتراضا وقال عليه الطيبي أنه ليس من الاعتراض التعارف الذي يخل الترتيب الكلام وتقريره لان الفاء مانعة من ذلك بل هو من كلام الله ووقع الفاء في تضاعيف كلامه فاصل بين الكلامين المتصلين على سبيل الحكاية ثم قال وهو منصب وانما سلك لانه جعل الدعاءين من كلام الله وأما اذا جعلا من كلام الله تعالى استيزادا كما ذكر هو أو دعاء عليه كما ذهب اليه الراغب وعليه تفسير الواحدي على ماقال ونقل من صاحب النظم فقال كيف أتى عذب والمعنى كيف قدر كما يقال لأضربنه كيف صنع أي على أي حال كانت منه لتكون الافعال عليها متناسقة مرتبة على التفاوت في التعذيب والتراخي زمانا ورتبة كما يقتضيه المقام كان أحسن وجاء النظم على الذي التأوف من التنزيل الى آخر ماقال وما تقدم أيضا دفزي والاعتراض من التعارف وهو يؤكد ماسبق له الكلام أحسن تأكيد والفاء غير مانعة على ماتص عليه جار الله وغيره وجعل من الاعتراض القرون بها فاسألوا أهل الذكر ومنه قوله

واعلم فعلم المرء ينفعه ✻ أن سوف يأتي كل ماقدرا

وقد حقق الطيبي هذه الجملة وفصل بين اجزاء الكلام لعتاما بدأ بها فقال قلت فائدة الاعتراض وعدم تمت والاعتراض بين قوله تعالى انه فكر وقدر وقوله سبحانه (ثُمَّ نَظَرَ) بالعطف ثم فيما بعد على متابعة الوحي وهو التراخي الزماني مع مهلة أي ثم فكر في أمر القرآن مرة بعد أخرى (ثُمَّ عَبَسَ) فطلب وجها فلم يجد فيه مطمارخاقت عليه الحيل ولم يدر ماذا يقول وقيل ثم نظر في وجوه القوم ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قطب في وجهه عليه الصلاة والسلام (وَبَسَرَ) أي أظهر العبوس قيل أوانه وفي غير وقته فالبسر الاستعجال بالشيء نحو بسر الرجل حاجة طلبها في غير أوانها وبسر الفحل الناقة ضربها قبل أن تطلب وماء بسر متناول من غديره قبل سكونه وقيل التحين الذي يشكا قبل النضج بسر ومنه قيل لما لم يدرك من الثمر بسر وبسرا فسره الراغب هنا وفسره بعضهم بالشد العبوس من بسر اذا قبض مابين عينيه كراهة للشيء والسوء وجهه منه ويستعمل بمعنى العبوس ومنه قول ثوبة

قد رابني منها صدودها رأيته ✻ وأعراضها عني حاجتي وبسورها

وقول معدنا أساءت راغني ثم فكلمتني مرة بالبشر وسرة بالبسر فليتفيكون ذكر البسر هنا لأجل البشر والله مراد من قال انها وأهل الذين يقولون بسر الرجل وأبسر اذا وقس وقوم أن من جوز زيادة ذلك هنا وعلى بعدوفي النفس من ثبوت ذلك اللغة صميمة توقف (ثُمَّ أَدْبَرَ) عن الحق أو عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وَاسْتَكْبَرَ) عن اتباعه (فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ) أي يروى وينقل من سحر بابل ونحوه وقيل أي يختار ويرجح على غيره من السحر وليس بمختار والفاء للدلالة على أن هذه الكلمة الخبيثة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعثم وتلبث فهي للتعقيب من غير مهلة والاضافة فيه لما مر من الرواية كما يحق وقوله (إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) كالتأكيد للجملة الأولى لان المقصود منهما نفي كونه

Marfat.com

فرآكوم بالاجماع تعالى وان اختلفا من والاعتبار الاتحاد في المقصود لم يعطف عليها وألحاق بعضهم عليه التأكيد من غير تعقيب الارسال وفي وصف اشكاله التي تشكل بها حتى استنبط هذا القول العجيب استبزاد به واشارة الى أنه من الخلق الابليغ مزلة تم ان الذي يظهر من تتبع أحوال الوليد أنها قالت ذلك عناداً وحمية جاهلية لا جهلا بحقيقة الحال وقوله تعالى (سأصليه سقر) بدل من ما رقابع بدل اشتمال لان التهديد على الشيء يستلزم التهديد على الشيء من الثار والوصف الآتي لا يأتي الابدال على ارادة الطول بناء على أن المراد بنحو مالي الحديث وقال أبو حيان يظهر أنهما جملتان اعتنيت كل واحدة منهما في سبيل تؤدة النصيان الذي قيل كل واحدة منهما تتوعد على كونه متبدأ الآية تعالى يأبى عليه وعلى قوله ان القرآن سحر يؤثر باصلاء سقر وفيه بحث لا يخفى على من أحاط خبراً بالمقام (وَمَآ أَدْرَٰكَ مَا سَقَرٌ) أي أي شيء أعلمك ما سقر على أن ما الاولى مبتدأ وأدراك خبره وما الثانية خبر لانها مفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفظيع وسقر مبتدأ أي أي شيء هي في نفسها فان ما قد يطلب بها الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله سبحانه (لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ) بيان لوصفها وحالها فالجملة مفسرة او مستأنفة من غير حاجة الى جعلها خبر مبتدأ محذوف وقيل حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم اي اعظم سقر والعول اعرها حال كونها لا تبقي للمؤاخذ بذلك اي لا تبقي شيئاً يلقى فيها الا اهلكته واذا هلكت لم تذرها هالكا حتى يعاد وقال ابن عباس لا تبقي اذا اخذت فيهم لم تبق منهم شيئاً واذا بدلوا خلقا جديدا لم تذر ان تعاودهم سيل العذاب الاول وروى نحوه من الضحاك زيادة واكل شيء قترة وملالة الا حين وقيل لا تبقي على شيء ولا تذره من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة وقال السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذر عظما وهو دون ما تقدم (لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ) قال ابن عباس ومجاهد وأبو رزين والجمهور أي مسودة للبشرات مسودة للجلود وفي بعض الروايات عن بعض بزيادة محرقة والمراد في الجملة مغيرة من لوحته الشمس اذا سودت ظاهره وأطرافه قال

تقول ما لاحك يا مسافر ○ يا ابنة عمي لاحتي الهواجر

والبشر جمع بشرة وهي ظاهر الجلد وفي بعض الآثار أنها تلفح الجلدة لفحة فتدعه أشد سوادا من الليل واعترض بأنه لا يصح وصفها بتسويدها ظاهر الجلود مع قوله سبحانه لا تبقي ولا تذر الصريح في الاحراق وأجيب بأنها في أول الالقاء تسوده ثم تحرقه وتبيده أو الاول حالها مع من دخلها وهذا حالها مع من يقرب منها وأنت تعلم أنه اذا قيل لا يحسن وصفها بتسويد ظاهر الجلود بعد وصفها بأنها لا تبقي ولا تذر لم يحسن هذا الجواب وقد يجاب حينئذ بأن المراد ذكر أوصافها الهولة التظيعة من غير قصد الى ترتب من فظيع الى أفظع وكونها لواحة وصف من أوصافها والله تعالى اعلم باختيار أول الالقاء وقيل الاعلاء وفي ذكره من التفظيع ما فيه لا يخفى أن في تسويد الجلود مع قطع النظر عما فيه من الآلام تشويها للخلق ومثلة فتخصيص فهو من قبيل التتميم وفي استلزام الاعلاء تسويد الجلود تردد وان قيل به فالتعبير وجوز على تقدير لواحة بما ذكر كون البشر اسم جنس يعني الناس ويرجع المعنى الى ما تقدم وقال الحسن وابن كيسان والاصم لواحة بناء مبالغة من لاح اذا ظهر والبشر يعني الناس أي تظهر للناس لتظيها وهولها ثم قال تعالى ويروى الجحيم لمن يرى وقد جاء أنها تظهر لهم من مسيرة خمسمائة عام ورفع لواحة على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي لواحة وقرأ عطية العوفي وزيد بن علي والحسن وابن أبي عبلة لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل أي أعني أو أعنى وجوز أن يكون حالا مؤكدة من ضمير تبقي أو تذر بناء على زعم الاستلزام وأن يكون حالا من سقر والعامل ما مر (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) الظاهر ذلك الا ترى العرب ولم

Marfat.com

الفصحاء كيف فهموا منه ذلك فقد روى عن ابن عباس أنها لما نزلت عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش تكلكم أيها الشكم أسمع أن ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال له أبو الاشد بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فانزل الله تعالى (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً) أي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وأنزل سبحانه في أبي جهل أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى والظاهر أن المراد باصحاب النار هم التسعة عشر فعبر وضع الظاهر موضع الضمير ولا أن ذلك لما في هذا الظاهر من الاشارة الى أنهم المدبرون لامرها القائمون بتعذيب أهلها ما ليس في الضمير وفي ذلك ايذان بان المراد بسقر النار مطلقا لا طبقة خاصة منها والظهور على أن المراد بهم النقباء فتى كونهم عليها انهم يتولون أمرها واليهم جماع زبانيتها والا فقسد جاء بؤتى يومئذ بها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ولعب بعضهم الى أن التمييز المحذوف صنف وقيل صف والاصل عليها تسعة عشر صنفا أو عليها تسعة عشر صفا ويعده ما تقدم في رواية الخبر ولذا قوله تعالى (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا) فان التبادر أن افتتانهم باستقلالهم لهم واستبعادهم تولى تسعة عشر لتعذيب أكثر الثقلين واستهزائهم بذلك ومع تقدير الصنف أو الصف لا يتمشى ذلك وقال غير واحد في تمثيل جعلهم ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم أقوى الخلق وأقومهم بحق الله تعالى وبالغضب له سبحانه وأشدهم بأسا وفي الحديث كأن أعينهم البرق ولأن أفواههم الصياصي يجرون أشعارهم لهم مثل قوة الثقلين يقبل أحدهم بالامة من الناس يسوقهم على رقبته حتى يرمي بهم في النار فيرمي بالجبل عليهم ولا يبعد أن يكون في التنوين إشعار الى عظم أمرهم ومعنى قوله تعالى وما جعلنا عدتهم الى آخره على ما اختاره بعض الاجلة وما جعلنا عدد اصحاب النار الا العدد الذي اقتضى فتنة الذين كفروا بالاستقلال والاستهزاء وهو التسعة عشر فكأن الاصل وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فعبر بالاثر وهو فتنة الذين كفروا عن المؤثر وهو خصوص التسعة عشر لانه كان علم السبب في افتتانهم وقيل الا فتنة للذين بدل الا تسعة عشر تنبيها على أن الاثر هنا لعدم انفكاكه عن مؤثره كالازمهما كأنه في واحد يعبر باسم أحدهما عن الآخر ومعنى جعل عدتهم الخلقة العدة المخصوصة أن يخبر عن عددهم بانه كذا اذ الجعل لا يتعلق بالعدد انما يتعلق بالمعدود فالذي أخبرنا أن عدتهم تسعة عشر دون غيرها (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أي ليكتسبوا اليقين بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق القرآن لاجل موافقة المذكورين لمحكم في القرآن بهذا العدد وفي الكشاف كذلك وهذا غير جعل الملائكة على العدد المخصوص لانه ايجاد والايصح على ما قال بعض المحققين أن يجعل ايجادهم على الوصف علة للاستيقان المذكور لانه ليس الا الموافقة ونكلف بعضهم لتصحيحه بان الايجاد سبب للاخبار والاخبار سبب للاستيقان فهو سبب بعيد والنفي يلائمه لسببه البعيد بخلافه القريب لكنه مما قال لايحسن فلذا احتيج الى التأويل بالتعبير بالاثر عن المؤثر وليبقى الكلام على ظاهره لان الجعل من دواخل المبتدا والخبر فما يترتب عليه يترتب باعتبار نسبة أحد القسمين الى الآخر كقولك جعلت الفضة خاتما لتزين به وكذلك ما جعلت الفضة الا خاتما لكذا ولا معنى لترتب الاستيقان وما بعده على جعل عدتهم فتنة للكفار ولا بد خل لافتتانهم بالعدد المخصوص في ذلك وانما المدخل للعدة بنفسها أي العدة باعتبار أنها العدة المخصوصة والاخبار بها كما سمعت وليس ذلك تحريفا لكتاب الله تعالى ولا ميلا على رعاية مذهب باطل كما توهم ومنهم من تكلف لامر السببية على الظاهر بما تنبه

Marfat.com

الاسباع فلا تسود به الرفاع وفي البحر ليستيقن متعلق بجعلنا لا بفتنة فليست الفتنة معللة للاستيقان بل المعلول جعل العدة سبب الفتنة وفي الانصاف يجوز أن يرجع قوله تعالى ليستيقن الى ما قبل الاستثناء أي جعلنا عدتهم سببا لفتنة الكفار وليقين المؤمنين وذكر الامام في ذلك وجهين الثاني ما قدمناه عن اختاره بعض الاجلة والاول أن التقدير وما جعلنا عدتهم الا فتنة للكافرين والا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب قال وهذا كما يقال فعلت كذا لتعظيمك ولتحقير عمرو فالواو العاطفة قد تذكر في هذا الموضع تارة وقد تحذف أخرى وقال بعض أنه متعلق بمحذوف أي فعلنا ذلك ليستيقن الخ والكل كما ترى وحمل الذين أوتوا الكتاب على أهل الكتابين مما ذهب اليه جمع وقيل المراد بهم اليهود فقد أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابراد أن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اعلم فجاء فاخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل عليه ما تلوته عليها تسعة عشر وأخرج الترمذي وابن مردويه عن جابر قال قال ناس من اليهود لا ناس من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم فاخبروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسعة واستشعر من هذا أن الآية مدنية لان اليهود انما كانوا فيها وهو استشعار ضعيف لان السؤال لصحابي فلعله كان مسافرا فاجتمع بيهودي حيث كان وأيضا لا مانع لو ثبت من تبيان بعض اليهود نحو مكة المكرمة ثم ان الخبرين لا يبيانان حمل الموصول على اليهود كما لا يخفى فالاولى ابقاء التعريف على الجنس وشمول الموصول للفريقين أي ليستيقن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ أي يزداد ايمانهم ثبوتا بما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك أو تكميلا بانضمام ايمانهم بذلك الى أيمانهم بسائر ما أنزل ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما لغفلة عن بعض المقدمات أو طريان ما توهم كونه معارضا في أول وهلة ولما فيه من هذه الزيادة جاز عطفه على المؤكد بالواو المغايرة في الجملة وانما لم ينظم المؤمنون في سلك أهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا لان انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما يناقضه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما وقيل انما لم يقل ولا يرتابوا بل قيل ولا يرتاب الخ للتنصيص على تأكيد الامرين لاحتمال عود الضمير في ذلك على المؤمنين فقط والتعبير عن المؤمنين باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازديادهم ورسوخهم في ذلك ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي نفاق أو شك فيكون بناء على أن السورة بتمامها مكية والنفاق انما حدث بالمدينة اخبارا عما سيحدث من القبيحات بعد الهجرة ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ المصرون على التكذيب ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أي أي شيء أراد الله تعالى أو ما الذي أراده الله تعالى بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وعلى الاول ماذا منزلة منزلة اسم واحد للاستفهام في موضع نصب بأراد وعلى الثاني هي مؤلفة من كلمة ما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبره والجملة بعد صلة والعائد فيها محذوف ومثلا نصب على التمييز أو على الحال كما في قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية والظاهر أن الغاية هذه الجملة من الحكي وعنوا بالاشارة التحقير وغرضهم نفي أن يكون ذلك من عند الله عز وجل على أبلغ وجه لا

Marfat.com

الاستفهام حقيقة من الحكمة ولا القدح في الشيء عليها مع اعترافهم بصدور الاخبار بذلك عنه تعالى وجوز أن يكون أراد الله من الحسكاية وهم قالوا ماذا أريد ونحوه وقيل يجوز أن يكون المثل بمعناه الآخر وهو ما شبه مضربه بموردة بأن يكونوا قد عدوه لاستقرائه مثلا مضروبا وتسيروه اليه عز وجل استهزاء وتهكما وافراد قوله يهدا التمثيل مع كونه من باب فكيهم قبل الاشارة بالاستقلال الى الصناعة وفي الجواشي الدباية اذا أعيد اللام فيها فرق بين المثلين اذ مرجع الاولى الهداية المقصودة بالذات ومرجع هذه الضلال المقصود بالعرض الثاني من سوء صنيع الضالين وتعليل أفعاله تعالى بالحكم والمصالح جائز عند الفريقين وجوز في هذه اللام وكذا الاولى كونها للعاقبة (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ) ذلك اشارة الى ما اليه من معنى الاضلال والهداية وعمل الكاف في الاصل النصب على انها صفة لمصدر محذوف والاصل التقدير يضل الله من يشاء (وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر وأقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار التقدير مثل ذلك الاضلال وذلك الهداية يضل الله تعالى من يشاء اضلاله لصرف اختياره حسب استعداده السيء الى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله تعالى الناطقة بالهدى ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره حسب استعداده الحسن عند مشاهدته تلك الآيات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية أدنى شيء ويجوز أن تكون الاشارة الى ما بعد كما في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا على ما حقق في موضعه (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ) جمع جند الشيء في العسكر اختيارا لعاطفين الجند أي الارض الغليظة التي فيها حجارة ويقال لكل جمع أي وما يعلم جموع خلقه تعالى التي من جملتها الملائكة المذكورون على ما علم عليه (إِلَّا هُوَ) عز وجل لاستيلاء احوالهم حصر المكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبة وهو رد لاستهزائهم بكون الخزنة تسعة عشر لجهلهم وجه الحكمة في ذلك وقال مقاتل هو جواب قول أبي جهل أما لرب محمد أعوان الا تسعة عشر وحاصله انه لا قال الاعوان أجيب بأنهم لايحصون كثرة أما الموكلون على النار هؤلاء المعدودون لا ان الذي ما يعلم بقوة بطش الملائكة الا هو خلافا للطيبي فان اللفظ غير ظاهر الدلالة على هذا المعنى واختلف في أعداد جنوده الله عز وجل فقيل الملائكة عليهم السلام وحق لها ان تملأ ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك قائم او راكع او ساجد وفي بعض الاخبار ان مخلوقات البر عشر مخلوقات البحر والجموع عشر مخلوقات الهوا والجموع عشر ملائكة السماء الدنيا والجموع عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة والجموع عشر ملائكة الكرسي والجموع عشر الملائكة الحافين بالعرش والجموع الكل قليل بالنسبة الى ما لايعلمه الا الله وقيل الجموع الكل قليل بالنسبة الى الملائكة الموسيين الذين لا يعلم اعدادهم ان الله تعالى خلق احدا سواه والجموع الكل قليل بالنسبة الى ما يعلمه سبحانه من مخلوقاته وعن الاوزاعي قال قال موسى عليه السلام يارب من معك في السماء قال ملائكتي قال كم عددهم قال اثنا عشر سبطا قال كم عدة كل سبط قال عدد التراب وفي صحة هذا الخبر نظر وان صح فمصدره من التقريب وأنا لا أجزم بأن كثرة عشب فما يعلم جنود ربك الا هو ولم يصح عندي نص في ذلك بيد أنه يغلب على الظن ان الاكثر الملائكة عليهم السلام وهذه الآية وأمثالها من الآيات والاخبار تشجع على القول باحتمال أن يكون في الاجرام السفلية جنود من جنود الله تعالى لا يعلم حقائقها وأحوالها الا هو عز وجل ودائرة ملك الله جل جلاله أعظم من أن يحيط بها نطاق الحصر أو يصل الى مركزها طائر الفكر فاني وعيات ولو استرفت القوى والاوقات هذا واختلف في الخصص لهذا العدد

Marfat.com

أعني تسعة عشر فقيل ان اختلاف النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة يعني الحواس الخمسة الباطنة والحواس الخمسة الظاهرة والقوة الباعثة كالغضبية والشهوية والقوة المركبة فهذه اثنا عشرة والطبيعية السبع التي ثلاث منها مخدومة وهي القوة النامية والغاذية والمولدة وأربع منها خادمة وهي الهاضمة والجاذبة والدافعة والماسكة وهذا مع ابقائه على الفلسفة لا يكاد يتم لأنا لا يخفى على من وقف على كتبها وقيل ان لجهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل أنواعا من العذاب تناسبها فيضرب الست في الثلاثة تحصل ثمانية عشر وعلى كل نوع ملك أو صنف بإزائه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه وبإزائه ملك أو صنف وبذلك تتم التسعة عشر . وخصت ست منها باصناف الكفار وواحدة باصناف الامة ولم يجعل تعذيب الكفار في خمس منها ضيق المؤمنين اثنان احداهما لاهل الكبائر والاخرى لاهل الصغائر أو احداهما لعصاة منهم والاخرى لقاصرات لانه حيث أعدت النار للكافرين أولا وبالذات تناسب ان يستوفوها كلية ويوزعوا على جميع أبوابها بقدر ما يمكن لكن لما تعلقت ارادة سبحانه بتعذيب عصاة الامة بها أفرزت واحدة منها لهم وقيل ان الساعات أربع وعشرون خصة منها مصروفة للصلاة فلم يخلق في مقابلتها زبانية الصلاة الذاهلة لان يصل فيق تسعة عشر وقيل ان لجهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار والاعتداد بامر عذابهم واستمراره ناسب أن يقوم عليه ثلاثة واحد في الوسط واثنان في الطرفين فهذه ثمانية عشر وواحدة منها لعصاة المؤمنين ناسب أمر عذابهم ان يقوم عليه واحد وبه تتم التسعة عشر وقيل ان العدد على وجهين قليل وهو من الواحد الى التسعة وكثير وهو من العشرة الا مالا نهاية له فجمع بين نهاية القليل وبداية الكثير وقيل غير ذلك والذي مال اليه أكثر النقاد ان ذلك مما لا يصل حكمه على التحقيق الا القادر وجل وهو كالمتشابه يؤمن به ويفوض علمه الى الله تعالى وكل ماذكر مما لا يعول عليه كما لا يخفى على من وجه أدنى نظره اليه والله تعالى الهادي لصوب الصواب والمتفضل على من شاء بخير الاسباب منه ولا ارتياب وقرأ ابو جعفر وطلحة بن سليمان تسعة عشر باسكان العين وهو لغة فيه كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم واحد وقرأ انس بن مالك وابن عباس وابن قطب وابراهيم بن نمة تسعة بضم التاء وهي حركة بناء نقل اليها عن الفتح لتوالي خمس فتحات ولابنوهم تاء حركة اعرابية والأعرب عشر وقرأ أنس ايضا تسعة بالضم أعشر بالفتح قال صاحب اللوامح فيجوز اذا جمع العشرة على أعشر تاجراء مجرى تسعة عشر وهذا أيضا تسعة وعشر بالضم وقلب الهمزة واوا خالصة تخفيفا والتاء فيهما مضمومة ضمة بناء لما سمعت آنفا وعن سليمان بن نمة وهو اخو ابراهيم انه قرأ تسعة أعشر بضم التاء تسعة اعراب والاضافة الى اعشر وجزء منونا وهو على ما قال صاحب اللوامح جمع عشيرة وقد صرح بان اللائكة على القراءة بهذا الجمع عشرا او مئينا تسعون ملكا وقال الزمخشري جمع عشير مثل يمين وأيمن وروى عنه انه قال اى تسعة من اللائكة كل واحد منهم عشير لهم مع اشياعهم تسعون والعشير بمعنى العشر فدال على ان التقدير تسعة وتسعين بان دلالته على هذا المعنى غير واضحة وقد قال ابن جني لا وجه لقلة القراءة الا ان يعني تسعة اعشر جمع العشير وهو الاصدقاء فيراجع ﴿ وَمَا هِيَ ﴾ اى سقر كما يشعر به كلام بعضهم ﴿ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ الا تذكرة لهم والعطف قيل على قوله تعالى سأصليه سقر وما جعلنا اصحاب النار الى هذا اعتراض ووجهه انه لما قيل عليها تسعة عشر زيادة في تهويل امرجهنم طلب بما يؤكد قولهم وتصلبهم وتبايتهم بالعدة عن مائر المخلوقات ثم بما يؤكد الكمية وما أكد المؤكد فهو مؤكد ايضا وقيل

Marfat.com

الضمير للآيات الناطقة بأحوال سقر وقيل للمدة خزنتها والمتذكر والمتذكر فيها من حيث ان في خلقه تعالى ما هو في غاية العظمة حتى يكون القليل منهم معتبرا ومدركا لا يحصى دلالة على انه عز وجل لا يقدر حق قدره ولا توصف عظمته ولا تصل الأفكار الى حريم جلاله وقيل الضمير للجود وقيل للنار الدنيا وهذا أضعف الأقوال وأقولها على ما قبل ما تقدم وبين البشر هنا والبشر فيما سبق أني قوله تعالى لواحة للبشر على تفسير الجمهور تجانس تام لفظي وخطي وقل من تذكر له (كَلَّا) ردع لمن أنكرها وقيل زجر عن قول أبي جهل وأصحابه أنهم يقدرون على مقاومة خزنة جهنم وقيل ردع عن الاستهزاء بالمدة المخصوصة وقال الفراء هي صلة للقسم وقدرها بعضهم بحقا وبعضهم بألا الاستفتاحية وقال الزمخشري انكار بعد ان جيئها سبحانه ذكرى أن يكون لهم ذكرى وتعقبه أبو حيان بانه لا يسوغ في حقه تعالى أن يخبر أنها ذكرى للبشر ثم ينكر ان يكون لهم ذكرى وأجيب بانه لا تناقض لان معنى كونها ذكرى ان شأنها أن تكون مذكرة لكل أحد ومن لم يتذكر لغلبة الشقاء عليه لا بعد من البشر ولا يلتفت لعدم تذكره كما ان حلاوة العسل لا يضرها كونها مرة في فم منحرف المزاج المحتاج الى العلاج وحال حسن الوقف على كلا وعدم حسنه هنا يعلم من المتراق الكلام بما صرح بعضهم بذلك فقال ان كانت متصلة بالكلام السابق يحسن الوقف عليها وان كانت متصلة بالكلام اللاحق لا يحسن ذلك أي كما اذا كانت بمعنى ألا الاستفتاحية فالوقف حينئذ تام على البشر ويستأنف كلا (وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) أي ولى وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وعطاء وابن يعمر وأبو جعفر وشيبة وأبو الزناد وقتادة وعمر بن عبد العزيز والحسن وطلحة والنخعيان والأعمش وأبو بكر اذا ظرف زمان مستقبل دبر بفتح الدال وهو بمعنى ادبر الزيد كقبل وأقبل والمعروف الزيد وحسن الثلاثي هنا مقابلة أكثر الفواصل وقيل دبر من دبر الليل النهار اذا خلفه والتعبير بالماضي مع اذا التي للمستقبل للتحقيق ويجوز ان يقال انها لقلبه مستقبلا وقرأ أبو رزين وأبو رجاء والأعمش ومعروف بن مشكان ويونس بن عبيد وهي رواية عن الحسن وابن يعمر والسلمي وطلحة اذا بالألف ادبر بالمد وكذا هو في مصحف عبد الله وأبي وهو أنسب بقوله تعالى (وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ) أي أضاء وانكشف على قراءة الجمهور وقرأ ابن السميفع وعيسى بن فضل سفر ثلاثيا وفسر بطرح الخافة عن وجه (إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ) جواب القسم ويجوز أن يكون علة لما قبله من أن يكون احدى الكبر غاية من ان واللام من الكلام الانكاري في جواب منكر مصر وهذا تعليل للكلا والقسم معترض فلا كيد لا جواب له أو جوابه مقدر يدل عليه كلا وفي التعليل نوع خفاء فتأمل وضمير أنها للنار والكبر جمع الكبرى جمعت ألف التأنيث كالتها فجاءت فعلة على فعل جمعت فعل عليها ونظيرها السوالف في جمع السالفة والقواصع في جمع القاصعة فان فاعلة تجمع على فواعل باطراد لا فاعلا لكن حمل فاعلة على فاعلة لاشتراك الالف والتاء في الدلالة على التأنيث وضما جمع فيها على فواعل وقول ابن عطية الكبر جمع كبرة وهم كما لا يخفى أي ان سقر لاحدى الدواهي الكبر على معنى ان البلايا العظيمة كثيرة وسقر واحدة منها قيل فيكون في ذلك اشارة الى أن بلاءها غير محصور فيها بل لكل بهم بلايا غير متناهية أو ان البلايا الكثيرة كثيرة وسقر من بينهم واحدة في العظم لا نظير لها وهذا كما يقال فلان أحد الاحدين وهو واحد الفضلاء وهي احدى النساء وعلى هذا اقتصر الزمخشري ورجح الأول بانه أنسب بالمقام وانه لا تحسن من الاشارة وقيل المعنى انها لاحدى دركات النار الكبر السبع لانها جهنم والظى والحطمة وسقر والسعير والجحيم والهاوية ونقل عن صاحب التيسير وليس بذاك ايضا وقيل ضمير انها يحتمل ان يكون للقارعة وامر الآخرة قال في البحر فيوافق

Marfat.com

والقصة وقيل هو للسامة فيعود على غير مذكور وقرأ نصر بن عاصم وابن محيصن ووهب بن جرير عن ابن كثير لحدى الكبر بحذف همزة احدى وهو حذف لا يقاس وتخفيف مثل هذه الهمزة ان تجعل بين بين ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ قيل تمييز لاحدى الكبر على أن نذيراً مصدر بمعنى انذاراً كالنكير بمعنى الانكار اى انها لاحدى الكبر انذاراً والنبي على ما سمعت عن الزمخشري انها لاعظم الدواهي انذاراً وهو كالدولابي احدى النساء عفافاً وقال الفراء هو مصدر نصب باضمار فعل اى انذر انذاراً وذهب غير واحد الى انه اسم فاعل بمعنى منذر فقال الزجاج حال من الضمير في انها وفيه مجيء بالحال من اسم ان قبل حال من الضمير في لاحدى والختار ابو البقاء كونه حالاً مما دلت عليه الجملة والتقدير عظمت او اثبت نذيراً وهو على ما قال ابو حيان قول لا بأس به وجوزت هذه الاوجه على مصدريته ايضا بتاويله بالوصف وقال النحاس حذفت الهاء من نذيراً وان كان للمبالغة على معنى النسب يعني ذات انذار وقد يقال في عدم الحاق الهاء فيه غير ذلك مما قيل في عدم الحاقها في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال ابو رزين المراد بالنذير هنا هو الله تعالى فهو منصوب باضمار فعل أي ادع نذيرا أو نحوه وقال ابن زيد المراد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قيل فهو منصوب باضمار فعل ايضا أي ناد أو بلغ أو أعلن وهو كما ترى ولو جعل عليه حالاً من الضمير المستتر في الفعل لكان أولى وكذا لو جعل منادى والكلام نظير قولك ان الامر كذا يافلان وقيل انه على هذا حال من ضمير قم أول السورة وفيه خرم النظم الجليل والقابل هو من يدع التفاسير وقرأ ابي وابن أبي عبلة نذير بالرفع على انه خبر بعد خبر لان أو خبر لما محذوف أي هي نذير على ما هو القول عليه من انه وصف النار وأما على القول بانه وصف الله تعالى أو الرسول عليه الصلاة السلام فهو خبر لمحذوف لا غير أي هو نذير ﴿ لِّمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ الظاهر والخبر وربما لين الظاهر والخبر ورفيا سابق في أحد البشر وضمير شاء للموصول أي نذيرا للمتكلمين منكم من السبق الى الخير والتخلف عنه وقال السدي ان يتقدم الى النار بتقديم ذكرها أو يتأخر عنها الى الجنة وقال الزجاج ان يتقدم الى الأمور ات أو يتأخر عن الذيرات وفسر بعضهم التقدم بالايمان والتاخر بالكفر وقيل ضمير شاء لله تعالى أي نذيرا أن شاء الله تعالى منكم تقدمه أو تأخر وهو جواز ان يكون لمن خبرا مقدما وان يتقدم أو يتأخر مبتدا كقولك لمن لوضأ ان يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أي السبق الى الخير أو التأخر أي التخلف عنه ان يتقدم ويتأخر فيكون كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولا يخفى ان اللفظ يحتمله لكنه بعيد جدا ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة مصدر بمعنى الرهن كالنشية بمعنى النشء لا سمة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء ويستوي فيه الذكر والمؤنث ومنه قول عبد الرحمن بن زيد وقد قال أبوه وعرض عليه سبع دبات فأبى ان يأخذها

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب ✻ رهينة رمس ذي تراب وجندل
أذكر بالبقيا على من أصابني ✻ وبقياي اني جاهد غير مؤتل

واختير على رهين مع موازنته لقيين وعدم احتياجه الى التأويل لان المصدر هنا بالغ فهو لسبب التذكير لاكتسابه الخاصية الظنية فيه وقيل التاء في رهينة للمبالغة واختار أبو حيان انها مما غلب عليه الاسمية كالنطيحة وان كانت في الاصل فعيلا بمعنى مفعول وهو وجه أيضا وادعى ان التأنيث في البيت على معنى النفس ﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ وهم المسلمون المخلصون كما قال الحسن وابن كيسان والضحاك ورواه ابن المنذر عن ابن عباس فانهم لا كون رقابهم بما أسلفوا من أعظم ما يفك الراهن رهنه باعاد الذين

Marfat.com

وأخرج ابن المنذر وابن جرير وجماعة عن علي كرم الله تعالى وجهه أنهم أطفال المشركين وأخرجوه أيضا عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وقال بعضهم عن ابن عباس أنهم الملائكة فانهم غير مرهونين بذنوب التكاليف كالاطفال وتعقب بان الطلاق النفس على الملك غير معروف وبانهم لا يوصفون بالكسب أيضا على ان الظاهر سياقا وسياقا ان يرادبهم طائفة من البشر الكافرين والكثير على تفسيرهم بما سمعت وقيل هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل الذين كانوا من بني آدم عليه السلام لا يرون الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم والاقتصار بين هذه الاقوال مما لا يخفى والاستثناء على ما تقدم وكذا هذه الاقوال ماعدا على قول الامير كرم الله تعالى وجهه ومما نقل عن ابن عمه فقال أبو حيان هو استثناء منقطع وقيل يجوز الاتصال والانقطاع بناء على ان الكسب معلق العمل أو ما هو تكليف فلا تغفل (في جنات) خبر مبتدا محذوف والتنوين للتعظيم والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من استئناف أصحاب اليمين كانه قيل ما بالهم فقيل هم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وجوز أن يكون الظرف في موضع الحال من أصحاب اليمين أو من ضمير هم في قوله تعالى (يتساءلون) فعم الاغتباط مع رعاية الفاصلة وقيل ظرف للسؤال وليس المراد بتساؤلهم أن يسأل بعضهم بعضا على أن يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤلا معا بل وقوع السؤال منهم لمجردا عن وقوعه عليهم كان صيغة التفاعل وان وضعت في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدي ووقوعه عليه مما يجب صدوره عن واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما في قولك تضاءم القوم أي شتم كل واحد منهم الآخر لكنها قد تجردت عن المعنى الثاني وقصد بها الدلالة على الاول فقط ويكون الواقع عليه شيئا آخر كالمتوك تراءى والهلال فان الله تعالى لما كان المتكلم مفردا يقول وعزتي وان جماعة المؤمنين يقولون تعالينا عباءنا ونظهر ديننا وترائينا ورأيت الهلال وترائيناه ولا يكون هذا التفاعل من الجانبين وعلى هذا فالسؤال محذوف أعني المجرمين والتقدير يتساءلون المجرمين منهم أي يسألون المجرمين من أحوالهم فيرى الى ما في النظم الجليل وقيل يتساءلون (عن المجرمين) والمعنى على ذلك وحذف السؤال لكونه غير المسؤول منه وقوله تعالى (ما سلككم في سقر) بيان للتساؤل من غير حاجة الى اضمار قول أو هو مقدر بقول وقع حالا من فاعل يتساءلون أي يسألونهم قائلين أي شيء أدخلكم في سقر وقيل للسؤال غير المجرمين كجماعة من الملائكة عليهم السلام وما سلككم لبيع حكاية قول السؤالين منهم أي لما سأل أصحاب اليمين الملائكة عن حال المجرمين قالوا لهم نحن سألنا المجرمين عن ذلك وقلنا لهم ما سلككم في سقر الى الآخر وكان يكفيهم أن يقولوا لهم قلت وليت لكن أتى بالجواب مفصلا حسبما سألوه ليكون أثبت للصدق وأدل على حقيقة الامر في الكلام حذف واختصار وجوز أن تكون صيغة التفاعل على حقيقتها أي يسأل بعضهم بعضا عن المجرمين وما سلككم حكاية قول السؤال منهم أيضا ولا يخفى ما في اعتبار الحكاية من التكلف فليس ذلك بالوجه وان كان الايجاز يرجح التنزيل والحذف كثيرا في كلامه تعالى الجليل والظاهر أن السؤال سؤال توبيخ وتحسير والا فهم عالمون ما الذي أدخلهم النار ولو كانوا الاطفال فيما أظن لانكشاف الامر ذلك اليوم وروى عبد الله بن أحمد وجماعة عن ابن الزبير أنه يقرأ يتساءلون عن المجرمين يا فلان ما سلككم وروي عن عمر أيضا وأخرج أبو عبيد وابن المنذر عن ابن مسعود أنه قرأ يا أيها الكفار ما سلككم في سقر (قالوا) أي المجرمون مجيبين للسائلين (لم نك من المصلين) اصلاة الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) أي نعطيه ما يجب اعطاؤه والمعنى على استمرار النفي لانتفاء الاستمرار واستدل بالآية

Marfat.com

على ان الكفار مخاطبون بفروع العبادات لانهم جعلوا عدم ترك الصلاة فذموا بخلافها وبالربا واخذوا وتفصيل المسئلة في الاصول وعلى هذا الاستدلال لا خلاف في المؤاخذة في الآخرة على ترك الاعتقاد فيجوز أن يكون النفي من المتقدين للصلاة ووجوبها فيكون العذاب على ترك الاعتقاد وأيضا المصلين يجوز ان يكون كناية عن المؤمنين وأيضا ذلك من كلام الكفرة فيجوز كذبهم أو خطؤهم فيه وأجيب بأن ذلك معلوم من الظاهر بأبد قوله تعالى ولم نك نطعم الخ والمقصود من حكاية السؤال والجواب التحذير فلو كان الجواب كذبا أو خطأ لم يكن في ذكره فائدة ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ أي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه والخوض في الاصل ابتداء الدخول في الماء والمرور فيه واستعارته في الشروع في الباطل من المجاز المرسل أو الاستعارة على ما قرروه في الشفاء وغيره ومن يعتبر له اسم غالب في الشر وأكثر ما استعمل في القرآن عما يقع الشروع فيه وأريد بالباطل هنا ما يلهي من القول والفعل وعد من ذلك حكاية ما يجري بين الزوجين في الخلوة مثلا وحكاية أحوال النفسة بالقدماء على وجه الانتقاد والاستهزاء بها ونقل الحروب التي جرت بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم لغير غرض شرعي بل لمجرد أن يتوصل به الى طعن وتشهير والكلام بالكلمة يضحك بها الرجل جليسه سواء كانت مباحة في نفسها أم لا نعم الكلام بالكلمة المحرمة لذلك باطل على باطل الى غير ذلك مما لا يحصى وكان ذكر مع الخائضين اشارة الى عدم اكتراثهم بالباطل ومبالاتهم به فكأنهم قالوا وكنا لا نبالي بالباطل ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي بيوم الجزاء أضافوه الى الجزا لما مع ان فيه من الغوائل والاهوال مما لا غاية له لانه أبعدها وأهولها وأنهم ملابسوه وقد مضت بقية الغوائل وتأخير مجيئهم هذه مع كونها أعظم من الكل لتخييلها كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم القيامة وليبان كون تكذيبهم به مقارنا لاشر جنايتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم سببا نطق به قولهم ﴿ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ أي الموت ومقدماته كما ذهب اليه جل المفسرين وقال ابن عطية اليقين عندي هنا كانوا يكذبون به من الرجوع الى الله تعالى والدار الآخرة وقول المفسرين هو الموت مذهب عندي الآن نفس الموت يقين عند الكافر وهو حي فلم يريدوا باليقين الا الذي هو الذي كانوا يكذبون به وهم أحياء في الدنيا فيلقونه بعد الموت الذي وقيه نظر ثم الظاهر أن مجموع ما ذكروه سبب لدخول مجموعهم النار فلا يضر في ذلك ان من أهل النار من لم يكن وجب عليه طعام مسكين كفرة الكفرة المعدين وفي الكشاف يحتمل الكلام أن يكون دخول كل منهم النار لمجموع الاربعة ويحتمل أن يكون دخول بعضهم لبعضها كان يكون ذلك لمجرد ترك الصلاة أو ترك الاطعام وفيه دسيسة الاعتزال وهو تخليد مرتكب الكبيرة من المؤمنين كترك الصلاة في النار وأنت تعلم ان الآية في الكفار لا في أمم منهم ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ لو شفعوا لهم جميعا فالكلام على الفرض والتقدير انه من باب ﴿ ولا ترى الضب بها ينجحر ﴾ وحمل التعريف على الاستغراق أبلغ وأنسب بالمقام والفاء في قوله ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بعد سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والانماط به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال لازمة من الضمير في الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية أعني لهم وهي المقصودة من الكلام ومن متعلقة بها والتقديم للعناية مع رعاية الفاصلة أي فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فأي شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتأخذ الدواعي الى الايمان به جوز ان يراد بالتذكرة مايعم القرآن وما بعد يرجح الاول وهو مصدر بمعنى التذكير أطلق على ما ذكر مبالغة

Marfat.com

وقوله تعالى (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ) حال من المستكن في معرضين بطريق التداخل والمرجع حمار الوحش به كما قال ابن عباس حمار الوحش لأنه يتهم مثل بالفرار وشدة الفرار ومستنفرة من استنفر بمعنى نفر كعجب واستعجب كما قيل والأحسن ان استفعل للمبالغة كان الخر لشدة العدو تطلب النفار من نفسها والمستنفر مشبهون بحمر نافرة جيدا (فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ) أي أسد وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وأخرج ذلك ابن جرير وعبد بن حميد وغيرهما عن أبي هريرة وأخرجه ابن المنذر عن ابن عباس أيضاً بيد أنه قال هو بلسان العرب الأسد وبلسان الحبشة قسورة وفي رواية أخرى عنه أنها الرماة القناص وروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وابن جبير وعطاء بن أبي رباح وفي رواية أخرى عنه أخرجها ابن عيينة في تفسيره أنه راكز الناس أي أصواتهم وعنه أيضا جبال الصيادين وعن قتادة الليل وقال ابن الأعرابي وتعلب القسورة أول الليل أي فرت من ظلمة الليل وجمهور القائلين على انه الأسد وأيا ما كان فقد شبهوا في اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر وحشية جدت في نفارها مما أنفرها وفي تشبيههم الخر مذمة ظاهرة وتهجين فاحشين كما في قوله سبحانه كمثل الحمار يحمل أسفارا أو شهادة عليهم بالبلادة والغفلة وقرأ الأعمش حمر بإسكان الميم وقدأ تابع وابن عامر والفضل عن عاصم مستنفرة بفتح الفاء أي استنفرها فزعها من القسورة وفرت يناسب الكسر فعن محمد بن سلام قال سألت أبا سرار الغنوي وكان اعرابيا فصيحا فقلت كأنهم حمر ماذا فقال مستنفرة طردها قسورة فقلت أكذا هو قرت من قسورة قال أفرت فلت نعم قال فمستنفرة اذن فكسر الفاء وقوله تعالى (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً) عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قرطاسا تنشر وتقرأ كالكتب التي ينكاتب بها وجوز ان يراد كتبا كتبت في السماء وتنزلت اللائكة ساعة كتبت منشرة على أيديها فصفر طرية لم تطو بعد وفيه بعد وذلك على الوجهين أنهم قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان سرك ان نتابعك فأت كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك فنزلت ونحوه قوله تعالى لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقالوا لو نزلت علينا لنتابلي قرطاس فلمسوه بايديهم الآية وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن السدي عن أبي صالح قال قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وامنة من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا أن الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمنزل الا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة ونحوه ما روى عن أبي صالح فانها الى الواحد لاشتراكها في أن النشر لم يبق على أصله وان لكل صحيفة مخصوصة به اما لخلاصه من الغلب وما لوجه خلاصة فالقول عليه مالتقدم وهو مروي عن الحسن وقتادة وابن زيد وقرأ سعيد بن جبير صحفا باسكان الحاء منشرة بالتخفيف على أن أنشر الصحف ونشرها واحد كما أنزله ونزله وفي البحر المحفوظ في الصحيفة والثوب نشر عظما ثلاثيا ويقال في الميت أنشره الله تعالى ونشره ويقال أنشره الله تعالى فنشر هو أي أحياه فحي (كَلَّا) ردع من ارادتهم تلك وزجر لهم من اقتراح الآيات (بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ) فلذلك يعرضون عن التذكر لا لامتناع إيتاء الصحف وحصول مقترحهم كما يزعمون وقرأ أبو حيوة يخافون بتاء الخطاب التفاتا (كَلَّا) ردع لهم من اعراضهم (إِنَّهُ) أي القرآن أو التذكرة السابقة في قوله تعالى فمن شاء ذكره معرضين ولذا الضمير الآتي وذكر لان

Marfat.com

بمعنى القرآن أو الذكر ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾ وأى تذكرة ﴿ فَمَن شَاءَ ﴾ أن يذكره ﴿ ذَكَرَهُ ﴾ وصار بسببه سعادة الدارين والوقف على كلا على ما سمعت في الوجهين وعلى مذكرة والآخرة ان جعلت كما في الحواشي بمعنى الا ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ ﴾ أى بمجرد مشيئتهم الله تعالى كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشيئة العبد وارادته في أفعاله وهو قوله سبحانه ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ استثناء مفرغ من أعم العلل أو من أعم الاحوال أى وما يذكرون بعلة من العلل أو في حال من الاحوال الا بان يشاء الله تعالى أو حال ان يشاء الله ذلك وهذا نص بان أفعال العباد بمشيئة الله عز وجل بالذات أو بالواسطة فيه رد على المعتزلة وحملهم المشيئة على مشيئة القسر والالجاء خروج عن الظاهر من غير قسر والجاء وقرأ نافع وسلام ويعقوب يذكرون بتاء الخطاب التفاتا لسكان الدورى من أبى عمرو يذكرون بياء الغيبة وشد الذال وعن أبى جعفر تذكرون بالتاء الفوقية وادغامها في الذال ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ ﴾ حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع فالتقوى مصدر المبنى للفاعل وأخرج أحمد والترمذى وحسنه والحاكم وصححه والنسائى وابن ماجه وخلق آخرون عن انس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة فقال قد قال ربكم أنا أهل أن اتقى فلا يجعل معى اله فمن اتقانى فلم يجعل معى الها آخر فانا أهل ان اغفر له وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن دينار عن أبى هريرة وابن عمر وابن عباس مرفوعا مايقرب من ذلك وفي حديث أخرجه الحكيم الترمذى في نوادر الاصول عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الله تعالى انى لا جدنى استحى من عبدى يرفع يديه الى ثم يردهما من غير مغفرة قالت اللائكة الهنا ليس اذلك بأهل فيقال الله تعالى لكنى أهل التقوى وأهل المغفرة اشهدكم انى قد غفرت له وكأن الجملة لتحقيق الترهيب والترغيب اللذين اشير بهما الكلام السابق كما لا يخفى على المتدبر ومن يفهم انه لما سمع قوله تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال اللهم اجعلنى من أهل التقوى وأهل المغفرة على أن أول الثانى كثانى الاول مبنيا للفاعل وثانى الثانى كاول الاول مبنيا للمفعول والا فلا يحسن الدعاء وان تكلف لتصحيحه فافهم والله تعالى أعلم

سورة القيامة

ويقال لها سورة لا اقسم وهى مكية من غير حكاية خلاف ولا استثناء واختلف في عدد آيها فهى في الكوفى أربعون وفي غيره تسع وثلاثون والخلاف في النجيل به وما قال سبحانه وتعالى في آخر المدثر كلا بل لا يخافون الآخرة بعد ذكر الجنة والنار وكان عدم خوفهم اياها لانكارهم البعث ذكر جلا وعلا في هذه السورة الدليل عليه بأتم وجه ووصف يوم القيامة وأهواله واحواله ثم ذكر ما قبل ذلك من خروج الروح من البدن ثم ما قبل من مبدأ الخلق على عكس الترتيب الواقعى فقال عز من قائل عظيم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ادخال لا الثانية مؤكدة على قول القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامرى ✻ لا يدعى القوم انى أفر

وقول غوية بن سلمى رثى

ألا نامت أمامة باحتمال ✻ لتحزنى فلا بك ما أبالى

وملخص ماذهب اليه جار الله ان لا هذه انما تدخل على الكلام لقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون فنى سنة

Marfat.com

زاد تأكيد القسم مثلها في قوله تعالى للايعلم تأكيد العلم وانها اذا وقعت ابتداء كما في هذه السورة وسورة البلد فهي لان الصلة لا تكون في وسط الكلام ووجه ان ابتداء القسم يتضمن الاخبار عن تعظيم المقسم به فهو نفي لذلك المقدر المضمن على سبيل الكناية والمراد انه لايعظم بالقسم لانه في نفسه عظيم اقسم بها ولا يترتب من هذا التعظيم التي تأكيد القسم عليها لان البالغة في تعظيم القسم به تتضمن البالغة فلا يحتاج في بعض الخواطر من ان يقال وان يكون على هذا اخبارا لا انتفاء فلا يستحق جوابا لان النفي على تعظيم المقسم عليه لا المقسم به مدفوع وورد ذلك القول فقيل انها النفي الاقسام لوضوح الامر وقال الفراء النفي كلام معهود قبل القسم ورد. فكأنهم هنا انكروا البعث فقيل لا أي الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيامة وقدح الامام فيه بافادة حرف النفي بعد وقيل انها ليست لا والفها اللام أشبعت فتحتها فظهر من ذلك ألف والاصل لاقسم كما قرأ به قبل وروى عن البزي والحسن وهي لام الابتداء عند بعض والاصل لانا القسم وحذف المبتدأ للعلم به ولام التأكيد دخلت على الفعل المضارع كما في ان ربك ليحكم بينهم والاصل اني لاقسم عند بعض ولام القسم لم يصحبها نون التوكيد لعدم لزوم ذلك وانما هو أغلبي على ماحكي عن سيبويه مع الاشعار على النفي عند آخرين وقال الجبور انها صلة واختاره جار الله في الفصل وما ذكر من الاختصاص غير مسلم لان الزيادة اذا ثبتت في القسم فلا فرق بين الاول الكلام وأوسطه لانه مسلم لكن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض لان نزوله كذلك بالنسبة الى التناقض ونحوه لا بالنسبة الى مثل هذا الحكم ثم فهم ماذكر في توجيه النفي من اللفظ بعيد وحال سائر الاقوال غير خفي وقد مر بعض الكلام في ذلك فتذكر والكلام في قوله تعالى ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ على ذلك الخط بيد أن قيل على قراءة لاقسم فيما قبل ان المراد هنا النفي على معنى اني لاقسم بيوم القيامة لشرفه ولاأقسم بالنفس اللوامة لخستها وأخرج عبد ابن حميد وابن جرير عن قتادة مايقتضيه وحكاه في البحر عن الحسن وقال قتادة في هذه النفس هي الفاجرة الجمعة اللوامة لصاحبها على ماقاته من سعي الدنيا وافراطها وجاء نحوه في رواية عن ابن عباس والحق انه تفسير لايناسب هذا المقام والملك قيل هي النفس المطمئنة التي تلوم النفوس يوم القيامة على تقصيرها في التقوى والبالغة بكثرة الفضول وقال مجاهد هي التي تلوم نفسها على مافات وتندم على الشر في فعله وعلى الخير لم تستكثر منه فهي لم تزل لائمة وان اجتهدت في الطاعات فالبالغة في الكيف باعتبار الدوام وقيل المراد بالنفس اللوامة جنس النفس الناطقة الشاملة للفاجرة لما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا والمؤمن يلومها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لا أزيد ومنحوان عملت شرا قالت ليتني قصرت وضعفها الى يوم القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها وبنيها فيه وضعف بان هذا القدر من اللوم لايكون مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس اللوامة المبتة فكيف من الكافرة المدموجة تحت الجنس واجيب بأن القسم بها حينئذ بقطع النظر عن الصفة والنفس من حيث هي شريفة لانها الروح التي هي من عظيم امر الله عز وجل وفيه انه لا يظهر لذكر الوصف حينئذ فائدة والامام اوقف الخبر على ابن عباس واعترضه بثلاثة اوجه واجاب عنها بحمل اللوم على نفي الزيادة وفي ان لم يكن ما وقع من المعصية والفا وما ذكر من توجيه العدم لا يخلص هذا الوجه كما لا يخفى وقيل المراد بها نفس آدم عليه السلام فانها لم تزل تلوم نفسها على فعلها الذي خرجت بسببه الجنة واكثر الصوفية على ان النفس اللوامة فوق الامارة وتحت المطمئنة وعرفوا الامارة بانها هي التي تميل الى الطبيعة البدنية وتأمر بالقاذورات والفيوضات الحسية وتجذب القلب الى الجهة السفلية وقالوا هي مأوى الشرور ومنبع الاخلاق الذميمة وعرفوا

Marfat.com

الوالدة بانها هي التي تكونت بنور القلب قدر ما تنبهت عن سنة الغفلة فكلما صدر عنها سيئة بحسب جبلتها الظلمانية احدثت تلوم نفسها وعرفوا الطمئنة بانها التي تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالاخلاق الحميدة وسكنت عن منازعة الطبيعة ومنهم من قال في الوالدة هي الطمئنة اللائمة لنفس الامارة ومنهم من قال هي فوق الطمئنة وهي التي ترشحت لتأديب غيرها الى غير ذلك والدهور عندهم تقسيم مراتب النفس الى سبع منها هذه الثلاثة وفي سير السلوك الى ملك الملوك كلام نفيس في ذلك فليراجعه من شاء وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ وهو ليمين وقيل هو أيحسب الخ وقيل بل قادرين وقيل الاضرابيا بعني أصلا لزم عدم الاحتياج الى جواب لان المراد نفي الاقسام والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستبعاده والتوبيخ عليه وان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف أي ايحسب ذلك الشأن لن نجمع بعد التفرق عظامه وحاصله لم يكون هذا الحسبان الفارغ من الامارة الناشي لحق اليقين وصريحه والنسبة الى الجنس لان فيه من يحسب ذلك بل اكثرون وجوز ان يكون التعريف للعهد والمراد بالانسان عدي بن أبي ربيعة حتن الاخنس بن شريق وهما القائلان كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول فيما يقول انكم أكلمن بعد الموت فقد روى انه جاء اليه عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف يكون أمره فأخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن بك ويجمع الله تعالى هذه العظام فنزلت وقيل أبو جهل فقد روى أنه كان يقول أيزعم محمد أن يجمع الله تعالى هذه العظام بعد بلائها وتفرقها فيعيدها خلقا جديدا فنزلت وليس لارادة الجنس وجب النزول لابيه ونفر العظام وان التي على اعادة الانسان وجمع اجزائه المتفرقة لا انها قالب الخلق وقرأ قتادة نجمع بالنون الفوقية مبنيا للمفعول عظامه بالرفع على النيابة ﴿ بَلَى ﴾ أي نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا في بطون البحار وقعر حيتان القفار وحيثما كانت حال كونها ﴿ قَادِرِينَ ﴾ فقادرين حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وهو قول سيبويه وقيل منصوب على انه خبر كان أي بلى كنا قادرين في البدء فالاقتدار في الاعادة وهو كما ترى وقيل انتصب لانه واقع في موضع نقدر اقتدارنا قادرين على تقدير فحاول موضع وموضع الفعل نصب حكاه مكي وقال انه بعيد من الصواب يلزم عليه نصب قادرين في قولك مررت برجل قائم لانه في موضع يقوم فتأمل وقرأ ابن أبي عبلة وابن السميفع قادرون أي نحن قادرون ﴿ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ هي اسم جنس جمعي واحده بنانة وفسرها الراغب بالاصابع ثم قال قيل سميت بذلك لان بها صلاح الاحوال التي يمكن الانسان أن يبين بها ما يريد أي بليغ غيره بما صغر من عظام الاطراف كالاصبعين والرجلين وفي القاموس البنان الاصابع أو أطرافها فالمعنى نجمع العظام قادرين على تأليف جمعها واعادتها الى التركيب الاول والى أن نسوي أصابعه التي هي أطرافه وأصغر ما يتم به خلقه أو على أن نسوي وننظم سلاميات على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت أولا من غير تفاوت ولا تفاوت بكيف بكبار العظام وما ليس في الاطراف منها وفي الخبر المذكور آنفا قادرين على الخ بعد الدلالة على التقييد تأكيد لمعنى الفعل لان الجمع من الاشياء التي لابد فيها من القدرة فاذا قيد بالقدرة الباهرة فقد أكد والوجه الاول من التي يدل على تصوير الجمع وانه لا تفاوت بين الاعادة والبدء في الاشياء على جميع الاجزاء التي كان بها قوام البدن أولا والثاني يدل على تحقيق الجمع الذي هناك اذا قدر على جمع الاطراف الابعد عادة من الاعادة فعلى جمع

Marfat.com

غيره أقدر ولهذه الأوفق بالمقام ويعلم منهما نكتة لتخصيص البنان بالذكر وقيل الفتى على تجسيمها وغيرت قادرون على أن نسوى أصابع يديه ورجليه أن نجعلها مسنوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار ولا نفرق بينها فلا يمكنه أن يعمل بها شيئا مما يعمل باصابعه للفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض والثاني لا يريد من الحوائج وروى هذا عن ابن عباس وقتادة وعجاهد وعكرمة والضحاك ولعل المراد نجعلها ونحن قادرون على التسوية وقت الجمع فالكلام يفيد البالغة السابقة لكن من وجه آخر وهو انه سبحانه اذا قدر على اعادته على وجه يتضمن تبديل بعض الاجزاء فعلى الاحتمال الاول في وجيه أقدر وأبو حيان حكى هذا القول عن الجمهور لكن قيد القسوية فيه بكونها في الدنيا وقال ان في الكلام عليه توعدا لمن كذب ذلك بناء على خلاف الظاهر القصود من سوق الكلام والامر كما قال لو كان كما تقول فالافعل ولا يخفى ان في الاتيان بلا أولا وحذف جواب القسم والاتيان بقوله سبحانه أيحسب ورعاية أسلوب ● وثنايا انها اقراص ● في القسم يوم البعث والنشور فيه ثم ايثار لفظ الحسبان والاتيان بهمزة الانكار مستعاداً الى الجنس ويحرف الايجاب والحال بعدها من الالتفات في تحقيق للطلوب وتفخيمه وتهجين للعرض عن الاستعداد له ما يظهر لجوابه ثم الحسن في الحسن في ضمن حرف الاضراب في قوله سبحانه ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ وهو عطف على أيحسب جيء بالاضراب عن انكار الحسبان الى الاخبار عن حال الانسان الحاسب غالبا هو أدخل في اللوم والتوبيخ من الاول لانه قبل دفع تعنيفه فانه أشط من ذلك وأبى يرتدع وهو يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه أو هو عطف على يحسب منجحا عليه الاستفهام أو على أيحسب مقدرا فيه فلك أي بل أيريد معنى به زيادة انكار في ارادته عقد وتنبيها على أنها اقطع من الاول لدلالة على ان ذلك الحسبان بمجرد الارادة للفجور كالقول في يريد جمع عائنوا في البلد أيحسبون أن لا يدخل الامير بل يريدون ان يتملكوا فيه فيقال هذا الا وانت مترفق في الانكار منزل ايام منزلة انكار الارادة للملك وعدم الطمع بمكان الامير والى هذين الوجهين أشار جار الله على ما قرر في الكشف والوجه الاول ابلغ لان هذا على الترقي والاول اغراب من الانكار وايهام ان الامر أعلم من ذلك وأظم وفيما ايماء الى أن ذلك الانسان عالم بوقوع الحشر ولكنه متتاب واعتزم للفجور لانه عبر عن حال الفاجر بانه يريد ليفجر في الستقبل على أن حسبانه وارادته هما عين الفجور وقيل لان اداته ظرف مكان استعير هنا الزمان للمستقبل فيفيد الاستمرار وفي اعادة الظهر ثانيا مالا يخفى من التهديد والتشي على قبيح ما ارتكبه وان الانسانية تأبى هذا الحسبان والارادة وعود ضمير أمامه على هذا الظهر هو الاظهر وعن ابن عباس مايقتضي عوده على يوم القيامة والاول هو الذي يقتضيه كلام كثير من السلف لكنه ظاهر في عموم الفجور قال مجاهد والحسن وعكرمة وابن جبير والضحاك والسدي في الآية ان الانسان انما يريد شهواته ومعاصيه ليمضي فيها أبدا قدما رافيا رأسه ومطيا أمله وسوفا توبته وهو حسن لا يأبى ذلك الاضراب وفيه اشارة الى أن مفعول يريد محذوف دل عليه ليفجر وقال بعضهم هو منزل منزلة اللازم ومصدره مقدر بلام الاستغراق أي يوقع جميع ارادته ليفجر وعن الطيبي وجوه ومن تبعيضا في منه ان الفعل مقدر بمصدر مرفوع بالابتداء وليفجر خبر والتقدير هنا بل ارادة الانسان كائنة ليفجر ﴿ يَسْأَلُ ﴾ سؤال استهزاء ﴿ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾ أي متى يكون والجملة قيل حال وقيل تفسير ليفجر وليس ببدل منه واختار المحققون انه استئناف بياني جيء به لتعليل الارادة المذكورة على التجوز لما هو في معنى لانه أنكر البعث واستهزأ به وفيه ان من أنكر البعث لا محالة يرتكب أشد

Marfat.com

القبور وظرف من قوله تعالى حيات حيات لا الوعدون ان هي الا حياتنا الدنيا (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ) تحير فزعا وأصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره ومنه قول ذي الرمة

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت * لميتيه بي ساقرا كاد يبرق

ونظيره قولهم نظر الى القمر فدهش بصره وكذلك ذهب وبقر اذا دهش من النظر الى الذهب والبقر فهو استعارة أو مجاز مرسل لأنه مالق لازمه أو في الطلاق وقرأ نافع وزيد بن ثابت وزيد بن علي وابن عن عاصم وهارون والحبوب بكسر الراء من البصر وخلق آخرون يبرق بفتح الراء المقابل عبارة في برق بالكسر وقيل هو من البريق يسمى لمع من شدة شخوصه وقرأ ابو السمال بالق بالام عوض الراء أي التبع والفرج يقال لقي أبلقه وبلقه فتحته هذا قول أهل اللغة الا الفراء فانه يقول بلقه وابلقه اذا اقلقه وخطأه ثعلب وزعم بعضهم انه من الاضداد والظاهر ان اللام فيه أصلية وجوز أن تكون بدلا من الراء فهما يتعاقبان في بعض الكلم نحو نثر ونثل ودوجر ودوجل (وَخَسَفَ الْقَمَرُ) ذهب ضوءه وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة وزيد بن علي وزيد بن قطيب خسف القمر على البناء للمفعول (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) حيث يطلعهما الله تعالى من المغرب على ما روي عن ابن مسعود ولا ينافيه الخسوف اذ ليس المراد به مصطلح أهل الهيئة وهو ذهاب نور القمر لمقابلة الارض بينهما بل ذهاب نوره المجل خاص في ذلك اليوم أو لاجتماعه مع الشمس وهو الحق وجوز أن يكون الخسوف بالمعنى الاصطلاحي ويشير في وسط النهار مثلا ويشير الجمع في آخره اذ لا دلالة على اتحاد وقتيهما في النظم الجليل وأنت تعلم أن هذا خسوف يزري بحال أهل الهيئة ولا يكاد يخطر لهم ببال والجمع المذكور وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن عطاء ابن يسار قال يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى وتوسط البحر أو تصير هباء لا يجزاه الله عز وجل وأحوال يوم القيامة على خلاف الخط الطبيعي وحوادثه أمور وراء الطبيعة فلا يقال أين البحر من جرم القمر فضلا عن جرم الشمس الذي هو بالنسبة اليها كالبوصة بالنسبة الى الفيل ولا كيف يجمعان ويقذفان وقيل يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عظيمان في النار وعن علي كرم الله تعالى وجهه وابن عباس يجمعان ويجعلان في نور العجب وقيل يجمعان ويقرنان من الناس فيلحقهم الرعب لشدة الحر وقيل جمعا في ذهاب الضوء وروي عن مجاهد وهو اختيار الفراء والزجاج فالجمع مجاز من التساوي صفة وفيه بعد اذ كان الظاهر عند ارادة ذلك ان يقال من أول الامر وخسف الشمس والقمر ولا غبار في نسبة الخسوف اليهما لغة وكذا الكسوف وإلحق الفعل علامة التأنيث لتقدمه وكون الشمس مؤنثا مجازيا وفي مثله يجوز الامران وكان اختيار ترك الالحاق لرعاية حال القمر المعطوف وقال الكسائي ان التذكير حمل على الثاني والتقدير جمع النوران أو الضياآن وليس بذاك (يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ) يوم اذ تقع هذه الامور (أَيْنَ الْمَفَرُّ) أي الفرار يأسا منه وجوز أن يكون على حقيقة الاستفهام بحذف وتحير وقرأ الحسن ويحيى بن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعليه وسلم والحسن بن زيد وابن عباس ومجاهد وعكرمة وجماعة أين بفتح الميم وكسر الفاء اسم مكان قياسي من فر بالكسر أي أين موضع الفرار وجوز أن يكون مصدرا أيضا بالرجوع وقرأ الحسن البصري بكسر الميم وفتح الفاء ونسبها ابن عطية للزهري اي الجيد الفرار واكثر ما يستعمل هذا الوزن في الآلات وفي صفات الطيل ومنه قوله

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

واختلف في هذا اليوم فالاكثرون على انه يوم القيامة وهو المتبادر واخرج ابن المنذر وغيره عن مجاهد قال فاذا برق البصر عند الموت والاحتضار وخسف القمر وجمع الشمس والقمر أي كوريوم القيامة وجوز ان يكون الاخبار

Marfat.com

عند الموت ايضا ويغير الخسوف بذهاب ضوء البصر منه وجمع الشمس والقمر باستتباع الروح عامة البصر في الذهاب والجمع بالشمس من الروح وبالقمر عن عامة البصر على نهج الاستعارة فان نور البصر بسبب الروح كما ان نور القمر بسبب الشمس او يغير الخسوف باسمحلال رجع الشمس والقمر بوصول الروح الانسانية الى من كانت تقتبس منه نور العقل وهم الارواح القدسية المنزهة عن النقائص فالقمر مستنار الروح والشمس لسكان حظيرة القدس والملا الاعلى لان الروح تقتبس منهم الانوار اقتباس القمر من الشمس ووجه الاتصال بما قبل على جعل الكل عند الموت أنه اذ ذاك ينكشف الامر للانسان فيطلع على أن وجوه حقيقة ما أخبر به وأنت تعلم أن هذا على علاته أقرب الى باب الاشارة على منزع الصوفية واذا فتح هذا الباب فلا حصر فيما ذكر من الاحتمال عند ذوي الالباب (كَلَّا) ردع عن طلب الفرو تنبيه (لَا وَزَرَ) لا ملجأ وأصله الجبل المنيع وقد كان مفزع الغالب الفرار العرب واشتقاقهم الوزر وهو الثقل ثم شاع وصار حقيقة لكل ملجأ من جبل أو حصن أو سلاح أو رجل أو غير ذلك ومنه قوله

لعمرك ما لقفى من وزر ٭ من الموت يدركه والكبر

(إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) أي اليه جل وعلا وحده استقرار العباد أي لا ملجأ ولا منجى لهم غيره عز وجل أو الى حكمه تعالى استقرار أمرهم لا يحكم فيه غيره سبحانه أو الى مشيئته تعالى موضع قرارهم من جنة أو نار فمن شاء سبحانه ادخله الجنة ومن شاء أدخله النار فتقديم الخبر لافادة الاختصاص وان اختلف وجهه حسب اختلاف القرار يستقر ولا لا وزر يحتمل ان يكون من كلامه تعالى يقال للقائل اين المفر يوم يقوله او هو مقول اليوم على معنى ليرتدع عن طلب الفرار وتثبيه ذلك اليوم ويحتمل أن يكون من تمام قول الانسان كأنه بعد أن يقول أين المفر يعود على نفسه فيستدرك ويقول كلا لا وزر وأيما كان فالظاهر أن قوله تعالى الى ربك يومئذ المستقر استئناف كالتعليل للجملة قبله أو تحقيق وكشف لحقيقة الحال والخطاب فيه لسيد القاطنين صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يحسن أن يكون من جملة ما يخاطب به القائل ذلك اليوم ولا ما يقوله لنفسه فيه لكان يومئذ وفي البحر الظاهر أن قوله تعالى كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر من تمام قول الانسان وقيل هو من كلام الله تعالى لا حكاية عن الانسان . انتهى وفيه بحث وجوز أن تكون كلا بمعنى ألا الاستفتاحية أو بمعنى حقا فتأمل ولا تغفل (يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ) أي يخبر (يَوْمَئِذٍ) وذلك عند ما عليه الاكثر عند وزن الاعمال (بِمَا قَدَّمَ) أي بما عمل من عمل خيرا كان أو شرا فيثاب بالاول ويعاقب على الثاني (وَأَخَّرَ) أي تركه ولم يعمل خيرا كان أو شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني أو بما قدم من حسنة أو سيئة وبما أخر مما سنه من حسنة أو سيئة يعمل بها بعده أخرج ذلك ابن المنذر وعبد بن حميد وغيرهما عن ابن مسعود وهو رواية عن ابن عباس وقال زيد بن أسلم بما قدم من ماله لنفسه فتصدق به في حياته وبما أخر منه الوارث وزيد أو وقفه أو أوصى به وقال مجاهد والنخعي بأول عمله وآخره وأخرج ابن جرير عن ابن عباس بما قدم من الطاعة وأخر من المعصية وأخرج نحوه عن قتادة وعبد بن حميد نحوه أيضا عن عكرمة وعليه فالظاهر أنه عني بالانسان الفاجر وفصل هذه الجملة عما قبلها لاستقلال كل منها ومن قوله تعالى يقول لتوقي الكشف عن شدة الامر أو من سوء حال الانسان (بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) أي حجة بينة واضحة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة لا يؤذن له في رابطة الحاجة بعد فالانسان مبتدأ وعلى نفسه متعلق ببصيرة بتقدير أعمال أو الثاني عليه من غير تقدير وبصيرة خبر والجار

Marfat.com

من الحجة البينة الواضحة أو بمعنى يشهد هي صفة لحجة مقدرة هي الجارحة والجملة بصيرة لأن صاحب البصيرة بالأمر شاهد به والأول مجازي أو هي بمعنى دالة مجازا وجوز أن يكون هناك استعارة مكنية وتخييلية والتأنيث للمبالغة ولو تأنيث الموصوف أعني حجة وقيل ذلك لارادة الجوارح أي جوارحه على نفسه بصيرة أي شاهدة وتسب الى القلب وجوز أن يكون التقدير عين بصيرة وإليه ذهب الفراء وأنشد

كأن على ذي العقل عينا بصيرة ✡ يحاذر حتى يحسب الناس كلهم ✡ من الخوف لا يخفى عليهم سراره

وعلى قول الانسان مبتدأ أول وبصيرة خبر مقدم وعلى نفسه خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر المبتدأ الأول وأختار أبو حيان أن تكون بصيرة فاعلا بالجار والمجرور وهو الخبر من الانسان وعلى بالعامل لا متعلقه على ذا وتأمر التأنيث ظاهر وقيل الفرق على الوجهين ارادة حجة بصير وارادة عين بصيرة والمعنى عليهما يشهد الانسان بأعماله بل فيه ما يجزي عن الانباء لأنه عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه بما عملت لأن جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وفي الآية على الوجهين كما قيل شائبة التجريد وهي في الثاني أظهر وقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ أي ولو جاء بكل معذرة يمكن أن يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة أو من مرفوع يشهد أو على نفسه حجة وهو شاهد عليها ولو ألقى بكل معذر في القلب عنها فنبه على أن القلب لا ورواج له أو ينبو بأعماله ويجازى ويعاقب لا محالة ولو ألقى بكل معذر فهو تأكيد لما يفهم من مجموع قوله تعالى بل الانسان الخ والمعاذير جمع معذرة بمعنى العذر على خلاف القياس والقياس معاذر بغير ياء وأطلق عليه الزمخشري اسم الجمع لمداناته في اطلاق ذلك على المفرد المخالفة للقياس والأبهوليس من أبنية اسم الجمع وقال صاحب الفرائد يمكن أن يقال الأصل فيه معاذر فحصلت الياء من اشباع الكسرة وهو كاري أو جمع معذار على القياس وهو بمعنى العذر وتلقب بالهاء التي لم يسمع من الثقات نعم قال السدي والضحاك المعاذير الستور بلغة اليمن واحدها معذار وحكى ذلك عن الزجاج أي ولو أرخى ستوره والمعنى أن احتجابه في الدنيا واستتاره لا يغني عنه شيئا لأن عليه من نفسه بصيرة وفيه تلويح الى معنى قوله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم الآية وقيل البصيرة عليه الكاتبان يكتبان ما يكون من خير أو شر فالمعنى بل الانسان عليه كاتبان يكتبان أعماله ولو استر بالستور ولا يكون في الكلام على هذا شائبة تجريد كما تقدم والالتفات على ارادة الستور ظاهر وأما على ارادة الاعتذار فقيل شبه الجهر بالعذر بالقبائح في البشر للاستناد به فيكون فيه تشبيه ما يراد بذلك بذلك الرذي للمعاش ويشير الى هذا قول السدي في ذلك ولو أدلى بحجة وعذر وقيل المعنى ولو رمى بأعذاره وطرحها واستسلم وقيل ولو أحال بعضهم على بعض كما يقول بعضهم لبعض لولا أنتم لكنا مؤمنين ولو على جميع هذه الأقوال لما أن يكون معنى الشرطية مستفادا منها كما قيل فلا جواب لها وإما ان يكون باقيا فيها كالجواب المحذوف يدل عليه ما قبل واستظهر الطيبي الأول وفي الآية على بعض وجوهها دليل كما قال ابن العربي على قبول اقرار المرء على نفسه وعدم قبول الرجوع عنه والله تعالى أعلم أخرج الامام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وعبد بن حميد والطبراني وأبو نعيم والبيهقي وغيرهم في الدلائل وجماعة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبالغ من التنزيل شدة فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه يريد أن يحفظه فأنزل الله تعالى لا تحرك به لسانك الخ فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ذلك اذا أتاه جبريل عليه السلام أطرق فإذا

Marfat.com

لفظ استمع فاذا ذهب قرأه ﴿ وعد الله عز وجل فالخطاب في قوله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير القرآن لدلالة سياق الآية نحو انا أنزلناه في ليلة القدر أي لا تحرك بالقرآن لسانك عند القاء الوحي من قبل أن يقضى اليك وحيه ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ أي لتأخذه على عجالة مخافة أي ينفلت منك على ما يقتضيه كلام الخبر وقيل لتريد حبك له وحرصك على أداء الرسالة درى عن النسيي ولا يناقي ما ذكر والباء عليهما للتعدية ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أي اثبات قرائته في لسانك بحيث تقرأه متى شئت فالقرآن هنا وكذا فيما بعد مصدر كالرجحان بمعنى القراءة كما في قوله

ضحوا باشمط عنوان السجود به ٭ يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

مضاف الى المفعول وثم مضاف مقدر وقيل قرآنه أي تاليفه والمعنى ان علينا جمعه أي حفظه في حياتك وتاليفه على لسانك وقيل قرآنه تاليفه وجمعه على أنه مصدر قرأت أي جمعت ومنه قولهم القرأة التي لم تلد ما قرأت سلى قط وقول عمرو بن كلثوم

ذراعي بكرة أدماء بكر ٭ هجان اللون لم تقرأ جنينا

ويراد من جمعه الاول حفظه في نفسه ووجوده الخارجي ومن قرآنه الذي جمعه في نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلا القولان لا يخفى حاصل ان نسب الاول الى جامعه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ أي اتممنا قرائته عليك بلسان جبريل عليه السلام البليغ هذا على الاسناد المجازي وفي الكشاف اختيار نون العظمة مبالغة في ايجاب الاتباع ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ فكن مقفيا له لا مبارحا وقيل أي فاذا قرأناه فاتبع بذهنك وتحفظ قرآنه أي فاستمع وانصت وصح هذا من رواية الشيخين وغيرهما عن ابن عباس وعنه أيضا ومن قتادة والضحاك أي فاتبع في الامر والنواهي قرآنه وقيل اتبع قرآنه الذي علمتك قراءته حتى يرسخ في ذهنك ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي بيان ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه على ما قيل واستدل به القاضي أبو الطيب ومن تابعه على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب لما كان ثم وتعقب بانه يجوز أن يراد بالبيان الاظهار لا بيان المجمل وقد صح من رواية الشيخين وجماعة عن الحبر انه قال في ذلك ثم ان علينا أن نبينه بلسانك وفي لفظ علينا ان نقرأه ويؤيد ذلك أن المراد بيان جمع القرآن والمجمل بعضه ﴿كَلَّا﴾ ارتداع لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخذ بعض عادة العجلة وترغيب له عليه الصلاة والسلام في الاناة والبالغ سبحانه في ذلك المزيد عجبا به بانيا عليه قوله تعالى ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ فيهم الخطاب للكل لانه قيل بل أنتم يا بني آدم لا عائقكم من العمل وجبلتم عليه تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ويتضمن استعجالك لان عادة بني آدم الاستعجال وحبة العاجلة وفيه أيضا ان الانسان وان كان مجبولا على ذلك الا أن مثله عليه الصلاة والسلام ممن هو في أعلى منصب النبوة لا ينبغي أن يستفزه مقتضى الطباع البشرية وانما نهى جل الله تعالى عليه وسلم عن العجلة في طلب العلم ولعدي فهؤلاء وديهم حب العاجلة وطلب الدنيا فانهم نزلوا منزلة من لا يتجه فيهم النهي فانما يعابت الادمي ذو البشرة ومنه يعلم ان هذا متصل بقوله سبحانه ﴿بل يريد الانسان ليفجر أمامه﴾ فانه ملوح الى معنى بل تحبون الخ وقوله عز وجل لا تحرك الخ متوسط بين نهي العاجلة حبها الذي تضمنه بل يريد الفجار وحبها الذي آذن به بل تحبون تصريحا فحسن التخلص منه الى المفاجأة والتصريح فيه ذلك تدرج ومبالغة في التقريع والتدرج وان كان يحصل لو

Marfat.com

لم يؤت بقوله سبحانه لا تحرك إلخ إلى الآن أيضا إلا أنه يلزم حينئذ فوات المبالغة في التذييل وأنه إذا لم يعجز العجلة في القرآن وهو شفاء ورحمة فكيف فيما هو دونه وشر وشرور وزوال ما أشير إليه من الفوائد فهو استطراد يؤدي الاعتراض وأبلغ وأطلق بعضهم عليه الاعتراض وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والحسن وقتادة والجحدري يحبون ويذرون بياء الغيبة فيهما وأمر الربط عليها كما تقدم وهي أبلغ من حيث إن فيها التفاتا وأخراجا له عليه الصلاة والسلام من صريح الخطاب بحب العاجلة مضمنا طرفا من التوبيخ على سبيل الرمز لطفا منه تعالى شأنه في شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم وأما القراءة بالتاء فهي تغليب المخاطب والالتفات وهو عكس الأول هذا خلاصة ما رمز إليه جار الله على ما أفيد وقد أندفع به قول بعض الزنادقة وشرذمة من قدماء الرافضة أنه لا وجه لوقوع لا تحرك بالسابق إلخ في أثناء الأمور الآخرة ولا ربط في ذلك بوجه من الوجوه وحيطوا ذلك دليلا لما زعموه من أن القرآن قد غير وبدل ونقص منه والعقاد حماة المسلمين وشهاب سماء الدين في دفع الإلزام كثيرا منه تقدم وللإمام أوجه فيه منها الحسن ومنها ما ليس كذلك بالمرة وقال الطيبي إن قوله تعالى كلا بل تحبون العاجلة متصل بقوله تعالى ولو ألقى معاذيره أي يقال للإنسان عند القاسماذيره كلا إن اعتذارك غير مسموع فإنك جزعت وفسقت وخلت أنك تفوز وتنجو على طريق أن لا حشر ولا حساب ولا عذاب وذلك من حيث الحاجة إلى الاعتراض من الآخرة وإن من عادة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أنه إذا لقن القرآن أن ينازع جبريل عليه السلام القراءة وقد اتفق عند التلقين الآيات السابقة ما جرت به عادته من العجلة فلما وصل إلى قوله تعالى ولو ألقى معاذيره أوحى إلى جبريل عليه السلام بأن يلقي إليه عليه الصلاة والسلام ما يرشده إلى أخذ القرآن على أكمل وجه فألقى ذلك الجمل على سبيل الاستطراد ثم عاد إلى تمام ما كان فيه بقوله تعالى كلا بل تحبون إلخ مثله الشيخ إذا كان يلقن تلميذه درسا أو يلقي إليه فصلا ورآه في أثناء ذلك يعجل ويضطرب يقول له لا تعجل ولا تضطرب فإني إذا فرغت كان ذلك اشكال أزيله أو كنت تخاف فوتا فإنا أحفظه ثم يأخذ الشيخ في ملائه ويتمه انتهى فإذا في الزمن مناسب لما وقع في الخارج دون الفتى الموحى به وخصه بعضهم هذا بالاستطراد وأخلق آخر عليه الاعتراض بالتي هي أقوى وهذا عندي بعيد لم يتفق مثله في النظم الجليل والأمثل أن يراد على وقوع العجلة في أثناء هذه الآيات سوى خلق الناسية وقال أبو حيان يظهر أن الناسية بين هذه الآية وما قبلها أنه سبحانه لما ذكر منكر القيامة والبعث معرضا عن آيات الله تعالى ومعجزاته وأنه قاصر شهواته على التجور غير مكترث بما يصدر منه ذكر حال من يثابر على تعلم آيات الله تعالى وحفظها والتفكر فيها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها وجاء قبوله إياها لظهر بذلك تباين من يرغب في تحصيل آيات الله تعالى ومن يرغب عنها ويضدها تتبين الأشياء بأضدادها وفيه أن هذا أنما يحسن بعد تمام ما يتعلق بذلك المنكر والظاهر أن لا تحرك إلخ وقع في البين وقال القفال قوله تعالى لا تحرك إلخ خطاب للإنسان المذكور في قوله تعالى ينبؤ الإنسان وذلك حال اتباعه جبريل فيما يعرض عليه كتابه فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فإذا أخذ في القراءة للعجلة لسانه من شدة الخوف وسرعة القراءة فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به فإنه يجب عليك بحكم الوعد أو بحكم الملكة أن تجمع أضغاثك وإن تقرأها عليك فإذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه عليك فاتبع قرآنه بالإقرار بأنك فعلت تلك الأفعال أو التأمل فيه ثم إن علينا بيانه أي بيان أمره وشرح عقوبته والعامل على هذا إنه تعالى يوقف الكافر على جميع أعماله على التفصيل وفيه أشد الوعيد في الدنيا والتهويل في الآخرة انتهى فضمير به وكذا الضمائر بعد للكتاب المدلول عليه بقوله تعالى ينبؤ الإنسان يما قدم وأخر وكذا قوله تعالى بل

Marfat.com

الانسان على نفسه بصيرة على قول من تفسر البصيرة بالكتابين وأهل اللغة على هذا الوجه في موضع الحال من مرفوع يتبؤ بتقدير القول كأنه قيل يتبؤ الانسان يومئذ عند أحد حسابه بما قدم وأخر مقولا له لاخبرك بما لك الخ فالربط عليه ظاهر جدا ومن هنا اختاره البلخي ومن تبعه لكنه خلاف الصحيح المأثور الذي عليه الجمهور من أن ذلك خطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم والظاهر أن التحريك قبل النبي انما صدر منه عليه الصلاة والسلام بحسب الاباحة الاصلية فلا يتم الاحتجاج من جواز الذنب على الانبياء عليهم السلام بهذه الآية وقال الامام لعل ذلك الاستعجال ان كان مأذونا فيه عليه الصلاة والسلام الى وقت النبي والا فالمراد بالاذن الاذن الصريح المخصوص وفيه بعدا وعن الضحاك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب ذلك ونزل عليه فنزل لا تحرك به الخ وليس بالثابت وأهل ظاهر الآية لا يساعده ثم انه ربما يتخيل في الآية وجه غير ما ذكر من القال الربط عليه ظاهر أيضا وهو أن يكون الخطاب في لا تحرك الخ لسيد الكاظمين حقيقة أو من باب اياك أعني واسمعي أو لكل من يصلح له وضمير به ونظائره ليوم القيامة والجملة اعتراض جيء به لتأكيد تبوئه وتقدمه مع تقاضي السياق له فكأنه لما ذكر سبحانه مما يشاق ذلك اليوم الذي فتحت السورة بعظمه ما يشاق قوي داعي السؤال عن أوقاته وأنه متى يكون وفي أي وقت يبين لاسيما وقد استشعر أن السؤال عن ذلك انما لم يكن استهزاء مما لأجله به فقيل لا تحرك بالنبي يطلب توقيته استهزاء هو نبي عن السؤال على أتم وجه كما يقال لا تفتح فك في أمر فلان لتجعل به لتحصل عليه على تجان علينا جميع ما يكون فيه من الجمع وقرآنه ما يتضمن شرح أحواله وأهواله من القرآن فاذا قرأناه فرأناه ما يشاق به قاشع قرآنه بالعمل بما يقتضيه من الاستعداد له ثم ان علينا بيانه اظهاره وقوما بالفتح في الصور وهو الطامة الكبرى وحاصله لا تسأل عن أوقات ذلك اليوم العظيم مستعجلا مسرعة ذلك فان الواجب علينا سكتة حضر الجمع فيه وانزال القرآن يتضمن بيان أحواله ليستعد له واظهاره بالوقوع الذي هو الداهية العظمى وما عداذلك من تعيين وقته فلا يجب علينا سكتة هو منساق الحكمة فاذا سألت عنه سألت ما يشاق فيها فلا تجاب لتنهى وفيه ما فيه وما كنت أذكره لولا هذا التنبيه والطائق بجزالة التنزيل واطيب اشاراته ما أشار اليه ذو اليد الطولى جار الله تجاوز الله تعالى عن تقصيراته متأمل فلا حجر على فضل الله عز وجل ولما ردع سبحانه عن حب العاجلة وترك الآخرة عقب ذلك بما يتضمن تأكيد هذا الردع مما يشير الى حسن عاقبة حب الآخرة وسوء عقبة العاجلة فقال عز من قائل ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ أي وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيامة بهية مشرقة من عظيم النعمة يشاهد عليها نضرة النعيم على ان وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة في قوله تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ خبر ثان للمبتدأ والجملة لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصح وقوع النكرة مبتدأ لان الموضع موضع تفصيل كما في قوله

فيوم لنا ويوم علينا ● ويوم نسر ويوم نساء

لأعلى ان الذكرة تخصصت بيومئذ كما زعم بل عليه لان ظرف الزمان لا يكون صفة لجثة ولا على ان ناضرة صفة لها والخبر ناظرة كما قيل لان المشهور الغالب كون الصفة معقولة الانتساب الى الموصوف عند السامع وثبوت النظرة للوجوه ليس كذلك فجاز أن يخبر به ثم ذكر هذا غير واحد احتمالا في الآية وقال فيه أبو حيان هو قول ساقط ومبنى كونها ناظرة الى ربها انها تراه تعالى مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتقاعده تعالى عن ما يليق بذاته سبحانه ولا حجر على الله عز وجل ولله جل ولا لنزه الغالي التام

Marfat.com

في جميع تجلياته واعترض بأن تقديم المعمول يفيد الاختصاص كما في نظائره في هذه السورة وغيرها وهو لا يتأتى لو حمل ذلك على النظر بالمعنى المذكور ضرورة أنهم ينظرون الى غيره تعالى وحينئذ كان الاختصاص ثابتا كان الحمل على ذلك باطلا وفيه ان التقديم لا يتمحض للاختصاص كيف والوجوب من رعاية الفاصلة والاهتمام فانهم لو سلم فهو بالغير يعني أن النظر الى غيره تعالى في جنب النظر اليه سبحانه لا يعد نظرا كما قيل في نحو ذلك الكتاب على ان ذلك ليس في جميع الاحوال بل في بعضها وفي ذلك الالتفات الى ما سواه جل جلاله فقد أخرج مسلم والترمذي عن صهيب عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتجرنا من النار قال فيكشف الله تعالى الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم وفي حديث جابر وقد رواه ابن ماجه فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ومن هنا قيل

فيشون النعيم اذا رأوه ✽ فيا خسران أهل الاشتغال

وكثيرا ما يحصل نحو ذلك للعارفين في هذه الدار فيستغرقون في بحار الحب وتستولي على قلوبهم أنوار الكشف فلا يلتفتون الى شيء من جميع الكون

فطالما بان الصبح أدرج ضوءه ✽ بأسفاره أنوار ضوء الكواكب

وقيل الكلام على حذف مضاف أي الى ملك أو ثواب ربها ناظرة والنظر على معناه المعروف أو على حذف مضاف والنظر بمعنى الانتظار فقد حذفا معا للقرينة يعدا الذي أي الى انعام ربها منتظرة وتعقب بأن الحذف خلاف الظاهر ولا داعي له هنا لان الداعي مردود في محله وبأن النظر بمعنى الانتظار لا يتعدى بالى بل بنفسه وباللام لا بمعنى الى الوجه فلا يقال وجه زيد منتظر والظاهر من الاسناد اسناد النظر الى الوجوه الحقيقية وهو يأبى ارادة ذلك من الوجه وتقسي الضرائب الرتقي في الدرر عن بعض هذا بان الى اسم بمعنى النعمة واحد الآلاء وهو مفعول به لناظرة بمعنى منتظرة فيكون الانتظار قد تعدى بنفسه وفيه من البعد ما فيه والزمخشري اذا تحققت كلامه رأيته لم يدع ان النظر بمعنى الانتظار ليتعقب عليه بما تعقب بل أراد ان النظر بالتعدي للمتعارف كناية عن التوقع والرجاء فالمعنى عندهم انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخافون ولا يرجون الا اياه سبحانه وتعالى ورد عليه أنه يرجع الى ارادة الانتظار لكن كناية والانتظار لا يساعده المقام اذ لا نعمة فيه وفي مثله قيل الانتظار موت أحمر والذي يقطع الشك ويفني في فروة من أحس الطلب ما أخرجه الامام أحمد والترمذي والدارقطني وابن جرير وابن المنذر والطبراني والبيهقي وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وغيرهم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فهو تفسير منه عليه الصلاة والسلام ومن المعلوم أنه أعلم الاولين والآخرين لا سيما بما أنزل عليه من كلام رب العالمين ومثل هذا فيما ذكر ما أخرجه الدارقطني والخطيب في تاريخه عن أنس ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أقرأه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقال والله ما نسخها منذ أنزلها يزورون ربهم تبارك وتعالى فيطعمون ويسقون ويطيبون ويحلون ويرفع الحجاب بينه وبينهم فينظرون اليه وينظر اليهم عز وجل وهذا الحجاب على ما قال السادة من قبلهم لائق به عز وجل وأنعم وأكرم

Marfat.com

وحسبنا ان ليل ثم رقدت * وأن حجابا دونها يمنع الكرى
فلاحت فلا والله ما نام صاحب * سوى أن طرفي كان من حسنها أعمى

ثم ان اجهال الخلق عند المعتزلة واندفاعهم عن رؤيته تعالى حيث انكروا صحة رؤيته من الاظاهر سواء بل الامر وجوده على الحقيقة الايادلة انكارهم لصحة رؤيته تعالى مذكورة مع ردودها في كتب الكلام ولذا أدلة القوم على الصحة وكاني بك يسد الاحاطة وتدقيق النظر قبل الى انه سبحانه وتعالى يرى لكن لا من حيث ذاته سبحانه البحت ولا من حيث كل تجلي حتى تجليه بنوره القديم الذي لا يطاق وقرأ زيد بن علي وجوه يومئذ ناضرة بغير ألف (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ) أي شديدة العبوس وباسل أبلغ من باسر فيما ذكر لكنه غلب في الشجاع اذا اشتدت كلوحته فعدل عنه لايهامه غير المراد وفي بناء الوجوه ووجوه الكفرة (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) أي داهية عظيمة تقصم فقار الظهر من فقره أصاب فقاره وقال أبو عبيدة فاقرة من فقرت البعير اذا وسمت أنفه بالسمار وفاعل تظن ضمير الوجوه بتقدير مضاف أي تظن ارباب وجوز أن يكون الضمير راجعا اليها على ان الوجه بمعنى الذات استخدما وفيه بعد والظن قيل أريد به اليقين واختاره الطيبي وان التصدير بالاتم يدل عليه فعل التحقيق الصرف دون فعل الظن أو مايؤدي معنى العلم فتع بعده كالشدة والفقة على ما نص عليه الرضي وقيل هو على بناء الحقيق للجمهور والمراد تتوقع ذلك واختاره من اختاره ولا دلالة فيه بواسطة المقابل على أن يكون الظن ثم بالمعنى المذكور كما زعم وتحقيق ذلك ان ما يفعل بهم في مقابلة النظر الى الرب سبحانه لكون ذلك غاية النعمة وهذا غاية النقمة وحمي يفعل الظن هنا دلالة على أن ما هم فيه وان كان غاية الضر يتوقع بعده أشد منه وهكذا أبدا وذلك لان المراد بالفاقرة مالا يكتنه من العذاب فكل ما يفعل به من أشده استعمل منه في آخر وتوقع أشد منه واذا كان ظانا كان أشد عليه مما اذا كان عالما موطنا نفسه على الامر على ان العلم بالمكاره والمع لا يما يتجدد آنا فآنا فهذا وجه الآيتين يفعل الظن ولم يؤت في المقابل بفعل ظن أو علم لانهم وصلوا الى مالا مطلوب وراءه وذاقوه ثم بعد ذلك التفاوت في ذلك النظر قوة وضعفا بالنسبة الى الرائي على ماقرره فافهم هذا حجة على الزاعم لانه أسبغ الله تعالى عليه نعمة رؤيته فضله (كَلَّا) ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة كانه قيل لا تؤثروا عن ذلك وتنبهوا لما بين أيديكم من الموت الذي تقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة (إِذَا بَلَغَتْ) أي النفس أو الروح الدال على سياق الكلام كما في قوله حاتم

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

ونحو قول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يقولون أرسلت السماء ثم قد يصرح بها هنا بالفاعل فيقال بلغت النفس (التَّرَاقِيَ) أي أعالي الصدر وهي العظام المكتنفة ثغرة النحر عن يمين وشمال جمع ترقوة وأنشدوا لخريد بن الصمة

ورب عظيمة دافعت عنهم * وقد بلغت نفوسهم التراقي

(وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) أي قال من حضر صاحبها من رقاه ينجيه مما هو فيه من الرقى وهي ما يستعمل به للدفع والبرء من الكلام المعد لذلك وتمامه أيات الشفاء ولها أريد به مطلق الطبيب أعم من أن يطب بالقول أو بالفعل وروي عن ابن عباس والضحاك وأبو قلابة ولذا ذكر ما هو ظاهر فيه والاستفهام عند بعض حقيقي وقيل هو استفهام استبعاد وانكار أي قد بلغ مبلغا لا أحد يرقيه كما يقال عند اليأس من شفاء المريض يقدر أن يرقى هذا المشرف على الموت وروى

Marfat.com

ذلك من عكرمة وابن زيد وقيل هو من كلام ملائكة الموت أي أيكم يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب من الرقى وهو الترويح وروى هذا عن ابن عباس ايضا وسليمان التيمي والاستفهام عليه حقيقي وتعقب بان اختيار ملائكة الرحمة يناسب قوله تعالى بعده فلا صدق الخ ودفع بأن الضمير للانسان والمراد به الجنس والاقتصار بعد ذلك على احوال بعض الفريقين لايناقي العموم فيما قبل ووقف حفص رواية عن عاصم على من وابتدا راق وادغم الجمهور قال ابو علي لاادري ما وجه قراءته وكذلك قرأ بل ران وقال بعضهم كأنه قصد أن لايتوهم انها كلمة واحدة فسكت سكتة لطيفة ليشعر انها للانسان والا فكان ينبغي ان يدغم في من راق فقد قال سيبويه ان النون تدغم في الراء وذلك نحو من راشد والادغام عنة وغير غنة ولم يذكر الاظهار ويمكن ان يقال لعل الاظهار رأي كوفي فعاصم شيخ حفص يذكر انه كان مالئا بالنحو واما بل ران فقد ذكر سيبويه في ذلك ايضا ان اظهار اللام والادغام مع الراء حسنان فلعل حفصا اثر طريق اظهار الاظهار فيه سار بالوقف القليل واستدل بقوله تعالى اذا بلغت التراقي على ان النفس جسم لأن الجوهر مجرد لا يتصف بالحركة والتحيز وأجاب بعض بأن هذه النفس اللئيمة انما بلوغ التراقي هي النفس الحيوانية لا الروح الانسية وهي الجوهر المجرد دون الحيوانية وآخر بأن المراد ببلوغها التراقي قرب انقطاع التعلق وهو مما يتصف به المجرد اذ لا يستدعي حركة ولا تحيزا ولا نحوهما مما يستحيل عليه وزعم انه لايمكن ارادة الحقيقة ولو كانت النفس جسما ضرورة ان بلوغها التراقي لايتحقق الا بعد مفارقتها الغلب وحينئذ يحصل الموت ولا يقال من راق كما هو ظاهر على الوجه الاول فيه ولا يأتي أيضا مايذكر بعد على ما سنقفه ان شاء الله تعالى فيه والذي عليه جمهور الامة سلفا وخلفا ان النفس وهي الروح الانسية جسم لطيف جدا ألطف من الهواء عند القائل بجسميته والنفس الحيوانية مركب لها وهي سارية في البدن نحو سريان ماء الورد في الورد والنار في الفحم وسريان السيال الكهربائي عند القائل به في الاجساد والادلة على جسميتها كثيرة وقد استوفاها الشيخ ابن القيم في كتاب الروح وأتى فيه بالعجب العجاب ثم الظاهر ان المراد ببلوغ التراقي مفارقة الموت وقرب خروج الروح من البدن بعلامات الضرورة التي في كلام ذلك الزاعم أم لم تبلغ لقوله تعالى وقيل من راق ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ أي وظن الانسان المحتضر أن ما نزل به الفراق من حبيبه الدنيا ونعيمها وقيل فراق الروح الجسد والظن هنا عند أبي حيان على بابه وأكثر المفسرين على تفسيره باليقين قال الامام ولعله انما سمي اليقين ههنا بالظن لان الانسان مادامت روحه متعلقة ببدنه يطمع في الحياة لعدة اسباب فلذلك الحياة العاجلة والانقطاع رجاؤه منها فلا يحصل له يقين الموت بل الظن الغالب مع رجاء الحياة أو لعلها سماه بالظن على سبيل التهكم ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ أي التفت ساقه بساقه والموت عليها عند علم الموت وقيله كما روى عن الشعبي وقتادة وأبي مالك وقال الحسن وابن السيب مما سقنا اليت عند مالقا في الكفن وقيل المراد بالتفافهما التباد أمرها وما يراد فيهما يعني موتهما وقيل يبسهما بالموت وعدم تحرك احداهما عن الاخرى حتى كأنهما ملتفتان فيهما أول مايخرج الروح منه فتبردان قيل سائر الاعضاء وليسان فالساق بساقها الحقيقي وأل فيها عهدية أوعوض من المضاف اليه وقال ابن عباس والربيع ابن أنس واسمعيل بن أبي خالد وهو رواية عن الحسن أيضا التفت شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة واختاطا ونحوه قول عطاء اجتمع عليه شدة مفارقة المألوف من الوطن والاهل والمال والصديق وشدة القدوم على ربه جل شأنه لا يدري يقاء يقدم عليه فالساق عبارة عن الشدة وهو مثل في ذلك والتعريف للعهد وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن الضحاك التفت أسوق حاضريه من الانس والملائكة هؤلاء يجهزون

Marfat.com

بدنه الى القبر وهؤلاء يجهزون روحه الى السماء فكلامهم للاختلاق في الذهاب والاياب والتردد في الاصل قد اتفقا أو قيم وهذا الاتفاق على حد التنابل الاسنة ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ أي الى الله تعالى وحكمه سوقه لا الى غيره على أن المساق مصدر ميمي كالمقال وتقديم الجار للحصر والكلام على تقدير مضاف هو حكم وقيل هو موعد والمراد به الجنة والنار وقيل ليس هناك مضاف مقدر على ان الرب جل شأنه هو المساق أي سوق هؤلاء مفوض الى ربك لا الى غيره والظاهر ماتقدم ثم ان كان هذا في شان الفاجر أو فيما يعمه والبرداد بالسوق السوق المناسب للسوق وهذا الا يخفى بقرينة ان حسن خلقه برحمة أبلغ الرب الذي سبقت رحمته على غضبه

قالوا غدا تأتي ديار الحي ○ ويترك الركب يضام
فقلت لي ذنب فما جزائي ○ يا ويحه . أنظام
قالوا أليس المغرمين تأتيهم ○ لا سيما عن ترجام

ثم ان جواب اذا محذوف دل عليه ماذكر أي كان ما كان أو انكشفت الغرء حقيقة الامر أو وجد الانسان ماعمله من خير أو شر ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ أي مايجب تصديقه من الله عز وجل والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن الذي أنزل عليه ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ مافرض عليه أي لم يصل ولم يصل فلا داخلة على الماضي كما في قوله

ان تغفر اللهم تغفر جما ○ وأي عبد لك لا ألما

والضمير في الضمائر الاربعة للانسان الذي ذكر في قوله تعالى أيحسب الانسان والجملة معطوفة على قوله سبحانه يسأل أيان يوم القيامة على مذهب اليه الزمخشري فالمعنى بناء على ماعلمت من أن السؤال سؤال استهزاء واستبعاد بعد البعث وانكاره فلم يأت بأصل الدين وهو التصديق بما يجب تصديقه به ولا بالم فروعه وهو الصلاة ثم أكد ذلك بذكر مايضاده بقوله تعالى ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ نفيا لتوهم السكوت أو الشك أي ومع ذلك أظهر الجحود والتولي عن الطاعة ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾ يختار افتخارا بذلك ومن صدر عنه مثل ذلك ينبغي أن يخاف من حلول غضب الله تعالى به فيمشي خائفا متحاذرا لا فرحا مختارا ثم الاستبعاد ويتمطى من المط فان المختار يمد خطاه فيكون أصله يتمطط قلبت الطاء فيه حرف علة كراهة اجتماع الامثال كما قالوا تظى من الظن وأصله تظنن أو من المطا وهو الظهر فان المختار يلوي مطاه ليختارا فيكون مشتقا بحسب الاصل وفي الحديث اذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فلله جعل بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وجعل الطبي عطف هذه الجملة للتعجيب على معنى يسأل أيان يوم القيامة وما استعد له الا ما يوجب دماره وهلاكه . وقال ابن قوله تعالى (فاذا برق البصر) الخ جواب عن السؤال أقسم بن المعطوف والمعطوف عليه لشدة الامتزاج ولم قوله سبحانه لا تحرك الخ استطراد على ما سمعت وجعل صدق من التصديق هو المروي عن قتادة وقال قوم هو من الصدقة أي فلا صدق ماله ولا زكاه قال أبو حيان وهذا الذي يظهر نفي عنه الزكاة والصلاة وأثبت له التكذيب قال أبو حيان والاولى الاشتغال بذم الصفات وترك التخوض مع الخائضين في تكذيب يوم الدين وحمله على نفي التصديق يقتضي أن يكون ولكن كذب تكرارا ولزم أن يكون استدراكا بعد الاصلي لا بعد فلا صدق لانهما متوافقان وفيه نظر يعلم مما قررناه . ثم انه استبعد العطف على قوله تعالى يسأل الخ وذكر أن الآية نزلت في أبي جهل وكانت أصرح به في قوله تعالى يتمطى فانها كانت مشية ومشية قومه بني مخزوم وكان

Marfat.com

يكثر منها وبين حال العطف على هذا وأنت تعلم ان العطف لا يأبى حدوث النزول في أبي جهل وقد قيل ان قوله تعالى أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه نازل فيه ايضا والحكم على الجنس باعتبار لا يضر فيه كون بعض أفراده في حكم منها نعم لا شك في بعد هذا العطف لفظا لكن في بعده بحسب مقال والعمل فيما بعد ما يلوى جانب العطف على ذلك ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ من الولي بمعنى القرب فهو للتفضيل في الأصل غلب في قرب الهلاك وبعد السوء كما قيل هلاكا أولى لك بمعنى أهلكك الله تعالى هلاكا أقرب لك من كل شر وهلاك وهذا كما غلب بعدا وسحقا في الهلاك وفي الصحاح عن الأصمعي قاربه ما يهلكك أي نزل به وأشد

قعدي بين هاوين منها ٭ وأولى ان تزيد على الثلاث

أي قارب ثم قال قال ثعلب ولم يقل أحد في أولى أحسن مما قاله الأصمعي وعلى هذا أولى فعل مستتر فيه ضمير الهلاك بقرينة السياق واللام مزيدة على ما قبل وقيل هو فعل ماض دعائي من الولي أيضا الا أن الفاعل ضمير الله تعالى واللام مزيدة أي والاك الله تعالى ما تنكره هو غير مزيد أي أدناك الله تعالى للهلكات وهو قريب مما ذكر عن الأصمعي وعن ابي علي ان أولى لك علم الويل بمعنى دل زنة افعل من لفظ الويل على القلب وأصله اويل وهو غير متصرف للعلمية والوزن فهو منسد ولك خبره وفيه أن الويل غير متصرف فيه ومثل يوم أيوم مع انه غير منقاس لا يغره من الوصوف البتة وان القلب على خلاف الأصل لا يرتكب الا بدليل وان علم الجنس شيء خارج عن القياس مشكل التنزل خاصة فيما نحن فيه وقيل اسم فعل مبني ومعناه ولاك شر بعد شر واختار جمع انه افعل تفضيل بمعنى الأحسن والأحرى خبر لمبتدأ محذوف يقدر بما يليق بقائله فالتقدير هنا النار أولى لك أي أنت أحق بها وأهل لها فأولى ﴿ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ تكرير للتأكيد وقد تقدم الكلام في ذلك فتذكر والظاهر ان الجملة تذييل للدعاء لا محل لها من الاعراب ويجوز أن تكون في موضع الحال بتقدير القول كأنه قيل ثم ذهب الى أحد بتعلى ما هو لائق به أولى لك الخ ويؤيده ما أخرج النسائي والحاكم وصححه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن قوله الله تعالى أولى لك فأولى أتى هذا يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من نفسه أم أمره الله تعالى به قال بل قاله من قبل نفسه ثم أنزله الله تعالى واستدل بقوله سبحانه فلا صدق ولا صلى الخ على ان الكفار مخاطبون بالفروع فلا تغفل ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ أي مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل أن يترك في قبره فلا يبعث ويقال ابل سدى أي مهملة ترعى حيث شاءت بلا راع وأسديت الشيء أي أهملته وأسديت حاجتي ضيعتها ولم أقض بها قال الشاعر

فاقسم بالله جهد يمينه بما خلق الله شيئا سدى

ونصب سدى على الحال من ضمير يترك وان يترك في موضع المفعولين ليحسب والاستفهام انكاري وكان تكريره بعد قوله تعالى أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه لتكرير انكار الحشر فيسل مع تضمن الكلام الدلالة على وقوعه حيث ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والرذائل والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة وجعل بعضهم هذا استدلالا عقليا على وقوع الحشر وفيه بحث لا يخفى وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ الخ استئناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مدار ما كان استبعادهم للاعادة وهو ذلك بعد خلقهم وقرأ الحسن الم تكن بياء الخطاب على سبيل الالتفات وقرأ ألم تمن بالتاء الفوقية فالضمير للنطفة أي يمنيها الرجل ويصباق الرحم وعلى قراءة الياء وهي قراءة حفص وأبي

Marfat.com

عمرو بخلاف عنه ويعقوب وسلام والجعفري وابن عيصن الفي (ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً) أي بقدرة الله تعالى كما قال تعالى ثم خلقنا النطفة علقة (فَخَلَقَ) أي فقدر الله عز وجل بان جعلها سبحانه مخلقة (فَسَوَّى) فعدل وكمل (فَجَعَلَ مِنْهُ) أي من الانسان وقيل من التي (الزَّوْجَيْنِ) أي الصنفين (الذَّكَرَ وَالأُنثَى) بدل من الزوجين والخنثى لا يعدو هذا فرأى بدن في الزوجان بالالف على لغتي الطرفين كلب ومن وافقهم من العرب من كون أنثى بالالف جميع حالاته (أَلَيْسَ ذَلِكَ) العظيم الشأن الذي انشأ هذا الانشاء البديع (بِقَادِرٍ) أي قادر اوفر أزيد بقدر مضارعا (عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى) وهو أهون من البدء في قياس العقل وقرأ طلحة بن سليمان والفيض بن غزوان على ان يحيي بسكون الياء وانت تعلم ان حركاتها حركة اعراب لا تحذف الا في الوقف وقد جاء في الشعر حذفها بغير وصل ومن يحيي بنقل حركة الياء الى الحاء وادغام الياء الياء قال ابن خالويه لا يجيز أهل البصرة سيبويه اجتماع ياءين فاذا رأيتي قالوا السكون الياء الثانية ولا يفتحون بالفتحة فيها لانها حركة اعراب غير لازمة والفراء الجاز ذلك واحتج بقوله تعالى بمصدقي هو قلبي وقرأ بها بالجملة القراءة شاذة وجاء في عدة أخبار أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال سبحانك اللهم وبلى وفي بعضها سبحانك فبلى وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي والحاكم وصححه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلكم من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى الى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله

سورة الانسان

وتسمى سورة الدهر والابرار والامشاج وهل أتى وهي مكية عند الجمهور على ما في البحر وقال مجاهد وقتادة مدنية كما وقال الحسن وعكرمة والكلبي مدنية الا آية واحدة فمكية وهي ولا تطع منهم آثما أو كفورا وقيل مدنية الا من قوله تعالى فاصبر لحكم ربك الى آخرها فانه مكي وعن ابن عادل حكاية مدنيتها على الاطلاق عن الجمهور وهي تسع وآيها احدى وثلاثون آية بلا خلاف والمناسبة بينها وبين ما قبلها في غاية الوضوح

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا)

أصله على ما قيل أعل على أن الاستفهام للتقرير أي اعلى على الأقرار بما دخلت عليه والتقرير به من ينكر البعث وقد علم انهم يقولون نعم قد مضى على الانسان حين لم يكن كذلك فيقال فالذي أوجده بعد ان لم يكن كيف يمتنع عليه اعادته بعد موته وهل بمعنى قد وهي للتقريب أي لتقريب السامع من الحال فلما سمعت هل سمعت الهمزة دلت على معناها ومعنى الهمزة مما تم صارت حقيقة في ذلك فهي للتقرير والتقريب واستدل على ذلك الأصل بقول زيد الخيل

سائل فوارس يربوع بشدتنا ٭ أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم

وقيل هي للاستفهام ولا تقريب وجيء مع الهمزة في البيت للتأكيد كما في قوله ٭ ولا للهام أبعاد ولا ٭ بل انتا قيد هنا أقرب لعدم الانفكاك على ان السيالكوتي قال الرواية الصحيحة أم هل رأونا على أن أم منقطعة بمعنى بل وقال السيوطي في شرح شواهد المغني الذي رأيته في نسخة قديمة من ديوان زيد فهل رأونا بالفاء وهي ابن عباس وقتادة هي هنا بمعنى قد وفسرها بها جماعة من

Marfat.com

النحاة كالكسائي وسيبويه والمبرد والفراء وحملت على معنى التقريب ومن الناس من حملها على معنى التحقيق وقال أبو عبيدة عجائبها قد أتى على الانسان وليس باستفهام وكأنه أراد ليس باستفهام حقيقة وانما هي للاستفهام التقريري ويرجع بالآخرة الى قد أتى والحل مراد من فسرها بذلك كابن عباس وغيره ما ذكر لا انها بمعنى قد حقيقة وفي الكشف ما تفيدك مراجعته بصيرة قراءته والمراد بالانسان الجنس على ما أخرجه ابن المنذر من ابن عباس والحين طائفة محدودة من الزمان تامة فالكثير والقليل والدهر الزمان الممتد غير المحدود ويقع على مدة العالم جميعها وعلى كل زمان طويل غير معين والزمان عليهما كل والدهر وعام الزمان كلام فاسق وتوانف الامام أبو حنيفة في معنى الدهر منكرا أي في المراد به عرفا في الايمان حتى يقال عما ذا يحنث اذا قال والله لا أكلمه دهرا والعرف عند بعض حياة الحالف عند عدم النية وكذا عند صاحبيه والنكر عندها كالحين وهو معرفا ومنكرا كالزمان سنة أشهر ان لم تكن نية أيضا وبها ما روى عن الصحيح وما اشتهر من حكاية اختلاف فتاوى الحفاد الاربعة في ذلك على عهده عليه الصلاة والسلام استدلالا على بدليل وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الرفع اليه أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم الا انه اختار فتوى الامير كرم الله تعالى وجهه بان الحين يوم وليلة لما فيه من التيسير لايصح كلا يخفى على الناقد البصير ذو صبح لم يعدل عن فتوى الامير معدن الرسالة والفتوة بعد أن اختارها مدينة العلم وبمظهر الرسالة والنبوة والتي هنا قد أتى أو هل أتى على جنس الانسان قبل زمان قريب غاية محدودة مقدرة كائنا من الزمان الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا غير مذكور بالانسانية أصلا أي غير معروف بها على ان التي راجع الى النفيس والمراد انه معدوم لم يوجد بنفسه بل كان الموجود أصله مما لا يسمى انسانا ولا يعرف بعنوان الانسانية وهو مادته البعيدة أعني العناصر أو المتوسطة وهي الاغذية أو القريبة وهي النطفة المتولدة من الاغذية المتولدة من العناصر وجملة لم يكن في محل حال من الانسان أي غير مذكور وجوز أن تكون صفة لحين بحذف العائد عليه أي لم يكن فيه شيئاً مذكورا كما في قوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئاً) واطلاق الانسان على مادته مجاز بجعل ما هو بالقوة منزلا منزلة ما هو بالفعل أو هو من مجاز الاول وقيل المراد بالانسان آدم عليه السلام وأيد الاول بقوله تعالى ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ فان الانسان فيه معرفة معادة فلا يفترقان كيف وفي الآية الظاهر مقام الضمير فعلى التقرير والتكيين في النفس فاذا اختلفا عموما وخصوصا فالتنافي للاولية ولا شك أن الحمل على آدم عليه السلام في هذا لا وجه له ولا ينقض به على ارادة الجنس بناء على أنه لا عموم فيه ولا خصوص نعم دل قوله سبحانه من نطفة على أن المراد غير آدم أو هو وغيره وقيل بجعل الاكثر كالكل مجازا في الاسناد أو الطرف وروي ذلك عن قتادة والثوري وعكرمة والشعبي وابن عباس أيضا وقال في رواية أبي صالح عنه مر بقبر أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفي رواية الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام أربعين سنة ثم من حما مسنون فاقام أربعين سنة ثم من صلصال فاقام أربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الواحدي عنه أن الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره وروي نحوه عن عكرمة فقد أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه أنه قال ان من الحين حينا لا يدرك ولا الآية فقال والله ما يدري ثم أتى عليه حتى خلقه الله تعالى ورأيت لبعض المتصوفة انت على الاستفهام الانكاري فيه في معنى النفي أي ما أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وظاهره القول بقدم الانسان في الزمان على معنى انه لم يكن زمان الا وفيه انسان وهو القدم النوعي كما قال به من قال من الفلاسفة وهو كفر بالاجماع ووجه

Marfat.com

يفهم عنوا شيئية الثبوت لقدم الانسان مندفع بذلك الاعتبار دون شيئية الوجود ضرورة انه بالنسبة اليها حادث زمانا ويشهد الى هذا قول الشيخ محيي الدين في الباب ٣٠٠ من الفتوحات المكية لو لم يكن في العالم من هو على صورة الحق ما حصل المقصود من العالم الحق أعني العلم الحادث في قوله سبحانه كنت كنزا لم أعرف فاحببت ان أعرف خلقت الخلق وتعرفت اليهم فعرفوني فجعل نفسه كنزا والكنز لا يكون الا مكنوزا في شيء فلم يكن كنز الحق نفسه الا في صورة الانسان الكامل في شيئية ثبوته هناك كان الحق مكنوزا فلما ليس الخلق الانسان ثوب شيئية الوجود ظهر الكنز بظهوره فعرفه الانسان الكامل بوجوده وعلم انه كان مكنوزا فيه في شيئية ثبوته وهو لا يدعي به النبي ولا يحق ان الاشياء لها في شيئية الثبوت قدمية لا الانسان وحده ولعلهم يقولون الانسان هو كل شيء لان الاسلام الذين وقد قال سبحانه وكل شيء أحصيناه في امام مبين والكلام في هذا المقام طويل ولا يسعنا ان نطيل بمدانا نقول كون هذا الانكار منكر وان دعوى صحة ذلك لاحدى الكبر والذي فهمه أجلة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الآية الاخبار الاتي أخرج عبد بن حميد وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه سمع رجلا يقرأ هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فقال ليتها تمت وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه سمع رجلا يقرؤ ذلك فقال ليتها تمت وتوجب في قوله هذا أحد صودا من الارض فقال ليتني كنت مثل هذا (أمشاج) جمع مشج بفتحتين كسبب وأسباب أو مشيج بفتح فكسر كنكف وأكناف أو مشيج كقيد وأقياد ونصير وأنصار أي اخلاط جمع خالط يعني مختلط لان المشيج يقال مشجت الشيء اذا خلطته ومزجته فهو مشيج ومشوج وهو صفة لنطفة ووصف بالجمع وهي مفردة لان المراد بها الجموع ماء الرجل والمرأة والجمع قد يقال على ما فوق الواحد أو باعتبار الاجزاء المختلفة فيها رقيقا وغليظا وصفرة وبياضا وطيبة ونتنة وضعفا حتى الخاص بعضها بعض الاعضاء على ما أراده الله تعالى ممكنه خلقه بقدرته وفي بعض الآثار ان ماء الرجل من عصب وعظم وقوة ومن ماء المرأة لحم ودم فمن ماء المرأة والحاصل انه لما كان الوصف منزلا بالجمع ووصف بعدة أجزاء وقيل هو مفرد جاء على أفعال كالاعضاء وأشباهها في قولهم زمن أمشاج أي متكسرة ورد أكثر أي منزول منزلة مرتين واختار الزمخشري والمذكور عن نص سيبويه وجمهور النحاة ان افعالا لا يكون جمعا وسيجيء ذلك مذهب الى ذلك في العلم ومتى نطفة مختلطة عند الاكثرين نطفة الخلط والمزج فيها للدلالة وقيل الخلط فيها الدم والبلغم والصفراء والسوداء وقيل الامشاج نفس الاخلاط التي هي عبارة عن هذه الاربعة فكانه قيل من نطفة هي عبارة عن الخلاط أربعة وأخرج ابن المنذر عن مجاهد أنه قال امشاج أي ألوان أي ذات الوان فان ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اختلطا ومكثا في قعر الرحم اخضرا كما يخضر الماء بالمكث وروى عن الكلبي واخرج عن زيد بن أسلم انه قال الامشاج العروق التي في النطفة وروى ذلك عن ابن مسعود أي ذات عروق وروى عن عكرمة وكذا ابن عباس انه قال امشاج اطوار أي ذات أطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة وهكذا الى تمام الخلقة ونفخ الروح وقوله تعالى (نَبْتَلِيهِ) حال من فاعل خلقنا والمراد مريدين ابتلاءه واختباره بالتكليف فيما بعد على أن الحال مقدرة لو ناظرين له من حال الى حال ومن طور الى طور على طريقة الاستعارة لان التقول يظهر في كل طور ظهورا آخر كظهور نتيجة الابتلاء والامتحان بعده وروى نحوه عن ابن عباس وعلى الوجهين يحمل ما قبل ان الابتلاء بالتكليف وهو يكون بعد جميعه سميعا بصيرا لا قبل فكيف يترتب عليه قوله سبحانه (فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) وقيل الكلام على التقديم والتأخير والجملة استئناف تعليل أي فجعلناه سميعا بصيرا

Marfat.com

البتة وحكى ذلك عن الفراء وضعف لان التقديم لا يقع في حال موقعه لاقتطاع لاجل الفاء ولا معنى لانه لا يتجه السؤال قبل الجعل والاوجه الاول وهذا الجعل كالسبب عن الابتلاء لان المقصود من جعله كذلك ان ينظر الآيات الآفاقية والانفسية ويسمع الادلة السمعية فلذلك عطف على المعلق القيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) لان جملة مستأنفة مبينة لمعنى الاهتداء أي دللناه على مايوصله من الدلائل السمعية كالآيات التنزيلية والعقلية كالآيات الآفاقية والانفسية وهو اما يكون بعد التكليف والابتلاء (إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) حالان من مفعول هديناه واما فتفصيل باعتبار تعدد الاحوال مع اتحاد الذات أي هديناه وعلناه على مايوصل الى الغاية في حالتيه جميعا من الشكر والكفر أو فتقسيم للهدى باختلاف الذوات والصفات أي هديناه السبيل مقسوما اليها بعضهم شاكر بالاهتداء للحق وطريقه بالاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه وعامله دالناه على الهداية والاسلام فمنهم مهتد مسلم ومنهم ضال كافر وقيل حالان من السبيل أي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا والمراد به لايخفى وعن السدى ان السبيل هنا سبيل الخروج من الرحم وليس بشيء أصلا وقرأ أبو السماك وأبو السماح(١) أما بفتح الهمزة في الموضعين وهي لغة حكاها أبو زيد عن العرب وهي التي عدها بعض النحاة على ما قال أبو حيان في حروف العطف وأنشدوا

فلقحها اما شمال عربة ● واما صبا جلب الحيا هبوب

وجعلها الزمخشري أما التفصيلية المضمنة معنى الشرط على معنى أما شاكرا فبتوفيقنا وأما كفورا فبسوء اختياره وهذا التقدير ابراز منه للمذهب قبل ولا عليه ان يجعله من باب يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فان قيل أما شاكرا فبهدايتنا أي دعائنا أو قدرتنا على مقتضى به الهداية وأما كفورا فبماذا أجيب بالاختلاف وجه الدعا لان الهداية هنا ليست في مقابلة الضلال وهذا جار على المذهبين وسالم من حذف الادلة عليه وجوز في الانصاف ان يكون التقدير أما شاكرا فثاب وأما كفورا فعاقب وايراد الكفور بصيغة المبالغة لمراعاة التواصل والاشعار بأن الانسان فطبائعه من كفران ما وأنا المؤاخذ عليه الكثير الفرط (إِنَّا أَعْتَدْنَا) هيأنا (لِلْكَافِرِينَ) من افراد الانسان الذي هديناه السبيل (سَلَاسِلَ) يجاذبون (وَأَغْلَالًا) بها يقيدون (وَسَعِيرًا) بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم لاجتماع رؤسهما في الذكر كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية ولان الانذار السبب بالقائم وحقيق بالاهتمام ولان تصدير الكلام وختمه بذكر الوعيدين أحسن على ان وصلهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب الطرائق النظم الكريم وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر والاعمش سلاسلا بالتنوين وصلا وبالالف البدلة منه وقفا وقال الزمخشري وفيه وجهان أحدهما ان تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون صاحب القراءة ممن يجري رواية الشعر ومن لسانه على صرف غير المنصرف وفي الاوليان الابدال من حروف الاطلاق في غير الشعر لقليل كما لم يلتفت اليه اجراء الوصل مجرى الوقف وفي الثاني تجويز القراءة بالنثر دون سداد وجيها في العربية والوجه انه لقصد الازدواج والمناسبة فقد جوزوا لذلك صرف مالا ينصرف لاسيما الجمع فانه سبب ضعيف لشبهه بالفعل في جمعه حركات بوسط وتوالي الابصار ولهذا جوز بعضهم صرفه مطلقا كما قيل

والصرف في الجمع أتى كثيرا ● حتى ادعى قوم به التخييرا

(١) قوله وأبو السماح وهو الشيخ بن عبد الله السلمي شامي ولي البصرة لعثمان بن عبد الله ابن عامر

Marfat.com

وحكى الأخفش عن قوم من العرب ان اللهم صرف فكل ما لا ينصرف الا أفعل من وصرف سلاسلا بالتنوين في مصاحف المدينة ومكة والكوفة والبصرة وفي مصحف أبي وعبد الله بن مسعود وروى هشام عن ابن عامر سلاسل في الوصل وسلاسلا بالألف دون تنوين في الوقف (إِنَّ الْأَبْرَارَ) شروع في بيان حسن حال المتقين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية مع تجريد صفة مدح لهم والأبرار جمع بر كرب وأرباب أو بار كصاعد وأصحاب بناء على أن فاعلا يجمع على أفعال والبر التطيع المتوسع في فعل الخير وقيل من يؤدي حق الله تعالى ويوفي بالنذر ومن الحسن هو الذي لا يؤذي الذر ولا يرضى الشر (يَشْرَبُونَ) في الآخرة (مِنْ كَأْسٍ) هي كما قال الزجاج الاناء اذا كان فيه الشراب فاذا لم يكن فيه شراب لم يسم كأسا وقال الراغب الكأس الاناء بما فيه من الشراب ويسمى كل واحد منهما بانفراده كاسا والظهور انها تطلق حقيقة على الزجاجة اذا كانت فيها خمر ومجازا على الخمر بعلاقة المجاورة والمراد بها ههنا قيل الخمر فان البعضية أو بيانية وقيل الزجاجة التي فيها الخمر فمن ابتدائية وقوله تعالى (كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً) أظهر ملاءمة للاول والظاهر ان هذا على منوال كان الله عليما حكيما والمعنى بالفعل التحقيق والدوام وقيل كان تامة من قوله تعالى كن فيكون والمزاج ما يمزج به كالخزام لما يخزم به فهو اسم آلة والكافور على ما قال الكلبي علم عين في الجنة مأوى في بياض الكافور وعرفه وبرده وصرف لتوافق الآي والكلام على حذف مضاف أي ماء كافور والجملة صفة كأس وهذا القول خلاف الظاهر ولعله ان لم يصح فيه خبر لا يقبل وقرأ عبد الله قاقورا بالقاف بدل الكاف وهما كثيرا ما يتعاقبان في الكلمة كقولهم عربي قح وكح وقوله تعالى (عَيْناً) بدل من كافور وقال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وذلك لبرودة الكافور وبياضه وطيب رائحته فالكافور بمعناه المعروف وقيل ان خمر الجنة قد أودعها الله تعالى اذ خلقها أوصاف الكافور الممدوحة فكونه مزاجا جاز في الاتصاف بذلك فعينا على هذين القولين بدل من محل كأس على تقدير مضاف أي يشربون خمرا خمر عين أو نصب على الاختصاص بإضمار أعني أو أخص كما قال البرد وقيل على الحال من ضمير مزاجها وقيل من كأس وساغ لوصفه وأريد بذلك وصفها بالكثرة والصفاء وقيل منصوب بفعل يفسره ما بعده أعني قوله تعالى (يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ) على تقدير مضاف أيضا أي يشربون ماء عين يشرب بها الخ ونصب بإن الخفيفة صفة عينا فلا يعمل فعلها بها وما لا يعمل لا يفسر عاملا وأجيب بمنع كونها صفة على هذا الوجه والتركيب عليه نحو رجلا ضربته نعم هي صفة عين على غير هذا الوجه والباء للالصاق وليست للتعدية وهي متعلقة بمحذوف أي يشرب الخمر ممزوجة بها أي بالعين عباد الله وهو كما تقول شربت الماء بالعسل هذا اذا جعل كافور علما لعين في الجنة وأما على القولين الآخرين فقيل وجه الباء ان يجعل الكلام من باب التجريح في عراقيبها نصلي بن لاعادة المبالغة وقيل الباء للتعدية وضمن يشرب معنى يروى فعدى بها وقيل هي بمعنى من وقيل هي زائدة والمعنى يشربها كما في قول الهذلي

شربن بماء البحر ثم ترفعت ● متى لجج خضر لهن نئيج

ويعضد هذا قراءة ابن أبي عبلة يشربها وقيل ضمير بها للكأس والمعنى يشربون العين بتلك الكأس وعليه يجوز أن يكون عينا مفعولا ليشرب مقدما عليه وعباد الله المؤمنون أهل الجنة (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً) صفة أخرى لعينا أي يجرونها حيث شاؤا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم على

Marfat.com

ان التنكير للتنويع أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن ابن شوذب انه قال منهم قضبان ذهب يفجرون بها فيتبع الماء قضبانهم وفي بعض الآثار ان هذه العين في دار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفجر الى دور الانبياء عليهم السلام والمؤمنين ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ استئناف مسوق لبيان ما لأجله يرزقون هذا النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما يأتي عنه اسم الابرار اجمالا كانه قيل ما بالهم نالوا ذلك المرتبة العالية فقيل يوفون الخ وأفيد استئناف البيان ومع ذلك عدل عن أوفوا الى المضارع للاستحضار والدلالة على الاستمرار والوفاء بالنذر كناية عن أداء الواجبات كلها المراد بما عداه بالطريق الأولى واشار النص فان من أوفى بما أوجبه على نفسه كان ايفاء ما أوجبه الله تعالى عليه أهم له وأسرى وجعل ذلك كالعنوان الذي يتضمنه ما روى عن قتادة وعن عكرمة ومجاهد البقاء على الظاهر قالا اى انهم لا نذروا طاعة فعلوها ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ ﴾ عقابه ﴿ مُسْتَطِيرًا ﴾ فاشيا منتشرا في الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار لان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى والطلب ايضا دلالة على ذلك لان ما يطلب من شانه ان يبالغ فيه وفي وصفهم بذلك اشعار بحسن طريقتهم واجتنابهم عن التعاسي ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ اى كائنين على حب الطعام اى مع اشتهائه والحاجة اليه فهو من باب التتميم ويجاوبه من القرآن قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروى عن ابن عباس وجماعة أو على حب الاطعام بان يكون ذلك بطيب نفس وعدم تكلف والية ذهب الحسن بن الفضل وهو حسن أو الاثنين على حب الله تعالى أو اطعاما كائنا على حبه تعالى ولوجهه سبحانه وابتغاء مرضاته عز وجل واليه ذهب الفضيل بن عياض وأبو سليمان الدارانى فعلى حبه من باب التكميل وزيفه بعضهم وقال الاول هو الوجه ويجاوبه القرآن على ان في قوله تعالى لوجه الله يسعد غاية من قوله سبحانه لوجه الله وفيه نظر بل لله الانسب لذلك وذكر الطعام مع ان الاطعام يغني عنه لتعيين مرجع الضمير على الاول ولان الطعام اعم فيما فيه قوام البدن واستقامة البنية وبقاء النفس ففي التصريح به تأكيد لمخالفة فعلهم على الاحتمالين ويجوز ان يعتبر على الاول أيضا لظاهر أن المراد باطعام الطعام حقيقته وقيل هو كناية عن الاحسان الى المحتاجين والمواساة معهم باى وجه كان وان لم يكن ذلك بالاطعام بعينه فكأنه يقدمون بوجوه النافع ﴿ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ قيل أي أسير كان فمن الحسن انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول أحسن اليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وقال قتادة كان أسيرهم يومئذ المشرك وأخوك المسلم أحق ان تطعمه وأخرج ابن عساكر عن مجاهد أنه قال لما صدر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالاساري من بدر أتفق سبعة من المهاجرين أبوبكر وعمر وعلى والزبير وعبد الرحمن وسعد وأبو عبيدة بن الجراح على أساري مشركي بدر فقالت الانصار فتلهم في الله وفي رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ودينهم بالنفقة فانزل الله تعالى فيهم تسع عشرة آية ان الابرار يشربون الى قوله تعالى عينا فيها تسمى سلسبيلا فعليه دليل على أن الطعام الاساري وان كانوا من أهل الشرك حسن ورجى ثوابه والخبر الاول قال ابن حجر لم يذكره من يعتمد عليه من أهل الحديث وقال ابن العراقي لم أقف عليه والخبر الثاني لم أره لغير ابن عساكر ولا ونول لي بصحته وهو يكفي معتبة هذه الآيات وقد علمت الخلاف في ذلك ثم عند علماء الحنفية يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام ولا تصرف اليهم الواجبات وقال ابن جرير وعطاء هو الاسير من أهل القبلة قال الطيبي هذا انما يستقيم اذا أتفق الاطعام في دار الحرب من المسلم لاسير في أيديهم وقيل هو الاسير المسلم تراه في بلاد الكفار

Marfat.com

رهينة وخرج لطلب الفداء وروى عبي السنة عن مجاهد وابن جبير وعطاء أنهم قالوا هو المسجون من أهل القبلة وفيه دليل على إن اطعام أهل الحبوس المسلمين حسن وقد يقال لا يحسن اطعام الحبوس لو قادرين يقدر على وفائه اذا امتنع عنه غنما والغرض من الاغراض النفسانية وعن أبي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون والمسجون اسيرا فجاز تسمية المملوك فجاز أيضا لكن قيل باعتبار ما كان وقيل باعتبار شبهه به في تقييده بأمر الآمر وعدم تمكنه من عمل ما يهوى وعد الحريم أسيرا لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم غريمك أسيرك فأحسن الى اسيرك وهو على التشبيه البليغ الا انه قيل في هذا الخبر ما قيل في الخبر الاول وقال ابو حيان الجياني هي الزوجة وضعفه هنا ظاهر ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ على ارادة قول هو في موضع الحال من فاعل يطعمون اى قائلين ذلك بلسان الحال لما يظهر عليهم من امارات الاخلاص وعن مجاهد انما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله تعالى منهم فاثنى سبحانه به عليهم ليرغب فيه راغب او بلسان المقال ازاحة التوهم الذي للبطل للصدقة وتوقع المكافأة للنقصة للاجر وعن الصديقة رضي الله تعالى عنها أنها قالت لبث بالصدقة الى اهل بيت ثم سئال الرسول ما قالوا فاذا ذكروا عابوت لهم بذلك لم يبق لها ثواب الصدقة خالصا عند الله عز وجل وجوز ان يكون قولهم هذا لهم لطفا وتفهيما وتنبيها على ما ينبغي ان يكون عليه من اخلاص لله تعالى وليس بذاك وقوله سبحانه ﴿ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً ﴾ بالافعال ﴿ وَلَا شُكُورًا ﴾ ولا شكرا وثناء بالاقوال تقرير وتاكيد لما قبله ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا ﴾ أي عذاب يوم فهو على تقدير مضاف أو ان خوفه كناية عن خوف ما فيه ﴿ عَبُوسًا ﴾ تعبس فيه الوجوه على أنه من الاسناد المجازي كما في نهاره صائم فقد روى عن ابن عباس ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران أو يشبه الاسد العبوس على أنه من الاستعارة المكنية التخييلية لكن لا يخفى ان العبوس ليس من لوازم الاسد وانما الشبر وصفه به في التخييلية ضعف ما وقيل انه من التشبيه البليغ ﴿ قَمْطَرِيرًا ﴾ شديد العبوس ويقال شديدا أصبا كالله الف شره بعضه ببعض وقيل طويلا وهو رواية عن ابن عباس وجاء قامطر واشتدوا الاسد بن ناقصة

واصطليت الحروب في كل يوم ✻ بامثل العير قطرير الصباح

وقول آخر بني امنا هل تذكرون بلاءنا ✻ عليكم اذا ما كان يوم قامطر

وقال الاول ذهب الزجاج فقال القمطرير الذي يعبس حتى يجتمع ما بين عينيه ويقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها ورمت بالقيا وجمعت قطريها أي جانبيها كانهما تفعل ذلك اذا خفت ذكراً وقيل تضع حليها فاشتقاقه عنده على ما قيل من قطر بالاشتقاق الكبير واليم زائدة وهذا لا يلزم الزجاج فيجوز أن يكون معتنا كذلك من القمط ويقال قمطه اذا شده وجمع أطرافه وفي البحر يقال قطر فهو مقطر وقطرير وقامطر اذا صعب واشتد واختلف في هذا الوزن وأكثر النحاة لا يثبتون الفعل في أوزان الافعال وهذه الجملة جوز أن تكون علة لاحسانهم وفعلهم المذكور كانه قيل يفعل بكم ما نفعل لانا نخاف يوما صفته كيت وكيت فنحن نرجو بذلك أن يقينا ربنا جل وعلا شره وأن تكون علة لعدم ارادة الجزاء والشكور أي انما لا نريد منكم المكافأة لخوف عذاب الله تعالى على طلب المكافأة بالصدقة قال الوجيهان أحدهما في الكشاف وقال في الكشف الثاني أوجه لبقي قوله لوجه الله خالصا غير مشوب بحظ النفس من جلب نفع أو دفع ضر والوجيه على الاطعام الدال على معنى أنا خصصنا الاحسان لوجه الله تعالى لانا نخاف يوم جزائه من خاف لازم الاخلاص لكان وجيها ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ ﴾ بسبب خوفهم وتحفظهم عنه وقرأ أبو

Marfat.com

جعفر فوقاهم بحذف القاف وهو أوفق بقوله تعالى (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) أي أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا) بصبرهم على مضاض الطاعات وهجيرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وإيثار الأحوال ما لا ومطلبا (جَنَّةً) يستلذ عليها كما يكون متكئين (وَحَرِيرًا) يلبسونه ويتزينون به ومن رواية عطاء عن ابن عباس ان الحسن والحسين مرضا فعادهما جدهما محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وعادهما من عادهما من الصحابة فقالوا لعلي كرم الله تعالى وجهه يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برآ مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام شكرا فالبس الله تعالى الغلامين ثوب العافية وليس عند آل محمد قليل ولا كثير فانطلق علي كرم الله تعالى وجهه الى شمعون اليهودي الخيبري فاستقرض منه ثلاثة اصوع من شعير فجاء بها فقامت فاطمة رضي الله تعالى عنها الى صاع فطحنته وخبزت منه خمسة أقراص على عددهم وصلى علي كرم الله تعالى وجهه مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المغرب ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فوقف بالباب سائل فقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أنا مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله تعالى من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا شيئا الا الماء وأصبحوا صياما ثم قامت فاطمة رضي الله تعالى عنها الى صاع آخر فطحنته وخبزته وصلى علي كرم الله تعالى وجهه مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المغرب ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فوقف يتيم بالباب وقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يتيم من أولاد المهاجرين أطعموني أطعمكم الله تعالى من موائد الجنة فآثروه ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئا الا الماء فلما أصبحوا صياما فلما كان يوم الثالث قامت فاطمة رضي الله تعالى عنها الى الصاع الثالث وطحنته وخبزته وصلى علي كرم الله تعالى وجهه مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المغرب فاتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فوقف اسير بالباب فقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أسير محمد عليه الصلاة والسلام أطعموني أطعمكم الله تعالى من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء فلما أصبحوا أخذ علي كرم الله تعالى وجهه الحسن والحسين وأقبلوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورآهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال يا أبا الحسن ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم وقام فانطلق معهم الى فاطمة رضي الله تعالى عنها فرآها في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها من شدة الجوع فرق لذلك صلى الله تعالى عليه وسلم وساءه ذلك فهبط جبريل عليه السلام فقال خذها يا محمد هنأك الله تعالى في أهل بيتك قال وما آخذ يا جبريل فاقرأه هل أتى على الانسان السورة وفي رواية ابن مهران فوثب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى دخل على فاطمة فأكب عليها يبكي فهبط جبريل عليه السلام بهذه الآية ان الابرار يشربون الى آخره وفي رواية عن عطاء ان الصبر كان من اجرة حتى نخل وانه جعل في كل يوم ثلث منه عصيدة فآثروا بها واخرج ابن مردويه من ابن عباس انه قال في قوله سبحانه ويطعمون الخ نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعليها وسلم في بذكر القصة والخبر مشهور بين الناس وذكره الواحدي في أسباب النزول وعليه قول بعض العينية

إلام ألام وحتى متى ● أعاتب في حب هذا الفتى
وهل زوجت غيره فاطم ● وفي غيره هل أتى هل أتى

وتعقب بأنه خبر موضوع مفتعل كما ذكره الترمذي وابن الجوزي وآثار الوضع ظاهرة عليه!

Marfat.com

انتهى ومعنى ثم انه يقتضي أن تكون السورة مدنية الان يشهد على كرم الله تعالى وجهه على فاطمة رضي الله تعالى عنها كان بالمدينة وهي عند ابن عباس الذي هو عنه على ما أخرج النحاس مكية وكذا عند الجمهور في قول والقول أمر مكيتها ومدنيتها اختلف فيه جدا كما سمعت فلا يجزم فيه بشيء وابن الجوزي نقل الطبر في تيسير تعويل بتعقبه على انه من يتساهل في أمر الوضع حتى قالوا انه لا يعول عليه في هذا الباب فاحتمال أصل النزول في الامير كرم الله تعالى وجهه وفاطمة رضي الله تعالى عنها قائم ولا حجر بمنع ولا اثبات تعارض الاخبار ولا يكاد يسلم الترجيح عن قيل وقال نعم لعل ترجيح عدم وقوع الكيفية التي تضمنتها الرواية الاولى ثم انه على القول بنزولها فيهما لا يتخصص حكمها بهما بل يشمل كل من فعل مثل ذلك كما ذكره الطيبي من الشيعة في مجمع البيان راويا له عن عبد الله بن ميمون عن أبي عبد الله رضي الله تعالى عنه وعلى القول بعدم النزول فيهما لا يتطامن مقامهما ولا ينقص قدرهما اذ دخولهما في الابرار أمر جلي بل هو دخول أولي فيهما وما عسى يقول آمرؤ فيهما سوى ان عليا مولى المؤمنين ووصي النبي وفاطمة البضعة الاحدية والجزء المحمدي وأما الحسنان فالروح والريحان وسيدا شباب الجنان وليس هذا من الرفض بشيء بل ما سواه عندي هو الغي

أنا عبد الحق لا عبد الهوى ● لمن الله الهوى فيمن لمن

ومن اللطائف على القول بنزولها فيهما انه سبحانه لما ذكر فيما الحور العين وأتبعه سبحانه وتعالى عليهن عاية طرمة البتول فرة عين الرسول لئلا تثور نفوسهن الطيبة اذا سمعت بضرة وهي في أفواه الجنات الطباع البشرية ولو في الجنة ولا يخفى عليك ان هذا زهرة ربيع ولا تحمل الفرك ثم التذكير على ذلك أيضا من باب التغليب وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه بالزامهم على وزن فاعل ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ حال من هم في جزاهم والعامل جزى وصبرهم الجزاء بهذه الحالة لانها أتم حالات التنعم ولا يضر في ذلك قوله تعالى يا صبروا لان الصبر في الدنيا وما تسبب عليه في الآخرة وقيل صفة الجنة ولم يبرز الضمير مع ان الصفة جارية على غير من هي عليه على مثل متكئين هم فيها لعدم الالباس كما في قوله

قومي ذرى المجد بانوها وقد علمت ● بكنه ذلك عدنان وقحطان

وأنت تعلم ان هذا رأي الكوفية ومذهب البصريين وجوب ابراز الضمير في ذلك مطلقا وفي البيت الاول قيل يجوز كونه حالا مقدرة من ضمير مروا ليس بذاك والارائك جمع أريكة وهي السرير في الحجلة من دونه ستر ولا يسمى مفردها أريكا وقيل هو كل ما اتكئ عليه من سرير وفراش أو منصة وكان تسميته بذلك لكونه متكأ للاقامة أحدا من قولهم أرك بالمكان أروكا أقام واصل الاروك الاقامة على رعي الاراك الشجر المعروف ثم استعمل في غيره من الاقامات وقوله تعالى ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ اما حال ثانية من الضمير أو حال من المستكن في متكئين وجوز فيه كونه صفة لجنة أيضا والمراد من ذلك أن هواءها معتدل لا حر شمس يضر ولا شدة برد يؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر فقصد بنفي الشمس نفيها ونفي لازمها مما لتوله سبحانه ولا زمهريرا فاستغناء قيل لا يرون فيها حرا ولا قرا وقيل الزمهرير القمر ومن غلب أنه في لغة طيء وأنشد

وليلة ظلامها قد اعتكر ● قطعتها والزمهرير ما زهر

وليس هذا الان طيبة باردة كما قيل لانحلي حينئذ للتمدح بل قيل أنه بمعنى على أن الانوار كلها انارة فيحتمل ان ذلك لفساد أعظا فمن الزمهرير الكواكب لغة والذي على هذا القول ان هواءها معتدل بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر وفي الحديث

Marfat.com

ان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ ورب حانة يزهر وقصر مشيد الحديث ثم أنها مع هذا قد يظهر فيها نور اقوى من نورها كما تشهد به الاخبار الصحيحة وفي بعض الآثار عن ابن عباس رضا أهل الجنة في الجنة اذ رأوا شواً كضوء الشمس وقد أشرفت الجنان به فيقول أهل الجنة بارضوان ماهذا وقد قال ربنا لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا فيقول لهم رضوان ليس هذا بشمس ولا قمر ولكن علي وفاطمة رضي الله تعالى عنهما ضحكا فأشرقت الجنان من نور ثغريهما ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ﴾ عطف على الجملة قبلها حالها أو صفة لمحذوف معطوف على جنة فيما سبق أي وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرأ أبو حيوة دانية بالرفع وخرج على ان دانية خبر مقدم لظلالها والجملة في حيز الحال على ان الواو عاطفة أو حالية أو في حيز الصفة على ان الواو عاطفة أيضا أو للالتفات على ما يراه الزمخشري وقال الاخفش ظلالها مرفوع بدانية على الفاعلية واستدل بذلك على جواز اعمال اسم الفاعل من غير اعتماد نحو قائم الزيدون وقد مضت أنه لا يصلح للاستدلال لامكان القيام ذلك الاحتمال على انه يجوز ان يكون خبر المبتدا محذوفا أي وهي دانية عليهم ظلالها وقرأ أبي ودان كذلك ولا يتم الاستدلال به للاخفش أيضا وان كان بينه وبين ماتقدم فرق ما وقرأ الاعمش ودانيا عليهم نحو خالدا أبصارهم والمراد أن ظلال أشجار الجنة قريبة من الابرار مطلقا عليهم زيادة في نعيمهم ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾ أي سخرت ثمارها لتناولها وسهل أخذها من النزال وهو ضد الصعوبة قال قتادة وجاهد وسفيان ان كان الانسان قائما تناول الثمر دون كلفة وان كان قاعدا أو مضطجعا فكذلك فيما تناولها لا يرد يده عنها بعد ولا شوك والجملة حالية من ضمير دانية أي تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها أو معطوفة على ما قبلها وهي فعلية معطوفة على اسمية في قراءة دانية بالرفع ونكتة التخالف ان استدامة الظل معلوم بالعادات والتجدد في تقابل التطوف على حسب الحاجة ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ ﴾ جمع اناء كاكساء والكسية وهو ما يوضع فيه الشيء والاواني جمع الجمع ﴿ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ جمع كوب وهو قدح لا عروة له كما قال الراغب وفي القاموس كوز لا عروة له أو لا خرطوم له وقيل الكوز العظيم الذي لا أذن له ولا عروة ﴿ كَانَتْ ﴾ أي تلك الاكواب ﴿ قَوَارِيرَا ﴾ جمع قارورة وهي اناء رقيق من الزجاج يوضع فيه الاشربة وانصبه على الحال فان كان تامة وهو الاظهر فحالية قوارير وقوله تعالى ﴿ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ بدل والكلام على التشبيه البليغ فالمراد تكونت جامدة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبين الفضة وبياضها وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور والبيهقي عن ابن عباس قال لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى جعلتها مثل جناح الذباب لم ير الماء من ورائها ولكن قوارير الجنة بياض الفضة مع صفاء القوارير وأخرج ابن أبي حاتم عنه أنه قال ليس في الجنة شيء مما في الدنيا شيء الا قوارير من فضة وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر بتنوين قوارير في الوصلين وصلا وابتداء الفا وقفا وابن كثير بمنع صرف الثاني وبصرف الاول لوقوعه في الفاصلة وآخر الآية وقف عليه بالف مطلقا كما لغيره من كلمات الفواصل والتنوين عند الزمخشري في الاول بدل من ألف الاطلاق كما في قوله ٭ يا صاح ما هاج البيون الذرف ٭ وفي الثاني للاتباع فتذكر والقراءة بمنع صرفهما للجمع وابن عامر وحمزة وأبي عمرو وقرأ الاعمش الثاني قوارير بالرفع أي هي قوارير ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ أي قدروا تلك القوارير في أنفسهم على حسبما قدروا لا نزيد على ذلك ولا ينقص ان يقع زيادة عليه وفي معناه قول الطائي

ولو صورت نفسك لم تزدها ٭ على ما فيك من كرم الطباع

Marfat.com

فانه ينبغي من كون نفسه خلقت على أتم ما ينبغي من مكارم الصفات بحيث لا تزيد على ذلك فصدروها الازدار الطاف عليهم أو قدروا شرابها على قدر الري وهو أشد الشارب قال ابن عباس انوا بها على الطاعة لا يفضلون شيأ ولا ينتقون بعدها شيأ وعن مجاهد تقديرها انها ليست بالأولى التي تغيض ولا بالناقصة التي تضيق فالضمير على ماهو الظاهر للسقاة الطائفين بها المفهوم عليه بقوله تعالى يطاف عليهم وقد روى عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عباس انه قال قدروها السقاة وقيل التي قدروها باعظم الطاقة فجاءت على حسبها والضمير على هذا قيل للملائكة وقيل للسقاة وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه وابن عباس والسلمي والشعبي وقتادة وزيد بن علي والجحدري والاصمعي عن أبي عمرو وابن عبد الخالق عن يعقوب وغيرهم قدروها على البناء للمفعول وانما خص في تخريجها فقال أبو علي كان اللفظ قدروا عليها وفي القلب لان حقيقته أن يقال قدرت عليهم فهو نحو قوله تعالى ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة وقول العرب اذا طلعت الجوزاء ارتق الود على الفرباء وقال الزمخشري وجه ذلك ان يكون من قدرت الشيء بالتخفيف أي بلغت مقداره فنقل الى التفعيل فتعدى لاثنين أحدهما الضمير النائب عن الفاعل والثاني ها والمعنى جعلوا قادرين لها لا شاؤا وأطاقوا لم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا وقال أبو حاتم قدرت الاواني على قدر ريهم فسر بعضهم هذا بان في الكلام حذفا وهو أنه كان قدر على قدر ريهم فلما حذف على فصار قدر نائب الفاعل ثم حذف فصار ريهم نائب الفاعل ثم حذف وصاروا واقع نائب الفاعل واتصل الضمير الثاني بقدر فصار قدروها وقال أبو حيان الاقرب أن يكون الاصل قدر ريهم تقديرا فحذف المضاف وهو الري وأقيم الضمير مقامه فصار قدروا منها ثم اتسع في الفعل فحذفت من ووصل الفعل الى الضمير بنفسه فصار قدروها فلم يكن فيه الا حذف مضاف واتساع في الظرف ولا يخفى ان القلب وتضمينه قرره البعض تكلف جدا وفي كون ما اختاره أبو حيان أقرب مما اختاره جار الله نظر ولله أكثر الكلام وقوله تعالى ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ يجري فيه مثل ما جرى في قوله تعالى (يشربون من كاس كان مزاجها كافورا) الخ من الاوجه والزنجبيل قال الدينوري نبت في أرض عمان وهو عروق تسري في الارض وليس بشجرة ومنه ما يحمل من بلاد الزنج والصين وهو الاجود وقالت العرب تحبه لانه يوجب الدعابة في الانسان اذا مزج بالشراب فيلذون وقد يذكرونه في وصف شاب النساء قال الاعشى

كان القرنفل والزنجبيل ✻ باتا بفيها واريا مشورا

وقال عمرو بن العيزار عن علي ✻ وكان طعم الزنجبيل به ✻ اذ ذقته وسلافا بالقر

وعده بعضهم في الشربات وكون الزنجبيل لسلسبيل في الجنة مروي عن قتادة وقال يشرب منها المقربون صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة والظاهر أنهم تارة يشربون من كاس مزاجها الكافور وتارة يسقون من كاس مزاجها زنجبيل ولعل ذكر يسقون هناك ويشربون لانه الانسب بما تقدمه من قوله تعالى ويطاف عليهم الخ ويمكن ان يكون فيه رمز الى ان هذه الكاس أعلى درجة من الكاس الاولى وعن الكلبي يسقى بجامين الاول مزاجه الكافور والثاني مزاجه الزنجبيل والسلسبيل السلسل والسلسال قال الزجاج ما كان من الشراب غاية في السلاسة وسهولة الانحدار في الحلق وقال ابن الاعرابي لم أسمع السلسبيل الا في القرآن وكان الدين انما سميت بذلك لسلاستها وسهولة مسافها قال عكرمة عين سلسل ماؤها وقال مجاهد حديدة الجرى سلسة سهلة المساغ وقال مقاتل عين يتسلسل عليهم ماؤها في مجاريهم كيف شاؤا وهي على ماروى عن قتادة عين تنبع

من

Marfat.com

من تحت الثرى من جنة عدن المتسلسل الى الجنان وفي البحر الظاهر ان هذه العين تسمى سلسبيلا يعني توصف بانها سلسبيل في الانسياغ سهلة في الحلق ولا يحمل سلسبيل على انه اسم علم لانه الى ذلك كان ممنوع الصرف للتأنيث والعلمية وقد روى من طريق ابن أبي حاتم وغيره عنها فان كان علما فوجه قراءة الجمهور بالتنوين التناسب للمواصل كما قيل في سلاسلا وقواريرا وزعم الزمخشري ان الياء زيدت فيه حتى صارت الكلمة خماسية فان عنى أنها زيدت حقيقة فليس بجيد لان الياء ليست من حروف الزيادة المعهودة وان عنى انها حرف جاء في منتهى الكلمة وليس في سلسل ولا في سائل صح ويكون تلاقي معناه وكان اختلاق المادة التمس وفي الكشف لا يريد الزيادة المصطلحة الا ترى الى قوله حتى صارت خماسية وهو أيضا من الاشتقاق الا أبر فلا تغفل وقال بعض المفسرين سلسبيلا أمر أبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولأمته بسؤال السبيل اليها وعزوه الى علي كرم الله تعالى وجهه وهو غير مستقيم بظاهره الا أن يراد ان جملة قول القائل سلسبيلا جملت اسبالسين كما قيل تأبط شرا وذري حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استغنائه في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل الامير كرم الله تعالى وجهه أبدع وأوضح بعضهم على انه افتراء عليه كرم الله تعالى وجهه وفي شعر ابن مطران الغاني

سلسبيلا لها الى راحة النفس ✻ براح كأنها سلسبيل

وفيه الجناس اللفظي واستعمله غير واحد من المحدثين (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ) أي الخدمة (وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ) أي دائمون على ما هم فيه من الطراوة والبهاء وقيل مقرطون بخلدة وهي ضرب من القرط وجاء في حديث أخرجه جماعة مرفوعا عن أنس مرفوعا انهم ألف خادم وفي بعض الآثار أصناف ذلك الولدان في الجودة أعظم من الواحد أو سع هو يختلف ذلك لقلة وكثرة باختلاف أحوال القادمين (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا) حسنهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم وجوههم وثيابهم في مجالس الجنة ومنازلها وتشبيههم في بعض وقيل شبهوا بالمنثور لكثرتهم وانتشارهم في الخدمة وأكثر ما وقع التشبيه بالمنثور من صفة الكثير لان الحسن وأكثر ما وقع التشبيه بالمنظوم من صفة القليل لان الانتظام غير ملحوظ والخطاب في رأيتهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو لكل واقف عليه وكذا في قوله تعالى (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ) أي هناك يعني في الجنة وهو في موضع النصب على الظرف ورأيت منزل منزلة اللازم فيفيد العموم في المقام الخطابي فالمعنى ان بصرك اينما وقع في الجنة (رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا) عظيم القدر لا تحيط به عبارة وهو يشمل الحسوس والمعقول وقال عبد الله بن عمرو السكلبي عريضا واسعا يبصر أدناه منزلة في الجنة في مقلة مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وذلك لما يعطى من حد مد النظر أو هو من خصائص الجنة وقال مجاهد هو استئذان الملائكة عليهم السلام فلا يدخلون عليهم الا باذن وقال الترمذي وأظنه كما ظن أبو حيان الحكيم الأبي سهل المحدث صاحب الجامع هو ملك التكوين والتمليك اذا أراد شيئا كان وقيل هو النظر الى الله عز وجل وقيل غير ذلك وقيل الملك الدائم الذي لا زوال له وزعم الفراء ان الذي واذا رأيت ما ثم رأيت الخ وخبر عن انه أراد أن ثم ظرف لمحذوف وقع صلة لموصول محذوف هو مفعول رأيت والتقدير واذا رأيت ما ثم رأيت نعيما الخ فحذف ما كما حذف في قوله تعالى الذ تقطع بينكم أي ما بينكم وتعقبه الزجاج ثم الزمخشري بأنه خطأ لانه لا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة وأنت تعلم ان الكوفيين يجيزون ذلك ومنه قوله

فمن يهجو رسول الله منكم ✻ ويمدحه وينصره سواء

أراد ومن يمدحه فحذف الموصول وأبقى صلته وقد قال ان ذلك انما يرد لو أراد أن الموصول مقدر أما لو أراد الذي وان الظرف يغني فتأمل المقول به فهو كلام صحيح لان الظرف والترقي عليها الجنة وقد أحيط الاخر ثم يتم

Marfat.com

التأخير عطف جواب اذا على هذا محذوف يقدر بنحو تحير فكرك أو يتحير رأيت ما لا يكتنه ونحوه (عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ) قيل عاليهم ظرف بمعنى فوقهم على انه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة حال من الضمير المجرور في عاليهم فهي شرح لحال الأبرار المطوف عليهم وقال أبو حيان ان عالي نفسه حال من ذلك الضمير وهو اسم فاعل وثياب مرفوع على الفاعلية به ويحتاج في اثبات كونه ظرفا الى أن يكون منقولا من كلام العرب عاليك ثوب مثلا ومثله فيما ذكر عالية وقيل حال من ضمير القائم أو من ضمير جزاهم وقيل من الضمير المستتر في متكئين والشكل بعيد وجوز كون الحال من مضاف مقدر قبل نعيما أو قبل ملكا أي رأيت أهل نعيم أو أهل ملك عاليهم الخ وهو تكلف غير محتاج اليه وقيل صاحب الحال الضمير المنصوب في حسبتهم فهي شرح لحال الطائفين ولا يخفى بعده لما فيه من لزوم التفكيك ضرورة أن ضمير سقاهم فيما بعد كالتمهيد عوده على الأبرار وعدم كونه من التفكيك مع القرينة البينة وهو عالأبأس به نحوه واعترض أيضا بأن مضمون الجملة يصير داخلا تحت الحسبان وكيف يكون ذلك ولم لا يكون الثياب حقيقة بخلاف كونهم لؤلؤاً فانه على طريق التشبيه المقتضي لقرب شبههم بالؤلؤ أن يحسبوا لؤلؤاً وأجيب بأن الحسبان في حال من الأحوال لا يقتضي دخول الحال تحت الحسبان ورفع خضر على أنه صفة ثياب واستبرق على أنه معطوف على ثياب والراد وثياب استبرق والسندس قال ثياب رقاق من الديباج وفيل ما رق من ثياب الحرير والفرق ان الديباج ضرب من الحرير السدوج يكون ألوانا وقال الليث هو ضرب من البزيون يتخذ من الرعز وهو معرب بلا خلاف بين أهل اللغة على ما في القاموس وغيره وزعم بعض انه مع كونه معربا أصله سندي بالدال المهملة لانه يجلب من السند فابدلت الدال سينا كما قال في سادي سادس وهو كما ترى والاستبرق قيل ما غلظ من ثياب الحرير وقال أبو اسحق الديباج الصفيق الغليظ الحسن وقال ابن دريد ثياب حرير نحو الديباج وعن ابن عبادة هو ريدة حمراء وقيل هو النسوج من الذهب وهو اسم أعجمي معرب هذه جمع امله بالفارسية استبره وفي القاموس معرب استروه وحكى ذلك عن ابن دريد وانه قال النصر باني وقيل معرب استقره وما في صورة الفاعليست فاء خالصة وانما هي بين الفاء والباء وقيل عربي واقتفاه الراغب فيه لغة تميم واستصوبه الأزهري وكالاختلاف فيه هل هو معرب أو عربي اختلفوا هل هو نكرة أو علم جنس بمنزلة أو معرب أو ممنوع من الصرف وهمزته همزة قطع أو وصل والصحيح على ما قال الخفاجي أنه نكرة معرب مصروف مقطوع الهمزة كما يشهد به القراءة المتواترة وسيعلم ان شاء الله تعالى حال ما يخالفها وفي جامع الغريب ان جمعه أبارق وتصغيره أبيرق حذفت الياء والتاء في التكسير لانهما زيدتا مما فاجرى مجرى الزيادة الواحدة وفي التسمية خلاف أيضا مذكور في محله ولم يذكر كون هذا الاستبرق وأشار ناصر الدين الى انه الحضرة خضر وان توسط بين المعطوف والمعطوف عليه فهو لهما وعلى كل حال هذه الثياب لباس لهم ورجحا تفسير الآية بأن لحمها ثيابا أخرى وقيل على وجه الحالية من ضمير متكئين ان الراد فوق حيطانهم المضروبة عليهم ثياب سندس الخ وحاصله ان حيطانهم مكللة بالسندس والاستبرق وقرأ ابن عباس بخلاف عنه والأعرج وأبو حيوة وشيبة وابن محيصن ونافع وحمزة عاليهم بسكون الياء وكسر الهاء وهي رواية ابان عن عاصم فهو مرفوع بضمة مقدرة على الياء على أنه مبتدأ وثياب خبره وعند الأخفش فاعل سد مسد الخبر وقيل على انه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر وأجيز به عن النكرة لاتخصيصها باضافة لفظية ومعنوية مثل الجماعة كما في سامر أينجرون على ما صرح به سيبويه ولا حاجة الى التزامه على رأي الأخفش وقيل هو باق على النصب والفتحة مقدرة على الياء وأنت تعلم

Marfat.com

ان مثله شاذ أو ضرورة فلا ينبغي أن يخرج عليه القراءة المتواترة وقرأ ابن مسعود والأعمش وطلحة وزيد بن علي عالِيَهم بالياء والتاء مضمومة وعن الأعمش أيضا وأبان عن عاصم فتح التاء الفوقية وتخريجهما كتخريج عاليهم بالسكون والنصب وقرأ ابن سيرين ومجاهد في رواية وقتادة وأبو حيوة وابن أبي عبلة والزعفراني وأبان أيضا عليهم جارا ومجرورا فهو خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر وقرأت عائشة عليهم بناء الفاعل ماضيا ثيابُ فاعل وقرأ ابن أبي عبلة وأبو حيوة ثياب سندس بثنون ثياب ورفع سندس على انه وصف لها وهذا كما تقول ثوب حرير تريد من هذا الجنس وقرا الحرميان وابو عمرو في رواية واستبرق بالجر عطفا على سندس وقرأ ابن كثير وابو بكر بجر خضر صفة لسندس وهو وفي معنى الجمع وقد صرحوا بان وصف اسم الجنس الذي يفرق بينه وبين واحده بتاء التأنيث بالجمع جائز فصيح وعليه ينبغي ان السحاب الثقال والنخل باسقات وقد جاء سند سائق الواحد كما قاله غير واحد وجوز كونه صفة لثياب وخضر صفة لاستبرق وفي توافق القراءتين بمعنى الآن قال وقرأ الأعمش وطلحة وزيد بن علي وأبو عمرو بخلاف عنه وأبو حيوة والكسائي خضر واستبرق بجرهما وقرأ ابن محيصن واستبرق بوصل الألف وفتح القاف كما في عامة كتب القراآت وبهم من الكشاف انه قرأ بقطع الفتح وان غيره قرأ بما تقدم وهو خلاف المعروف وخرج الفتح على المنع من الصرف للعلمية والعجمة وغلط بأنه نكرة بدخله حرف التعريف فيقال الاستبرق وقيل ان هذا كذا والوصل مبني على انه عربي مسمى بالمنقول من البريق يقال برق واستبرق كعجب واستعجب فهو في الأصل فعل ماض ثم جعل علما لهذا النوع من الثياب فتح من الصرف للعلمية ووزن الفعل دون العجمة ونعلب بأن كونه معربا مما لا ينبغي أن ينكر وقيل هو مبني منقول من جملة فعل وضمير مستتر وهاء لا يحق واختار ابو حيان ان استبرق على قراءة ابن محيصن فعل ماض من البريق كاستعجب واستجاب فهو في الأصل فعل ماض ثم جعل علما لهذا النوع المعروف من الثياب وفيه ضمير عائد على السندس أو على الأخضر الدال عليه خضر كما قالوا وصف بالأخضر فوهي لما يكون في الشدتها وهو فيش استبرأ في ذلك اللون بريقه وحسنه بزيل فيه فقيل واستبرق اي برق ولمع لمعانا شديدا ثم قال ومرشاهين غلطه كأبي حاتم والزمخشري وهذا التخريج أولى من تلحين قارىء جليل مشهور بمعرفة العربية وتوجيه شاهد ثقة قد أخذ عن أكابر العلماء التي وقبل الجملة عليه مستأنفة أو حال بتقدير قد أو بدونه ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ﴾ جمع سوار وهو معروف وذكر الراغب انه معرب دستواره ﴿مِن فِضَّةٍ﴾ هي فضة لائقة بتلك الدار والظاهر ان هذا عطف على يطوف عليهم واختلافهما بالنفي والمضارعة لأن الحالية مقدمة على الطواف التجدد ولا يناقي ما هنا قوله تعالى أساور من ذهب لامكان الجمع بتعدد الأساور لكل والمناقية بلبس الذهب تارة والفضة أخرى والتبعيض بان يكون أساور بعض ذهب وبعض فضة لاختلاف الأحوال وقيل هو حال من ضمير عليهم باضمار قد أو بدونه فان الضمير العائد على أن يكون عليهم حالا من ضمير حسبتهم جاز ان يقال الفضة للخدم والذهب للمخدومين وجوز ان يكون المراد بالأساور الأنوار الفاضة على أهل الجنة المتفاوتة لتفاوت الأعمال تفاوت الذهب والفضة والتعبير عنها بأساور الأيدي لانه مجزاء ما عملت أيديهم ولا يحق ان هذا لا يبقى بالتفسير وحري ان يكون من باب الاشارة ثم ان التحلية ان كانت للولدان فلا كلام ويكونون على القول الثاني في مخلدون مسورين مقرطين وهو من الحسن بمكان وان كانت لأهل الجنة المخدومين فقد استشكل بأنها لا تليق بالرجال وأنها تليق بالنساء والولدان وأجيب بأن ذلك مما يختلف باختلاف العادات والطبائع ونشأة الآخرة غير هذه النشأة ومن التقاعد في الدنيا ان بعض ملوكها يحلون بالمصاغ وعلى رجالهم وعلى صدورهم بيض أنواع الحلي مما هو

Marfat.com

عند بعض الطباع أولى بالنساء والصبيان ولا يرون ذلك بدعا ولا نقصا في ذلك لسكان الأقصى العادة فلا يبعد أن يكون من طباع أهل الجنة في الجنة الميل الى المحق مطلقا لا سيما ومع مجرد مرد أبناء ثلاثين وقيل ان الأساور انما تكون لنساء أهل الجنة والصبيان فقط لكن غلب في اللفظ جانب الذكور وهو خلاف الظاهر كالايخفى (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) هو نوع آخر يطوف الموحدين السابقين وهو ممتزج بالكافور وما مزج بالزنجبيل كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين وصفه بالطهورية قال أبو قلابة يؤتون بالطعام والشراب فاذا كان آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فيطهر بذلك قلوبهم وبطونهم ويفيض عرقا من جلودهم مثل ريح المسك وعين ماءها هو ماء عين على باب الجنة من سائ شجرة من شرب منه نزع الله تعالى ما كان في قلبه من غش وغل وحسد وما كان في جوفه من قذر وأذى أي ان كان فالطهور عليما يعني للطهر وقد تقدم في ذلك كلام فتذكر وقال غير واحد أريد انه في غاية الطهارة لانه ليس برجس كخمر الدنيا التي هي في الشرع رجس لان الدار ليست دار تكليف أو لانه لايصير نجسه الأيدي الوضرة وأفواه الاقدام النتنة ولم يجعل في الدنان والأباريق التي في بيعها طهورا أولانه لايؤل الى النجاسة لانه يرشح عرقا من أبدانهم اريح كريح المسك وقيل أريد بذلك الشراب الروحاني لا المحسوس وهو عبارة عن التجلي الرباني الذي يسكر هم صاحوه

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا ✽ ونور ولا نار وروح ولا جسم

وأنت قال ماذكره ابن الفارض في خمريته التي مطلعها

سقوني وقالوا لاتقل ولو سقوا ✽ جبال حنين ماسقوني لغنت

ويحكى انه سئل أبو يزيد عن هذه الآية فقال سقاهم شرابا طهرهم به عن محبة غيره ثم قال ان لله تعالى شرابا ادخره لافاضل عباده يتولى سقيهم اياه فاذا شربوا طاشوا واذا طاشوا طاروا واذا طاروا وصلوا واذا وصلوا اتصلوا فهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر وحمل بعضهم جميع الآثرية على غير المباشر منها فقال ان الأنوار الفائضة من جواهر أكابر الملائكة وعظمائهم عليهم السلام على هذه الأرواح مشبهة بالسماء العذب الذي يزيل العطش ويقوي البدن وكانت البدون متفاوتة في الصفاء والكثرة والقوة فكذا ينابيع الأنوار القوية مختلفة فبعضها فورية على طبع البرد واليبس ويكون صاحب ذلك في الدنيا في مقام الحزن والبكاء والانقباض وبعضها يكون زنجبيليا على طبع الحر واليبس ويكون صاحبه قليل الالتفات الى السوى قليل المبالاة بالأجسام والجسمانيات ثم لايزال الروح البشرى متنقلا من بليوع الى بليوع ومن نور الى نور ولاشك ان الأسباب والمسببات متعانقة ارتقاؤها الى واجب الوجود الذي هو النور المطلق جل جلاله فاذا وصل الى ذلك المقام وشربه ذلك الشراب انهضمت تلك الآثرية المتقدمة بل غابت لان نور ما سوى الله يضمحل في مقابلة نور جلال الله سبحانه وتعالى وكبريائه وذلك آخر سير الصديقين ومنتهى درجاتهم في الأرتقاء والكمال وقد ختم الله تعالى ذكر ثواب الابرار بقوله جل وعلا وسقاهم ربهم شرابا طهورا (إِنَّ هَٰذَا) الذي ذكر من فنون الكرامات الجليلة الشأن (كَانَ لَكُمْ جَزَاءً) بمقابلة أعمالكم الصالحة التي اقتضاها حسن استعدادكم واختياركم والظاهر ان المجيء بالفعل لتحقيق القيام وجوز أن يكون المراد كان في علمي وحكمي وكذا في قوله تعالى (وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا) أي مرضيا مقبولا أو مجازى عليه غير مضيع والكلام على ماروى عن ابن عباس على اضمار القول أي ويقال لهم بعد دخولهم الجنة ومشاهدتهم ما أعد لهم ان هذا الخ والغرض أن يزداد سرورهم فانه يقال للمطالب علا بعد سلك الرقي فيزداد غبه والمطالب هذا بطاعاتكم وعملكم الحسن فيزداد سروره ويكون ذلك تتمة

Marfat.com

وجوز أن يكون خطابا من الله تعالى في الدنيا فانه سبحانه يبدأ في شرح ثواب أهل الجنة قال ان هذا كان لي على وحكى جزاءكم يا معشر عبادي وكان سعيكم مشكورا أي مقبولا وهو لائق بمن الاخبار ليرتبط به قوله وقد ذكر سبحانه من الجزاء ما تهش له الالباب وأعظمه جل وعلا بما يدل على الرضا الذي هو أعلى وأغلى لدى الاحباب

انا كنت عني يا منى القلب راضيا ● أرى كل من في الكون عني يبتسم

وروى من طرق أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ هذه السورة وقد أزلت عليه وعنده رجل من الحبشة أسود فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة خرجت نفسه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخرج نفس صاحبكم الشوق الى الجنة ولما ذكر سبحانه أولا حال الانسان وقسمه الى الطائع والعاصي وأتبع جل شأنه فيما أعده للطائع مشيرا الى عظم منة الرحمة ذكر ما شرف به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ازالة لوحشة وتقوية لقلبه فقال عز قائلا ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾ اي أنزلناه مفرقا منجما في نحو ثلاث وعشرين سنة لحكم بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع إن سياق الكلام كان للفصل تأكيدا أو فصلا أو مبتدأ ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ بتأخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ﴿ وَلَا تُطِعْ ﴾ فاصبر بذلك على اذاهم وضجر امن تأخر نصرك ﴿ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ قيل ان أولا حد النهيين في جميع مواقعها ويعرض لها معان أخر كالعلة والاباحة وغيرها فيكون أصل النهي هنا ولا تطع منهم أحد النوعين ولما كان أحد الاقلب عليه في غير الآيات المسوم واحتمال تعيه احتمال مرجوح صار النهي عن الطاعة هنا وهسنا ولم يؤت بالواو لاحتمال الكلام عليه النهي عن المجموع وبحصل امتثاله بالانتهاء عن واحد دون الآخر فلا يرد أن لا تطع أحد النوعين يحصل الامتثال به بترك الطاعة واحد مع الطاعة الآخر اذ يقال لئن فعل ذلك انه لم يطع أحدهما ومن هنا قيل ان أو في الاثبات تفيد أحد الامرين وفي النفي تفيد نفي الامرين جميعا ولعل ماذكر في معنى كلام ابن الحاجب حيث قال ان وضع أو لاثبات الحكم لاحد الامرين الا أنه ان حصلت قرينة يفهم منها ان أحد الامرين غير حاجز من الآخر مثل قولك جالس الحسن أو ابن سيرين معي اباحة وان حجر فهو لاحد الامرين واستشكل بعضهم وقوعها في النهي كلا تطع منهم آثما أو كفورا اذ لو النهي عن أحدهما لبقي منهم من لم يشمله النهي وعلى هذا بعضهم بقي أيا عيدة على اتيانها بمعنى الواو والاولى ان تبقى على بابها وانما جاء التعميم فيما من وراء ذلك وهو النهي الذي فيه معنى النفي لان النفي قبل وجود النهي تطع آثما أو كفورا أي واحدا منهما فاذا جاء النهي ورد على ماكان ثابتا في النفي فيصير النفي والانطع واحدا منهما فيجيء التعميم فيهما من جهة النهي وهي على بابها فيما ذكر لانه لايحصل الانتهاء من أحدهما حتى ينتهي عنهما بخلاف الاثبات فانه قد يمتثل أحدهما دون الآخر انتهى وعليه ماقيل ان الفائدة المسوم في النفي والنهي الذي في معناه لما أن نقيض الايجاب الجزئي السلب الكلي وقريب من ذلك قول الزجاج ان أوههنا أوكد من الواو لانك اذا قلت لاتطع زيدا وعمرا فأطاع أحدهما كان غير عاص فاذا أبدلتها بأو فقد دلت على ان كل واحد منهما أهل لان يعصى ويطلب منه النهي عن طاعتهما معا كما لايخفى وأفاد جار الله ان أو بالية على حقيقتها وان النهي عن طاعتهما جميعا انما جاء من دلالة النص وهي المسمى مفهوم الموافقة بقسميه الاولى والمساوي فتأمل والمراد بالآثم والكفور جنسهما ولعل التعبير بذلك مشعر بعلية الوصفين له فلا بد ان يكون النهي عن الاطاعة في الاثم والكفر لا فيما يلابس الاثم ولا الكفر والمراد لا تطع مرتكب الاثم الداعي اياك اليه أو مرتكب الكفر الداعي اليه أي لا تتبع أحدا من الآثم اذا دعاك الى الاثم ومن الكفور اذا دعاك الى الكفر فانه اذا قيل لاتطع

Marfat.com

العلم فهم منه لا تنبه في الكلام لما دعاك اليه ومنع هذا الفهم مكابرة فلا يتم الاستدلال بالآية على عدم جواز الاقتداء بالفاسق لما صلى أمامنا ثم ان التقسيم باعتبار ما يدعوان اليه من الكفر والاثم المقابل له لا باعتبار الذوات حتى يكون بعضهم آثما وبعضهم كفوراً فيقال كيف ذلك وكلهم كفرة والبالغة في كفور قبل لموافقة الواقع وهذا كقوله تعالى ولا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واعتبار رجوعها الى النهي كاعتبار رجوعها الى النفي على ما قيل في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد كما ترى وقيل الآثم الفاسق والكفور المشرك الجاهر وقيل الآثم عتبة بن ربيعة والكفور الوليد بن المغيرة لان عتبة كان وكابا اثما آثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في الشر ومن مقاتل انهما قالا له صلى الله تعالى عليه وسلم ارجع عن هذا الامر ونحن نرضيك بالمال والتزويج فنزلت وقيل الكفور أبو جهل والآية نزلت فيه والاول ملتقدم وفي النهي مع العصمة ارشاد لغير المعصوم الى التضرع الى الله تعالى والرغبة اليه سبحانه في الحفظ من الوقوع فيما لا ينبغي (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) ودوام على ذكره سبحانه في جميع الاوقات أو دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل قد يطلق على ما بعد الزوال الى الغروب فيتظمهما (وَمِنَ اللَّيْلِ) أي بعضه (فَاسْجُدْ لَهُ) فصل (له) عن وجل على أن السجود مجاز عن الصلاة بذكر الجزء وارادة الكل وحمل ذلك على صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام لما في صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص (وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً) وتهجد له تعالى قطعا من الليل طويلا فهو أمر بالتهجد على ما اختاره بعضهم وتنوين ليلا للتبعيض وأصل التسبيح التنزيه ويطلق على مطلق العبادة القولية والعملية وعن ابن زيد وغيره أن ذلك كان فرضا ونسخ فلا فرض اليوم الا الخمس وقال قوم هو محكم في شأنه عليه الصلاة والسلام وقال آخرون هو كذلك مطلقا على وجه الندب وفي تخصيص الظرف قبله بالذكر على أنه ليس بفرض فالذي قبله وكذا في التسبيح عند التسبيح وفي نظر وقال الطيبي الاقرب من حيث النظم المتعالي لما نهى حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم عن الطاعة الآثم والكفور وحثه على الصبر على آلامهم وافراطهم في العداوة وأراد سبحانه أن يرشده الى مقارعتهم عقب ذلك بالامر باستراق أوقاته بالعبادة ليلا ونهارا بالصلوات كلها من غير اختصاص والتسبيح مما يطلق على متوالي قوله تعالى ولقد نعلم أنك يضيق صدرك مما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين انتهى وهو حسن (إِنَّ هَؤُلاَءِ) الكفرة (يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) ويتهمكون في قناتها الفانية (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ) أي أمامهم (يَوْماً ثَقِيلاً) هو يوم القيامة وكونه أمامهم ظاهر أو يذرون وراظهورهم يوما ثقيلا لا يجوزون به فالظرف قبل على الاول حال من يوما وعلى هذا ظرف يذرون ولو جعل على بابه واحدا في المتعلق صح أيضا ووصف اليوم بالثقيل لشدته ودنه وهوله بتمثيل بليغ قارح يلاحظ فيه بطريق الاستعارة والجملة كالتعليل لما أمر به نهى عنه كأنه قيل لا تطيعهم واشتغل بالاهم من العبادة لان هؤلاء شغلوا بالآخرة دنيا فاتركهم أنت الدنيا ولعلها للآخرة وقيل ان هذا يفيد ترهيب حب العاجل وترغيب حب الآجل والاول علة النهي عن الطاعة الآثم والكفور والثاني علة الامر بالعبادة (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ) لا غيرنا (وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ) أي أحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب والعروق والاسر في الاصل القد والربط وأطلق على ما يقد به ويربط كالهسنا وارادة الاعصاب والعروق لتسببها باطبال الربوط بها ووجه التنبيه ظاهر ومن هنا قد يقول العارف من كان أسره من ذاك وسجنه دنياه في حياته فليبك مدة عمره وليتاسف على وجوده بأسره وليراع شدة الخلق وكونه موثقا

Marfat.com

حسنا وبه قرض ماسور الخلق اذا كان موثقه حسنا ومن هذا عقد الأسر الشرج وفسر بجرى النفقة وعند ذلك جعله بحيث اذا خرج الاذى انقبض ولا يخفى أن هذا داخل في عدة الخلق وكونه موثقا حسنا ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ﴾ أى أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في عدة الخلق ﴿تَبْدِيلًا﴾ بديع الاريب فيه بنى البيت والنداة الاخرى فالتبديل في الصفات لان المعاد هو المبدأ ولكون الامر هينا كانا حيث بدانا وذكر التبديل لايهام وقت وعلم تابع لما يقول العظيم لمن يسأله الانعام اذا شئت أحسن اليك ويجوز أن يكون المعنى واذا شئنا أهلكناهم وبدلنا غيرهم ممن يطيع فالتبديل في الذوات لتعلق قدرته تعالى عليه وتعلق ما يقتضيه من أمرهم المقتضى لاستئصالهم بجعل ذلك المقدور الهدم كالخلق وغيره مما يتعلق به مفعولها الذى أراده الزمخشرى بما نقل عنه من قوله اذا جاز ذلك لانه وعيد حيث به على سبيل البالغة كان له وقما مبنيا ولا يعترض عليه بقوله تعالى وان تولوا يستبدل قوما غيركم لان الشكلت لايلزم اطرادها فافهم والوجه الاول وفق سياق النظم الجليل ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ اشارة الى السورة أو الآيات القرآنية ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أى فمن شاء ان يتخذ اليه تعالى سبيلا أى وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه أى تقرب اليه بالطاعة فهو توصل ايضا السبيل المقاصد ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ أى تيسا أو اتخاذ السبيل ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أى الا وقت مشيئة الله تعالى لمشيئكم وقال الزمخشرى أى وما تتناولون الطاعة الا ان يشاء الله تعالى قسرهم عليها وهو تحريف للآية بلا دليل ويلزمه على مذهب الاعتزال ان يكون العبد لا يوجد الا اذا اقتضوهو عن مذهب الاعتزال بمنزل والعاجز مقرون الان القبول المعروف هو المذكور أولا لانقول لو شئت لقتلت زيدا الى لو شئت القتل لاوشئت زيدا أولا يمكن لعتزلى ان يقول الفعل في ذلك لان المشيئة ليست من الافعال الاختيارية والا لتسلسلت بل الفعل المقرون بها منها فدعوى استقلال العبد مكابرة وكذلك دعوى الجبر الخالص مكابرة والامر بين الامرين لآيات المشيئتين وعاضدها على ما حققه الكوراني أن العبد مختار في أفعاله وغير مختار في اختياره والثواب والعقاب لحسن الاستعداد النفسى الامرى وسوئه فكل يعمل على شاكلته وسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وفي التفسير الكبير هذه الآية من الآيات التي تلاطمت فيها أمواج القدر والجبر فالقدرى يتمسك بالجملة الاولى ويقول ان مفادها كون مشيئة العبد مستلزمة لفعل وهو مذهبي والجبرى يتمسك بضم الجملة الثانية ويقول ان مفادها ان مشيئة الله تعالى مستلزمة لمشيئة العبد فيتحصل من الجملتين ان مشيئة الله تعالى مستلزمة لمشيئة العبد وان مشيئة العبد مستلزمة لفعل العبد كما تؤمن به الشرطية فالمن مشيئة الله تعالى مستلزمة لفعل العبد لان مستلزم المستلزم مستلزم وذلك هو الجبر وهو صريح مذهبي وتطلب بان هذا ليس بالجبر المحض للقلوب معه الاختيار بالكلية بل يرجع أيضا الى أمرين وقدر بعض الاجلة مفعول يشاء الاتخاذ والتحصيل ردا للكلام على الصدر فقال ان قوله سبحانه وما تشاؤن الخ تحقيق للحق ببيان أن لهم مشيئتهم غير ناشئة في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية أى وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئة تعالى اتخاذه وتحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا في الكسب وأما التأثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وفيه نوع مخالفة للظاهر كما لا يخفى ثم قيل ان ظاهر الشرطية أن مشيئة العبد مطلقا مستلزمة لفعل فيلزم أنه متى شاء فعلا فعله مع أن الواقع خلافه فلا يد مما قاله هذا البعض وجعل الجملة الثانية تحقيقا للحق وأجيب بانها للتحقيق على وجه آخر وذلك أن الاولى أفهمت الاستلزام والثانية بينت أن هذه المشيئة المستلزمة لا تتحقق الا وقت مشيئة الله تعالى ايانا

Marfat.com

فكأنه قيل وما تشاؤن مشيئة تستلزم الفعل الا وقت أن يشاء الله تعالى مشيئتكم تلك فتأملوا أنت تعلم أن هذا من أدق مدارك الأفهام ومزال أقدام أقوام بعد أقوام وأقوى شبه الجبرية أنه قد تقرر أن العبد ما لم يجب له بوجه فان وجب صدور الفعل فلا اختيار والا فلا صدور وبعبارة أخرى أن جميع ما يتوقف عليه الفعل اذا تحقق فلما أن يلزم الفعل فيلزم الاضطرار أولا فيلزم جواز تخلف المدلول عن علته التامة بل مع الصدور الترجيح بلا مرجح فقد قيل لها نحو شبهة ابن قرمة في التوحيد يصعب التفصي عنها والفقير العاجز عن الله تعالى فقره ويسر أمره عزم على تأليف رسالة ان شاء الله تعالى في ذلك سائلا فيها بتوفيقه سبحانه أحسن المسالك وان كان الكوراني قدس سره لم يدع فيما طالا وأوشك أن يدع كل من جاء بعد فيما يدعي عليه عيالا والله تعالى الموفق وقرأ العربيان وابن كثير وما يشاؤن بياء الغيبة وقرأ ابن مسعود الا ما يشاء الله وما فيه مصدرية فان في قراءة الجماعة وقد أشرنا الى أن المصدر في محل نصب على الظرفية بتقدير الخافض الساد هو مسده وهو ما اختاره غير واحد وتبعه أبو حيان بأنهم نصوا على أنه لا يقوم مقام الظرف الا المصدر الصرح فلا يجوز أجيئك أن يصيح الديك أو مايصيح الديك وانما يجوز أجيئك صياح الديك وأنت خبير بأن هذا قليل ان أن يشاء بتقدير حرف الجر والاستناد من أهم الاسباب أي وما تشاؤن بسبب من الاسباب الا بأن يشاء الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ مبالغا في العلم فيعلم مقتضيات العباد المتعلقة بالافعال التي سألوها بألسنة استعداداتهم ﴿حَكِيمًا﴾ مبالغا في الحكمة فيفيض على كل ما هو الأوفق باستعداده وما هو عليه في نفس الامر من المشيئة أو انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستأهل كل أحد من الطاعة وخلافها فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه سبحانه وتقتضيه حكمته عز وجل وقيل عليما أي يعلم ما يتعلق به مشيئة العباد من الافعال حكيما لا يشاء الا على وفق حكمته وهو أن يشاء العبد فيشاء الرب سبحانه وتعالى لا العكس ليأتي التكليف من غير انفراد لاحد المشيئتين عن الاخرى وفيه بحث وقوله تعالى ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ الخ بيان لما تضمنته الجملة قبل أي يدخل سبحانه في رحمته من يشاء أن يدخله فيها وهو الذي علم فيما لم يزل حين يوفقه لما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ أي لانفسهم وهم الذين علم فيما لم يزل الصر ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ منتهيا في الايلام ونصب الظالمين باضمار فعل يفسره أعد الخ وقدر يعذب وقد يقدر أو عد أو ما أو شبه ذلك ولم يقدر أعدلانه لا يتعدى بلام وقرأ ابن الزبير وأبان بن عثمان وابن أبي عبلة والظالمون على الابتداء وقراءة الجمهور أحسن وان أوجبت تقديرا قبل فيها وذهابه في هذه الى الجملة عليها اسمية والاولى فعلية والاتيان زيادة التأكيد في طرف الوعيد معلوما لانه قبول الامر بالعكس لو حقق لسبق الرحمة الغضب وقرأ عبد الله والظالمين بلام الجر فيحتمل متعلق بما بعد على سبيل التوكيد وقيل هو بتقدير أعد للظالمين أعد لهم والجمهور على الاول ثم ان هذه السورة وان اشتملت من سعة رحمة الله عز وجل ما اشتملت الا أنها أشارت من عظيم جلاله سبحانه وتعالى الى ما أشارت أخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه والضياء في المختارة والحاكم وصححه وغيرهم عن أبي ذر قال قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أبي على الانسان حتى ختمها ثم قال اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط مالها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل وهذا كالظاهر فيما قلنا نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الابرار والمقربين الاخيار فيرزقنا جنة وحريرا ويجعل سعينا فيه مشكورا بحرمة النبي صلى الله تعالى

عليه

عليه وسلم واهل بيته المطهرين من الرجس تطهيرا

سورة المرسلات

وتسمى سورة العرف وهي مكية فقد أخرج البخاري ومسلم والنسائي وابن مردويه عن ابن مسعود قال بينما نحن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غار بمنى اذ نزلت عليه سورة والمرسلات عرفا فكنا نتلوها وانى لأتلقاها من فيه وان فاه لرطب بها اذ خرجت علينا حية فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اقتلوها فابتدرناها فسبقتنا فدخلت جحرها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها ومن ابن عباس وقتادة ومقاتل ان فيها آية مدنية وهي واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون وظاهر حديث ابن مسعود هذا عدم استثناء ذلك وأظهر منه ما أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه عنه أيضا قال كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غار فنزلت عليه والمرسلات فاخذتها من فيه وان فاه لرطب بها فلا أدري بأيهما ختم فأي حديث بعده يؤمنون واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون وآيها خمسون آية بلا خلاف ومناسبتها لما قبلها أنه سبحانه لما قال فبما قبل يدخل من يشاء في رحمته إلخ افتتح هذه بالاقسام على ما يدل على تحقيقه وذكر وقته وأشراطه وقبل إنه سبحانه أقسم على تحقيق جميع ما تضمنته السورة قبل من وعيد الكافرين الفجار ووعد المؤمنين الأبرار فقال عز من قائل

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ فيسل أقسم سبحانه بعشر من اخباره من الملائكة عليهم السلام على ما أخرجه عبد بن حميد عن ابن مسعود فيسل المرسلات والعاصفات طوائف والناشرات والفارقات والملقيات طوائف أخرى فالاولى طوائف أرسلن بأمره تعالى وأمرن بانفاذه فعصفن في ذلك وأسرعن كما تعصف الريح تحقيقا في امتثال الامر وايقاع العذاب بالكفرة انقاذا للانبياء عليهم السلام ونصرة لهم والثانية طوائف تنشر أجنحتهن في الجو عند تعاطين بالوحي فيفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الى الانبياء عليهم السلام واهل من باقي الذكر لهم غير القاض بجبريل عليه السلام بل هو رئيسهم ويرشد الى هذا حديث الرصد وفي بعض الآثار نزل الى ذلك بالوكا من ربي فوضع رجلا في السماء والى الاخرى بين يدي فالمرسلات صفة لمحذوف والتراد والى طائفة من ملائكة وكذا الناشرات ونصب عرفا على الحال والتراد متتابعة وكان الاصل والمرسلات متتابعة كالعرف وهو عرف الدابة كالعرف والضبع أعني الشعر المعروف على قفاها فحذف متتابعة لدلالة التشبيه عليه ثم حذف اداة التشبيه مبالغة ومن هذا قولهم جاؤا عرفا واحدا اذا جاؤا يتبع بعضهم بعضا وهم عليه كعرف الضبع اذا تابعوا عليه ويؤخذ من كلام بعض ان العرف في الاصل ما ذكر ثم اكثر استعماله في معنى التتابع فصار فيه حقيقة عرفية أو على أنه مفعول له على أنه بمعنى المعروف الذي هو نقيض النكر أي والمرسلات للاحسان والمعروف ولا يخفى على ذلك أن الارسال لعذاب الكفار لان ذلك ان لم يكن معروفا لهم فانه معروف للانبياء عليهم السلام والمؤمنين الذين انعم الله تعالى عليهم وعطف الناشرات على ما قبل بالواو ظاهر القدير بالذات بينها وعطف العاصفات على المرسلات والفارقات على الناشرات وكذا تنبيه بالفاء لتنزيل تغاير الصفات منزلة تغاير الذات كما في قوله

يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب

وهي للدلالة على ترتيب معاني الصفات في الوجود أي الذي صبح فغنم فآب وترتيب معنى الامر على

Marfat.com

الارسال به والامر بانذاره ظاهر وأما ترتيب القاء الذكر الى الانبياء عليهم السلام على الفرق بين الحق والباطل مع ظهور تاخر الفرق عن الالقاء فقيل لتاويل الفرق بارادته فحينئذ يتقدم على الالقاء وقيل لتقدم الفرق على الالقاء من غير حاجة الى أن يؤول بارادته لانه بنفس نزولهم بالوحي الذي هو الحق المخالف للباطل الذي هو الهوى ومقتضى الرأي الفاسد وانما العلم به متاخر ومن هذا يظهر ترتيب الفرق على نشر الاجنحة اذ الحاصل عليه نشر اجنحتين للنزول فنزلن فالقين وهو غير ظاهر على ما فيه لان ارادة الفرق تجامع النشر وكذا ارادته اذا أول أيضا بحسب الظاهر بل وعلى ان تلك الارادة قبل وقبل ان العاد في ذلك الترتيب الزمني ضرورة ان ارادة الفرق أعلى رتبة من النشر وقبل انهما فيه وفيما بعده لمجرد الاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة أعني النشر والفرق مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتعظيم والاجلال بالاقسام بين فانه لوحي بها على ترتيب الوقوع فربما فهم أن مجموع الثلاثة الاخيرة هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق واستيلاء العاصفات يعني المسرعات سرعة الريح العاصف على سبيل الاستعارة ولا يبعد ان يراد بالعاصفات الذاهبات الهلكات بالعذاب الذي أرسلن به من أرسلن اليه على سبيل الاستعارة أيضا أو المجاز المرسل وعذرا ونذرا في قوله تعالى (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) جوز أن يكونا مصدرين من عذر اذا أزال الاساءة ومن أنذر اذا خوف بما آل فعل كالشكر والكفر والاول ظاهر لان فعلا من مصادر الثلاثي وأما الثاني فعلى خلاف القياس لان قياس مصدر أفعل الافعال وقيل هو اسم للمصدر كالطاقة أو مصدر نذر يعني أنذر وتسومح فيما تقدم وان يكونا جمع عذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار وانتصابهما على البلية والعامل فيهما الملقيات أو ذكرا وهو بمعنى التذكير والبلية بالترغيب والترهيب أي فالملقيات ذكرا لاجل العذر للمحقين أو لاجل النذر للمبطلين أو على الحالية من الملقيات أو الضمير المستتر فيها على التأويل أي عاذرين أو منذرين أو على البدلية من ذكرا على أن المراد به الوحي فيكونان بدل بعض أو التذكير والبلية فيكونان بدل كل وان يكونا وصفين بمعنى عاذرين ومنذرين فنصبهما على الحالية لا غير وأو في جميع ذلك للتنويع لا للترديد ومن ثم قال الشهرزوري في مشكل القرآن انها بمعنى الواو وقيل النسائية طوائف نشرن الشرائع في الارض الى آخر ما تقدم ووجه العطف بأن المراد أردن النشر فنزلن فالقين واحتيج لتأويل لمكان الالقاء الى الانبياء عليهم السلام والا فهو لا يحتاج اليه في النشر والفرق لظهور ترتب الفرق على النشر كذا قيل فلا تغفل وقيل طوائف نشرن النفوس الولي بالكفر والجهل بما أوحين فنزلن الخ والنشر على هذا بمعنى الاحياء وفيما قبله بمعنى الاشاعة وقيل لا مغايرة بين الكل الا بالصفات وهم جميعا من الملائكة على الاقوال السابقة بيد أنه لم يشر هذا القائل لتفسير النشر بنشر الاجنحة فقال أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلن من عند الله تعالى بالوحي متتابعات كعصف الرياح في الامتثال ونشرن الشرائع في الارض أو نشرن النفوس الولي بالجهل بما أوحين من العلم فنزلن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا وظاهره أيضا أن الارسال للانبياء بالشرائع من الامر والنهي بناء على أن الاوامر جمع جمع المخصوص بالامر مقابل النهي فهي للاعم الاكثر وخص الامر بالذكر قبل لانه أعم مع أنه لا يؤدى ما يراد من النهي بعينه كدع مثلا وقيل في عطف الناشرات بالواو دون الفاء وعطف الفارقات به أن النشر عليه بمعنى الاشاعة للشرائع وهو يكون بعد الوحي والدعوة والقبول وينقضي زمانا فلذا جيء بالواو وهو بالفاء التعقيبية واذا حمل النشر ترتب عليه الفرق من غير مهلة ولا يتوهم أنه كان حق الناشرات حينئذ ثم لانه لا يضلق القصد

Marfat.com

هنيا بالتراخي وفي الكلام في وجه تقديم نشر الشرائع أو نشر النفوس والفرق على الاطلاق مع أنها بعده في الواقع فقيل الايذان بكونها غاية الالقاء حقيقة بالاعتناء أو الاشعار بان كلا من الاوصاف مستقل بالدلالة على استحقاق التعظيم كما سمعت على أن باب التأويل واسع فتدبر وقيل أقسم سبحانه بأفراد نوعين من الرياح فيقدر فالمرسلات موصوف والناشرات موصوف آخر ويراد بالمرسلات الرياح المرسلة كالعذاب لان الارسال شاع فيه وبالناشرات رياح رحمة وعلامة أنه جل وعلا أقسم برياح عذابين أرسلين فصفين ورياح رحمة تنشر السحاب في الجو ففرقه على البقاع فالفين ذاكرا إما عذرا للذين يعتذرون الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم اذا شاهدوا آثار رحمته تعالى في الغيث وإما انذاراً للذين يكفرون ذلك وينسبونه الى الانواء ونحوها واستدراج الفساد الاعتكار البين للكونين سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت فالجواز في الاسناد والراد يعرفا مناسبة أو الناشرات رياح رحمة تنشر السحاب وأثرها أي صرن سببا لذلك بتفريق السحاب وادرار الغيث فرقن في صنف من سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص فسببن ذكراً إما عذراً أو انذارا كافرين وقيل أقسم سبحانه أولا بالرياح وثانيا بسحاب تنشر الرياح فرقن بين من يشكر وبين من يكفر كقوله تعالى لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فسببن ذكرا اما واما وقيل أقسم جل وعلا بآيات القرآن المرسلة الى رسوله الله صلى الله تعالى عليه وسلم فصلا واصلا أو شيئا بعد شيء لانها نزلت منجمة فصلت وآذنت سائر الكتب بالنسخ ونشرت آثار الهدى في مشارق الارض ومغاربها وفرقت بين الحق والباطل فالفين ذكر الحق في أكناف العالمين وقيل أقسم جل جلاله برسله من البشر أرسلوا احسانا وفضلا كما هو المذهب الحق لا وجوبا كما زعم من زعم فانتشروا وعظم أمرهم ونشروا دينهم وما جاؤا به ففرقوا بين الحق والباطل والحلال والحرام فالقوا ذكرا بين الكافرين ويجوز أن يراد على هذا بعرفا مناسبة وقيل أقسم تبارك وتعالى بالنفوس الكاملة أي المخلوقة على صفة الكمال والاستعداد لقبول ما تلقت به وخلقت لاجله المرسلة احسانا الى الابدان لاستكمالها فصفين وآذنت ما سوى الحق بالنظر في الادلة الحقة ففرقت بين الحق بتحقق بذاته الذي لا مدخل للغير فيه وهو واجب الوجود سبحانه وبين الباطل المعدوم في نفسه فرأين الى شيء معدوما الا وجوده فالقين في القلوب والالسنة ومكن فيها ذكره تعالى فليس في الوجود شيء الا ذاكره عز وجل أو مذكر ذكره سبحانه عن القلوب والالسنة فلا ذكر فيها لما عداه وقيل الثلاثة الاولى الرياح والاخيرة الملائكة عليهم السلام وقيل بالعكس والمناسبة بالطاعة وسرعة الحركة وقيل الاولى للملائكة الا ان الرسالات ملائكة الرحمة والعاصفات ملائكة العذاب والثلاثة الاخيرة آيات القرآن النازلة بالملائكة وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر من وجه عن أبي صالح أنه قال المرسلات عرفا الرسل ترسل بالعرف والعاصفات عصفا الرياح العواصف والناشرات نشرا الملائكة ينشرون الكتب أي كتب الاعمال كما جاء مصرحا به في بعض الروايات والفارقات فرقا الملائكة يفرقون بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا الملائكة أيضا يجيؤن بالقرآن والكتاب عذرا أو نذرا منه تعالى الى الناس وهم الرسل يعذرون وينذرون وعن أبي صالح روايات أخر في ذلك وكذا عن أجلة الصحابة والتابعين فعن ابن مسعود وأبي هريرة ومقاتل المرسلات الملائكة أرسلت بالعرف ضد النكر وهو الوحي وفي أخرى عن ابن مسعود أنها الرياح وفسر العاصفات بالعديدات الهبوب وروى تفسير المرسلات بذلك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وفي أخرى عن ابن عباس

Marfat.com

أنها جماعة الانبياء أرسلت أفضالا من الله تعالى على عباده وعن أبي مسعود الناشرات الرياح تنشر رحمة تعالى ومطره وروى عن مجاهد وقتادة وقال الربيع الملائكة تنشر الناس من قبورهم قال الضحاك الصحف تنشر على الله تعالى بأعمال العباد وعليه تكون الناشرات على معنى النسب وعن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والضحاك الفارقات الملائكة تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقال قتادة والحسن وابن كيسان آيات القرآن فرقت بين ما يحل وما يحرم وعن مجاهد أيضا الرياح تفرق بين السحاب فتبدده وعن ابن عباس وقتادة والجمهور الملقيات الملائكة تلقي ما حملت من الوحي الا الانبياء وعن الربيع آيات القرآن ومن الناس من فسر العاصفات بالآيات المهلكة كالزلازل والصواعق وغيرها ومنهم من فسر الفارقات بالسحاب الماطرة على تشبيها بالناقة الفارق وهي الحامل التي تجزع حين تضع ومنهم من فسرها بالطول تفرق بين الحق والباطل والصحيح والفاسد الى غير ذلك من الروايات والاقوال التي لا تكاد تضبط والذي أحاله أظهر كون المقسم به شيئين الرسالات العاصفات والناشرات الفارقات الملقيات لعدة ظهورا لعطف بالواو في ذلك وكون الكل من جنس الريح لانه أوفق بالمقام المتضمن لامر المطر والنشر مع أن الآثار القاعدة المترتبة على الرياح تربيا قريبا وبعيدا تنادي بأعلى صوت حتى يكاد يغلبه صوت المنع في الصور على امكان ذلك وصحته ودخوله في حيطة مشيئة الله تعالى وعظيم قدرته ومع هذا الاقوال كثيرة فاياك وأنت غير مجهود عليك فاختر لنفسك ما يحلو وقرأ عيسى عرفا بضمتين نحو نكر في نكر وقرأ ابن عباس فالملقيات بالتشديد من التلقية وقيل وهي الالقاء ابصال الكلام الى المخاطب يقال لقيته الذكر فتلقاه وذكر البلوي أنه رضي الله عنه قرأ فالملقيات بفتح اللام والتشديد الذال اسم مفعول أي ملقاة من الله عز وجل وقرأ زيد بن ثابت وابن خارجة وطلحة وأبو جعفر وأبو حيوة وعيسى والحسن بخلاف والاعمش عن أبي بكر عذرا أو نذرا بضم الذال وقرأ الحرميان وأبو عامر وأبو بكر وزيد بن علي وعيسى وأبو جعفر أيضا بسكون الذال في عذرا وضمها في نذرا وقرأ ابراهيم النخعي ونذرا بالواو وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ جواب القسم وما موصولة أو نكرة موصوفة والعائد محذوف أي ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة ويجوز أن يراد بالموصول جميع ما تضمنته السورة السابقة وهو خلاف الظاهر جدا ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ أزيل أثرها بازالة نورها أو بانعدام ذاتها وانعدامها بالكلية وكل من الامرين سيكون وليس من المحال في شيء ومازعمه الفلاسفة القدموين في أمر تلك الاجرام واستحالة التعدي والعدم عليها الوهن من بيت العنكبوت وما زعمه المعاصرون منهم فيها وان كان غير ثابت عندنا الا ان امكان الطمس فيه في غاية الظهور ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ شقت كما قال سبحانه اذا السماء انشقت وبوم تشقق السماء بالغمام وقيل فتحت كما قال سبحانه وفتحت السماء فكانت أبوابا وأشد سيبويه ● الفارجي باب الاسبالي ● ولا مانع من ذلك أيضا سواء كانت السماء جسما صلبا أو جسما لطيفا وأدلة استحالة الخرق والالتئام فيها خروق لا تلتئم ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ جعلت كالعهن الذي ينسف بالنفش ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا فالدهر فرقها الرياح وذلك بعد التسيير وقيل ذلك حيلها عليها وقيل نسفت أخذت من مقارها عن انتسفت العير اذا اختطفت وقرأ عمرو بن ميمون طمست وفرجت بتشديدهما والزهري في الكشاف أن الافعال الثلاثة قرئت بالتشديد ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ أي جعلت ميقاتا الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة ويجوز أن يكون المعنى عين لها الوقت الذي تحضر فيه الشهادة على الامم وذلك

Marfat.com

عند حيث وعمله والوجه هو الاول كما قال جار الله وتحقيقه كما في الكشف أن توقيت الشيء تحديده وتعيين وقته فيقتضي على الفعلية بالخبر لان الوقت هو الاحداث لا الجثث ويجيء بمعنى جعل الشيء منتهيا الى وقته المحدود وعلى هذا يقع عليها دون الخبر اذا كان بينها وبين ذلك الوقت ملابسة وان ما كان لوجه لان القيامة ليست وقتا يتبين فيه وقت الرسل الذي يحضرون فيه للشهادة بل هي نفس ذلك الوقت واذا الرسل أقتت يقتضي ذلك لانك اذا قلت اذا أكرمتني اكرمتك اقتضى ان يكون زمان اكرام المخاطب للمتكلم هو ما دل عليه اذا سواء جعل الظرف مبتدأ أو مسند الجزاء أي فلا بد من التأويل وقد أشير اليه في ضمن التفسير وقرأ الحسن والحسن وعيسى وعاصم أقتت بالهمزة وتخفيف القاف وقرأ أبو الاشهب وعمرو بن عبيد وأبو عمرو وعيسى أيضا وقتت بواو على الاصل لان الهمزة بدل من الواو المضموم ما قبلها لازما وهو أمر مطرد كما بين في محله وقال عيسى وقتت اذا سقط مضر وقرأ عبد الله بن الحسن وأبو جعفر وقتت بواو واحدة وتخفيف القاف وقرأ الحسن أيضا ووقتت بواوين على وزن فوعلت واذا في جميع ما تقدم شرطية وقوله تعالى (لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ) قيل مقول القول مقدر هو جواب اذا أي يقال لاي يوم أجلت الخ وجعل التأجيل بمعنى التأخير من قولهم دين مؤجل في مقابل الحال والضمير لما يشعر به الكلام والاستفهام للتعظيم والتعجيب من هول ذلك اليوم أي اذا كان حالهم وكذا يقال لاي يوم أخرت الامور المتعلقة بالرسل من تعذيب الكفرة وأعدائهم وتنعيم المؤمنين ورعايتهم وظهور حالات الرسل عليهم السلام تذكيرا من الآخرة وأحوالها وفظاعة أمورها وأهوالها وجوز ان يكون الضمير للامور المشار اليها فيما قبل من طمس النجوم وفرج السماء ونسف الجبال وتأقيت الرسل وان يكون للرسل الآتي ذكرهم على نحو ما مر وقيل ان يكون القول المقدر في موضع الحال من مرفوع أقتت أي مقولا فيها لاي يوم أجلت وان تكون الجملة تفسيرا من غير تقدير قول في موضع المفعول الثاني لاقتت على أنه بمعنى أعلمت كما قيل واذا الرسل أعلمت وقت تاجيلها أي بجيئه وحصوله وجواب اذا على الوجهين قيل قوله تعالى الآتي ويل يومئذ للمكذبين وجاء حذف الفاء في مثله وقيل محذوف لدلالة الكلام عليه أي وقع الفصل أو وقع ما توعدون واختار هذا أبو حيان ويجوز على احتمال كون الجواب ويل يومئذ للمكذبين أو تقدير القول مؤخرا كون جملة لاي يوم أجلت اعتراضا للتهويل شأن ذلك اليوم وقوله تعالى (لِيَوْمِ الْفَصْلِ) بدل من لاي يوم مبين له وقيل متعلق بفعل تقديره أجلت ليوم الفصل بين الخلائق (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ) أي أي شيء حملك اداراه على أن ما الاولى مبتدأ والدراك خبره والثانية خبر مقدم ويومئذ مبتدأ مؤخر لا بالعكس لافادة خبره بيوم الان غرض الفائدة بيان كون يوم الفصل أمرا بديعا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه لا فيه وتغيير نظم البيان أولا لتهويل أمر يوم الفصل لا فيه مكذبوه وضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التقرير والتهويل الله ومن الكلام (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) أي في ذلك اليوم الطويل وويل في الاصل مصدر بمعنى هلاك ونحوه العرب يعمل من افعاله أو معناه الا انه رفع على الابتداء للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه وان يستمر فلا يوصف فسوغ الابتداء به ظاهر والمشهور أن مسوغ ذلك كونه للدعاء كما في سلام عليكم (أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ) لقوم نوح وعاد وثمود وقرأ قتادة بكسر التون على انه من هلك يهلك بمعنى أهلك ومنه هلك بمعنى مات كما هو الظاهر في قول الشاعر

ومهمه هالك من تعرجا ٭ هالك أهواله من أدرجا

Marfat.com

لئلا يلزم حذف الضمير مع حرف الجر أعني به أو فيه وليناسب ما في المقطر الثاني (ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخَرِينَ) بالرفع على الاستئناف وهو وعيد لأهل مكة واخبار عما يقع بعد الهجرة كقدر كأنه قيل ثم نحن نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين ونسلك بهم سبيلهم لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويه قراءة عبد الله ثم سنتبعهم بسين الاستقبال وجوز العطف على قوله تعالى ألم نهلك الى آخره وقرأ الأعرج والعباس عن أبي عمرو نتبعهم باسكان العين فعلى الجزم والعطف على نهلك فيكون المراد بالآخرين الماضين هلاكا من الله كورين لقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام دون ديار أهل مكة لانهم بعد ما كانوا قد أهلكوا والعطف على نهلك يقتضيه وجوز أن يكون قد سكن تخفيفا كما في وما يشعركم فهو مرفوع كما في قراءة الجمهور الا ان الضمة مقدرة (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك الفعل الفظيع (نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) أي كل من أجرم والمراد أن سنتنا جارية على ذلك (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ) أي يوم اذ أهلكناهم (لِّلْمُكَذِّبِينَ) بآيات الله تعالى وأنبيائه عليهم السلام وليس فيه تكرير لما ان الويل الأول للعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا وقيل لا تكرير لاختلاف متعلق التكذيبين في الموضعين بأن يكون متعلقة هنا ما سمعت وفيما تقدم يوم الفصل ونحوه وكذا يقال فيما بعد وجوز اعتبار الاتحاد والتأكيد أمر حسن لا ضير فيه (أَلَمْ نَخْلُقْكُم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ) من نطفة قذرة مهينة وليس فيه دليل على نجاستها (فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ) هو الرحم (إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ) أي مقدار معلوم عند الله تعالى من الوقت قدره سبحانه للولادة تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر (فَقَدَرْنَا) أي فقدرنا ذلك تقديرا (فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) أي فنعم القادرون نحن وجوز أن يكون التي فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والأول أولى لقراءة على ترجمة الله تعالى وجهه والواقع والكسائي فقدرنا بالتشديد وقوله تعالى من نطفة خلقه فقدره وقوله سبحانه الى قدر معلوم قراءة فخيما بان جعلت الغاية مقصودة بنفسها قيل فقدرنا فلك تقديرا أي تقديرا دالا على كمال القدرة وكمال الرحمة على أن حديث القدرة قد تم في قوله تعالى ألم نخلقكم وقول الطيبي في ترجيح الثاني اثبات القدرة أولى لان الكلام مع المنكرين لا وجه له لانا لا نسلم انكار هذه القدرة ولو سلم فقد قرروا بها بقوله تعالى ألم نخلقكم فتأمل (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) أي بقدرتنا على ذلك أو الاعادة (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا) الكفات اسم جنسي أو اسم آلة لما يكفت أي يضم ويجمع من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع وأنشدوا قول الصمة بن الطرماح

فأنت اليوم فوق الأرض حي ٭ وأنت غدا اضمك في كفات

وعن أبي عبيدة تقديره ذا كفاتها وقوله تعالى (أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا) مفعول الفعل محذوف الكفات الان اسم الجنس ولذا اسم الآلة كالمسرح والمحراث لا يعمل أي ألم نجعلها كفاتا للكفت وتجمع أحياء كثيرة على ظهرها وأمواتا غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر كالقتال نعت به للمبالغة فلا يحتاج الى تقدير فعل وقيل جمع كافت كصيام وصائم فلا يحتاج الى تقدير أيضا أو جمع مخففت بكسر الكاف وسكون الفاء وهو الوعاء كقدح وقداح وأجرى على الأرض مع جمعه وافرادها باعتبار أقطارها وجوز انتصاب الجمعين على الحالية من مفعول كفاتا المحذوف والتقدير كفاتا أيامكم أو أيانا أو كفاتا الاتي أحياء وأمواتا أو من مفعول محذوف مع فعله أي كفاتا تكفتهم أو تكفتكم أو تكفت الاتي أحياء وأمواتا وأن يكون انتصابهما على المفعولية لتجعل بتقدير مضاف أي ذات أحياء وأموات أو على ان المراد بأمواتا الأرض الموات على ما أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد

Marfat.com

وباعياء ما يطلبها وانتصاب كناسا على الحالية من الارض وأنت تعلم أن التصابها على المفعولية أظهر وبعده انتصابها على الحالية من محذوف وتنويتها على ما سمعت أولا للتكثير وجوز ان يكون للتبعيض باراءة احياء الانس واموالهم وهم ليسوا بجميع الاحياء والاموات ولا يتسأتى ذلك التضخيم نظرا الى انه بعض غير محصور كثير في نفسه فلا تغفل واستدل الكعبا بالآية على وجوب سوراء البيت ومذهب مالك ابن عبد العزيز احتج ابن القاسم بها على قطع الباش لانه امتداد جبل القبر لجعت كالبيت الذي فيكون حرزا ولا يخفى ضعف الاستدلالين (وَجَآئُوا فِيهَا رَوَابِيَ) أي حبالا تواثت (شَامِخَاتٍ) مرتفعات ومنه شمخ بأنفه ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير الطلاء مطرد كما تقدم مرارا وتنكيرها للتفخيم أو للاشعار بان في الارض جبالا لم تعرف ولم يوقف عليها فارض الله تعالى واسعة وفيها ما لم يطلعه الا الله عز وجل وقيل الاشعار بأن في الجبال ما لم يعرف وهو الجبال السماوية وهو مما يوافق أهل الفلسفة الجديدة اذ قالوا بوجود جبال كثيرة في القمر وظنوا وجودها في غيره وتعقب بأنه تفسير بما لم يعرف (وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَّآءً فُرَاتًا) أي عذبا وذلك بأن خلقناه في أصولها وأجريناه الكم منها في أنهار وأبنياه في منابع تستمد بالسنوده فاء فيها وقد يفسر بما يعم أمهون بالنبوات النازل من السماء (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) بامتناع هذه النعم العظيمة (انطَلِقُوا) أيها (يقال لهم يومئذ توبيخا وتقريعا انطلقوا (إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ) في الدنيا من العذاب (انطَلِقُوا) أي مضوا حاليين تكرارا للأول وقيل هو تكرار له وان قيد بقوله تعالى (إِلَىٰ ظِلٍّ) هو ظل دخان جهنم كما قاله جمهور المفسرين فهو كقوله تعالى وظل من يحموم وقيه استعارة تهكمية وقد أخرج ابن أبي حاتم عن يعقوب انطلقوا بصيغة الماضي وهو استئناف بياني كأنه قيل فما كان بعد الأمر فقيل انطلقوا الى ظل (ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ) منصب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق تفرق الذوائب وفي بعض الآثار يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانه ثلاث شعب فعليم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش وخصوصية الثلاث قيل أما الان حجاب النفس من أنوار القدس الحس والخيال والوهم أو لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في النماغ والقوة الغضبية السبعية التي من يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تلفح شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره وقيل لان تكذيبهم بالعذاب يتضمن تكذيب الله تعالى وتكذيب رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فهناك ثلاثة تكذيبات واخبر بعضهم التكذيب بالعذاب أصلا والشعب الثلاث التكذيبان المذكوران وتكذيب العقل الصريح فتأمل وعن ابن عباس يقال ذلك لعبدة الصليب فالمؤمنون في ظل الله عز وجل وهم في ظل معبودهم وهو الصليب له ثلاث شعب (لَّا ظَلِيلٍ) أي لا ظليل وهو صفة ثانية لظل ونفى كونه مظلا عنه والظل لا يكون الا مظلا للدلالة على ان جهنم خلاف ما يهم ولانه ربما يتوهم أن فيه راحة لهم فنفى هذا الاحتمال بذلك وفيه تعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين (وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ) وغير مفيد في وقت من الاوقات من حرائب شياطين يغني من اغنت منى يعدى والمشهور أن هذه الآية تشير الى قاعدة هندسية وهي أن الشكل الثلث لا ظل له فانظر هل تحتمل ذلك (إِنَّهَا) أي النار المدلول عليها بالكلام وقيل الضمير للشجر (تَرْمِي بِشَرَرٍ) هو ما تطاير من النار سمي بذلك لاعتقاد الصرف به وهو اسم جنس جمعي واحده شررة (كَالْقَصْرِ) كالدار الكبيرة

(١) واجلة كذا في موضع الحال اه منه

Marfat.com

الشدة والمراد في شررة كذلك في الظاهر ويدل على إرادة ذلك ما بعده ويؤيده قراءة ابن عباس وابن مقسم بشرر بكسر الشين وألف بين الراءين فإن الظاهر أنه جمع شررة كقربة وقرب فيدل على أن التشبيه بالقصر الواحد وكذا قراءة عيسى بشرار بفتح الشين وألف بين الراءين أيضا فقد قيل إنه جمع الشرارة لا مفرده وجوز على قراءة الكسر أن يكون جمع شر غير أفعل التفضيل ككبار جمع كبير وهو حينئذ صفة أقيمت مقام موصوفها أي ترمي بقوم شرار وهو خلاف الظاهر وقيل القصر الغليظ من الشجر واحده قصرة نحو جمرة وجمر وقيل قطع من أعناق قدر الذراع وفوقه ودونه يستند به القتاد واحده كذلك فالتشبيه من تشبيه الجمع بالجمع من غير احتياج لتأويل بما مر الآن التأويل على القول الأخير منوه على غيره وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن جبير والحسن وابن مقسم كالقصر بفتح القاف والصاد وهي أصول النخل وقيل أعناقها واحدها قصرة كتمر وتشجر وفي كتاب الأبنية لطائفة قصران الداخلة تسمى قصرة والفوقانية تسمى قصرة ومنه قولهم للعنق كالقصر وهو غريب وقرأ أبي سودا كالقصر مضافين جمع قصر كرهن ورهن وفي البحر كالمقصور من القصور كالجم من الجوم وهو خلاف الظاهر لأن مثله ضرورة أو شاذ وقرأ ابن جبير والحسن أيضا كالقصر بكسر القاف وفتح الصاد جمع قصرة بفتحتين كقلة من الحديد وحلق وحجة وحوج وبعض القراء كالقصر بفتح القاف وكسر الصاد وهو بمعنى القصر في قراءة الجمهور (كأنه) أي الشرر (جمالات) بكسر الجيم كما قرأ به حمزة والكسائي وحفص وأبو عمرو في رواية الأصبهاني وهرون عنه وهو جمع جمل والتاء لتأنيث الجمع كما في البحر يقال جمل وجمال وجمالة أو اسم جمع له كما قيل في حجر وحجارة والتنوين للتنكير (صفر) فإن الشرار لما فيه من النارية والطوائية يكون أسفر فالصفرة على معناها المعروف وقيل سود والتعبير بصفر لأن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة شبه الشرر حين ينفصل من النار في عظمه بالقصر وحين يأخذ في الارتفاع والانبساط لانتشاره في أبعاد غير محصورة بالجمال المتصور الانتشار في الكثرة والصفرة والحركة المخصوصة وقد روعي الترتيب في التشبيه رعاية لترتيب الوجود وأفيد أن القصور والجمال يشبه بعضها ببعض ومنه قوله

فوقفت فيها ناقتي وكأنها ✽ فدن(١) الأقضي ما بها كلكوم

فالتشبيه الثاني بيان للتشبيه الأول على معنى أن التشبيه بالقصر كان للتباين المتفاوت العظيم بحسب فطن قيل كأنه جمالة صفر وهو قائم مقام التخصيص في القصر تكثير وجه الشبه كأنه قيل كأنه قصر من شأنه كذا وكذا والتشبيه بالجمال في الكثرة والتتابع وسرعة الحركة أيضا والأول هو التحقيق على ما في الكشف وعلى الوجهين ليس التشبيه الثاني من البداية في شيء ولا حاجة في شيء منهما إلى اعتبار كون ضمير كأنه للقصر وقد أتم بشيء من حسن ما وقع في الآية من التشبيه أبو العلاء المعري في قوله في مرثية واحد من الأشراف

الوقدى نار القرى الأسال ✽ والأسحرين الأعضب والأشداق

حر اساطة القوائم الدعي ✽ ترمي بكل شرارة كالطراق

وإن كان قد قصد بذلك المبالغة لا أنه يكون قد أعمى الله تعالى بصيرته فيما من الزيغ أعمى سبحانه بصره وقرأ الجمهور ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه جمالات بكسر الجيم والألف والتاء جمع جمالة أو جمالة بكسر الجيم فيما فيكون جمع الجمع أو جمع اسم الجمع والذي على ما سمعت وقرأ ابن عباس وقتادة وابن جبير والحسن وأبو رجاء بخلاف عنهم كذلك إلا أنهم ضموا الجيم على أنه جمع جالة على ما في الكشاف وقال في البحر هي حبال السفن

(١) فدن لابن القصر جبه الله عنه

Marfat.com

الواحد منها جبلة لكونه جبلة من الطبقات ثم جمع على جبل وجبال ثم جمع جبال ثانيا جمع صحة فقالوا جبالات وقيل هي قلوس الجسور أي حبالها التي تشد بها وروي ذلك عن ابن عباس وابن جبير قالا انها اذا اجتمعت مستديرة بعضها الى بعض جاء منها اجرام عظام وعن ابن عباس أيضا هي قطع النحاس الكبار والظاهر أن التشبيه على هذا باعتبار اللون وعلى ما سبق باعتبار الامتداد والاتصال وقرأ ابن عباس أيضا والسلمي والاعمش وأبو حيوة وأبو بحرية وابن أبي عبلة وروبس جالة كقراءة حفص ومن معه الا أنه ضموا الجيم وهي عند الزمخشري اسم مفرد بمعنى القلس وجمع صفر لارادة الجنس وقرأ الحسن صفر بضم الفاء (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ) الاشارة الى وقت هو لهم الذي هذا يوم لا ينطقون فيه بعض لعظم الدهشة وفرط الحيرة ولا ينافي هذا ما ورد في موضع آخر من النطق لان يوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت ففي بعضها ينطقون وفي بعضها لا ينطقون وجوز أن يكون المراد هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لعدم الفائدة في نطقهم لعدم النفع بالاعتذار وقرأ الاعمش والاعرج وزيد بن علي وعيسى وأبو حيوة وعاصم في رواية هذا يوم بالفتح فقيل هو فتح اعراب على أن هذا اشارة الى ما ذكر ويوم منصوب على الظرفية بمحذوف وقع خبرا لهذا أي هذا الذي ذكر من الوعيد واقع في يوم لا ينطقون وقيل هو فتح بناء ويوم في محل رفع على الخبرية وفي الاضافات المحمدة ونا سقه البناء ومن صاحب اللوامح قال عيسى بناء يوم على الفتح مع لا لانه مبني مضر لانهم جوزوا معها الاسم الواحد وأنت تعلم ان العلة المصدرة بضارع يثبت أو منفي لا يجيز البصريون في الظرف المضاف اليها البناء بوجه وأن ماذكر مذهب الكوفي (وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ) قيل في النطق مطلقا أو في الاعتذار وقرأ زيد بن علي لا حكي عنه أبو عمر الاعمى بالبناء للفاعل أي ولا يأذن الله تعالى لهم (فَيَعْتَذِرُونَ) عطف على يؤذن منتظم معه في سلك النفي والمعنى تطيب بن التعبير في الاخبار في قوله والترتيب في الثاني نفسه على الاول في آخر ونظر فيه ولم يقل فيعتذروا بالنصب في جواب النفي قبل ليفيد الكلام نفي الاعتذار مطلقا اذ لا اعتذار لهم ولا يعتذرون بخلاف ما لو نصب وجعل جوابا فانه يدل على أن عدم اعتذارهم لعدم الاذن فيوهم ذلك أن لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه وقال ابن عطية انما لم ينصب في جواب النفي للمحافظة على رؤس الآي والوجهان جائزان وظاهره استواء النفي عليهما وهو مخالف لكلام سيبويه في أن المنصوب في النصب دون الرفع نعم ذهب أبو الحجاج الاعلم الى انه قد يرفع الفعل ويكون معناه على قلة معنى المنصوب بعد الفاء وأن النحويين انما جعلوا معنى الرفع غير معنى النصب رعيا للاكثر في كلام العرب وجعل دليله على ذلك هذه الآية ورد عليه ذلك ابن عصفور وغيره فتدبر والظاهر أن نفي الاعتذار باعتبار بعض المواطن والمواقيت كنفي النطق وجوز أن يكون النفي حقيقة الاعتذار النافع فلا منافاة بين ما هنا وقوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ) بين الحق والباطل (جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ) أي من تقدمكم من الامم والكلام تقرير وبيان لكمال الفصل بين الحق والباطل الا اذا جمع بينهم (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ) ان جمع من قسم بقدرتهم وتقدمهم يوم حاضرون وهذا تعريض لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) حيث ظهر أن لا حول لهم ولا حيلة في التخلص مما هم فيه (إِنَّ الْمُتَّقِينَ) من الكفر والتكذيب لرؤسائه في مقابلة المكذبين يوم الدين ليفصل بين المؤمنين (فِي ظِلَالٍ) جمع ظل بمعنى الضح وهو أعم من الفيء فانه يقال على الليل وظل الجنة ويقال لكل موضع لم تصل اليه الشمس ظل ولا يقال للفيء الا اذا زالت عنه الشمس ويرد

Marfat.com

به أيضا عن الرفاهة وعن التنزه والتفاكه وعلى هذا الفني حمل الراغب ما في الآية والشاهد منها هو التفوق ويؤيده ما تقدم في القائل المطلق الى كل ذي ثلاث شعب الباء وقرأ الاعمش في ظل جمع ظلة وأبدلها ابن عامر من قوله تعالى ان المتقين في ظلال (وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ) أنهم مستقرون في فنون الترفه وأنواع التنعم (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر كأنه قيل مستقرون في التنعم والهم كلوا واشربوا هنيئا بأكلكم تعملون في الدنيا من العمل الصالح بالايمان وغير ذلك (إِنَّا كَذَلِكَ) أي مثل ذلك الجزاء العظيم (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) لاجزاء أعلى منه والمراد بالمحسنين المتقون السابق ذكرهم الا أنه وضع الظاهر موضع الضمير مدحا لهم بصفة الاحسان أيضا مع الاشعار بعلة الحكم وجوز أن يراد بالمتقين والمحسنين الصالحون من المؤمنين ولا دليل فيه للمعتزلة على خلود العصاة أهل الكبائر في النار وغاية الامر عدم التعرض لحالهم (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) حيث نال أعداؤهم هذا الثواب العظيم وهم باقوا في العذاب الاليم (كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ) حال من المكذبين على ما ذهب اليه غير واحد من الآجلة أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لما كان يقال لهم في الدنيا وقيل كانوا أعطاء بأن يخاطبوا به حيث تركوا الخطاب الى الغيبة ففيه التعبير والتخصير وعلى طريقه قوله

اخوني لا تبعدوا أبدا ☆ وبلى والله قد بعدوا

فهو دعاء لا اخوته بعدم الهلاك بعد هلاكهم تقريرا بأنهم كانوا أحقاء بذلك الدعاء في حياتهم وان هلاكهم لفجيعة الأجل المسمى لا لانهم كانوا أحقاء بالدعاء عليهم وذهب أبو حيان الى أن كلام مستأنف خوطب به المكذبون في الدنيا والامر فيه أمر تحسير وتهديد وتخصير وإن يعتبر التهديد على الاول لانه غير مقصود في الآخرة ورجح بأنه أبعد من التصنع وأوفق لتأليف النظم وفيه نظر والظاهر أن قوله سبحانه إنكم الخ في موضع التعليل وفيه دلالة على أن كل مجرم نهايته تمتع أيام قليلة ثم يبقى في عذاب وهلاك أبدا (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا) أي اطيعوا الله تعالى واخضعوا وتواضعوا له عز وجل بقبول دينه تعالى واتباع نبيه سبحانه وارفضوا عنكم الاستكبار والنخوة (لَا يَرْكَعُونَ) لا يخضعون ولا يذلون لذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل أي اذا أمروا بالصلاة أو بالركوع فيها لا يصلون اذ روي من مقاتل ان الآية نزلت في ثقيف قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعفنا من الصلاة فانا لا نحني فانها سبة علينا فقال عليه الصلاة والسلام لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود ورواه أيضا أبو داود والطبراني وغيرهما وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه قال هذا يوم القيامة يدعون الى السجود فلا يستطيعون السجود من أجل أنهم لم يكونوا يسجدون في الدنيا واتصال الآية على ما نقل عن الزمخشري بقوله تعالى للمكذبين كأنه قيل ويل يومئذ للذين كذبوا والذين اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون وجوز ان يكون أيضا بقوله سبحانه إنكم مجرمون على طريقة الالتفات كأنه قيل هم أحقاء بان يقال لهم قلوا وتمتعوا ثم قال ذلك بكونهم مجرمين وبكونهم اذا قيل لهم صلوا لا يصلون واستدل به على أن الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ) أي بعد القرآن الناطق بأحاديث المجازين وأخبار النبيين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة (يُؤْمِنُونَ) الذين يؤمنون بغير القرآن على أن الاحاديث يساويه في الفضل ويدانيه فضلا أن يفوقه ويعاليه فلا حديث أحق بالايمان

Marfat.com

به فالبدية فتلوت في تربة ٥ قالوا في حل بعد ذلك زيم وكان العهد لما ان الملق اذا كان الامر كذلك وقد اشتمل القرآن على البيان الشافي والحق الواضح فما بالهم لا يبادرون الايمان به قبل الفوت وحلول الويل وعدم الانتفاع بعسى ولعل وليت وقرأ يعقوب وابن عامر في رواية تؤمنون على الخطاب هذا ولما اوجز في سورة الانسان في ذكر احوال الكفار في الآخرة والطف في وصف أحوال المؤمنين فيها عكس الامر في هذه السورة فوقع الاعتدال بذلك بين هذه السورتين والله تعالى اعلم

تم والحمد لله تعالى الجزء التاسع والعشرون ويليه ان شاء الله تعالى
الجزء الثلاثين وأوله (سورة النبأ)

ارشاد الراغبين
في
الكشف عن آي القرآن المبين

جمع وترتيب

ادارة الطباعة المنيرية

لصاحبها ومديرها محمد منير الدمشقي أحد علماء الأزهر الشريف

هذا الكتاب من أهم الكتب التي لها تعلق في الكشف عن الآيات القرآنية لاسيما يتعلق بتفسيرها لذلك اعتنت ادارة الطباعة المنيرية لوضع هذا الكتاب . وطريقته أنه يؤتى بالآيات على حسب الحروف المجائية ، ويشير إلى نمرة صحيفة الجزء من تفسير الأولى وفي اي سورة وجزء منه وإلى نمرة صحيفة الجزء أو السورة من القرآن الكريم طبع الحكومة المصرية وهو كتاب نافع جداً لكل من له رغبة وحاجة الى الاطلاع على الآيات القرآنية وتفسيرها وهو قريب سيصدر ان شاء الله تعالى .

Marfat.com

فهرست

الجزء التاسع والعشرون من تفسير روح المعاني للعلامة الآلوسي

	صحيفة
١	(سورة الملك) وبيان ما ورد في فضلها
٢	تأويل قوله تعالى (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير)
٤	اختلاف العلماء في معنى قوله تعالى (خلق الموت والحياة)
٥	تأويل قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) واختلاف العلماء هل في الآية تعارض أم لا
٦	بيان بعض آثار قدرة الله من خلق السموات سيما طباقا وعدم التفاوت والاختلاف في خلق الله
٧	تأويل قوله تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور)
٨	بيان أن السماء الدنيا بأية الحسن تتزين بالكواكب
٨	تفسير السماء على اصطلاح أهل الهيئة
٩	بيان أن رجوم من يسترق السمع من الشياطين إنما هو بالشهب الناسية من الكواكب ومناقشة المصنف لهذا الرأي
١٠	بيان عاقبة الكافرين وبيان صفة جهنم نعوذ بالله منها
١١	بيان حال أهل جهنم
١١	اعتراف أهل جهنم بأنهم لم يكونوا ممن يسمع أو يعقل
١٢	تأويل قوله تعالى (فسحقا لأصحاب السعير)
١٢	بيان الخلائق عالم بضمائر الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم
١٤	نفي عدم المعاملة عنه جل شأنه بما ذكر
١٤	بيان قدرته تعالى على جعل الأرض ذلولا للسير عليها
١٥	بيان مذهب السلف والخلف في معنى كونه تعالى في السماء
١٦	كلام امام الحرمين في مسالك العلماء فيما يوهم ظواهره التشبيه وبيان ان مذهب السلف أولى وأحكم
١٦	الوعيد بالخاسب بعد الوعيد بالخسف
١٧	التوبيخ على عدم النظر في أحوال الطير وبيان أن حكمة الله تقتضي ربط الأسباب بالمسببات
١٨	بيان أن الكفار ليس لهم جند ينصرهم من دون الرحمن
١٨	توبيخهم عن عدم النظر في صنائع الله الدالة على قدرته على تعذيبهم
١٩	بيان مثل المؤمن والكافر وحالهما ومذهبهما
٢٠	أنعام الله على الناس بالسمع والابصار والافئدة
٢١	تأويل قوله (قل أرأيتم ان اهلكني الله ومن معي أو رحمنا) الخ
٢٢	(سورة ن)
٢٢	مناسبتها لسورة الملك
٢٣	أقوال العلماء في معنى ن
٢٤	نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وما ورد على المكذبين
٢٥	بيان أنه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم
٢٥	التعريض بأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهما
٢٦	بيان ان المجنون هو الضال والعاقل هو المهتدي
٢٦	أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بان يدوم

Marfat.com

صحيفة	
	على ما هو عليه من عدم طاعة المكذبين وتعليل ذلك
٢٧	تأويل قوله (ولا تطع كل حلاف مهين) الخ
٢٧	أقوال النقاد في تفسير الترتيم
٢٨	تأويل قوله (ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين)
٢٨	اختلاف النقاد في قوله (سنسمه على الخرطوم) هل هو في الدنيا أو في الآخرة
٢٩	بيان ان الله ابتلى أهل مكة بالقحط كما ابتلى أصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم حين منعوا الضعاف المساكين
٣٠	تأويل قوله (فطاف عليها طائف من ربك) الخ
٣١	تأويل قوله (وغدوا على حرد قادرين)
٣٢	بيان ان التسبيح يكون بمعنى الاستثناء فلو قال لامرأته أنت طالق سبحان الله لا تطلق عند ابن الهمام
٣٢	تضرعهم وتوبتهم الى الله
٣٣	بيان ان ما نزل بكفار مكة من الجدب والقحط مثل ما نزل بأصحاب الجنة وان عذاب الآخرة أكبر من ذلك
٣٣	انكار مساواة الكافر للمسلم على أبلغ وجه رداً على متعكري البيت
٣٤	تأويل قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق)
٣٥	ذهب بعضهم الى أن المراد بالساق ساقه تعالى والآية عليه من المتشابه وبيان مذهب السلف في ذلك
٣٦	وعيد من يكذب بالقرآن بالعذاب وبيان كيفية العذاب
٣٧	تأويل قوله (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت) الخ
٣٨	بيان أن بني أسد أرادوا أن يصيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعينهم وبيان تأثير قوة العين
٣٩	(سورة الحاقة)
٣٩	بيان معنى الحاقة
٤٠	تكذيب ثمود وعاد بيوم القيامة وبيان ما أهلكوا به
٤١	بيان كيفية اهلاك عاد بالريح
٤٢	بيان أن فرعون ومن تقدمه من الامم الكافرة عصوا رسولهم فأهلكهم الله بعذاب
٤٢	تأويل قوله (انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية)
٤٣	بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها
٤٤	بيان أن القيامة لا تأتي الا بعد خراب العالم كله علويه وسفليه
٤٥	تأويل قوله تعالى (والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)
٤٦	بيان العرض للحساب وهو ثلاثة أنواع
٤٦	تفصيل احكام العرض
٤٧	تأويل قوله (اني ظننت اني ملاق حسابيه)
٤٨	بيان ما يتنعم به المؤمنون في الجنة جعلنا الله وإياكم منهم
٤٩	بيان عاقبة الكافرين وما يقولونه عند الحساب
٥٠	بيان السبب الذي استحق به الكافر العذاب
٥١	بيان ما يأكله الكافر في النار
٥٢	بيان ان القرآن مبلغ من عند الله ورد على من زعم أنه شعر
٥٣	نفي أن يكون القرآن قول كاهن
٥٤	تأويل قوله تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل) الخ
٥٥	(سورة المعارج)
٥٥	بيان معنى السؤال واشتقاقه
٥٦	تأويل قوله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)
٥٨	بيان أن الكفار يعتقدون أن ذلك العذاب

Marfat.com

صحيفة
أو اليوم محال بعيد عن الامكان
٥٩ تأويل قوله تعالى (يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن)
٦٠ بيان أن المجرم يود أن يفتدي من العذاب ببنيه وصاحبته وأخيه وانتماء ايجائه بذلك
٦١ بيان ان النار تدعو من أدبر في الدنيا عن الحق وحرص على جميع المال
٦١ تأويل قوله (ان الانسان خلق هلوعا)
٦٢ استثناء المصلين من الطغام وبيان صلاتهم
٦٤ بيان أن الموصوفين بهذه الصفات مكرمون في الجنة
٦٥ ردع الكفار عن الطمع في الجنة وتعليل ذلك
٦٥ تأويل قوله (فذرهم يخوضوا ويلعبوا) الخ
٦٧ (سورة نوح عليه السلام)
٦٧ وجه اتصالها بما قبلها
٦٧ الكلام على اسم نوح
٦٨ إرسال نوح عليه السلام لانذار قومه
٦٩ بيان ما فعله نوح عليه السلام عقب الارسال
٦٩ اختلاف العلماء في بعض الذنوب المغفورة
٧١ شكوى نوح عليه السلام من عدم اجابة قومه
٧٢ بيان ما يترتب على الاستغفار من الخيرات
٧٣ أنكار أن يكون الكفار سبب مالي عدم رجائهم لله وبيان أطوار خلق الانسان
٧٥ توبيخ الكفار على عدم النظر في أحوال السماوات وبيعد تعاميهم
٧٦ استمرار قوم نوح على ايذاء رؤسائهم
٧٧ الكلام على ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وسبب الخذلان بها
٧٨ تأويل قوله (ولا تزد الظالمين الا ضلالا)
٧٩ بيان أن قوم نوح أغرقوا وادخلوا النار لسبب كفرهم وذنوبهم
٧٩ دعاء نوح على قومه بالهلاك

صحيفة
٨٠ تعليل هذا الدعاء
٨١ (سورة الجن)
٨١ وجه اتصالها بما قبلها
٨٢ استماع الجن للقرآن وبيان ماهية الجن وآراء الناس فيها
٨٣ تعجب الجن من أحكام نظم القرآن وهدايته وايمانهم به
٨٤ تنزيه الجن ربهم عن اتخاذ الصاحبة والولد
٨٥ اعتذار الجن عن تقليدهم لسفيههم فيما نسبه الى الله
٨٦ بيان ان الانس ظنوا كما ظن الجن أن لن يبعث الله رسولا
٨٧ منع الجن من استراق السمع
٨٨ اعتذار الجن أنهم لن يعجزوا ربهم ولا يمكنهم الهرب منه
٨٩ تأويل قوله (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون) الخ
٩٠ بيان ان الانس والجن لو استقاموا على الطريقة الصرفة لانعم الله عليهم بالتوسيع لنختبرهم أيشكرون أم يكفرون
٩١ تأويل قوله (وأن المساجد لله)
٩٢ اجتماع الجن على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة صلى الفجر بنخلة
٩٢ تأويل قوله (قل اني لن يجيرني من الله احد)
٩٥ تأويل قوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا)
٩٦ استثناء الرسل من عدم الاطلاع على الغيب
٩٧ بيان أن الاستدلال بالآية على نفي كرامة الاولياء لا يتم وقد ذكر المصنف في هذا المقام بحثا نفيسا
١٠٠ (سورة المزمل)
١٠٠ بيان معنى المزمل
١٠٢ تأويل قوله (قم الليل الا قليلا) وبيان

Marfat.com

صحيفة
معنى الاستثناء
٩٠٤ تأويل قوله (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا)
٩٠٥ بيان ان القيام للعبادة بالليل أجمع للقلب وأدعى للاخلاص
٩٠٥ بيان ان النهار لكثرة الشواغل فيه لا يمكن التفرغ للعبادة
٩٠٦ تأويل قوله (واذكر اسم ربك) وما بعدها
٩٠٧ وعيد المكذبين بالاشغال والجحيم والعذاب الأليم
٩٠٨ تأويل قوله (فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيبا)
٩٠٩ بيان ان السماء تنفطر في ذلك اليوم
٩١١ مذاهب السلف في الآي المتشابهة
٩١٢ اختلاف أبي حنيفة ومالك والشافعي في قراءة الفاتحة في الصلاة هل هي واجب أو فرض ودليل كل
٩١٤ تأويل قوله (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله)
٩١٥ (سورة المدثر)
٩١٥ مناسبتها لما قبلها
٩١٥ بيان معنى المدثر
٩١٦ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار قومه وتكبير الله
٩١٧ أقوال السلف في قوله (وثيابك فطهر)
٩١٩ تأويل (والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر)
٩٢٠ بيان أن يوم النفخ في الصور أشد يوم على الكافرين
٩٢١ وعيد الله الوليد بن المغيرة المخزومي
٩٢٢ تأويل قوله تعالى (سأرهقه صعودا)
٩٢٣ تعليل الوعيد المذكور
٩٢٤ إخبار الوليد عن القرآن وادعاؤه انه سحر وقول البشر
٩٢٥ وعيد الوليد بسقر وبيان أوصافها

صحيفة
٩٢٦ بيان أن خزنة النار من الملائكة
٩٢٦ بيان عدة أصحاب النار سبب في فتنة الكفار لاستبعادهم نوع تسعة عشر لتعذيب أكثر البشر
٩٢٧ بيان ان عدتهم سبب في زيادة إيمان المؤمنين
٩٢٨ بيان أن جنود الله السماوية والسفلية لا يعلم عددها واحوالها الا هو
٩٣٠ تأويل قوله (انها لاحدى الكبر)
٩٣١ بيان أن كل نفس رهينة بما كسبت الا المؤمنون الخلصون
٩٣٢ تساؤل المؤمنين في الجنة عن سبب عذاب المجرمين وجواب المجرمين عن هذا السؤال
٩٣٣ انكار اعراض الكفار عن القرآن
٩٣٤ بيان ان سبب اعراضهم عن القرآن عدم خوفهم من الآخرة
٩٣٥ (سورة القيامة)
٩٣٥ الكلام على لا النافية الداخلة على فعل القسم
٩٣٦ تفسير (النفس اللوامة)
٩٣٧ تفسير قوله تعالى (أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى) الآية وبيان مالراد بالانسان
٩٣٨ اخبار عن حال الحاسب بما هو داخل في اللوم
٩٣٩ بيان الخسف والجمع في قوله تعالى (وخسف القمر) الآية وهو يزري بحال أهل الطبيعة ولا يكاد يخطر لهم ببال
٩٤٠ بيان أوجه الاعراب في قوله تعالى (بل الانسان على نفسه بصيرة)
٩٤٢ استدلال القاضي أبي الطيب بقوله تعالى (ثم ان علينا بيانه) على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وبيان وجه التعقيب عليه
٩٤٢ بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم هو في أعلى منصب النبوة لا ينبغي ان يستفزه مقتضى الطبائع البشرية
٩٤٤ تفسير قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) الآية

Marfat.com

وبيان ماهو المراد من النظر
١٤٦ تفسير قوله تعالى (وجوه يومئذ باسرة) الآية
١٤٧ بيان ماعليه الجمهور في حقيقة الروح
١٤٨ تفسير قوله تعالى (ثم ذهب الى اهله يتمطى)
١٤٩ (سورة الانسان)
١٥٠ مذاهب الائمة في تحديد الحين والدهر
١٥٢ تفسير قوله تعالى (أمشاج نبتليه)
١٥٣ بيان المراد بالسبيل في قوله تعالى (انا هديناه السبيل)
١٥٤ بيان حسن حال الشاكرين بعد بيان سوء حال الكافرين
١٥٧ ذكر ماورد في سبب نزول (ويطعمون الطعام) الآيات
١٥٨ تفسير قوله تعالى (متكئين فيها على الارائك) الآية وبيان ان تخصيص الجزاء بهذه الحالة لانها أتم الاحوال
١٥٩ بيان معنى التقدير في قوله تعالى (قدروها تقديراً)
١٦٠ بيان ماهو المراد بالزنجبيل
١٦١ (سورة المرسلات)
١٦٩ بيان المقسم به من هو
١٧٠ تفسير قوله تعالى (عذرا أو نذرا) والكلام على أو هل هي بمعنى الواو أم لا
١٧٢ بيان جواب القسم وان ما وعدوا به كائن لا محالة
١٧٣ تفسير قوله تعالى (ويل يومئذ للمكذبين)
١٧٤ بيان معنى الكفات في قوله تعالى «ألم نجعل الارض كفاتا» الآية
١٧٥ بيان حكمة جعل الظل ذا ثلاث شعب
١٧٦ تفسير قوله تعالى (كانه جمالت صفر) وذكر بيان وجه التشبيه
١٧٧ بيان أوجه الاعراب في هذا يوم لا ينطقون
١٧٨ بيان سبب نزول قوله تعالى (واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون)
١٧٨ تفسير قوله تعالى (فبأي حديث بعده يؤمنون)

تم الجزء

Marfat.com

تفسير

جزء عمّ

لعلامة المفسرين وعمدة المدققين مرجع أهل
العراق ومفتي بغداد العلامة أبي الفضل
شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي
المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ سقى الله ثراه
صيب الرحمة وأفاض عليه
سجال الاحسان

عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية باذن من ورثة المؤلف بخط
(ولد صاحب العلامة العراق المرحوم السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي)

إدارة الطباعة المنيرية
ودار
إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان
مصر : درب الأتراك رقم ٩

Marfat.com

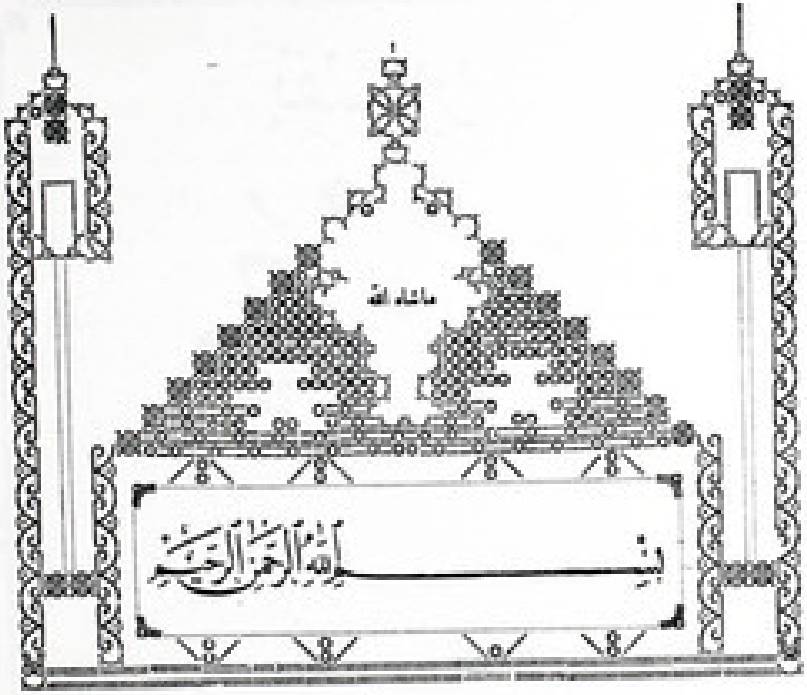

سورة النبأ

وتسمى سورة عم وعم يتساءلون والتساؤل والمعصرات وهي مكية بالاتفاق وآيها اثنتان وأربعون في المكي والبصري وأربعون في غيرهما ووجه مناسبتها لما قبلها اشتمالها على اثبات القدرة على البعث الذي دل ما قبل على تكذيب الكفرة به وفي تناسق الدرر وجه اتصالها بما قبل تناسبا سيما في الجمل فان في تلك ألم نجعل الارض أم الفلك من ماء مهين ألم نجعل الارض كفاتا الخ وفي هذه ألم نجعل الارض مهادا الخ مع اشتراكهما والاربع قبلها في الاشتمال على وصف الجنة والنار وما وعد المتقين وأيضا في سورة المرسلات الآي بوم أجلت ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل وفي هذه أن يوم الفصل كان ميقاتا الخ فيها شرح يوم الفصل المجمل ذكره فيما قبلها الله وقيل أنه تعالى لما ختم تلك بقوله سبحانه فبأي حديث بعده يؤمنون وكان المراد بالحديث فيه القرآن افتتح هذه بتهويل التساؤل عنه والاستيزاد به وهو مبني على ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ان المراد بالنبأ العظيم القرآن والجمهور على أنه البعث وهو الانسب بالآيات بعد كما ستعرفه ان شاء الله تعالى

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ عَمَّ ﴾ أصله عما على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية فحذفت الالف ودخل بالتفرقة بينها وبين الخبرية والايذان بكثرة الاستعمال وكثرة الدوران وحال العامل النحوية بسلوم وقد قرأ عبد الله وأبي وعكرمة وعيسى بالالف على الاصل وهو قليل الاستعمال وقال ابن حي

Marfat.com

لبيان الالف أضعف الفتين وعليه قوله

على ما قام يشتمني لئيم ❊ كخنزير تمرغ في رماد

والاستفهام للإيذان بفخامة شأن السؤال عنه وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة أي عن أي شيء عظيم الشأن (يَتَسَاءَلُونَ) الضمير لاهل مكة وان لم يسبق ذكرهم للاستغناء عنه بحضورهم حسا مع ما في الزام على ما قبل من التحقير والاهانة لاشعاره بان ذكرهم مما يصان عنه ساحة الذكر الحكيم ولا يتوهم العكس لمنع القام عنه وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من أحواله ووصف من أوصافه وهو كامر غير مرة وان اشتهرت في طلب حقائق الاشياء ومسمياتها لكنها قد يطلب بها الصفة والحال فيقال ما زيد ويجاب بعالم أو طبيب وقيل كانوا يتساءلون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين استهزاء فالتساؤل متعد ومفعوله مقدر هنا وحذف للظهور، أو لان المستظم السؤال بقطع النظر عن سائل أو مسئول عن ذكره مع هذا السائل والتعويل فلك على ما في الارشاد أن صيغة التفاعل في الافعال المتعدية لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك كالارمنه ولا مما لكه يرفع المتعدد على الفاعلية لرجحانها جانب فاعليته وانتصال مفعوليه على دلالة الفعل كما في قولك تراءى القوم أي رأى كل واحد منهم الآخر وقد تجرد عن الاول الثاني فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر الفعل حينئذ مفعولا كما في قولك تراأوا الهلال وقد يحذف كما فيما نحن فيه فالمعنى عن أي شيء يسأل هؤلاء القوم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد أيضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى فرأى آلاء ربك تتمارى وذكر بعض المحققين أنه قد يكون لصيغة التفاعل على الوجه الاول مفعول أيضا لكنه غير الذي فعل به مثل فعله كما في تعاطيا الكاس وتغارضا الحديث وعليه قول امرىء القيس

فلما تنازعنا الحديث واسمحت ❊ هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

فمن قال أن تفاعل لا يكون الامن اثنين ولا يكون الا لازما فقد غلط كما قال الطيبي وسبقه في شرح أدب الكاتب بان أراد فلك على الاغلاق وليت شعري كيف يصح فلك مع ان معنى تفاعل يعتبر فيه فعل غير متعدد الفاعل كتوالى زيد وتعالى الامر وتعالى الله عما يقول الظالمون كثيرا جدا وكذا حيث متعديا الى غير الذي فعل به مثل فعله كما سمعت وجوز أن يكون ضمير يتساءلون للناس عموما سواء كانوا كفار مكة وغيرهم من المؤمنين وسؤال المؤمنين لازدادوا خشية وايمانا وسؤال غيرهم استهزاء لزدادوا كفرا وطغيانا وهو خلاف مايقتضيه ظاهر الآيات بعد وقيل كان التساؤل من القرآن وتعقب بان قوله تعالى أم نجعل الارض الخ ظاهر في أنه كان عن البعث وهو مروي عن قتادة أيضا لانه من أدلته وأجيب بان تساؤلهم عنه واستهزاؤهم به واختلافهم فيه بانه سحر أو شعر كان لاشتماله على الاخبار بالبعث فبعد أن ذكر مايفيد استظام التساؤل عنه تعرض لدليل ماهو متضمن لقلك التساؤل وفيه بعد وقوله تعالى (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) بيان للشأن السؤال عنه اثر تفخيمه بابهام أمره، وتوجيه أذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المشاهدين فان إيراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب قاض على أنه لانقطاع قرينه والعلم لغيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بان يتشوق المصرفه ويسأل عنه فكانه قيل عن أي شيء يتساءلون حتى أخبر به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على

Marfat.com

متباينة فان كانت اليوم فلواحد النهار فمن متعلقة بما يدل عليه التذكير من مضمر حقه على ما قيل أن يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال والى تعلقه بما ذكر ذهب الزجاج وهو الذي تقتضيه جزالة التنزيل وقال مكي أن ذلك بدل من ما الاستفهامية باعادة حرف الجر وتبعه في الكشف بانه لا يصح فان معنى الاول عن النبأ العظيم أم عن غيره والبدل لا يطابقه أعيد الاستفهام أولا وقال الخفاجي البدلية جائزة ولا يلزم اعادة الاستفهام لانه غير حقيق ولا أن يكون البدل بين الاول لجواز كونه بدل بعض وقيل هو متعلق بيتساءلون المذكور وهم متعلق بمضمر يفسر به وأيد ذلك بقراءة الضحاك ويعقوب وابن كثير في رواية عنه بهاء السكت ووجهه انه على الوقف وهو يدل على أنه غير متعلق بالمذكور لان لا يحسن الوقف بين الجار والمجرور ومتعلقه لتمام الكلام وادعى من ذهب الى الاول يقول ان الحاق الهاء مبني على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل وهي والثانية متعلقتان بيتساءلون المذكور كما قبل يتساءلون عن النبأ العظيم وتلك ابن عطية عن أكثر النحاة وقيل عن النبأ متعلق بمحذوف وهناك استفهام مضمر كأنه قيل عم يتساءلون أيتساءلون عن النبأ العظيم ووصف النبأ وهو الخبر الذي به شأن بالعظيم لتأكيد خطره ووصفه بقوله سبحانه (الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) للمبالغة في ذلك والاشعار بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية لدلالة على الثبات أي هم راسخون في الاختلاف فيه في جازم باستحالته يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا الخ وشاك يقول ما ندري ما الساعة أن نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعاد بعد كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حكى الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكاره الصانع القادر تعالى شأنه ومنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وقيل الاختلاف بالاقرار والانكار أو بزيادة الجنبة والاشهزاء على أن ضمير يتساءلون وضميرهم لقاص عامة وقيل يجوز أن يكون الاختلاف بالاقرار والانكار على كون ضمير يتساءلون للكفار أيضا بأن يجعل ضميرهم للسائلين والسؤالين والسكل كما ترى وان تفاوتت مراتب الضعف والسول عليه الاول وقال معنى الديار الرومية الذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق أن يجعل اختلافهم في البعث الى مخالفتهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يعتبر في الاختلاف معنى صدور الفعل عن المتعدد حسبما قيل في التساؤل فان الاتصال والتفاعل متلازمان متآخيان كالاقبال والتسابق والاتصال والتفاعل يجري في كل منهما ما يجري في الاخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض على أن يكون كل من الجانبين مخالفا اسم فاعل ومخالفا اسم مفعول لان الكل وان استحق ما يذكر من الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته الجانب الآخر اذ لا معنية في شيء منهما حتى يستحق من يخالف المؤاخذة بل لمخالفته عليه الصلاة والسلام فكأنه قيل الذي هم في مخالفون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المنبيء فيه أعظم الخطر وما ذكر من التعليل لا يخلو عن شيء وقرأ عبد الله وابن جبير يتساءلون بغير باء وتشد السين على أن أصله تتساءلون بتاء الخطاب فادغمت التاء الثانية في السين (كَلَّا) ردع عن التساؤل على الوجوه المتقدمين فيه وقيل عنه وعن الاختلاف بمعنى مخالفة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في أمر البعث وتكذيب بأن الجملة التي اقتضته لم تقصد لذاتها فيصح اعتبار الردع الى ما قبلها وقوله سبحانه (سَيَعْلَمُونَ) وعيد لأولئك السائلين المستهزئين بطريق الاستئناف وتكرير للردع والسين للتقريب والتأكيد ومفعول يعلمون محذوف وهو ما يلاقونه من فنون العوائق والنقوبات والتبعير

Marfat.com

عن قائله بالسفه لوقوعه في معرض التساؤل والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال ومثل هذا تقدير الفصول جزاء التساؤل وقيل هو ما يلي منه الظاهر وهو وقوع ما يتساءلون عنه على معنى سيعلمون ذلك فيخجلون من تساؤلهم وأستبعد الجهل بن يدي ربهم عز وجل والالم يظهر كون ما ذكر وعيدا ومن جعل ضمير يتساءلون للناس عامة جعل ما هنا من باب التغليب لانه لم المؤمنين بالبعث الجازمين به وجوز بعضهم كون لا سيعلمون ردعا ووعدا على الارتداع والمراد ارتدعوا فانهم سيعلمون مئوبات الارتداع وأنت تعلم أن ذلك شائع في الوعيد وهو التبادر منه في امثال هذه المقامات وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ قيل تكرير لما قبله من الردع والوعيد للمبالغة وثم للتفاوت في الرتبة فكانه قيل لهم يوم القيامة ردع وعذاب شديدان بل لهم يومئذ أشد وأشد وبيدا الاعتبار صار كانه مغاير لما قبله فعطف عليه وابن مالك يقول في مثله انه من التوكيد اللفظي وان توسط حرف العطف فلا غفل وقيل الاول اشارة الى مايكون عند النزع وخروج الروح من زجر ملائكة الموت عليهم السلام وملاقاة كريهات الموت وشدائده والكشف للعطاء والثاني اشارة الى مايكون في القيامة من زجر ملائكة العذاب عليهم السلام وملاقاة شديد العقاب فتم في محلها لما بينهما من البعد الزماني ولا تكرار فيه والظاهر أن العطف على هذا وماقبله على وقوع لا سيعلمون ولوهم بعضهم من لا بعض الاجل أن العطف على سيعلمون وأورد عليه أن ثم اذا كانت للتراخي الزماني لزم الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بأجنبي بخلاف ما اذا كانت للتراخي الرتبي ووجه لدفع التخصيص بلا فخصص أنه على الثاني يفهم تفاوت الرتبة بين الردعين كتفاوتها بين الوعيدين لان مرتبة الردع أوعد فلا تكون لا الثانية أجنبية بخلاف الاول فان التراخي عليه انما يتحقق فيما يتحقق فيه الزمان وليس هو الا سيعلمون دون لا فانكون هي اجنبية ثم قال ذلك لتوهم ولا يبعد أن يقال الردع الاول من تساؤل والثاني عن الانكار أي المرتبع وتفاوت ما بينهما يقتضي العطف بثم والكل لا ترى وقيل متعلق العلم في الاول البعث وفي الثاني الجزاء على انكاره وثم في محلها أي لا سيعلمون حقية البعث اذا بعثوا ثم لا سيعلمون الجزاء على انكاره اذا دخلوا النار وهو قريب وجوز أن يكون المتعلق مختلفا وثم للتراخي الرتبي بأن يكون المعنى سيعلم الكفار أحوالهم ثم سيعلمون أحوال المؤمنين والاول اشارة الى العذاب الجسماني والثاني الى العذاب الروحاني الذي هو أشد وأخزى وأن يكون فاعل سيعلم في الموضعين مختلفا بناء على أن ضمير يتساءلون للناس عامة وثم لذلك أيضا بأن يكون المعنى سيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم ثم سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم فيكون الاول وعدا للمؤمنين والآخر وعيدا للكافرين وهما متفاوتان رتبة ولا يخفى عليك ما في ذلك وقرأ مالك بن دينار وابن مقسم والحسن وابن عامر ستعلمون في الموضعين بالتاء الفوقية على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تهديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم لا ستعلمون الخ فانه ليس بذاك وان كان فيه نوع حسن على تقدير كون المراد بتساؤلون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن الضحاك أنه قرأ الاول بناء الخطاب والثاني ببناء الغيبة وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾ الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض العوائد الباطنة بطريق أثر ما نابه عليها مما ذكر من الردع وجوز أن يكون بتقدير قل فانه قيل قل كيف تكون أو تمكون في البعث وقد عاينتم ما يدل عليه من القدرة التامة والعلم المحيط والحكمة البالغة المقتضية أن لا يكون ما خلق عبثا وفيه أن من كان عظيم الشأن باهر القدرة ينبغي أن يخاف ويخشى ويحاذر من زجره ووعيده والهمزة للتقرير بما بعد النفي والمهاد الفراش الوطأ وفي القاموس المهد الموضع الذي يهيأ فيه

Marfat.com

كالوتاد وعليه فالبساط والبساط يحتى ويؤيده قراءة مجاهد وعيسى الهمداني مهادا وفي الآية حينئذ تشبيه بليغ وقال منها مصدر سمي به ما يمهد وجوز أن يكون باقيا على المصدرية والوصف للمبالغة أو التقدير ذات مهاد أو مهد وقيل لا يمكن أن يكون المهاد مصدرا سمي به المفعول بمعنى أن يكون فعالا أي اسم فاعل زنة بزعمه للمفعول كالفراش والبساط وجعل الأرض مهادا إما في أصل الخلقة أو بعدها وأيا ما كان فلا دلالة في الآية على ما يناقض كرويتها كما هو المشهور من عدة مذاهب ومذهب أهل الهيئة الحديثة أنها مسطحة عند القطبين لأنها كانت لينة جدا في مبدأ الأمر لظهور لينة الحرارة الكائنة فيها اليوم فيها إذ ذاك فلما تحركت على محورها اقتضى تموج ذلك صيرورتها مسطحة عندهما عندهم وأهل الشرع لا يقولون بذلك ولا يتم للقائل به دليل حتى يرد الله تعالى الأرض ومن عليها ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ أي كالأوتاد فيه تشبيه بليغ أيضا والمراد أرسينا الأرض بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد قال الأعشى

والبيت لا يبتنى إلا له عمد ✻ ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

وفي الحديث خلق الله تعالى الأرض فجعلت تميد فوضع عليها الجبال فاستقرت فقالت الملائكة ربنا هل خلقت خلقا أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت ربنا هل خلقت خلقا أشد من الحديد قال نعم النار فقالوا ربنا هل خلقت خلقا أشد من النار قال نعم الماء فقالوا ربنا هل خلقت خلقا أشد من الماء قال نعم ابن آدم تصدق بيمينه فيخفي ذلك عن شماله وظاهره كما مر أن خلق الجبال بعد خلق الأرض وإليه ذهب الفلاسفة المتقدمون والمحدثون وهي متعاونة عندهم في الخمود نقلا وتاخرا وجاء في حديث رواه الحاكم وصححه عن ابن عباس أن أول جبل أبو قبيس وفي كيفية حدوثها منذ حدثت خلاف عندهم وقد يتلاقى ما حدث منها بطول الزمان

ان الجديدين لما ما استوليا ✻ على جديد أبقاه البلى

وربما بعد حدوث بعض تلاع حجرية من انجماد بعض المياه واستقلال احتباسها الأرساب الجبال مع طلب المركز بثقلها للخالق وأجرى ذلك قد علم الله تعالى أنها ستكن ويكون عليها من الانتقال ما يكون ومن العلوم أنها حينئذ يكون ظاهر كرة ان مركز مجموع مركز ثقل والذي ينطبق منها على مركز العالم أعني مركز الثقل فيلزم من تحرك ثقيل الى جهة الغرب أو الشرق بمقتضى الاختلاف تحرك الآخر على مركز ثقلها ولزوم انطباقه على مركز العالم فيحصل المدوم لكن اذ ذاك بحيث لا يكون عليها من أثقال سكنتها قدر يحس به فوضعت عليها الجبال وانطبق مركز ثقلها على مركز العالم وصار مجموع الأرض والجبال بحيث لا يظهر للمتحرك بعد قدر يحس به وقيل انها كانت طافية بحيث يحركها أمواج البحر الهابط بها فيحصل المد فثقلت بالجبال مع ما في الجبال من النافع الجمة التي لم تخلق الأرض لأجلها بحيث لا تحركها الأمواج ولهم الكلام في ذلك حسبما أشرنا اليه فيما مر فتذكر وحكي عن بعض أن جعلها كذلك بمعنى جعلها سببا لانتظام أهل الأرض بما أودع فيها من النافع ولولاها لمادت بهم أي لما تهيأت للانتفاع بها ولاختل أمر سكناهم إياها وهو تاويل مناف للظواهر لا يحتاج اليه مما لم يقم الدليل القطعي على عناية ارادة الظاهر ثم قيل ان هذا أقرب التقرير فان جعلها أوتادا بهذا المعنى أظهر من جعلها كذلك بذلك المعنى وأقرب الى العلم به ورعا يقال إنه أوفق لتراك عادة العامل ومن لا يراه يجعل النكتة فيه قوة مابين الأرض والجبال من الاشتراك والارتباط فافهم ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ﴾ عطف على المضارع الذي بإدخل في حكمه فانه في قوة لما جعلنا الخ أو على مايقتضيه الانكار التقريري فانه في قوة أن يقال قد جعلنا الخ والالتفات الى المخاطب هنا بناء على القراءة المشهورة في سيقولون

Marfat.com

للمبالغة في الالتزام والتمكيث ﴿أَزْوَاجًا﴾ قال الزجاج جواهره مزدوجون ذكرا وأنثى لبشى التناسل وينتظم أمر المعاش وقيل أصنافا في اللون والصورة واللسان وقيل يجوز أن يكون المراد من الخلق أزواجا الخلق من مبين هي الرجل ومن المرأة والذي خلقنا في واحد منكم أزواجا باعتبار مادته التي هي عبارة عن مبين فيكون خلقناكم أزواجا من قبيل مقابلة الجمع بالجمع وتوزيع الافراد على الافراد وهو خلاف الظاهر جدا ولا داعي اليه ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي كالسبات في الكلام لتشبيه بليغ كما تقدم والمراد بالسبات الموت وقد ورد في اللغة بهذا المعنى ووجه تشبيه النوم به ظاهر ومن ذلك قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وهو على بناء الافعال مشتق من السبت بمعنى القطع لما فيه من قطع العمل والحركة ويقال سبت شعره اذا حلقه وأنشد اذا اصطلمه وزعم ابن الانباري ان الدورة إيسبع السبت بمعنى القطع وكانه قال أصم وقيل أصل السبت الهدوء كالبسط يقال سبت الشعر اذا حل عقصه وعليه تفسير السبات بالنوم الطويل الممتد والامتنان به لما فيه من عدم الانزعاج وجوز بعضهم حمله على النوم الخفيف بناء على ما في القاموس من اطلاقه عليه على ان المعنى جعلنا نومكم نوما خفيفا غير كاسد فيخل به أمر معاشكم ومعادكم وفي البحر سباتا أي سكونا وراحة يقال سبت الرجل اذا استراح وزعم ابن الانباري أيضا عدم سماع سبت بهذا المعنى ورد عليه الراغب بانه أريد الراحة اللازمة للنوم وقطع الاحساس فان في ذلك راحة للقوى الحيوانية مما عراها في اليقظة من الكلال ومنه سمي اليوم المعروف سبتا لفراغ وراحة لهم فيه وقيل سمي بذلك لان الله تعالى ابتدأ بخلق السموات والارض يوم الاحد خلقها في ستة أيام كما ذكر في وجل فقطع عمله سبحانه يوم السبت فسمي بذلك واختار المحققون كون السبات هنا بمعنى الموت لانه أنسب بالمقام كما لا يخفى ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ﴾ الذي يقع فيه النوم غالبا ﴿لِبَاسًا﴾ يستر كاللباس يستر لابس وليل المراد بهذا اللباس الذي يعم سائر ما عدا النوم من اللحاف ونحوه وقال شبه الليل به لأكل واختيار في تحقيق المقصد الداخل واختار غير واحد ارادة الاعم وان المعنى جعلناه ساترا لكم من العيون اذا اردتم هربا من عدو لويا كما لو خفتم والانحيون الاطلاع عليه من كثير من الامور وقد مدحت بني تميم الليل البيات على الاعداء والفوز بزيارة المحبوب والفتك بمكذبا بما كثير من مذهب الثنوية من ان الشر منسوب الى النور والشر الى الظلمة بالمعنى المعروف (١) فقال

ولم أطلام الليل عندي من يد ٭ تخير ان الثنوية تكذب

وقد ردى الاعداء تسري اليهم ٭ وزارك فيه والدلال المحبب

وقال بعضهم يمكن أن يجعل كون الليل كاللباس على كونه كاللباس لليوم في حيرة اخراجه منه ولا يخفى بعده وما يلقى منه العجب استدلال بعضهم بهذه الآية على ان من حلف لا يخرج ليلا أو ظرف فصلات الليل يحنث بالسري لقد أتى سري من لباس التحقيق كالآتي على من الشرق عليه ضياء الحق المبين ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ مصدر ميمي بمعنى العيش وهو الحياة المختص بالحيوان على ما قال الراغب دون العامة لحياة الثلاث مثلا ونفع هذا ظرفا كالليل في نحو أتيتك خفوق النجم وطلوع الفجر وجوز ان يكون اسم زمان وتعقب بانه لم يثبت مجيئه كذلك فالذي في المعنى وجعلنا النهار وقت معاش أي حياة تبتغون فيه من نومكم الذي هو أخو الموت وكانه لما جعل سبحانه النوم موتا مجازا جعل جعل حياته اليقظة معاشا كذلك لكن أوثر النهار لمناسب التوسط وقيل المعنى وجعلنا النهار وقت معاش تتقلبون فيه للتحصيل ما تبتغون به وهو أنسب بجعل السبات فيما تقدم بمعنى القطع عن الحركة على ما قيل ولا يخفى حسن ذكر جعل الليل لباسا بعد جعل النوم سباتا وهو مشير الى حكمة جعل النوم

(١) وهو مما لا يكاد يذهب اليه عاقل فضلا عن أفاضل أفراد صفتي الجلال والجمال اه منه

Marfat.com

ليلا أيضا لان الظلم معطل الحواس فكان محتاجا اليه اكثر مما يضره فهو أحوج ما يكون للاستتار وضرب خيام الاستتار وفي الكشف أن المطابقة بين قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا وقوله سبحانه وجعلنا النهار معاشا مصرحة وفيه مطابقة معنوية أيضا مع قوله تعالى وجعلنا النوم من حيث ان التهار وقت اليقظة والمعاش في مقابلة السبات لانه حركة الحي ومنه علم أن قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا غير مستطرد ووجه النظم أظهر فتأمل ذكر خلقهم أزواجا استوفى أنحو لهم مقترنين ومفترقين اعوفيه تعريض بالطبي حيث زعم الاستطراد اذا أريد بالمعاش اليقظة وبالسبات الموت ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ أي سبع سموات قوية الخلق محكمة لا يسقط منها ما يمسكهم المعاش والتعبير عن خلقها بالبناء للاشارة الى تمثيلها بالقباب المبنية على سكتها وقيل للاشارة الى أن خلقها على سبيل التدريج وليس بذاك وفيه أن السماء خلقية لاسطح مسنو وفي الآثار ما يشهد له ولا يأباه جعلها سقفا في آية أخرى وقد صح في العرش ما يشهد بخلقية أيضا والفلاسفة الدائنون على استدارتها ويطلقون عليها اسم الفلك واستدلوا على ذلك حسب أصولهم بعد الاستدلال على استدارة السطح الظاهر من الارض ولا يكاد يتم لهم دليل عليه فالوا الذي يدل على استدارة السماء هو أنه متى قدمنا عدة مساكن على خط واحد من عرض الارض وجعلنا الكواكب السارة على سمت الرأس في كل واحدة منها ثم اعتبرنا أبعاد ممرات تلك الكواكب في دائرة نصف النهار بعضها من بعض وجدناها على نسب المسافات الارضية بين تلك المساكن وكذلك وجدنا ارتفاع القطب فيها مثلا على تلك النسب فتحدب السماء في العرض مقابلة لتحدب الارض فيه لكن هذا التقابل موجود في كل خط من خطوط العرض وكذا في كل خط من خطوط الطول فسطح السماء بأسره موازٍ لسطح الظاهر من الارض بأسره وهكذا السطح مستدير حيثما فكذا سطح السماء الموازي له وأيضا أصحاب الارصاد دونوا مقادير أجرام الكواكب وأبعاد ما بينها في الاماكن المختلفة في وقت واحد كما في نصف نهار تلك الاماكن مثلا متساوية وهذا يدل على تساوي ابعاد مراكز الكواكب عن مناظر الابصار المستلزم لتساوي أبعاد هذه عن مركز العالم لاستدارة الارض المستلزم لكون السماء كرية وزعموا أن مقدار أقرب ما يتمسك بهما في الاستدارة من حيث النظر التعليمي وفي كل مناقشة أما الثاني فالمناقشة فيه انه انما يصح لو كان الفلك عندهم ساكنا والكواكب متحركة اذ لو كان السماء متحركا جاز أن يكون مربعا ويكون مساواة ابعاد مراكز الكواكب عن مناظر الابصار وتساوي مقادير الاجرام الكواكب حاصلا وأما المناقشة فيه انما يصح لو كان الاختلاف المذكور موجودا في كل خط من خطوط الطول والعرض وهو غير معلوم وأما غير ما ذكر من أدلتهم فمذكور مع ما فيه في نهاية الاقدام في دراية الافلاك فارجع اليه ان أردت بقي هنا بحث وهو أن الخلف اذا كان على الفصل الذي لم نحققه في حكمة يلزم أن يكون بناء سبع سموات شداد فوق سقوفا للطابقين ولم نعثر لهم على مكة المكرمون فيما سمعت لباقي نظرهم به كسائر الامور السابقة واللاحقة فيقال ان كون السموات سبعا مما لا يدرك بالقاعدة ولم المكذبون بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يصدقونه بمثل ذلك مما عرفت بحسب الظاهر انما هو من طريق الوحي وأجيب بانهم عرفوا ذلك بواسطة مشاهدتهم اختلاف حركات السيارات السبع مع اختلاف أبعادها بعضها عن بعض وذلك أنهم علموا السيارات واختلاف حركاتها وعلموا أن بعضها فوق بعض لخسف بعضها بعضا فقالوا في بادئ النظر بسبع سموات كل سماء لكوكب من هاتك الكواكب ولا يلزمنا البحث عما قالوا في التوابت وفي الفرقدين بالحركة اليومية اذ هو وراء ما نحن فيه واعترض بأن هذا لا يتم الا اذا كانوا قائلين بأن السماء

Marfat.com

مبارة عن الاقامة وأنها تستمر على الاستقامة ويكون أوجها حضيضا وحضيضها أوجا والبهم لا يقولون بذلك وإنما يقولون بما ذكر السالف من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ان السيارات كالشمس والكواكب متحركة والفلك ساكن هو بحر اه وحينئذ فيجوز ان تكون السبع على اختلاف حركاتها وأبعادها في تخن سماء واحدة تجري في افلاك وادارها على الوجه المعروف ويجوز أيضا غير ذلك بالا بحاق وأيضا لو كان عظيم بذلك كما ذكر القائلون بالتدوير ونحوه أيضا كما قال بذلك أعلم اهل الهيئة السالفون لان اختلاف الحركات يقتضيه وهم لا سيما في التحيرة ولو كان الغرب قائلين به لوقع في أشعارهم بل لا يبعد أنه لو ذكر لهم ذا ذكر التدوير والتبات الخلوية والقوية مثلا لنسبوه الى ما يكره وقيل انهم ورثوا علم ذلك عن أسلافهم السالفين له ممن يعتقدون صدقه كاسمعيل عليه السلام ويجوز أن يكونوا سمعوه من أهل الكتاب ولما لم يروه مناقبا للعلم عليه اعتقدوه ويكفي في صحة التقرير هذا القدار من العلم وتطلب بقيته على هذا لانتظم التناطقات التقرير بها في سلك واحد من العلم والامر فيه سهل وقيل نزلوا منزلة القائلين به لظهور دليله وهو اعتبار من ذلت المعجزة على صدقه بيده وقيل الخطاب للناس وتنبيههم وتدبرهم ليجروا غلب المؤمنون على غيرهم في التقرير المقتضي لسابقية العلم وهو كاترى واختار بعض أن العطف على ما يقتضيه الانكار التقريري فيكون التقدير في قوة قد جعلنا الارض الى آخره وبنينا فوقكم سبعا شدادا وهو حينئذ ابتداء اخبار منه عز وجل بالبناء المذكور فلا يقتضي سابقية علم وتطلب بأن العطف على الفعل الذي لم أوفق بالاستدلال بالمذكورات على صحة البعث لما لا يخفى فتأمل وتقديم الظرف على ﴿ وجعلنا ﴾ وكل التشويق اليه مع مراعاة التواصل ﴿ وجعلنا ﴾ أي أنشأنا وأوجدنا ﴿ سراجا وهاجا ﴾ متوقدا متلالئا من وهجت النار اذا أضأت أو بالغا في انارته من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من وادف التعبير عن خلق السموات بالبناء ونصب سراجا على القراءة ووهاجا على الوصفية له وجوز بعضهم أن يكونا مفعولين للجعل على أنه هنا مما يتعدى اليها ونصبا بأنه بمخالف لظاهر التنكير فيهما وان قيل السراج الشمس وهي لا تحصارها في فرد كالقمر فأجاب بأن المختار في موضع الجعل والتصوير أنه في السماء الرابعة ولم ير فيه أثر اسوى مافي البحر من عبد الله بن عمرو بن العاص قال الشمس في السماء الرابعة الينا ظهرها وإليها بطنها مطوية كالدكور في السماء وأنهم جعلوا سبعة أفلاك السيارات السبع على ترتيب خاص بعضها بعضا فعلاها الزحل والذي تحته المشتري ثم المريخ والاسفل القمر والذي فوقها مطارد ثم الزهرة فالاربعة الباقية الشمس ثم عطارد ثم القمر يكسف الست من السيارات وحكى ابرا من الروايات الخارجة الطريقة في سير البروج وعلى هذا الترتيب وجدوا الاسفل يكسف الاعلى والثوابت تنكسف بالكل ويقع الكاسف من التكسف باختلاف اللون فأيها ظهر لونه عند الكسف فهو كاسف وأيها خفي لونه فهو منكسف وعلل الفلك في أمر الشمس اذا لم يعرف انكساف شيء من الكواكب بها لاضمحلال نورها في جنابها عند القرب منها ولا انكسافها بشيء من الكواكب غير القمر فذهب بعض القدماء الى أن فلكي الزهرة وعطارد فوق فلكها مستدلين عليه بأنهما لا يكسفانها كما يكسفها القمر وهو باطل اذ من شرط كسف السافل العالي أن يكونا مما والبصر على خط واحد مستقيم والا لم يكسفه كما في أكثر اجتماعات القمر وانما فان كذلك فمن المحتمل أن يكون مدارهما بين الشمس والابصار والان جرمهما عندهم صغيران غير متقاربين كجرم القمر حتى يكسفانها ولانه اذا كسف القمر من جرم الشمس مساحته مساوية لجرم أحد هذين الكوكبين أو أكثر لا يظهر التكسف للابصار على ما نص عليه بطليموس في الاقتباس وذهب بعض من تقدم عهدهم الى أنهما تحت فلك الشمس وان لم تكسف بها استحسانا لما في ذلك من حسن الترتيب وجودة

Marfat.com

النظام على ما بين في موضعه ومال اليه بطليموس قال في المجسطي ونحن نرى ترتيب من تقدم عهده أقرب الى الاتقان لانه أشبه بالامر الطبيعي اذ وسط الشمس بين ما يبعد عنها كل البعد وبين ما لا يبعد عنها الا يسيرا فهو أقوى مزاجه فلذا رأى بعد الشمس المتوسط من الارض مناسبا لهذا الوضع لانه لما وجد بين أبعد بعد القمر وأقرب قرب الشمس بعدا يمكن أن يوجد فيه فلكا الزهرة وعطارد وأبعادها المختلفة قال في الاقتصاص مثل هذا القضاء لا يحسن أن يترك عطلا ولا يحسن أن يكون فيه الريح فضلا عن غيره فليكونا فيه وتأكد هذا عند بعض المتأخرين بانه شوهدت الزهرة على قرص الشمس في وقتين بينهما نيف وعشرون سنة وكانت أول الطالعين في ذروة التدوير وفي الثاني في أسفله ويحتمل به ما ظن من كون عطارد والزهرة مع الشمس في تدوير لتزتدويرها لاستحالة أن ترى الزهرة في الذروة على هذا الوجه وهذه أمور ضعيفة يعضها خطابي القاعي ويعضها مبني على ما قيل في عله وقد زعم بعض الناس أنه لا وجه في وجه القمر نحو فلكنا في وجه الشمس فوق مركزها بقليل نقطة سوداء وأهل الارصاد اليوم على ما سمعنا من غير واحد جازمون بان في قرصها سوادا وعلامات مختلفة ولم في ذلك كلام مذكور في كتبهم وعليه فهي تشبيهها بالسراج من الحسن ما فيه وعن بعضهم أن النور تكبة عليها ورأيت في بعض كتبهم أنه ينشق من حوالي جرمها والكلام في مقدار جرمها وبعدها عن الارض عند أكثر من المتقدمين والمتاخرين من الفلاسفة مما لا أحاجة لنا به في هذا المقام مع ما في ذلك من الاختلاف المقضي بانه بنا له وعليه الى مزيد تطويل

﴿وأنزلنا من المعصرات﴾ هي السحائب على ما روى عن ابن عباس وأبي العالية والربيع والضحاك ولما كانت معصرة اسم مفعول لا معصرة اسم فاعل قيل انها جمع معصرة من أعصر على أن الهمزة فيه للصيرورة أي حانت وقارفت أن تعصرها الرياح فتمطر والافعال يكون بهذا المعنى كثيرا كاجرز اذا حان وقت جزازه وأحصد اذا قارب وقت حصاده ومنه أعصرت الجارية اذا دنت أن تحيض قال أبو النجم العجلي

حتى اطوينا ماثلا خاربها ✻ قد عصرت أو قد دنا اعصارها

ويجوز على تقدير كون الهمزة للصيرورة أن يكون المعنى حان لها أن تعصر أي تمطر ومنه العاصر للمطر وقال ابن كيسان سميت السحائب بذلك لانها تعطي من العصرة كالمرأة في الاصل بمعنى حان أن تعصر بخليل أن الدم يحصل منها بالعصر وقيل انها جمع لذلك أيضا الا أن الهمزة للصيرورة الفاعل كما للأحلف كايسر وأعسر وألحم أي صار ذا يسر وصار ذا عسر وصار ذا لحم وعن ابن عباس أيضا وابن عامر وقتادة أنها الرياح لانها تعصر السحاب فيمطر وفسرها بعضهم بالرياح ذوات الاعاصير على أن صيغة اسم الفاعل نسبة الى الاعصار بالكسر وهي ريح تثير سحابا غبرها وبرق ويثير التجريد عليه على ما قيل والذي اختاره النسبة أيضا الا أنه قال للمعصرات السحائب ذوات الاعاصير فانها لابد أن تمطر معها وأيد تفسيرها بالرياح قراءة ابن الزبير وابن عباس وأخيه الفضل وعبد الله بن يزيد وعكرمة وقتادة بالمعصرات بياء النسبة والآية ظاهرة في الرياح فان بها ينزل الماء من السحاب ولهذه القراءة حمل بعضهم من في قراءة الجمهور وتفسير المعصرات بالرياح للتعليل وذهب غير واحد الى أنها للتعليل ابتدائية فان السحاب كالمبدأ القابل للانزال وذهب بأن ورود من لذلك قليل وعن أبي الحسن وابن جبير وزيد بن أسلم ومقاتل وقتادة أيضا أنها السموات وذهب بأن السماء لا ينزل منها الماء بالمعصر قليل في تأويله ان الله ينزل من السماء الى السحاب فكان السموات بمعصرن أي يعصرن على معنى الرياح السحاب ويمكن منه وذهب بانه مع بعده اختيار لوجه المعصر بمعنى العاصر أي الحامل على المعصر ولو قيل الراد بالمعصر الذي حان له أن يعصر كان تكلفا

Marfat.com

على تكاثف والذي في الكشاف أن الهمزة على التأويل المذكور للتعدية فتدبر ولا تغفل ﴿ماء ثجاجا﴾ أي منصبا بكثرة يقال ثج الله تعالى بكثرة وثجه أي أساله فثج ورد لازما ومتعديا واعتبر جعله في النظم الكريم من اللازم لانه الاكثر في الاستعمال وجوه الزجاج من التعدي قال الله تعالى لكثرة تعجب تقسمون للتعدي حالي قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية ونحر الهدي والمراد أفضل أعمال الحج التلبية والنحر ولا يأبى الكثرة كون الماء من المصرات وظاهر أنه بالمطر وهو لا يحصل منه الا القليل لان ذلك غير مسلم ولو سلم فالآية نسبية وقرأ الاعرج ثجاجا بجيم ثم حاء مهملة ومثناجيج الماء معناه ﴿لنخرج به﴾ أي بذلك الماء وهو على ظاهره عند السلف ومن اقتدى بهم وقالت الاشاعرة أي عنده ﴿حبا ونباتا﴾ مايقتات به كالحنطة والشعير ويتناول الحديش والارز والقديم الحب مع تأخره عن النبات في الاخراج لاصالته وشرفه لان غالب قوت الانسان ﴿وجنات﴾ جمع جنة وهي كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الارض من الجن وهو الستر وقال الفراء الجنة مافيه النخيل والفردوس ماليه الكرم وقد تسمي الاشجار الساترة جنة وعليه قول زهير ٥ من الواضح نسق جنة بحقل ٥ وهو المراد هنا وقوله تعالى ﴿ألفافا﴾ أي ملتفة تداخل بعضها بعض قيل لا واحد له كالاوزاع والاخياف للجماعات المتفرقة المختلفة واختاره الزمخشري وقال ابن قتيبة جمع لف بضم اللام جمع لفاء فهو جمع الجمع وأيد بأنه لم يجئ على نظائره ذلك فاء جاء خضر جمع خضراء وحمر جمع حمراء ولم يجئ أخضار جمع خضر ولا أحمار جمع حمر وجمع الجمع لا يقاس ورجوه نظيره في المفردات لا يكاد أحد قال وقال الكسائي جمع لفيف بمعنى ملفوف وفعيل يجمع على أفعال كشريف وأشراف وانما اختلف النحاة في كونه جمعا فقيل وفي الكشاف أو قيل هو جمع ملفة بتقدير حذف الزوائد لسكان قولا وجوبا للتي وأيدا بتقدير حذف الزوائد وهو الذي يسميه النحاة في مثل ذلك ترخيما الان قياس جمع ملفة ملفات لا ألفاف واعترضه في الكشف فقال فيه نظر لانه لا نظير له لان تصدير الترخيم ثابت (٥) أما جمعه فلا لكن قيل ان هذا غير مسلم فانه وقع في الافهام ولم يتعرضوا له للقلته والحق أنه وجه متكلف وجمهور القوم على أنه جمع لف بالكسر وهو صفة مشبهة بمعنى ملفوف وفعل يجمع على أفعال باطراد كجذع وأجذاع ومن صاحب الاقليد أنه قال أنشدني الحسن بن علي العلوس

جنة لف وعيش مغدق ٥ وندامى كلهم بيض زهر

وجوز في القاموس أن يكون جمع لف بالفتح هذا وفيما ذكر من أقواله تعالى شأنه دلالة على صحة البعث وحقيته من أوجه ثلاثة على ما قيل الاول باعتبار قدرته عز وجل فان من قدر على انشاء تلك الامور البديعة من غير مادة تؤثر بختاره والثاني بتنبيه فان على الاعادة أقدر وأقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من أبدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جمة عائدة الى الخلق يستحيل سفكان لا يجعل لها عاقبة الثالث باعتبار نفس الفعل فان البقاء بعد الموت أنموذج البعث بعد الموت بقاعدته في واحد وكذا اخراج الحب والنبات من الارض يباين في حين فكأنه قيل قد فعلنا أو ألم تفعل هذه الافعال الآفاقية الدالة بقانون الدلالات على حقية البعث للوجية للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتسألون عنه استبعاد وقوله تعالى ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتا﴾ شروع في بيان سر تأخير ما يسألون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا

(٥) قوله أما جمعه فلا والقوانين والطوالع ليسا منه على ما قيل اه منه

Marfat.com

الوعيد ان صحت صادقين ونوع تفصيل لكيفية وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا وقال بعض الأجلة انه للاثبات بجملته صحة البعث كان مظنة السؤال عن وقته فقيل ان الخ وأكد لانه مما ارتابوا فيه وليس بذاك أي أن يوم فصل الله تعالى شأنه بين الخلائق كائن في علمه عز وجل ميقاتا ومعادا لبعث الأولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء توليا وعقابا لا يكاد يخطأه التقدير الناشر وقيل حدا توقت به الدنيا وانتهى اليه أوحداً الخلائق ينتهون اليه لتمييز أحوالهم والأول أوفق بالمقام على أن الدنيا تنتهي على ماقيل عند النفخة الأولى وأيا ما كان فالمضي في كان باعتبار العلم ويجوز ان يكون بمعنى يكون ومعبر عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) أي النفخة الثانية ويوم بدل من يوم الفصل أو عطف بيان مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تأخر البدل عن المبدل منه زمان عند من يقدم في مبدئه النفخ وفي يليه الفصل ومباديه وآثاره وتقدم الكلام في الصور وقرأ أبو عياش في الصور بفتح الواو جمع صورة وقد مر الكلام في ذلك أيضا والفاء في قوله تعالى (فَتَأْتُونَ) فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإيذانا بغاية سرعة الاتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فضربه فانفلق فتأتون من قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير ابطاء أصلا (أَفْوَاجاً) أي أمما في أمة بأمامها كما قال سبحانه يوم ندعو كل أناس بامامهم أو زمرا وجماعات مختلفة الأحوال متباينة الأوضاع حسب اختلاف الأعمال وتباينها واستدل بعضهم بالخبر الذي اخرج ابن مردويه عن البراء بن عازب أن معاذ بن جبل قال يارسول الله قول الله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا فقال يامعاذ سألت عن عظيم من الأمور ثم ارسل عينيه ثم قال عليه الصلاة والسلام عشرة أصناف قد مزقهم الله عز وجل من جماعة المسلمين فبدل صورهم فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسين أرجلهم فوق وجوههم أسفل يسحبون عليها وبعضهم عمي يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمي فالذين يجورون في الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف أقوالهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان وأما الذين هم أنتن من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله تعالى من أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والخيلاء والفخر وهذا كما قال ابن حجر حديث موضوع وآثار الوضع لائحة عليه وعليه قيل لا بد من التأويب في قوله تعالى تأتون اذ لا يمكن الاتيان المعلوم والمحسوب على الوجه ولا لبث فطائفة يعادون جلاء وعقب بذلك ليس بشيء فان أمور الآخرة لاتقاس على أمور الدنيا والقادر على البعث قادر على جمعهم ماشين بلا أيد وأرجل وأن تمشي بهم عند النار التي صليوا عليها بمع أنه لا يلزم أن يأتوا بأنفسهم لجواز أن تأتي بهم الزبانية (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ) عطف على ينفخ على ما قيل وصيغة الماضي للدلالة على التحقق ومن الزمخشري أنه معطوف على فتأتون وليس بشرط أن يتوافقا في الزمان كما يظن من ليس بنحوي وأقره في الكشف وقال الشرط في حسه أن يكون مقارنا بالحال أو يكون المضارع حكاية حال ماضية وما نحن فيه مضارع جيء به بلفظ الماضي تفخيما وتحققا لوقوعه فهو أقرب

Marfat.com

قريب منه وهو محمل حسن على معنى فتحت وقد فتحت السماء لكان وجيها وقرأ الجمهور أبوابا من غير تشديد فتحت بالتشديد قيل وهو الأنسب بقوله تعالى ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ وفسر الفتح بالشق لقوله تعالى اذا السماء انشقت وقوله سبحانه اذا السماء انفطرت الى غير ذلك والقرآن يفسر بعضه بعضا وبناء الفتح يساعد ما نى الجمهور وما ساعدها ولعل نكتة التعبير به هنا الاشارة الى كمال قدرته تعالى حتى كان شق هذا الجرم العظيم كفتح الباب سهولة وسرعة وان بينهما بعد والاشارة على الانتقال من حال الى أخرى وكون السماء بالشق لاغير أبوابا مفيدة قالوا ان الكلام على التشبيه البليغ أى صارت شقوقها السماء كالأبواب أو صارت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب أو بتقدير مضاف أى صارت ذات أبواب وقيل الفتح على ظاهره والكلام بتقدير مضاف الى السماء أى فتحت أبواب السماء فصارت كأن كلها أبواب بجامع ان كلا شقها فشق وفتح أبوابها وتعقب بأن شقها الزول الانتكاثا لما قال تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام نزل الانتكاث تنزيلا فلذا شققت لا يحتاج لفتح الأبواب وأيضا فتح أبوابها ليس من خواص يوم الفصل وفيه بحث نعم ان الوجه الاول أولى وقيل المعنى بفتح مكان السماء بالكشط فتصير كالهوا طرقا لا يسدها شيء وفيه بحث وعلى ما تقدم في الآية رد على زاعمى امتناع الخرق على السماء وقريبا على هذا رد الزاعمى كشطها كما هو المشهور عن العلامة المفسرين وان حقق اللامعدرأى الاشعار أن اساطينهم على خلاف ذلك والعلامة اليوم يقولون السماء المرفوعة عند السلفين ولم يأتوا بشيء تزال له الآيات والآثار الصحيحة في معناها كما لا يخفى على الناكى التعسف ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ أى في الجو على هيئاتها بعد تفتتها وبعد قلعها من مقارها كما يرشد اليه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وأدمج فيه تشبيه الجبال بحبال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما يتعلق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أى فصارت بعد تسييرها مثل سراب ترى بعد تفتتها وارتفاعها في الهواء كأنها جبال وليست بجبال بل غبار غليظ متراكم يرى من بعيد كأنه جبل كالسراب يرى كأنه بحر مثلا وليس به فالكلام على التشبيه البليغ والجامع ان كلا من الجبال والسراب يرى على شكل شيء وليس هو بذلك الشيء ويجوز ان يكون وجه الشبه التخلخل اما تكون بعد تسييرها غبارا منتشرا كما قال تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا والمشاهد من الأغبار البعيدة في نفس الطبيعة لمحمد البراوى أن السراب هواء استحالت طبقته السفلى التي على الأرض لتسخن الأرض من حر الشمس فتخلخلت وصعد جزء منها الى ما فوقها من الطبقات فكان أكثف منها وخرج بذلك التسخن عن موقعه الطبيعي من الأرض والاشكال الاشعة الضوئية وانكسارها فيه على وجه مخصوص مبين في الكتاب المذكور مع الشكل لون السماء يظن ماء وترى فيه صورة الشيء منقلبة وقد ترى فيه صور ساحة القصور وحدد وسائل جبلة مستغربة وأشباح سائرة تتغير هيئتها في كل لحظة وتنتقل عن محالها ثم تزول وما هي الأمور خاصة من الشكل صور مرئية بعيدة جدا أو متراكبة في طبقات الهواء المختلفة الكثافة فاغتر المتخلخل فقط في وجه السماء لا يخلو من نظر وأيضا ان فيما بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق فالله عز وجل يسير الجبال ويجعلها هباء منبثا ويسوى الارض يومئذ كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية وأما تكلل الجبال وانصداعها فعند النفخة الاولى وقيل ان تسييرها وصيرورتها

Marfat.com

مرابا عند النحاة الاولى أيضا ويأباه ظاهر الآية نعم لو جعلت الجملة حالية أي فتانون أفواجا وقد سيرت الجبال فكانت سرابا لكان ذلك محتملا والظاهر أنها تصير سرابا لتسوية الارض ولا يبعد أن يكون فيه سكم أخرى وقول بعضهم انها تجرى جريان الماء وتسيل ميلانه كالسراب فيرد ذلك في اضطراب متعلق الخبر وغاية ذوقهم الى الماء خلاف الظاهر ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ شروع في تفصيل أحكام الفصل الذي أضيف اليه اليوم اثر بيان هوله والمرصاد اسم مكان كالمضمار للموضع الذي تضمر فيه الخيل ومفعال يكون كذلك على ما صرح به الزاغب والجوهري وغيرهما كما يكون اسم آلة وصفة مشبهة للمبالغة والظاهر أنه حقيقة في الجميع أي موضع رصد وترقب ترصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم وقيل ترصد فيه خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها وقيل ترصد فيه الملائكة عليهم السلام الطائفين للعذاب (١) احداها وهي المؤمنة والعذاب الاخرى وهي الكافرة ويجوز أن يكون مبالغة كمضمار أي مجدة في ترصد الكفرة اللا يشذ منهم واحد أو مجدة في ترصد المؤمنين لئلا يتضرر أحد منهم من فيحها أو مجدة في ترصد الطائفين على نحو ما سمعت آنفا واستناد ذلك اليها مجاز أو على سبيل التشبيه وفي البحر ان مرصادا معنى النسب أي ذات رصد وقد يفسر الرصاد بمطلق الطريق وهو أحد مطلبه فيكون للطائفين ومن هنا قال الحسن كما أخرج عنه ابن جرير وابن المنذر وعبد بن حميد في الآية لا يدخل الجنة أحد حتى يجتاز النار وقال قتادة كما أخرج هؤلاء عنه أيضا اعلموا أنه لا سبيل الى الجنة حتى تظعن النار و قوله تعالى ﴿لِّلطَّاغِينَ﴾ أي للمتجاوزين الحدفي الطغيان متعلق بمضمر لما مضت لرصادا أي كانت للطاغين وانما علم من ترائ تعالى ﴿مَآبًا﴾ قدم عليه لكونه نكرة ولو تأخر لكان صفة له أي كانت مرجعا ومأوى كائنا لهم يرجعون اليه ويأوون لا محالة وجوز أن يكون خبرا آخر لكانت أو منصوبا بمآبا أو برصادا وعليه قيل يعني مرصادا لهم معدة لهم من قولهم أرصدت له أي أعددت وكأنه باطير أو بالعير وما قيل بدل من مرصادا على جميع الاوجه بدل كل من كل وقيل هو خبر ثان لكانت أو صفة لرصادا وللطاغين متعلق به أو حال منه على بعض التقادير السابقة في كانت مرصادا فتأمل وقرأ أبو عمر والكسائي وابن عمير أن جهنم بالفتح بتقدير لام جر لتعليل قيام الساعة المفهوم من الكلام والمعنى كان ذلك لاقامة الجزاء وانسب بانه يلغي حينئذ أن يكون ان للتعليل أيضا بالفتح ومعطوفا على ما هنا لانه بكليهما يتم التعليل باقامة الجزاء الا أن يقال ترك العطف للاشارة الى استقلال كل من الجزاءين في استدعاء قيام الساعة وفيه نظر لانه بذلك يتم الجزاء وأما نفس اقامته فيكفي في تعليلها ما ذكر على انه لو كان الجزاء فيما سبق كانت مرصادا للطاغين على ما سمعت لا يتسنى هذا التعليل أصلا وقوله تعالى ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا﴾ أي مقيمين في جهنم لابثين ظاهر في استمرار مقدرة من الشكن في الطاغين وقرأ أبو جعفر وطلحة وعاصم وزيد عن يعقوب وابن وثاب وعمرو ابن شرحبيل وابن جرير وطلحة والاعمش وحمزة والكسائي وسورة وروح لبثين بغير الف بعد اللام وهو في اليائسة ليس في لابثين وقال أبو حيان ان قاء لا يدل على من وجد منه الفعل وفعلا يدل على من شانه ذلك لحاذر وحذر وقوله تعالى ﴿أَحْقَابًا﴾ ظرف للبثهم وهو وكذا أحقاب جمع حقب بالضم وبضمتين وهو على ما روى عن الحسن زمان غير محدود ونحوه تفسير بعض القائلين له بالدهر وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي حاتم وصححه عن ابن مسعود أنه قال الحقب الواحد ثمانون سنة وأخرج نحوه البزار عن أبي هريرة وابن جرير عن ابن عباس

(١) قوله للعذاب احداها وهي المؤمنة هكذا في خط المؤلف ولعل صوابه للعذاب واحدها وانظره اه

Marfat.com

وابن المنذر عن ابن عمر وروى عن جمع من السلف بيد أنهم قالوا ان في يوم منه أي هذا مقدار ألف سنة من سني الدنيا وأخرج البزار وابن مردويه والديلمي عن ابن عمر مرفوعا أنه يدخل ويخلون منازل مئة ثلثمائة وستون يوما واليوم الف سنة مما تعدون وقيل أربعون سنة وأخرج ابن مردويه عن عبادة بن الصامت فيه حديثا مرفوعا وقال بعض القوريين سبعون الف سنة واختار غير واحد تفويضه للدهر وأيا كان فالمعنى لابثين فيها احقابا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر والمادة التابع في الاستعمال بشهادة الاشتقاق فانه من الحقبة وهي ما يشد خلف الرا كب والمتتابعات يكون أحدها خلف الآخر فليس في الآية مايدل على خروج الكفرة من النار وعدم خلودهم فيها لكن فهم التتابع في الاستعمال وصيغة الفة الاتصالي عدم التناهي اذ لافرق بين تتابع الاحقاب الكثيرة الى مالا يتناهي وتتابع الاحقاب القليلة كذلك وقيل ان الصيغة هنا مشتركة بين القلة والكثرة اذ ليس للحقب جمع مستكثرة فليرد بها بصيغة القلة جمع الكثرة وتعقب بأن جمع الكثرة له وهو الحقب كما ذكر الراغب والذي رأيته في مفرداته ان الحقب أي بكسر الحاء وفتح القاف الحقبة القشرة بتاء بين عاما نعم قيل انه يناسبه مورده انه يخرج أناس من أهل النار من النار ويقربون من الجنة حتى اذا اشتموا ريحها ورأوا ما أعد الله تعالى لعباده المؤمنين فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لاتعيب لهم فيها فيردون الى النار بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها وتعقب بانه ان صح فانما يناسب لو كان الخروج حقبا تاما أما لو كان في بعض اجزاء الحقب فلا لبقاء تتابع الاحقاب جملة سلمنا لكن هذا الاخراج الذي يستعقب الرد لزيادة التعذيب كانت في النار أشد والكلام من باب التعذيب وليس فيه إطماع بين الحقيقة والمجاز ثم ان وجد أن في الآية مايقتضي الدلالة على التناهي والخروج من النار ولو بعد زمان طويل فهو مفهوم معارض بالمنطوق الصريح بخلافه كما بينا لكم وقوله تعالى وما هم بخارجين منها وغير ذلك مما لم يقف الى غير ذلك وان جعل قوله تعالى ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ حالا من المستكن في لابثين فيكون قيدا لثبت فيحتمل ان يلبثوا فيها أحقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يكون لهم بعد الاحقاب لبث على حال آخر من العذاب ولكنا ان جعل أحقابا منصوبا بلايذوقون فيها الا أن فيه بعد ومعناه لو جعل لايذوقون فيها الخ صفة لاحقابا وضمير فيها لها لالجهنم لكنه أبعد من سابقه وقيل الراد بالطاغين مايقابل المتقين فيدخل العصاة والكفار بالنظر الى المجموع وهو كما ترى وقول مقاتل ان ذلك منسوخ بقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا فاسدكما لايخفى وجوز أن يكون احقابا جمع حقب كقدر من حقب الرجل اذا اعطاه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وغيره والراد هنا دوام الزمان من التعبير وهو كناية عن كونهم معاقبين فيكون حالا من ضمير لابثين أو احقابا لايذوقون صفة كاشفة أو جملة مفسرة لاحقاب فما من الاعراب وهو على ما ذكر أولا جملة مبتدأة خبر عنهم والراد بالبرد مايبرد وجعهم وينفس عنهم حر النار فلا يناقض أنهم قد يغاثون بالزمهرير والشراب معروف والحميم الماء الشديد الحرارة والغساق ما يقطر من جلود أهل النار من الصديد أي لايذوقون فيها شيئا ما من روح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن عطشهم لكن يذوقون ماء حارا وصديدا وفي الحديث ان الرجل منهم اذا أدني ذلك من فيه سقط فروة وجهه حتى يبقى عظاما تلمع ومن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان البرد الشراب البارد الذي منه قول حسان بن ثابت

يسقون من ورد البريص عليهم ● برد (١) يصاقب الرحيق السلسل

(١) قوله برداً النحويون ينشدون بيت حسان برد بتنوين الراء الاول بعدها الف التأنيث هو نعت يصدق به منه

وقول الآخر أعاذل من سعدى حسان لا تنا * بذلك يا سعدى على ظمإ بردا

فيكون ولا شرابا من نفي العام بعد الخاص وقال أبو عبيدة والكسائي والفضل بن خالد ومعاذ النحوي البرد النوم والعرب تسميه بذلك لأنه يرد حرارة العطش ومن كلامهم منع البرد البرد وقال الشاعر

فلو شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

أي وهو مجاز في ذلك عند بعض وقال في البحر عن ثعلب الذات في القرآن أن البرد هو النوم بلغة هذيل وعن ابن عباس وأبي العالية الصاق الزمهرير وهو على ما قيل مستق من برد الا انه آخر انواقيق رؤس الآي فلا تغفل وقرأ غير واحد من السبعة غساقا بالتخفيف ﴿ جَزَاءً ﴾ أي جوزوا بذلك جزاء فجزاء مفعول مطلق منصوب بفعل مقدر وجعله بعضهم حالا أخر لكانت ليس بشيء وقوله تعالى ﴿ وِفَاقًا ﴾ مصدر وافقه صفة له بتقدير مضاف أي ذا وفاق أو بتأويله باسم الفاعل أو المبالغة على ما عرف في أمثاله وأيا ما كان فالمراد جزاء موافقا لاعمالهم على معنى أنه يقدرها في الشدة والضعف بحسب استحقاقهم لا يتفضيه عدله وحكمته تعالى والجملة من الفعل القدر ومفعوله جملة حالية أو مستأنفة وجوز أن يكون وفاقا مصدرا منصوبا بفعل مقدر أيضا أي وافقوا وفاقا وهذه الجملة في موضع الصفة لجزاء وقال الفراء هو جمع وفق ولا يخفى ما في جعله حينئذ صفة لجزاء من الخلاف وقرأ أبو حيوة وأبو بحر بقوان أبي عبلة وفاقا بكسر الواو وتشديد القاف وفاعله أورثه بزنه وجده موافقا خالدون في الكفر وفقد عني وافقه وليس وصف الجزاء بموصوف الفعل صاحبه بالأبلغ وصح ابن الوطية وفق أمره أي حسن وليس الذي عليه ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ تعليل لاستحقاق العذاب المذكور أي كانوا لا يخافون أن يحاسبوا بعظم ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ الساطعة بذلك أو به وبغيره مما يوجب الايمان به ﴿ كِذَّابًا ﴾ أي تكذيبا مفرطا وفعال بمعنى تفعيل في مصدر فعل مطرد شائع في كلام فصحاء العرب وعن الفراء انه لغة يمانية فصيحة وقال في العراقي على جبل الروة يستغيثني أطلق أحب اليك أم القصار ومن ذلك اللغة قول الشاعر

لقد طال ما يعطني عن صحابتي * ومن حاجة قضاؤها من شفائيا .

وقال ابن مالك في التسهيل انه قليل وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه وعوف الاعرابي وأبو رجاء والاعمش وعيسى بخلاف عنه في التخفيف قال صاحب اللوامح وذلك لغة لبني يجعلون فعالا مصدر كذب عامتنا كذابا بالتخفيف مثل كتب كتابا فكذابا بمعنى كذبا وعليه قول الأعشى

فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه

والكلام هنا عليه من باب أنبتكم من الارض نباتا فانه اللائق أيضا مقدر أي كذبوا بآياتنا وكذبوا كذابا أو هو مصدر الفعل المذكور باعتبار تضمنه معنى كذب اللائق فان تكذيبهم الحق الصريح يستلزم أنهم كاذبون وأيا ما كان يدل على تكذيبهم في تكذيبهم وجوز أن يكون بمعنى مكاذبة كقتال بمعنى مقاتلة فيه من باب المقابلة على معنى ان كلا منهم ومن المسلمين اعتقد كذب الآخر بترتيل ترك الاعتقاد منزلة الفعل لاجل معنى ان كلا كذب الآخر حقيقة ويجوز ان تكون المقابلة مجازا مرسلا بعلاقة اللزوم عن الجد والاجتهاد في الفعل ويحتمل الاستعارة فانهم كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المقاتلين فيه وعلى التقديرين كونه بمعنى الكذب وكونه بمعنى المكاذبة يجوز أن يكون حالا بمعنى كاذبين أو مكاذبين على اعتبار المبالغة وعدم اعتبارها وقرأ عمر بن عبد العزيز والأعمش كذابا بضم الكاف وتشديد القاف وخرج على أنه جمع كذاب كقساق جمع فاسق فيكون حالا أيضا وكذبوا في حال كذبهم مغاير لذلك، حين يأتي على ما قيل في قول طرفة

Marfat.com

اذا جاد مالا بدمنه فرحيا ... به حون بأتي لا كذاب ولا عجل

وفيه بحث ظاهر وجوز أن يكون مفردا صيغة مبالغة كبار وحسان فيكون صفة لمصدر محذوف أي تكذيبا كذابا فيفيد المبالغة والدلالة على الافراط في الكذب لانه قليل أيل وغلام مظلم والاسناد فيه مجازي (وكل شيء) من الاشياء التي من جملتها أعمالهم وقال أبو حيان أي كل شيء مما يقع عليه الثواب والعقاب فهو عام الخصوص والنصاب بمضمر يفسره (أحصيناه) أي حفظناه وضبطناه وقرأ أبو السماك بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر مؤكد لاحصيناه فان الاحصاء والكتب بمعنى الضبط فاما أن يؤول أحصيناه بكتبناه أو كتابا بإحصاء وجوز الاحتباك على الطرفين من الطرفين أو حال بمعنى مكتوبا في اللوح أو صحف الحفظة والظاهر أن الكلام على حقيقته وقال بعضهم الظاهر أنه تمثيل لصورة ضبط الاشياء في علمه تعالى بضبط المحصي الجيد المتقن الضبط بالكتابة والا فهو عز وجل مستغن عن الضبط بالكتابة وهذا التمثيل لتقريبها والا فالاضبط في علمه تعالى أجل وأعلى من أن يمثل بشيء والمشهور عند أهل السنة ما قدمنا وليس ذلك للاحتياج وانما هو لحكم تقصر عنها العقول وألفها اعتراض لتأكيد الوعيد السابق بان ذلك كائن لامحالة لاحق بهم لان معاصيهم مضبوطة مكتوبة يكتحون بها يوم الجزاء وقيل لتأكيد الزجر وتكذيبهم بالآيات بانها محفوظة للجزاء وليس بذاك وقال البعض الاوجه عندي ان كل شيء منصوب بالعطف على اسم ان في انهم كانوا لا يرجون حسابا واحصيناه كتابا عطف على خبره والرفع في العطف على محل اسم ان والجملة بيان لكون الجزاء المذكور موافقا لاعمالهم لان الجزاء الموافق انما يكون لصدور أفعال موجبة له منهم وضبطها وعدم فوتها على المجازي فالجملتان الاوليان لافادة صدور الموجب وهو الكفر المعبر عنه بعدم رجاء الحساب والتكذيب بالآيات انما ان ذلك كائن فيه والاخيرة لافادة الضبط وعدم الفوت أي مع دواعي الاشارة الى بقي الدواعي فيها وليست اعتراضا لتين ولا يخفى مافيه من التكلف (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ولسبب الذوق والامر به في غاية الظهور وقيل الاظهر انه مرتبط بقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا الخ أي انما ذاقوا بعض العذاب فيقال لهم ذوقوا فلن نزيدكم الخ وحينئذ الجمل بينهما اعتراضية وفيه أنه في غاية البعد مع ما فيه من كثرة الاعتراض وحيث على طريق الالتفات للمبالغة لتقدير احضارهم وقت الامر ليخاطبوا بالتفريع والتوبيخ وهو أعظم في الاهانة والتحقير ولو قدر القول فيه لم يكن هناك التفات وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن الحسن قال سألت أبا برزة الاسلمي عن أشد آية في كتاب الله تعالى على أهل النار فقال قول الله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ووجه الاشدية على ما قيل انه تفريع في يوم الفصل وغضب من أرحم الراحمين وتأييس لهم مع ما في لن أي على القول بافادتها التأبيد من أن ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة والقول بجعل أن يكون المراد أنه أشد صحيح القرآن على أهل النار فانه اذا بقيهم في الدنيا عفا الوعيد ولم يخافوا ولات فقد قيل العذاب الابدي في مقابلة الكفار فلا مغاير بوم القيامة في الحكم عليهم بخلود النار وفيهن البعد مافيه واستدل أمر زيادة العذاب بانفاتها ممكون الجزء موافقا للاعمال وأجيب بانها لحفظ الاعمال اذ لولاها لا أدوا ما أصابهم من العذاب أول مرة ولم يأتوا به وهو كما ترى وقيل ان العذاب لما كان للكفر والشاهي وهي متزايدة في القبح في كل آن فالكفر مثلا في الزمن الثاني أقبح منه في الزمن الاول وهكذا وعلم الله تعالى منهم السوء استدعاهم استمرارهم على ذلك اقتضى ذلك زيادة العذاب وتعدده يوما فيوما وقيل

Marfat.com

لما كان كفرهم أعظم كفر اقتضى أشد عذاب والعذاب المزاد يوما فيوما من أشد العذاب وليس بعد ذلك فليتأمل (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) شروع في بيان محاسن أحوال المؤمنين أثر بيان سوء أحوال الكافرين ومفازا مصدر ميمي او اسم مكان أي ان للمتقين يكونون محل الكفر فوزا وظفرا بما يهم أو موضع فوز وقيل نجاة من العذاب أو ذلك أو موضع نجاة (حَدَائِقَ) بدل اشتمال من مفازا على الأول وبدل البعض على الثاني والرابط مقدر وتقديره حدائق فيها أو هي لها أو نحو ذلك وجوز ان يكون بدلا كل على الاعادة أو منصوبا باعني مقدرا وهو جمع حديقة وهي بستان فيها أنواع الشجر الذي له ساق يبقى الربيع والزهر وقال الراغب قطعة من الارض ذات ماء سميت بذلك تشبيها بحدقة العين في الهيئة وحصول الماء فيها وذلك أن الحدائق ماء وشجر (وَأَعْنَابًا) جمع عنب ويقال للكرم نفسه وللثمرة والمتبادر عطفه على حدائق قبله وهو بعض منها اذا أريد به الكروم وبها الاشجار وموضعها وخص بالذكر امتنانا به وأما ان أريد به الكروم وبها الموضع فقط فلا وبين الاشتمال كما اذا أريد به ثمرات الكروم وجوز أن يكون هو ولذا ما بعد عطف على مفازا (وَكَوَاعِبَ) جمع كاعب وهي المرأة التي تكعب ثديها واستدار مع ارتفاع يسير ويكون ذلك في سن البلوغ وأحسن التسوية (أَتْرَابًا) أي لدات يتحدان مما تشبها في التساوي والتماثل بالتراب التي هي مطلوع الصدر أو لوقوعهن مما على التراب أي الارض وفي بعض التفاسير نساء الجنة كلهن بنات ست عشرة سنة ورجالهن أبناء ثلاث وثلاثين (وَكَأْسًا دِهَاقًا) أي مترعة يقال دهق فلان الحوض وأدهقه أي ملأه وروى عن ابن عباس أنه فسره بذلك وأنشد قول الشاعر

أتانا عابر يبغي قرانا ... فاتر عنا له كأسا دهاقا

وفي البحر الدهاق اللائي يأخذ من الدهق وهو ضغط الشيء وشده باليد كالاستلاء للضغط وعن مجاهد وجماعة تفسيره بالنقية وصح الحاكم عن ابن عباس ما رواه غير واحد انه قال هي المملوءة المترعة النقية وربما سمعت العباس يقول بالغلام امتلأ وأدهق انا وأخرج ابن جرير عن عكرمة انه قال أي صافية ولا يخالف عن كدر والجمهور على الاول (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا) أي في الجنة وقيل في الكأس وجملت الاذن للسببية (لَغْوًا) هو مالا يعتد به من الكلام وهو على ماقال الراغب الذي يورد لا عن روية وفكر فيجري مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطير وقد يسمى في كلام قبيح اللغو وكذا مالا يعتد به مطلقا (وَلَا كِذَّابًا) أي تكذيبا وافرى بالتخفيف أي كذابا أو مكاذبة وقد تضمنت هذه المذكورات أنواعا من الآفات الخلقية بالا يتقى (جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ) مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه في قوة ان يقال جازى المتقين بمفازا جزاء كافيا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية للاشارة الى ان ذلك حصل بترتيبه وارشاده تعالى واضافته الكريم الى ضميره عليه الصلاة والسلام دونهم لتشريفه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل إنما يقال من درجم للملا يحسبه المقربون على أصدقائهم وهو بعيد جدا وبمثل هذا ذكرنا وجه تراك من ربك فيما تقدم من قوله تعالى جزاء وفاقا وعدم التعرض هناك لنسبة الجزاء اليه تعالى بعنوان آخر قيل من باب اليم ان الطير يديك والقمر ليس اليك وقوله تعالى (عَطَاءً) أي تفضلا واحسانا منه عز وجل اذ لا يجب عليه سبحانه شيء بدل من جزاء فهي كونه جزاء له كذلك بمقتضى وعده جل وعلا وجوز أن يكون نصبا بجزى لتضمنه معنى الاعطاء وتبعه أبو حيان بان جزاء مصدر مؤكد لمضمون الجملة والمصدر المؤكد لا يعمل بلا خلاف تبعه عند النحاة لانه لا يتحمل الفعل وحرف مصدري ورد بان ذلك اذا كان الناصب للمفعول المطلق مذكورا أما

Marfat.com

اذا حذف معطفا فقيه خلاف هل هو العامل أو العامل وقال الشهاب الحق ما قال أبو حيان لان المذكور هنا هو المصدر المؤكد لنفسه أو لغيره والذي اختلف فيه النحاة هو المصدر الأتي بدلا من لفظ فعله * كذا في زريق المال ندل الشاب * وقوله

يا قابل الثوب نفرا ما أتم قد * اسلفتها الدنيا خالف رجل

فليعرف وقوله تعالى (حِسَابًا) صفة مصدر محذوف يعني كافيا على أنه مصدر أقيم مقام الوصف أو وقع فيه أو هو على تقدير مضاف وهو مأخوذ من أحسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب أعمالهم أي مقسطا على قدرها وروى ذلك عن مجاهد وكان المراد مقسطا بعد التضعيف على ذلك فيندفع ما قيل أنه غير مناسب لتضعيف الحسنات ولذا لم يقل وفاقا كما في السابق ويدفع أيضا بأن هذا بيان لنا هو الأصل لا لاعجاز المعطاة وقيل الثنى معطاة مفروضا من حسابه لا كمم الدنيا وعقب بأنه بعيد عن اللفظ مع ما فيه من الآيات وقرأ ابن مطيب حسابا بفتح الحاء وشد السين وقال ابن جني فعالا من أصل كدر الذي ادرك فناء حسبا أي كافيا ومنع بعضهم مجيء فعال من الأفعال ودراك من درك فليحرر وقرأ شريح بن يزيد الحمصي وأبو البرهسم بكسر الحاء وشد السين على أن مصدر لكذاب وقرأ ابن عباس حسنا بالنون من الحسن وعكرمة الهدوي حسبا بفتح الحاء وسكون السين والباء الموحدة نحو قولك حسبك كذا أي كافيك (رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) بدل من لفظ ربك وفي ابداله تعظيم لا يخفى وايماء على ما قيل الى ما روى في بعض الكتب الصوفية من الحديث القدسي لولاك لما خلقت الافلاك وقوله تعالى (الرَّحْمٰنِ) صفة ربك أو رب السموات على الاصح عند المحققين من جواز وصف المضاف الى ذي اللام بالمعرف بها وجوز أن يكون عطف بيان وهل يكون بدلا من لفظ ربك قال في البحر فينظر لان الظاهر أن البدل لا يتكرر وقوله تعالى (لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا) استئناف مقرر للافادة الربوبية العامة من غاية العظمة والاستقلال بالملك المذكر من الجزاء والعطاء من غير أن يكون لاحد قدرة عليه والقراءة كذلك مروية عن عبد الله وابن أبي اسحق والاعمش وابن محيصن وابن عامر وعاصم وقرأ الاعرج وأبو جعفر وشيبة وأبو عمرو والحرميان برفع الاسمين فقيل على أنهما خبران لمبتدا مضمر أي هو رب السموات الخ وقيل الاول هو الخبر والثاني صفته أو عطف بيان وقيل الاول مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون منه خبر آخر أو هو الخبر والثاني تحت الاول أو عطف بيان وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدأ أول والثاني مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر الاول وحمل الربط بتكرير المبتدا بناء على رأي من يقول به واختير أن يكون الاسمان مرفوعا على المدح أو يكون الثاني صفة الاول ولا يملكون استئنافا على حاله كما في ذلك من توافق القراءتين معنى وقرأ الاخوان والحسن وابن وثاب والاعمش وابن محيصن بخلاف عنهما بجر الاول على ما سمعت ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده أو على أنه خبر لمبتدا مضمر وما بعده استئناف أو خبر ثان وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض ومنه بيان لخطابا مقدم عليه أي لا يملكون أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم كما ينبيء عنه لفظ ذلك خطابا ما في شيء ما والمراد نفي قدرتهم على أن يخاطبوه عز وجل بغير من نقص العذاب أو زيادة الثواب من غير اذنه تعالى على أبلغ وجه وآكده، وجوز أن يكون منه صلة يملكون ومن ابتدائية والمعنى لا يملكون من لدنه تعالى خطابا واحدا أي لا يملكهم الله تعالى ذلك فلا يكون في أيديهم خطاب يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون في الثواب أو ينقصون من العقاب هذا ما قيل ملكت منه درهما وهو أقل تكلفا وأظهر من جعل منه حالا من خطابا مقدما والضمير مضاف أي خطابا

Marfat.com

من خطاب الله تعالى فيكون الثاني لا يملكون خطاباً واحداً من جملة ما يخاطب به الله تعالى ويأمر به في أمر الثواب والعقاب وظاهر كلام البيضاوي حمل الخطاب على خطاب الاعتراض عليه سبحانه في ثواب أو عقاب يومئذ على ما سمعت منا أولا أي لا يملكون خطابه تعالى والاعتراض عليه سبحانه في ثواب أو عقاب لأنهم مملوكون له عز وجل على الاطلاق فلا يستحقون عليه سبحانه اعتراضاً أصلاً وأيضاً كان فالآية لا تصلح دليلاً على نفي الشفاعة بإذنه عز وجل وعن عطاء عن ابن عباس أن ضمير لا يتكلمون للكفار أي وعدم الصلاحية عليه أظهر (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا) قيل الروح خالق أعظم من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقاً أعظم منه عن ابن عباس لما كان يوم القيامة قام هو وحده صفا والملائكة صفا وعن الضحاك أنه لو فتح فاه لوسع جميع الملائكة عليهم السلام وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن ابن عباس أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس وأيد وأرجل وفي رواية يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح والملائكة صفا وقال هؤلاء جند وهؤلاء جند وروى القول بهذا عن مجاهد وأبي صالح وقيل هم أشراف الملائكة وقيل هم حفظة الملائكة وقيل ملك موكل على الأرواح قال في الأصيد ذلك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الأرواح في الأجسام فإذا بقضى فيكون في كل نفس من أنفاسه روح في جسم وهو حق يشاهده أرباب القلوب ببصائرهم وأخرج أبو الشيخ عن الضحاك أنه جبريل عليه السلام وهو قول لابن عباس فقد أخرج هو عنه أيضاً أنه قال ان جبريل عليه السلام يوم القيامة تلقاه رجل بين يدي الجبار ترعد فرائصه فرقاً من عذاب الله تعالى يقول سبحانك لا إله إلا أنت ما عبدناك حق عبادتك وان ما بين منكبي لا بين المشرق والمغرب أما سمعت قول الله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا وفي رواية البيهقي في الأسماء والصفات عنه أن المراد به أرواح الناس وان قيامها مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن ترد إلى الأجساد وهو خلاف الظاهر في الآية جداً وإسناده لا يصح عن الحبر وقيل القرآن وقيامه مجاز عن ظهور آثاره الكائنة عن تصديقه أو تكذيبه وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز مع ما لا يخفى ولم يصح عندي فيه هنا شيء يوم ظرف لا يملكون وصفا حال أي مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد أو متعدد والملائكة صف آخر وقيل صفوف وهو الأوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يوم يقوم الروح والملائكة كل صفا واحداً ويجوز أن يكون ظرفا لقوله تعالى (لَا يَتَكَلَّمُونَ) وقوله سبحانه (إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا) بدل من ضمير لا يتكلمون وهو عائد إلى أهل السموات والأرض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم مصطفين لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وإظهار ربوبيته عز وجل وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من مطالع السورة الكريمة إلى مقطعها وجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى أن أهل السموات والأرض لما لم يقدروا حينئذ أن يتكلموا بشيء من جنس الكلام إلا من أذن الله تعالى له منهم في التكلم مطلقاً وقال ذلك المأذون له بعد الأذن في مطلق التكلم قولاً صواباً أي حقاً من الشفاعة لمن ارتضى فكيف يملكون خطاب رب العزة جل جلاله مع كونه أخص من مطلق الكلام وأعز منه مراماً وجوز أن يكون ضمير لا يتكلمون إلى الروح والملائكة والكلام مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ أيضاً لكن على معنى أن الروح والملائكة مع كونهم أفضل الخلائق وأقربهم من الله تعالى لما لم يقدروا أن يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى إلا بإذنه فكيف يملك غيرهم وذكر بعض أهل السنة فتشعب بأنه مبني على مذهب الاعتزال من كون الملائكة عليهم السلام أفضل من البشر مطلقاً

Marfat.com

وأنت تعلم ان من أهل السنة أيضا من ذهب الى هذا كابن عبد الحق المغربي والقاضي أبي بكر الباقلاني والامام الرازي ونسب الى القاضي البيضاوي وكلامه في التفسير هذا لا يخلو عن القلق وتصدى من تصدى لتوجيهه وأطالوا في ذلك على ان الخلاف في أفضليتهم بمعنى كثرة الثواب وما يترتب عليها من كونهم أكرم على الله تعالى وأحبهم اليه سبحانه لا بمعنى قرب المنزلة ودخول حظائر القدس ورفع ستارة الملكوت بالاطلاع على ما غاب هذا والمناسبة في التزامه وقلة الوسائط ونحو ذلك فانهم بهذا الاعتبار أفضل بلا خلاف ولازم ذلك البعض يحتمل أن يكون مبنيا عليه وهذا كما تقدم من حال خدام الملك وخاصة حرمه فانهم أقرب اليه من وزرائه والخارجين من أقرانه وليسوا عنده بمرتبة واحدة وان زادوا في البسط والدلال عليه ومن ابن عباس ان ضمير لا يتكلمون للناس جوز أن يكون الامن أذن له منهم وقال الاستثناء الذي لا يتكلمون الا في حق شخص أذن له الرحمن وقال ذلك الشخص في الدنيا صوابا أي حقا فهو التوحيد وقول لا اله الا الله كما روى عن ابن عباس وعكرمة وعليه قيل يجوز أن يكون قال صوابا في موضع الحال عن يتكلمون باضمار قد أو بدونه لاعطفا على أذن ومن الناس من جوز العطف على الوجه الاول أيضا لكن من ضمير يتكلمون باضمار قال واحد أو باضمار المجموع وظن ان قول بعضهم الذي لا يتكلمون بالصواب الا بأذنه لا يتم بدون ذلك وفيه ما فيه وقيل جملة لا يتكلمون حال من الروح والملائكة أو من ضميرهم في صفا والجمهور على ما تقدم والظهر الرحمن في موقع الاضمار للايذان بأن مناط الاذن هو الرحمة البالغة الآن أعني يشفعه عليه سبحانه وتعالى كما ان ذكره فيما تقدم للاشارة الى أن الرحمة مناط تربيته عز وجل (ذَٰلِكَ) اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد للاشعار اليه بلا بعد درجته وبعد منزلته في الطول والفخامة وعلو الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى (الْيَوْمُ) الموصوف بقوله سبحانه (الْحَقُّ) أو هو الظرف واليوم بدل أو عطف بيان والزام بالحق الثابت للتحقق أي ذلك اليوم الثابت الكائن لا محالة واقعة مؤكدة لما قبل ولما لم تعطف والفاء في قوله عز وجل (فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا) فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة المحذوف دل عليه الجزاء والى ربه متعلق بما يتعلق عليه أخبارا به ورعاية للفواصل كما قيل وانما كان الامر كما ذكر من تحقق الامر المذكور لا محالة فمن شاء أن يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة فيما رواه عنه عبد بن حميد وعبد الرزاق وابن المنذر مآبا أي سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال والاول أظهر وتقدير المضاف أعني الثواب قيل لاستحالة الرجوع الى ذاته عز وجل وقيل لان رجوع كل أحد الى ربه سبحانه ليس بعينه لا لا بد منه شاء أم لا والتعلق بالمشيئة الرجوع الى ثوابه تعالى فان العبد باختياره الايمان والطاعة ولا ثواب بدونهما وقيل لتقدم قوله تعالى للطاغين مآبا فان لهم مرجعا فتعالى أيضا لكن للعقاب لا الثواب ولكل وجهة (إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ) أي يا ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وما بعده من الدواهي أو بما وسائر القوارع الواردة في القرآن العظيم (عَذَابًا قَرِيبًا) هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه فقد قيل ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت أو لانه قريب بالنسبة اليه عز وجل أو يقال البرزخ داخل في الآخرة ومبدؤه الموت وهو قريب حقيقة كما لا يخفى على من عرف القرب والبعد من قتادة هو عذاب القتل لانه أقرب العذابين ومن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر وتعقب بأنه يأباه قوله تعالى (يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) فان الظاهر أنه

Marfat.com

ظرف لمضمر هو صفة لعذابا أي عذابا كائنا يوم الخ وليس ذلك اليوم الا يوم القيامة وكذا على ما قبل من أنه بدل من عذابا أو ظرف لقريبا وعلى هذا الاخير قيل لا حاجة الى توجيه القرب لان العذاب في ذلك اليوم قريب لا فاصلة بينه وبين الرؤية ونظر فيه بان الظاهر جعل المنذر به قريبا في وقت الانذار لان المناسب للتهديد والوعيد انما هو ذكر قربه منهم يوم القيامة فاذا تعلق به المراد بيان قرب اليوم نفسه فتأمل والظاهر أن المراد عام المؤمن والكافر وما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف والمراد يوم يتباعد الشخص المؤمن والكافر ما قدمه من خير أو شر وجوز أن تكون ما استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر أي شيء قدمت يداه وإجلة معلق عنها لان النظر طريق العلم والكلام في قوة ينظر جواب ماقدمت يداه وفي الكلام على ماذهكذا اللائمة التفاتاتي تغليب ماوقع بوجه مخصوص على ماوقع بغير هذا الوجه حيث ذكر اليدان لان اكثر الاعمال تزاول بهما فجعل الجميع كالواقع بهما تغليبا وقرأ ابن أبي اسحق الراء بضم الميم وضعفها أبو حاتم ولا ينبغي أن تضعف لانها لغة بعض العرب يضمون حركة الهمزة فيقولون مرءوس أومرء على حسب الاعراب ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ لتحقيق كل من الفريقين الذين تناولهما الراء فيما قبل منه بالذكر وخص قول الكافر دون المؤمن لدلالة قوله على غاية الحيرة ونهاية التحسر ودلالة حذف قول المؤمنين على غاية التبجح ونهاية الفرح والسرور وقال عطاء الراء هنا الكافر لقوله تعالى انا انذرناكم وكان الظاهر عليه الضمير فيما بعد الا انه وضع الظاهر موضعه لزيادة التهويل فيه ان تناول الفريقين هو اللائق بما سبق من صعب يوم مفصل لما اشتمل عليه فالمراد هو الوجه لقوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا وانا انذرناكم لايخص الكافر لان الانذار عام للفريقين أيضا فلا دلالة على الاختصاص وقال ابن عباس وقتادة والحسن المراد به المؤمن قال الامام دل عليه قول الكافر فلما كان هذا يا حال الكافر وجب أن يكون الاول يا حال المؤمن ولا يخفى ما فيه من الضعف كاستدلال الرياشي بالآية على أن الراء لا يعلق الا على المؤمن وأراد الكافر بقوله هذا ليتني مسحت ترابا في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أو ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم أبعث وعن ابن عمر وأبي هريرة ومجاهد ان الله تعالى يحشر البهائم فيقتص لبعضها من بعض ثم يقول سبحانه لها كوني ترابا فيعود جميعها ترابا فاذا رأى الكافر ذلك تمنى مثله وإلى حشر البهائم والاقتصاص لبعضها من بعض ذهب الجبور وسيأتي الكلام في ذلك في سورة التكوير ان شاء الله تعالى وقيل الكافر في الآية ابليس عليه اللعنة لما شاهد آدم عليه الصلاة والسلام ونسله المؤمنين ومالهم من الثواب تمنى أن يكون ترابا لانه احتقره لما قال خلقتني من نار وخلقته من طين وهو بعيد من السياق وان كان حسنا والتراب على جميع ما ذكر يستعاد للفروق والكلام على ظاهره وحقيقته وجوز لا سيما على الاخير أن يكون المراد بقول ليتني كنت في الدنيا متواضعا لطاعة الله تعالى لا جبارا ولا متكبرا والقول عليه ما تقدم فلا يخفى

سورة النازعات

وتسمى سورة الساهرة والطامة وهي مكية بالاتفاق وعدد آيها ست وأربعون في الكوفي وخمس واربعون في غيره وعن ابن عباس أنها نزلت عقب سورة عم وأولها يشبه أن يكون قسما لتحقيق ما في آخر عم أو ما تضمنته كلها وفي البحر لما ذكر سبحانه في آخر ما قبلها الانذار بالعذاب يوم القيامة أقسم عز وجل في هذه على البعث ذلك اليوم فقال جل شأنه

Marfat.com

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا ﴾ أقسم من الله تعالى بطوائف من ملائكة الموت عليهم السلام الذين ينزعون الأرواح من الأجساد على الاطلاق كما في رواية عن ابن عباس وجماعة أو أرواح الكفرة على ما أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر عن علي كرم الله تعالى وجهه وجوز في تفسيره عن الحبر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود وعبد بن حميد عن قتادة وروى عن سعيد بن جبير ومسروق وينشطونها أي يخرجونها من الأجساد من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون ويسرعون بأرواح الكفرة الى النار وبأرواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون أمر عقابها وثوابها بأن يؤدوها لأدراك ما أعد لها من الآلام واللذات وما يليق بشأنهم الى تخصيص النزع بأرواح الكفار والنشط والسبح بأرواح المؤمنين لان النزع جذب بشدة وقد أردف بقوله تعالى غرقا وهو مصدر مؤكد يحذف الزوائد أي اغراقا في النزع من أقاصي الأجساد وقيل هو نزع والنزع جنس أي في هذا القبيل وذلك أنسب بالكفار قال ابن مسعود تنزع الملائكة روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الأظفار وأصول القدمين ثم تغرقه فيأخذ بجسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج برمتها في جسده وهكذا مرارا فهذا معنى في الكفار والنشط الاخراج برفق وسهولة وهو أنسب بالمؤمنين وهكذا السبح ظاهر في التحرك برفق ولطافة قال بعض السلف ان للملائكة بسفون أرواح المؤمنين سلا رفيقا ثم يتركونها حتى تستريح روحا ثم يستخرجونها برفق ولطف كالذي يسبح في الماء فانه يتحرك برفق لئلا يغرق فهم يرفقون في ذلك الاستخراج لئلا يصل الى المؤمن ألم وشدة وفي الكاج ان النشط حل العقدة برفق وبمثل كما في البحر النشط المثال ونشطه اذا مددت الدلو فانشطت والأدلوة عقدت بسهل انحلالها اذا جذبت كعقدة التكة فاذا جعلت الناشطات من النشط بهذا المعنى كان أوفق للاشارة الى الرفق واللطف مع اتحاد المثل لتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما مر غير مرة للاشعار بأن كل واحد من الأوصاف المعدودة من مقدمات الأمور حقيق بأن يكون على حياله مناطا للاستحقاق موصوفة للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الأوصاف الأخر اليه ولو جعلت اللازمات ملائكة العذاب والناشطات ملائكة الرحمة لكان العطف التغاير الذاتي على ما هو الأصل والعاد في الأخيرين لقدلالة على تراخيها على ما قبلها بغير مهلة وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا على المصدر لكونها نعتا لمصادر محذوفة وأما انتصاب أمرا فعلى المفعولية للمدبرات لا على نزع الخافض أي بأمر من الله تعالى كما قيل وزعم أنه الأولى وتنكيره للتهويل والتفخيم وجوز أن يكون غرقا مصدرا مؤولا بالصفة المشبهة ونصبه على المفعولية أيضا للنازعات أو صفة للمفعول به لها أي نفوسا غرقة في الأجساد وحمل بعضهم غرقا فيها بشدة نزعها بيسا وغلبة سلطانها عليها وكان ذلك مبنى على تجرد الأرواح كما ذهب اليه الفلاسفة وبعض أجلة المسلمين هذا ولم تقف على نص في أن للملائكة حال قبض الأرواح واخراجها هل يدخلون في الأجساد أم لا وظاهر تفسير الناشطات أنهم حالة النزع خارج الجسد كالواقف والسابحات دخولهم فيه لاخراجها على ما قيل وأنت تعلم أن التسبيح ليس على حقيقته ولا مانع من أن يراد به مجرد الاتصاف ونحوه مما لا توقف له على الدخول وجوز أن يكون المراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم فيسبقون فيه الى ما أمروا به من الأمور الدنيوية والأخروية فيدبرون أمره من أبقيه وما لا به منه فيه وهم تلك ملائكة الرحمة وملائكة العذاب والعطف عليه لتغاير الموصوفات كالصفات وأيا ما كان

Marfat.com

فجوب القسم محذوف يدل عليه ما بعد من أحوال القيامة ويوم الأقسام المذكور والتقدير والنازعات الخ لتبعثن وإليه ذهب الفراء وجماعة وقيل القسم بالنجوم السيارة التي تنزع أي تسير من نزع القوس لما يجري من المشرق إلى المغرب غرقاً في النزع وجداً في السير بأن تقطع الفلك على ما يبدو للناس حتى تنحط في أقصى المغرب وتنشط من نزع الدلو إذ نخرج من نشط البعير لما خرج من مكان إلى مكان آخر ومنه قول عمر بن قحافة

أرى هرمي تنشط الناشطا ✻ القائم بي طوراً وطوراً واسطا

وتسبح في الفلك فتسبق بعضها في السير لكونه أسرع حركة لقدر أمر أنيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الأزمنة وظهور مواقيت العبادات والمعاملات المؤجلة ولما كانت حركاتها من المشرق إلى المغرب سريعة قسرية وتارة غربية الفلك الأعظم ضرورة وحركاتها من برج إلى برج بالذات من غير قسر فلو هي غير سريعة أطلق على الأولى النزع لا بعقب بعد تأمل على التارة النشط لا بعد في وروى مثل النازعات على النجوم عن الحسن وقتادة والأعمش وابن سليمان وأبي عبيدة ومثل الناشطات عليها عن ابن عباس والسابحات على ما قبلها من الأوابد وعلى الأول أبو روق على الليل والنهار والشمس والقمر منها والمدبرات عليها من معاد وإضافة التدبير إليها مجاز وقيل القسم بالنفوس الفاضلة حالة المفارقة لأبدانها بالموت فإنها تنزع من الأبدان غرقاً أي نزعاً شديداً من أغرق النازع في القوس إذا بلغ غاية المد حتى يأتي إلى النصل لشدة نزعها أيضاً حيث القدم وكان معاينة ملكها لا لانقياد الغير ومعاندة لأوامره فتنشط شوقاً إلى عالم الملكوت وتسبح به فتسبق إلى مقاصر القدس فتدبر لشرفها وقوتها من التدبيرات أي ملائكة بالكلية أو تصلح هي لأن تكون مدبرة كما قال الإمام إنها بعد المفارقة قد تظهر لها آثار وأحوال في هذا العالم فقد يرى الرجل شبحه بعد موته فيرشده إلى بعض ما يهمه وقد نقل عن جالينوس أنه مرض مرضاً عجز عن علاجه الحكماء فوصف له في منامه علاجاً أوثق وعمله فبرئ وقد ذكر ذلك قبل وليس بحديث كما توهم لما تحيرتم في الأمور فاستمدوا من أرواح الطهور أي أنفس النفوس الفاضلة المتوفين ولا شك في أنه يحصل للراغم بعد روحاني وتأثير وانتفاع تتحير عند الأمور بالتوسل إلى الله تعالى بحرمتهم وحقهم بعضهم على الأحياء منهم للمتقين أمر موثوقاً قيل إن أولها وتسبح النازعات بالنفوس مروي عن السدي إلا أنه قال هي جماعة النفوس تنزع بالموت إلى ربها والناشطات بها عن ابن عباس أيضاً إلا أنه قال هي النفوس المؤمنة تنشط عند الموت فتخرج والسابقات بها عن ابن مسعود إلا أنه قال هي أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة عليهم السلام الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقاً إلى لقاء الله تعالى وقيل القسم بالنفوس حال سوقها وتطوير ظاهرها وباطنها بالاجتهاد في العبادة والترقي في المعارف الإلهية فإنها تنزع عن الشهوات وتنشط إلى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق إلى الكمالات حتى تصير من الكاملات فالنفوس الناقصة قبل القسم بالنفس الغزاة أو أيديهم تنزع النفس بالغزاة إلى السهام وتنشط بالسهم فرسي وتسبح في البر والبحر فتسبق إلى حزب العدو فتدبر أمرها واستاد التسبيح بعده إلى الأيدي عليه مجاز الملابسة وحمل النازعات على الغزاة مروي عن عطاء ألا أنه قال في النازعات بالنفس وأمرها وقيل بصفات خيلهم فإنها تنزع في أعنتها غرقاً أي تمد أعنتها مدا قويا حتى تأخذها بالاعتناق من غير إرخائها فتصير كأنها التصقت فيها وتخرج من دار الإسلام إلى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق إلى العدو فتدبر أمر الظفر وإسناد التدبير إليها إسناد إلى السبب وحمل السابحات على الخيل مروي عن عطاء أيضاً وجماعة ولا يخفى أن أكثر هذه الأقوال لا يليق بشأن جزالة التنزيل وليس له قوة مناسبة للقسم ومنها ما فيه قول بما عليه أهل الطبقة المتقدمون

من

Marfat.com

من الحركة الارادية للكواكب وهي حركات خاصة ونحوها مما ليس في كلام السلف ولم يتم عليه برهان ولذا قال بخلافه المحدثون من الفلاسفة وفي حمل المدبرات على النجوم أيضا مجة مازعمه أهل الاسكندرية المتجمين وهو باطل عقلا ونقلا كما أوضحنا ذلك فيما تقدم ولعلنا في خلو هذه النفوس العاصية المفارقة لتلك الجرام مجة مازعمه كثير من سخفة العقول من ان الاولياء يتصرفون بعد موتهم بنحو ما كانوا يتصرفون وقبل التصرف على الاعداد وغير ذلك فيكون في عالم الكون والفساد على معنى ان الله تعالى فوض اليهم ذلك وهم من خص ذلك بخمسة من الاولياء والعاقل جهل وان كان الذي أعتقد جهلا ثم لا ينبغي التوقف في أن الله تعالى قد يكرم من شاء من أوليائه بعد الموت كما يكرمه قبله بما شاء فيريه سبحانه الطريق ويثقه الطريق ويتصرف على النحو وينزل الغيث وكيف وكيت كرامة له وربما يظهر عز وجل من يشبهه صورة فتفعل ما شاء الله تعالى بحرمته كما لا اتمي فيه استحالة للسائل وربما يلمع السؤال على الوجه المحظور شرعا فيظهر سبحانه نحو ذلك مكرا بالسائل واستدراجا له ونقل الامام في هذا المقام عن الغزالي انه قال ان الارواح الشريفة اذا فارقت أبدانها ثم التحق انسان مشابه للانسان الاول في الروح والبدن فانه لا يبعد ان يحصل للنفس المفارقة تعلق ببدا البدن حتى تصير كالمعاونة للنفس المتعلقة بذلك البدن على أفعال الخير فتسمى تلك المعاونة الهاما وتخيلا في جانب النفوس الشريرة وسوسة التي لم أر ما يشهد على صحته في الكتاب والسنة وكلام سلف الامة وقد ذكر الامام نفسه في المباحث الشرقية استحالة تعلق أكثر من نفس ببدن واحد وكذا استحالة تعلق نفس واحدة بأكثر من بدن ولم يتعقب ما نقله هنا فكأنه فهم ان التعلق فيه غير التعلق المستحيل فتأمل وقال في وجه حمل المذكورات على الملائكة ان الملائكة عليهم السلام لها صفات عالية وصفات اضافية أما الاولى فهي انها مبرأة من الشهوة والغضب والاخلاق الذميمة والموت والهرم والسقم والتركيب والاعضاء والاخلاط والاركان بل هي جواهر روحانية مبرأة من هذه الاحوال فالنازعات غرقا اشارة الى كونها منزوعة من هذه الاحوال نزعا قويا من جميع الوجوه على ان الصيغة للمبالغة والناشطات نشطا اشارة الى أن خروجها من ذلك ليس كخروج البصر على سبيل الكلالة والسبحة بل بالقوى الباهرة والكلمتان اشارتان الى تعريف أحوالهم السلبية وأما صفاتهم الاضافية فهي قسمان الاول شرح قوتهم العالمة وبيان عالمهم في معرفة ملك الله تعالى وملكوته سبحانه والاطلاع على نور جلاله جل جلاله فوصفهم سبحانه في هذا المقام بوصفين أحدهما والسابحات سبحا فهم يسبحون من أول فطرتهم في بحار جلاله تعالى ثم لا منتهى لسبحهم لانه لا منتهى لعظمة الله تعالى وعلو صمديته ونور جلاله وكبريائه فهم ابدا في تلك السباحة وثانيهما فالسابقات سبقا وهو اشارة الى تفاوت مراتبهم في درجات المعرفة وفي مراتب التجلي والتساتي شرح قوتهم العالمة وبيان عالمهم فيها فوصفهم سبحانه في هذا المقام بقوله تعالى والمدبرات أمرا ولما كان التدبير لا يتم الا بعد العلم قدم شرح القوة العالمة على شرح القوة العاملة التي وهو على ما في بعضه من القطع ليس ببعيد لمناسبة المقام ونقل غير واحد أقوالا غير ماذكر في تفسير المذكورات فمن مجاهد النازعات الملائكة تنزع النفوس وحكى يحيى بن سلام انها الوحش تنزع الى الشجر ومن الاول تفسير الناشطات بالملائكة أيضا ومن عطاء تفسيرها بالبقر الوحشية وما يجري مجراها من الطيور الذي ينشط من قطر الى قطر وعنه أيضا تفسير السابحات بالسفن ومن مجاهد تفسيرها بالملائكة تسبح في نفوس الطيور ومن بعضهم تفسيرها بالسحاب ومن آخر تفسيرها بدواب البحر ومن بعض تفسير السابقات بالملائكة على معنى انها تسبق الآجال وعن غير واحد تفسير المدبرات بجبريل يدبر الرياح والجنود والوحي وميكائيل

Marfat.com

بمعنى القطر والنبات وغير ذلك بمعنى قبض الأرواح والمراد بهم الأمر النازل عليهم لا نجيز لهم ويعبر النفخ في الصور والأكثرون تفسيرها بالاكتساب قال ابن عطية لا أحفظ خلافا في أنها للاكتساب وليس في تفسير شيء مما ذكر خبر صحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما أعلم وما ذكرته أولا هو الراجح عندي نظرا للمقام والله تعالى أعلم وقوله سبحانه (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة القيامة أو النفخة التي ترجف الأجرام عندها على أن الاسناد فيها مجازي لأنها سبب الرجف أو النجوز في الطرف بجعل سبب الرجف راجفا وجوز أن تفسر الراجفة بالحركة ويكون ذلك حقيقة لأن رجف بكون بمعنى حرك وتحرك كما في القاموس وهي النفخة الأولى وقيل المراد بها الأجرام الساكنة التي تتحرك حينئذ كالأرض والجبال فقوله تعالى يوم ترجف الأرض والجبال وتسميتها راجفة باعتبار الأول فيه مجاز مرسل وبه يتضح فائدة الاسناد وقوله تعالى (تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ) أي القيامة أو النفخة التي ترد فتتبع الأولى وهي النفخة الثانية وقيل الأجرام التابعة وهي السماء والكواكب فانها تشق وتنتثر بعد والجملة حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا لمجيء الأخبار امتداد الوقت وسعته حيث أفادت أن مجيء زمان الرجفة الممتد بتبعية الرادفة لها وتبعية الشيء الآخر فرع وجود ذلك الشيء فلا بد من امتداد اليوم الى الرادفة واخبار امتداده مع أن البعث لا يكون عند الرادفة أعني النفخة الثانية وبينها وبين الأولى أربعون لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لهاتين عظيمتين وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فتكون الجملة استئنافا والمضمون الجواب المضمر كأنه قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بهتهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) أي يوم ترجف وجفت القلوب أي اضطربت يقال وجف القلب وجيفا اضطرب من شدة الفزع وكذلك وجب وجبا وروى عن ابن عباس أن واجفة بمعنى خائفة بلغة همدان وعن السدي زائلة عن مكانها ولم يجعل منصوبا بواجفة لانه نصب ظرف أعني يومئذ والتأسيس أولى من التأكيد فلا يحمل عليه كيف وحذف المضاف وابدال التنوين مما يأباه أيضا ورفع قلوب على الابتداء ويومئذ متعلق بواجفة وهي الخبر على ما قيل وهو الأظهر كما في قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة وجاز الابتداء بالنكرة لأن تنكيرها للتنويع وهو يقوم مقام الوصف المخصص ثم التنويع في النظير أظهر لذكر المقابل بخلاف ما نحن فيه ولكن لا فرق بعد ما سيق للمتلقي اليه وان شئت فاعتبر ذلك التنكير كما اعتبر في نمرة أحر ذا ناب وقيل واجفة صفة قلوب مصححة للابتداء بها وقوله تعالى (أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ) أي أبصار أصحابها لما من الخوف وذلك أضافي اليها فالاضافة لأدنى ملابسة وجوز أن يراد بالابصار البصائر أي صارت البصائر ذاهلة لا تدرك شيئاً فكنى بذلها عن عدم ادراكها لان عز البصيرة أداها بالادراك وبحث في كون القلوب غير مقرة يوم القيامة وأجيب بأن المراد شدة الذعول والحيرة جلة من مبتدا وخبر في محل رفع على الخبرية للقلوب وتعقب بأنه قد اشتهر أن حق الصفة أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قال غير واحد أن الصفات قبل العلم بها أخبار والاخبار بعد العلم بها صفات فليت لان ثبوت الوجيف وثبوت الخشوع لابصار أصحاب القلوب سواء في الشهرة والجهالة لان جعل الأول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني خبرا به مقصود الافادة تحكم بحتا على ان الوجيف الذي هو عبارة عن اضطراب القلب وخفقه من شدة الخوف والوجل أشد من خشوع البصر وأهول فلعل أعين القوم حدادا وأشد فاضة مما لا عهد له في الكلام وأيضا فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير معتبرة بالسوء والقبول

Marfat.com

تهوين للخطب في موقع التهويل انتهى وأنت تعلم ان المشهور وما قاله غير واحد غير مجمع على انكاره وان يمكن ما اعترض به يتدفع على مايفهمه كلام بعض الآجلة من جواز مجيء المفرد خبراً وحالة بعد صفة لكنه بعيد وما قيل على الأول من ان مجيء التنوين للتنويع مع الباسه خلاف الظاهر وكون كالوصف من تصنيف خروج عن الانصاف وزعم ابن عطية ان النكرة تختصت بقوله تعالى يومئذ وتعقب بأنه لاتختص بالاجرام بظروف الزمان وقدر عصام الدين جواب القسم لأتبن وقال نحن نقدره كذلك ونجعل يوم ترجف فاعلا لمرفوع الفعل ونجعل تتبعها الرادفة صفة لراجفة بجعلها في حكم النكرة لتكون التعريف للعهد الذهني نحو ألم على القوم يمشي وفيه مافيه وفيه مافيه وقيل ان الجواب تتبعها الرادفة ويوم منصوب به ولام القسم محذوفة أي ليوم كذا تتبعها الرادفة ولم تدخل نون التأكيد لانه قد فصل بين اللام المقدرة والفعل وليس بذاك وقال محمد بن علي الترمذي ان جواب القسم ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وهو كما ترى ومثله ماقيل هو على أنك حديث موسى لانه في تقدير قد أتاك وقال أبو حاتم على التقديم والتأخير كالمقبل فاتم بالساهرة والمازدات وخطأه ابن الانباري بان الفاء لا يمتنع بها الكلام وبالجملة الوجه الوجيه هو ما قدمنا وقوله تعالى (يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ) حكاية لأباطيله المنكر وذلك ان المكذبون بالآيات الناطقة به أثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الحقة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار أي يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه أئنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة أي في الحالة الأولى يعنون الحياة كما قال ابن عباس وغيره وقيل انه تعالى شانه لما أقسم على البعث وبين دلائله وطوقهم ذكر هذا الفارع بالبعث ورده الى الحياة بعد الموت فالاستفهام لاستغراب ما شاهدوه بعد الانكار والجملة مستأنفة استئنافا بيانيا لما يقولون اذ ذاك والظاهر ما تقسم والقول في الدنيا وأيا ما كان فهو من قولهم رجع فلان في حافرته أي طريقته التي جاء فيها فحافرها أي أثرها يعني والقياس المحفورة فهي اما بمعنى ذات حفر أو الاسناد مجازي أو الكلام على الاستعارة المكنية بتشبيه القابل بالفاعل وجعل الحافرة تخييلا والتباس نظير ما ذكروا في عيشة راضية ويقال لكل من كان في أمر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته ومنه قوله

أحافرة على صلع وشيب ✽ معاذ الله من سفه وعار

يريد أترجع الى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والتصابي بعد أن شبت معاذ الله من ذلك سفها وعارا ومنه المثل النقد عند الحافرة فقد قيل الحافرة فيه بمعنى الحالة الأولى وهي العقدة أي النقد حال العقد لكن نقل الميداني عن ثعلب ان معناه النقد عند السبق وذلك ان الفرس اذا سبق أخذ الرهن والحافرة الأرض التي حفرها السابق بقوائمه على أحد التأويلات وقيل الحافرة جمع الحافر بمعنى القدم أي يقولون أئنا لمردودون أحياء نمشي على أقدامنا وأعقابنا الأرض ولا يخفى ان اعتبار هذا المعنى غير ظاهر ومن اعتبر الحافرة القبور المحفورة أي لمردودون أحياء في قبورنا ومن زيد بن أسلم هي النار وهو كالذي وقرأ أبو حيوة وأبو بحرية وابن أبي عبلة الحافرة بفتح الحاء وكسر الفاء على انه صفة مشبهة من حفر اللازم كفرح مطاوع حفر بالبناء للمجهول يقال حفرت أسنانه فحفرت حفراً بفتحتين اذا نخر الاكال في أسناخها وتغيرت ويرجع ذلك الى معنى المحفورة وقيل هي الأرض المنة المغيرة باجسادها موتاها وقوله تعالى (وَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً) تأكيد لانكار البعث بذكر حالة منافية له والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون أي أئذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كوننا أبعد شيء من الحياة وقرأ

Marfat.com

تاقع وابن عامر اذا كنا باسقاط همزة الاستفهام فقيل يكون خبر استهزاء بمد الاستفهام الانكاري واستظهر له متناق بمردودون وقرأ عمر وأبي وعبد الله وابن الزبير وابن عباس ومسروق وعاصد والاخوان وأبو بكر ناخرة بالالف وهو لغة من نخر العظم أي بلي وصار أجوف تمر به الريح فيسمع له نخير أي صوت وقراءة الاكثرين أبلغ فقد صرحوا بان فعلا أبلغ من فاعل وان كانت حروفه أكثر وقولهم زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى أغلبي أو ان اتحد النوع لا اذا اختلف لان كان فاعل اسم فاعل وفعل صفة مشبهة ثم تلك القراءة لو وفق بروس الآي واختيار هذلك لا يفيد اتحادها مع الاخرى في البالغة كما لا يخفى على الايذان بتغاير المظم وقصرت النخرة عليه بالاشد بل وقال عمرو بن العلاء النخرة التي قد بليت والناخرة التي لم تنخر بعد ونقل الاتحاد التي عن الفراء وأبي عبيدة وأبي حاتم وآخرين وقوله تعالى (قالوا) حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المقدر صدوره عنهم في كافة أوقاتهم حسبما ينبيء عنه حكاية بصيغة المضارع أي قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما أنكروه من الرد في الحافرة مشعرين بغاية بعده عن الوقوع (تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ) أي ذات خسر أو خاسر اصحابها أي اذا صحت تلك الرجعة فنحن خاسرون لتكذيبنا بها وأرادوا ما قطعوا بانتفاء وقوعه استحالته في صورة ما يغلب على الظن وقوعه ازيد الاستهزاء وقال الحسن خاسرة نارية أي يكون مكان التي نكذبها ولذا كنا مظاما نخرة أليست بكذا وقوله تعالى (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) تعليل لقدر يقتضيه التكارم ذلك فانه لما كان مدار استعظامهم الكرة رد عليهم ذلك فقيل لا تحسبوا تلك الكرة صعبة فانما هي صيحة واحدة أي حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بما تنبيها على كمال انحطاطها كأنها عينا وقيل هي راجع الى الزادة وقوله تعالى (فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ) حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مما جاء أي فاذا هم أحياء على وجه الارض بعد ما كانوا أمواتا في بطنها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة قيل وجه الارض والفلاة وأنشدوا قول أمية بن أبي الصلت

وفيها لحم ساهرة وبحر ٭ وما فاعوا به أبدا مقيم

وفي الكشاف الارض البيضاء أي التي لا نبات فيها للسنوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الاشتر بن قيس

وساهرة يضحى السراب مثلا ٭ لاقطارها قد جبتها ماشيا

أولان سالكيها لابنام خوف المهلكة وفي الاول مجاز على الثاني السهر على حقيقته والتجوز في الاسناد وسمي الراغب فيها لوجين الاول انها وجه الارض والثاني انها أرض القيامة نم قال وحقيقتها التي يكثر الوطء بها فسكنها صيرت من ذلك اشارة الى نحو ما قال الشاعر ٭ لغيرك يغطان الرتاب وتاله ٭ وروى الضحاك عن ابن عباس أن الساهرة أرض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط يخلقها عز وجل حينئذ وعنه أيضا أنها أرض مكة وقيل هي الارض السابعة يأتي الله تعالى بها فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال وهب بن منبه جبل بالشام بعده الله تعالى يوم القيامة لجهنم الثاني وقال أبو العالية وسفيان ارض قريبة من بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على تغاير جهنم وقال قتادة هي جهنم لانها لا تنوم لمن فيها وقوله تعالى (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى) كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تكذيب قومه وتهديدهم عليه بأن يصيبهم مثل ما اصاب من كان أقوى منهم وأعظم ومعنى هل اتاك ان الخبر ان هذا اول ما اتاه عليه الصلاة والسلام من حديث عليه السلام

Marfat.com

ترغيب له صلى الله تعالى عليه وسلم في استماع حديثه كأنه قيل هل أتاك حديثه أنا أخبرك به وإن اعتبر اتباعه قيل هذا وهو التبادر من الإيجاز في الاقتصاص أليس قد أتاك حديثه وليس هل بمعنى قد على ما مر من الوجوه وقوله تعالى ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ظرف لحديث لا للإتيان لاختلاف وقتيهما وجوز كونه مفعول اذكر مقدرا وتقدم الكلام في الواد المقدس واختلاف القراء في طوى ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ على إرادة القول والتقدير وقال له أو فقلنا له اذهب الخ وقيل هو تفسير للنداء أي ناداه اذهب وقيل هو على حذف إن المفسرة يدل عليه قراءة عبد الله أن اذهب لأن في النداء معنى القول وجوز أن يكون بتقدير إن المصدرية قبلها حرف جر ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به ﴿فَقُلْ﴾ بعد مأتيه ﴿هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى﴾ أي هل لك ميل الى أن تتزكى فلك في موضع الخبر لمبتدا محذوف والى أن تزكى متعلق بذلك المبتدا المحذوف ونحوه قول الشاعر

قيل لكم فيها إلى قائق ✻ بصير يا أبها الطاسي حذيا

قد يقال هلك في كذا فلا يؤتى بإلى وبقصر المبتدا رغبة ونحوه ما يتعدى بها وبنيم من قدره هنا رغبة لأنها تتعدى بها أيضا وقال أبو البقاء لا كان الذي أدعوك حيرة بأن والمعنى هل لك ميل الطرف متعلق بمعنى الكلام أو بمقدر يدل عليه وتزكى بحذف احدى التاءين أي تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرأ الحرميان وأبو عمرو بخلاف تزكى بتشديد الزاي وأصله كما أشرنا اليه تتزكى فأدغمت التاء الثانية في الزاي ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي ارشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه ﴿فَتَخْشَى﴾ لان الخشية لا تكون الا بعد معرفته قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لأنها هلاك الأمر من خشي الله تعالى أتى بما يرضيه ومن أمن اجترأ على كل شر ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه الترمذي من أبى هرب ومن خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل وفي الاستقامة ما لا يخفى من اللطف في الدعوة والاستزال عن الغلو وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا الخ يتذكر أو يخشى وتقديم التزكية على الهداية لأنها تخلية والقاء في قوله تعالى ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها في موضع آخر كأنه قيل فذهب وكان كيت وكيت فأراه والأمر الزمخشري في الحواشي على تقدير جملة قال ان هذا معطوف على محذوف والتقدير فذهب فأراه الآن قوله تعالى اذهب يدل عليه فهو على نحو اضرب بعصاك الحجر فانبجست والأراءة اما بمعنى التبصير أو بمعنى التعريف فان العين حين أبصرها عرفها والعدد سحريتها اما كان الظهور أتم فتجعل ونسبتها اليه عليه الصلاة والسلام بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة في قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى على ما روى عن ابن عباس قلب العصا حية أنها كانت القدمة والأصل والأخرى كالتابع لها وعلى ما روى عن مجاهد ذلك واليد البيضاء فانهما باعتبار الدلالة كالآية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع في قوله تعالى اذهب أنت وأخوك بآياتي باعتبار ما في ضمنهما من سائر الأمور التي هي مثل الآية بينة القوم يعلمون وجوز أن يراد بها جميع معجزاته عليه السلام والوحدة باعتبار ما ذكر والقاء لتعقيب أولها أو مجموعها باعتبار أولها وكونها أكبر باعتبار معجزات من قبله من الرسل عليهم السلام أو هو لزيادة المطابقة ولا يخفى بعده وزيده بعدا ترتيب حشر السحرة بعد فانه لم يكن الا على إرادة تلك الآيتين واعتباره من السحر باعتضادها بأمثالها مما عداها من التسع فانها ظهر على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على ما قيل في نحو من عشرين سنة وزعم قلة

Marfat.com

الغيبة أن الآية الكبرى على كرم الله تعالى وجهه أراه اياه متطورة روحه الكريمة بأعظم طور وهو عليان وراء طور العقل وطور النقل (فَكَذَّبَ) يعني عليه السلام وسمى معجزته سحرا (وَعَصَى) الله تعالى بالتمرد بعد علمه بحقية الامر ووجوب الطاعة أشد عصيان وأقبحه حيث اجترأ على الانكار وجود رب العالمين رأسا وكان لابن وقومه مأمورين بمراعاته عز وجل وتراك العظمة التي يدعيها الطاغية ويقبلها منه مثله الباغية لابارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر فقط وفي جعل متعلق التكذيب موسى عليه السلام ومتعلق العصيان الله عز وجل مالايخفى في جعلهما موسى كما قيل فكذب موسى وعصاه من الذم مالايخفى (ثُمَّ أَدْبَرَ) تولى عن الطاعة (يَسْعَى) أي ساعيا فيما يبطل أمره عليه السلام ومعارضة الآية وتم لان ابطال ذلك ونقضه يقتضي زمانا طويلا وجوز أن يكون الادبار على حقيقته أي تم انصرف عن المجلس ساعيا في ابطال ذلك وقيل أدبر يسعى هاربا من الثعبان فانه روي أنه لما ألقى العصا انقلبت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فهرب فرعون وأحدث وانهزم الناس مزدحمين قتل منهم خمسة وعشرون الفا من قومه وفي بعض الآثار أنها انقلبت حية وارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أنشدك بالذي أرسلك الا أخذته فأخذه فعاد عصا وأنت تعلم أن هذا ان كان بعد حضرة السحرة للمعارضة كما هو المشهور فلا نظير لهذه الزيادة هنا اذا أريد بالحشر البعث حشرهم وان كان بعد التكذيب والعصيان وقبل الحشر فلا يظهر تراخيه عن الأولين نعم قيل ان ثم عليه للدلالة على استبعاد ادباره مرعوبا مسرعا مع زعمه الالهية وقيل أريد بقوله سبحانه ثم أدبر ثم أقبل من قولهم أقبل يفعل أي أنشأ لكن جعل الادبار موضع الاقبال تهكما وتنبيها على أنه كان عليه مدارا وشعارا (فَحَشَرَ) أي جميع السحرة لقوله تعالى فارسل فرعون في المدائن حاشرين وقوله سبحانه فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى أي فاتى بكيده من السحر ثم أتاهم وقيل جمع جنوده وجوز ان يراد جمع أهل مملكته (فَنَادَى) في المجمع نفسه أو واسطة المنادي وأيا ما كان فالاول لقوله تعالى (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) وعلى الثاني فبتقدير أي فقال بقول فرعون أنا ربكم الخ مع مافي الثاني من التجوز وفي بعض الآثار انه قام فيهم خطيبا فقال تلك المقالة وأراد اللعين تفضيل نفسه على كل من يدل أمورهم (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى) النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذي ينكل من رآه أو سمعه وابنه من تعاطى مايفضي اليه وهو نصب على أنه مصدر مؤكد لوعد الله وصيغة الله ماضية قيل نكل الله تعالى به نكال الآخرة والاولى وهو الاحراق في الآخرة والاغراق والاذلال في الدنيا وجوز أن يكون نصبا على انه مفعول مطلق لاخذ أي أخذه الله تعالى أخذ نكال الآخرة الخ وأن يكون مفعولا له أي أخذه لاجل نكال الخ وأن يكون نصبا بنزع الخافض أي أخذه بنكال الآخرة والاولى واضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لاباعتبار ان مافيه من معنى النكع يكون فيهما فان ذلك لايتصور في الآخرة بل في الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وابنه من تعاطى مايؤدي اليها فيها وأن يكون في تأويل المشتق حالا واضافة على معنى في أي متكالا بين رآه أوسمع به في الآخرة والاولى وجوز أن تكون الاضافة عليه لامية وعلى الآخرة والاولى على الدارين هو الظاهر وروي عن الحسن وابن زيد وقتادة ومن ابن عباس وعكرمة والضحاك والنخعي ان الآخرة قوله أنا ربكم الاعلى والاولى قوله ما علمت لكم من اله غيري وقيل بالعكس فيهما والثاني

Marfat.com

وكان بينهما على ما قالوا أربعون سنة وقال أبو رزين الأول حالة كفره وعصيانه والآخرة قوله أنا ربكم الأعلى ومن مجاهد أنهما عبارتان عن أول معاصيه وآخرها أي نكل بالطبع والاضافة على جميع ذلك من اضافة المسبب الى السبب ومآل من يقول بقول إنسان فرعون الى هذه الأقوال وجعل ذلك النكال الاغراق في الدنيا وقد قدمنا الكلام في هذا المقام ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ أي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به ﴿ لَعِبْرَةً ﴾ عظيمة ﴿ لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ أي لمن شأنه أن يخشى وهو من من شأنه ذلك على ما قيل وقوله تعالى ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا ﴾ خطاب للمخاطبين في جواب القسم أعني المبتدئ من أهل مكة المنكرين البعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله تعالى بقوله سبحانه فانما زجرة واحدة ونصب خلقا على التمييز وهو محول عن المبتدأ أي الخلق بعد موتكم أشد أي أشق وأصعب على تقدير ﴿ أَمِ السَّمَاءُ ﴾ أي أم خلق السماء على عظمها واتقانها على تعاجيب البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة أدناها وقوله تعالى ﴿ بَنَىٰهَا ﴾ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله تعالى أم السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف من الأفعال من التنبيه على كمال عظمته وتفخيم شأنه عز وجل ما لا يخفى وقوله سبحانه ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا ﴾ بيان لبنائه أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها الى سمت العلو مديدا وفيما وجوز أن يفسر السمك بالتخن فالمعنى جعل تخنها مرتفعا في جهة العلو ويقال للتخن سمك لما فيه من ارتفاع السطح الأعلى عن السطح الأسفل وانما لوحظ هذا الامتداد من العلو للسفل قيل له عرفي ونظير ذلك الدرج والدرك وقد جاء في الأخبار الصحيحة ان ارتفاع السماء الدنيا عن الأرض خمسمائة عام وارتفاع كل سماء عن سماء وتخن كل ذلك وما بين كل سماء وسماء كذلك بالسير المتعارف وان المراد بالعدد المذكور التحديد دون التكثير ونحن مع الظاهر الآتي بتمامه ما لم ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ أي جعلها سواء فيما اقتضت الحكمة فلم يخل عز وجل قطعة منها عما اقتضته الحكمة فيها ومن ذلك تزيينها بالكواكب وقيل تسويتها جعلها ملساء ليس في سطحها التفاوت وارتفاع وقيل جعلها بسيطة متضايفة الأجزاء والمشكل فليس بعضها سطحا بعضها زاوية وبعضها خطا وهو قول بكرتها الحقيقية والبه ذهب كثير وقالوا وحكاه الامام لما ثبت انها كرية متناقرة الى قائل اختار فاي ضرر في الدين ينشأ من كونها كرية وقيل تسويتها تتميمها بما يتم به كمالها من الكواكب والنيرات والتداوير وغيرها مما بين في علم الهيئة من قولهم سوى أمره أي أصلحه أو من قولهم استوت الشمس للهبة اذا نضجت وأنت تعلم أن هذا مع بنائه على انخراق السموات والافلاك غير معروف في الصدر الأول من المسلمين لعدم وروده عن صاحب المعراج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم ظهور الدليل عليه والآية التي يذكرها أهل الهيئة لتلك الأمور لا يخفى حالها ولقد لم يبال بما نتشبث به القوم من أهل الهيئة الجهلة تعالى أعلم بحقيقة الحال ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾ أي جعله مظلما يقال غطش الليل واغطشه الله تعالى كما يقال ظلم وأظلمه ويقال ايضا أغطش الليل كما يقال أظلم وجاء ليلة غطشاء وليل أغطش وغطش قال الأعشى

عفرت لهم ذاتي موهنا ● فلياتهم مدلهم غطش

وفي البحر عن صاحب اللغات في القرآن أغطش اظلم بلغة أزد وأنشد ﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ أي أبرز نهارها والضحى في الأصل على ما يفهم من كلام الراغب انبساط الشمس وامتداد النهار ثم سمي به الوقت

Marfat.com

المعروف وشاع في ذلك وتجوز به عن النهار بقرينة المقابلة وقيل الكلام على حذف مضاف أي ضحى شمسها أي ضوء شمسها وعكسه بذلك عن النهار والأول أغرب وعبر عن النهار بالضحى لأنه أشرف أوقاته وأطهرها وفيه من المناسبة الأرواح مالبس في سائرها فكان أوفق للمقام تذكير الحجة على منكري البعث وإعادة الأرواح إلى أبدانها وقيل إنه لذلك كان أحق بالذكر في مقام الامتنان وإضافة الليل والضحى إلى الساء لأنهما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهي سماوية أو وهما اللذان يحصلان بسبب حركتها على القول بحركتها الأينية دون القول بحركتها الوضعية أو وهما اللذان يحصلان بسبب حركة الشمس في فلكها فيما على القول بأن السماء والفلك متغايران والمتحرك اللذان هو الكوكب في الفلك كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى كل في فلك يسبحون وإن الفلك ليس الا مجرى الكوكب في السماء وقيل أضيفا اليها لأنهما أول ما يظهران منها إذ أول الليل بإقبال الظلام من جهة المشرق وأول النهار بطلوع الفجر وإقبال الضياء منه وفي الكشاف أضيف الليل والنهار إلى السماء لأن الليل ظلها والشمس هي السراج الثاقب في جوها والغرض بيان الليل ظل الأرض وأعجب بالله اعتبار بمرأى الناظر كذلك لما أن زينة السماء الدنيا أيضا اعتبار بمرأى الناظر وقيل أضافهما اليها باعتبار أنهما يحدثان تحتها وشمولا يفقد الاعتبار مما لم يكد يخطر في أذهان العرب من أن النهار طول في نفسه متأثير وهالل ونهار عرض لسيرين حيث الدور رحوي وانقلب بأنهم قالوا ان ظل الأرض قمر وهي بتلك الزهر نوهي في السماء الثانية فاعتبر غيرنا موقف نظر فتأمل وباطلاقه الأضافة الأتي ملابسة (والأرض بعد ذلك دحاها) الظاهر أنه اشارة الى ما تقدم من خلق السماء وانفلاق الليل واخراج النهار دون خلق السماء فخلق وانتصاب الأرض بمضمر قبل على شريطة التفسير وقبل تقديره فتذكر أو تدبر أو تذكر وستعلم ما في ذلك ان شاء الله تعالى ومعنى قوله تعالى (دحيها) بسطها ومهدها للسكنى أعلاها وتقليم في أقطارها من الدحو أو الدحى بمعنى البسط وعليه قول أمية بن أبي الصلت

وبث الخلق فيها اذ دحاها ✽ فهم قطانها حتى التنادي

وقيل دحاها سواها وأنشدوا قول زيد بن عمرو بن نفيل

واسلمت وجهي لمن أسلمت ✽ له الأرض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما استوت شدها ✽ بأيد وأرسى عليها الجبالا

والأكثرون على الأول وأنت قد علمت أن بين زيد وبين الظاهر ان دحوها بعد خلقها وقيل مع خلقها فلا تكرار إذ خلقها مدحوة وروى الأول عن ابن عباس ودفع بأنه لو تعارض بين آيتين أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عنه ان رجلا قال له أرأيت في كتاب الله تعالى تخالف احداها الأخرى قال أفأنيت من قبل رأيك القرآن قال أفتكر ون بالذي خلق الأرض في يومين حتى بلغ ثم استوى الى السماء وقوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها قال خلق الله تعالى الأرض قبل أن يخلق السماء ثم خلق السماء ثم دحا الأرض بعد ما خلق السماء وأما قوله سبحانه دحاها بعد ما نسب الأمرين الجسم العظيم يكون ظاهر ه كالسطح المستوى ويستحيل أن يكون هذا الجسم العظيم خلقة ولا يكون ظاهر ه مدحوا مبسوطا وأجيب أنه لعل مراد القائل بخلقها أولا ثم دحوها ثانيا خلق مادتها أولا ثم تركيبها وإظهارها على هذه الصورة والشكل مدحوة مبسوطة وهذا كما قيل في قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فسواهن سبع سموات ان السماء خلقت مادتها أولا ثم سويت وأظهرت على صورتها اليوم ومن المعين ما يدل على أنها كانت يوم خلقت قبل الدحو كرية الغير ومنتشرا بانيا لم تكن على مظهرها اليوم وتطبيقه بمضمر يفسره آخر وهو انه يأتي ذلك قوله تعالى خلق لكم ما في الأرض

Marfat.com

جيما ثم استوى الى السماء الآية فانه يفيد ان خلق ما في الأرض قبل خلق السموات ومن المعلوم أن خلق ما فيها انما هو بعد الدحو فكيف يكون الدحو بعد خلق السموات وأجيب بان خلق في الآية بمعنى قدر أو أراد مطلق ولا يمكن أن يراد به فيها الايجاد بالفعل ضرورة ان جميع المنافع الأرضية يتجدد ايجادها أو لا فاولا سلمنا أن المراد الايجاد بالفعل لكن يجوز ان يكون المراد خلق مادة ذلك بالفعل ومن الناس من حمل ثم على التراخي الرتبي لان خلق السماء اعجب من خلق الأرض وقال عصام الدين ان بعد ذلك هنا كما في قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا وتعقب بمنع فعل بالأرض ما فعل بعد ما سمعت في السماء والمراد التأخير في الاخبار لخلق الأرض ودحوها واخراج مائها ومرعاها وارساء الجبال عليها عنده قبل خلق السماء كما يقتضيه ظاهر آية البقرة وظاهر آية الدخان وأيد حمل البعدية على ما ذكر بان حالها على ظاهرها مع حمل الاشارة على الاشارة الى المجموع المتقدم مما سمعت يلزم عليه ان اغطاش الليل وإبراز النهار كانا قبل خلق الأرض ودحوها وذلك مما لا يلتئم على تقدير أنها غير مخلوقة اصلا ولا يبعد على تقدير أنها مخلوقة غير معلمة وأيضا قبل لم تحمل البعدية ما ذكر وقيل بنحو ما قال ابن عباس من تأخر الدحو عن خلق السماء مع تقدم خلق الأرض من غير دحو على خلقها لم تحسم مادة الاشكال اذ آية الدخان ظاهرة في ان جبل الرواسي في الأرض قبل خلق السماء وتسويتها وهذه الآية الى آخرها ظاهرة في ان جبل الرواسي بعد وبالجملة انه قد اختلف اهل التفسير في ان خلق السماء متقدم على خلق الأرض أو متأخر فقال إن الثعالبي نقل الواحدي عن مقاتل ان خلق السماء متقدم على خلق الأرض واختاره جمع لكنهم قالوا ان خلق ما فيها متأخر وأجابوا عما هنا وآية البقرة بان الخلق فيها بمعنى التقدير أو بمعنى الايجاد وتقدير الارادة وان البعدية ههنا لايجاد الأرض وجميع ما فيها وعما هنا وآية الدخان بنحو ذلك فقدروا الارادة في قوله تعالى خلق الأرض في يومين وكذا في قوله سبحانه وجعل فيها رواسي وقالوا يؤيد ما ذكر قوله تعالى فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فان الظاهر ان المراد أنشأنا في الوجود ولو كانت الأرض موجودة سابقة لما صح هذا فكأنه قال سبحانه أنشأكم أنتم أيها المنكرون بالذي أراد ايجاد الأرض وما فيها من الرواسي والأقوات في أربعة أيام ثم قصد الى السماء فتعلقت ارادته بايجاد السماء والأرض فاطاعا لأمر التكوين فاوجد سبع سموات في يومين وأوجد الأرض وما فيها في أربعة أيام ونكتة تقديم خلق الأرض وما فيها في الظاهر في سورتي البقرة والدخان على خلق السموات والعكس ههنا ان المقام في الأولين مقام الامتنان وتعداد النعم على أهل الكفر والايمان فاقتضاء تقديم ما هو نعمة بالنظر الى القاطنين من الفريقين فكأنه قال سبحانه هو الذي دبر أمر كم قبل السماء ثم خلق السماء والمقام هنا مقام بيان كمال القدرة فاقتضاء تقديم ما هو أدل الشيء وفي الكشف الطريق الأصل التفسير أنه ثم خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام ثم خلق السماء في يومين الا ما قال الواحدي في البسيط من مقاتل ان خلق السماء متقدم على ايجاد الأرض فضلا عن دحوها والكلام مع من فرق بين الايجاد والدحو وما قيل ان دحو الأرض متأخر عن خلق السماء لان تسويتها رد عليه بعد ذلك فانه اشارة الى السابق وهو رفع السمك والتسوية والجواب ان الرتبة لا تلتئم لما قال من أطباق المفسرين فالوجه ان يجعل الأرض منصوبا بمضمر نحو تذكر واذكر الأرض بعد ذلك وان جعل معتبرا على شريطة التفسير جعل بعد ذلك اشارة الى المذكور سابقا من ذكر خلق السماء الخ فالسماء نفسها يدل على انه متأخر في الذكر عن خلق السماء تنبيها على تفاوت في الدلالة من الأول لكن تتميم كما تقول جلا ثم تقول بعد ذلك أبيت وكيت وهذا كثير في استعمال العرب والعجم وكان بعد ذلك بهذا

Marfat.com

الذي عكسه لما استدل الزاخي الرئيسة وقد استدل ثم يبسطها الذي وعكسها الماء وهذا لا ينافي قول الحسن انه تعالى خلق الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة القبر عليها دخان فارتق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك القبر في موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية فانه يدل على ان كون السماء دخانا سابق على دحو الأرض وتسويتها وهو كذلك بل ظاهر قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان يدل على ذلك وايجاد الجوهرة النورية والنظر اليها بعين الجلال ليطن بالرجاء والجلال وقويها وامتياز الطبقها عن كثيفها وصعود المادة الدخانية للطيفة وبقاء الكثيف هنا كله سابق على الأيام الستة وثبت في الخبر الصحيح ولا ينافي الآيات وأما ما نقله الواحدي عن مقاتل واختار هو الأمار فلا اشكال فيه ويتعين تأويل سورتي النازعات والسجدة على تراخي الرتبة وهو أوفق لقواعد المكالمين لا يوافق ما روى انه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين دحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيها في يوم الخميس والجمعة وفي آخر يوم الجمعة ثم خلق آدم عليه السلام النهي والذي الميل اليه ان تسوية السماء بما فيها سابقة على تسوية الأرض بما فيها الظهور أمر الطبقة في الأجرام السفلية وأمر الطوفية في الأجرام العلية ويمكن تأويل ما ينافي ذلك مما سمعت وأما الخبر الأعظم ففي صحته مقال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال وقد مر شيء مما يتعلق بهذا المقام وانا أبحث الكلام فيه تدريجاً لقوى الأفهام فأقول وبالله تعالى التوفيق لتحصيل المرام وقوله تعالى ﴿أخرج منها ماءها﴾ أي فجر منها عيونا وأجرى أنهارا ﴿ومرعاها﴾ بفتح الميم وكسر العين بكسر الميم وهو الكلأ والمرعى بالفتح وهو المصدر وعكسوا على الوضع والزمان وزعم بعضهم انه في الأصل للموضع ولكنه أريد به أشهر معانيه والمناسب للمقام الذي الأول لكنه قيل انه خاص بما يأكله الحيوان غير الانسان ويجوز به من مطلق ما أكل الانسان وغيره فهو مجاز مرسل من قبيل الرهن و قال الطيبي يجوز أن يكون استعارة مصرحة لان الكلام مع منكري الحشر بعبادة أأنتم أشد خلقا أم السماء أي القادرون القادرون في قرن الباء للتنبيه على الفرق والعدول عن الآخرة بيان وتفسير لما عاملوا به كأنه قيل أيها العابدون القادرون على الشيء بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية أمر المعاش من المأكل والمشرب أو حال من فاعله بإضمار قد أو بدونه ولا يجوز مقتضى التجريد الجملة من العاطف وقوله تعالى ﴿والجبال﴾ منصوب بمضمر يفسره قوله سبحانه ﴿أرساها﴾ أي أثبتها وفيه تنبيه على أن الرسو المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل ليس من مقتضيات ذاتها وفلاسفة المحدثين تكلم في أمر الأرض وكيفية بدئها لا مستند لهم فيه الا آثار أرضية يزعمون دلالتها على ذلك هي في أسفل الأرض عن ساحة القبول وقرأ عيسى برفع الأرض والحسن وأبو حيوة وعمرو بن عبيد وابن أبي عبلة وأبو السماك برفع الأرض والجبال وهو على ما قيل على الابتداء وخبره الزجاج الف ذلك مرجوح لان العطف على فعلية وأورد عليه أن قوله تعالى بناها بيان لكيفية خلق السماء وقوله سبحانه رفع سمكها بيان لبنائها وليس لدحو الأرض وما بعده دخل في شيء من ذلك فكيف يعطف عليه ما هو معطوف على المجموع عطف القصة على القصة والمغير فيه تناسب القصتين وهو حاصل هنا فلا مغير في الاختلاف بل فيه نوع تنبيه على ذلك وقيل ان جملة قوله تعالى والأرض تقع على القراءتين ليست معطوفة على قوله سبحانه رفع سمكها لأنها لا تصلح بيانا لبناء السماء فلا بد من تقدير معطوف عليه وحينئذ يقدر جملة فعلية على قراءة الجمهور أي فعل ما فعل في السماء وجملة اسمية على قراءة الآخرين أي السماء وما يتعلق بها مخلوق له تعالى وجوز عطف الأرض بالرفع على السماء من حيث المعنى كأنه قيل السماء أشد خلقا والأرض بعد ذلك أي والأرض

Marfat.com

بعد ماذكر من السماء أعقد خلقا فيكون وزان قوله تعالى دحاها الخ وزان قوله تعالى بناها الخ وحينئذ فلا يكون بعد ذلك مقررا بتأخر دحو الأرض عن بناء السماء وقوله تعالى (مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) قيل مفعول له أي فعل ذلك تمتيعا لكم ولأنعامكم لان فائدة ماذكر من الدحو واخراج الماء والمرعى واصابة الغيم ولانعامهم فان المرعى كما سمعت مجاز عما يأكله الانسان وغيره والنعل مصدر مؤكد لفعله المضمر أي متعكم بذلك متاعا أو مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك وأورد على الاولين ان الخطاب لمنكري البعث والمقصود هو تتبيع المؤمنين فلا يلائم جعل تتبيع الآخرين كالغرض فالاولى ما بعده وأجيب بأن خطاب التفاتية وان كان خاصا بالحاضرين الا ان حكمه عام كما تقرر في الاصول فالسؤال الى تتبيع الجنس وأيضا النصب على المصدرية بفعله المقدر لا يدفع الفدور لكون المنشأ لبيان المقصود ولا يخفى ان كون المقصود هو تتبيع المؤمنين محل بحث وقوله سبحانه (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى) الخ شروع في بيان مبادئ أمر يوم المعاد ومجامع أهواله وأحواله معاشيم بقوله عز وجل متاعا الخ والفاء الدالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها على ما ينبغي عنه لفظ المتاع والطامة أعظم الدواهي لانه من طم يمنى علا كما ورد في المثل جرى الوادي فطم على القرى وجاء السيل فطم الركي وعلوها على الدواهي غلبتها عليها فترجح ما ذكر قيل فوصفها بالكبرى لما أكد وتوضيح كونها طامة بكونها غالبة بخلائق لايقدرون على دفعها لكن الوصف خاصا وقيل كونها طامة باعتبار انها تطم وتفوق ماعرفوه من دواهي الدنيا وكونها كبرى باعتبار أنها أعظم من جميع الدواهي مطلقا وقيل غير ذلك وأنت تعلم ان الطامة الكبرى صارت كالعلم للقيامة وروي كونها اسما من أسمائها هنا عن ابن عباس وعنه أيضا وعن الحسن انها النفخة الثانية وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن القاسم بن الوليد الهمداني انها الساعة التي يساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار وأخرج عن عمرو بن قيس الكندي انها ساعة يساق أهل النار الى النار وفي معناه قول مجاهد هي اذا دعوا الى حلاك خازن جهنم (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى) بدل كل أو بعض من اذا جاءت على ماقيل وقيل بدل من الطامة الكبرى فيكون مرفوع المحل وفتح لاضافته الى الفعل على رأي الكوفيين وتكون الطامة حقيقة التذكر والبروز لان حسن العمل يغلب كل لذة وسواء كل مشقة وكذا بروز الجحيم مع الابتلاء به يغلب كل مشقة ومع النجاة عنه كل لذة ولا يخفى تعسفه وقيل ظرف لجاءت وعليه الطبرسي وامتظهر انه منصوب باذكر تفسيرا للطامة الكبرى والموصولة وسيء بمعنى عمل والعائد مقدر أي له والمراد يوم يتذكر كل أحد ماعمله من خير أو شر بأن يشاهده مدونا في صحيفته وقد كان نسيه من فرط الغفلة أو طول الامد أو شدة دهش أو كثرته التي تعجز الحافظ عن الضبط لقوله تعالى احصاه الله ونسوه ويمكن ان يكون تذكره بوجه آخر وجوز ان تكون مامصدرية أي يتذكر فيه سعيه (وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ) عطف على جاءت وقيل على يتذكر وقيل حال من الانسان بتقدير قد أو بدونه والوصول بعد على ما مر عن العالم وقال القولين على ما في الارشاد على تقدير الجواب بتذكر الانسان ونحوه وسيأتي ان شاء الله تعالى فلا تغفل ومعنى برزت أظهرت لكل الطالبين بينا لا يخفى على أحد (لِمَن يَرَى) كائنا من كان يروى أنه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر وخص بعض من بالكافر وليس بشيء وقرأت عائشة وزيد بن علي وعكرمة ومالك بن دينار وبرزت مبنيا للفاعل اختلفوا لمن ترى بالتاء الفوقية على أن فيه ضمير جهنم كما في قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد واسناد الرؤية لها مجازا وهو حقيقة على أن يخلق الله تعالى فيها رؤية ويجوز أن

Marfat.com

تكون خطابا لسيد الخاطبين صلى الله تعالى عليه وسلم أو لكل واحد كقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون أي لن تراه من الكفار وقرأ أبو عمرو وأبو السماك وهرون عن ابن عمرو وردت مبنيا للمفعول اختفا وقوله تعالى (فأما من طغى) الخ جواب اذا على أنها شرطية لا ظرفية كما جوز على طريقة قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى الآية وقولك اذا جاءك بنو تميم فاما العاصي فاعنف وأما الطائع فأكرم واختاره أبو حيان وقيل جوابها محذوف كأنه قيل فاذا جاءت وقع ما لا يدخل تحت الوصف وقوله سبحانه فاما الخ تفصيل لذلك المحذوف وفي جعله جوابا غموض وهو وجه وجيه بيد أنه لا غموض في ذلك بعد تحقق استقامة أن يقال فاذا جاءت فان الطاغي الجحيم مأواه وغيره في الجنة مثواه وزيادة أما لم تفد الا زيادة المبالغة وتحقيق الترتب والثبوت على كل تقدير وقيل هو محذوف لدلالة ما قبل والتقدير ظهرت الاحوال ونشرت الصحف أو يتذكر الانسان ما سعى أو لدلالة ما بعد والتقدير القسم الزاوج فسمين وليس بذاك أي فاما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان حتى كفر (وآثر) أي اختار (الحَيٰوةَ الدُّنيا) الفانية التي هي محل جماح القوات فانهمك فيما تشتهيه فيها ولم يستعد للحياة الآخرة الابدية بالايمان والطاعة (فإنَّ الجَحيمَ) التي ذكر شأنها (هِيَ المَأْوىٰ) أي مأواه على ما رآه الكوفيون من أن الفي منه عوض عن المضاف اليه الضمير وبه يحصل الربط أو تأوى له على رأي البصريين من عدم كونها عوضا ورابطا وهذا الخلق هنا قليل فان الطاغي هو صاحب المأوى وحسنه وقوع المأوى فاصلة وهو الذي اختاره الزمخشري وهي أما ضمير فصل لا محل له من الاعراب أو ضمير جهنم مبتدأ والكلام دال على الحصر أي كأنه قيل فان الجحيم هي مأواه أو المأوى له لا مأوى له سواها (وأمّا مَن خافَ مَقامَ رَبِّهِ) اي مقامه بين يدي مالك أمره يوم القيامة لكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى على ان في الاضافة مثلها في راكب الناقة او واما من خاف ربه سبحانه على ان لفظ مقام مقحم والكلام منه كناية عن ذلك واثبات الخوف من الرب عز وجل بطريق برهاني بليغ نظير ما قيل في قوله تعالى الرحمن مثواه وقام الكلام في ذلك قد تقدم في سورة الرحمن (ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوىٰ) اي زجرها وكفها عن الهوى الردي وهو الميل الى الشهوات وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخيرات ولم يتبع طباع الدنيا وشهواتها ولم يختر لذاتها وزينتها عقبا بوعلة عاقبتها ومن ابن عباس ومقاتل انه الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب بين يدي ربه سبحانه فيخافه فيتركها وأصل الهوى مطلق الميل وشاع في الميل الى الشهوة وسمي بذلك على ما قال الراغب لانه يهوي بصاحبه في الدنيا الى كل داهية وفي الآخرة الى الهاوية وقال الشمني مدح بمخالفه كالبعض الحكماء اذا أردت الصواب فانظر هواك فخالفه وقال الفضيل أفضل الاعمال مخالفة الهوى وقال أبو عمران التجيبي

خالف هواك واصطبرها ان من يطع ✽ هوى نفسه تنزع به شر منزع

ومن يطع النفس اللجوجة تردد ✽ وترم به في مصرع أي مصرع

الى غير ذلك وقد قارب ان يكون قبح موافقة الهوى وحسن مخالفته ضروريين الا ان السلامة من الموافقة قليل قال سهل لا يسلم من الهوى الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبعض الصديقين فالهوى ان سلم منه (فإنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوىٰ) لا لاغيرها والظاهر أن هذا التفصيل عام في أهل النار وأهل الجنة وعن ابن عباس ان الآيتين نزلتا في أبي عزيز بن عمير وأخيه مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه كان الاول طاغيا مؤثرا الحياة الدنيا وكان مصعب خلافه فمدح بما ذكر وعن الهوى وقد وقى

Marfat.com

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حتى تفذت القادص اى السهام في جوفه فقام رآه عليه الصلاة والسلام منقطعا في دمه قال عند الله تعالى احتسبك وقال لاصحابه قد رأيته وعليه يرمان ما تعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب ولا أسر أخوه أبو عزيز ولم يتعد وثاقه اكراما له وأمر بفدائه قال ما هوولي بخ شدوا أسيركم فان أمه أكثر أهل البطحاء حليا وما لا وفي الكشاف أنه قتل أخاه أبا عزيز يوم أحد ومن ابن عباس أيضا انهما نزلتا في أبي جهل وفي مصعب وقيل نزلت الاولى في النضر وابنه الحرث المذكورين بالغلو في الكفر والطغيان ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ أي متى ارساؤها أي اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويكونها وايانا فالرسى مصدر ميمي من سار يسير بمعنى ثبت ومنه الجبال الرواسي وحاصل جملة الاستفهامية السؤال عن زمان ثبوتها ووجودها وجوز أن يكون الرسى بمعنى المنتهى أي متى منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة حيث تنتهي اليه وتستقر فيه كذا قيل وتقدير الاستفهام بمتى يقتضي ان الرسى اسم زمان وقوله كما ان الخ ظاهر في انه اسم مكان ولذا قيل الكلام على الاستعارة بجعل اليوم المتباعد فيه كالمكاني سائر لا يدرك ويوصل اليه مما يستقر في مكان بجعل وقت مرساها كمستقرها له فتدبر وقوله تعالى ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴾ انكار وردلسؤال المقترحين عنها أي في أي شيء انت من أن تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألوك بل انما كقوله تعالى يسألونك فلك عني عنها فالاستفهام للانكار وفيم خبر مقدم وأنت مبتدأ مؤخر ومن ذكراها على تقدير مضاف أي ذكرى وقتها متعلق بما تعلق به الخبر وقيل فيم انكار السؤالهم وما بعده استئناف لعلل الانكار وبيان لبطلان السؤال أي فيم هذا السؤال ثم ابتدىء فقيل أنت من ذكراها أي ارسالك وأنت خاتم الانبياء المبعوث في نسم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها من قريب فحسبهم هذه القرابة من العلم فمن قوله تعالى ﴿ إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴾ على هذا الوجه الاستئنافي بيع متى مقطعا أي مقطعا بكيانها وتفاصيل أمرها ووقت وقوعها لا الى أحد غيره سبحانه وانما وظيفتهم أن يقفوا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمجيئك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك وأما على الوجه الاول فمناطه ان مرجع انتهاء علمها ليس لاحد من خلقه كائنا من كان فلاي شيء يسألونك عنها وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴾ علة لقرير ما قبل من قوله سبحانه فيم أنت من ذكراها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه الصلاة والسلام في ذلك الحال فان انكار كونه صلى الله تعالى عليه وسلم في شيء من ذكراها مما يوهم بظاهره أن ليس له عليه الصلاة والسلام ان يذكرها بوجه من الوجوه فازيح ذلك ببيان ان الذي منه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكراها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عنها فالذي أنما انت منذر من يخشاها ويخاف اهوالها وظيفتك الاشتمال عما ذكرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال مما تحيط به لا علم بتعيين وقتها الذي لم يفوض اليك فما لهم يسألونك عما لم تبعث له ولم يفوض اليك امره وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى انت من ذكراها ببيان ان ارساله عليه الصلاة والسلام وهو خاتم الانبياء عليهم السلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ان كانت تسبقني والظاهر على الاول أن القصر من قصر الموصوف على الصفة والمعنى ما أنت الا منذر لا مسلم بالوقت معين لمواقعها ذكر صفة المنذر اظهارا لكونها ذات مدخل في القصر لكون الكلام في القصر على منذر خاص وفي اعلام خاص يقابله وكونه من قصر الصفة على الموصوف بناء على ما يتبادر الى الفهم من كلام السكاكي أن المعنى انما أنت منذر الخلق دون من لا يخشى أي ما أنت منذر الامن يخشى دون غيره غير مناسب للمقام على أنه

Marfat.com

فيسأل عليه ان من يخشى من صلة مسافر ليس من مشاق انما في شيء ليحمل الجزء الاخير القصور عليه الانذار وهسقا ان منع اشارم عدم صحة ماقرر لكن في محله مقال اذ يستلزم أيضا ان لايصح انما هو غلام زيد لاعمرو والحاصل ضارب عمرا لازيدا مع شهرة اشتمال ذلك من غير نكير فتأمل والظاهر على الثاني ان انما لمجرد التأكيد زيادة في الاعتناء بشأن المقام وليست للحصر اذ لايتاتى به غرض عليه بحسب الظاهر على ماقيل وقوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) اما تقرير وتأييد لما يفيده الانذار من سرعة مجيء المنذر به لاسيما على الوجه الثاني والمعنى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار الا قليلا واما رد لما هو مبنى سؤالهم فكأنه قيل انهم كانوا يستهزئون منها طريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على سبيل الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين والمعنى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية اليوم وهذا الكلام على ما نقل عن الزمخشري له أصل وهو لم يلبثوا الا ساعتين نهار عشيته أو ضحاه فوضع هذا المختصر موضع ذاك أفادت الاضافة ذلك كما في الكشف من حيث انك اذا قلت لم يلبثوا الا عشية او ضحى احتمل أن تكون العشية من يوم والضحى من آخر فيتوهم الاستمرار من ذلك الزمان الى مثله من اليوم الآخر اما اذا قلت عشيته او ضحاه لم يحتمل ذلك البتة وفي قولك ضحى تلك العشية ما ينبئ عن قولك عشية ذلك النهار أو ضحياه وقال الطيبي انه من الافتنان أن يراد بالعشية أو الضحى كل اليوم مجازا فلما أضيف اليوم اكتسبتا ونفى ذلك الاحتمال وجعله من باب رأيته بين وهو حسن ولكن السابق اليه من التكلف ولا مانع من الجمع وزاد الاضافة حسنا كون الكلمة فاصلة والخبر جمع كون اللبث في الدنيا وبينهم كرور النهار وحيوز كونه فيهما واختار في الارشاد ما قدمنا وقال ان الذي يقتضيه نظام اعتبار كونه بعد الانذار أو بعد الوعيد تحقيقا للانذار بردا لاستبطائهم واجلة على الوجه الاول عالمين الوصول كأنه قيل تذرهم مشرين يوم يرونها في الاتقاد بعد لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستانفة لا محل لها من الاعراب هذا ولا يخفى عليك ان الوجه الثاني وان كان حسنا في نفسه لكن عدم الابتداء بالضمير عليه يحسن الوقف على قيم ثم يبتدأ بما أنت من ذكراها لئلا يلبس وقيل أن قوله تعالى فيم الخ متصل بسؤالهم على أنه بدل من جملة يسألونك الخ أو هو بتقدير القول أي يسألونك عن زمان قيام الساعة ويقولون لك في أي مرتبة أنت من ذكراها أي تعيينها أي ما مبلغ علمك فيها أو يسألونك عن ذلك قائلين لك في أي مرتبة أنت الخ والجواب عليه قوله تعالى الى ربك منتهاها ولا يخفى ضعف ذلك وأخرج البزار وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه عن عائشة قالت ما زال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى أنزل الله تعالى عليه فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها فانتهى عليه الصلاة والسلام فلم يسأل بعدها وأخرج النسائي وغيره عن طارق بن شهاب قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر ذكر الساعة حتى نزلت فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها فكف عنها وعلى هذا فيه تصحيب من كثرة ذكر صلى الله تعالى عليه وسلم لها كان قبل في أي شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى أنهم يسألونك عنها فتحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها وتنظر فيه ابن المنير بان قوله عز وجل يسألونك الخ حتى يتراءى انك اذا لم تحقق السؤال عنها ولا تهتم بذلك وهم يسألونك لايسأل الحق عن الغي أي الكثير السؤال عنها أجيب بانه يحتمل أنه لم يكن منه صلى الله تعالى عليه وسلم أو لا اعتناء ثم كان وان سؤالهم هذا ونزول الآية بعد وقوع الاعتناء وأنت تعلم ما في ذلك من البعد وقرأ أبو جعفر وشيبة وخلف الحداد وابن عامر ونعيم وطلحة وابن عيصن وابن مقسم وأبو عمرو في رواية منذر بالتنوين والاصل وهو الاصل في مثله بعد اعتبار

Marfat.com

النهاية والاضافة للتخفيف فلا يبقى أن الاصل في الاسناد عدم الاحوال والاحوال عارض للشيء والوصف عند الحال واضافته للتخفيف صالح للحال والاستقبال وانما أريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو مقدر زيد أمس وهو هنا على ما قبل الحال للقارئة يخفى ولا يبقى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مقدر في الماضي والمستقبل حتى يقال المناسب لحال الرسالة الاستمرار ومنه يجوز فيه الاحوال وعدمه ثم المراد بالحال حال الخبر لا حال التكلم وفي ذلك كلام في كتب الاصول فلا تغفل والله تعالى أعلم

سورة عبس

وتسمى سورة الصاخة وسورة السفرة وسميت في غير كتاب سورة الاعمى وهي مكية بلا خلاف وآيها اثنتان واربعون في الحجازي والشامي واحدى واربعون في البصري وأربعون في الكوفي والمدني الاول ولا ذكر سبحانه فيما قبلها الا أنت منذر من يخشاها ذكر عز وجل في هذه من ينفعه الانذار ومن لم ينفعه فقال عز من قائل

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ الخ روى أن ابن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة واسمه عمرو بن قيس بن زائدة بن جندب بن هرو بن واحة بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤي القرشي وقيل عبد الله بن عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن أبي ربيعة الفهري والاول أكثر وأشهر كما في جامع الاصول وأم مكتوم كنية أمه واسمها عاتكة بنت عبد الله المخزومية وغلط الزمخشري في جعلها في الكشاف جدته وكان أعمى وعمى بمعنى نور وقيل ولد أعمى ولذا قيل لامه أم مكتوم التي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يناجيهم ويدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال يارسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك ولم يعلم تدافعه بالقوم فكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قطعه الكلام وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة واستخلفه صلى الله تعالى عليه وسلم على المدينة فكان يصلي بالناس ثلاث عشرة مرة كما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب عن أهل العلم بالسير ثم استخلف بعده أبا لبابة وهو من المهاجرين الاولين عاجر على الصحيح قبل أبي صلى الله تعالى عليه وسلم ووهم القرطبي في زعمه أنه مدني وأنه لم يجتمع بالصناديد المذكورين من أهل مكة ومونه فيما قاله شهيدا يوم فتح المدائن أيام عمر رضي الله تعالى عنه ورآه أنس يومئذ وقد دفع له راية سوداء وقيل رجع بها الى المدينة قادسية بارضى الله تعالى عنه وضمير عبس ومابعده للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي التعبير عنه عليه الصلاة والسلام بضمير الغيبة اجلال لحضرة صلى الله تعالى عليه وسلم لايهام ان من صدر منه ذلك غيره لانه لايصدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم مثله كما أن في التعبير عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بضمير الخطاب في قوله سبحانه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ ذلك لما فيه من الايناس بعد الايحاش والاقبال بعد الاعراض والتعبير عن ابن أم مكتوم بالاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولمقابلته بالقوم وقيل ان العلة أولا والخطاب ثانيا لزيادة الانكار وذلك لكي يشكو الى الناس حينما جئ عليه ثم يقبل على الباقي اذا حي على الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك لانه وصف يناسب الاقبال عليه والخطاب وفيه أيضا دفع ايهام الاختصاص بالاعمى الذي وليه الى أن قال

Marfat.com

ضيف يستحق الاقبال من مثله على اسلوب لايقضي الفاضي وهو تضايف وأن تقدير حرف الجر أعني لام التعليل وهو معمول لاول الفعلين على اختار الكوفيين وثانيهما على اختار البصريين وإليهما ذهب الفراء ثم هو بحسب الثاني متعلقا بالاختلاف أي عبس لان جاءه الاعمى وأعرض لذلك وقرأ زيد بن علي بتشديد الباء للمبالغة لا للتعدية وهو والحسن وأبو عمران الجوني وعيسى ألف بهمزة ومدة بعدها وبعض القراء يحققون الهمزتين وبعضهم في الثانية للاستفهام الانكاري ويوقف على الاول والثاني الا ان جاء الاعمى فصل ذلك وضمير أنه للاعمى والظاهر ان الجملة متعلقة بفعل الدراية على وجه سد مسد مفعوليه أي أي شيء يجعلك دارياً بحال هذا الاعمى أنه يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض أوضار الاثم ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ ﴾ أي يتعظ ﴿ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ أي فتحصل له بموعظتك والذي ذهب اليه الاكثرون ما هو مترتب منه من ترك أو تذكر ولو درى ذلك كان الذي في الغرض نفي دراية أنه يزكى أو يذكر والترجي راجع إلى الاعمى أو إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ما قيل دلالة على ان رجاء تزكيه أو كونه ممن يرجى منه ذلك كاف في الاعتناء من البؤس والاعراض كيف وقد كان استزلاؤه محققا ولا عصم من عصمه في تعليق الرجاء به لا التحقق اعتبار متعلق الترجي بعض الاوضار ترشيحا لذلك وفي اظهار مايقتضي مقام العظمة ههنا من الخلاق الترجي وحمله على ما يتعلق عليه الاسم الاكمل وقال بعضهم متعلق الدراية محذوف أي مايدريك أمره وعاقبة حاله ويطلعك على ذلك وقوله سبحانه لعله استئناف وارد لبيان مايلوح به ماقبله فانه مع الشعار بأن له شأنا في الاعراض عنه خارجا عن دراية الغير ودرائه مؤذن بانه تعالى يقربه ذلك وانما عبر في الترجي الكامل فقال أي لعله يتطهر بما يتبين منك من أوضار الاثم بالكناية أو يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل الاول أبعد لتزي وقدم الترجي على التذكر لتقدم التخلية على التحلية ولخص بمفهوم الثاني بما اذا كان ما يتلقه من الدواعل والاول بما اذا كان سوى ذلك وهو كما ترى وفي الآية تعريض والشعار بأن من تصدى صلى الله تعالى عليه وسلم لتزكيتهم ولتذكيرهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر أصلا فلي للمؤمن لن يقرر مسئلة لن لا يفهمها وعنده آخر قابل لتفهيمها الى هذا يفهم ما تقرر فانه يدبر بانه قصد تفهيم غيره وليس بأهل لما قصده وقيل جاء التعريض من حيث أن الحديث كان متزكيا من الآثام متمثلا وقيل ضمير انه للكافر والترجي راجع إلى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أي انك طمعت في تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة وذلك أعرضت عن غيره فايدريك ان ما طمعت فيه كائن وضعف بعدم تقدم ذكر الكافر وبالقراء الضمير والظاهر جوه أي بناء على المشهور في ان من تخاطل عليه الصلاة والسلام يكون اسما وجاء في بعض الروايات انه كان واحدا وقرأ الاعرج وعاصم في رواية أو يذكر بسكون الذال وضم الكاف وقرأ الاكثر فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب قرأ عاصم في المشهور والاعرج وأبو حيوة وابن أبي عبلة والزعفراني وهو عند البصريين باضمار أن بعد الفاء وعند الكوفيين في جواب الترجي وهو كائن عندهم بتصحيفي جوابه وفي الكشف أن النصب يؤيد رجوع ضمير انه على الكافر لاشتمام الترجي معنى النفي لبعد الرجو من الحصول أي بالنظر الى المجموع لا قد حصل من العباس وسل السابق ووجهه ترشيح معنى الفهم فتذكر ﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴾ أي عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن وفي معناه ماقيل استغنى بكفره عما بيديه وقيل اي رأما من كان ثاروة وغنى وتسبب بأنه لو كان كذلك لذكر الفقر في مقابله وأجيب باستبعاده ان شاء الله تعالى ﴿ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴾ أي تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واصلاحه وفيه مزيد تنفير له صلى الله تعالى عليه وسلم عن معاجلتهم

Marfat.com

فان الاقبال على الشيء عمل بالرؤية ومن هنا قيل

لأنتهين وصل من لا يبتغي صلتي ... ولا أدين لمن لا يتقي أحدا

والله لو كرهت نفسي معاصيتي ... يوما لملت لها عن حبهن يدي

وقرأ الحرميان تصدى بتشديد الصاد على أن الأصل تتصدى فطابت التاء صادا وأدغمت وقرأ أبو جعفر صدى بضم التاء وتخفيف الصاد مبنيا للمفعول أي تعرض ومعناه يدعوك الى التصدي والتعرض له باع من الحرص ومزيد الرغبة في الاسلام . وأصل تصدى على ما في البحر تصدد من الصدد وهو ما استقبلك وصار فيالك يقال داري صدد داره أي قبالتها وقيل من الصدى وهو العطش وقيل من الصدى وهو الصوت المعروف ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالاسلام حتى يمتنك الحرص على السلامه الى الاعراض عن أمثل فما نافية والجملة حال من ضمير تصدى والمنوع عنه في الحقيقة الاعراض عن أمثل لا الاقبال على غيره والاهتمام بأمره حرصا على اسلامه ويجوز أن تكون ما استفهامية للانكار أي اي شيء عليك في أن لا يتزكى وما كما في قوله

وأنت من جاءك يسعى ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ﴾ أي حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من أحكام الرشد وفصال الخير ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ أي يخاف الله تعالى وقيل أذية الكفار في الاتيان وقيل العثار والكبوة اذا لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما أن جملة يسعى حال من فاعل جاءك واستظهر بعض الافاضل أن النظم الجليل من الاحتباك ذكر التي أولا للدلالة على الفر ثانيا والتي والخشية ثانيا للدلالة على ضدها أولا وكأنه جعل استغنى على ما تقل أمرا واستقدر ما قبل عليه فاحتاج لدفعه الى هذا التكلف وعدم الاحتياج اليه على ما قلناه في غاية الظهور ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ تتشاغل يقال لهى عنه كرضي ورمى والتي وتلهى وفي تقديم ضميره عليه الصلاة والسلام على التعلق تنبيه على أن مناط الانكار خصوصيته عليه الصلاة والسلام وتقديمه وعنه قيل للتعريض بالاهتمام بمضمونها وقيل للعناية لانها منشأ العتاب وقيل للفاصلة وقيل للحصر وتحكر التصدي في التلهي دون الاشتغال به وهو القابل للتلهي عن السرح الحاني والتاهي عنه دون عدم التصدي له وهو للقابل للتصدي لذلك قيل للاشعار بأن العتاب للاهتمام بالاول لا للاشتغال به اذ الاشتغال بالكفار غير ممنوع وعلى الاشتغال هي التي لا لانه لا اهتمام له صلى الله تعالى عليه وسلم في أمره اذ الاهتمام غير واجب لانه عليه الصلاة والسلام ليس الا منذرا وقرأ البزي عن ابن كثير عنه تلهى بادغام تاء المضارعة في التاء تفعل وأبو جعفر تلهى بضم التاء مبنيا للمفعول أي يشغلك الحرص على دعاء الكافر للاسلام وطلبة تتلهى بتاءين وعنه بتاء واحدة وسكون اللام ﴿كَلَّا﴾ مبالغة في ارشاده صلى الله تعالى عليه وسلم الى عدم معاودة ما عوتب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد نزل ذلك كما في خبر رواه ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس بدأن قضى عليه الصلاة والسلام نجواه وذهب الى أمهو وجوز كونه ارشادا بلبنا الى ترك الثاني عليه عليه الصلاة والسلام بناء على أن النزول في أثناء ذلك وقيل انقضاء وفي بعض الآثار أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما عبس في وجه فقير ولا تصدى لغني وتأدب الناس بذلك أدبا حسنا فقد روى عن سفيان الثوري أن الفقراء كانوا في مجلسه أمراء والضمير في قوله تعالى ﴿إِنَّهَا﴾ للقرآن العظيم والتأنيث لتأنيث الخبر أعني قوله سبحانه ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي موعظة يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها ولذا الضمير في قوله عز وجل ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ والجملة المؤكدة لما قبلها لما أفاده من بيان علو رتبة القرآن العظيم الذي استغنى عنه من تصدى عليه الصلاة والسلام له

Marfat.com

والجملة الثانية اعتراضية جيء به لترغيب في القرآن والحث على حفظه أو الاضافة به والقرآن الجملة المعترضة بها بالفاء قد صرح به ابن مالك في التسهيل من غير نقل الخلاف فيه وكلام الزمخشري في الكشاف عند الكلام على قوله تعالى فاسألوا أهل الذكر نص في ذلك نعم قيل إنه قيل له فمتى شاء ذكر الاعتراض فقال لا لان الاعتراض شرطه أن يكون بالواو أو بدونه فاما بالفاء فلا أي وهو استظراف لسكن نعقب بأن النقل خلافه ذلك ليس بثبت ويمكن أن يكون في القوم من يذكر ذلك فوافقه تارة وخالفه أخرى وما ألطف قول السيد في التوضيح الاعتراض يكون بالواو والفاء وبما لم يقم الدليل على واحد منهما وقيل الضمير الأول للسورة أو للآيات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير لانها بمعنى الذكر والوعظ أو لرجوع الأول والتذكير باعتبار كون ذلك قرآناً ورجح بعدم ارتكاب التأويل قبل الاحتياج إليه وتعقب بأنه ليس بذاك فان السورة أو الآيات وان كانت متصفة بما سيأتي ان شاء الله تعالى من الصفات الشريفة لكنها ليست مما ألقي على من استحق منه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي ان شاء الله تعالى من الدعاء عليه والتعجب من كفره الفرط انزوالها بعد الخلاف وجواز كون الضميرين للعناية الواقعة وتذكير الثاني لكونها متأولاً وفيه أنه يأباه الوصف بالصفات الآتية وان كان باعتبار أن الضاب وقع بالآيات المذكورة قيل وهي متصفة بما ذكر جاء ما سمعت آنفاً وقيل انك أنت تجعلها الدعوة الى الاسلام وتذكير الثاني لكونها دعاء وهذا على ما فيه مما يأباه النظام وقوله تعالى (في صُحُفٍ) متعلق بمضمر هو صفة لذكرة أو خبر ثان لان أي كائنة أو مثبتة في صحف والمراد بها الصحف المنتسخة من اللوح المحفوظ وعن ابن عباس هي اللوح نفسه وهو غير ظاهر وقيل الصحف المنزلة على الأنبياء عليهم السلام كقوله تعالى وانه لفي زبر الأولين وقيل صحف الملكين على أنه اخبار بالغيب كان القرآن يملى لم يكن في الصحف وأما كان مثبتاً في الدفاتر والطروس ونحوها وأول ما جمع في صحيفة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهو كما ترى (مُكَرَّمَةٍ) عند الله عز وجل (مَّرْفُوعَةٍ) اما في السماء السابعة كما قاله يحيى بن سلام أو مرفوعة القدر كما قيل (مُّطَهَّرَةٍ) منزهة عن مساس أيدي الشياطين أو عن كل دنس على ما روي عن الحسن وقيل عن الشبه والتناقض والأول قيل مأخوذ من مقابلته بقوله تعالى (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) أي كتبة من الملائكة عليهم السلام كما قال مجاهد جمع سافر يسطرون الكتب من اللوح وهو جمع سافر أي كاتب والصدر السفر كالضرب وعن ابن عباس هم الملائكة الموسطون بين الله تعالى وأنبيائه عليهم السلام على أنه جمع سافر أيضاً بمعنى سفير أي رسول ووساطة والتصوير في مصدر بهذا المعنى السفارة بكسر السين وفتحها وجاء فيه السفر أيضاً كما في القاموس وقيل هم الأنبياء عليهم السلام لانهم سفراء بين الله تعالى والأمة أو لانهم يكتبون الوحي ولا يخفى بعده فان الأنبياء عليهم السلام وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب للوحي على أن خاتمهم صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يكتب القرآن بل لم يكتب أصلاً على ما هو الحق وقد مر تحقيقه ولذا وظيفتهم ارشاد الأمة بالامر والنهي وتعليم الشرائع والاحكام لا الجرد السفارة إليهم وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن وهب بن منبه أنهم أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قيل لانهم سفراء ووسائط بينه عليه الصلاة والسلام وبين سائر الأمة وقيل لان بعضهم يسفر الى بعض في الخير والتعليم والعمل وفي رواية عن قتادة انهم القراء وكان القواس ليس بقبول عليه وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة عليهم السلام لاشتقاقه تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة ومادتها موضوعة بجميع تراكيبها لما يتضمن الكشف فسفرت المرأة اذا كشفت القناع عن وجهها والباء قيل متعلقة بمطهرة

Marfat.com

وقيل يضمر هو صفة أخرى لصحف ﴿بَرَرَةٍ﴾ أي اعزاء على الله تعالى مطهرين عنده عز وجل فهو من الكرامة بمعنى التوقير أو مطهرين عن الأوزار يستغفرون لهم ويرشدونهم الى ما فيه الخير بالالهام ويتزلون بما فيه تكليم من الصراح فهو من الكرم ضد اللؤم ﴿بَرَرَةٍ﴾ أي اتقياء وقيل مطيعون فعالي من قولهم فلان يبر خالقه أي يطيعه وقيل صادقون من بر في يمينه وهو جمع بر لا غير وأما ابرار فيكون جمع بر كرب وارباب وجمع بار كصاحب وأصحاب وان منع بعض النحاة استعمالهما لمراد واختص على ما قبل الجمع الأول بالملائكة والثاني بالآدميين في القرآن ولسان الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ذلك لان الابرار من صيغ القلة دون البررة ومتقو الملائكة اكثر من متقي الآدميين فناسب استعمال صيغة القلة وان لم ترد حقيقتها في الآدميين دونهم وقال الراغب خص البررة بهم من حيث انه ابلغ من ابرار فانه جمع بر وابرار جمع بار وبر أبلغ من بار كما ان عدلا ابلغ من عادل وكأنه عنى ان الوصف ببر أبلغ لكونه من قبيل الوصف بالمصدر من الوصف ببار لكن قد سمعت ان ابرارا يكون جمع برة كما يكون جمع بار وأيضا لو كان الملائكة أحق بالوصف بالابلغ بالنسبة الى الآدميين مطلقا بحث وقيل أن الابرار أبلغ من البررة اذ هو جمع بار والبررة جمع بر وبار أبلغ منه لزيادة بنيته ولما كانت صفات الكمال في بني آدم تكون كاملة وناقصة وصفوا الابرار اشارة الى مدحهم بأكمل الاوصاف وأما الملائكة فصفات الكمال فيهم لا تكون ناقصة فوصفوا بالبررة لانه يدل على أصل الوصف بقطع النظر عن المبالغة فيه لعدم احتياجهم لذلك واشارة لفضلة البشر لانهم ابرارا من المجاهدة وعصيان داعي الجبلة وفيه مالا يخفى ومن استعمال البررة في الملائكة ما أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ وهو عليه شاق له اجران ﴿قُتِلَ الْاِنْسَانُ﴾ دعاء عليه بالمنع الدعوات وأصلها ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ تعجيب من افراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه الدعاء عليه والمراد به إما من استغنى عن القرآن الكريم الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به وإما الجنس باعتبار انتظامه له ولا مانع من افراده ورجح هذا بأن الآية نزلت على ما أخرج ابن المنذر عن عكرمة في عتبة بن أبي لهب فاتب الله فأسلم ثم استصغر أبوه واعطاء مالا وجهز الى الشام فبلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه كافر برب النجم اذا هوى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك فافترسه الاسد في اثناء الطريق ذكر الدعاء بقتل من معه ألف دينار أن أصبح حيا فقتله وسط الركب فقالوا لقتاع حوله فقيل أسد الى الرجال ووثب فاذا هو فوقه فزقه فمكان أبوه يندبه ويبكي عليه ويقول ما قال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم شيئاً قط الا كان وسيأتي ان شاء الله تعالى خبر في هذه القصة أطول من هذا الخبر فلا تغفل ثم ان هذا كلام في غاية الايجاز وقد قال جار الله لا ترى أسفر بالفاظه منه ولا ادل على سخط ولا أبعد شوطا في الذمة مع تقارب طرفيه ولا أجمع للآفة على قصر منه حيث اشتمل على ما سمعت من الدعاء مرادا به اذ لا يتصور منه تعالى لازمه وعلى التعجيب المراد به لاستحقاقه لذلك سبحانه التعجيب لكل سامع وقال الامام ان الجملة الاولى تدل على استحقاقهم اعظم انواع العقاب مرة والثانية تنبه على أنهم اقدموا بأعظم انواع القبائح والسكرات شرعا ولم يسمع ذلك قبل نزول القرآن ومناسب الى امرىء القيس من قوله

يشب المرء في الصيف الفتا ✻ فاذا جاء الشتا انكره
فهو لا يرضى بحال واحد ✻ قتل الانسان ما اكفره

Marfat.com

لا أصل لها وهي معربة بكلام العرب لا يجهل ان قائل ذلك موقدار الاقياس لا جاهل وجوز بعضهم ان يكون قوله تعالى قتل الانسان خبرا عن أنه سيقتل الكفار بازال آية القتال وغير بالماضي مبالغة في أنه سيتحقق ذلك وليس بشيء ونحوه ما قيل أن ما استفهامية أي أي شيء أكفره أي جعله كافرا يعني لا شيء يسوغ له أن يكفر وقوله تعالى (مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) شروع في بيان اقراطه في الكفران بتفصيل ما أفاض عز وجل عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لان تقابل بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك والاستفهام قيل للتحقير وذكر الجواليقي أنه في قوله تعالى (مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ) لا يقتضي أنه حقير لان ابليس يجواب في الحقيقة بل على صورته وهو بدل من قوله سبحانه من أي شيء خلقه وجوز أن يكون للتقرير والتحقير مستفاد من شيء النكرة وقيل التحقير يفهم أيضا من قوله سبحانه من نطفة الخ أي من أي شيء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه (فَقَدَّرَهُ) فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال فالتقدير بمعنى التهيئة لما يصلح ولما ساغ عطفه بالفاء دون التسوية لان الخلق بمعنى التقدير يستدعي التهيئة فلا تصلح الفاء وجوز أن يكون هذا تفصيلا لأجمل أولا في قوله تعالى من أي شيء خلقه أي فقدره أطوارا الى أن أتم خلقه (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) أي ثم سهل الخروج من البطن كما جاء في رواية عن ابن عباس بان فتح فم الرحم ومعد الاعضاء في طريقه وتكلس رأسه لاسهل بعد ان كان في جهة العلو وعن ابن عباس أيضا وقتادة وأبي صالح والسدي المراد بالسبيل سبيل النظر القويم المؤدي الى الايمان وتيسيره له هو هداية العقل وتمكينه من النظر وقال مجاهد والحسن وعطاء وهو رواية عن ابن عباس أيضا هو سبيل الهدى والضلال أي سهل له الطريق الذي يريد سلوكه من طريق الخير والهدى وطريق الشر والضلال بان أقدره عز وجل على كل ومكنه منه والاقدار على المراد نعمة ظاهرة يقطع النظر عن خيريته وشريته فلا يرد عليه انه كيف يعد تسهيل طريق الشر والضلال من النعم وقيل انه عد منها لانه لو لم يكن مسهلا لسبيل الخير لم يستحق المدح والثواب بالاعراض عنه وتركه وهو مبني على القول بان ترك الحرام كالمأمور به مع عدم القدرة عليه لعة مثلا لا يثاب عليه وقيل يثاب ويمدح عليه اذا قدر التارك في نفسه انه لو تمكن لم يفعل وقال بعضهم السجز عن الشر نعمة وأنشد

بحكونه شكر إن نعمت تزارم ✽ كما زورمردم آزاری نداريم

ونصب السبيل بمضمر يفسره الظاهر وفيه مبالغة في التيسير وتمكين في النفس بسبب التكرير قيل وفي تعريفه باللام دون الاضافة اشعار بعمومه فانه لو قيل سبيله أوهم انه على التوزيع وان لكل انسان سبيلا يخصه وليس بمتعين هذه الحكمة بالذي الاخير فتدبر وعلى هذا الذي قيل ان فيه ايماء الى ان الدنيا طريق والقصد غيرها كما أشرت به الآية من ان اليسر سبيل للسالكين الذي يترتب عليه الثواب والعقاب وفيه خفاء وأيضا كان فالضمير المنصوب في يسره للسبيل وليس في التفكيك لبس حتى يكون نقصا في البيان (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ) أي جعله ذا قبر توارى فيه جيفته تكرمة له ولم يجعله مطروحا على الارض يستقذره من يراه وتقتسمه السباع والطير اذا ظفرت به كسائر الحيوان والمراد من جعله اذا شاء أمره عز وجل بدفنه يقال قبر الميت اذا دفنه بيده ومنه قول الاعشى

لو أسندت ميتا الى نحرها ✽ عاش ولم ينقل الى قابر

واقبره اذا أمر بدفنه أو مكن منه وفي الآية اشارة الى مضرورية دفن الانسان وهي مما لا خلاف فيها وما دفن غيره من الحيوانات فقيل هو مباح لا مكروه وقد يطلب لامر مشروع يقتضيه كدفع أذى جيفته مثلا وعدالامانة

Marfat.com

من النعم لانها وسيلة في الجملة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم وخصت هذه النعم بالذكر لما فيها من ذكر أحوال الانسان من ابتدائه الى انتهائه وما تضمن من النعم التي هي بعض فضل من الله تعالى فالتأمل ذلك العاقل علم قبح الكفر وكفران نعم الرب سبحانه وتعالى فتذكره جل وعلا بالايمان والطاعة (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ) أي اذا شاء انشاره أنشره على القاعدة المعروفة في حذف مفعول المشيئة وفي تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بان وقته ليس مما يتعين أصلا بل هو تابع لها وهذا بخلاف الاماتة فان وقتها معين اجمالا على ما هو المعروف الاخبار الصحيحة وكذا الخلق في وقت الاقبار بل هو أظهر في ذلك وقرأ شعيب بن الحجاب كما في كتاب الوامح وابن أبي عزة كما في تفسير بن عطية نشره بدون همز وهما لغتان في الاحياء وقوله تعالى (كَلَّا) ردع للانسان عما هو عليه من كفران النعم البالغ نهايته وقوله سبحانه (لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ) بيان لسبب الردع والنافية مجازية وفيها تهكم ومنقطع وما موصولة وضمير أمره للانسان والستر في يقض والتعالي للموصول محذوف أي به أو للموصول على الحذف والايصال والعائد الى الانسان محذوف أي اياه قيل والثاني أحسن لان حذف الفضول أهون من حذف العائد الى الموصول والمراد بما أمره جميع ما أمره والذي عليه ما قال غير واحد لم يقض من أول زمان تكليفه الى زمان أبائه وانقراضه أو من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية مع ما قبل الذي ارتضاه جميع ما أمره فلم يخرج من جميع أوامره تعالى اذ لا يخلو أحد عن التقصير ما ونقل هذا عن مجاهد وقتادة وفيه حمل عدم القضاء على نفي العموم وسلب بانه لا ريب في أن مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر أن ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه أحد من افراده واختار أن يحمل عدم القضاء على عموم النفي أعني أن المحكوم عليه هو الانسان الدخلي أو هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض أفراده وقد أسند الى الكل كما في قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار وأما على أن مصداقه الكل من حيث هو في بعض طريق رفع الايجاب الكلي دون السلب الكلي فالمنفي لما يقض جميع أفراده ما أمره بل أخل به بعضها بالكفر والعصيان مع أن ما مضى مما فصل من فنون النعم الجامعة للكل أن لا يختلف عنه أحد وعن الحسن ان للانسان حقا لربه تعالى يابده في حد ليصلي ما أمره به وقال ابن زيد ورأى التقصير في بعض لله تعالى أي لم يقض الله تعالى لهذا الكافر ما أمره به من الايمان بل أمره القائمة الحجة عليه بما لم يقض له ولا يخفى بعده والظاهر عليه أن الكلام بمعنى حقا أيضا وقوله سبحانه (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) على معنى اذا كان هذا حال الانسان وهو أنه الى الآن لم يقض ما أمره مع أن مقتضى النعم السابقة القضاء فلينظر الى طعامه الخ الذي يقضي ولي الحوائج الصعاب لا يخفى مافي قوله تعالى لما يقض ما أمره من كمال تهييج الانسان والحريصه على امتثال ما يقيه من الامر بالنظر وتفريع الامر عليه مبني على أن الانتظار كما يتبين ان يتيسر بعد الارتداع عما هو عليه والظاهر أن المراد بالانسان هنا نحو ما أريد به في قوله تعالى قتل الانسان ولما جوز صاحب الحواشي المذكورة حمل عدم القضاء على السلب الكلي وجعل الكلام في الانسان البالغ في الكفر قال المراد بضمير يقض غير الانسان الذي أمر بالنظر فانه عام فيما أظهر وتضمن ما امر به ذكر النعم الخارجية القابلة للنظر أي ما يتعلق بذات الانسان من الذات نفسها ولوازمها وهذا ذكر النعم الخارجية القابلة للنظر وقيل الاولى نعم خاصة والثانية نعم عامة وقيل تلك نعم متعلقة بالقوت وهذه نعم متعلقة بالبقاء وفيه نظر والظاهر أن المراد بالطعام المطعوم بانواعه والحصر عليه لذكر الضروب لان آثار القدرة فيه أكثر من آثارها في الضروب واختيار التذييب لا يخفى ما فيه وقوله تعالى (أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ) بدل منه بدل اشتمال فان لكونه من أسباب

Marfat.com

لسكونه كالمتصل عليه والعائد محذوف أي صببنا له وجوز كونه بدلا من كل على معنى فلينظر الانسان الى انعامنا في طعامه انا صببنا الخ وهو كما ترى وأبعد فان المقصود بالنظر هو البعل وبذلك يضعف ماروى عن أبي وابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم أنف التي فلينظر إلى طعامه اذا صار رجيعا ليتأمل عاقبة الدنيا وما تؤلت عليه أعظها وأحرى ان هذا يبعد الارادة عن السياق والأظن انه وقع على صحة رواية من مؤلاء الأجلة الاتفاق وظاهر الصب يقتضي تخصيص الماء بالبيت وهو المروى عن ابن عباس وجوز بعضهم ارادة الأعم وقال ان في كل ماء صبا من الله تعالى يخلق أمثاله على اصول النبات وأنت تعلم أن ايصال الله الى أصول النبات يبعد تسميته صبا وتأكيد الجملة للاعتناء بمضمونها مع كونها مظنة الانكار القاصر ادراه الاحساس يقتضي من الله تعالى وانما يعرف الاستناد اليه عز وجل بالنظر الصحيح وقرأ الاكثر (أنا) بالكسر على الاستئناف البياني كأنه قيل أمر سبحانه بالنظر الى مارزقه جل وعلا من أنواع شتى أكولات قيل كيف أحدث ذلك وأوجد بعد ان لم يكن فقيل انا صببنا الخ وقرأ الامام الحسين بن أمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجههما ورضي سبحانه عنهما انى صببنا بفتح الهمزة والاضافة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الله (صبا) العجب (ثم شققنا الارض) أي بالنبات كما قال ابن عباس (شقا) بديعا لائقا بما يشقها من النبات مقدرا و ذرءا وشكلا وهيئة وقيل شقها بالكراب واسناده الى ضميره تعالى مجاز من باب الاسناد الى السبب وان كان الله تعالى عز وجل هو الموجد حقيقة فقد تبين في موضعه أن اسناد الفعل حقيقة ان فاعله الامر صدر عنه ايجادا ولهذا يشتق اسم الفاعل له وتعقب بانه يأباه قوله في قوله تعالى (فأنبتنا فيها حبا) فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الامطار أصلا ولا بينه وبين انبات الحب بلا مهلة فان الراد بالنبات ما نبت من الارض الى أن يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد وينمو الى تلك الرتبة على أن مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبيء عنه ارداف القسمين بالمصدرين فتوسيط فعل التمم عليه في حصول تلك النعم مخل بالمرام والبحث فيه مجال وقيل عليه أيضا أن الشق بالكراب لا يظهر في العنب والزيتون والنخل وأجيب بانه ليس من لوازم العطف تقييد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه وبالجملة أن يكون ذكر الكراب في القبل على سبيل التمثيل أو أريد به ما يشمل الظفر وجوز أن يكون المراد شقها بالعيون على أن المراد بصب الماء امطار القطر وبهذا اجراء الانهار وتعقب بانه يأباه تراب الشق على صب الماء بكلمة الراخي وأيضا ترتب الانبات على مجموع الصب والشق بالمعنى المذكور لا يلائم قوله تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا المخرج به حبا الآية لاعتباره باستقلال الصب وانزال الغيث في ذلك ودفعا بان ماء العيون من القطر لا من الابخرة المتبخسة في الارض ولا يخفى على ذي عين أن هذا الوجه بعيد متكلف والمراد بالحب جنس الحبوب التي يقتات بها وتدخر كالحنطة والشعير والذرة وغيرها (وعنبا) معروف (وقضبا) أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال هو الفصفصة وقيدها الخليل بالرطبة وقال اذا يبست فهي القت وسميت بمصدر قضبه أي قطعه مبالغة كأنها تذكر قطعا وتكثر به تعني القطع وضعف هذا من قسر الاب بما يشمل ذلك وقيل هو كل ما يقضب لبانه من أغذية من النبات كالقول والطيون وفي البحر عن الخبر أنه الرطب وهو يقضب من النخل واستأنس له بذكره مع العنب ولا يخفى مافيه (وزيتونا ونخلا) هما معروفان (وحدائق) رياضا (غلبا) أي عظاما وأصله جمع أغلب وغلباء صفة الشجر وقد يوصف به الرجل لكن الأول هو الأغلب ومنه قول الأعشى

Marfat.com

يدمى بها غلب الرقاب كأنهم ✿ يزل كبين من تكحيل (١) جلالا

ووصف الحدائق بذلك على سبيل الاستعارة شبه تكاثف أوراق الاشجار وغروفها بغلظ الاوداج وانتفاخ الاعصاب مع الدماج بعضها في بعض في غلظ الرقبة ولا يرد أن الغلظ في الاشجار أقوى لان الامر بالعكس نظراً الى الاندماج وتقوى البعض بالبعض حتى صارت شيئاً واحداً وجوز أن يكون هناك مجاز مرسل كما في الرعن بان يراد بالاغلب الغليظ مطلقاً وجوز في الاساس أيضاً أن الحدائق تشبه بالبيت غليظة بل الغليظ أشجارها وقال بعض المراد بالحدائق نفس الاشجار لسكان العطف على ما قبل حيز أنبتنا فلا تغفل ﴿ وَفَاكِهَةً ﴾ قيل هي الثمار كلها وقيل بل هي الثمار ماعدا العنب والرمان وأياً كان فذكرهما بعد دخولهما أولا للاعتناء بشأنهما ﴿ وَأَبًّا ﴾ عن ابن عباس وجماعة انه الكلأ والرعي من أب اذا أمه وقصده لانه يؤم ويقصد أو من أب كذا اذا تهيأ له لانه متهيء للرعي ويطلق على نفس الكلأ ومنه قوله

(٢) جذمنا قيس ونجد دارنا ✿ ولنا الابطح منها والسكرع

وذكر بعضهم ان ما يأكله الآدميون من النبات يسمى الحصيد والحصيد وما يأكله غيرهم يسمى الاب ومن هنا يقول بعض الصحابة يمدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

له دعوة ميمونة رجعها الصبا ✿ بها ينبت الله الحصيد والأبا

وأخرج عبد بن حميد من الضحاك أنه التين خاصة وقيل هو يابس الفاكهة لانها ثوب وتبأ للشتاء للتفكه بها وأخرج أبو عبيد في فضائله وعبد بن حميد عن ابراهيم التيمي قال سئل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الاب ما هو فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله تعالى ما لا أعلم وأخرج ابن سعد وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وغيرهم من أنس أن عمر رضي الله تعالى عنه قرأ على المنبر فاكهة وأبا فقال قد عرفنا الفاكهة فما الاب ثم رفض عصا كانت في يده فقال هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الاب اتبعوا ما بين لكم في هذا الكتاب فاعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه الى ربه وفي صحيح البخاري من رواية أنس أيضاً أنه قرأ ذلك وقال فما الاب ثم قال ما كلفنا أو ما أمرنا بهذا وبروى من ذلك التي من تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته وفي الكشاف لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت أكبر همتهم مائلة على العمل وكان التعاطي بما يهم من العلم لا يعمل به تكلفا فاراد رضي الله تعالى عنه أن الآية مسوقة في الامتنان على الانسان بتعليمه واستدعاء شكره وقد علم من طوائعا أن الاب مما لم تجر العادة للانسان متناوله أو لانعامه فعليك يا هو أهم من التعرض للشكر له حز وجل على ما بين لك ولم يدكل مما عدد من نعمه تعالى ولا تتغافل عن يطلب معنى الاب ومعرفة البيان الخاص الذي هو اسم له وانكلف بالمعرفة الجلية الى أن يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وسى الناس بان يجروا على هذا اللسان فربما أدى ذلك من مشكلات القرآن الشيء وهو فصاري ما يقال في توجيه ذلك لكن في بعض الآثار عن الفاروق كما في الدر المنثور ما يؤيد فيه إن صح هذا التوجيه في شيء وهو أنه ينبغي أن هذا تبيين المراد من الاب على الشيخين رضي الله عنهما ونحوهما من الصحابة وأما الاختلاف فيه لا يستدعي كونه غريباً خلا بالفصاحة وانه غير مستعمل عند العرب البتة وقد فسر ابن عباس الابن الازرق بما تقدم منه الجواب واستشهد به بقول الشاعر الآتي به الأب والقطين فاعلما ✿ ووقع في شعر

(١) التكحيل مصدر وهو الغلظ يقال به الجرب اه منه

(٢) جذمنا بكسر الجيم أي أصلنا اه منه

Marfat.com

بعض الصحابة كما سمعت ومن تتبع وجد غير ذلك (مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) فيسل اما مفعول له اى فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فانتم بعض النعم المعدودة طعاما لهم وبعضها علف لدوابهم ويوزع وينزل كل على مقتضاه والاكلات لكل الاسنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد اى متعكم بذلك متاعا أو لفعل مراتب عليه أى فتمتعتم بذلك متاعا أى تمتيعا أو مصدر من غير لفظ فان ماذكر من الافعال الثلاثة في معنى التمتيع وقد مر الكلام في نظيره فتذكر (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ) شروع في بيان أحوال معادهم بعد بيان مايتعلق بمعاشهم والفاء لافادة ترتب مابعدها على مايعبر به لفظ التباع من سرعة زوال هاتيك النعم وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية المطبقة من صخ بمعنى أصاخ اى استمع والراد بها النفخة الثانية ووصفت بها لان الناس يصطرون لها فتجعلهم مستمعة عجزا في الظرف أو الاسناد وقال الراغب الصاخة شدة صوت ذي الصوت يقال صخ يصخ فهو صاخ فيه هي بمعنى الصاعقة ابلغ وقيل مأخوذة من صخه بالحجر أى صكه وقال الخليل هي صيحة تصخ الآذان صخا أى تصمها لشدتها وانتهاولت أخذ الخاطر أبو بكر بن العربي قوله الصاخة هي التي تورث الصمم وانها لسمعة وهو من بديع الفصاحة كقوله

* أصم بك الغافي وان كان اسمعا *

ثم قال والمعنى الله تعالى ان صيحة القيامة سمعة لصم عن الدنيا وتسمع أمور الآخرة والكلام في جواب اذا وفي يوم من قوله تعالى (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ) أى زوجته (وَبَنِيهِ) على نحو ما تقدم في النازعات فتذكر فما في العهد من قدم أى يوم يعرض منهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال نفسه كما يؤذن به قوله تعالى (لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) فاستئناف وارد لبيان سبب الفرار وجهه جواب اذا والاخبار عن عدم التصدير بالفاء بتقدير الماضي بغير قد أو المضارع المثبت أو بالفاء بدل يوم يفر مثله ياباه لان المبدل لا يطلب جزاء لا يتحقق حالا على من شرط الانصاف على نفسه أى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكتفيه في الاهتمام به وأخرج الطبراني وابن مردويه والبيهقي والحاكم وصححه عن أم المؤمنين سودة بنت زمعة قالت قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يارسول الله والنساء ينظر بعضهم الى بعض قال شغل الناس عن ذلك وأخرج الترمذي وحسنه عن عائشة قالت قلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضهم الى بعض قال شغل الناس عن ذلك والآية يوم يفر الآية وجاء في رواية الطبراني عن سهل بن سعد انه قيل له عليه الصلاة والسلام ما شغلهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ومثاقيل يفر منهم لفظه أنهم لا يلتفتون منه شيئا وكلام الكشاف يشعر بذلك وبأباه ما سمعت وكذا ما قيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الآخ لم تواسني بمالك والاخوان قصرت في برنا والصاحبة أطمعتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا ويشعر بذلك ما أخرج أبو عبيد وابن المنذر عن قتادة قال ليس شيء أشد على الانسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه مخافة أن يكون يطلب بمظلمة ثم قرأ يوم يفر الآية وذكر الزمخشري بناء على أنه الرجل لا الانسان ليعم منه حال المرأة من باب أولى وقيل هو من باب التغليب وفيه نظر وجعل القاضي ذكر التصاقات على هذا الخط من باب الترقي على اعتبار عطف الاب على الام سابقا على عطفهما على الاخ فيكون المجموع معطوفا عليه وكذا في صاحبته وبنيه فقال تأخير الاحب فالاحب بالمباشرة كأنه قيل يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه ولا يخفى تكلفه مع اختلاف الناس والطباع في أمر الحب والى عدم مراعاة ترق أو تدل هذا الاختلاف مع الزمن الى أن الامر يومئذ أبعد من أن يخطر بالبال فيه ذلك وروى عن ابن عباس أنه يفر قابيل من أخيه هابيل ويفر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من أمه ويفر

ابراهيم

Marfat.com

إبراهيم عليه السلام من أبيه وبئر نوح عليه السلام من ابنه وبئر لوط عليه السلام من امرأته وفي خبر رواه ابن عساكر عن الحسن نحو ذلك وفيه فيرون أن هذه الآية أعني يوم يفر الخ تزلت فيهم ولا الطيرين لايعول عليهما ولا ينبغي أن يلتفت اليهما كلا يخفى والذي أذن الله تعالى به نجاة أبويه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ألفت رسائل في ذلك رغما لانف من أنكر ومن والقدر أعتقد أن جميع آبائه عليه الصلاة والسلام لاسيما من ولدته بلا واسطة أوفر الناس حظا مما أوتي هناك من السعادة والشرف وسمو القدر

كم من أب قد سما بابن ذرى شرف ☆ ﴿ سما برسول الله عدنان

وقرأ ابن محيصن وابن أبي عبلة وحميد وابن السميفع ينبئ بفتح الياء والتخفيف أي يخبر من نبأ الامر اذا أوقعه أي أوقعه في الخبر ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في حسن إسلام المرء تركه مالا ينبئه لا من نبأ اذا قصد كما زعم أبو حيان وقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ بيان لما آل أمر الفاجرين والفاسقين الى السعداء والاتقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء فوجوه مبتدأ وسوغ الابتداء به كونه في حيز التنويع كما مر ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به أي مضيئة متهللة من أسفر الصبح اذا أضاء ومن ابن عباس ان ذلك من قيام الليل ومن الضحاك من آثار الوضوء فيختص ذلك بهذه الامة أي لان الوضوء من خواصهم قيل أي بالنسبة الى الامم السابقة فقط لانبي أنبيائهم عليهم السلام وقيل من طول ما غبرت في سبيل الله تعالى ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ أي مسرورة بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي غبار وكدورة ﴿تَرْهَقُهَا﴾ أي تعلوها وتغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾ أي سواد وظلمة ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه سوى الغبرة وزيادي والجوهري بين الغبرة والقترة فقيل الغبار الغبرة حقيقة وبالغبرة ما يغشاهم من العبوس من الغم وقيل هما على حقيقتهما والمعنى ان عليها غبارا وكدورة فوق غبار وكدورة وقال زيد بن أسلم الغبرة ما انحط الى الارض والقترة ما ارتفع الى السماء والراد وصول الغبار الى وجوههم من فوق ومن تحت والقول عليه ما تقدم وقرأ ابن أبي عبلة قترة بسكون التاء ﴿أُولَٰئِكَ﴾ اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال أي أولئك الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ أي الجامعون بين الكفر والفجور اللذان جمع الله تعالى لهم بين الغبرة والقترة وكان الغبرة للفجور والقترة للكفور نعوذ بالله عز وجل من ذلك

﴿ سورة التكوير ﴾

ويقال سورة كورت وسورة اذا الشمس كورت وهي مكية بلا خلاف وآيها تسع وعشرون آية وفي التيسير ثمان وعشرون وفي الميزان ثلاث وعشرون وهي تدل على يوم القيامة الذي تضمنه آخر السورة قبل ما قبلها ولهذا خرج الامام أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سره أن ينظر الى يوم القيامة كانه رأي عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت أي السور الثلاث وكل بذلك مناسبة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ أي لفت من كورت العمامة اذا لففتها وهو مجاز عن رفعها (١) وازالتها من مكانها بسلاقة الزوم فان الثوب اذا أريد رفعه يلف لفا ويطوى ثم يرفع ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء ويجوز أن يراد لف ضوئها البسيط في الآفاق

(١) ولعل القرينة النسبة اه منه

Marfat.com

التكدر في الأقطار اما على أن الشمس مجاز عن الضوء فانه شائع في العرف أو على تقدير المضاف أو على التجوز في الاسناد ويراد من الله اذهابه مجازا بعلاقة اللزوم كما سمعت آنفا أو رفعه وستره استعارة كالليل وقد اشتهر تشبيه الضوء بالجواهر والأمور النفيسة التي اذا رفعت اختفى ثوب ثم تعتبر الاستعارة ويجعل التكوير بمعنى اللف قرينة لكون هذه استعارة مكنية تخييلية وكون المراد اذهاب ضوئها روى عن الحسن وقتادة ومجاهد وهو ظاهر ما رواه جماعة عن ابن عباس من تفسيره كورت باظلمت والظاهر ان ذلك مع بقاء جرمها كالقمر في خسوفه وفي الآثار مايؤيد ذلك وقيل ان ذلك عبارة عن ازالة نفس الشمس والذهاب بها لازوم العدم واستلزام زوال الملزوم لزوال اللازم ويجوز أن يكون المراد بكورت ألقيت عن فلكها وطرحت من علوه كورته أي القاه مجتمعا على الأرض والقاؤها في جهنم مسع عبدتها كما يدل عليه بعض الأخبار المرفوعة ويذهب ان ذلك نورها كما صرح به القرطبي أو في البحر كما يدل عليه خبر ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن عتيك وفيه أن الله تعالى يبعث ريحا دبورا فتلطمه أي البحر حتى يرجع نارا وعظم جرم الشمس اليوم لا يقتضي استحالة القائها في البحر ذلك اليوم لجواز اختلاف الحال في الوقتين والله عز وجل على كل شيء قدير لكن جاء في الاخبار الصحيحة ان الشمس تعذب يوم القيامة من الرؤس في العشر حتى تكون قدر ميل ويلجم الناس العرق يومئذ والبحر حينئذ تلتهب فيه بعد فلا تغفل وعن أبي صالح كورت تكسرت وفي رواية عن ابن عباس تكويرها اذهابها في الارض وعن مجاهد أيضا اضمحلت ومدار التركيب على الاحاطة والجمع هذا ولم تقف لاحد من السالف على ارادة انها حقيقة والمتأخرين في جواز ارادته خلاف فقيل لاتجوز ارادته لان الشمس كرية مصمتة وغاية اللف هي الاحاطة وهي حاصلة فيها وقيل تجوز لان كون الشمس كذلك مما لايثبته اهل الشرع وعلى تسليمه يجوز ان يحدث فيها قابلية اللف بان يصيرها سبحانه منبسطة ثم يلفها والله عز وجل في ذلك ملك من الملوك ويريد ارادة الحقيقة فيما ترى كونها لفعا كانت من الاجرام التي للالتفاف كالثياب ثم القدرة في كل وقت لا يتناهى شيء والارتفاع الشمس بفعل مضمر يفسره المذكور عند جمهور البصريين لاختصاص اذا الشرطية عندهم بالفعل وعلى الابتداء عند الاخفش والكوفيين لعدم الاختصاص عندهم وكون التقدير خلاف الاصل وكذا يقال في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ أي انقضت وسقطت كما اخرجه عبد بن حميد عن مجاهد وقتادة ومنه الكدر الباز اذا نزل بسرعة على ما يأخذه قال العجاج يمدح عمر بن معمر التيمي

اذا الكرام ابتدروا الباع بدر ✻ تقضي البازي اذا البازي كسر

دأتي جياحيه من العلو قر ✻ أبصر خرقان فضاء فانكدر

وعندنا احدى روايتين عن ابن عباس وروي عنه أنه قال لايبقى يومئذ نجم الا سقط في الارض وعنه أيضا أن النجوم تتبادل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بأيدي ملائكة من نور فاذا مات من في السموات والارض تساقطت من أيديهم وظاهر هذا ان النجوم ليست في جرم أفلاك لما كما يقول الفلاسفة القدماء بل معلقة في فضاء ويقرب منه من وجه قول الفلاسفة الحدثين فانهم يقولون بكونها في فضاء أيضا لكن بقوى منجاذبة لامعلقة بسلاسل بأيدي ملائكة وليس وراء مايشاهد منها الا السماء بمعنى جهة فوق الا بمعنى الفلك المعروف وان صح خبر الطبر وهو في حكم المرفوع لم نعدل عن ظاهره الا ان ظهر استحالته وعيهات ذلك وحينئذ فالامر سهل وقد ذكر بعض المتأخرين أن الملائكة قد تطلق على الاجرام النورية كما في خبر ان لكل شيء ملكا وان كل قطرة من قطرات المطر ينزل معها ملك وخبر

Marfat.com

التي ملك الهيكل وملك البحار ونسمى العقل الافلاطونية وهي أنوار مجردة قائمة بنفسها مدبرة باذن الله تعالى للمربوبات حافظة اياها وهي النبية والنامية والوالدة في النباتات والحيوانات ويقال في السلاسل أنه أريد بها القوى التي بها حفظ الاوضاع أو نحو ذلك وقيل انكدرت تغيرت وانطمس نورها كما هو الرواية الاخرى عن ابن عباس من كدرت الماء فانكدر ففيه تشبيه انطماس نورها بانكدار الماء الذي لا يبقى معه صفاؤه ورونق منظره وتكون هي حينئذ على حالتي بعض الآثار مع عبدتها في النار وظاهر ان النجوم لا تنمحق الشمس وقيل تشملها وذكرها بعد ذكرهما بعد تخصيص فلا تغفل ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي أزيلت عن أماكنها من الأرض بالرجفة الحاصلة على أن التسيير مجاز عن ذلك وقيل سيرت بعد رفعها في الجو كما قال تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وهذا انما يكون بعد النفخة الثانية ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ جمع عشراء كنفاس جمع نفساء وهي الناقة التي أتى عليها من يوم أرسل فيها الفحل عشرة أشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وقد يقال لها ذلك بعد ما تضع أيضا وهي أنفس ما يكون عند أهلها وأعزتي عليهم ﴿عُطِّلَتْ﴾ تركت مهملة لا راعي لها ولا حالب وقيل عطلها العلها عن الحلب والصر وقيل عن ان يرسل فيها الفحول وذلك اذا كان قبيل قيام القيامة لاشتغال أهلها بما عراهم مما يكون اذ ذاك وقيل ان هذا التعطيل يوم القيامة فقال الفرطبي الكلام على التمثيل اذ الاعمار حينئذ والمعنى أنه لو كانت عمار المطالها أهلها واشتغلوا بأنفسهم وقيل على الحقيقة أي اذا قاموا من القبور وشاهدوا الوحوش والانعام والدواب محشورة ورأوا عمارهم التي كانت كرائم أموالهم فيها لم يعبؤا بها لشغلهم بأنفسهم وهو كما ترى وقيل المراد بالعشار السحاب على تشبيه السحابة المتوقع مطرها بالناقة العشراء القريب وضع حملها وفيه استعارة لطيفة مع المناسبة التامة بينه وبين ما قبله فان السحب تعقد على رؤس الجبال وترى ضدها ولا ينافيه كونه مناسبا لما بعده على الأول فانه معنى حقيقي مرجح بنفسه وتعطيلها مجاز عن عدم ارتقاب مطرها لأنهم في شغل عنه وقيل عن عدم امطارها وقيل هي الديار تعطل فلا تسكن وقيل الأرض التي يعشر زرعها تعطل فلا تزرع وقرأ مضر من اليزيدي عطلت بالتخفيف والبناء للمجهول ونائبه في التوابع عن ابن كثير ثم قال هو وهم الفاعل عطلت بتشديد مبني لما لم يسم فاعله لان تشديده للتعدية يقال عطلت الشيء وأعطلته فعطل بنفسه وعطلت المرأة فهي عاطل اذا لم يكن عليها حلي فعلى هذه القراءة لغة استوى فيها فعلت وافعلت أي في التعدي وقيل الأظهر أنه عدى بالحرف ثم حذف وأوصل الفعل بنفسه ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ﴾ جمع وحش وهو حيوان البر الذي ليس في طبعه التأنس بني آدم والمراد به ما يعم البهائم مطلقا ﴿حُشِرَتْ﴾ أي جمعت من كل جانب وذلك قبيل النفخة الاولى حين تخرج نار تقر الناس والأنعام منها حتى تجتمع وقيل أميتت من قولهم اذا أجدبت السنة الناس حشرتهم ونحوه ما أخرج عبد بن حميد عن مجاهد أنه قال حشرها موتها وعن ابن عباس تفسير الحشر بالجمع الا أنه قال كما أخرجه جماعة وصححه الحاكم جمعت بالموت فلا تبعث ولا يحضر في القيامة غير الثقلين وقيل بعثت للقصاص فيحشر كل شيء حتى الذباب وروى ذلك عن ابن عباس أيضا وعن قتادة ومجاهد وفي رواية عن ابن جبير تحشر الوحوش حتى يقتص من بعضها لبعض فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتي فتموت وقيل اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم والدواب بصورة الطاووس والظبي وقيل يبقى فلا يثاب ولا يعاقب إلا المؤمن كتنانة فانه يأتي منها الأمور به على ما يليق الجنة على حال لائقة بها وذهب كثير الى بعث جميع الحيوانات ميلا الى هذه الاخبار وأمثالها فقد أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة في هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لتؤدن الحقوق الى

Marfat.com

أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء وزاد أحمد بن حنبل وحتى الذرة من الذرة ومال جماعة الاسلام الغزالي وجماعة الى أنه لايحشر غير المكلفين لعدم كونه مكلفا ولاأهلا للكرامة بوجه وليس في هذا الباب اثر من كتاب أو سنة معول عليها يدل على حشر غيرهما من الوحوش وغير مسلم والترمذي وان كان صحيحا لكنه لم يخرج الحشر للآية ويجوز أن يكون كناية عن العدل التام والى هذا القول أميل ولاأجزم بخطأ القائلين بالاول لان لهم مايصلح مستندا في الجملة والله تعالى أعلم وقرأ الحسن وعمرو بن ميمون حضرت بالتشديد للتكثير ﴿وإذا البحار سجرت﴾ أي أجيت بان تفيض مياهها وتظهر النار في مكانها ولهذا ورد على ما قيل ان البحر فضاء جهنم او ملئت بتغيير بعضها الى بعض حتى يكون ماؤها وهواؤها بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليجيء وقيل ملئت نارا اضطرم للتعذيب أهل النار وقيل ملئت ترابا لسوية لها بأرض المحشر وليس له مستند أثر عن السلف ونقل في البحر عن حكاية لغات القرآن ان سجرت بمعنى جمعت بلغة خثعم ولعل جمعها عليه بالتسجير وقال ابن عطية يحتمل ان يكون المعنى ملئت وقيد اضطرابها حتى لا يخرج عن الارض من الهول فيكون ذلك مأخوذا من ماجور الكلب وهو حلقة تجعل في عنقه ويقال سجره اذا شده به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سجرت بالتخفيف ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ أي قرنت كل نفس بشكلها أخرج جماعة منهم الحاكم وصححه عن النعمان بن بشير عن عمر رضي الله تعالى عنه انه سئل عن ذلك فقال يقرن الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن الرجل السوء مع الرجل السوء في النار فذلك تزويج الانفس وفي حديث مرفوع رواه النعمان أيضا مايقتضي ظاهره ذلك وقال بعض هذا في الوقت أي يقرن بين الطبقات الانبياء مع الانبياء ثم الاولياء مع الاولياء ثم الامثل فالامثل وقال مقاتل بن سليمان تقرن نفوس المؤمنين بأزواجهم من الحور وغيرهن ونفوس الكافرين بالشياطين وقيل تقرن كل نفس بشكلها وقيل بعملها وجوز ان يراد تقرن كل نفس بخصمها فلا يمكنها الفرار منه وأنت تعلم ان كون كل نفس ذا خصم بين الاتقاد وأيما كان فالناس بمعنى الذات والتزويج جعل الشيء زوجا أي مقارنا وقال عكرمة والضحاك والنخعي تقرن النفوس بأزواجها وذلك عند البعث والنفس عليه بمعنى الروح وقرأ عاصم زوجت على فعلت ﴿وإذا الموءودة﴾ وهي البنت التي تدفن حية من الوأد وهو الثقل كأنها سميت بذلك لانها تثقل بالتراب حتى تموت وقيل هو مقلوب الأد وحكاه الزجاجي في دوره عن بعض أهل اللغة وهو غير مرضي عند أبي حيان وكانت العرب تئد البنات مخافة لحوق العار بهم من أجلهن وقيل مخافة الاملاق وايلاء بالنسبة الى بعضهم ومنهم من يقول للاشكابات الله سبحانه عما يقولون فالحلوا البنات به تعالى فهو عز وجل أحق بهن وذكر غير واحد انه كان الرجل منهم اذا ولدت له بنت فاراد ان يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الابل والغنم في البادية وان أراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها الى أحمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالارض وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فان ولدت بنتا رمت بها فيها وان ولدت ابنا حبسته ورأيت انا أتابع في بعض الكتب ان أول قبيلة وأدت من العرب ربيعة وذلك انهم أغير عليهم فنبت بنت لابيهم فاشتروها بعد الصلح طيبوت برضا منهم أبيها ومن هي عنده فاختارت من هي عنده وأنزله على أبيها فغضب وسن القوم الوأد فقبلوه غيرة منهم ومخافة أن يقع لهم بعد مثل ما وقع وشاع في العرب غيرهم والله تعالى أعلم بصحة ذلك وقرأ البزي في رواية الوءدة فسهلة فاحتمل أن يكون

Marfat.com

الأصل الموؤدة كقراءة الجمهور فنقل حركة الهمزة الى الواو قبلها وحذفت ثم همزت تلك الواو واحتمل أن يكون اسم مفعول من آد والأصل المأودة فحذف أحد الواوين فصارت الموءدة كما حذف من مقول فصار مقولا وقرىء الموودة بضم الواو الأولى وتسهيل الهمزة أعني التسهيل بحذفها ونقل حركتها الى ماقبلها وفي مجمع البيان والعهدة عليه روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أنهم قرؤا الوودة بفتح الميم والواو والراء المهملة وهو الرجل الذي لا يولد له وعن أبي جعفر قراءة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ذلك عنها أيضا وهو على حقيقته والاسناد مجازي والمراد نقل التصدق بها والوجه السؤال الى الموؤدة في قوله تعالى ﴿ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ دون الوائد مع أن الذنب له دونها للتنبيه بالطريق الأولى على التهديد والتخطئة والدعاء لاسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيت فان المجني عليه اذا سئل يحضر الجاني ونسبت اليه الجناية دون الجاني كان ذلك بمنزلة التجاني على التفكر في حال نفسه وحال الجاني عليه فيرى براءة ساحته وانه هو المستحق للعتاب والعقاب وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين وقرأ أبي وابن مسعود والربيع بن خثيم وابن يعمر سألت أي خاصمت أو سألت الله تعالى أولائمتها وانما قيل قتلت لما أن الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت فيقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سألت فيقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرأ كذلك على كرم الله تعالى وجهه وابن عباس وابن مسعود أيضا وجابر بن زيد وأبو الضحى ومجاهد وقرأ الحسن والاعرج سيلت بكسر السين وذلك على لغة من قال سل بغير همز وقرأ أبو جعفر بعد الياء لان الموؤدة اسم جنس فناسب التكثير باعتبار الاشخاص وفي الآية دليل على عظم جناية الوأد وقد أخرج البزار والحاكم في الكنى والبيهقي في سننه عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال جاء قيس بن عاصم التميمي الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اني وأدت ثماني بنات لي في الجاهلية فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أعتق عن كل واحدة رقبة قال اني صاحب ابل قال فاهد عن كل واحدة بدنة وكان الامر للندب لا للوجوب الوقف عمة النوبة عليه فان الاسلام يجب ما قبله من مثل ذلك وفيه تعظيم أمر الوأد وكان من العرب من يستقبحه كعصمة ابن ناجية الجاشعي جد الفرزدق كان ينتدي الموؤدات من قومه بني تميم وبه افتخر الفرزدق في قوله

وجدي الذي منع الوائدات ● فاحيا الوئيد فلم يؤد

واخرج الطبراني عنه قال قلت يا رسول الله اني عملت اعمالا في الجاهلية فهل فيها من أجر احييت ثلثمائة نفس من الموؤدة اشتري كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل فهل لي في ذلك من اجر فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لك أجرك إذ من الله تعالى عليك بالاسلام وعد من الوأد النزل لما أخرج الامام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والطبراني وابن مردويه عن خذامة بنت وهب قالت سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن العزل فقال ذلك الوأد الخفي ومن هنا قيل لعرمته وأنت تعلم ان المسئلة خلافية فقد قال الامام النووي في شرح صحيح مسلم العزل وهو أن يجامع فاذا قارب الانزال نزع وانزل خارج الفرج مكروه عند نا في كل حال وكل أمرأة سواء رضيت أم لا لانه طريق الى قطع النسل وأما التحريم فقد قال اصحابنا يحرم في حرة لم تأذن فيه ولا في زوجته الامة سواء رضيت أم لا لان عليه ضررا في حرة لم تأذن بعصبها أم ولد استمتع بها وعليه ضرر في زوجته الرقيقة بعصبه ولده رقيقا لما لامه وأما زوجته الحرة فان اذنت فيه لم يحرم وان اختلفوا في جواز العزل عنها لا يحرم ثم الاحاديث التي ظاهرها التعارض في هذا الباب يجمع بينها بأن ما ورد منها في النهي محمول على كراهة التنزيه وما ورد في الاذن في ذلك محمول على أن النهي ليس لحرام وليس

Marfat.com

معناه نفي الكراهة انتهى وأجيب على الحديث السابق بأن نسبته بالرأي الخفي لايدل على ان حكمه حكم الرأي الظاهر فقد صح ان الربا شرك خفي ولم يقل أحد بان حكمه حكمه ولا يبعد ان يكون الاستثناء بالبسه كالنزل وأما خفيا وذكر بعضهم انه اذا لم يخش الزنا حرام وان خشيه لم يحرم وكذا لايبعد أن يكون التغليظ مع من يحل له وطؤها كذلك ولم ار قائلا بحرمته وتمام الكلام في هذا المقام في كتب الفقه فارجع واستدل الزمخشري بالآية على ان أطفال المشركين لايعذبون وعلى أن العقاب لايستحق الا بالذنب أما الاول فلان تبكيت قائلها يبان تعذيبها الان استحقاق التبكيت ايلامها من الذنب فلي بكت سبحانه الكافر بوائدها من الذنب كيف يكبر سبحانه عليها فيفعل بها مايقضي عنده قبل التبكت من العقاب السرمدي وأما الثاني فلاشارة قوله تعالى بأي ذنب قتلت الى أن القتل انما يصار اليه بذنب وانه لايستحسن ارتكاب دونه ومعلوم ان في معناه قتل تعذيب ثم الآية انما دلت على أن الوؤدة لاذنب لها انتم التبكيت تضمنت عدم استحقاقها العقاب وزعم أن بن عباس سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية وتعقب بان مبنى مأثوره التحسين والتقبيح وقد بين مافيهما في موضعه وعلى التسليم تمنع انحصار سبب التبكيت في البراءة على ان القتل قيامات المذكور في القرآن يعني خفية الاملاق وزيادة يستحق بها التبكيت استحق بها القتل والتعذيب الاخروي أولا والاشارة الآية على أن باعثهم على القتل إنما كان الذنب لا الى ان الذنب أعني مايستحق بالوؤدة التعذيب معدودين من كل وجه وما روى عن ابن عباس لا تسلم صحته وفي الاخبار ما ينافيه أخرج الامام احمد والنسائي وغيرهما عن سلمة بن يزيد الجعفي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الوائدة والموؤدة في النار الا أن ندرك الوائدة الاسلام فيحلو الله تعالى عنها وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عباس قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال الله تعالى اذ خلقهم اعلم بما كانوا عاملين والخبر عن ما قبل مارواه أبو داود عن عائشة قلت يارسول الله فذراري المؤمنين فقال من آبائهم قلت بلا عمل قال الله تعالى اعلم بما كانوا عاملين قلت يارسول الله فذراري المشركين فقال من آبائهم قلت بلا عمل قال الله تعالى اعلم بما كانوا عاملين وفي مسند الامام احمد سألت خديجة عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هما في النار وأنت تعلم أن في مسئلة الاطفال من هذه الجهة ما عدا اطفال الانبياء عليهم السلام فانهم أجمع على أنهم من أهل الجنة كما قال القاضي خلافا لداود قال الامام النووي في شرح صحيح مسلم أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لانه ليس مكلفا وتوقف فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة تعني هي من الانصار فقالت طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه قال صلى الله تعالى عليه وسلم أو غير ذلك ياعائشة ان الله تعالى خلق الجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وأجاب المعتد به بانه لعله عليه الصلاة والسلام نهاها عن المبادرة الى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع ويحتمل انه عليه الصلاة والسلام قال هذا قبل أن يعلم ان أطفال المسلمين في الجنة فلما علم صلى الله تعالى عليه وسلم قال ذلك في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم مامن مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث الا أدخله الله تعالى الجنة بفضله ورحمته اياهم وغير ذلك من الاحاديث وأما أطفال المشركين فهم على ثلاثة مذاهب قال الا كثرون هم في النار تبعا لآبائهم لحديث سئل عن أولاد المشركين من يموت منهم صغيرا فقال عليه الصلاة والسلام الله تعالى أعلم بما كانوا عاملين أي وغير ذلك وتوقفت طائفة فيهم وقالت النسائة وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من أهل الجنة ويستدل له

Marfat.com

يا فيها منها حديث ابراهيم الخليل عليه السلام حين رآه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الجنة حوله أولاد الناس قالوا يارسول الله وأولاد المشركين قال وأولاد المشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على مولود التكليف ويلزمه قبول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والجواب عن حديث الله تعالى أعلم بما كانوا عاملين انه ليس فيه تصريح بأنهم في النار وحقيقة الحال الله تعالى أعلم بما كانوا يعملون لو بلغوا ولم يبلغوا والتكليف لايكون الا بالبلوغ الذي وتعليما ذكره من الاحتمال في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها بأنه يأتي ما ذكر من حديث ابراهيم عليه السلام فان حديث عائشة كان بالمدينة لانه في سبي من الانصار ونشأ عليه الصلاة والسلام عليها كان قبل حديث ابراهيم عليه السلام كان بمكة لان الظاهر ان تلك الرؤية كانت ليلة المعراج وهو قد كان قبلها ومنها يعلم ان صلى الله تعالى عليه وسلم قد علم ان الاطفال تلهم في الجنة يومئذ فكيف يحتمل أن يكون ماقاله بعد قاله قبل ان يعلم ان الاطفال المسلمين في الجنة وأيضا اذا كان حديث ابراهيم عليه السلام في مكة يضعف الجواب الاول عن حديث عائشة باحتمال ان تكون قالت ماقالت لانه بلغها ذلك الحديث ثم ماذكر من ان المذاهب في أطفال المشركين ثلاثة الظاهر انه مبني على ماوقف عليه والا فهي غير منحصرة فيها بل منها انهم في برزخ بين الجنة والنار ومنها انهم يمتحنون بدخول النار يوم القيامة فمن كتب له السعادة أطاع بدخولها فيرد الى الجنة ومن كتب له الشقاوة امتنع فيسحب الى النار كما جاء في بعض الروايات فلا يحكم على معين منهم بجنة ولا نار وعليه حمل الله تعالى أعلم بما كانوا عاملين وفي اختيارات الديغ ابن تيمية ان هذا أحسن الاجوبة فيهم وقال الجلال السيوطي هو الصحيح المعتمد ومما ذكر معه الجلال واختار الامام الرباني الفاروقي السرهندي قدس سره انهم يحشرون ثم يصيرون ترابا كالوحوش وان اريد بما تقدم من انهم في الجنة كونهم فيها كسائر أهلها فهناك قول آخر وهو انهم فيها خدم الاهلها وقد تقدم الكلام على بحر الكلام على أهل السنة والجماعة وفي أحاديث جمة والظاهر ان المراد بالاطفال المشركين الاطفال الذين ولدوا لهم ولم يشركوا ولو آمنوا بعد ويدل عليه قوله عليه الصلاة السلام السابق في والدي خديجة هما في النار وهو يمكر على من يقول أطفال الذين ماتوا مشركين في النار وأطفال المشركين الذين آمنوا بعد موتهم في الجنة اكراما لهم والذي اختاره القول بأن الاطفال مطلقا واذا فرغ الزنا ومن حين قبل البلوغ في الجنة فهو الا خلق يكرم الله تعالى بواسع رحمته عز وجل والأوفق للحكمة بحسب الظاهر والاكثر تأييدا بالآيات ولا بعد في ترجيح الاخبار الدالة على ذلك بما ذكر على الاخبار الدالة على خلافه والقول بأن ما تضمنته هاتيك الاخبار كان منه عليه الصلاة والسلام قبل علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بأن الاطفال في الجنة بعيد عندي نعم يجوز أن يكون قد أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بأنهم من اهل النار بناء على اخبار الوحي به كاخباره بالوعيدات التي يعفو الله تعالى عنها من حيث التعذيب بالنار فكان لايتصور التفضل مثلا لكنه لم يذكر منها طبقة ثم أخبر عليه الصلاة والسلام بأنهم من أهل الجنة بناء على اخبار الوحي به ايضا ويكون مقتضى الاخبار بأن شرط كونهم من اهل النار لا يتحقق فضلا من الله تعالى وكرما ويكون ذلك كالعفو عما يقتضيه الوعيد ومثل ذلك اخباره فيما ذكر بناء على مشاهدة كونهم في الجنة عند ابراهيم عليه السلام فتأمل ﴿وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ أي صحف الاعمال أخرج ابن المنذر عن ابن جريج أنه قال اذا مات الانسان طويت صحيفته ثم تنشر يوم القيامة فيحاسب بما فيها وقيل نشرت أي فرقت بين أصحابها عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة

Marfat.com

الكافر في يده في صدره وحيم أي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي نذرت بالتشديد للمبالغة في النذر بتنبيه أو لكثرة الصحف أو لعدة النذائر ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ فتحت وأزيلت سكر بكشف الاهاب عن الذبيحة والمعنى فتحت بالقلع عن الثقب المنور به فأصل التفجير القلع واستير هنا للازالة وقرأ عبد الله فتحت بالتخفيف مكان الشد والمعنى واحد غير عزيز قال الكافور والفاسقور وعربي قح وقيح ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ أي أوقدت إيقادا شديدا قال قتادة سعر غضب الله تعالى وخطايا بني آدم وقرأ جمع منهم على ارم الله تعالى وجهه سعرت بالتخفيف ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ أي قربت من المتقين كقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن أبي العالية انه قال ست آيات من هذه السورة في الدنيا والناس ينظرون وست في الآخرة اذا الشمس كورت الى واذا البحار سجرت هذه في الدنيا واذا النفوس زوجت الى واذا الجنة أزلفت هذه في الآخرة وأخرج ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي بن كعب انه قال ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ انكدرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت فزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش فماجوا بعضهم في بعض وأهالت البحار وقال الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم وقال بعضهم ان الست الاولى فيما بين النفختين وبه مر بعض قال ابن أبي الدنيا وقيل هي فيما قبل النفخة الاولى وما بعدها الى النفخة الثانية فالاولى قوله تعالى ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ جواب اذا على أن المراد بها زمان واحد ممتد يسع الامور المذكورة مبدؤه قبيل النفخة الاولى أو هي ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا يعني ان النفس تعلم ما تعلم في كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المديد أو عند وقوع ما يجازى ذلك الكافر بل عند نشر الصحف الا انه لا كان بعض تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتشطيرا للحال والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضور الاعمال اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور أنفسها على ما قالوا من ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هنالك وتتصور وحمل على ذلك نحو قوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يؤيده ويؤيده أيضا حديث ذبح الموت ونحوه فليس ولا بد في ذلك الا أن يرى أن العلم يظهر في عالم المثال على صورة الاين لا لا يخفى على من له خبرة بأحوال المحضرات الحس وقد حكى عن بعض الاكابر انهم يشاهدون في هذه النشأة الاعمال عند الخروج بها الى السماء وكان ذلك بنوع من التجسد وأيا كان فاسناد احضارها الى النفس مع أنها تحضر بأمر الله تعالى لا تؤذن به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية لانها انما عملتها في الدنيا فكأنها أحضرتها في الوقت ومعنى علمها بها على التقدير الاول اخلاصها عليها مفصلة في الصحف بحيث لا يشذ عنها منها ثوبه لا يليه عنه فولهم مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وعلى التقدير الثاني انها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة فان كانت صالحة شاهدتها على صور أحسن مما كانت تدركها في الدنيا فالطاعات لا تظهر فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة شاهدتها على خلاف ما كانت عندها في الدنيا كانت مزينة لها موافقة

لهواها

Marfat.com

ملواها وتكرير النفي لتأكيد السلم انفرد من النفوس أو لبعض منها الايمان بان ثبوته جميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يخوم حوله شائبة قطعا يعرفه كل أحد ولو سمي بمبارزة تدل على خلافه والمرء مازال أن ذلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر افرادها وتكثر امدادها انما تتنازل بالنسبة الى جناب الكبرياء والعظمة الذي أشير الى بعض بدائع شؤنه الذاتية عن مظم سلطانه عز وجل وفي الكشاف ان هذا من عكس الافهام الذي يقصدون فيه الافراط فربما يعكس عنه ومنه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وسناء في وأبلغ وقول القائل

فدأيك الفر مصفرا أنامله ٭ كأن أثوابه مجت بفرصاد

وتقول لبعض قواد العساكر في عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أولا تعدم عندي فارسا وغرضه المقاتلة وقصده بذلك الحاذي في تكثير فرسانه ولكنه أراد اظهار براءته من التزيد وانه ممن يقال فيهم ما عنده فضلا أن يتزيد بإزاء يلاحظ التقابل فتفهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وبين بالكشف أنه يفيد ذلك مع ما في خصوص كل موقع من فائدة خاصة وذكر ان من الفوائد ههنا تهويل اليوم بتقابل الانفس العالمة وان كل جبابرتها وأكابرها كالامن غاية العظمة والكبرياء وان من يدر هذه الاجرام العظام ويبدلها صفات وذوات لتقابل الانفس الانسانية في جنب قدرته سبحانه أيما استقلال وتنقب ذلك أبو السعود بما لا يخفى على ذي نظر جليل فضلا عن ذي نظر دقيق ووجوز أن يكون ذلك للاشعار بأنه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس العلاج عما هي خائفة أن تكون هي تلك التي علمت ما أحضرت فكيف وكل نفس تعلم على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم ما فعلت ونحوه الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك أن نفسه مرجو الوجود لا متيقن به أو نادر الوجود بل تريد أن العاقل يجب عليه أن يجتنب أمرا يرجى منه الندم أو قل ما يقع فيه فكيف اذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع والتنكير ان التكثير هنا في معنى العموم وهو قد تعم في الاثبات اذا اقتضى المقام أو نحوه ذلك ومنه قول ابن هبيرة لبعض أهل الشام وقد سأله عن الغرم اذا قال جرادة أيصيد في يمرة فدينارا تمرة خير من جرادة قيل وهذا العموم مع الايماء بالنكرة فيه وقول بعض النحاة الاصوب في مثل جاءني رجل من تميم ان تساوي نسبة الجزء الى افراد الجنس قيل ويبقى من نحو ما في الدار من رجل الا عمرو ما يدل على منافاة العموم للوحدة والافراد وأنت تعلم أن ذلك انما ينافي العموم الشمولي دون البدلي وقال بعض لا يبعد أن يدل استغراق العموم بجملتها في حيز النفي معنى لان علمت نفس في معنى لم تجهل نفس لان الحكم الذي يستلزم النفي عنده ليس بنفي والا لصدق كل نكرة في الاثبات بنحو هذا الويل ومن عبد الله بن مسعود ان قارئا قرأ هذه السورة عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال واتقطاع ظهراه ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴾ جمع خانس من الخنوس وهو الانقباض والاستخفاء ﴿ الْجَوَارِ ﴾ جمع جارية من الجري وهو المر السريع وأصله مر الماء وما يجري بجريه ﴿ الْكُنَّسِ ﴾ جمع كانس وكانسة من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من أغصان الشجر والراد بها على ما أخرج الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وجماعة ﴿ وصححه من طرق عن علي كرم الله تعالى وجهه الكواكب أي جريها فقيل لانها تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحش في كناسها وقيل تخنس تكنس بتطلع خفاء وقيل لانها تخنس نهارا وتخفى عن العيون مع طلوعها وكونها فوق الافق وتكنس بمعاطفها في الغيب وتدخل فيه كما تكنس الظباء في الكنس فتكون تحت الافق بعد ان كانت فوقه وروى تفسيره

Marfat.com

بالكواكب عن الحسن وقتادة أيضا وأخرج ابن أبي حاتم عن الامير كرم الله تعالى وجهه انه قال هي خمسة أنجم زحل وعطارد والمشتري وبهرام بنو الربح والزهرة والخنس الرواجع من خنس اذا تأخر ووصفت بما ذكر في الآية لانها تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها بحسب الرؤية وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها وتسمى المتحيرة لاختلاف أحوالها في سيرها فربما يشاهد فيها استقامة ورجعة واقامة فينما تراها تجري الى جهة اذا بها راجعة تجري الى خلاف تلك الجهة وبينما تراها تجري اذا بها مقيمة لا تجري وسبب ذلك على ما قال المتقدمون من أهل الهيئة كونها في تداوير في حوامل مختلفة الحركات على مايين في موضعه والمحدثون منهم النافون لما ذكر غير ذلك مما هو مذكور في كتبهم وهي مع الشمس والقمر يقال لها السيارات السبع لان سيرها يا حركة خاصة بها لا يكاد يخفى على أحد بخلاف غيرها من الثوابت وأخرج الخطيب في كتاب النجوم وابن مردويه عن ابن عباس انها الزحل هنا ووصفها بالخنس يعني الرواجع قيل من باب التغليب اذ لا رجعة للشمس ولا للقمر وبالخنس لاختفائها في مغربها وقيل الوصفان باعتبار أنها تغيب عن العيون وتخالج في أماكنها على نحو ما تقدم على تقدير أن يكون المراد بها الكواكب جميعا وكون السيارات هي هذه السبع هو المعروف عند المتقدمين من المنجمين وأما اليوم فقد ضموا اليها ستة كواكب أخر يقال لها وستا وزونو وبالاس وسرس وأورنوس ويسمى هرشل وهو اسم للنجم الذي ظفر به بالرصد وبينوا مقدار اظلارها وابعادها وحركاتها ولولا مخافة التطويل لذكرت ذلك وعدوا من جملة السيارات الارض بناء على زعمهم أن لها حركة حول الشمس واشتد انهم لم يعدوا القمر منها لكونه من توابع الارض بزعمهم وأخرج الحاكم وصححه وجماعة من طرق عن ابن مسعود أنها بقر الوحش وأخرج نحوه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وعبيد بن عمير عن مجاهد وأبي ميسرة والحسن وحكاه في البحر عن النخعي وجابر بن زيد وجماعة وأخرج ابن جرير عن ابن زيد الطيالسي وروي ذلك أيضا عن ابن جبير والضحاك قالوا والخنس تأخر الاتف عن الضفائر لارتفاع قليل من الارنبة ووصف به بقر الوحش والظباء ومنه قول بعض الموالدين

ما سافر الظبي على حسنه ◦ الا ولا البدر الذي يوصف

فالظبي فيه خنس بين ● والبدر فيه كلف يعرف

(والليل إذا عسعس) أي أدبر ظلامه أو أقبل وكلاهما مأثوران عن ابن عباس وغيره وهو من الاضداد عند المبرد وقال الراغب السمسة والعساس رقة الظلام وذلك في طرفي الليل فهو من المشترك المعنوي عنده وليس من الاضداد وفسر عسعس هنا بالليل وأدبر مما وقل ذلك في مبدأ الليل ومنتهاه وقال الفراء أجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر وعليه النجاج يصف الخمر أو المفازة

حتى اذا الصبح لها تنفسا ● وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل هو من الاقرباش خاصة وقيل لونه يعني أقبل ظلامه أو رقيق وقوله تعالى (والصبح إذا تنفس) فالمعول النهار فيناسب أول الليل وقيل لونه يعني أدبر أنسب بهذا فبين أدبار الليل وتنفس الصبح من الملاءمة ما يكون بينهما مناسبة الجوار والمراد من تنفس الصبح على ما ذكر غير واحد اضاءته وبلجه وفي الكشاف انه اذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح وعلى بإطلاق الاستعارة لانه لما كان التنفس ريحا خاصا يخرج من القلب تنفيسا وانقباضا شبه ذلك النسيم بالتنفس وأطلق عليه الاسم استعارة وجعل الصبح متنفسا لمقارنته له وفي الكلام استعارة مصرحة وتجوز في الاسناد وظاهر

Marfat.com

كلام بعضهم أنه بعد الاستمرار يكون ذلك كناية عن الاضاءة وجوز أن يكون هناك مكنية وتخييلية بأن شبه الصبح بماش وآت من مسافة بعيدة وأثبت له التنفس الذي هو من لوازم الحي تخييلا على طريق التخييل أو في بعض عهد الله وقال الامام النهار يتنفس الليل المظلم كالمكروب وكأنه يجد راحة بالتنفس كذلك تخلص الصبح من الظلام وطلوعه كأنه تخلص من كرب الى راحة وهذا أدق مما في الكشاف كما لا يخفى وجوز أن يقال ان الليل لما انقضى النهار ودفع به الى تحت الارض فكأنه أماته ودفنه فاذا ظهور ضوئه بالتنفس الذي هو من علل الحياة وهو نحو مما نقل عن الامام وقيل تنفس أي توسع وامتد حتى صار نهارا والظاهر ان التنفس في الآية اشارة الى الفجر الثاني الصادق وهو المنتشر ضوءه معترضا بالافق بخلاف الاول الكاذب وهو ما يبدو مستطيلا وأطلق النور من باب ثم يتم وتنقيه ظلمة أو بتناقص حتى يتصور في الثاني على زعم بعض أهل اللغة أو يختلف حاله في ذلك تارة وتارة بحسب الازمنة والعروض على ما قيل وسمي هذا الكلاب عارضا في خبر مسلم لا يغرنكم اذان بلال ولا هذا العارض الصبوء الصبح حتى يستطير أي ينتشر ذلك الضوء في نواحي الافق وكلام بعض الاجلة يشعر بانه قيما اشارة الى الكلاب حيث قال يؤخذ من نسبة الفجر الاول عارضا الثاني المعترض الشعاع الثاني منه الفجر الثاني انجلاس يتنفس منه شيء من شبه كوة والمتأهب في التحبس اذا خرج بمضمضة فانه يكون أوله أكثر من آخره ويعلم من ذلك سبب طول الصوم وقد أشار الاطباء الى آخر ما قال وفيه بحث ثم الظاهر ان تنفس الصبح وضياءه بواسطة قرب الشمس الى الافق الشرقي بمقدار معين وهو في الجمهور ثمانية عشر جزأ وقول الامامية يلزم على ذلك بناء على قرب الارض واستقامة أكثر من نصف ما من الشمس دائما ظهور الضياء وتنفس الصبح اذا فارقت الشمس سمت القدم من دائرة نصف النهار وذلك بعد نصف الليل والواقع خلافه تشكيك فيما يقرب ان يكون بديهيا وفيه غفلة عن أحوال ظل الارض وانصكاك الاشعة من أجسام محكمة أقطارها فتأمل ولا تغفل والواو في قوله تعالى والصبح والليل على ما نقل عن ابن جني للعطف وانا ليس معمولا لفعل القسم فساد المعنى اذ التقييد بالزمان غير مراد حالا كان او استقبالا وانما هو على ما اختاره غير واحد معمول مضاف مقدر من نحو العظمة لان الاقسام بالشيء اعظام له كأنه قيل ولا أقسم بعظمة الليل زمان عسعس وعظمة النهار زمان تنفس على نحو فولهم لقيته أول من أمس وانما منع المحققون كونه حالا من الليل لانه أيضا يقيد تقييد القسم بذلك الوقت وصار ان شاء الله تعالى في تفسير سورة الشمس مايتاق بهذا المقام أيضا (إِنَّهُ) أي القرآن الجليل الحاوي لما ذكر من الدواعي لمثالثة وجعل الضمير للاخبار من الحشر والنشر تعسف (لَقَوْلُ رَسُولٍ) هو كما قال ابن عباس وقتادة والجمهور جبريل عليه السلام ونسبته اليه عليه السلام لانه واسطة فيه وناقل له عن مرسله وهو الله عزوجل (كَرِيمٍ) أي عزيز على الله سبحانه وتعالى وقيل متعلق على الوصفين (ذِي قُوَّةٍ) أي شديد كما قال سبحانه شديد القوى وجاء في نعوت عليه السلام يستاق مدائن لوط وهي أربع مدائن وفي كل مدينة أربعمائة الف مقاتل سوى الذراري فحملها بين قيامين الارض السفلى حتى سمع أهل السماء أصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هوى بها فاقتلعها وقيل المراد القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال

Marfat.com

بها من أول الخلق الى آخر زمان التكليف وقيل لا يبعد أن يكون المراد قوة الحفظ واليد من النسيان والغلط (عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ) أي ذي مكانة رفيعة وشرف عند الله العظيم جل جلاله عادة الكرام والتعريف للاضافية مكان ظرف متعلق بمكين وهو فعيل من المكانة وقد كثر استعمالها في الصحاح حتى ظن ان الميم من أصل الكلمة واشتق منه تمكن والمشتق من المكنة تمكن وجوز أن يكون مصدرا ميميا من الكون وأصله مكون بكسر الواو فصار بالنقل والقلب مكينا وأريد بالكون الوجود لانه من كان الوجود دار بين الوجود والاول هو الظاهر وقيل ان الظرف متعلق بمحذوف وقع صفة أخرى لرسول أي كائن عند ذي العرش للكينونة اللائقة وهو لا يرى (مُطَاعٍ) فيما بين الملائكة المقربين عليهم السلام يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه (ثَمَّ) ظرف مكان مبهم وهو يحتمل أن يكون ظرفا لما قبله وجعل اشارة الى عند ذي العرش والمراد بكونه مطاعا هناك كونه مطاعا في ملائكة تعالى المقربين لا سمت ويحتمل أن يكون ظرفا للبعد أعني قوله سبحانه (أَمِينٍ) والاشارة بحالها وأمانته على الوحي وفي رواية عنه عليه السلام انه قال أمانتي التي أومر بقيء فعدوته الى غيره ولامانته أيضا عليه السلام بحمل الحبيب كما في بعض الآثار بشيرانون وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وأبو بكر بخلاف عنه وابن عامر وابن محيصن بضم التاء حرف مطاوعة نظيرا للامانة وبيانا لانها أفضل صفاته المحمودة وقال صاحب الوامح هي بمعنى الوالي لان جبريل عليه السلام كان بالصفتين معا في حال واحدة ولو ذهب ذاهب الى الترتيب والتهية في هذا المعطف بمعنى مطاع في الملا الأعلى ثم أمين عند الفصاله عنهم حال وحيه الى الانبياء عليهم السلام لجاز ان ورد به أثر نبوي والمعول عليه ما سمعت والمقام يقتضي لعظيم الامانة لان دفع كون القرآن افتراء منوط بأمانة الرسول (وَمَا صَاحِبُكُم) هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بِمَجْنُونٍ) كما زيه المكذبة قاتلهم الله تعالى ولي التعرض لعنوان الصحبة مضافة الى ضميرهم على ما هو الحق المكذب لهم بالطف وجه إذ هو إيذان الى أنه عليه الصلاة والسلام نشأ بين أظهرهم من ابتداء أمره الى الآن فأنتم أعرف به وبأنه صلى الله تعالى عليه وسلم أتم الخلق عقلا وأرجحهم فيلا وأكملهم وسماً وأسلمهم ذهناً فلا يسند اليه الجنون إلا من هو مركب من الحمق والجنون . واستدل الزمخشري بالاية في ذكر جبريل عليه السلام وتركها في شأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على أفضليته عليه السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأجابوا بما يحت فيه والوجه في الجواب على ما في الكشف أن الكلام مسوق لحقية النزل دلالة على صدق ما ذكر فيه من أهوال القيامة وقد علمت أن من شأن البليغ أن يجريه الكلام لا ساق له لالما بعد الزيادة لكنة وفضولا ولا خفاء أن وصف الآتي بالقبول يفيد من عند ذلك أبلغ مما وصف من أنزل عليه فلا مد حل له في البين إلا اذا كان الغرض الحث على اتباعه فليتأمل ثم تعالى شأنه في شأن جبريل عليه السلام وعد صفاته الكواهل وتراك ذلك في شأن نبينا عليه أفضل الصلوات والتسليمات على تضاعيف بوجوه . وقال بعضهم ان المبالغة في وصف جبريل عليه السلام مدح بليغ في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لان الملك اذا أرسل لاحد من هو ممتاز معظم مقرب لديه دل على أن المرسل اليه بمكانة عنده ليس فوقها مكانة وقد علمت أن المقام ليس للمبالغة في مدح المنزل عليه وقيل المراد بالرسول هو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كالمراد بالصاحب وهو خلاف الظاهر الذي عليه الجمهور (وَلَقَدْ رَآهُ) أي ولقد تعالى لقد رأى صاحبكم رسولا افضل الله تعالى عليه وسلم الرسول الكريم جبريل عليه السلام على كرسي بين السماء والارض بالصورة التي خلقه

Marfat.com

أقسم تعالى عليها له سبحانه جانح (بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق كما روى عن الحسن وقتادة ومجاهد وسفيان وفي رواية عن مجاهد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه عليه السلام بمحياد وهو مشرق مكة وقيل ان المراد به مطلع رأس السرطان فانه أعلى المطالع لأهل مكة وهذه الرؤية كانت فيما يعد أمر غار حراء. وحكى ابن شجرة أنه أفق السهل الغربي وليس بذي. وأخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس أنه قال في الآية رآه في صورته عند سدرة المنتهى والأفق على هذا قيل يعني الناحية وقيل سمي ذلك أفقاً مجازاً (وَمَا هُوَ) أي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عَلَى الْغَيْبِ) على ما يخبر به من الوحي اليه وغيره من النبوب (بِضَنِينٍ) من الضن بكسر الضاد وفتحها بمعنى البخل أي يبخل لأجل بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم ومنع على ما هو مستعد له من العلوم على خلاف الكهنة فانهم لا يبخلون على ما يزعمون بعرفه الا بامتحان حسان وقرأ ابن مسعود وابن عباس وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وعائشة وعمر بن عبدالعزيز وابن جبير وعروة وعكرمة بن جندب ومجاهد وغيرهم ومن السبعة الكوفيون وابن كثير بظاء أي يتهم من الظنة بالكسر بمعنى التهمة وهو خبر الوحي السابق بالدين. وأيد ذلك بضعيف القوة على تبليغ الوحي من قولهم شر ظنون اذا كانت قليلة المال والأول أشهر ورجحت هذه القراءة عليه بأنها أنسب بالمقام لاتهام الكفرة له صلى الله تعالى عليه وسلم وفرق النهاية أولى من فرق البخل وبان التهمة تتعدى بعلى دون البخل فانه لا يتعدى بها الا باعتبار تضمينه معنى الحرص ونحوه لكن قال الطيبي بالضاد خطوط الصاحف كلها ولعله أراد الصاحف الاعتمادية فانهم قالوا بالظاء خط مصحف ابن مسعود ثم أن هذا لا يناقي قول أبي عبيدة ان الظاء والضاد في الخط القديم لا يختلفان الا بزيادة رأس احداهما على الأخرى زيادة يسيرة قد تشتبه كما لا يخفى والفرق بين الضاد والظاء خرجا أن الضاد خرجها من أسفل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يسر اللسان أو يساره ومنهم من يمكن من اخراجها منهما والظاء اخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا والخلاف في البدال احداهما بالأخرى هل يتم وتفسد به الصلاة أم لا قيل تفسد قياساً ونقله في الخيط البرهاني عن عامة المشايخ ونقله في الخلاصة عن أبي حنيفة ومحمد وقيل لا استحساناً ونقله فيها عن عامة المشايخ كأبي مطيع البلخي ومحمد بن سلمة وقال جمع أنه اذا أمكن الفرق بينهما فسدت تلك وكان عما لم يقرأ به كما هنا وغير الذي قدمت صلاته والا فلا لتعسر التمييز بينهما خصوصاً على العجم وأمثالهم كثير منهم في الصدر الأول ولم ينقل عنهم الفرق وتعليمه من الصحابة ولو كان لازماً لفعلوه ونقل وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه ويفتى به وقد جمع بعضهم الالفاظ التي لا يختلف معناها شيئاً وظاء في رسالة صغيرة ولقد أحسن بذلك فارجع اليه منه (وَمَا هُوَ) أي القرآن (بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ) أي بقول بعض المسترقة للسمع لانها عن التي ترجم وهو رد لقولهم انه كهانة (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) استدلال لهم فيما يسلكونه في أمر القرآن العظيم كقولك لتارك الجادة الذاهب في بنيات الطريق أين تذهب والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور أنه وحي (إِنْ هُوَ) أي ما هو (إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) موعظة وتذكير عظيم لمن يسلم وضمير هو القرآن أيضاً وجوز كون الضميرين للرسول عليه الصلاة والسلام أي وما هو ملتبس بقول شيطان رجيم كما هو شأن الكهنة ان هو الا مذكر للعالمين وقوله تعالى فاين تذهبون استدلال لهم فيما يسلكونه في أمر صلى الله تعالى عليه وسلم وهو كالذي قبله وقوله سبحانه (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ) بدل من العالمين بدل بعض من كل والتبعيض هو الظهور وأعيد معه العامل على

Marfat.com

المشهور وقيل هو الجار والمجرور وجوز أن يكون بدل كل من كل لاحق من لم يشأ بالهائم ادغام وهو تكلف وقوله تعالى ﴿ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ مفعول شاء أي لمن شاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب وبدل من العالمين لأنهم المتعنون بالتذكير ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ ﴾ أي الاستقامة بسبب من الاسباب ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أي الا بان يشاء الله تعالى مشيتكم فمشيتكم بسبب مشيئة الله تعالى ﴿ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي مالك الخلق وربيهم أجمعين أو ما تشاءون الاستقامة مشيئة ناشئة مستتبعة لها الا بأن يشاءها الله تعالى فله سبحانه الفضل والحق عليكم باستقامتكم ان استقمتم روى عن سليمان بن موسى والقاسم بن مخيمرة أنه لما نزلت لمن شاء منكم أن يستقيم قال أبو جهل جعل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى وما تشاءون الآية وأن وما معها هنا على ما ذكرنا في موضع خفض باضمار باء السببية وجوز أن تكون للمصاحبة وذهب غير واحد الى أن الاستثناء مفرغ من أعم الاوقات أي وما تشاءون الاستقامة في وقت من الاوقات الا وقت أن يشاء الله تعالى ذلك استقامتكم وهو مبني على ما تقدم عن الكوفيين من جواز نيابة المصدر المؤول من أن والفعل عن الظرف وفي الباب الثاني من المغني أن أن وصلتها لا يعطيان حكم المصدر في النيابة عن ظرف الزمان لقول جئتك صلاة العصر ولا يجوز جئتك أن تصلي العصر فالاولى ما ذكرنا أولا والبه ذهب مكي وذهب القاضي الى الثاني وقد اعترض عليه أيضاً بأن ما في الحال وأن خاصة الاستقبال فيلزم أن يكون وقت مشيته تعالى المستقبل ظرفا لمشيئة العبد الحالية وأجيب بأنا لا نسلم أن ما اختصة بتلقي الحال ومن ادعى اختصاصها بذلك اشترط انتقاد القرينة على خلافه ولم تنتف هنا لجواز أن في جوزها أو بان كون أن للاستقبال مشروط بانتفاء قرينة خلافه وهنا قد وجدت لجواز ما قبلها في لجرد المصدرية وقيل يندفع الاعتراض بجعل الاستثناء منقطعاً فيجعل كذلك وان كان الاصل فيه الاتصال وليس بشيء وقد أورد على وجه النسبة الذي ذكرناه نحو ذلك وهو أنه يلزم من كون ما تلي الحال وان الاستقبال سببية المتأخر للمتقدم وهما ذكر يطرد الجواب كما لا يخفى فتامل جميع ذلك والله تعالى الهادي الموفق للسالك ﴿ وقال بعض أهل التاويل الشمس شمس الروح والنجوم نجوم الحواس والجبال جبال النوائب وهي تسير في وقت الا أنه يتغير ذلك المحجوب اذا كشف الغطاء وانتشر عشار القوى الغالبة والوحوش وحوش الاخلاق الذميمة الغضبية والبحار بحار العناصر الطبيعية والنفوس القوى النفسانية ونزويجها قرنها أو تعليق الوزوة الخواطر الاخلاقية التي ترد على السالك فيئدها في قبر القالب ويطالبها والصحف على ظاهرها والسماء سماء الصدر والجحيم جحيم النفس وتسجيرها بنيران الهوى والجنة جنة القلب والحلى الانوار الموجدة في القوى القلبية والبسل الانوار الجلالية والصحف الانوار الجمالية الى آخر ما قال ويستدل بحمل البعض على البعض وقد حكى أبو حيان شيئاً من نحو ذلك وعقبه بتقبيح فظيع وهو لا يتم الا اذا أنكر ارادة الظاهر وأما اذا لم ينكر وجعل ما ذكر ونحوه من باب الاشارة فلا يتم أمر التقبيح فاحفظ ذلك في موضعه

سورة الانفطار

وتسمى سورة انفطرت وسورة الفطرة ولا خلاف في أنها مكية ولا في أنها تسع عشرة آية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ أي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى يوم

Marfat.com

تعلق السماء بالهواء وتزل الملائكة أزيلا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع الشمس (وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ) أي تساقطت متفرقة وهو استعارة لازالتها حيث شبهت بجواهر قطع سلكها وهي مصرحة أو مكنية (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) فتحت وشقت حواجزها فزال ما بينها من البرزخ واختلط العذب بالأجاج وصارت بحرا واحدا وروي أن الأرض تنقلب الماء بعد انملاء البحار فتصير مستوية أي في أن لا ماء وأريد أن البحار تصير واحدة أولا ثم تنشف الأرض فيها فتصير بلا ماء ويحتمل أن يراد بالاستواء بعد التضوب عدم بقاء مدايض الماء لقوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقرأ مجاهد والربيع بن خثيم والزعفراني والنوري فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومن مجاهد أيضا فجرت به مبنيا للفاعل بمعنى تبعت لزوال البرزخ من التجوير نظر الى قوله تعالى لا يبغيان لان البغي والتجاوز اخوان (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) قلب ترابها الذي حثي على موتاها وأبرز من فيها على ما فسر به غير واحد وأصل البعثرة على ما قيل تبديد التراب ونحوه وهو أعم من أن يكون لاخراج شيء تحته فقد يذكر ويراد معناه ولازمه معا وعليه ما سمعت وقد يتجوز به عن البعث والاخراج كما في العاديات حيث استعير فيها لما في القبور دونها كما هنا وزعم بعض أنه مغاير لبين البعثرة والاخراج وذهب بعض الائمة كالزمخشري والسبولي الى أنه مركب من كلمتين اختصارا ويسمى ذلك نحتا وأصل بعثر بعث وأثير ونظيره بسمل وحمدل وحوقل ودمعز أي قال بسم الله والحمد لله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله تعالى وانما يقال ذلك عند ارادة تعالى فعل ذلك من الكائر وهي كثيرة في لغة العرب وعليه يكون معناه البعث والاخراج معا واعترضه أبو حيان بان الراء ليست من أحرف الزيادة وهو لو صح منه فلا فرق بين التركيب والنحت من كلمتين والزيادة على بعض الحروف الاصولية من كلمة واحدة كما فصل في الزهر نقلا عن أئمة اللغة نعم الأصل عدم التركيب (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) جواب اذا لكن لا على أنها تمتد عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت أن المراد بها زمان واحد مبدؤه قبيل النفخة الاولى أو هي ومنتهاه الفصل بين الخلائق لاأزمنة متعددة بحسب كل اذا وانما ذكرت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذي مر في نظيره ومعنى ما قدم وأخر ما أسلف من عمل خير او شر وأخر من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابي مسعود ومن ابن عباس أيضا ما قدم من طاعة ومعصية وأخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما عمل ماكف به وما لم يعمل مما كان ينبغي أن يعمله وما أخر ولم يترك وقيل أول عمله وآخره ومعنى علمها بما ذكر التفصيل حسبما ذكر فيما تقدم (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) أي أي شيء خدعك وجرأك على عصيانه تعالى وارتكاب ما لا يليق بشأنه عز شأنه وقد علمت ما بين يديك وما سيظهر من أحوالك عليك والتعرض لعنوان كرمه تعالى دون قهره سبحانه من صفات الجلال القائمة ملاحظتها عن الاغترار للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدارا للاغترار حسبما يدور به الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفضل منه في الآخرة أو يقول له نحو ذلك مما يناسب الكريم كقول بعض شياطين الانس

تكثر ما استطعت من الخطايا ● سأني في غسد ربا غفورا
تمنى تمادة حسكنيك عما ● تركت مخافة الذنب السرورا

فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان دون العكس ولهذا قال بعض العارفين لو لم أخف الله تعالى لم أعصه فكأنه قيل ما حملك على عصيان ربك

Marfat.com

الموصوف يا بر جزء وقد مر لي خلافه وقيل ان هذا قائم الحجة وهو من الكرم أيضا فذا قيل له ما فرك لم يتعلل الجواب الذي لك وبقول كرمه كما قيل يعرف حسن الخلق والاحسان بقلة الآداب في الفقان ولم يرتض ذلك الزمخشري وكان الافتقار يمنك في النظر الجليل والا فهو في النظر الدقيق كما سمعت وعن الطيبي انه قال قوله سترة تعالى الرحمن وقال احمد بن الدباغ

يا كاتم الذنب أما تستحي ● والله في الخلوة رائبكا
غرك من ربك امهاله ● وستره طول مساويك

وقال بعضهم

يقول مولاي أما تستحي ● مما أرى من سوء افعالك
فقلت يا مولاي رفقا فقد ● جرأني كثرة أفضالك

وقال قتادة غره عدو المسلط عليه وروى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ الآية فقال الجهل وقال عمر رضي الله تعالى عنه وقرأ فدكان ظلوما جهولا والفرق بين هذا وبينما ذكروا لا يخفى على ذي مسكة والخطاب في الانسان الذي قبل الكافر بل من مكرم كأبي بن خلف وقيل الاعم الشامل للعصاة وهو الوجه لعموم اللفظ ولوقوعه بين القبيل وفضله أعني عظمت نفس وان الابرار وان الفجار وأما قوله تعالى بل يكذبون بالدين فهي للكشف اضرابي يكون ترشيحا لقوة الغرارهم بايام انهم أسوأ حالا من المكذبين تعليظا وقد لصحة خطاب الكل بما وجه بها بينهم وقرأ ابن عامر والاعمش ما أغرك بهمزة فاحتمل ان يكون تعجبا وان تكون ما الاستفهامية كما في قراءة الجمهور وأغرك بمعنى ادخلك في الغرة وقوله سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم موهمة الى صحة ما كذب من البعث والجزاء موطئة لما بعد حيث نبهت على ان من قدر على ذلك ابتداءا أقدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سوية سليمة معدة لمنافعها وهي في الاصل جعل الشيء على سواء فتكون على وفق الحكمة ومقتضاها باعطائها ما تتم به وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت من عدل فلانا بفلان اذا ساوى بينهما أو صرفها عن مخلقة غير ملائمة لها من عدل بمعنى صرف وذهب الى الاول الفارسي والى الثاني الفراء وقرأ غير واحد من السبعة عدلك بالتشديد أي صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه ونقل القفال عن بعضهم ان عدل وعدل بمعنى واحد ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ أي ركبك ووضعك في أي صورة اقتضتها مشيئته تعالى وحكمته جل وعلا من الصور المختلفة في الطول والقصر ومراتب الحسن ونحوها فالجار والمجرور متعلق بركبك وأي للصفة متعلقا في قوله

أرأيت أي سوالف وخدود ● يزرت لدى الوغى وزرود

ولما أريد التعميم لم يذكر موصوفها وجعلت شبه صفة لها والعائد محذوف وما مزيدة وانما لم تعلق الجملة على ما قبلها لانها بيان لمسمى ذلك وجوز ان يكون الجار والمجرور في موضع الحال اي ركبك كائنا في اي صورة شاءها وقيل أي موصولة صلتها جملة شاءها كأنه قيل ركبك في الصورة التي شاءها وفيه انه صرح أبو علي في التذكرة بان ايا الموصولة لا تضاف لتي تذكر وقال ابن مالك في الالفية واخصص بالمعرفة موصولة ايا ● وفي شرحها السيوطي مع اشتراط ما سبق كون المعرفة غير مفردة فلا تضاف الى نكرة خلافا لابن عصفور ويجوز أن تجعل أي شرطية والماضي في جوابها في معنى المستقبل اذا نظر الى تعلق المشيئة وترتب التركيب عليه فهي بصورة التي ينظر الى المشيئة واداة الشرط نظر الى التعلق والترتب ويجوز أن يكون الجار متعلقا بعدلك وحينئذ فرق بين أي الصفة كأنه قيل فعدلك في صورة أي صورة أي في صورة عجيبة ثم حذف الموصوف زيادة التفخيم والتعجيب وأي هذه منقولة من الاستفهامية لكنها

الاسلام

Marfat.com

الاستغراق معناها عنها بالكلية فعل فيها ما فعلها ويكون ما شاء تركيك فلا ، ست أعاويا أما موصولة أو موصوفة مبتدأ أو مفعولا مطلقا تركيك أي ما شاء من التركيب تركيك فيه أو تركيبا شاء تركيك وجوز أن تكون شرطية وشاء فعل الشرط وتركيك جزاؤه أي ان شاء تركيك في أي صورة غير هذه الصورة تركيك فيها والجملة الشرطية في موضع الصفة لصورة والعائد محذوف ولم يجوزوا على هذا الوجه تعلق الظرف بتركيك لان معمول مالي حيز الشرط لايجوز تقديمه عليه ﴿ كَلَّا ﴾ ردع من الاغترار بكرم الله تعالى وجهله ذريعة الى الكفر والعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى ﴿ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ اضراب عن جملة مقدرة يلتفت اليها الكلام كانه قيل بعد الردع طريق الاغراض وأنتم لاترتدعون عن ذلك بل تجترؤن على أعظم منه حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا أو بدين الاسلام الذين هما من جملة أحكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وفيه ترق من الأهون الى الأغلظ ومن الذانب بل هنا للصحيح الثاني وابطال الأول كما أنه قيل ليس هنا مقتض لفرورهم ولكن تكذيبهم حملهم على مالاترتكبوه وقيل تقدير الكلام لكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون الخ وقيل ان لاردع عما دل عليه عقده الجملة من تهيم البعث وبل للاضراب عن مقدر كانه قيل ليس الأمر كما تزعمون من نفي البعث والنشور ثم قيل لا تتبينون بهذا البيان بل تكذبون الخ وأدغم خارجة عن نافع تركيك كلا هاهي عمرو في احدى الروايتين عنه وقرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة وأبو عمر بالكذبون بياء الغيبة وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقيق مايكذبون به من الجزاء على الوجوه في الدين أي تكذبون بالجزا والحال ان عليكم من قبلنا حافظين لاعمالكم ﴿ كِرَامًا ﴾ لدينا ﴿ كَاتِبِينَ ﴾ لها ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ من الأفعال قليلا كان أو كثيرا ويضبطونه تقريرا أو تعظيما ليس ذلك لاجل اقامة الحجة والا لكان يتاخر عنه الحكم الى يوم القيامة بل حتى يرتفع استبعاد التكذيب معللا ليس بذاك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وانه عند الله عز وجل من جلائل الأمور حيث استعمل سبحانه فيه هؤلاء الكرام قيه تعالى شأن هؤلاء الحافظين غير المغفلين في قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله فمع الانسان عدة ملائكة روى من طريق انه سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمن ملك على الانسان فذكر عليه الصلاة والسلام عشرين ملكا قال الهذلي في الفصل وقيل ان كل آدمي يوكل به من حين وقوعه نطفة في الرحم الى موته أربعة ملك ومن يكتب الاعمال ساكن كاتب الحسنات وهو في المشهور على السائق الأيمن وكاتب ماسواها وهو على السائق الأيسر والأول أمين على الثاني فلا يمكنه من كتابة السيئة الأبعد مضي ست ساعات من غير مكفر لها ويكتبان في شيء حتى الانخطاء والعزم والتقرير وحتى الأنين في المرض وكذا يكتبان حسنات الصبي على الصحيح ويفارقان الكافر عند الجماع والاغتسالات مع العبد الحلال وأخرج البزار عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى ينهاكم من الحرى فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لايفارقونكم إلا عند احدى ثلاث حالات الغائط والجنابة والغسل ولايمنع ذلك من كتبهما يصدر عنه و يحسل الله تعالى لهما أمارة على الانتقال الفلاني ونحوه ويلزمان العبد الى ممانه فيقومان على قبره يسبحان ويهللان ويكبران ويكتب ثوابه للميت الى يوم القيامة ان كان مؤمنا وباستغفاره الى يوم القيامة ان كان كافرا واستظهر بعضهم أنهما الثنان بالشخص وقيل بالنوع وقيل كاتب الحسنات يتدبر دون كاتب السيئات واعلموا على ان الجنوف

Marfat.com

لا حفيظة عليه وورد في بعض الآثار ما يدل على ان بعض الحسنات ما يكتبها غير هذين الملكين والظواهر تدل على ان الكتب حقيق وعلم الآلة وما يكتب فيه مفوض الى الله عز وجل وقوله سبحانه ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتب من الثواب والعقاب وفي تكرير الضمير الجحيم مالا يخفى من التفخيم والتهويل وقوله تعالى ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ لما سد مسد الجحيم أو حال من ضمير الفجار في الخبر أو استئناف مبني على سؤال نشأ من تهويلها كأنه قيل ما حالهم في تقبل يقاسون حرها وقرأ ابن مقسم يصلونها مشددا مبنيا للمفعول ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به استقلالا أو في ضمن تكذيبهم بالاسلام ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ طرفة عين فان المراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار وهو لقوله تعالى وما هم بخارجين منها في الدلالة على سرمدية العذاب وانهم لا يزالون محبوسين بالنار وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار على ان غائبين من حكاية الحال الماضية والجملة قيل على الوجهين في موضع الحال لكنها على الأول حال مقدرة وعلى الثاني من باب جاؤا وهم حصرت صدورهم وقيل انها على الأول حالية دون الثاني لانفصال ما بين صلى النار وعذاب القبر بالبعث وما في موقف الحساب بل هي عليه معطوفة على ما قبلها ويحتمل اسم الفاعل فيما أفي غائبين على الحال أي وما هم عنها بغائبين الآن لتمام المعطوف عليه الذي أريد به الاستقبال والكلام على ما عرف في اخباره تعالى عن الشيء عن المستقبل بلفظ الماضي لتحققه فلا يرد ان بعض الفجار في زمرة الاحياء بعد وبعضهم لم يخلق كذلك وعذاب القبر بعد الموت فكيف يحمل غائبين على الحال وقوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ تفخيم لشأن يوم الدين الذي يكذبون به أثر تفخيم وتعجيب منه بعد تعجيب والخطاب فيهما والمراد أن كنهه أمر بحيث يعجز كل دراية دارٍ وقيل الخطاب لسيد الخاطبين صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل للكافر والاظهار في موضع الاضمار تأكيدا لهول يوم الدين وظاعته وقد تقدم الكلام في تحقيق كون الاستفهام في مثل ذلك مبتدأ أو خبرا مقدما فلا تغفل وقوله سبحانه ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ بيان اجمالي لهذا يوم الدين اثر إبهامه وافادة طروه من الدائرة الدراية فيل بطريق المجاز الوعد فان نفي الادراء مستعمل في الوعد الكريم بالادراء على ما روي عن ابن عباس من أنه قال كل ما في القرآن من قوله تعالى ما أدراك فقد أدراه اياك ما فيه من قوله عز وجل عليه ربك فقد طوى عنه ويوم منصوب بالخبر اذ كانه قيل بعد تفخيم أمر يوم الدين وتشويقه صلى الله تعالى عليه وسلم الى سر قد تحاذر يوم لا تملك نفس من النفوس لنفس من النفوس مطلقا الا الكافر فقط كما روي عن مقاتل شيئا من الاشياء لما فاته يدرك ما هو أو مبني على الفتح لحقه الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف على رأي من يرى جواز بناء الظرف اذا أضيف الى غير متمكن وهم الكوفيون أي هو يوم لا تملك الخ وقيل هو نصب على الظرفية بإضمار يدانون أو يعتد الحول أو نحوه مما يدل عليه السياق أو هو مبني على الفتح لحقه الرفع على أنه بدل من يوم الدين وكلاهما ليسا بذاك لطولها عن العائد ما أقدره ما قبل وقرأ ابن أبي اسحق وعيسى وابن جندب وابن مسكين وأبو عمرو يوم بالرفع بلا تنوين على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو يوم لا تملك الخ وقرأ محبوب عن أبي عمرو يوم بالرفع والتنوين جعلة لا تملك الخ في موضع الصفة له والعائد محذوف أي فيه والامر كما قال في الكشف واحد الأوامر لقوله تعالى لئن ظلك اليوم فان الامر

Marfat.com

من شأن الملك القاهر والإله المختص أي الأمر له تعالى لا لغيره سبحانه لا شركة ولا استقلالا أي ان التصرف جميعه في قبضة قدرته عز وجل لا لغيره وفي تحقيق قوله تعالى لا تملك نفس لنفس شيئا دلالة على ان الكل مسوسون مطيعون مقتلون بحال النفس مقهورون بسوداتهم لسطوات الربوبية وقيل واحد الأمور اعني الشان وليس بذاك وقول قتادة فيما أخرجه عنه عبد بن حميد وابن المنذر أي ليس ثم أحد يقضي شيئا ولا يصنع شيئا غير رب العالمين تفسير لحاصل المعنى لا ايثار لذلك هذا وقوله وحده ليس بحجة يترك به الظاهر والمنازعة في الظهور مكابرة وأيا ما كان فلا دلالة في الآية على نفي الشفاعة يوم القيامة كما لا يخفى والمقال أطم

سورة التطفيف

ويقال لها سورة المطففين واختلف في كونها مكية أو مدنية فعن ابن مسعود والضحاك انها مكية وعن الحسن ومكحول مدنية وعليه السدي قال كان بالمدينة رجل يكنى أبا جهينة فمكث الناس يأخذ الأوفى ويعطي الأنقص فنزلت وعن ابن عباس في روايات فأخرج ابن الضريس عنه أنه قال آخر ما نزل بمكة سورة المطففين وأخرج ابن مردويه والبيهقي عنه قال أول ما نزل بالمدينة ويل للمطففين ويؤيد هذه الرواية ما أخرجه النسائي وابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان بسند صحيح وغيرهم عنه قال لما قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى ويل للمطففين فأحسنوا الكيل بعد ذلك وفي رواية عنه أيضا وعن قتادة انها مكية الا ثمان آيات من آخرها ان الذين أجرموا الخ وقيل انها مدنية الا ست آيات من أولها وبعض من بينت الواسطة بين المكي والمدني بقول انها ليست أحدهما بل نزلت بين مكة والمدينة لصلح الله تعالى آخر أهل المدينة قبل ورود رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وآياتها ست وثلاثون بلا خلاف والمناسبة بينها وبين ما قبلها انه سبحانه لما ذكر فيما قبل السعداء والأشقياء ويوم الجزاء وعظم شأنه ذكر عز وجل هنا ما أعد جل وعلا لبعض العصاة وذكره سبحانه بأخس ما يقع من المعصية وهو التطفيف الذي لا يكاد يجدي شيئا في تغيير المال وتنميته مع الاشتمال هذه السورة من شرح حال الفريقين المذكورين هناك على زيادة تفصيل كما لا يخفى وقال الجلال السيوطي الفصل بهذه السورة بين الانفطار والانشقاق التي هي نظيرتها من أوجه لكثرة لطيفة أفهمنيها الله تعالى وذلك ان السور الأربع هذه والسورتان قبلها والانشقاق لما كانت في صفة حال يوم القيامة ذكرت على ترتيب ما يقع فيه فناسب ما وقع في التكوير وجميع ما وقع في الانفطار يقع في صدر يوم القيامة ثم بعد ذلك يكون الموقف الطويل ومقاساة الأهوال فذكر في هذه السورة بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم بعد ذلك تحصل الشفاعة العظمى فتنشر الصحف فآخذ باليمين وآخذ بالشمال وآخذ من وراء ظهره ثم بعد ذلك يقع الحساب فورد بذلك الآثار فناسب تأخر سورة الانشقاق التي فيها ايتاء الكتب والحساب عن السورة التي فيها ذكر الوقف والسورة التي فيها ذكره عن السورة التي فيها ذكر مبادي أحوال اليوم ووجه آخر وهو أنه جل جلاله لما قال في الانفطار وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وذلك في الدنيا ذكر سبحانه في هذه حال ما يكتبه الحافظون وهو مرقوم يجعل في عليين أو سجين وذلك أيضا في الدنيا كما تدل عليه الآثار فهذه حالة ثانية فكتاب ذكرت في السورة الثانية وله حالة ثالثة متأخرة منهما وهي إيتاؤه صاحبه باليمين أو غيرها وذلك يوم القيامة فناسب تأخير السورة التي فيها ذلك عن السورة التي فيها الحالة الثانية التي هو وان لم يخل عن لطافة فليست فيه بمجال فتذكر

Marfat.com

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * ويل للمطففين﴾ قيل الويل شدة الشر وقيل الحزن والهلاك وقيل العذاب الاليم وقيل جبل في جهنم وأخرج ذلك عن عثمان مرفوعا ابن جرير بسند فيه نظر وذهب كثير الى أنه واد في جهنم فقد أخرج الامام أحمد والترمذي عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وفي صحيح ابن حبان والحاكم بلفظ واد بين جبلين يهوى فيه الكافر الخ وروى ابن أبي حاتم عن عبد الله انه واد في جهنم من قيح ودم وفي كتاب المفردات للراغب قال الاصمعي ويل قبوح وقد يستعمل للتحسر ومن قال ويل واد في جهنم يريد أن ويلا للقائم موضوع لهذا وأعد أراده من قال الله تعالى فيه ذلك فقد استحق مقرا من النار وثبت ذلك له انتهى والظاهر ان اطلاقه على ذلك كاطلاق جهنم على ما هو المعروف فيما فليتنظر من أي نوع ذلك الاطلاق وأيا ما كان فهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء والمطففين خبره والتطفيف البخس في الكيل والوزن لا أن مايبخس في كيل أووزن واحد شيء طفيف أي قدر حقير والتفعيل فيه للتعدية أوللتكثير ولا يأبى كونه من الطفيف بالمعنى المذكور لان كثرة الفعل بكثرة مفعوله وهو بتكرار. لا بكثرة متعلقه ومن الزجاج انه من طف الشيء جانبه وقوله تعالى ﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾ الخ صفة فاضحة للمطففين الذين نزلت فيهم الآية أوصفة كاشفة فالحكم شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الويل أي اذا اخذوا من الناس ما أخذوا بحكم الشراء ونحوه كيلا يأخذون وافيا والفرا وشدد لما على هذا بين قيل التضمين الاكتيال معنى الاستيلاء أو للاشارة الى انه استكمال مضر للناس لاعلى اختيار الضرر من حيث الشرط الذي يتضمنه اذا لا خلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب بناء على ان الشراء بالاستيفاء ليس أخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما أرادوا بأي وجه يتيسر من وجوه الحيل وكانوا يغلونه بكيس للكيل ودعدعة الكيال الى غير ذلك وقيل ان ذلك لاعتبار أن الكيال طيبين الحق على الناس فمن الغرابة من وعلى يعتقبان في هذا الوضع فيقال اكتلت عليه أي أخذت ماعليه كيلا واكتلت منه أي استوفيت منه كيلا وتعقب بانه مع القضاء لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع انه الذائع فيما يتم يقتضي ان يكون معنى الاستيفاء أخذ ماطعم على الناس وافيا من غير نقص بل هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون مدارا للذم والدعاء عليهم وحمل ماطعم عليهم على معنى ماسيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا عما لايجدي نفعا فان اعتبار كون الكيل لهم حالا كان أو مآلا يستدعي كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما انتهى وأقول ان قطع النظر عن كون الآية نازلة في مطففين صنيعهم أخذ مكيل الناس اذا اكتالوا والفرا حسبما يريدون فلا بأس بحملها على مايدل على أن المأخوذ حق حالا أومآلا وكون التبادر حينئذ من الاستيفاء أخذ ماطعم وافيا من غير نقص مسلم لكنه لايضر قوله فلا يكون مدارا لذمهم والدعاء عليهم قلنا مدار الذم ماتضمنت مجموع الشاطئين والكلام كقولك فلان يأخذ حقه من الناس تاما ويعطيهم حقهم ناقصا وهي عبارة شائعة في الذم بل الذم بالشق من الذم بنحو يأخذ ناقصا ويعطي ناقصا وكونه دون الذم بنحو قولك يأخذ زائدا ويعطي ناقصا لايضر كما لايخفى ثم قد يقال ان الاغلب في الكيال النقص من شخص كون الكيل حقا لهو وجهين من الوجوه والمسلمين معنى كلام الفراء على ذلك فتأمل وجوز على أن تكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديما على الفعل لافادة الخصوصية أي يستوفون على الناس خاصة فاما أنفسهم فيستوفون لها والعقب بأن التقصير بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور أيضا حسب تعلقه به فيقصد

Marfat.com

بالتقديم قصره عليه بطريق القلب أو الافراد أو التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في أن الاستيفاء الذي هو عبارة عن الأخذ الوافي لا يتصوران يكون على أقصى حق يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على أن الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه النهي وأجيب بأن المراد بالاستيفاء المعنى المعلى على ذلك الاضرار فكأنه قيل اذا اكتالوا يضرون الناس خاصة ولا يضرون أنفسهم بل يقصونها والقصر بطريق القلب والاضرار مما يمكن أن يكون لأنفسهم كما يمكن أن يكون الناس وان كان عليه الاضرار مختلفاً حيث أن اضرارهم أنفسهم باخذ الناقص واضرارهم الناس باخذ الزائد ثم أن خصوصية ما وقع عليه الفعل هو مدار القسم والقصد بالقبول وبه يجاب عما في حيز التلاوة النهي ولا يخفى ما فيه التدبر والضمير المنفصل في قوله تعالى ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ للناس وما تقدم في الاخذ من الناس وهذا في الاعطاء فالمعنى واذا كالوا لهم أو وزنوا لهم البيع يناقصون وكال استعمل مع الكيل باللام وبدونه فقد جاء في اللغة على ما قيل كال له وكاله بمعنى كال له وجعل غير واحد كاله من باب الحذف والايصال على ان الاصل كال له فحذف الجار وأوصل الفعل كما في قوله

ولقد جنيتك اكؤا وعساقلا ✻ ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

وقولهم في المثل الحر يعير بعيدك الا الحوار أي جنيت الكمأ وبعيدك وجوز أن يكون الكلام على حذف المضاف وهو مكيل وموزون(١) والقائلون بالحذف مقدروه بالاصل واذا كالوا الكيل أو وزنوه هو من عيسى بن عمر وحمزة ان الكيل له والوزن له فحذف وهو ضمير مرفوع تأكيد لضمير المرفوع وهو الواو وكانا يقفان على الواوين وقفة بيان بهما لما توهما ان الضمير لا يصح كون الضمير مرفوعا للمطففين لانه يكون المعنى عليه اذا أخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل أو الوزن لهم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في الباشر وذلك على مافي الكشف لان التأكيد الافظي يدفعه القسام فليس المراد ان يحقق ان الكيل صدر منهم لا من غيرهم مثلا والقوي وحده يدفعه ترك العاد في جواب اذا الآن التصريح اذ ذاك انهم يخسرون فيتعين الحمل على التخصيص ويظهر الضرر في ترك الفساد اذا المعنى لا يخسر الا هم ويلزم التناقض وادوات الغاية هنا وهم أولا في كالوهم مانع من هذا التقدير الا ان يتبع والحمل على حذف الجار من احدهما وهو شائع الجواز لا ظهر له وقيل انه يبعد كون الضمير مرفوعا عدم اثبات الالف بعد الواو وقد تقرر في علم الخط اثباتها بعدها في مثل ذلك وجرى عليه رسم المصحف الشامي في نظائره وكونه هنا بالخصوص غائلا لما تقرر ولما سلك في النظائر بعيد كما لا يخفى وقيل الاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء وتحكر الكيل والوزن في صورة الاخسار ان المطففين كانوا لا يأخذون ما يكالون ويوزن الا بالكيل دون الوزن لتكثير الاكتيال من الاستيفاء والسرقة واذا أعطوا كالوا ووزنوا لتكثير من البخس في النوعين جميعا والحاصل انه اذا جاء الظلم الجليل هكذا ليطابق من نزل فيهم فالصفة التي عليها كانوا عليه من زيادة البخس والظلم وهذا اصح جهات الصفة خصصها بأولاء المطففين كما هو الاظهر أو كائدة خاطم نفسه أريد بالاول منهوه ذمهم وقال شيخ مشايخنا العلامة السيد صبغة الله الحيدري في ذلك ان التطفيف في الكيل يكون بشيء قليل لا يبالي به في الاغلب دون التطفيف في الوزن فان أدنى جزء فيه يفضي الى شيء كثير وأيضا الغالب فيما يوزن ما هو أكثر قيمة مما يكال فاذا اخبرت الآية بانهم لا يبقون على الناس ما هو قليل دون من حقوقهم علم انهم لا يبقون عليهم الكثير الذي لا يتسامح به أكثر الناس بل أهل الروية أيضا الا نادرا بالطريق الاولى بخلاف ما اذا

(١) قوله والقائلون المضاف إلى قوله أو وزنوهم هكذا بخط المؤلف ولعل فيه سقطا من قلمه اه

Marfat.com

ذكر انهم يخسرون الناس بالاشياء الجزئية كما يفهم من ذكر الاخسار في الكيل فانه لايفهم منه انهم يخسرونهم بالشيء الكثير أيضا بل ربما يتوهم من تخصيص الجزئية بالذكر انهم لايتجرؤن على اخسارهم بكليات الاموال فلا بد في الدق الثاني من ذكر الاخسار في الوزن أيضا فتكون الآية مشتملة على قسمي أقسام ظلمهم بضبط أصول الظلم التي وقعت بالله لايحسم السؤال لجواز ان يقال لم لم يقل اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا وزنوهم يخسرون ليعلم من القرينتين انهم يستوفون الكثير ويخسرون الزر اليسير بالطريق الاولى ويكون في الكلام ماهو من قبيل الاحتباك وقال الزجاج التقدير اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل وكذلك اذا اتزنوا استوفوا الوزن ولم يذكر اذا اتزنوا لان الكيل والوزن يهما الغرة والبيع فيما يكال ويوزن ومراده على ماتنص عليه الطيبي انه استغنى بذكر احدى القرينتين عن الاخرى لدلالة القرينة الآتية عليها وهو كلام وجيه وقيل ان الطففين باعة وهم في الغالب يشترون الشيء الكثير دفعة ثم يبيعونه متفرقا في دفعات وكم قد رأينا منهم من يشتري من الزراعين مقدارا كثيراً من الحبوب مثلا في يوم واحد فيدخره ثم يبيعه شيئاً فشيئاً في أيام عديدة ولما كانت العادة الغالبة أخذ الكثير بالكيل ذكر الاكتيال فقط في صورة الاستيفاء ولما كان مايبيعونه مختلفا كثرة وقلة ذكر الكيل والوزن في صورة الاعطاء أو كان اختيار مايه تعيين المقدار مفوضا الى رأي من يشتري منهم فحصكرا مما في تلك الصورة اذ منهم من يختار الكيل ومنهم من يختار الوزن وأنت تعلم ان كون العادة الغالبة أخذ الكثير في الكيل غير مسلم على الاطلاق وانما هي في بعض المواضع دون بعض وأهل هذه المدينة اليوم لايكتالون ولا يكيلون أصلا وانما عادتهم الوزن والاتزان مطلقاً وعدم التعرض للكيل والوزن في الصورتين على مثال غير واحد الان مساق الكلام ليان سوء معاملة الطففين في الأخذ والاعطاء لاسيما الخصوصية المأخوذ والمعطى ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾ استئناف وارد لتهويل مايرتكبونه من التطفيف والقنزة للانكار والتعجيب ولا نافية فليست ألا هذه الاستفتاحية أو التنبيهية بل مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية والظن على معناه المعروف وأولئك اشارة الى الطففين ووضع موضع ضميرهم للايذان بانحاط الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة الى الشيء متبرضة له من حيث اتصافه بوصفه وأما الضمير فلا يتعرض للوصف والايذان بانهم مستاهلون بذلك الوصف القبيح من سائر الناس أو كل لبيان استاهلون منزلة الامور الشار اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد أي ألايظن أولئك الموصوفون بذلك الوصف القبيح الهائل انهم مبعوثون ﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ لايقادر قدر عظمه فان من يظن ذلك يكون ظنه مضيعا لايكاد يتجاسر على أمثال هذه القبائح فكيف بمن يثبته ووصف اليوم بالعظم للعظم مافيه كما أن جهله علة لثبوت باقيه وقدر بعضهم مضافا أي لحساب يوم وقيل الظن هنا بمعنى اليقين والاول أولى وأبلغ وعن الزمخشري انه سبحانه جعلهم اسوأ حالا من الكفار لانه أثبت جل شأنه للكفار ظنا حيث حكى سبحانه عنهم إن نظن الا ظنا ولم يثبته عز وجل لهم والمراد أنه تعالى ترلهم منزلة من لا يظن ليصح الانكار وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي لملك تعالى وقضائه عز وجل منصوب باضمار أعني وجوز أن يكون معمولا لمبعوثون أو مرفوع المحل خبراً لمبتدا مضمر أي هو أو ذلك يوم أو مجرور كما قال الفراء بدلا من يوم عظيم وهو على الوجوه مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين وقد مر غير مرة ويؤيد الوجوه قراءة زيد بن علي يوم بالرفع وقراءة بعضهم كما حكي أبو سوار يوم بالجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن والاتيان باسم الاشارة ووصف يوم قيامهم بالعظمة وابدال يوم يقومون له منه على القول به ووصفه

Marfat.com

تعالى بروية الثانين من البيان البالغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف مالا يخفى وليس ذلك نظرا الى التطفيف من حيث هو تطفيف بل من حيث ان الميزان قانون العدل الذي قامت به السموات والارض فيعم الحكم التطفيف على الوجه الواقع من أولئك المطففين وغيره وصح من رواية احمد والطبراني وغيرهما عن ابن عباس وغيره مرفوعا خمس بخمس قيل يارسول الله وما خمس بخمس قال مانقض قوم العهد الا سلط الله تعالى عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله تعالى الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر ومن ابن عمر انه كان غير بالبائع فيقول اتق الله تعالى وأوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيامة لعشرة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم ومن عكرمة اشهد ان قل كيلك ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال ووزان فقال اشهد انه في النار وكأنه أراد المبالغة لما علم ان الغالب فيهم التطفيف ومن هذا القبيل ماروى عن أبي رضي الله تعالى عنه لا تلمس الحوائج من رزقه في دوين الكاليل وألسن الوازين والله تعالى أعلم واستدل بقوله تعالى يوم يقوم الخ على منع القيام للناس لاختصاصه بالله تعالى وأجاب عنه الجلال السيوطي بانه خاص بالقيام للقرء بين يديه أما القيام له اذا قدم ثم الجلوس فلا وانت تعلم ان الآية بمنزل عن ان يستدل بها على ما ذكر ليحتاج الى هذا الجواب وأرى الاستدلال بها على ذلك من العجب العجاب وقوله تعالى (كَلَّا) ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب (إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ) الخ تعليل الردع أو وجوب الارتداع طريق التحقيق والكتاب قيل بمعنى مكتوب أي ما يكتب من أعمال الفجار الى الخ وقيل مصدر بمعنى الكتابة وفي الكلام مضاف مقدر أي كتابة عمل الفجار الى الخ والمراد بالفجار هنا على ماقال أبو حيان الكفار وعلى ما قال غير واحد ما يعمهم والصفة قد تعمل فيهم الفاسقون وسجين قيل صفة كسكير والمختار غير واحد علم لكتاب جامع وهو ديوان الشر مدون فيه أعمال الفجرة من الثقلين كما قال تعالى (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ) فان الظاهر ان كتاب عمل من سجين أو خبر مبتدا محذوف هو مشير راجع اليه أي هو كتاب وأصله وضع من السجن بمعنى الحبس والكتاب لانه سبب الحبس فهو في الاصل فعيل بمعنى فاعل أو لانه ملقى بأسفل تحت الارضين في مكان وحش بالمسجونين فهو بمعنى مفعول والالزام على حاله مقالا ذكر كون الكتاب ظرفا للكتاب المسمى من تفسير كتاب الفجار وعليه يكون الكتاب المذكور ظرفا لفعل المكتوب فيه أو ظرفا للكتابة وقيل الكتاب على ظاهره والكلام نظير أن تقول ان كتاب حساب القرية الفلانية في الدستور الفلاني لما يدخل على حسابها وحساب أمثالها في أن ظرفية فيه من ظرفية الشكل للجزء ومن الامام لاستيعاب في أن يوضع أحدهما في الآخر حقيقة أو ينقل ماقي أحدهما الآخر ومن أبى على أن قوله تعالى كتاب مرقوم أي موضع كتاب فكتاب على ظاهره وسجين موضع عند ويؤيده ماأخرجه ابن جرير عن أبي هريرة مرفوعا أن الفلق جب في جهنم مغطى وسجين جب فيها مفتوح وعليه يكون سجين اسم موضع في جهنم وجاء في عدة آثار أنه موضع تحت الارض السابعة ولا منافاة بين ذلك وبين الخبر المذكور بناء على القول بان جهنم تحت الارض وفي الكشف لا يبعد أن يكون سجين علم الكتاب وعلم الموضع أيضا جمعا بين ظاهر الآية وظواهر الاخبار وبعض من ذهب الى أنه في الآية علم الموضع قال وما أدراك سجين على حذف مضاف أي وما أدراك ما كتاب سجين وقال ابن عطية من قال بذلك فكتاب عنده مرفوع على أنه خبر ان والظرف الذي هو لفي سجين ملغى ولعلب بأن الفائدة لا يلتفت الا اذا كان معمولا للخبر أعني كتاب أو لصفته أعني مرقوم وذلك لا يجوز لان كتاب موصوف فلا يعمل والان مرقوم الذي هو

Marfat.com

منه لا يجوز ان تدخل اللام في مسموله ولا يجوز أن يتقدم مسموله على الموصوف وفيه نظر وقيل كتاب خبر كان لان وقيل خبر مبتدا محذوف هو ضمير راجع الى كتاب الفجار ومناط الفائدة الوصف والجملة في البين اعتراضية وكلا الوجهين خلاف الظاهر وعن عكرمة ان سجين عبارة عن الخسار والطوان لا تقول لفلان فلان الطويل اذا صار في غاية الطول والكلام في هذا الموضع يطلب من علم التاريخ نعم يمكن ان نذكر ههنا خلاف المفسرين وزعم بعض الملحدين ان نون سجين بدل من لام أصله سجيل فهو كخيرين في جبريل فليس مشتقا من السجن أصلا ومرقوم من رقم الكتاب اذا أعجمه وبينه لئلا يقرو أي كتاب بين الكتابة أو من رقم الكتاب اذا جعل له رقما أي علامة أي كتاب معلم يعلم من رآه أنه لا خبر فيه وقال ابن عباس والضحاك مرقوم مختوم بلغة حمير وذكر بعضهم انه يقال رقم الكتاب بمعنى ختمه ولم يخصه بلغة دون لغة وفي البحر مرقوم أي مثبت كالرقم لا يبلى ولا يمحى وهو كما ترى وشاع الرقم في الكتابة قال أبو حيان وهو أصل معناه ومنه قول الشاعر

سأرقم في الماء القراح اليكم ... على بعدكم ان كان للماء راقم

وأما الرقم المعروف عند أهل الحساب فالظاهر انه بمعنى العلامة ومعنى بعلامة العدد فيما بينهم وقوله تعالى (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض والمراد بالمكذبين بذلك اليوم فقوله تعالى (الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين أو بدل منه أو مرفوع أو منصوب على الذم وجوز أن يكون صفة كاشفة موضحة وقيل هو صفة الخصلة فارقة على ان المراد المكذبين بالحق والاول أظهر لان قوله تعالى (وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ) الخ دال على ان التصدق للذة أي وما يكذب بيوم الدين الا متجاوز حدود النظر والاعتبار قال في التقليد حتى يجعل قدرة الله تعالى قاصرة عن الاعادة وعلمه بحاله قاصراً عن معرفة الاجزاء المتفرقة التي لا بد في الاعادة منها فمد الاعادة محالة عليه عز وجل (أَثِيمٍ) أي كثير الآثام منهمك في الشهوات المذمومة الغاية بحيث غلت عليه وران على قلبه الظلمات الباقية فحالت بينه وبين ادراك الحق الذي لا محيد عنه (أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أي هي حكايات الاولين التي هي باطل جاء بها الاولون وطال أمد الاخبار بها ولم يظهر صدقها أو أباطيل ألفيت على آبائنا الاولين وكتبوها ولسنا أول مكذب بها حتى يكون التكذيب منا عجلة وخروجا من طريق الحزم والاحتياط والاول أظهر والآية قيل نزلت في النضر بن الحرث وعن الكلبي أنها نزلت في الوليد بن المغيرة وأيما كان فالكلام على العموم وقرأ أبو حيوة وابن مقسم اذا يتلى بتذكير الفعل وقريء اذا تتلى على الاستفهام الانكاري (كَلَّا) ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله عز وجل (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) رائف لما أدى بهم الى التفوه بتلك العظيمة أي ليس في آباءنا ما يصحح أن يقال في شأنها مثل تلك المقالة الباطلة بل رأب قلوبهم وغلب عليها ما استمروا على اكتسابه من الكفر والعاصي حتى صار كالصدإ للمرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق فقالوا ما قالوا والرين في الأصل الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم أي دسع فيه وفي البحر أصل الرين الغلبة يقال رانت الخمر على عقل شاربها أي غلبت وران النعاس على عقل الريض أي غلب وقال أبو زيد يقال رين بالمرء يرين به رينا اذا وقع فيما لا يستطيع منه الخروج وأريد به هنا المعاصي الرامح بجامع أنه كالصدإ السود للمرآة والغشاة مثلا الغير عن الحالة الاصلية وأخرج

Marfat.com

الامام احمد والترمذي والحاكم وصححه والنسائي وابن ماجه وابن حبان وغيرهم من أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان العبد اذا أذنب ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان عاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكر الله تعالى في القرآن كلا بل ران على قلوبهم الآية كانوا يكسبون وأخرج ابن المنذر وغيره عن مجاهد أنه قال كانوا يرون أن الرين هو الطبع وذكروا له أسبابا وفي حديث أخرجه عبد بن حميد من طريق خالد بن الحكم عن أبي الخير أنه عليه الصلاة والسلام قال أربع خصال مفسدة للقلوب مجاراة الأحمق فان جاريته ندمت وان سكتت عنه سلمت منه وكثرة الذنوب مفسدة للقلوب وقد قال الله تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والخلوة بالنساء والاستماع من الميت برأيين وجالسة الموتى قيل يارسول الله من هم قال كل غني قد أبطره غناه وقرىء بادغام اللام في الراء وقال أبو جعفر بن الباذش أجمعوا على ادغام اللام في الراء الا ما كان من وقف حمزة على بل وقفا حقيقيا يسيرا لتبين الاظهار وليس كما قال من الاجماع فقد الوسيع من القولين من جميع طرقه اظهار اللام عند الراء نحو قوله تعالى بل رفعه الله اليه بل ريكم وفي كتاب ابن مطير قرأ نافع بل ران فيمد فيه وقد قرأ أيضا نافع أيضا بالادغام والاظهار قال سيبويه في الادغام الراء أمثل وعدم البيان والادغام حسنان وقال أيضا فان كانت بين اللام غير لام التعريف نحو لام هل وبل فان الادغام أحسن فان لم تدغم في هذا الاعمل الحجاز وهي عربية جائزة وفي الكشاف قرىء بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام أجود وأبيت الاقف وقفت فليحفظ (كَلَّا) ردع وزجر عن التكسب الرائن أو بمعنى حقا (إِنَّهُمْ) أي هؤلاء المكذبين (عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) لأبرونه سبحانه وهو عز وجل حاضر ناظر لهم بخلاف المؤمنين فالحجاب مجاز عن عدم الرؤية لان المحجوب لا يرى ما حجب أو الحجب المنع والكلام على حذف مضاف أي عن رؤية ربهم لممنوعون فلا يرونه سبحانه واحتج بالآية مالك على رؤية المؤمنين له تعالى من جهة دلالة الخطاب والا فلو حجب الكل لما أغنى هذا التخصيص وقال الشافعي لما حجب سبحانه قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا وقال أنس بن مالك لما حجب عز وجل أعداءه سبحانه فلم يروه تجلى جل شأنه لأوليائه حتى رأوه عز وجل ومن أنكر رؤيته تعالى كالمعتزلة قال ان الكلام لقيل الاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا لوجهاء المكرمين فيهم ولا يحجب عنهم الا الاذناب المهانون عندهم قال

(١) اذا اغبروا باب ذي عبية رجبوا ... والناس من بين مرحب ومحجوب

أو هو بتقدير مضاف أي عن رحمة ربهم مثلا لمحجوبون وعن ابن عباس وقتادة ومجاهد تقدير ذلك وعن ابن كيسان تقدير الكرامة لكنهم أرادوا عموم القدر المرئية وغيرها من ألطافه تعالى والجار والمجرور متعلق بمحجوبون وهو العامل في يومئذ والتنوين فيه تنوين عوض والعوض عنه هنا يقوم الذي السابق كأنه قيل انهم لمحجوبون عن ربهم يوم اذ يقوم الناس لرب العالمين (ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ) مقاسو حرها على ما قال الخليل وقيل داخلون فيها وثم قيل لتراخي الرتبة لكن يناقبه ما عند مسلم فان صلى الجحيم عندهم أشد من حجابهم عن ربهم عز وجل وأما عند المؤمنين لا سيما الراؤن به سبحانه منهم فان الحجاب عذاب لا يدانيه عذاب (ثُمَّ يُقَالُ) لهم تقريعا وتوبيخا من جهة الخزنة أو أهل الجنة (هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)

(١) قوله اذا اغبروا الخ مراد بالغبراء اذا غضب وذي عبية بضم العين وتشديد الباء الموحدة أي ملك ذي كبر ورجبوا بالتخفيف أي عظموا اه منه

Marfat.com

فذوقوا عقابه ﴿ كَلَّا ﴾ تكرير الردع السابق في قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار الخ ليعقب بوعيد الابرار كما عقب ذاك بوعيد الفجار اشارة بأن التعقيب بفجور والايغاء بر وقيل ردع عن التكذيب فلا تكرار ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ الكلام نحو ما مر في نظيره وبيد أنهم اختلفوا في عليين على وجوه آخر غير اختلافهم في سجين فقال غير واحد هو علم للديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك أما لانه سبب الارتفاع الى أعالي درجات الجنان أو لانه مرفوع في السماء السابعة أو عند قائمة العرش اليمنى مع الملائكة المقربين عليهم السلام تعظيما له وقيل هو المواضع العالية واحدها علي وكان سيبويه أن يقال علية كما قالوا القرفة علية فلما حذفوا التاء عوضوا عنها الجمع بالواو والنون وحكي ذلك عن أبي الحسن حيث وقيل هو وصف للملائكة وكذلك جمع بالواو والنون وقال الفراء هو اسم موضوع على صيغة الجمع ولا واحد له من لفظه كعشرين وثلاثين والعرب اذا جمعت جمعا ولم يكن له بناء واحد ولا نية أطلقوه في الذكر والتؤنث بالواو والنون ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ صفة أخرى لكتاب أي يحضرونه على أن يشهد من الشهود بمعنى الحضور وحضوره كناية عن حفظه في الخارج أو يشهدون بما فيه يوم القيامة على أنه من الشهادة وعلى الوجهين المراد بالمقربين جمع من الملائكة عليهم السلام كذا قالوا وأخرج عبد بن حميد من طريق خالد بن مرة عن أبي عبيدة ان ابن عباس سئل كيف عن هذه الآية فقال ان المؤمن يحضره الموت ويحضره رسل ربه عز وجل ملائكة يستطيعون ان يؤخروه ساعة ولا يعجلوه حتى تجيء ساعته فاذا جاءت ساعته قبضوا نفسه فدفعوه الى ملائكة الرحمة فأروه ماشاء الله تعالى أن يروه من الخير ثم عرجوا بروحه الى السماء فيشمه من كل سماء مقربوها حتى ينتهوا به الى السماء السابعة فيضعونه بين أيديهم ولا ينتظرون به صلاة ملك عليه فيقولون اللهم هذا عبدك فلان قبضنا نفسه وبدعون له بما شاء الله تعالى ان يدعوا له فنحن نحب أن نشهدنا اليوم كتابه فيذكر كتابه من تحت العرش فيثبتون اسمه فيه وهم شهود فذلك قوله تعالى كتاب مرقوم يشهده المقربون وسأله عن قوله تعالى ان كتاب الفجار الآية فقال ان العبد الكافر يحضره الموت ويحضره رسل ربه سبحانه فاذا جاءت ساعته قبضوا نفسه فدفعوه الى ملائكة العذاب فأروه ماشاء الله تعالى ان يروه من النار ثم يعرجوا به الى الارض السفلى وهو سجين وهي آخر سلطان ابليس فالقوا كتابه فيها الحديث وفي بعض الاخبار ما ظاهره ان نفس السافل كون في سجين ويكون في عليين فقد أخرج ابن المبارك عن سخرت بن حبيب قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الملائكة يرفعون اعمال العبد من عباد الله تعالى يستكثرونه ويزكونه حتى يبلغوا به الى حيث شاء الله تعالى من سلطانه فيوحي الله تعالى اليهم انكم حفظة على عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه ان عبدي هذا لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين ويصعدون بعمل العبد يستقلونه ويستحقرونه حتى يبلغوا به الى حيث شاء الله تعالى من سلطانه فيوحي الله تعالى اليهم انكم حفظة على عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه ان عبدي هذا أخلص لي عمله فاجعلوه في عليين وبأتي تأويل يرجع الى ماتضمنته الآية فلاتغفل وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ شروع في بيان محاسن أحوالهم اثر بيان حال كتابهم والجملة مستأنفة استئنافا بيانيا كأنه قيل هذا حال كتابهم فما حالهم فأجيب بما ذكر أي انهم لفي نعيم عظيم ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ أي على الاسرة في الحجال وقد تقدم تمام الكلام فيها ﴿ يَنْظُرُونَ ﴾ أي الى ما شاؤا من مرائي مناظر الجنة وما تحجب الحجال بأبصارهم وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد الى

Marfat.com

ما أضافه تعالى لهم من تكرمات وقال مقاتل إلى أهل النار أعد التهويل برفضه بعض ليكون ذلك في آخر السورة تأسيسا وقيل ينظر بعضهم إلى بعض فلا يحجب حبيب عن حبيبه وقيل النظر كناية عن سلب النوم فكأنه قيل لا يناسون وكما تدفع نوم النوم من ذكر الآلات المعدة للنوم نافيا وفيه اشارة الى أنه لا نوم في الجنة كما وردت به الاخبار لما فيه من زوال السرور وغفلة الحواس التي عند ذلك عما لا يناسب ذلك المقام وعليه يكون قوله سبحانه (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) أي بهجة النعيم ورونقه الذي مايوجبه سلب النوم من الشعث وتابع بهجة الوجه كما في الدنيا وهو وجه لا يعرف فيه الناظر نضرة التحقيق والخطاب في تعرف لكل من له حظ من الخطاب للايذان بأن ماعلم من آثار النعمة وأحكام البهجة بحيث لا يختص براء دون راء وقرأ أبو جعفر وابن أبي اسحق وطلحة وشيبة ويعقوب تعرف مبنيا للمفعول نضرة رفعا على النيابة عن الفاعل وجوز بعضهم أن يكون نائب فاعل تعرف ضمير الابرار وفي وجوههم نضرة مبتدأ وخبر كأنه قيل تعرف الابرار بارتفاع في وجوههم نضرة النعيم وليس بشيء كما لا يخفى وقرأ زيد بن علي كذلك إلا أنه قرأ أعرف بالباء إذا تأتيت نضرة المجازي (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ) قال الخليل هو أجود الخمر وقال الاخفش والزجاج الخمر التي لا غش فيه قال حسان

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

وفسر هنا بالشراب الخالص مما يكدر حتى القول (مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ) أي مختوم أوانيه وأكوابه بالمسك مكان الطين كما روى عن ابن عباد وذكر أن طين الجنة مسك منجون والظاهر أن الختام ما يختم به وان الختم على حقيقته وكذا المستفاد وقولنا مختوم أوانيه الخ ليس لان الاستفادة إذ لان الختم على الشيء أعني الاستيثاق منه بالختم طريقه ذلك وختم اعتناء به واظهارا لكرامة شاربه وكان ذلك مما هو على هيئة الطين ليكون على النوع المألوف ويجوز أن يكون ذلك تمثيلا لكمال نفاسته والا فليس ثمة طين أو ختم أو خيانة ليصان من ذلك بالختم وقال ابن عباس وابن جبير والحسن التي خلقه ونهايته والرائحة مسك اذا شرب أي يجد شاربه ذلك عند انتهاء شربه وكان ذلك لان اشتمال الغالبة يكمل لذة تنتج عن ادراك الرائحة فاذا انقطع الشرب أدركت والا فالرائحة لا تختص بالانتهاء قبل التي هي نهاية نهايته وما يبقى بعد شربه ويشرب في أوانيه مسك وليس لشراب الدنيا نهايته وما يرسب في الاناء طين أو نحوه وهو كما ترى وقيل ان الرحيق يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك فالمعنى ذو ختام ختام مزاجه مسك وهو مع كونه خلاف الظاهر وفيما بعد مايبعده في الجملة يحتاج الى نقل يعول عليه وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه والنخعي والضحاك وزيد بن علي وأبو حيوة وابن أبي عبلة والكسائي خاتمه بالف بعد الخاء وفتح التاء والراء مايختم به أيضا فان فاعلا بالفتح يكون أيضا اسم آلة كالقالب والطابع لكنه سماعي ومن الضحاك وعيسى وأحمد بن جبير الانطاكي عن الكسائي كسر التاء أي آخره والرائحة مسك والجملة السابقة أعني على الارائك ينظرون وتعرف في وجوههم الخ ويسقون الخ قيل أحوال متداخلة وقيل مستأنفات كجملة ان الابرار الخ وقعت أجوبة لاسؤال عن حاصلهم والفصل لتنبيه على استقلال كل في بيان فرائضهم (وَفِي ذَٰلِكَ) اشارة الى الرحيق وهو الاقرب بايعاد أو الى ماذكر من أحوالهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو مرتبته وبعد منزلته وجوز أن يكون لكونه في الجنة والجار والمجرور متعلق بقوله تعالى (فَلْيَتَنَافَسِ) وقدم للاهتمام أو للحصر أي فليتنافس

Marfat.com

والرغب فيه لا في حقير الدنيا أولا في غيره من ملاذها ونعيمها (فَلْيَتَنَافَسُونَ) أي الراغبون في المبادرة الى طاعة الله تعالى وليتسابق أي فليعمل لاجله أي لاجل تحصيله خاصة والفوز به العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون أي فليتسابق في تحصيل ذلك المتسابقون وأصل التنافس التغالب في الشيء النفيس وأصله من النفاسة تزيا قال الواحدي نفست الشيء أنفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من المتخاصمين يريد ان يستأثر به وقال البقوي اصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه ويقال نفست عليه بالشيء أنفس نفاسة اذا بخلت به عليه وفي مفردات الراغب التنافس مجاهدة النفس للتشبه بالافاضل والتحوق بهم من غير ادخال ضرر على غيره وهو بهذا المعنى من شرف النفس وعلو الهمة والفرق بينها وبين الحسد اظهر من ان يخفى واستشكل ذلك التعليق بانه يلزم عليه دخول العاطف على العاطف اذ التقدير وفليتنافس في ذلك وأجيب بانه بتقدير القول أي ويقولون لشدة الثقة من غير اختيار في ذلك فليتنافس المتنافسون أي في الدنيا على معنى أنه كان اللائق بهم أن يتنافسوا في ذلك وقيل الكلام على تقدير حرف الشرط والفاء والقسة في جوابه أي وان أردت تنافس فليتنافس في ذلك المتنافسون وتقديم الظرف ليكون عوضاً عن الشرط في نقل حيزه وهو أنفس مما تقدم وقوله تعالى (وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ) عطف على مختامه مسك صفة أخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لفاسة وتسنيم علم لعين بعينها في الجنة كما روى عن ابن مسعود وعن حذيفة الجبال أقفال عين من عدن سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه لما ان شرابها أرفع شراب في الجنة على ما روى عن ابن عباس أو لانها تأتيهم من فوق على ما روى عن الكلبي وروى أنها تجري في الهواء منسنمة فتنصب في أوانيهم وقيل سميت بذلك لرفعة من يشرب بها ولا يلزم من كونه علما لما ذكر منع صرفه للعلمية والتأنيث لان العين مؤنثة إذ هي قد تذكر بتأويل الماء أو نحوه ومن بيانية أو تبعيضية أي مايمزج به ذلك الرحيق هو تسنيم أي ماء تلك العين أو بعض ذلك وجوز أن تكون ابتدائية (عَيْنًا) نصب على المدح وقال الزجاج على الحال من تسنيم قيل ومع كونه حالا مع جموده لوصفه بقوله تعالى (يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) أو لتأويله بمشتق كجارية وأنت تعلم ان الاشتقاق غير لازم والباء اما زائدة أي يشربها أو بمعنى من أي يشرب منها أو على تضمين يشرب معنى يروى أي يشرب رواء بها أو يروى بها شاربون المقربون أو صلة الاتساع أي يشرب متلذذا بها أو الامتزاج أي يشرب الرحيق ممتزجا بها أو الالتباس أي يشربه ملتبسين بها أو وجه ذكرها وفي كونها صلة الامتزاج يقال فقد قال ابن مسعود وابن عباس والحسن وأبو صالح يشرب بها المقربون صرفا وتمزج للابرار وبذهب الجمهور ان الابرار هم أصحاب اليمين وأن المقربين هم السابقون كما أنهم أنما كان شرابهم صرف التسنيم لاشتغالهم عن الرحيق المختوم بمحبة الحي القيوم فهي الرحيق التي لا يغاص بها رحيق المدامة التي تواصى على شربها ذووا الاذواق والتحقيق

على نفسه فليبك من ضاع عمره ✽ وليس له منها نصيب ولا سهم

وقال قوم الابرار والمقربون في هذه السورة بمعنى واحد يدخل كل من دخل الجنة وله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) الخ حكاية لبعض قبائح مشركي قريش أبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم حين بها تعجبا اثر بعض أحوال الابرار في الجنة (كَانُوا) أي في الدنيا كما قال قتادة (مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) كانوا يستهزؤن بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من الفقراء وفي البحر روى أن عليا كرم الله

Marfat.com

تعالى وجهه رجعا من المؤمنين مهما مروا بجمع من كفار مكة غمزوا منهم واستخفوا بهم فنزلت ان الذين أجرموا الخ قبل ان يصل علي كرم الله تعالى وجهه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الكشاف حكاية ذلك من المنافقين وانهم قالوا ربنا اليوم الاصلع أي سيدنا يعنون عليا كرم الله تعالى وجهه وانما قالوه استهزاء وقيل الاول أصبح وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشارة بداية شناعة ما فعلوا أي كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى أفي الله شك او اشارة للتواصل (وإذا مروا) أي المؤمنون (بهم) أي بالذين أجرموا وهم في أنديتهم (يتغامزون) أي يشير بعضهم بعضا ويغمزون بأعينهم استهزاء بالمؤمنين وارجاع ضمير مروا للمؤمنين وضمير بهم للفجرة هو الاظهر الاوفق بحكاية سبب النزول واستظهر ابو حيان العكس معللا له بتناسق الضمائر (وإذا انقلبوا) أي المجرمون ورجعوا من مجالسهم (إلى أهلهم انقلبوا فكهين) ملتذين باستخفافهم بالمؤمنين وكان المراد بذلك الاشارة الى انهم بعدوا صنيعهم ذلك من أحسن المكاسب في غيبتهم عن أعينهم أو الى ان له وقعا في قلوبهم ولم يفعلوه مراعاة لاحد وانما فعلوه لمحض أنفسهم وقيل فيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك عادة الا في القرن بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرأ الجمهور فاكهين بالالف قيل هما بمعنى وقيل فكهين أشرين وقيل فرحين وقالوا قيل متفكهين وقيل ناعمين وقيل معجبين (وإذا رأوهم) وانما رأوا المؤمنين أينما كانوا (قالوا إن هؤلاء لضالون) جملة من جنس المؤمنين مطلقا لا خصوص المرئيين منهم والتأكيد لزيادة الاعتناء بشأنهم (وما أرسلوا عليهم حافظين) جملة حالية من ضمير قالوا أي قالوا ذلك والحال انهم ما أرسلوا من جهته تعالى على المؤمنين موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويشهدون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم واستهزاء بهم واشعارا بان ما اجترؤا عليه من القول من وظائف من أرسل من جهته تعالى وجوز أن يكون من جملة قول المجرمين والاصل وما أرسلوا علينا حافظين الا أنه قيل عليهم تلاقا بالذي على نحو قال زيد لفلان لذا وغرضهم بذلك انكار صدد المؤمنين اياهم عن الشرك ودعائهم الى الايمان (فاليوم الذين آمنوا) أي المعهودون من الفجرة (من الكفار) أي من اليهود وجوز تعميمهم لجميع الجانبين (يضحكون) حين يرونهم اذلاء مغلولين قد غشيتهم فنون الهوان والصغار بعد العز والاستكبار ورعتهم ألوان العذاب بعد التنعم والترف والظرف والجار والمجرور متعلقان بيضحكون وتقديم الجار والمجرور قيل للقصر لتحقيق المقابلة أي واليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى (على الأرائك ينظرون) حال من فاعل يضحكون أي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم هلم هلم فاذا وصلوا اليها أغلق دونهم فعل ذلك مرارا حتى ان أحدهم يأتي الباب فما يأتي من أبوابه يضحك المؤمنون منهم وتعقب بأن قوله تعالى (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) يأباه فانه صريح في ان ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجازاة والمقابلة حتما والحق انه لا بد لا لاجل التثويب والاثابة للمجازاة ويقال ثوبه وأثابه اذا جازاه ومنه قول الشاعر

سأجزيك أو يجزيك عني مثوب ✿ وحسبك ان يثني عليك وتحمدي

وظاهر كلامهم اطلاق ذلك على الجزاء بالخير والشر واشتهر بالجزاء بالخير وجوز حمله عليه هنا على ان المراد التهكم كما قيل به في قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم وذق انك أنت العزيز الكريم كأنه تعالى يقول للمؤمنين هل اثبنا هؤلاء على ما كانوا يفعلون كما أثبناكم على ما كنتم تفعلون فيكون هذا القول زائدا

Marfat.com

في سرورهم بما فيه من تعظيمهم والاستخفاف باعدائهم والجملة الاستئنافية حينئذ مسوقة لقول محذوف وقع حالا من ضمير يضحكون أو من ضمير ينظرون أي يضحكون أو ينظرون مقولا لهم هل ثوب الخ ولم يتعرض لذلك الجمهور وفي البحر الاستفهام للتقرير للمؤمنين والمعنى قد جوزي الكفار ما كانوا الخ وقيل هل ثوب متعلق بينظرون والجملة في موضع نصب به بعد اسقاط حرف الجر الذي هو الى التي وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أي يفعلونه والكلام بتقدير مضاف أي ثواب أوجزاء ما كانوا الخ وقيل هو بتقدير باء السببية أي هل ثوب الكفار بما كانوا وقرأ النحويان وحمزة وابن محيصن بادغام اللام في الثاء والله تعالى أعلم

﴿سورة الانشقاق﴾

ويقال سورة انشقت وهي مكية بلا خلاف وآيها ثلاث وعشرون آية في البصري والشامي وخمس وعشرون في غيرهما ووجه مناسبتها لما قبلها يعلم مما نقلناه عن الجلال السيوطي فيما قبل وأوجز بعضهم في بيان وجه ترتيب هذه السور الثلاث فقال ان في الفطرت التعريف بالحفظة الكاتبين وفي المطففين مقر كتبهم وفي هذه عرضها في القيامة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ أي بالغمام كما روي عن ابن عباس وذهب اليه الفراء والزجاج كما في البحر ويشهد له قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام والقرآن يفسر بعضه بعضا وقيل تشقق طولا يوم القيامة لقوله تعالى وانشقت السماء فهي يومئذ واهية وبحث فيه بانه لا ينافي ان يكون الانشقاق بالغمام وأخرج ابن أبي حاتم عن علي كرم الله تعالى وجهه انها تنشق من المجرة وفي الآثار انها باب السماء وأهل الهيئة يقولون انها نجوم صغار متقاربة جدا غير متميزة في الحس ويظهر ذلك ظهوراً بينا لمن نظر اليها بالارصاد ولا منافاة على ما قيل من ان المراد بكونها باب السماء ان دور الملائكة عليهم السلام بمصاعدهم من جهتها وذلك بجامع كونها نجوما صغارا متقاربة غير متميزة في الحس وخبر ان التي صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل معاذا الى أهل اليمن فقال له بلغهم انهم سألوك عن المجرة فقل هي لعاب حية تحت العرش ومنقيل انها في البحر المكفوف تحت السماء لا يكاد يصح والقول المذكور لا ينبغي ان يحكى الا ليبين على حاله وقرأ عبيد بن عمير عن أبي عمرو انشقت وكذا ما بعده من نظائره بادغام التاء كسرا في الوقف وحكي هذا أيضا الكسر أبو عبيد الله بن خالويه وذلك ثابت عليه على ما قيل وعن أبي حاتم سمعت عامر ابن الصباح قاضي بلاد قيس يكسر هذه التاء أي تاء التأنيث للاضافة للفعل وهي لغة وأصل ذلك الالتقاء الساكنين فقد تجري مجرى الملتقى فنكا ان هذه التاء تكسر في التوقف كما في قول كثير عزة من قصيدة:

وما أنا بالداعي لعزة بالردى ✻ ولا شامت ان قيل عزة ذلت

الى غير ذلك من أبيات تلك القصيدة تكسر في الفواصل واجراء الفواصل في الوقف مجرى القوافي مع معروف كقوله تعالى الظنونا والرسولا في سورة الاحزاب وحمل الوصل على حالة الوقف موجود أيضا في الفواصل ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي استمعت له تعالى يقال أذن لذا سمع قال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ✻ وان ذكرت بشر عندهم أذنوا

وقال قطني ان يأتوا ربة طاروا بها فرحا ✻ وما أتوا من صالح دفنوا

والاستماع هنا مجاز عن الانقياد والطاعة أي انقادت لتأثير قدرته عز وجل حين تعلقت ارادته سبحانه

Marfat.com

بانقيادها للمياه الأمور الطوائع اذا ورد عليه أمر الآمر القاطع والغرض العنوان الربوبية مع الاضافة اليها بصفة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها بعد قيل بمنزلة قوله تعالى أنبأنا طائعين في الانباء عن كون مالسب الى السيد والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة على ما قرروه (وَحُقَّتْ) أي حقت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد ان لم تكن كذلك بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به وحاصل المعنى انقادت لربها وهي حقيقة وجديرة بالانقياد لما أن القدرة الربانية لا يتصاعد أمر من الامور الا الامر اختصت به من بين الممكنات وذكر بعضهم ان أصل الكلام حق الله تعالى عليها بذلك أي صح عليها بتحتم الانقياد على معنى ارادته سبحانه منها ارادة لا تنفض قطعا وقيل المعنى وحق لها أن تنقاد لمدة القول والجملة على ما اختاره بعض الاجلة اعتراض مقرر لما قبلها وقيل معطوفة عليه وليس بذاك (وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ) قال الضحاك بسطت باندكاك جبالها وآكامها وتسويتها فصارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقال بعضهم زيدت مقاديرها من مده بمعنى امده أي زاده ونحوه ما قيل جرت فزاد انبساطها ومطت مدتها وأخرج الحاكم بسند جيد عن جابر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال تمد الارض يوم القيامة مد الاديم ثم لا يكون لابن آدم منها الا موضع قدميه (وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا) أي رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز كما أخرج ذلك عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة وإليه ذهب الزجاج واقتصر بعضهم بابن جرير وجاعة على الموتى بناء على أن القاء الكنوز اذا خرج الدجال وكأن من ذهب الى الاول لا يسلم القاء الكنوز يومئذ ولو سلم يقول يجوز أن لا يكون عاما لجميع الكنوز وانما يكون كذلك يوم القيامة والقول بأن يوم القيامة متسع يجوز أن يدخل فيه وقت خروج الدجال بعيد لأن باقي ولا يلتفت اليه (وَتَخَلَّتْ) أي وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شيء من ذلك كأنها تكلفت في ذلك أقصى جهد فعبر عنه بما ذكر والتعبير بالتفعل للمبالغة كما في قولك تحلم الحليم وتكرم الكريم وقيل تخلت عن على ظهرها من الاحياء وقيل عما على ظهرها من جبالها وبحارها والاقوال لا ترى وقد أخرج أبو القاسم الخرقي في الدياج من ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال أنا أول من تنشق عنه الارض فأجلس جالسا في قبري وان الارض تحرك بي فقلت لها مالك فقالت ان ربي أمرني ان ألقي مالي جوفي وان اتخلى فاكون كما كنت اذ لا شيء في وذلك قوله تعالى وألقت ما فيها وتخلت (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا) في الالقاء وما بعده (وَحُقَّتْ) الكلام فيه نظير ما تقدم وفيه اشارة الى ان ما ذكر وان أسند الى الارض فهو بفعل الله تعالى وقدرته عز وجل وتسخيره كما ان الاستدلال في من الجملتين بنوع من القدرة (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ) أي جاهد وأجهد جهدا في عملك من خير وشر (إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا) أي طول حياتك الى لقاء ربك أي الموت وما بعده من الاحوال المنتهية بالقاء والكدح جهد النفس في العمل حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه قال ابن مقبل

وما الدهر الا كالزمان فمنهما ❊ أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح

وقال آخر

ومضت بشاشة كل عيش صالح ❊ وبقيت أكدح للحياة وأنصب

(فَمُلَاقِيهِ) أي فلاق له مغيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه والضمير له عز وجل أي فلاق جزاء ذلك والمراد به الكدح أي فلاق جزاء الكدح ويوفى فيه على نحو انما هي أعمالكم ترد اليكم

Marfat.com

والظاهر ان ملائيه معطوف على كادح على التوابين وقال ابن عطية بعد ذكره الثاني فالفاء على هذا عاطفة جملة الكلام على الجملة التي قبلها والتقدير فاما ملائيه ولا يظهر وجه التخصيص والمراد بالانسان الجنس كما يؤذن به التقسيم بعده وقال مقاتل المراد به الاسود بن حلال المخزومي جاء أبا سلمة في أمر البعث فقال أبو سلمة اي الذي خلقك اتركين الطاعة والتوابين المتبة فقتل الاسود فانزل الله تعالى والسماء وما حال الثاني وكأنه أراد انها نزلت فيه وهي تعم الجنس وقيل المراد أبي بن خلف كان يكدح في طلب الدنيا وايذاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والاصرار على الكفر والمال القائل أراد والله أعلم وأبعد غاية الابعاد من ذهب الى ان الرسول عليه الصلاة والسلام على ان ابنيك بك تكدح في ابلاغ رسالات فتلقى وحمل وارشاد عباده سبحانه واحتمال الضرر من الكفار فأبصر ذلك الى الله تعالى بهذا العمل وهو غير ضائع عنده جل شأنه وجواب اذا قيل قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ الخ فاقول قوله تعالى فاما أبنيك بي هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا أيها الانسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف التهويل أي فان ما كان مما يضيق عنه نطاق البيان وقدره بعضهم كدوحا صرح به في سورتي التكوير والانفطار وقيل هو مأخوذ عليه يا أيها الانسان الخ وتقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو نفسه على حذف الفاء والاصل فيا أيها الانسان أو بتقدير قال وقال الاخفش والمبرد هو قوله تعالى فملاقيه بتقدير كانت ملائيه ليكون مع الفاء جملة وعلى هذا جملة يا أيها الانسان الخ معترضة وقال ابن الانباري والبلخي هو وأنت على زيادة الواو كما قيل في قوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها ومن الاخفش ان اذا هنا لا جواب لها لانها ليست بشرطية بل هي في اذا السماء منشقت ظرف لما تضمنه واذا الارض مدت والواو زائدة أي وقت انشقاق السماء وقت مد الارض وقيل لا جواب لها لانها ليست بذلك بل متجردة عن الشرطية واقعة مفعولا لاذكر محذوفا ولا يخفى ما في بعض هذه الاقوال من الضعف ولعل الاولى منها الاولان والحساب اليسير السهل الذي لا مناقشة فيه كما قيل وفسره عليه الصلاة والسلام بالعرض والنظر في الكتاب مع التجاوز فقد أخرج الشيخان والترمذي وأبو داود عن عائشة أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليس أحد يحاسب الا هلك قلت يا رسول الله جعلني الله تعالى فداك أليس الله تعالى يقول فاما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن مردويه والحاكم وصححه عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في بعض صلاته اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما انصرف عليه الصلاة والسلام قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه ﴿ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ أي مصاحبيه المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل أي فريق المؤمنين معتقدين ليكونوا مسرورة لان المؤمن أهل المؤمن من جهة الاشتراك في الايمان وقيل أي الى جنته ومن أعده الله تعالى له في الجنة من الحور والغلمان وأخرج هذا ابن المنذر عن مجاهد وقرأ زيد بن علي وبالب مضارع قلب مبنيا للفاعل ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ أي يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وروي أن شماله تدخل في صدره حتى تخرج من وراء ظهره فيأخذ كتابه بها فلا تلتقي يمين ما على سورة الحاقة حيث يأخذ كتابه بيمينه ثم هذا ان كان في الكفرة وما قيل في المؤمنين الذين فلا تعرض هنا للعصاة كالشهور في البحر وقيل لابد في ادخال العصاة في أهل اليمين لما انهم يعلمون أنهم يلقون بعد الخروج من النار كما اختاره ابن

Marfat.com

عطية أو لانهم يعطونها يوما قبل لكن مع حساب فوق حساب المتقين ودون حساب الكافرين ويكون قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا من وصف الكل بوصف البعض وقيل انهم يعطونها بالتبادل وتميز الكفرة بكون الاعطاء من وراء ظهورهم واهل ذلك لان مؤتى الكتب لا يتحملون مشاهدة وجوههم الكالحة شاخصة الى ورائهم أو لانهم يتبعوا كتاب الله وراء ظهورهم (فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا) يطلب ويتادي بقوله يا ثبورا تعالى فهذا أوانك والثبور الهلاك وهو جامع لانواع المكاره (وَيَصْلَى سَعِيرًا) يقاسي حرها أو يدخلها وقرأ أكثر السبعة وعمر بن عبد العزيز وأبو السماك والحسن والاعرج يصلى بضم الياء وفتح الصاد واللام مشددة من التصلية أي تعالى واصلية جهنم وقرأ أبو الاشهب وخارجة عن نافع وأبان عن عاصم والمفضل وجماعة عن أبي عمرو يصلى بضم الياء مع تخفيف اللام مبنيا للمفعول من الاصلاء قوله تعالى ونصله جهنم (إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ) في الدنيا (مَسْرُورًا) فرحا بطرا مترفا لا يخطر بباله أمور الآخرة ولا يفكر في العواقب ولم يكن حزينا متفكرا في حاله وما آله لسنة الصالحين والتذييل والجملة استئناف لبيان علة ماقبلها وقوله تعالى (إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ) تعليل لمسروره في الدنيا أي ظن أن لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وقيل ظن أن لن يرجع الى العدم أي ظن انه لا يموت وكان غافلا عن الموت فيرمستند له وليس بشيء والحور الرجوع مطلقا ومنه قول الشاعر

وما الدهر الا كالشباب وضوئه ✻ يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

والتقييد هنا بقرينة المقام وان غفلة من الثقلة سادة مع مافي حيزها مسد مفعولي الظن على المشهور (بَلَى) ايجاب لما بعد ان وقوله تعالى (إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا) تحقيق وتعليل له أي بل ليحورن البتة أن ربه عز وجل الذي خلقه كان به وباعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا تخفى عليه سبحانه منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه ومجازاته (فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ) هي الحمرة التي تشاهد في أفق المغرب بعد الغروب وأصله من رقة الشيء يقال شفق أي لابتهاك الرقة ومنه أشفق عليه رق قلبه والشفقة من الاشفاق وكذلك الفلق قال الشاعر

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا ✻ والموت أكرم نزال على الحرم

وقيل البياض الذي يلي تلك الحمرة ويرى بعد سقوطها وفي تسمية ذلك شفقا خلاف فالجمهور على أنه الابيض وهو أحد قولي عمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ان رجع من ذلك الى ما عليه الجمهور وتمام الكلام عليه في شروح الهداية وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد وعكرمة أنه هنا النهار كله . وروى ذلك عن الضحاك وابن أبي نجيح وكأنه شجيعهم على ذلك عطف القبل عليه وعن عكرمة أيضا انه ما بقي من النهار والمقسم في جواب شرط مقدر أي ان ثبت هذا أو اذا تحققت الحور بالبعث فلا أقسم بالشفق (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) وما ضم وجمع يقال وسقه فاتسق واستوسق أي جمعه فاجتمع ويقال طعام موسوق أي مجموع وابل مستوسقة أي مجتمعة قال الشاعر

ان لنا قلائصا حقائقا ✻ مستوسقات لو يجدن سائقا

ومنه الوسق الاصوع المجتمعة وهي ستون صاعا أو حمل بعير لاجتماعه على ظهره وما التحصيلية المصدرية والموصولة والجمهور على الثاني والعائد محذوف أي والذي وسقه والمراد به ما يجتمع بالليل ويأوي الى مكانه من الدواب وغيرها

Marfat.com

ومن عجائبه ما يكون فيه من خير أو شر وقيل ما استره وغطى عليه بظلمته وقيل ما جمعه من الظلمة وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن جبير انه قال وما وسق وما احتمل فيه ومنه قوله

فيوما ترانا صالحين وتارة ✻ تقوم بنا كالوامق المتلبب

وقيل وسق بمعنى طرد أي وما طرده الى أماكنه من الدواب وغيرها أو ما طرده من ضوء النهار وقوته الوسيقة قال في القاموس وهي من الابل كالرفقة من الناس فانا سرقت طردت معا (والقمر إذا اتسق) أي اجتمع نوره وصار بدرا (لتركبن طبقا عن طبق) خطاب لجنس الانسان المذكور أولا باعتبار شموله للافراد والمراد بالركوب الملاقاة والطبق في الأصل ما طابق غيره مطلقا وغلب في الرق بالحال المطابقة لغيرها ومنه قول الأقرع بن حابس

اني امرؤ قد حليت الدهر أشطره ✻ وساقني طبق منه الى طبق

وعن المجاوزة وقال غير واحد هي بمعنى بعدكما في قولهم سألوك كابرا عن كابر وقوله

مازلت أقطع منهلا عن منهل ✻ حتى أنخت بباب عبد الواحد

والمجاوزة والبعدية متقاربان والجار والمجرور متعلق بمحذوف وقع صفة لطبقا أو حالا من فاعل تركبن والظاهر ان نصب طبقا على أنه مفعول به أي لتسلكن حالا مجاوزة لحال او قائمة بعد حال أو مجاوزين لحال أو كائنين بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول وجوز كون التركيب على حقيقته وتجعل الحال مرادية مجازا وقيل نصب طبقا على التشبيه بالظرف او الحالية وقال جمع الطبق جمع طبقة كتمر وتمرة وهي المرتبة ويقال انه اسم جنس جمعي واحده ذلك والمعنى لتركبن أحوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة ومواطنها ورجحه الطيبي فقال هذا الذي يقتضيه النظم وترتب القائم في فلا أقسم على قوله تعالى بل ان ربه كان به بصيرا وفسر بعضهم الاحوال بما يكون في الدنيا من كونهم نطفة الى الموت وما يكون في الآخرة من البعث الى حين المستقر في احدى الدارين وقيل يمكن ان يراد بطبقا من طبق الموت الطابق للعدم الأصلي والاحياء المطابق للاحياء السابق فيكون الكلام فيما على البعث بعد الموت ويجري فيه ماذكره الطيبي وأخرج نعيم بن حماد وأبو نعيم عن مكحول انه قال في الآية تكونون في كل عشرين سنة على حال لم تكونوا على مثلها وفي رواية ابن المنذر وابن ابي حاتم عنه في كل عشرين عاما تحدثون أمرا لم تكونوا عليه فالطبق بمعنى عشرين عاما وقد عد ذلك في القاموس من جملة معانيه وما ذكر بيان للمعنى المراد وقيل الطبق هنا القرن من الناس منه في قول العباس بن عبد المطلب يمدح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق

فنحن من ضيائه في نور وسبل ✻ الرشد منه نأخذ بعد الطبق

وان المعنى لتركبن سنن من مضى قبلكم قرنا بعد قرن ولا التفات حينئذ خلاف الظاهر وقرأ عمر وابن مسعود وابن عباس ولتجدن والاسود وابن جبير ومسروق والنخعي وأبو العالية وابن وثاب وطلحة وعيسى والأعمش وابن كثير لتركبن بناء الخطاب وفتح الباء وروى عن ابن عباس وابن مسعود انهما أيضا قرءا لتركبن للمفارقة وهي لغة بني تميم على أنه خطاب للانسان أيضا لكن باعتبار اللفظ لا باعتبار المعنى وأخرج البخاري عن ابن عباس ان الخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ذلك عن عائشة وقال من ذهب الى أنه عليه الصلاة والسلام هو المراد بالانسان فيما تقدم يذهب اليه وعليه يراد بتركبن أحوالا شريفة بعد

Marfat.com

أخرى من مراتب القرب أو مراتب من الشدة في الدنيا باعتبار ما يقاسيه صلى الله تعالى عليه وسلم من الكفرة ومعاتبه في تبليغ الرسالة أو الكلام عدة بالنصر أي للآتين فتحاً بعد فتح ونصراً بعد نصر وتبشيراً بالمراح أي اتركين سماء بعد سماء كما أخرجه عبد بن حميد عن ابن عباس وابن مسعود وأيد بالتوكيد بالجملة القسمية والتعقيب بالاستكارية وأخرج ابن المنذر وجماعة عن ابن مسعود أنه قال في ذلك يعني السماء تنفطر ثم تشقق ثم تحمر وفي رواية السماء تكون كالمهل وتكون وردة كالدهان وتكون واهية وتشقق فتكون حالاً بعد حال فالسماء للتأنيث والضمير الفاعل عائد على السماء وقرأ عمر وابن عباس أيضاً اتركين بالياء آخر الحروف وفتح الباء على الالتفات من خطاب الانسان الى الغيبة وعن ابن عباس يعني نبيكم عليه الصلاة والسلام فجعل الضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم والمعنى على نحو ما تقدم وقيل الضمير العائد يعود على القمر لانه يتغير أحوالاً من سرار واستهلال وابدار وقرأ عمر أيضاً ليركبن بياء الغيبة وضم الباء على ان ضمير الجمع للانسان باعتبار العموم وقرىء بالتاء الفوقية وكسر الباء على تأنيث الانسان الخاطب باعتبار النفس وأمر تقدير الحالة المشار اليها فيما مر على هذه القراءات لا يخفى والفاء في قوله تعالى ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ جوز ان تكون للترتيب ما بعدها من الانكار والتعجب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة وأهوالها المشار اليها بقوله تعالى لتركبن الخ على بعض الاوجه الوجيهة للايمان والسجود اي فاذا كان حالهم يوم القيامة كما أشير اليه فأي شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين أي أي شيء يمنعهم من الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر ما يجب الايمان به مع تعاضد موجباته من الاحوال التي تكون المشار اليه يومئذ وجوز أن يكون الترتيب ذلك على ما قبل من عظم شأن عليه الصلاة والسلام المشار اليه بقوله سبحانه لتركبن الخ على بعض آخر من الاوجه السابقة فيه أي ثقا كان حاله وشأنه صلى الله تعالى عليه وسلم مما أشير اليه فأي شيء يمنعهم من الايمان به عليه الصلاة والسلام وجوز ان يكون الترتيب ذلك على ما ذكره قوله سبحانه فلا أقسم الخ مما يدل على صحة البعث من التعبيرات العلوية والتعليلية الدالة على كمال القدرة والى ذهب الامام أي اذا كان شأنه تعالى شأنه كما أشير اليه من كونه سبحانه وتعالى عظيم القدرة واسع العلم فأي شيء يمنعهم من الايمان بالبعث الذي هو من جملة الممكنات التي تتعلق قدرته عز وجل ويحيط بها علمه جل جلاله ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ عطف على الجملة الحالية فيما مثلها أي فأي مانع لهم حال عدم سجودهم عند قراءة القرآن والسجود مجاز عن الخضوع اللازم له على ما روي عن قتادة او المراد به الصلاة وفي قرن ذلك بالايمان دلالة على عظم قدرها كالايخفى أو هو على ظاهره فذكر ابن سابق في تاريخه القصوص أو وقيل آية سجدة وقد صح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه سجد عند قراءة هذه الآية أخرج مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن ابي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في اذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك وأخرج الشيخان وأبو داود والنسائي عن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة العشاء فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت له فقال سجدت خلف أبي القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم فلا ازال أسجد فيها حتى القاه عليه الصلاة والسلام وفي ذلك رد على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حيث قال ليس في المفصل وهو من سورة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل من الفتح وقيل وهو قول الاكثر من الحجرات سجدة وهي سنة عند الشافعي وواجبة عند أبي حنيفة قال الامام روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت هذه الآية واحتج أبو حنيفة على وجوب السجدة بها من وجوه

Marfat.com

الأول ان فعله عليه الصلاة والسلام يقتضي الوجوب لقوله تعالى فانبعوه الثاني انه تعالى ذم من لم يسجد وحصول الذم عند الترك يدل على الوجوب الثالث وقيه بحث مع ان الحديث كما قال ابن حجر إنما ثبت ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ أي بالقرآن وهو انتقال عن كونهم لايسجدون عند قراءته الى كونهم يكذبون به صريحا ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم وقرأ الضحاك وابن أبي عبلة يكذبون مخففا وبفتح الباء ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي بالذي يضمرونه في صدورهم من الكفر والحسد والبغضاء والبغي فما موصولة والعائد محذوف وأصل الايعاء جعل الشيء في وعاء وفي مفردات الراغب الايعاء حفظ الأمتعة في وعاء ومنه قوله * والشر الخبيث ما أوعيت من زاد * وأريد به هنا الاضمار مجازا وهو المروي عن ابن عباس ولا يلزم عليه كون الآية في حق المنافقين مع كون السورة مكية لايخفى وفسره بعضهم بالجمع وحكي عن ابن زيد وجوز ان يكون المعنى والله تعالى أعلم بما يجمعونه في صحفهم من أعمال السوء وإيثاره كان فيه تعالى بذلك كناية عن مجازاته سبحانه عليه وقيل المراد الاشارة الى ان علم وراء التكذيب قبائح عظيمة كثيرة يضيق عن شرحها نطاق العبارة وقال بعضهم يحتمل ان يكون المعنى والله تعالى أعلم بما يضمرون في أنفسهم من أدلة كونه أي القرآن حقا فيكون المراد المبالغة في عنادهم وتكذيبهم على خلاف علمهم والظاهر ان أجلة على هذا حال من ضمير يكذبون وكونها كذلك على ماقيل من الاشارة خلاف الظاهر وقرأ أبو حيوة بما يبنون من وعى رباعي ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مرتب على الاخبار بعلمه تعالى بما يوعون مراد به مجازاتهم به وقيل على تكذيبهم وقيل الفاء فصيحة أي اذا كان حالهم ماذكر فبشرهم الخ والتبشير في الشرور الاخبار بسار والتحذير به ههنا من باب * تحية بينهم ضرب وجيع * وجوز ان يكون ذلك على تنزيلهم لانهماكهم في المعاصي الوجبة للعذاب وعدم اشرجاعهم عنها منزلة الراغبين في العذاب حتى كان الاخبار به تبشيرا واخباراً بسار والفرق بين الوجهين يظهر بأدنى تأمل وأبعد جدا من قال ان ذلك تعريض بصحبة نبي الرحمة صلى الله تعالى عليه وسلم البشارة فيستعار للامر عليه الصلاة والسلام بالانذار لفظ البشارة تعليبا لقابه صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ استثناء منقطع من الضمير المنصوب في فبشرهم وجوز ان يكون متصلا على ان يراد بالمستثنى من آمن وعمل الصالحات من آمن وعمل بعد منهم أي من أولئك الكفرة والماضي في القبلين باعتبار علم الله تعالى أوهما بمعنى المضارع ولا يخفى مافيه من التكلف مع ان الاول أنسب بمدلوله تعالى ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لان الاجر الذي لايمن المؤمنين منهم بل المؤمنين كافة وكون الاختصاص اضافيا بالنسبة الى الباقين على الكفر منهم خلاف الظاهر على ان ايهام الاختصاص بالمؤمنين منهم يكفي في الغرض كما لا يخفى والمنون في أجر التعظيم ومعنى غير ممنون غير مقطوع من منه اذا قطع أو غير ممنه به وعليه عليهم من منّ عليه اذا اعتد بالصنيعة وحسبها وجعل بعضهم المن بهذا المعنى من يمنى قطع أيضا لما أنه يقطع النعمة ويقتضي قطع شكرها والجملة على ما قيل استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عن المذكورين ومبين لكيفيته ومقاديره الثواب العظيم الكثير

سورة البروج

لاخلاف في مكيتها ولا في كونها اثنتين وعشرين آية ووجه مناسبتها للتي قبلها باشتمالها التي قبل على وعد المؤمنين

Marfat.com

ووعيد الكافرين مع التنويه بشأن القرآن وعلو مكانه قدره وفي البحر انه سبحانه لما ذكر انه مجل وعلا أعلم بما يجترئون لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين من المكر والخداع وإيذاء من أسلم بأنواع من الأذى كالضرب بالنعل والصلب والحرق بالشمس وإعداد الصخر ووضع الجمار من يريدون ان يفتنوه عليه ذكر سبحانه ان هذه العظمة كانت فيمن تقدم من الأمم فكانوا يعذبون بالنار وأن المعذبين كان لهم من الثبات في الإيمان ما منعهم أن يرجعوا عن دينهم وان الذين عذبوهم ملعونون فكذلك الذين عذبوا المؤمنين من كفار قريش فيما سورة عظة لقريش وتثبيت لمن يعذبونه من المؤمنين التي وهو وجه وجيه

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ أي القصور كما قال ابن عباس وغيره والمراد بها عند جمع البروج الاثنا عشر المدروفة وأصل البرج الامر الظاهر ثم صار حقيقة للقصر المالي لانه ظاهر للناظرين ومنه قال تبرج من سور المدينة برج أيضا وبروج والسماء بالنسبة للعروف وان التحقت بالحقيقة فهي في الأصل استعارة فانها شبهت بالقصور العلوها والان النجوم نازلة فيها كسكانها فهناك استعارة مصرحة تبعيتها مكنية وقيل شبهت السماء بسور المدينة فاثبت لها البروج وقيل هي منازل القمر وهذا راجع الى القول الاول لان البروج منقسمة الى ثمانية وعشرين منزلا وقد تقدم الكلام فيها وقال مجاهد والحسن وعكرمة وقتادة هي النجوم وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال حدثنا مرفوعا بلفظ الكواكب بدل النجوم والله تعالى أعلم بصحته وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد عن أبي صالح انه قال هي النجوم العظام وعليه أنما سميت بروجا لظهورها وكذا على ما قبله وان اختلف الظهور ولم يظهر شمول جميع النجوم وقيل هي أبواب السماء وسميت بذلك لان النوازل تخرج من الملائكة عليهم السلام منها فجعلت مشبهة بقصور العظماء النازلة أو أمرهم منها أولانها لكونها مبدأ لظهور وصفت به مجازا في الطرف وقيل في تسمية البروج الاثنا عشر في الحقيقة على ما ذكره عظماء أهل الهيئة معتبرة في الفلك الاعلى المسمى بفلك الافلاك والفلك الاطلس وزعموا أنه العرش بلسان الشرع لكنها لما لم تكن ظاهرة حسما دلوا عليها بما سامتها وقت تقسيم الفلك الاعلى من الصور المعروفة كالحمل والثور وغيرهما التي هي في الفلك الثامن المسمى عندهم بفلك الثوابت وبالكرسي في لسان الشرع على ما زعموا فبرج الحمل مثلا ليس الا جزءا من اثنى عشر جزءا من الفلك الاعلى سامته صورة الحمل من الثوابت وقت التقسيم وبرج الثور ليس الا جزءا من ذلك سامت صورة الثور مبادئ ذلك الوقت أيضا وهكذا وانما قيل وقت التقسيم لان كل صورة قد خرجت عن حركتها وان كانت بطيئة فما كانت مسامتة له من تلك البروج حتى كاد يسامت الحمل اليوم برج الثور والثور برج الجوزاء وهكذا فعلى هذا وكون المراد بالبروج البروج الاثني عشر أو المنازل قيل المراد بالسماء الفلك الاعلى وقيل الفلك الثامن لظهور الصور الدالة على البروج فيه ولما يسمى فلك البروج وقيل السماء الدنيا لانها ترى فيها بظاهر الحس نظير ما قيل في قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وقيل الجنس الشامل لكل سماء لان السموات شفافة فيدارك العليا فيما في السفلى لانه يرى فيها ظاهرا وانما أريد بالبروج النجوم فقيل المراد بالسماء الفلك الثامن لانها فيه حقيقة وقيل السماء الدنيا وقيل الجنس على نحو ما مر ولا يراد على ما قيل الفلك الاطلس اعني الفلك الاعلى لانه ليس فيه مكوكب وانما أريد بها الابواب فقيل المراد بالسماء ما عدا فلك الافلاك المسمى بلسان الشرع بالعرش فانه لم يرد أن له أبوابا هذا وأنت تعلم أن اكثر ما ذكرته من على كلام أهل الهيئة المتقدمين وهو لا يصح له مستند شرعا ولا يكاد تسمع فيه اطلاق السماء على العرش أو الكرسي لكن لما سمع بعض الاسلاميين

Marfat.com

من الفلاسفة أفلاكا تسعة وأراد تطبيق ذلك على ماروى في الشرع زعم ان تسعة منها هي السموات السبع والاثنين الباقيين هما الكرسي والعرش ولا يدري أن في الاخبار ما يأبى ذلك وكون الدليل العقلي يقتضيه محل بحث ولا يخفى ومن رجع الى كلام أهل الحقيقة المحدثين ونظر في أدلتهم على ما قالوه في أمر الاجرام العلوية وكيفية ترتيبها قوى عنده ومن مذاهب اليه المتقدمون في ذلك فالذي ينبغي ان يقال الروح هي المنازل للكواكب مطلقا التي يشاهدها الحواس والعوام وما علينا في أي سماء كانت أو الكواكب أنفسها أينما كانت أو أبواب السماء الواردة في لسان الشرع والاحاديث الصحيحة وهي لكل سماء ولم يثبت للعرش ولا للكرسي منها شيء ويراد بالسماء جنسها أو السماء الدنيا في غير القول الاخير على ما مست فيما تقدم فلاتغفل (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) أي الموعود به وهو يوم القيامة باتفاق المفسرين وقيل الله اليوم الذي يخرج الناس فيه من قبورهم فقد قال سبحانه يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون أو يوم على السماء كطي السجل للكتب وقيل يمكن أن يراد به يوم شفاعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ما أشار اليه قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ولا يخفى أن جميع ذلك داخل في يوم القيامة (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) أي ومن يشهد بذلك اليوم ويحضره من الخلائق المبعوثين فيه وما يحضر فيه من الاهوال والعجائب فيكون الله عز وجل قد أقسم سبحانه بيوم القيامة وما فيه مما ذكر ذلك اليوم وبراهينها لشرفه وتشكير الوصفين للتعظيم أي وشاهد ومشهود لايكتنه وصفهما أو للتكثير كما قيل في مثل نفس ما أحضرت وأخرج الترمذي وجماعة عن أبي هريرة مرفوعا الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وروى ذلك عن أبي مالك الاشعري وجبير بن مطعم رضي الله تعالى عنهما مرفوعا أيضا وأخرجه جماعة عن علي كرم الله تعالى وجهه وغيره من الصحابة والتابعين وأخرج الحاكم وصححه عنه مرفوعا أيضا الشاهد يوم عرفة ويوم الجمعة والمشهود يوم النحر وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن علي كرم الله تعالى وجهه الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما وكرم وجههما ان رجلا سأله عن ذلك فقال هل سألت أحدا قبلي قال نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا يوم الفطر ويوم الجمعة قال لا ولكن الشاهد محمد وفي رواية جدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قرأ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وروى النسائي وجماعة من طرق عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نحوه وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه الشاهد الله عز وجل والمشهود يوم القيامة وعن مجاهد وعكرمة وعطاء بن يسار الشاهد آدم عليه السلام وذريته والمشهود يوم القيامة وعن ابن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وعن الترمذي الشاهد الحفظة والمشهود أي عليه الناس وعن عبد العزيز بن يحيى هما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته عليه الصلاة والسلام وعنه أيضا هما الانبياء عليهم السلام وأممهم وعن ابن جبير ومقاتل هما الجوارح وأصحابها وقيل هما يوم الاثنين ويوم الجمعة وقيل هما الملائكة الكاتبون عليهم السلام وقرآن الفجر وقيل هما النجم والليل والنهار وقيل الشاهد الله تعالى والملائكة وأولو العلم والمشهود به الوحدانية وان الدين عند الله تعالى الاسلام وقيل الشاهد خلقه تعالى والمشهود به الوحدانية وقيل هما الحجر الاسود والحجيج وقيل الليالي والايام ونحو أقوم فمن الحسن ما من يوم الا ينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاعملني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيامة وقيل أمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر

Marfat.com

الأمم وجوز أن يراد بها القريون والمليون الذين كتب مراقيم يشهده القريون وان يراد بالشاهد الطفل الذي قال يا أماه اصبري فانك على الحق كما سيجيء ان شاء الله تعالى والمشهود له أمه والمؤمنون لانه اذا كانت أمه على الحق فسائر المؤمنين كذلك وقيل وقيل وجميع الأقوال في ذلك على ما وقفت عليه نحو من ثلاثين قولاً والوصف على بعضها من الشهادة بمعنى الحضور عند الغيب وعلى بعضها الآخر من الشهادة على الحكم أولها شهادة الجوارح بأن يخلقها الله تعالى الذي أنطق كل شيء وكذا الحجر الأسود ولا بعد في حضوره يوم القيامة للتحجيج وأما شهادة اليوم فيمكن أن تكون بعد ظهوره في صورة كظهور القرآن على صورة الرجل الشاحب إذ يتلقى صاحبه عند قيامه من قبره وظهور الوقت في صورة كبش يوم القيامة حتى ينزع بين الجنة والنار الى غير ذلك وقال الشهاب الله تعالى قادر على أن يحضر اليوم ليشهد ولا يبين كيفية ذلك فان كانت كما ذكرنا فذاك وان كانت شيئاً آخر بان يحضر نفس اليوم في ذلك اليوم فالظاهر أنه يلزم أن يكون لازمان زمان وهو وان جوزه من المتكلمين لكن في الشهادة بلسان القال عليه خفاء ومثلها نداء اليوم الذي سمعت آنفاً عن الحسن ان كان بلسان القال أيضاً دون لسان الحال كما هو الأرجح عندي والمختار أبو حيان من الأقوال على تقدير أن يراد بالشهادة الشهادة بالمعنى الثاني القول بان الشاهد من يشهد في ذلك اليوم أعني اليوم الموعود يوم القيامة وان المشهود من يشهد عليه فيه وعلى تقدير أن يراد بها الشهادة بالمعنى الأول القول بان الشاهد الخلائق الحاضرون للحساب وان المشهود اليوم والمراد بكثير القسم به وان اختلف النوعان لزيادة تنظيم فتأمل وجواب القسم قيل هو قوله تعالى ان الذين فتنوا وقال المبرد هو قوله تعالى ان بطش ربك لشديد وصرح به ابن جرير وأخرج ابن المنذر والحاكم وصححه عن ابن مسعود ما يدل عليه وقال غير واحد هو قوله تعالى (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) على حذف اللام منه كما طال والأصل لقتل كما في قوله

حلفت فلم أترك لنفسي ريبة ... ليبقى من حديث ولا أصالي

وقيل على حذف اللام وقد والأصل لقد قتل وهو مبني على ما اشتهر من أن الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم معموله تلزمه اللام وقد ولا يجوز الاقتصار على أحدهما الا عند طول الكلام كما في قوله سبحانه قد أفلح من زكاها بعد قوله تعالى والشمس وضحاها الخ والبيت المذكور ولا يجوز تقدير اللام بدون قد لانها لا تدخل على الماضي المجرد منها وتمام الكلام في محله كشروح التسهيل وغيرها وأيا ما كان فالجملة خبرية وقال بعض المحققين ان الأظهر انها دعائية دالة على الجواب كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء ان كفار قريش الملعونين اصحاب بان خلد فيهم فتنوا المؤمنات والمؤمنين عن دينهم وصدوهم عنه وتوعدوهم بالعذاب الشديد ان لم يرجعوا عما هم عليه من الايمان وتصميمهم على أذية الكفرة وتعذيبهم بما جرى ممن تقدمهم من التعذيب لأهل الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأنسوا بهم ويصيروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أنهم مثل أولئك عند الله عز وجل في كونهم ملعونين مطرودين فالقتل هنا عبارة عن أشد اللعن والطرد لاستحالة الدعاء منه سبحانه بحقيقة القتل والطرد عن رحمته جل وعلا وقال بعضهم الأظهر ان يقدر أنهم المقتولون كما قتل أصحاب الأخدود فيكون وعداً له صلى الله تعالى عليه وسلم بقتل الكفرة المتمردين لاعلاء دينه ويكون معجزة بقتل رؤسهم في غزوة بدر التي وقعت بعد اذ هو الظاهر ايقاع القتل على حقيقته وأخبار الجملة خبرية وهو كما ترى وحكى في البحر ان الجواب محذوف وتقديره البعث ونحوه وليس بشيء كما لا يخفى والأخدود الحفر وهو الشق في الأرض ونحوها يقال وسمى الحافر والمحفور ايضا بذلك وجاء في جمع القلتين

Marfat.com

لبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت قوائمه أي قوائم فرسه في أخاديد حيران ﴿ أخرجه مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم من حديث صهيب بزيادة كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يكهن له فقال له ذلك الكاهن انظروا لي غلاما فهما فاعلمه علمي هذا فاني أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم ولا يكون فيكم من يعلمه فنظروا له غلاما على ما وصف فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن وأن يختلف اليه فجعل الغلام يختلف اليه وكان على طريق الغلام راهب في صومعة فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به فلم يزل به حتى أخبره فقال انما أعبد الله تعالى فجعل الغلام يمكث عند الراهب ويبطيء على الكاهن فارسل الكاهن الى أهل الغلام انه لا يكاد يحضرني فأخبر الغلام الراهب بذلك فقال له الراهب اذا قال لك الكاهن أين كنت فقل عند أهلي واذا قال لك أهلك أين كنت فاخبرهم انك كنت عند الكاهن فبينما الغلام على ذلك إذ مر بجماعة من الناس كثيرة قد حبستهم دابة يقال كانت أسدا فأخذ الغلام حجرا فقال اللهم ان كان ما يقول الراهب حقا فاسألك أن أقتل هذه الدابة وان كان ما يقوله الكاهن حقا فاسألك أن لا اقتلها ثم رمى فقتل الدابة فقال الناس من قتلها فقالوا الغلام ففزع الناس وقالوا قد علم هذا الغلام علما لم يبلغه أحد فسمع أعمى فجاءه فقال له ان أنت رددت بصري فلك كذا وكذا فقال الغلام لا أريد ذلك ولكن أرأيت ان رجع عليك بصرك أتؤمن بالذي رده عليك قال نعم فرد عليه بصره فآمن الاعمى فبلغ ذلك أمرهم فبعث اليهم فأتي بهم فقال لأقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه فأمر بالراهب والرجل الذي كان أعمى فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله وقتل الآخر بقتلة أخرى ثم أمر بالغلام فقال انطلقوا به الى جبل كذا وكذا فأقذفوه من رأسه فانطلقوا به الى ذلك الجبل فلما انتهوا به الى ذلك المكان الذي أرادوا أن يقذفوه منه جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل وتردون حتى لم يبق منهم إلا الغلام ثم رجع الغلام فأمر به الملك أن يذهبوا به الى البحر فيقذفوه فيه فانطلق به الى البحر فغرق الله تعالى الذين كانوا معه وأنجاه الله تعالى فقال الغلام للملك انك لا تقتلني حتى تصلبني وترميني وتقول بسم الله رب الغلام فأمر به فصلب ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام فوضع الغلام يده على صدغه حين رمي ثم مات فقال الناس لقد علم هذا الغلام علما ما علمه أحد فانا نؤمن برب هذا الغلام فقيل للملك أجزعت ان خالفك ثلاثة فهذا العالم كلهم قد خالفوك فخد أخدودا ثم ألقى فيها الحطب والنار ثم جمع الناس فقال من رجع عن دينه تركناه ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار فجعل يلقيهم في تلك الاخدود فقال يقول الله تعالى قتل أصحاب الاخدود حتى بلغ العزيز الحميد وفيه فأما الغلام فانه دفن ثم أخرج فيذكر أنه خرج في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وفي بعض رواياته جاءت امرأة بابن لها صغير فكانها تقاعست أن تقع في النار فقال الصبي يا أمه اصبري فانك على الحق وأخرج ابن مردويه عن عبد الله ابن نجي قال شهدت عليا كرم الله تعالى وجهه وقد أتاه اسقف نجران فسأله عن اصحاب الاخدود فقص عليه القصة فقال علي كرم الله تعالى وجهه أما أعلم يا عم منك بيت نبي من العجيز الى قومه ثم قرأ رضي الله تعالى عنه ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك فدعاهم فتابعه الناس فقاتلهم فقتل اصحابه وأخذ فأوتي فاتخذ فاتي به رجال فقاتلهم وقتلوا وأخذ فأوتي فخدوا أخدودا وجعلوا فيها النيران وجعلوا يعرضون الناس فمن تبع النبي رمى به فيها ومن تابعهم ترك وجاءت امرأة في آخر من جاء ومعها صبي لها فلزمت فقال الصبي يا أمه اصبري ولا تتراجي فوقعت واخرج عبد بن حميد عنه كرم الله تعالى وجهه انه قال كان الذين أهل كتاب وكانوا متمسكين

بكتابهم

Marfat.com

بكتابهم وكانت المرأة قد أعلمت لهم فتناول منها ملك من ملوكهم فجاءته على عقله فتناول امته أولبنته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذى أتيت وما المخرج منه قالت المخرج منه أن تخطب الناس فتقول أيها الناس ان الله تعالى أحل نكاح الأخوات أو البنات فقال الناس جاءهم معاذالله تعالى أن نؤمن بهذا أو تجيء به أو جاءنى أو نزل علينا فى كتاب فرجع الى صاحبته وقال ويحك ان الناس قد أبوا على ذلك قالت ان أبوا عليك فابسط فيهم السوط فبسط فيهم السوط فأبوا أن يقروا قالت فجره فيهم السيف فأبوا أن يقروا قالت فحفر لهم الأخدود ثم أوقد فيها النيران ثم أتاهم فى منامه فحفر لهم أخدودا وأوقد فيها النيران وعرض أهل مملكته على ذلك فمن أبى قذفه فى النار ومن لم يأب خلى عنه وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فأجابوه فسار اليهم ذونواس اليهودى بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فاحرق منهم اثنى عشر ألفا فى الأخاديد وقيل سبعين ألفا وذكر أن طول الأخدود أربعون ذراعا وعرضه اثنى عشر ذراعا ولاختلاف الأخبار فى القصة اختلفوا فى موضع الأخدود فقيل بنجران هذا اختيار الأخفش وقيل بأرض الحبشة لخبر ابن نجيح السابق وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة عن على كرم الله تعالى وجهه أنه كان بمذراع بين أبى قراد وهذا لا ينافى كونه بنجران لانه بلد باليمن ولهذا اختلفوا فى أصحاب الأخدود قال خبرك فيه ما يزيد على عشرة أقوال منها انهم حبشة ومنها انهم من النبط وروى عن عكرمة ومنها أنهم من بنى اسرائيل وروى عن ابن عباس وأصح الروايات عندى فى القصة ما قدمناه عن صهيب رضى الله تعالى عنه والجمع ممكن فقد قال عصام الدين المسلم جميع ما روى والقرآن شامل له فلا تنقل وقرأ الحسن وابن مقسم قتل بالتشديد وهو مبالغة فى لتفهم لعظم ما أتوا به وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم على ما أخرج ابن أبى شيبة عن عوف وعبد ابن حميد عن الحسن اذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ من جهد البلاء (النَّارِ) بدل اشتمال من الأخدود والرابط مقدر أى فيه أو أقيم الى مقام الضمير أو لاتحاد لو باتصاله بدلا يحتاج لرابط ولذا قل ما يظهر ارتباط فيما قيل وجوز أبو حيان كونه بدل كل من كل على تقدير محذوف أى أخدود النار وليس بذاك وقرأ قوم النار بالرفع فقيل على معنى قتلتهم النار كما فى قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على قراءة يسبح بالبناء للمفعول وقوله ٭ ليبك يزيد ضارع لخصومة ٭ ويكون أصحاب الأخدود اذ ذاك المؤمنين وليس المراد بالقتل الامن وجوز أن يراد بهم الكفرة والقتل على حقيقته بناء على ما قال الربيع بن أنس والكلبى وأبو العالية وأبو اسحق من أن الله تعالى بعث على المؤمنين ريحا فقبضت أرواحهم وخرجت النار فأحرقت الكافرين الذين كانوا على حافتى الأخدود وأنت تعلم أن قول هؤلاء مخالف لقول الجمهور ولما دلت عليه القصص التى ذكروها فلا ينبغى أن يعول عليه وان حمل القتل على حقيقته غير ملائم للمقام ولعل الأولى فى توجيه هذه القراءة ان النار خبر مبتدأ محذوف أى هى أو هو النار ويكون الضمير راجعا على الأخدود وكونه النار خارج مخرج المبالغة كأنه نفس النار (ذَاتِ الْوَقُودِ) وصف لها بغاية العظمة وارتفاع اللهب وكثرة مايوجبه ووجه افادته ذلك انه لم يقل موقدة بل جعلت ذات وقود أى مالكته وهو كناية عن زيادته زيادة مفرطة لكثرة مايرتفع به فيها وهو الحطب الوقد به لان تعريفها استغراقى وهى اذا ملكت كل موقوديه عظم حريقها وفيها وليس ذلك لانها لايخالطها كذا الا التى كثر عنده كذا الا نه غير مسلم وقد الوقود بضم الواو وهو مصدر بخلاف مفتوحه فانه ما يوقد به . وقد حكى سيبويه أنه مصدر كضمونه وقوله تعالى (إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ)

Marfat.com

ظرف لقتل أي لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها في مكان قريب منها مشرفين عليها من حافات الأخدود كما في قول الأعشى

لتسب بالقرورين يعطلبانها ٭ وبات على النار الندى والمحلق

وقيل الكلام بتقدير مضاف أي على حالة أولتحوه والجمهور على أن المراد ذلك من غير تقدير ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحدا لم يقصر فيما أمره أو يشهدون عنده على حسن ما يفعلون واشتماله على الصلاح على ما قيل أو يشهد بعضهم على بعض بذلك الفعل الشنيع يوم القيامة أو يشهدون على أنفسهم بذلك يوم تشهد عليهم جوارحهم بأعمالهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرأفون لهم لغاية قسوة قلوبهم ومن زعم أن الله تعالى نجى المؤمنين وأن أحرق سبحانه الكافرين يقول هنا المراد وهم على ما يريدون فعله بالمؤمنين شهود وأيا ما كان ففي المؤمنين تغليب والمراد بالمؤمنين والمؤمنات ومن العرب الذي لا يلتفت إليه ما قيل إن أصحاب الأخدود عمرو بن هند الملك يعرف ومن معه حرق مائة من بني تميم وضبيرهم على ما يفعلون لكفار قريش الذين كانوا يفتنون المؤمنين والمؤمنات ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ ﴾ أي ما أنكروا منهم وما عابوا وفي مفردات الراغب يقال نقمت الشيء إذا أنكرته بلسانك أو بعقوبة وقرأ زيد بن علي وأبو حيوة وابن أبي عبلة وما نقموا بكسر القاف وإبطة عطف على إبطة الاسمية وحسن ذلك على ما قيل كون تلك الاسمية لوقوعها في حيز إذ ماضوية فكان العطف عطف فعلية على فعلية وقيل إن هذه الفعلية بتقدير وهم ما نقموا منهم ﴿ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ٭ بهن فلول من قراع الكتائب

وكون الكفرة يرون الإيمان أمرا منكرا والشاعر لا يرى الفلول كذلك لا يضر على ما لا يخفى في كون ذلك منه عز وجل جاريا على ذلك النهاج من تأكيد الذم بما يشبه المدح كما يقال لئيم ثم إن القوم إن كانوا معترفين بالمنكر عند هم ليس هو الإيمان بالله تعالى بل نفي ما سواه من معبوداتهم الباطلة وإن كانوا معتقدة للمنكر عندهم ليس الا اثبات معبود غير معبود لهم لكن لما كان ما آل الأمرين انكار المعبود بحق الموصوف بصفات الجلال والاكرام عبر بما ذكر مقصحا عما سمت فتأمل والبعض الأعلام للام في هذا المقام قد رده الشهاب فارجع إليه وفي التعبير أيضا بما قال سبحانه الا ان يؤمنوا لان التعذيب انما كان والدا على الايمان في المستقبل ولو كفروا فيه لم يعذبوا على ما مضى فكأنه قال عز وجل الا ان يعودوا على إيمانهم انتهى وكأنه حمل النقم على الانكار بالقلب ووصفه عز وجل بكونه عزيزا فالباء للتعدية على طريقة تحيتهم بإرحبي ثوبا وتأكيد ذلك بقوله سبحانه ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ للاشارة إلى ما ذكر من قولهم لا ان يؤمنوا ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ وعد لهم ووعيد لغيرهم فان علم الله جل شأنه الجامع لصفات الجلال والجمال بجميع الأشياء التي من جملتها أعمال الفريقين يستدعي أو يستوجز ل منهما ولكونه تعليلا لذلك والدال به الاستدلال جيء فيه بالاسم الجليل دون الضمير ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ أي عذبوهم في دينهم ليرجعوا عنه والمراد بالذين فتنوا وبالمؤمنين والمؤمنات المفتونين اما أصحاب الأخدود والمطرحون فيه خاصة واما الأعم ويدخل المذكورون دخولا أوليا وهو الأظهر وقيل المراد بالموصول كفار قريش الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات من عذبة الأمة بأنواع من العذاب وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ قال ابن عطية يقوى ان الآية

Marfat.com

في قريش لان هذا اللفظ فيهم أصح منه في أولئك الذين قد علم انهم ماتوا على كفرهم وانما قريش فكان فيهم وقت نزولها من تاب وآمن وأنت تعلم ان هذا على مايليه لايبكر على أظهرية السمو والظاهر أن المراد بهم إن تابوا من فتنتهم ﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾ أي بسبب فتنتهم ذلك ﴿ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ وهو نار أخرى زائدة الاحراق كما نبه عنه صيغة فعيل الدم توبيخهم ومبالغتهم بالصدور منهم وقال بعض الاجلة أي فلهم عذاب جهنم بسبب كفرهم فان فعلهم ذلك لايتصور من غير الكافر ولهم عذاب الحريق بسبب فتنهم المؤمنين والمؤمنات وفي جعل ذلك جزاء الفتن من الحسن مالا يخفى وتعقب بان عنوان الكفر لم يصرح به في جانب الصلة وانما التصريح به الفتن وعدم التوبة فالاظهر اعتبارهما معا بين في جانب الخبر على الترتيب وقيل أي فلهم جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا بناء على ما روى عن الربيع ومن معه من ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم وقد علمت حاله وتعقبه أبو حيان بأن ثم لم يتوبوا يأبى عنه لان أولئك المرتدين لم ينقل انا أن أحدا منهم تاب بل الظاهر أنهم لم يفعلوا الا وهم قد ماتوا على الكفر وفيه نظر وعليه انها أخرى لهم عذاب الحريق ورعاية للفواصل أو للتعميم والترديف كما قيل ذلك وهو التفوية المعنوي كالاول لا حالة وهذا أيضا لايتجاوزونه وفي الكشف الوجه ان عذاب جهنم وعذاب الحريق واحد وصف بما يدل على انه المعبودين جدا عن وحشة عز وجل وعلى أنه عذاب هو محض الحريق وهو الحرق البالغ وأتى به عذابا والظاهر انه اذا غير الحريق مصدرا بالاضافة بانية ولا بأس بذلك الا أن الوحدة التي ادعاها خلاف ظاهر العطف وقال بعضهم لو جعل من عطف الخاص على العام للمبالغة فيه لان عذاب جهنم بالزمهرير والاحراق وغيرهما كان أغرب وأدل على ماذكر تا وأبعد من القال والقيل وجعلها لهم عذاب النار وقت خبرا الان أو الطير الجار والظرف ومتعلق به على القاعدية وهو الاحسن والفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط ولا يضر نسخه بان وان زعمه الاخفش واستدل بالآية على بعض أوجهه على ان عذاب الكفار يضاعف باقترانه من الماضي ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ على الاطلاق من المتوبين وغيرهم ﴿ لَهُمْ ﴾ بسبب ماذكر من الايمان والعمل الصالح ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ان اريد بالجنات الاشجار جاز بان الانهار من تحتها ظاهر وان أريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان اشجارها سائرة الساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وفصل الجملة قيل لانها تأكيد لما أشعرت به الآية قبل من اختصاص العذاب الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ﴿ ذَلِكَ ﴾ اشارة الى كون ما ذكر لهم وحيازتهم اياه وقيل الجنات الموصوفة والتذكير لتأويلها بما ذكر وما فيه من معنى البعد للايذان ببلوغ الدرجة وبعد المنزلة في الفضل والشرف وعلو الرفع على الابتداء خبره ﴿ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ الذي يصغر عنده الفوز بالدنيا وما فيها من الرغائب والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعل الوجه الثاني في الاشارة هو مصدر اطلق على الفعول مبالغة وعلى الاول مصدر على حاله ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ استئناف خوطب به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ايذانا بان الكفار قومه منصبا موفورا من مضمونه كما ينبيء عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام والبطش الاخذ بصولة وعنف وحبث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه عز وجل بالجبابرة والظلمة وأخذه سبحانه اياهم بالعذاب والانتقام ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ أي انه عز وجل هو يبدي الخلق بالانشاء وهو سبحانه يعيده بالحشر يوم القيامة كما قال ابن زيد والضحاك أو يبدي عمل يا يعيد أو يبدي ثوابه ويعيده كما قال ابن عباس من غير دخل لاحد في شيء منهما ومن كان كذلك كان بطشه في غاية الشدة

Marfat.com

أو يبدي البطش بالكفرة في الدنيا ثم يعيده في الآخرة وعلى الوجهين الجملة في موضع التعليل لما سبق ووجهه على الثاني ظاهر وعلى الأول قد اشرنا اليه وقيل وجهه عليهما لان الاعادة المجازاة فهي متضمنة للبطش وليس بذاك ومن ابن عباس يبدىء العذاب بالكفار ويعيده عليهم فالأظهر النار حتى يعيدوا حمما ثم يعيدهم عز وجل خلقا جديدا وفيه بعد وان كان أمر الجملة عليه في غاية الظهور واستهال يبدىء مع بعيد حسن وان لم يسمع أبعاداً كما بين في محله وحكى أبو زيد أنه قرىء يبدأ من بدأ ثلاثيا وهو للسموع لكن القراءة بذلك شاذة ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ ﴾ لمن يتاب من المؤمنين وقيل لمن تاب وآمن والتخصيص عند من يرى رأي أهل السنة إما لمناسبة مقام الانذار أو لما في صيغة الغفور من المبالغة فان المغفرة لا يتوقف على التوبة وزيادتها بما لا يبلغه الا الله تعالى كما بين ﴿ الْوَدُودُ ﴾ المحب كثيرا لان أوزان فعول صيغة مبالغة في الوداد اسم فاعل ومحبة الله تعالى ومودته عند المحققين بانعامه سبحانه واكرامه جل شانه ومن هنا فسر الودود بكثير الاحسان وعن ابن عباس أي المتودد الى عباده تعالى شأنه بالمغفرة وقيل هو فعول بمعنى مفعول كركوب وحلوب أي يودونه ويحبونه سبحانه عباده الصالحون وهو خلاف الظاهر وحكى الزجاج عن القاضي اسمعيل بن اسحق أن الودود هو الذي لا ولد له وأنشد قوله

وأركب في الروع عسبلة ... ذلول الجناح لقاحا ودودا

أي لا ولد لها لتحمل البه وحمله مع الغفور على هذا المعنى غير مناسب كما لا يخفى ﴿ ذُو الْعَرْشِ ﴾ أي صاحبه والمراد مالكه أو خالقه وهو أعظم المخلوقات وعن علي كرم الله تعالى وجهه لو جمعت مياه الدنيا ومسح بها سطح العرش الذي يلينا لما استوعبت منه الا قليلا وجاء في الاخبار من عظمه ما يبهر العقول وقال القفال ذو العرش ذو الملك والسلطان كأنه جعل العرش بمعنى الملك بطريق الكناية والتجوز وجوز ان يبقى العرش على حقيقته ويراد بذي العرش الملك لان ذا العرش لا يكون الا ملكا وقرأ ابن عامر في رواية ذي العرش بالياء على أنه صفة لربك وحينئذ يكون قوله تعالى انه هو الخ جملة معترضة لاعتراض الفصل بين الصفة والموصوف ولما لا يضر الفصل بينهما بخبر المبتدأ لانه ليس بأجنبي فان الوصوف هنا من تتمة المبتدأ وقد قال ابن مالك في الشمول يجوز الفصل بين التابع والمتبوع بما لا يتمحض مباينة ثم قال ابن الحاجب الفصل بين الصفة والموصوف بخبر المبتدأ شاذ كما في قوله

وما أخ مفارقه أخوه ... لعمر أبيك الا الفرقدان

﴿ الْمَجِيدُ ﴾ العظيم في ذاته عز وجل وصفاته سبحانه فانه تعالى شأنه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وابن وثاب والاعمش والفضل عن عاصم والاخوان المجيد بالجر صفة للعرش وبجده علوه وعظمته وحسن صوره وتركيبه فانه قيل العرش أحسن الاجسام صورة وتركيبا وليس من بعده كون الحوادث الكونية بتوسط أوضاعه كما يزعمه المنجمون فان ذلك باطل شرعا وعقلا على ما تقتضيه أصولهم وجاز على قراءة ذي العرش بالياء أن يكون صفة لذي وجوز كونه صفة لربك وليس بذاك لان الاصل عدم الفصل بين التابع والمتبوع فلا يذهل به عالم بنحو ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ بحيث لا يتخلف عن ارادته تعالى من أفعاله سبحانه وأفعال غيره عز وجل فما للعموم وفي التنكير من التفخيم ما لا يخفى وفيه رد ظاهر على المعتزلة في قولهم انه سبحانه وتعالى يريد ايمان الكافر وطاعة العاصي وتتخلفان عن ارادته سبحانه والمراد بما ذكر ما مر من أخبار المبدأ والمعاد وفي قوله تعالى هو الغفور وجوز أن يكون الودود وذو العرش والمجيد صفات للغفور ومن زعم تعدد الخبر للمبتدا واحد يقول بذلك أو بتقدير مبتدآت

Marfat.com

المذكورات وأغلق الزمخشري القول بأن فعال خبر لمبتدأ محذوف أي هو فعال فقال صاحب الكشف أنا لم يحمله على أنه خبر السابق أعني هو في قوله تعالى هو الغفور لأن قوله سبحانه فعال لما يريد تحقيق لمضمون البطش بالأعداء والغفر والود للأولياء ولو حمل عليه لفاتت هذه النكتة له وهو تدقيق لطيف وقوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ استئناف فيه تقرير لكونه تعالى فعالا لما يريد ولهذا المعنى يعقبه سبحانه بالطامة العمياء والكفرة العتاة وتسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم بالإشعار بأنه سيصيب كفرة قومه ما أصاب الجنود وهو جمع جند يقال لعسكر اعتبارا بالغلظة من الجند أي الأرض الغليظة ولهذا للاعوان ويقال استعير من الخلق على حدة ولهذا لكل مجتمع والمراد بالجنود ههنا الجماعات الذين تجندوا على أنبياء الله تعالى عليهم السلام واجتمعوا على أذيتهم ﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ بدل من الجنود بدل كل من كل على حذف مضاف أي جنود فرعون أو على أن يراد بفرعون هو وقومه والتي بذكره منهم لأنهم أتباعه وقيل البدل هو المجموع لا كل من المتعاطفين وهو خلاف الظاهر وقال السيرين يجوز كونه منصوبا بأعني لأنه لما لم يطابق ما قبله وجب قطعه وتعقب بأنه تفسير الجنود حينئذ فيعود الاشكال وأجيب بأن التفسير حينئذ المجموع وليس اعتباره مع أعني كاعتباره مع الأبدال والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من الباوي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والتي قد أتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فتذكر قومك بأيام الله تعالى وشؤنه سبحانه وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك الطاغين وقوله تعالى ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي من قومك ﴿ فِي تَكْذِيبٍ ﴾ اضراب انتقال عن محاكمتهم لهم وبيان لكونهم أشد منهم في الكفر والطغيان كما ينبىء عنه العدول عن يكذبون الى في تكذيب للمبالغة لاحاطة التكذيب بهم احاطة الظرف بمظروفه أو البحر بالغريق فيه مع ما في تنكيره من الدلالة على تعظيمه وتهويله فكأنه قيل لبسوا مثلهم بل هم أشد منهم وأنهم فرقي مفهوم ذلك تكذيب عظيم القرآن الكريم فهم أولى منهم في استحقاق العذاب أو كأنه قيل ليست جنايتهم مجرد عدم التدبر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب عظيم القرآن الناطق بذلك وكونه قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة وقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾ جوز ان يكون اعتراضا تذييليا وان يكون حالا من الضمير في الجار والظرف الساد والكلام تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط كما قال غير واحد وان المعنى أنه عز وجل عالم بهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه ولا يفوتونه سبحانه وتعالى وذكر حسام الدين ان في ذلك تعريضا وتوبيخا للكفار بأنهم نبذوا الله سبحانه وراء ظهورهم وأقبلوا على الطوى والدبور بكليتهم ولعل ذلك من العدول عن يهم الى من ورائهم وقوله تعالى ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾ رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق أي بل هو كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم الذي لا يحق تكذيبه والكفر به وقيل اضراب وانتقال من الاخبار بشدة تكذيبهم وعدم ارعوائهم عنه الى وصف القرآن للاشارة الى انه لاريب فيه ولا يضره تكذيب هؤلاء والأول أولى وزعم بعضهم ان الاضراب الأول من قصة فرعون وثمود الى جميع الكفار والتي عليهن جميع الكفار في تكذيب ولم يكن نبي فارغا عن تكذيبهم والله تعالى لا يهمل أمر نبي من نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم عاقبه ويبعده لرداف ذلك بهذا الاضراب وقرأ ابن السميفع قرآن مجيد بالاضافة قال ابن خالويه سمعت ابن الأنباري يقول معناه بل هو قرآن رب مجيد قال الشاعر

ولكن الغنى رب غفور ... أي غني رب غفور وقال ابن عطية قرأ الجحدري بالاضافة على أن يكون الجيد

Marfat.com

هو الله تعالى وهو احتمال للتقدير وعدمه وجوز أن يكون من اضافة الموصوف الصفة قال أبو حيان وهذا أولى لتوافق القراءتين ﴿ فِي لَوْحٍ ﴾ أي كائن في لوح ﴿ مَحْفُوظٍ ﴾ أي ذلك اللوح من وصول الشياطين اليه وهذا هو اللوح المحفوظ للجمهور وهو على ماروى عن ابن عباس والجمهرة على الرواية لوح من درة بيضاء طوله مابين السماء والأرض وعرضه مابين المشرق والمغرب وحافاته الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وهو معلق بالعرش وأمره في حجر ملك يقال له سماطريون لله عز وجل فيه في كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل مايشاء وأنه كتب في صدره لااله الاالله وحده لاشريك له دين الاسلام وأحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق وعده واتبع رسله دخل الجنة وقال مقاتل ان اللوح المحفوظ عن يمين العرش وبجانبه الحبار غير ذلك ونحن نؤمن بهولا يلزمنا البحث عن ماهيته وكيفية كتابته ونحو ذلك نعم نقول ان مايزعمه بعض الناس من أنه جوهر مجوف لايبين في حيز ولا كالمرآة لاصور البتة مخالف لظواهر الشريعة وليس له مستند من كتاب ولا سنة أصلا وقرأ ابن يعمر وابن السميفع لوح بضم اللام وأصله في اللغة الهواء والمراد به هنا مافوق السماء السابعة وقرأ الاعرج وزيد ابن علي وابن محيصن ونافع بخلاف عنه محفوظ بالرفع على أنه صفة القرآن وفي لوح قيل متعلق به وقيل صفة أخرى لقرآن وتعقب بان فيه تقديم الصفة المركبة على المفردة وهو خلاف الأصل والحق عليه قيل محفوظ بعد التنزيل من التغيير والتبديل والزيادة والنقص كما قال سبحانه لنحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقيل محفوظ في ذلك اللوح عن وصول الشياطين اليه والله تعالى أعلم

﴿ سورة الطارق ﴾

مكية بلا خلاف وهي سبع عشرة آية على المشهور وفي البسيط ست عشرة والذكر سبحانه فيها قبلها تكذيب الكفار للقرآن نبه تعالى شأنه على حقارة الانسان ليستحقر جل وعلا منه ان وصف القرآن ثم أمر سبحانه نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بامهال أولئك المكذبين فقال عز قائلا

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالسَّمَاءِ ﴾ هي المعروفة على ماعليه الجمهور وقيل المطر هنا وهو أحد استعمالاتها ومنه قوله

اذا نزل السماء بارض قوم ۝ رعيناه وان كانوا غضابا

ولا يخفى حاله ﴿ وَالطَّارِقِ ﴾ وهو في الأصل اسم فاعل من الطرق بمعنى الضرب بوقع وشدة يسمع لها صوت ومنه الطرقة والطريق لان السابلة تطرقها ثم صار في عرف اللغة اسما لمسالك الطريق لتصور أنه يطرقها بقدمه واشتهر فيه حتى صار حقيقة ثم اختص بالآتي ليلا لانه في الأكثر يجد الأبواب مغلقة فيطرقها ثم التبس في كل مايظهر بالليل كائنا ما كان حتى الصور الطيالسة البادية فيه والعرب تضيفها بالطروق كما في قوله

طروق الجيال ولا تبتغي مدبخ ۝ سدكا (١) بارحطاوم بتحريج

والمراد به هنا عند الجمهور الكوكب البادي بالليل إما على انه اسم جنس أو لكونه معهودا لما ستعلمه ان شاء الله تعالى وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ تنويه بشأنه اثر تفخيمه بالاقسام وتنبيه على ان رفعة قدره بحيث لاتناط ادراك الحقق فلا بد من التنبيا من الخلائق العالم فما الاول مبتدأ وأدراك خبره وما الثانية

(١) سدكا بفتح فكسر أي مولعا اه منه

Marfat.com

خبر والطارق مبتدأ على ما اختاره بعض المحققين أي أي شيء أعلمك ما الطارق وقوله سبحانه (النجم الثاقب) خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام تضمنه ما قبل كأنه قيل ما هو فقيل هو النجم الثاقب في الأعالي الطارق ثم صار بحيث اقتضى تصور أنه يثقب الظلام وقد يختص بالنجوم والشهب فلذلك وتصور أنها يثقبن ضوءها في الأفلاك ونحوها وقال الفراء الثاقب المرتفع يقال ثقب الطائر أي ارتفع وعلا والمراد بالنجم الثاقب الجنس عند الحسن فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة وعندنا كل كوكب مرتفع والأخير التفاوت في ذلك وذهب غير واحد الى أن المراد به معهود فعن ابن عباس أنه الجدي وأخرج ابن جرير عن ابن زيد أنه الثريا وهو الذي تطابق العرب عليه اسم النجم ورؤي عنه أيضا زحل وهو أبعد السيارات وأدناها وما يثقب ضوؤه من الأفلاك أكثر فيما يزعم المنجمون المتقدمون وانما قلنا أبعد السيارات لان المجدي والثريا عندهم أبعد منه بكثير وهكذا عند المحدثين وعن الفراء انه الثمر لانه آية الليل وأشد الكواكب ضوءا فيه وهو زمان سلطانه وأنت تعلم ان اطلاق النجم عليه ولو موصوفا غير شائع وقيل هو النجم الذي ينال له كوكب الصبح وعن علي كرم الله تعالى وجهه أنه نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره فانا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان منها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد ولا يخفى أن المعروف أن الذي يسكن السماء السابعة أعني الفلك السابع وحده هو زحل فيكون ذلك قولا بان النجم الثاقب هو لكن لا يعرف له نزول ولا صعود بالمعنى المتبادر وأيضا لا ينقل له نزول الى حيث تكون النجوم أعني الثوابت الان المعروف عندهم أنها في الفلك الثامن ويجوز عقلا أن يكون بعضها في أفلاك فوق ذلك بل نفس المحدثون لما قام عندهم على تفاوت ما في الارتفاع ولم يشكوا في أن كثيرا منها أبعد من زحل بعدا عظيما وانما اعتبرت الطوالع وقلنا بانها في السماء الدنيا وان تفاوتت في الارتفاع فلذلك أيضا مما يأباه أن النجوم قد تأخذ أمكنتها من السماء وليس مما زحل وبالجملة ما يكثر على هذا الخبر كثير وكونه كرم الله تعالى وجهه أراد كوكبا آخر هذا شأنه لا يخفى حاله والذي يقتضيه الانصاف وترك التعصب أن الخبر محكوم به على الامير رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه وجوز على ارادة الجنس أن يراد به جنس الشهب التي يرجم بها وليس بذاك وما روي أن أبا طالب كان عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانقض نجم فقال مات نجم فانزل الله تعالى فيه والنجم إذا هوى فقال أي بني هذا فقال عليه الصلاة والسلام هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله تعالى فعجب أبو طالب فنزلت لا يخفى ذلك على مالا يخفى وزعم ابن عطية أن المراد بالطارق جميع ما يطرق من الامور والمخلوقات فيعم النجم الثاقب وغيره ويكون معنى وما أدراك ما الطارق حتى الطارق بأن تكون أل في ما الطارق مثلها في أنت الرجل وما أدرى ما الطارق على هذا الرجل حتى ركب هذا الطريق الوعر في التفسير وفي ايراد ذلك عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى أن ذلك الوصف غير كاشف عن كنه أمره وان ذلك مما لا يناله أفكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه وايجاب العلم به مالا يخفى على ذي نظر ثاقب والارادة ذلك لم يقل ابتداء والنجم الثاقب مع أنه أحصر وأظهر وقد عز وجل أن يفخم عن ماشاء من خلقه لما شاء ولا دلالة في ههنا على شيء مما يزعمه المنجمون في أمر النجوم زحل وغيره من التاثير في سعادة أو شقاوة أو نحو هما وجواب القسم قوله تعالى (إن كل نفس لما عليها حافظ) وما بينهما اعتراض جيء به لتاكيد مضمون الجملة المقسم عليها وقيل جوابه قوله سبحانه انه على رجعه لقادر وما في البين اعتراض وهو كما ترى وان تالية ولما بمعنى الا وعينها للدلالة

Marfat.com

لة مشهورة كما نقل أبو حيان عن الاخفش في مثل وغيرهم يقولون أقسمت عليك أوسألتك لما فعلت كذا يريدون الامتناع وبهذا رد على الجوهري انكر ذلك وقال الرضى لايجيء الابعدنفي ظاهر أومقدر ولايكون الا في انشاء أي بخلاف الاول لما قيد العموم التحقق أصله من وقوع النكرة في سياق النفي وهو مبتدأ والخبر على المشهور حافظ ومابعدها متعلق به وعلى ماسمعت عن الرضى محذوف أي ما كل نفس كائنة في حال من الاحوال الا في حال أن يكون عليها حافظ أي مهيمن ورقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ٭ خلوت ولكن قل علي رقيب

وقيل هو من يحفظ عليها من الملائكة عليهم السلام ويحصي عليها ما تكسب من خير أو شر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين الآية وروى ذلك عن ابن سيرين وقتادة وغيرهما وخصصوا النفس بالمكلفة وقيل هو من وكل على حفظها والذب عنها من الملائكة كما في قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وعن أبي امامة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال الموكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقيل هو العقل يرتدع الرء الى مصالحه ويكفه عن مضاره وقرأ الاكثر لما بالتخفيف فعند الكوفيين إن نافية كما سبق واللام بمعنى الا وما زائدة وصرحوا بمثلها في حافظ مبتدأ وخبر فالاشهل وعند البصريين إن مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وان للقسم وحافظ خبر لابتدأ ومابعدها متعلق به وقدر لان ضمير الشأن ولعقب بانه لاحاجة اليه لانه في غير المفتوحة ضعيف لعدم العمل مع أنه محل بادخال اللام الفارقة لانه اذا كان الخبر جملة والاولى ادخال اللام على الجزء الاول كما صرح به في التسهيل وادخالها على الجزء الثاني كما صرح به بعض الافاضل في حواشيه عليه وقيل من قال أي ان الشأن كل نفس لعليها حافظ لم يرد تقدير الضمير وانما أراد بيان حاصل المعنى وحمزة وهرون الاعرجي إن بالتشديد وكل بالنصب ولما بالتخفيف فاللام هي الداخلة في خبر ان وما زائدة وعلى جميع القراآت أمر الجواب ظاهر لوجود ما يتلقى به القسم وتلقيبالمدة مشهور وبالمخففة نادة ان كنت لترين وبالنافية وان زالت ان أمسكاهوقوله تعالى ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ متفرع على ماقبله ليست لقد بفصيحة خلافا لمطيبي اذ لاحتياج الى حذف في استقامة الكلام أما على التقدير أن يكون الحافظ هو الله عز وجل أوالملك الذي وكله تعالى بحفظه فالوجه الذي سمعت فلانه لما أثبت سبحانه أن عليه رقيبا منه تعالى حث على النظر لتعرف ذلك مع أوصافه كانه قيل فليعرف الانسان عليه بعينه الرقيب أو بنفسه وليعلم وجوهه اليه تعالى وليعمل ما يسير به حال الرجوع وعبر عن الاول بقوله تعالى فلينظر ليبين طريق المعرفة فيه بسط فيه ايجاز واديج فيه الاخيران واما على تقدير أن يكون المراد به العقل فلانه لما اثبت سبحانه أن له ملكا يرتدع الى الصالح ويكف عن الضار حث على استعماله فيما ينفعه وعدم تعطيله والمكنه كانه قيل فلينظر بعقله وليتفكر به في مبدأ خلقه حتى يقنع بالقدرة والعجز وانه اذا قدر على انشائه من مواد لا تعلم رائحة الحياة قط فهو سبحانه على اعادته أقدر وأقدر فيعمل فيما يسره من الاعادة وقد قرر التقريع على جميع الاوجه بنحو واحد فتأمل ومم خلق استفهام ومن منشئة بخلق واقعة في موضع نصب بينظر وهي معلقة لاستفهام بوقوله تعالى ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق قيل خلق من ماء دافق وظاهر كلام بعض الاجلة أنه جواب الاستفهام

Marfat.com

الفاكهي مع تعلق الجار بناظر وفيه مساهلة وكأن المراد انه على صورة الجواب وجهه جوابا له حقيقة على أنه مقطوع عن ينظر ليس بشيء عند من له نظر والدافق صب فيه دفع وسيلان بسرعة وأريد بالماء الدافق التي ودافق قيل بمعنى مدفوق على تأويل اسم الفاعل بالمفعول وقد قرأ بذلك زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما وقال الخليل وسيبويه هو على النسب كلابن وتامر أي ذي دفق وهو صادق على الفاعل والمفعول وقيل هو اسم فاعل واسناده الى الله عز وجل أسند اليه مالصاحبه مبالغة أو هو استعارة مكنية وتخييلية بالذهب اليه كالسكاك أو مصرحة بجعله دافقا لانه لتتابع قطراته كأنه يدفع أي يدفع بعضه بعضا وقد فسر ابن عطية الدفق بالدفع فقال الدافق دفع الماء بعضه بعضا يقال لدفق الوادي والسيل اذا جاء يركب بعضه بعضا ويصح أن يكون الماء دافقا لان بعضه يدفع بعضا فهو دافق ومنه مدفوق وتبعه أبو حيان بان الدافق بمعنى الدفع غير محفوظ في اللغة بل المحفوظ أنه الصب ونقل عن الليث ان دفق بمعنى الصب بمرة فدافق بمعنى منصب فلا حاجة الى التأويل وتعقب بانه مما تفرد به الليث كما في القاموس وغيره وقيل ذو ماء مع أن الانسان لا يخلق الا من ماءين ماء الرجل وماء المرأة ولقائل ان خلق عيسى عليه السلام خارقا للعادة فلا يرد به المنزج من الماءين في الرحم وبالامتزاج صارا ماء واحدا ووصفه بالدافق قيل باعتبار أحد جزئيه وهو ماء الرجل وقيل باعتبارهما ومعنى المرأة دافق أيضا الى الرحم ويشير الى الارادة المنزج على ما قيل قوله تعالى ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ ﴾ أي من بين أجزاء صلب كل رجل أي ظهره ﴿ وَالتَّرَائِبِ ﴾ أي ومن بين تراقي المرأة أي عظامها جمع تربية وفسرت أيضا بموضع القلادة من الصدر وروى عن ابن عباس وهو لكل امرأة واحد الا انه يجمع كما في قول امرىء القيس

مهفهفة بيضاء (١) غير مفاضة ● ترائبها مصقولة كالسجنجل

باعتبار ما حولها على مالي البحر وجاء في الفرد ترب كما في قول الكلب العبدي

ومن ذهب يزين فوق ترب ● كلون العاج ليس بذي غضون

وعلى الآية على ما ذكر مروي عن مقاتل وقتادة الا أنهما الا أي يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة وظاهره الآية ان أحد الطرفين قبيلة الصلب والآخر الترائب وهو غير ما قاله وعليه قيل هو كقولك يخرج من بين زيد وعمرو خير كثير على معنى أنهما سيان فيه وقيل ان ذلك باعتبار أن الرجل والمرأة صنفان كالشيء الواحد فكان الصلب والترائب لشخص واحد فلا تعدل ثم ان ما تقدم مبني أيضا على أن الترائب مخصوصة بالمرأة كما هو ظاهر كلام غير واحد وأما على حمل ضميرها على العهد وقال الحسن وروى عن قتادة أيضا أن الذي يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائب كل منهما ولم يفسر الترائب فقيل عظام الصدر وقيل ما بين الثديين وقيل ما بين الكتفين والصدر وقيل الترائب وقيل أربع أضلاع من جهة الصدر وأربع من يسرته وعن ابن جبير الأضلاع التي هي أسفل الصلب وحكى ذلك عن ابن عباس أنها أطراف الزور رجلاه ويداه وعنه والأشهر أنها عظام الصدر وموضع القلادة منه وطعن في ذلك على ما قال الامام بعض الملاحدة حفظهم الله تعالى بأن الذي انما يتولد من فضلة الطعم الرابع ويتحلل من جميع أجزاء البدن فيأخذ من كل عضو طيبة وخاصية مستعد الان لتولد مثل ذلك الاعضاء وان كان المراد أن معظم اجزاء الذي تتولد في ذينك الموضعين فهو ضعيف لان معظم انما يتولد في الدماغ الا ترى أنه في صورته يشبه الدماغ والمكثر منه يظهر الضعف أولا في دماغه وعينه وان كان المراد ان مستقره هناك

(١) أي غير ضخمة لحمه

Marfat.com

فهو ضيف أيضا لان مستقره عروق يلتف بعضها بالبعض عند البيضتين وتسمى أنوية التي وان كان المراد أن مخرجه هناك فهو أيضا كذلك لان الحس يدل على خلافه وأجاب رحمه الله تعالى بانه لاشك ان أعظم الاعضاء معونة في توليد المني الدماغ وخليفته النخاع في الصلب وشعب نازلة الى مقدم البدن وهي التريبة فلذا خصها بالذكر على ان كلامهم في أمر التي وتولده محض الوهم والظن الضعيف وكلام الله تعالى الحق لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو المقبول والمعول عليه اه وفي الكشف أقول النخاع بين الصلب والترائب والاحتياج الى تخصيص التريبة النساء فقد يمنع الشعب النازلة على ان تلك الشعب ان كانت في الصلب (١) لامالت نحو ترائب الرجل والوجه ان يقال أعلم أن النخاع والقوى الدماغية والقلبية والكبدية كلها تتعاون في ايراز ذلك المعنى على ماهو عليه فلا لان يصير مبدأ الشخص على مارين في موضعه وقوله سبحانه من بين الصلب والترائب عبارة مختصرة جامعة لتأثير الاعضاء الثلاثة فالترائب يفعل القلب والكبد وشدوطا فالقلب أظهر والصلب النخاع وبتوسطه الدماغ وانما لايحتاج الى التنبيه على مكان الكبد لظهور ذلك لانه دم تنضيج وانما احتيج الى ماخلق وهو أمر الدماغ والقلب في تسكون ذلك النساء فانبه على مكانهما وقيل ابتداء الخروج منه ﴿ أي انتهاء بالاخير انتهى وقيل لوجعل مابين الصلب والترائب كناية عن البدن ﴾ لم يبعد وكان تخصيصهما بالذكر لما أنهما الموادة القلب الذي هو الاصل الطبي فهو أمر هذه الكناية على ماحكي عن ابن عباس في الترائب أظهر وزعم بعضهم جواز كون الصلب والترائب للرجل أي يخرج من بين صلب كل رجل وترائبه فالمراد بالماء الدافق ماء الرجل فقط وجعل الكلام لما على الطلب أو على انه لاماء الا أصلا فضلا عن الماء الدافق ﴿ قيل ﴾ ولا يخفى مافيه والقول بان المرأة لاماء لها تكذبه التجربة وغيرها وقرأ ابن أبي عبلة وابن مقسم يخرج مبنيا للمفعول وهما وأهل مكة وبيبي الصلب بضم الصاد واللام والباقي بفتحهما وروى عن الفتين قول الشاعر

ربا الخطام طيبة الخشم ﴿ في صلب مثل العنان المؤدم (٢)

وفيه لغة رابعة وهي صلب ﴿ في قول العباس ﴾ تنقل من صلب الى رحم ﴿ وهي قليلة الاستعمال واستشهد بعض الاجلة بقوله تعالى خلق من ماء دافق على ان الانسان هو الطيكل المخصوص ﴿ ذهب اليه جمهور المتكلمين النافين للنفس الناطقة الانسانية المجردة التي ليست داخل البدن ولا خارجه وقال انه شاهد قوي على ذلك وأجيب بأنه على حذف المضاف أي خلق بدن الانسان لا يسمع ما لم يقم برهان على امتناع ظاهره الذي وأنت تسلم أن القائلين بالنفس الناطقة المجردة قد أقاموا فيما عندهم براهين على اثباتها نعم ان فيها إيضا مناقشة وتحقيق ذلك بما لا مزيد عليه في كتاب الروح للعلامة ابن القيم عليه الرحمة ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ الضمير الاول للخالق تعالى شأنه ﴿ لهم أولا يترك العامل في قوله تعالى من خلق خلق الا يذهب الى خالق سواه عز وجل فلم بالاضمار ثانيا والضمير الثاني للانسان أي ان ذلك الذي خلقه ابتداء عاد كر على اعادته بعد موته لبين القدرة وهذا ﴿ في قوله

الى كان تهدى برد أنيابها العلى ﴿ لاكفر مني الى لفتير

فانه أراد لبين الفقر والا يصح ايراده في مقابلة لاكفر مني والتأكيد البالغ انما قام عليه البرهان الواضح معنى ولذا فسر قادر هنا بمبين القدرة ﴿ في الكشاف واعتبر فيه أيضا الاختصاص فقال أي على

(١) فيه انه لايضر كونها أعصابا ﴿ لايخفى اه منه

(٢) أي الصلح الذين يصف لين صلبها اه منه

Marfat.com

اعادته خصوصا وكأن ذلك لان الغرض المسوق له الكلام ذلك فكأن ما سواه مطرح بالنسبة اليه وحينئذ يراد ما ذكر جعل الجار من صلة القادر أو متداولا على موصوله به على المذهبين وفصل الجملة عما سبق لكونه جواب الاستفهام دونها وقال مجاهد وعكرمة الضمير الثاني للعباد أي انه تعالى على رد الله في الاحايل أو في الصلب لقادر وليس ببعيد ومنه أون الذي على تقدير كونه للانسان أنه عز وجل على رده من الكبرائي الشباب لقادر كما روى عن الضحاك وما ذكرناه أولا مروى عن ابن عباس ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ أي يتعرف ويتصفح ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرهما أعني من الاعمال وجزاء ما طاب منها وما خبث وأصل الابلاء الاختبار والملابسة على ما ذكر الطائي هو الملازم وحمل السرائر على السرو هو الظاهر وأخرج ابن المنذر عن عطاء وزيد بن أبي كثير أنها الصوم والصلاة والغسل من الجنابة وأخرج البيهقي في الشعب عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضمن الله تعالى خلقه أربعا الصلاة والزكاة وصوم رمضان والغسل من الجنابة وعن السرائر التي قال الله تعالى يوم تبلى السرائر ولي البحر علم التوحيد اليها وامل الزاد يسافر مطيعا على سيل النجاة لاحقيقة الخمر ومنع الحسن من يعتقد قول الاخوص

سبق لها في مضمر القلب والحشا ٭ سريرة ويوم تبلى السرائر

فقال ما أظنه عالما بالسير والطارق وما أحسن التذييل على عدم التعرف أصلا فانه يوم يتعرف من الخلق ظرف لقادر فيدل عليه رجعه أي يرجعه يوم تبلى أو لقادر الزمخشري وجاء ظرف الزمان مفعولا مفرض بيان فيه فصلا بين المصدر ومعموله بأجنبي وأجيب تارة بانه جائز التوسع في الظروف واخرى بان الفاصل هنا غير اجنبي لانه إما مفسر أو عامل على المذهبين وقال صمام الدين ان العمل يرد الاجنبي لا فصل لان التسول في نية التقديم عليه وانما أخر لرعاية الفاصلة وفيه ما لا يخفى وقيل ظرف لناصر بعد ونقله أبو حيان بانه فاسد لان ما بعد النفي لا يعمل فيما قبله وكذلك ما النافية على المشهور المنصور وقيل بمعمول لاذكر محذوفا وهو كما ترى ويتعين هو أو ما قبله على رأي مجاهد وعكرمة ورأي الضحاك السابقين آنفا وجوز الطيبي تعلقه بقادر وفي بطلانه جمهور المعربين به لانه يوهم اختصاص قدرته عز وجل بيوم دون يوم كما قال غير واحد وقال ابن عطية فروا من ان يكون العامل لقادر فيوم لتخصيص القدرة في ذلك اليوم وحده واذا تؤمل الذي ما يقتضيه فصحيح يلزم العرب جاز أن يكون العامل وذلك أنه تعالى قال على رجعه قادر على الاطلاق أولا وآخرا وفي كل وقت ثم ذكر سبحانه من الاوقات الوقت الاعظم على الكفار لانه وقت الجزاء والوصول الى العذاب ليجتمع الناس على حذر والظرف منه الذي وهو على ما قيه لا يدفع الايراد ﴿ فَمَا لَهُ ﴾ أي الانسان ﴿ مِن قُوَّةٍ ﴾ في نفسه يمتنع بها ﴿ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ ينصره ﴿ وَالسَّمَاءِ ﴾ وهي المظلة قول الجمهور ﴿ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾ أي المطر في قول الحسن أيضا كما في قول الخنساء

يذكر الوداع ترى دموعا جارية ٭ كالرجع في (١) المدجنة السارية

وأصله مصدر رجع المتعدي واللازم أيضا في قول ومصدره الخاص بالرجوع سموا به المطر كما سموه بالاوب مصدر آب ومنه قوله

ربد نهاد لا يأوي لظلتها ٭ الا السحاب والاوبي والديل

(١) كذا في خط المؤلف وليحرر الوزن اه

Marfat.com

يرجع أو لان السحاب يحدث من بخار الارض فيرجعه الى الارض وبنى هذا فيه واحد على الزعيم يحدث عن أو الترابه فيه الجعل لان الله تعالى يرجعه حيا فيثابه قال الحسن لا يمر يوم الرزق الى عام أو أراد بذلك التفاؤل ابن عباس ومجاهد تفسير السماء بالسحاب والرجع بالمطر وقال ابن زيد السماء هي المرور فذو الرجع رجوع الشمس والقمر والكواكب من حال الى حال ومن منزل الى منزل قيل رجوعها غيبوبتها ثم رجوع في كل دور قال الموضح الذي تتحرك لمنه وهذا مبني على أن السماء والفلك واحد فهي تتحرك وهو بعيد أو جيا حضيضا وحضيضا أوجا وقد مضت فيما تقدم لنا مثل ظاهر كلام الراغب ان السماء غير الفلك وانها لا تدور ولا تتحرك والذي ذكر رأي الفلاسفة ومن تابعهم وقيل الرجع الملائكة عليهم السلام سموا بذلك لرجوعهم بأعمال العباد ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ هو ما تصدع عنه الارض من النبات وأصله الذي سمي به النبات مجازا أو هو مصدر من الذي للمفعول فالمراد تشققها بالنبات وروى ذلك عن عطية وابن زيد وقيل تشققها بالعيون وتغلب بالوصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في أنفسهما من شواهد وهو السر في التعبير عن المطر بالرجع وذلك في تشقق الارض بالنبات الخالق القدور حسبما ذكر في مواضع من التنزيل لاني تشققها بالعيون ويعلم منه مافي تفسير الرجع بغير المطر ولقد مافي قول مجاهد الصدع مافي الارض من شقاق وأودية وخنادق وتشقق بحرث وغيره وماروى عنه أيضا الصدع الطرق تصدعها الشاة وقيل ذات الاموات لا تصدعها عنهم النشور ﴿ إِنَّهُ ﴾ أي القرآن الذي من جملة هذه الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده وهو أولى من جعل الضمير راجعا لما تقدم أي ما أخبرتكم به من قدرتي على احيائكم لان القرآن يتناول ذلك تناولا أوليا وقوله تعالى ﴿ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ أي به والمراد لقول فاصل بين الحق والباطل قد بلغ الغاية في ذلك حتى كأنه نفس الفصل وقيل مقابلة الفصل بالهزل بعد يبتدي أن يفسر بالقطع أي قول مقطوع به والاول أحسن ﴿ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ أي ليس في شيء منه شائبة هزل بل كله جد فمن حقه أن يهتدى به العقلاء وتخشع له رقاب العتاة وفي حديث أخرجه الترمذي والدارمي وابن الانباري عن الحرث الاعور عن علي كرم الله تعالى وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ﴿ إنها ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ فيه الاهواء ولا تلتبس منه العلماء ولا يخلق عن الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن لما سمعته حتى قالوا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن هدى به هدى الى صراط مستقيم وفي هذا من الرد على الذين يقولون دوراً ظهور هيهاتهم ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ أي كفار مكة ﴿ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ بمعلون التكايد في ابطال أمره واطفاء نوره أو في ابطال أمر الله تعالى واطفاء نور الحق والاول أنسب بالمقام وهذا قبل أمر ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ أي عظيما حسبما تنبئ به قدر تهويلية تحتمل ان تكون استئنافا يمانيا كأنه قيل اذا كان حال القرآن ماذكر فما حال هؤلاء الذين يقولون فيه مايقولون فقيل انهم يكيدون كيدا ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ أي أقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون أو أقابلهم بكيدي في ابطال أمره واطفاء نوره من حيث لا يحتسبون والفصل طلبا وقيل لئلا يتوهم عطفها على جواب القسم مع أنها غير مقسم عليها ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ ﴾ فلا تستعجل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم

Marfat.com

لك ملك أو تأن وانتظر الانتقام منهم ولا تستعجل والقاء الترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتولية تعالى لكيدهم بالذات وعدم اهتمامهم بما يوجب اهتمامهم وترك التصدى لمكايدتهم قطعا ووضع الظاهر موضع الضمير لتعميم يأتي الجنايات وأتى وقيل للاشعار بعلة ما تضمنه الكلام من الوعيد وقوله تعالى ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾ بدل من مهل على ما صرح به في الارشاد وقوله سبحانه ﴿رُوَيْدًا﴾ اما مصدر مؤكد لمعنى التأنى أو نعت لمصدر محذوف أى أمهلهم امهالا رويدا أى قريبا كما أخرج ابن المنذر وابن جرير عن ابن عباس أو قليلا كما روى عن قتادة وأخرج ابن المنذر عن السدى أنه قال أى أمهلهم حتى آمر بالقتال وامره بالامهال القريب أو القليل واختار بعضهم أن يكون المراد اليوم القيامة الآن ملوقع بعد الأمر بالقتال الذى وقع يوم بدر وفى سائر الغزوات لم يعم الكل وهنا يكون يوم القيامة يعمهم والتقريب باعتبار أن كل آت قريب وعلى هذا النحو والتقليل على أن من مات فقد قامت قيامته والظاهر ما قال السدى وقد عرفهم بعد الأمر بالقتال ما عرفهم وعمم العموم الحقيق لا يضر وهو فى الأصل على ما قال أبو عبيدة تصغير رود بالضم وأنشد ☆ قالت ألا تعدى على رود ☆ أى على مهل وقال أبو حيان وجاء تصغير رواد مصدر رواد يروه بالتخفيف وهو تصغير تحقير وتقليل وله فى الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا أى أمهله وكونه حالا نحو سار القوم رويدا أى متهلين غير مستعجلين ولم يذكر أحد احتمال كونه اسم فعل هنا وصرح ابن الشيخ بعدم جريانه وعلل ذلك بأن الأوامر كلها يعنى فكانه قيل أمهل الكافرين أمهالهم وفائدة التأكيد تحصل بالثانى فيلغو الثالث وفى التعليل نظر فقد يسلك فى التأكيد بالفاظ متحدة لفظا ومعنى نحو ذلك فى الحديث أيما امرأة أنكحت نفسها بدون ولى فنكاحها باطل باطل باطل ولا فرق بين الجمل والمفردات نعم هو خلاف الظاهر جدا وجوز رعاه الله تعالى كونه حالا أى أمهلهم غير مستعجل والظاهر أنه حال مؤكدة كما فى قوله تعالى لا تعثوا فى الأرض مفسدين فلا تغفل وهو أيضا بعيد وظاهر كلام أبى حيان وغيره أن الأمر الثانى توكيد للأول قالوا والمغايرة بين اللفظين فى البنية لزيادة تمكينه صلى الله تعالى عليه وسلم وتصبيره عليه الصلاة والسلام وانما دلت الزيادة من حيث الاشعار بالتغاير كأن كلا من الأمرين مستقل بالأمر بالتأنى فهو أولد من مجرد التكرار وقرأ ابن عباس مهلهم بفتح الهاء وشد اللام موافقة للفظ الأمر الأول

﴿سورة الأعلى جل وعلا﴾

وتسمى سورة سبح والجمهور على أنها مكية وحكى ابن القرض عن بعضهم أنها مدنية لذكر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها وروده الجلال السيوطى بما أخرج البخارى وابن سعد وابن أبى شيبة عن البراء بن عازب قال أول من قدم علينا من أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى عشرين ثم جاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم به عليه الصلاة والسلام حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد جاء فما جاء عليه الصلاة والسلام حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى فى سور مثلها ثم ان ذكر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها غير مسلم ولو سلم فلا دلالة فيه على ذلك كما سيأتى ان شاء الله تعالى قصيلة وهى تسع عشرة آية بلا خلاف ووجه مناسبتها لما قبلها أنه ذكر فى سورة الطارق خلق الانسان وأشير الى خلق النبات بقوله تعالى والارض ذات الصدع وذكر فيما تلى قوله تعالى خلق فسوى وقوله سبحانه أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى وقصة النبات هنا أوضح وأبسط كما أن قصة خلق الانسان

Marfat.com

هناك فكذلك. ثم ان ما في هذه السورة أعم من جهة شموله الانسان وسائر المخلوقات وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحبها أخرج الامام أحمد والبزار وابن مردويه عن علي كرم الله تعالى وجهه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب هذه السورة سبح اسم ربك الاعلى وجاء في حديث أخرجه أبو عبيد عن أبي تميم أنه عليه الصلاة والسلام سماها أفضل المسبحات وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي عن عائشة قالت كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ في الوتر في الركعة الاولى سبح وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد والمعوذتين وفي حديث أخرجه المذكورون وغيرهم الا الترمذي عن أبي بن كعب نحو ذلك بيد أنه ليس فيه المعوذتان وأخرج ابن أبي شيبة والامام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة سبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وان وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا وأخرج الطبراني عن عبد الله بن الحرث قال آخر صلاة صليتها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المغرب فقرأ في الركعة الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) أي نزه أسماءه عز وجل عما لا يليق فلا تؤول مما ورد منها أسما من غير مقتض ولا تبقه على ظاهره اذا كان ماوضع له مما لا يصح له تعالى ولا تطلقه على غيره سبحانه أصلا اذا كان مختصا كالاسم الجليل أو على وجه يشعر بانه تعالى والغير فيه سواء اذا لم يكن مختصا فلا تقل لمن أعطاك شيئاً مثلا هذا رازقي على وجه يشعر بذلك وصنه عن الابتذال والتلفظ به في محل لا يليق به كالخلاء وحالة التغوط وذكره لا على وجه الخشوع والتعظيم وربما يعد مما لا يليق ذكره عند من يكره سماعه من غير ضرورة اليه وعن الامام مالك رضي الله تعالى عنه انه كان اذا لم يجد ما يعطي السائل يقول ما عندي ما أعطيك أو ائتني في وقت آخر أو نحو ذلك ولا يقول نحو ما يقول الناس يرزقك الله تعالى أو يبعث الله تعالى لك أو يعطيك الله تعالى أو نحوه فسئل عن ذلك فقال ان السائل أثقل شيء على سمعي وأبغضه الي وقول المسؤل لما يثقل عليه من رده وحرمانه فانا أجل اسم الله سبحانه من أن أذكره لمن يكره سماعه ولو في ضمن جملة وهذا منه رضي الله تعالى عنه غاية في الورع وما ذكر من التفسير مبني على الظاهر من ان لفظ اسم غير مقحم وذهب كثير الى انه مقحم وهو قد يقحم لضرب من التعظيم على سبيل الكناية ومنه قول لبيد

* الى الحول ثم اسم السلام عليكما * فالمعنى نزه ربك عما لا يليق به من الاوصاف واستدل لهذا بما أخرجه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيرهم عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم (١) ومن المعلوم أن المقول فيهما سبحان ربي العظيم وسبحان ربي الأعلى وبما أخرج الامام أحمد وأبو داود والطبراني والبيهقي في سننه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الأعلى وروى عبد بن حميد وجماعة أن عليا كرم الله تعالى وجهه قرأ ذلك فقال سبحان ربي الأعلى وهو في الصلاة فقيل له أتزيد في القرآن قال لا انما أمرنا بشيء فقلته وفي الكشاف تسبيح اسمه تعالى تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي الحاد في أسمائه سبحانه كالجبر والتشبيه مثلا وان يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم

(١) وفي الكشاف وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت وليس في هذا الحديث المروي عمن سمعت اه

Marfat.com

طبل للمنبئين على ما قيل راجعين الى الاسم وان كان الاول بالحقيقة راجعا اليه عز وجل لكن لا يصح أن يقال تزه الذات عما لا يصح له من الاوصاف أن يقال أيضا تزه أسماءه تعالى الدالة على السؤال عما لا يصح فيه من خلافه وليس الذي الاول مبنيا على أن لفظ اسم مقحم ولا على أن المراد به المسمى الطلاقا لاسم الدال على المدلول ثم قال به بعضهم هنا وهو ان كان الاخبار السابقة كإلى دعوى الانعام فلا بأس وان كان لعلل أن التسبيح لا يكون للالفاظ الموضوعة لانه قد يلبس ذهبي لفساد هذا الظن بظهور أن التسبيح يكون لما لا سمعت وقد قال الامام انه لا يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته جل وعلا عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لذلك عن الرفث وسوء الادب ومن هذا يعلم مافي التعبير عنه تعالى شأنه بنحو إلى ونعم كما يدعى ذلك في قول ابن الفارض قدس سره

أبرق بدا من جانب الخور لامع ✽ أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع

وقوله اذا أنصفت لم على بنظرة ✽ فلا أسعدت سعدى ولا أجابت جل

الى غير ذلك من أبياته وقد عاب ذلك بعض الاجلة وعده من سوء الادب واخذا لقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها الآية وأجاب بعضهم بان ذلك ليس من الوضع في شيء وفهم الحضرة الانيسة من تلك الالفاظ انما هو بطريق الاشارة كما قالوا في فهم النفس الاشارة من البقرة مثلا في قوله تعالى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة والسكر لا يمنع بهذا والاظهر أن يقال ان الكلام الوارد فيه ذلك من قبيل الاستعارة التخييلية ولا نظر فيها الى تنزيه المفردات بالمفردات فليس فيه التعبير عنه عز وجل بليل ونحوها واستعمال الاستعارة التخييلية في شأنه تعالى مما لا بأس به حتى انهم قالوه في البسملة كما لا يخفى على من تتبع رسائلهم فيها هذا والعلم عند الله تعالى خبرا منه وقال جمع الاسم بمعنى التسمية والمعنى نزه ربك بان تذكره وأثنت له سبحانه معظم والله تعالى جل شأنه محترم واثبت تعلم ان هذا يندرج في تسبيح الاسم كما يدعو ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ابدأ باسم الله تعالى وحذف حرف الجر حكاه في البحر ولا أعلم صحته وقال عصام الدين لا يبعد أن يراد الاسم الاثر أي سبح آثار ربك الاعلى من النعمان فان أثره تعالى دال عليه سبحانه كالاسم فيكون منا من عبر المخلوقات أي من حيث انها مخلوقة له تعالى وعلى وجه يدل قوله تعالى ماترى في خلق الرحمن من تفاوت ولا يخفى بعده وان كان فيما بعد من الصفات ما يستأنس به له وأنا أقول ان كان سبح بمعنى تزه فكلا الامرين من كون اسم مقحما وكونه غير مقحم ويتعلق التسبيح به على الوجه الذي سمعت محتمل غير بعيد واذا كان مناه قل سبحان ك هو المعروف فيما بينهم فكونه مقحما بعيد اذ لم يسمع سابقا ولحقا من يقول سبحان اسم ربي الاعلى أو سبحان اسم الله والاخبار ظاهرة في ذلك وحمل ما فيها على اختيار الاخصر الملازم لغيره كما ترى ويؤيد هذا قراءة ابي بن كعب في خبر سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن ابن جبير سبحان ربي الاعلى والمراد مما قبل من ان الاسم بمعنى التسمية واستدل عليه بهذه الآية ونحوها فهو لا يحول عليه أصلا وقد تقدم الكلام أول الكتاب فارجع اليه ان أردته والاولى صفة الرب وأريد بالتنزه التنزه بالقهر والاقتدار لا بالامكان لاستحالته عليه سبحانه والسلف وان لم يؤولوه بذلك لكنهم أيضا يقولون باستحالة الحلو المكاني عليه عز وجل وجوز جعله صفة الاسم وعلوه ترفعه عن أن يشارك اسم في حقيقة معناه واستدل بان قوله تعالى (الَّذِي خَلَقَ) الخ ان كان صفة الرب كما هو الظاهر لزم الفصل بين الموصوف وصفته بصفة غيره وهو لا يجوز فلا يقال رأيت غلام هند العاقل الحسنة وان كان صفة لاسم أيضا احتمل الذي اذ الاسم لا يتصف بالخلق وما بعده

Marfat.com

واجيب باختيار الثاني ولا اختلال اما لان الاسم بمعنى المسمى أو لانه لما كان مقحما كان اسم ربك بمنزلة ربك فصح وصفه بما يوصف به الرب عز وجل وفيه نظر والجواب المقبول ان الذي على ذلك التقدير امامرفوع على انه خبر مبتدا محذوف أو منصوب على المدح ومفعول خلق محذوف ولما قيل بالعموم أي الذي خلق كل شيء (فَسَوَّى) أي جعله متساويا وهو أصل معناه والمراد جعل خلقه بحيث تقتضيه حكمته سبحانه فالتسوية في معناه ما قبل أي جعل الاشياء سواء في باب الاحكام والاتقان لانه سبحانه أتقن بعض ما دون بعض وردت عليه الآية من العموم على المتزلة في زعمهم ان العبد خالق لافعاله والزمخشري مع أن مذهبه مذهبهم قال هنا بالعموم وبالله تعالى يرد العموم الحقيق أو أراده لكن على معنى خلق كل شيء اما بالذات او بالواسطة وجعل ذلك في أفعال العباد باقداره سبحانه وتمكينهم على خلقها باختيارهم وقدرهم الوهوبة لهم وعن الكلبي خلق كل ذي روح فسوى بين يديه ورجليه وعينيه وفي الزجاج خلق الانسان فعدل قامته ولم يجعله منكوسا كالبهائم وفي كل تخصيص لا يقتضيه ظاهر اللفظ (وَالَّذِي قَدَّرَ) اي جعل الاشياء على مقادير مخصوصة في اجناسها وأنواعها وأفرادها وصفاتها وأقطارها وآجالها (فَهَدَى) فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغي له طبعا أو اختيارا ويسر منها خلق له يخلق البول والاطعامات ونصب الدلائل وانزال الآيات فلو تتبعت أحوال النباتات والحيوانات لرأيت في كل منها ما تحار فيه العقول وتضيق عنه دفاتر القول وأما دون هدايته سبحانه وتعالى للانسان على الخصوص فقول ذلك بمراحل وأبعد منه ثم أبعد وأبعد بالوف من المنازل وعجبا ان يحيط بها فلك العبارة والتحرير ولا يكاد يفيها الا اللطيف الخبير

الزعم انك جسرم صغير ٥ وفيك انطوى العالم الاكبر

وقيل أي والذي قدر الخلق على ما خلقهم فيه من الصور والهيئات وأجرى لهم أسباب معائشهم من الارزاق والاقوات ثم هداهم الى دينه ومعرفة توحيده باظهار الدلالات والبينات وقيل قدر أقواتهم وهداهم لطلبها وعن مقاتل والكلبي قدرهم ذكرانا وانثا وهدى الذكر كيف يأتي الانثى وعن مجاهد قدر الانسان والبهائم وهدى الانسان للخير والشر والبهائم لمراتعها وعن السدي قدر الولد في البطن تسعة أشهر أو أقل أو أكثر وهداه للخروج منه تاما وقيل قدر المنافع في الاشياء وهدى الانسان لاستخراجها والاولى ما ذكر أولا والسلمي ما قبل سائر الاقوال من باب التمثيل لا التخصيص وزعم الفراء أن في الآية اكتفاء والاصل فهدى وأضل وليس بشيء وقرأ الكسائي قدر بالتخفيف من القدرة أو التقدير (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى) أي أنبت ما ترعاه الدواب فاضطرابا برف (فَجَعَلَهُ غُثَاءً) هو ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات وأصله على ما قال الجمع الاختلاط من اجناس شتى والعرب تسمي القوم إذا اجتمعوا من قبائل شتى أخلاطا وغثاء وبقال غثاء بالتقديد وجاء جمعا على أفثاء وهو غريب من حيث جمع فعال على أفعال والمراد به هنا اليابس من النبات أي جعله بعد ذلك يابسا (أَحْوَى) من الحوة وهي لغة قيل السواد وقال الاخفش لون يضرب الى السواد وفي الصحاح الحوة السمرة فالمراد باحوى أسود أو أسمر والنبات اذا يبس اسود أو اسمر فهو صفة مؤكدة للغثاء وتفسير الحوة بشدة الخضرة وعليه قول ذي الرمة

ليساء في شفتيها حوة لعس ٥ وفي اللثات وفي انيابها شنب

ولا ينافي ذلك تفسيرها باليساء لان شدة الخضرة ترى في بادي النظر كالسواد وجوز كونه حالا من المرعى أي أخرج المرعى حال كونه مطريا فاضمحل بعد الخضرة جعله غثاء والفصل بالمفعول بين الحال وصاحبها ليس فصلا أجنبيا لاسيما وهو حال يطالب الاول من غير تراخ وسر التقديم المبالغة في استقباب حالة الجفاف حالة الرفيف

والنضارة

Marfat.com

والحضارة كأنه قيل ان يتم فيقع وتضارته بصير قشا مع هذا هو خلاف الظاهر وهذه الأوصاف على ما قيل تتضمن في نفسها التدرج في الوصف بالتحقيق لمن التريث فوق الى الإبداع فتدبر أو قوله تعالى (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى) بيان لهدايته تعالى شأنه الخاصة برسوله صلى الله تعالى عليه وسلم أثر بيان هدايته عز وجل العامة لسكافة مخلوقاته سبحانه وهي هدايته عليه الصلاة والسلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين وتوفيقه صلى الله تعالى عليه وسلم لهداية الناس أجمعين والسين اما لتأكيد والما لان المراد اقراء ما أوحى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ وما سيوحى اليه عليه الصلاة والسلام بعد فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء واسناد الاقراء اليه تعالى مجازي أي سنقرئك ما نوحي اليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام فانه عليه السلام الواسطة في الوحي على سائر ارشاداته فلا تنسى أصلا من قوة الحفظ والاتقان مع أنك أمي لم تكن تدري ما الكتاب وما القراءة بكون ذلك آية مع مافي نضاعيف ماقرؤه من الآيات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالغيبات وجوز أن يكون النفي متوجها قارنا بالمام القراءة أي في الكتاب من دون تعليم أحد كما هو العادة فقد روي عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ الكتابة ولا يكتب ويكون المراد بقوله تعالى فلا تنسى نفي النسيان مطلقاً منه عليه الصلاة والسلام امتنانا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه أوتي قوة الحفظ وفيه أنه مع كونه خلاف المأثور عن السلف في الآية تأباه قاعدة التفريع وجوز أيضاً أن يكون المراد نفي نسيان المضمون أي سنقرئك القرآن فلا تغفل عنه لاشتغالك في أحوالك ففيه وعد بتوفيقه عليه الصلاة والسلام لالتزام مافيه من الاحكام وهو كما ترى وقيل فلا تنسى نهي والالف لرعاية الفاصلة كما في قوله تعالى وأضلونا السبيلا وفيه أن النسيان ليس بالاختيار فلا يتهى عنه إلا أن يراد مجازاً ترك أسبابه الاختيارية أو ترك العمل بما تضمنه القرآن وفيه ارتكاب تكلف من غير داع وأيضاً رسمه بالياء يقضي أبا من البتة لا للاطلاق ويكون رسم المصحف خلافاً تكلف أيضاً نعم قيل رسمت ألف الاطلاق بالواو لقربها من الفواصل ومحافظة أصلها مع أن الامام الرزوق صرح بانه حسنه الاطلاق ترد المفوقة وقيل هو نهي لكن لم تحذف الالف فيه إذ قد لا يحذف الجازم حرف العلة وحسن ذلك هنا مراعاة الفاصلة وفيه أيضا مافيه والاهون للطالب معنى النهي أن يقول هو خبر أريد به النهي على أحد التأويلين السابقين آنفا (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) استثناء مفرغ من أعم العامل أي لا تنسى أصلا مما سنقرئكه شيئا من الاشياء الا ماشاء الله أن تنساه قيل أي أبدا قال الحسن وقتادة وغيرهما وهذا بمقتضى الله تعالى نسخه وأن يرتفع حكمه وتلاوته والظاهر أن النسيان على حقيقته وفي الكشاف أي إلا ماشاء الله فذهب به عن حفظك برفع حكمه وتلاوته وجعل النسيان عليه بمعنى رفع الحكم والتلاوة وكناية عنه لان مارفع حكمه وتلاوته يترك فينسى فسكأنه قيل بناء على إرادة المتين في السكتابات سنقرئك القرآن فلا تنسى شيئاً منه ولا يرفع حكمه وتلاوته الا ماشاء الله فتنساه ويرفع حكمه وتلاوته أو نحو هذا وأنا لا أرى ضرورة إلى اعتبار ذلك والباء في برفع الخ للسببية والمراد بيان السبب العادي البعيد لذهاب الله تعالى به عن الحفظ فان رفع الحكم والتلاوة يؤدي عادة في الغالب الى ترك التلاوة لعدم التعبد بها وإلى عدم الخطارة في البال لعدم بقاء حكمه وهو يؤدي عادة في الغالب أيضاً إلى النسيان أو بيان السبب القاطع لاستناد الذهاب به عن حفظه عليه الصلاة والسلام وهو السبب الفوز لذلك وأيدا كان فلا حاجة الى جعل معنى فلا تنسى فلا تترك تلاوة شيء منه والعمل به فتأمل ثم انه لا يلزم من كون ما شاء الله تعالى نسيانه مما قضى سبحانه ان يرفع

Marfat.com

حكمة وتلاوته أن يكون كل ما يرتفع حكمه وتلاوته قد شاء الله تعالى نسيان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له فان من ذلك ما يحفظه الملك الى اليوم فقد أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات الحديث وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم نسي الجميع بعد تبليغه وفي مالك عند بعض من سمعه منه عليه الصلاة والسلام فقال حتى وصل الينا بعيد وان أمكن عقلا وقيل كان صلى الله تعالى عليه وسلم يعجل بالقراءة اذا أتاه جبريل عليه السلام فقيل لا تعجل فان جبريل عليه السلام مأمور أن يقرأه عليك قراءة مكررة قال أن تحفظه ثم لا تنساه الا ما شاء الله تعالى ثم تذكره بعد النسيان وأنت تعلم أن التذكر بعد النسيان وان كان واجبا الا أن العلم به لا يستفاد من هذا المقام وقيل ان الاستثناء بمعنى النفي وهذا جار في العرف كأنه قيل لا تنسى البتة عجولة وهو لا محالة أفضل من الباقي بعد الاستثناء فكأنه قيل فلا تنسى شيئا الا نسيانا قليلا وقد جاء في صحيح البخاري وغيره أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أسقط آية في قراءته في الصلاة وكانت صلاة الفجر فلما سلم أبي أبيا نسخت فسأله عليه الصلاة والسلام فقال نسيتها ثم أنه عليه الصلاة والسلام لا يقر على نسيانه القليل أيضا بل يذكره الله تعالى أو ييسر من يذكره في الحين أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال حين سمع قراءة عباد بن بشير لقد ذكرني كذا وكذا آية في سورة كذا وكذا وقيل الاستثناء بمعنى النفي وأورد بها النفي مجازا كما في قولهم قل من يقول كذا قيل والكلام عليه من باب ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم فلول والمعنى فلا تنسى الا نسيانا معدوما وفي الحواشي العصامية على أنوار التنزيل ان الاستثناء على هذا الوجه أيد عموم النفي لا نقض عمومه وقد يقال الاستثناء من أعم الأوقات أي فلا تنسى في وقت من الأوقات الا وقت مشيئة الله تعالى نسيانك لكنه سبحانه لا يشاء هذا كما قيل في قوله تعالى في أهل الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك وقد قدمنا ذلك والى هذا ذهب الفراء فقال تعالى ما شاء أن ينسى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا الآن المقصود من الاستثناء بيان أنه تعالى لو أراد أن يعيده عليه الصلاة والسلام ناسيا لذلك لقدر عليه كما قال سبحانه ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا فقد قطع بانه تعالى ما شاء ذلك وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم الذي أشرت ليحيطن علمك مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يحرك البتة وبالجملة فالفائدة هذا الاستثناء ان يعرفه الله تعالى قدرته حتى يعلم صلى الله تعالى عليه وسلم أن عدم النسيان من فضله تعالى واحسانه لا من قوته أي حتى يتلوى ذلك جسداً أو ليعرف غيره ذلك وكأن نفي أن يشاء الله تعالى نسيانه عليه الصلاة والسلام معلوم من خارج ومنه آية لا تحرك به لسانك لتعجل به الآية وقد أشار أبو حيان الى ما قاله الفراء والى الوجه الذي قبله وأياما كان فالآية لعدم الوقوف على حقيقتها وقال لا ينبغي أن يكون ذلك في كلام الله تعالى بل والى كلام فصيح وهو مجازفة منه عفا الله تعالى عنه ثم ان المراد من نفي نسيان شيء من القرآن نفي النسيان التام المستمر فلا يقر عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كالذي نفضته الطير السابق ليس كذلك وقد ذكروا أنه عليه الصلاة والسلام لا يقر على النسيان فيما كان من أصول الشرائع والواجبات وقد يقر على ما ليس منها أو منها وهو من الآداب والسنن ونقل هذا عن الامام الرازي عليه الرحمة فليحفظ والالتفات الى الاسم الجليل على سائر الأوجه الترية الهابة والايذان بقهوران النفية على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات وربط الآية بما قبلها على الوجه الذي ذكرناه هو الذي اختاره في الارشاد وقال أبو حيان انه سبحانه لما أمره صلى الله تعالى عليه وسلم بالتسبيح وكان لا يتم الا بقراءة ما انزل عليه من القرآن وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يتحفظ في ذلك خشية أن ينسى أزال سبحانه عنه ذلك بانه عز وجل يقرئه وأنه لا ينسى إلا

Marfat.com

ماشاء أن ينسيه لمصلحة وفيه نظر لا يخفى ولو قيل ان ستقرئك استئناف واقع موقع التعليل للتسبيح أو للامر به فيفيد جلالة الاقراء وأنه مما ينبغي أن يتعلل بتركه الله تعالى واجلاله كان أهون وأخصر وأعم كونه في موقع التعليل على معنى هي نفسك للاقامة عليك بتسبيح الله تعالى لا لاستقرائك فلا تنسى الا ما شاء الله وبتضمن ذلك الاشارة إلى فضل التسبيح وقد وردت أخبار كثيرة في فضائله وقد ذكر التعالبي بعضها وذكر ابن الشيخ في حواشيه على تفسير البيضاوي والله تعالى أعلم بصحته ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ تعليل لما قبله والجهر ما ظهر قولا أو فعلا أو غيرهما وليس خاصا بالاقوال بقرينة المقابلة أي أنه تعالى يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التي من جملتها حالك وحرصك على حفظ ما يوحى اليك بأسره فيقرئك ما يقرأك ويحفظك عن نسيان ما شاء منه وينبهك ما شاء منه مراعاة لما نيط بكل من المصالح والحكم التدريجية وقيل تو كيد لجميع ما تقدمه وتوكيد لما بعده وقيل توكيد لقوله تعالى ستقرئك الخ على أن الجهر ما ظهر من الاقوال أي يعلم سبحانه جهرك بالقراءة مع جبريل عليه السلام وما وعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه الصلاح من إبقاء وانساء أو فلا تخف فاني أكفيك ما تخاف وقيل انه متعلق بقوله تعالى (سبح اسم ربك الاعلى) وهذا ليس بشيء كما ترى ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ عطف على ستقرئك كما ينبيء عنه الالتفات الى الخطابة وما بينهما اعتراض وارد لما سمعت وتعليق التيسير بهصلى الله تعالى عليه وسلم مع أن الفائض تعليقه بالامور المتعرة للعامل كما في قوله تعالى (ويسر لي أمري) للايذان بقوة تمكنه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه الصلاة والسلام جبل عليها أي نوفقك لو فقا مستمرا لطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علما وعملا واعتقادا وهداية فيندرج فيه تيسير كل طريق الوحي والاحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه الكريمة صلى الله تعالى عليه وسلم وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء فيما بعد كذا في الارشاد وقيل الراد باليسرى الطريقة التي هي أيسر وأسهل في حفظ الوحي وقيل هي الشريعة الحنيفية السهلة وقيل الامور الخمسة في أمر الدنيا والآخرة من النصر وعلو المنزلة والرفعة في الجنة وضم اليها بعض أمر الدين وهو مسح هذا العموم تعميم حسن وظاهر عليه أيضا أمر الفاء في قوله تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ أي فذكر الناس حسبما يسرناك بما يوحى اليك والعدول الى ما في نظائره من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله وقبل أي فذكر بعد ما استتب أي استقام وتهيأ لك الامر فان أريد عدم التذكير بعد ما استقام لك الامر من القرائك الوحي وتعليمك القرآن بحيث لا تنسى منه الا ما اقتضت المصلحة نسيانه وتيسيرك للطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين فذاك والا فليس بشيء وتقييد التذكير بنفع الذكرى بناء ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد ذكر وبالغ فيه فلم يدع في القوس منزعا وسلك فيه كل طريق فلم يترك مخيفا ولا مهيبا حريصا على الايمان وتوحيد الملك الديان وما كان يزيد ذلك بعض الناس الا كفرا وعنادا وكفرا وفسادا فأمر صلى الله تعالى عليه وسلم لخلقه عليه حيث كاد الحرص على إيمانهم يوجه سهام اللائمة اليه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا بأن يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بأن يكون من يذكره كلا أو بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه الكريمة في تذكير من لا يورث التذكير الا عتوا ونفورا وعنادا وفجورا من التطوع على فجورهم كما في قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله سبحانه فأعرض عمن تولى عن ذكرنا وعقبه صلى الله تعالى عليه وسلم بمن طبع على قلبه بإعلام الله تعالى إياه عليه الصلاة والسلام فهو صلى الله تعالى عليه وسلم بصدد التبليغ والقيام بالحجة

Marfat.com

لا يجب عليه تكرير التذكير على من علم أنه مطبوع على قلبه فالشرط على هذا على حقيقته وقيل انه ليس كذلك وانما هو استبعاد النفع بالنسبة الى هؤلاء المذكورين لما علم بالتصدير كأنه قيل افعل ما أمرت به لتؤجر وان لم ينتفعوا به وفيه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم ورجح الاول بأن فيه ابقاء الشرط على حقيقته مع كونه أنسب بقوله تعالى ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى﴾ أي سيذكر بذلك من من شأنه أن يخشى الله تعالى حق خشيته أو من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتذكر في أمر ما تذكره به فيقف على حقيقته فيؤمن به وقيل ان ان بمعنى اذ كما في قوله تعالى وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين أي اذ كنتم لانه سبحانه لم يخبرهم بكونهم الاعلون الا بعد إيمانهم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في زيارة أهل القبور وانا ان شاء الله تعالى بكم لاحقون وأثبت هذا للنفي الكوفيون احتجاجا بالذكر ونظائر موأجاب النافون عن ذلك بما في النفي وغيره وقيل هي بمعنى قد وقد قال بهذا النفي قطرب وقال عصام الدين المراد أن التذكير ينبغي أن يكون بما يكون معه ان التذكير ينفع الكافرين بالايمان كالايمان بالفروع كالصلاة والصوم والحج لا لانفعه بدون الايمان والمذكر المؤمن التارك للصلاة بها دون الايمان مثلا وهكذا فسكت قبل ذكر كل واحد بما ينفعه ويليق به وقال الفراء والنحاس والجرجاني والزمخشري الكلام على الاستفهام والاصل فتذكر ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر والظاهر أن الذين لا يخلون بفهوم العقائد سواء كان مفهوم الشرط أو غيره لا يشكل عليهم أمر هذه الآية فلا يحتاج ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي ويتجنب الذكرى ويتحاماها ﴿الْأَشْقَى﴾ وهو الكافر المصر على الكفر العناد ونحوه الجازم بنفي ذلك مما يقتضي الطيبة بوجه وهو أشقى أنواع الكفرة وقيل المراد به الكافر المتوغل في عداوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وقد روي أن الآية نزلت فيهما فانه أشقى من غير المتوغل وقيل المراد به الكافر مطلقا فانه أشقى من الفاسق وقيل الفضل عليه كفرة سائر الامم فانه حيث كان المؤمن من هذه الامة أسعد من مؤمنيهم كان الكافر منها أشقى من كافريهم والاوجه عندي في المراد بالاشقى ما تقدم ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ أي الطبقة السفلى من أطباق النار كما قال الفراء ولا يبعد في تفاضل نار الآخرة وكون بعض منها أكبر من بعض وأشد حرارة وقال الحسن الكبرى نار الآخرة والصغرى نار الدنيا في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعا ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وفي رواية للامام أحمد عنه مرفوعا أيضا ان هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم فضل السبعين وارد مورد التكثير وهو الظاهر ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ أي حياة تنفعه وقيل ان روح أحدهم تصير في حلقه فلا تخرج فيموت ولا ترجع الى موضعها من الجسد فيحيا وهو غير نقي عن التقييد بنحو حياة كاملة على أي حال لا يخلو من بحث وتم الزاخي في الرتبة فان هذه الحالة أفظع وأعظم من نفس العذاب وقال عصام الدين يحتمل أن يكون هذا الكلام كناية عن عدم النجاة لان النجاة عن العذاب انما يكون بالعدم في دار يموت فيها العامل ويحيا والنظم أقرب الى هذا النفي كيف والملائق بالنفي السابق ثم لا يكون مبنا فيها ولا حيا متأملا انتهى وفي كون الملائق بالنفي السابق ما ذكره دون ما في النظم الجليل منع ظاهر والظاهر أن الملائق يجمع بخشية وعاية الفواصل ولك في توجيه كون ما ذكر كناية عن عدم النجاة خفاء وقد قالت أمي بالتأمل وقد يقال ان مثل ذلك الكلام يقال لمن وقع في شدة واستمر فيها فلا يبعد أن يكون فيما اشارة الى خلوده في العذاب وأمر الزاخي الذي عليه ظاهر أيضا الظهور أن الخلود في النار الكبرى أفظع من دخولها وصليها واعلم ان عدم الموت في النار على ما صرح به غير واحد مخصوص بالكفرة وأما عصاة المؤمنين الذين يدخلونها

Marfat.com

فيموتون فيها واستدل لذلك بما أخرجه مسلم من أبي سعيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم الله تعالى اماتة حتى اذا كانوا فحما أذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على انهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم من الماء فينبتون نبات الحبة في حميل السيل قال الحافظ ابن رجب انه يدل على أن هؤلاء يموتون حقيقة والفارق أرواحهم أجسادهم وأيد بناء كيد الفعل المصدر في قوله عليه الصلاة والسلام فأماتهم الله تعالى اماتة وأظهر منه ما أخرجه البزار عن أبي هريرة مرفوعا ان آدنى أهل الجنة منزلا تصيبا قوم يخرجهم الله تعالى من النار فيرتاح لهم الرب تبارك وتعالى وذلك أنهم كانوا لا يشركون بالله تعالى شيئا فينبتون بالمراء فينبتون كما ينبت البقل حتى اذا دخلت الأرواح أجسادهم فيقولون ربنا كما أخرجتنا من النار وأرجعت الأرواح الى أجسادنا فاصرف وجوهنا عن النار فيصرف وجوههم عن النار وهذه الاماتة على ما اختاره غير واحد بعد أن يذوقوا ما يستحقونه من عذابها بحسب ذنوبهم كما يشعر به حديث مسلم وبقاؤهم فيها ميئسين الى أن يؤذن بالشفاعة لايجابه تأخير دخولهم الجنة تلك المدة كان تتمة لعقوبتهم بنوع آخر فتكون ذنوبهم قد اقتضت أن يعذبوا بالنار مدة ثم يحيوا فيها من غير عذاب مدة فهم فيما أذنب في الدنيا ذنبا فضرب وحبس بعد الضرب جزاء الذنب ولم يفوا أحياء فيها من غير عذاب كما ذكرنا لما لم يكون أبعد من أن يموتوا ثم يحيوا أو تكون الاماتة واخراج الروح من تتمة العقوبة أيضا وقال القرطبي يجوز أن تكون اماتتهم عند ادخالهم فيها ويكون ادخالهم وصرف نعيم الجنة عنهم مدة أو نعموا فيها عقوبة لهم كالحبس في السجن بالغل والقيد مثلا ويجوز أن يكونوا مماثلين حالة وتيم نحو وأم الكافر يعذبون قبل قيام الساعة ويكون ذلك أخف من تألمهم لو بقوا أحياء كما أن آلام الكافر يعذبونه في قبره أخف من آلامها أدخل النار بعد البعث وهو كما ترى وفي مطالع الأفهام يجوز أن يراد بالاماتة المذكورة في الحديث الاماتة وقد سمى الله تعالى النوم وفاة لان فيه نوعا من عدم الحس وفي الحديث الرفوع اذا أدخل الله تعالى الموحدين النار أماتهم فيها فاذا أراد سبحانه أن يخرجوا أمسى العذاب تلك الساعة التي والدول عليه ما ذكرناه أولا والله تعالى أعلم (قَدْ أَفْلَحَ) أي نجا من المكروه وظفر بما يرجوه (مَنْ تَزَكَّى) أي تطهر من الشرك بتذكره والتفاته بالفكرى وحمله على ذلك مروى عن ابن عباس وغيره وأخرج البزار وابن مردويه عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال في ذلك من شهد أن لا إله الا الله وخلع الانداد وشهد أني رسول الله واقر بعضهم أمرين فقال أي تطهر من الكفر والمعصية وعليه يجوز أن يكون مانعا من باب الاقتصار على الاهم وقيل تزكى أي تكثر من التقوى والخشية من تزكى الزرع اذا نما وقيل تطهر للصلاة وقيل أتى الزكاة وروى هذا عن أبي الاحوص وقتادة وجماعة (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ) بلسانه وقلبه لا بلسانه مع غفلة القلب لان ذلك لا ثواب فيه فلا ينبغي أن يدخل فيما يترتب عليه الفلاح والذكر القلبي باستحضار اسمه تعالى في القلب وان كان مقصودا بالاشارة الا ان ارادته بخصوصه مما ذكر خلاف الظاهر وعملا في جمع البيان عن بعض ومروى عن ابن عباس من قوله أي ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه عز وجل ظاهر فيه وفي الحكام لفظ اسم وتعقب بعض الحقيقة الى ان المراد بهذا الذكر تكبيرة الافتتاح كانه قيل وكبر للافتتاح (فَصَلَّى) أي الصلوات الخمس كما أخرجه ابن المنذر وغيره عن ابن عباس وروى ذلك في حديث مرفوع وقيل الصلاة المفروضة وما أمكن من النوافل واحتج بذلك على وجوب التكبيرة حيث ترتب الفلاح ووقع بين واجبين بل فرضين الترك من الدرك والصلاة مع أن الاحتياط في العبادات واجب

Marfat.com

فلا يضر الاحتمال وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز وجل وهو ظاهر وعلى ان التكبيرة شرط لا ركن للعطف بالفاء وعطف الكل على الجزء للعطف العام على الخاص وان جاز لا يكون بها معه لو سلم عدم تشكك فلا يد لامن نكتة ليدعى وقوعه في الكلام المعجز فليتطلب إنظيرها يصح ادعاؤه وبناء التركيبة على الاتصاف اه ومع هذا مست احتياج إلى التروى وقيل هو خصوص باسم الله الرحمن الرحيم قبل الصلاة وليس بشيء وعن علي كرم الله تعالى وجهه "زكى" أي تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه أي يوم العيد فصلى صلاة العيد وعن مجاهد من السلف ما يقتضي ظاهره ذلك وتعقب بان الصلاة مقدمة على الزكاة في القرآن والسورة مكية ولم يكن حينئذ عيد ولا مظنة ورود بان ذلك اذا ذكرت باسمها أما اذا ذكرت بضمير فتعديها غير مطرد ومنه فلا صدق ولا صلى على انه يجوز ان تكون الفائدة العادة عهنا الارشاد الى أن هذه الزكاة المقدمة قولا ينبغي تقديمها فعلا على الصلاة ولهذا كانوا يخرجونها قبل أن يصلوا العيد فيما يأتي في الآثار وكون السورة مكية غير مجمع عليه وعلى القول بمكيتها الذي هو الاصح يكون ذلك مما أخبر سبحانه عن وقوعه وأقول يجوز أن يقال تزكى أي تطهر من الشرك بان آمن بقلبه وذكر اسم ربه أي قال لا إله إلا الله فصلى أي الصلاة المفروضة وأخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس مايؤيده فيكون تزكى اشارة الى التصديق بالجنان وذكر اسم ربه الى النطق باللسان وصلى الى العمل بالأركان لما أن الصلاة عماد الدين وأفضل الاعمال البدنية وناهية عن الفحشاء والمنكر فلا بدع أن تذكر فيراد جميع الاعمال البدنية والعبادات القالبية وقد يقال اقتصر على ذكر الصلاة لان الفرائض والواجبات البدنية لم تكن تامة يوم نزول السورة وكانت الصلاة أهم ما نزل ان كان نزل غيرها وقد روى عطاء عن ابن عباس ويزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن ان أول ما نزل من القرآن بعد اقرأ باسم ربك ثم ن ثم المزمل ثم المدثر ثم تبت ثم اذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك ثم ان من وداك لا إله إلا الله محمد رسول الله وكان ذكر الله تعالى المطلوب هو مجموع الجملتين فلا بعد في أن يراد من ذكره تعالى في الآية واذا اعتبر الايمان باسمه عز وجل في الجملة الثانية على الوجه الذي أتى به ذكراً له تعالى كان أمر الارادة أقرب وهذا الوجه لا يخلو عن حسن والله تعالى قد بنا له عند الاخبار بسوء حال التجنب عن الذكر في الآخرة بتوقع السامع الاخبار بحسن حال التذكر فيها ولا يبعد أن تكون الجملة مستأنفة ابتدائية جوابا لسؤال نشأ من بيان حال التجنب والسكوت عن حال التذكر الذي يقتضي فكأنه قيل ما حال من تذكر فقيل قد أفلح الى آخره وكان الظاهر قد أفلح من تذكر الا أنه وضع من تزكى الى آخره موضع من تذكر اشارة الى بيان التذكر بما وقوله تعالى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا﴾ اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل اثر بيان ما يؤدي الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون الخ والمراد من قال انه اضراب عن قد أفلح الخ وقيل اضراب عن بيان حال التذكر والتجنب الى بيان أنه لا ينفع هذا البيان وأضرابه للمصرين على وجه يتضمن بيان سبب عدم النفع وهو إيثار الحياة الدنيا والخطاب على هذا للكفرة الاشقين من أهل مكة وعلى الاول يحتمل أن يكون لهم فالمراد بإيثار الحياة الدنيا هو الرضاء والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية ويحتمل أن يكون لجميع الناس على سبيل التغليب فالمراد بإيثارها ما هو أعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادي وعن ابن مسعود مايقتضيه الالتفات على الاول التهديد والتوبيخ وعلى الثاني لذلك في حق الكفرة والتهديد للمنافق

Marfat.com

حق لشقين وقيل للاثنتين لانه بتقدير فى وقرأ عبدالله وأبو رجا والحسن والجحدرى وأبو حيوة وابن أبى عبلة وأبو عمرو والزعفرانى وابن مقسم يؤثرون بالغيبة وقوله تعالى ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب أى تؤثرونها على الآخرة والحال أن الآخرة خير فى نفسها لما ان نعيمها مع كونه فى غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة العائقة أبدى الانصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالنقصات وانقطاعها قليل غاية الظهور ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ الاشارة على ما أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن زيد الى قوله تعالى والآخرة خير وأبقى وروى ذلك عن قتادة وقال غير واحد الاشارة الى ماذكر من قوله سبحانه قد أفلح من تزكى الخ وسيأتى ان شاء الله تعالى فى الحديث مايشهد له وقال الضحاك اشارة الى القرآن كله لا الآية كقوله تعالى وانه لفى زبر الاولين وعن ابن عباس وعكرمة والسدى اشارة الى ماتضمنته السور جميعا وقريب ﴿ لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾ أى ثابت فيها مضمونه وقرأ الاعمش وهرون وعصمة كلاهما عن أبى عمرو بسكون الحاء وكذا قريب وهى لغة تميم على ما فى الدوامع ﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ بدل من الصحف الاولى وفى ابنائها ووصفها بالقدم تنويهها وتفخيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى وكانت صحف ابراهيم عشرة وحكذا صحف موسى عليه السلام والتوراة بها ماعدا التوراة أخرج عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر عن أبى ذر قال قلت يارسول الله كم أنزل الله تعالى من كتاب قال مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قلت يارسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال أمثال كلها أيها الملك المتسلط المبتلى المغرور لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها ولو كانت من كافر وعلى العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه ويتذكر فيما صنع وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال فان فى هذه الساعة عونا لتلك الساعات واجتماما للقلوب وتقريبا لها وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه فان من حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وعلى العاقل أن يكون طالبا لثلاث مرمة لمعاش أو تزود لمعاد أو لذة فى غير محرم قلت يارسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها العجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح ولمن أيقن بالنار كيف يضحك ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن اليها ولمن أيقن بالقدر ثم يغضب ولمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل قلت يارسول الله هل أنزل عليك شىء مما فى صحف ابراهيم وموسى قال يا أبا ذر ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ والله تعالى أعلم بصحة الحديث وقرأ أبو رجاء ابرهم بحذف الالف والياء وبالهاء مفتوحا ومكسورا وعبدالرحمن بن أبى بكرة بكسرها لا غير وقرأ أبو موسى الاشعرى وابن الزبير إبراهام بالفين فى كل القرآن وقرأ مالك بن دينار ابراهم بألف وفتح الهاء وبغير ياء وجاء كما قال ابن خالويه ابرهم بضم الهاء بلا ألف ولا ياء وهذا من تصرفات العرب فى الاسماء الاعجمية فان ابراهيم على الصحيح منها وحكى الكرمانى فى العجائب أنه اسم عربى مشتق من البرهمة وهى شدة النظر ونسبه قد تقدم وكذا نسب موسى صلى الله تعالى عليهما وسلم

سورة الغاشية

مكية بلا خلاف وعدد آياتها ست وعشرون كذا الكوفى وكان على تعالى عليه وسلم كما أخرج سليم وأبو داود والنسائى

Marfat.com

وابن ماجه عن النعمان بن بشير بفرقها في الجمعة مع سورتها وبالأخبار سبحانه فيما قبل الى الزمن والكافر والجنة والنار اجمالا بسط الكلام هنا فقال عز قائلا

(بسم الله الرحمن الرحيم * هل أتاك حديث الغاشية) قيل هل بمعنى قد وهو ظاهر كلام قطرب حيث قال أي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية والخبر لك للاستفهام وهو استفهام أريد به التعجيب كما في حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بأنه من الاحاديث البديعة التي حقها أن تتناقلها الرواة ويتناقس في نقلها الوعاة وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن ميمون قال مر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على امرأة تقرأ هل أتاك حديث الغاشية فقام عليه الصلاة والسلام يستمع ويقول نعم قد جاءني والغاشية النيران كما قال سفيان والجمهور وأطلق عليها ذلك لاشتمالها الناس بشدائدها وتكتنفهم بأهوالها وقال أحمد بن كعب وابن جبير هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله سبحانه ومن فوقهم غواش وليس بذاك فان ما يرى من حديثها ليس مختصا بالنار وأهلها بل تتعلق بأحوال أهل الجنة أيضا (وجوه يومئذ) الرفوع مبتدأ وجاز الابتداء به وان كان نكرة لوقوعه في موضع التنويع وقيل لان تقدير الكلام أصحاب وجوه والخبر مابعده والظرف متعلق به والتنوين عوض عن جملة اشرت يا عاشية أي يوم اذ غشيت والجملة الى قوله تعالى مبتدئة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي كأنه قيل من جهته عليه الصلاة والسلام ما أتى حديثها ما هو فقيل وجوه الخ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يكن أتاه صلى الله تعالى عليه وسلم حديثها فأخبره سبحانه عنها فقال جل وعلا وجوه يومئذ (خاشعة) والمراد خاشعة ذليلة فوصف بالقلب ابتداء لما في وصفها بالخضوع من الاشارة الى التهكم وانها لم تخشع في وقت ينفع فيه الخضوع وكذا الحال في وصفها بالعمل في قوله سبحانه (عاملة) على ما قيل وهو وقوله تعالى (ناصبة) خبران آخران لوجوه اذ المراد اخبارها بذلك الاخبار لا أخبار آخر سواه ان شاء الله تعالى أي عاملة في ذلك اليوم نصبة فيه وتناقش النار على ما روى عن ابن عباس والحسن وابن جبير وقتادة وعملها فيها على ما قيل جر السلاسل والاغلال والخوض فيها خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها وذلك جزاء التكبر عن العمل وطاعة الله تعالى في الدنيا وعن زيد ابن اسلم أنه قال أي عاملة في الدنيا ناصبة فيها لانها على غير هدى فلا ترى لها الا النصب وخالف النار وجاء ذلك في رواية أخرى عن ابن عباس وابن جبير أيضا والظاهر أن الخضوع عند هؤلاء باق على كونه في الآخرة وعليه فيومئذ لا تعلق له بالوصفين معا بل بما تعلقا به في الدنيا ولا يخفى مافي هذا الوجه من البعد ظهور ان العمل لا يكون في الآخرة بعد تسليمه لا يجدي نفعا في دفع بعده وقال عكرمة عاملة في الدنيا ناصبة يوم القيامة والظاهر أن الخضوع على ماس ولا يخفى مافي جعل الفاظ باستقبالين واختلوا من التعبير قبل الأوصاف الثلاثة في الدنيا والكلام على منوال * إذا ما تشبهت الذئبة * أي ظهر لهم يومئذ أنها كانت خاشعة عاملة ناصبة في الدنيا من غير نفع وأما قبل ذلك اليوم فكانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعا وهؤلاء الناس من اليهود والنصارى كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس ويدخل فيهم كما قال بعض من نسك أهل الضلال وهذا الوجه أبعد من أخويه وقوله تعالى (تصلى ناراً حامية) متعلق بالخبر من حيث النار اذا اعتبر خبرها خبر آخر لوجوه وقيل خاشعة صفة لها وما بعد أخبار وقيل الأولان صفتان والاخيران خبران وقيل الثلاثة الأول صفات وعند الجملة هي الخبر

والعمل

Marfat.com

والكل كما ترى وجوز أن يكون هذا وما بعده من الجنين استئنافا مبينا لتفاصيل أحوالها وقرأ ابن كثير في رواية شبل وحميد وابن محيصن عاملة ناصبة بالنصب على الذم وقرأ أبو رجاء وابن محيصن ويعقوب وأبو عمرو وأبو بكر تصلى بضم التاء وقرأ عاصم تصلى بضم التاء وفتح الصاد مشددة للإشباعة (تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) بلغت نهاية أي غايتها في الحر في متناهية فيه قال في قوله تعالى وبين حميم آن وهو التفسير المشهور وقد روى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقال ابن زيد آني حاضر لهم من قولهم أني الشيء حضر وليس بذاك (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ) بيان لطعامهم أثر بيان شرابهم والضريع كما أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس الشبرق اليابس وهي على ما قال عكرمة شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض وقال غير واحد هو جنس من الشوك ترعاه الإبل رطبا فإذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال أبو ذؤيب

رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى ✿ وصار ضريبا بان عنه النحائص

وقال ابن غزارة المذلق يذكر إبلا ورعيه حرمي

وحين في عزم الضريع فشكلها ✿ حدباء دانية البدين حرود

وقال بعض اللغويين الضريع يبيس الشرق إذا تحطم وقال الزجاج نبت كالوبيح وقال الخليل نبت أخضر منتن الريح يرمي به البحر والظاهر أن المراد ما هو ضريع حقيقة وقيل هو شجرة نارية تشبه الضريع وأنت تعلم أنه لا يجوز أن يراد الذي اخرج من الشجر الأخضر نارا أن ينبت في النار شجر الضريع ثم يؤيد ما قيل ما حكاه في البحور الزاخرة عن البغوي عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار شبه الشوك أمر من الصبر وانتن من الجيفة وأشد حرا من النار فإن صح فذاك وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون إلى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك وعليه يحتمل أن يكون شجرا وغيره وعن الحسن وجماعة أنه الزقوم وعن ابن جبير أنه حجارة في النار وقيل هو واد في جهنم أي ليس لهم طعام إلا من ذلك الموضع وإليه هو الموضع الذي يسيل إليه صديد أهل النار وهو الغساق وعليه يكون التوفيق بين هذا الحصر والحصر في قوله تعالى ولا طعام إلا من غساق ظاهرا بأن يكون طعامهم من ذلك الوادي هو الغساق الذي يسيل إليه وكذا إذا أريد به ما قاله ابن كيسان والحد به وقد يتحد بما عليه أيضا الزقوم والمتحامد بالضريع على القول بأنه شجرة قريب وقيل في التوفيق إن الضريع مجاز أو كناية أريد به طعام مكروه حتى للإبل وغيرها من الحيوانات التي تأكل رعي الشوك فلا ينافي كونه زقوما أو غساقيا وقيل أنه أريد أن لا طعام لهم أصلا لأن الضريع ليس بطعام فيما تم فضلا عن الناس فلا يقال ليس لفلان مال إلا الفلس أي لا مال له وعليه يحمل قوله تعالى ولا طعام إلا من غساق وقوله تعالى إن شجرة الزقوم طعام الأثيم فلا مخالفة أصلا وقيل إن الغساق وهو الصديد في القدرة الأبية أن تجعله على هيئة الضريع والزقوم فطعامهم الغساق والزقوم إذا ما الضريع ولا يخفى تعسفه على الرضيع وقد يقال في التوفيق على القول بأن الثلاثة متغايرة بالذات أن الغساق ألوان والمعذبون طبقات فهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغساق ومنهم أكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم (لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ) أما في حق جرم صفة لضريع والمعنى أن طعامهم من شيء ليس من مطاعم الأنس والناعوشوك والشوك مما ترعاه الإبل وتتوقع به وصفا نوع منه لنفر عنه ولا تقربه ومتعنا الله تعالى منه وهذا إما طاعة الجوع وإفادة القوة والسمن في البدن وإن شئت قلت إنه من شيء مكروه يضرع عنده ويتضرع إلى الله تعالى ويطلب منه سبحانه الخلاص عنه وليس فيه منفعة الغذاء أصلا وأما في حق رفع صفة

Marfat.com

لطعام المقدر اذ التقدير ليس لهم طعام الا طعام من ضريع والمتبادر غير ما ذكر ولا يجوز كونه صفة للمذكور لانه يدل حينئذ على ان طعامهم منحصر في الضريع بل يدل على ان ما لا يسمن ولا يغني من طعامهم منحصر فيه ويفسد المعنى واما الاعلل له من الاعراب على أنه مستأنف والاول أظهر وروى ان كفار قريش قالوا لما سمعوا صدر الآية ان الضريع لتسمن عليه الابل فنزلت لا يسمن الخ فقال فلا يظنوا انه يأكل بل يكذبون ويتمنون بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم يأكل السمن والشبع واما أن يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو غير مسمن ولا مغن من جوع وعلى الاول هو صفة مؤكدة ردا لما زعموه لا كاشفة اذ الاشفاء وعلى الثاني هو صفة مخصصة وانما كان فتكثير الجوع للتحقير أي لا يغني من جوع ما وتأخير نفي الاغناء لمراعاة الفواصل والتوصل به الى التصريح بنفي كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفي الاسمان ضرورة استلزام نفي الاغناء عن الجوع اياه وكذلك كرر لانا كيد النفي وفي الارشاد ان نفي الامرين عنه ليس على أن لهم استعداداً للشبع والسمن الا أنه لا يفيد شيئا منهما بل على أنه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهته وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استعداد الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمناً عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرام النار في أحشائهم الى ادخال شيء كائنا ما كان يلوّحها ويخرج مائيها من اللهب وأما أن يحسكون لهم شوق الى مطعوم ما والتذاذ به عند الاكل واستفادة به عن الغير واستفادة قوة فيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرام نار عند أهل الضريع والتهابه في بطونهم الى شيء مائع يرده ليطفؤه من غير أن يكون لهم التذاذ بشربه أو استفادة قوة به في الجملة وهو الذي يدل عليه قوله تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرون الى أهل الضريع فانا أجوعه سلط عليهم العطش فاضطروا الى شرب الحميم فيشوي وجوههم ويقطع امعاءهم اعاذنا الله تعالى وسائر المسلمين من ذلك انتهى وهو خلاف الظاهر ودعوى الاولية لا يدل من الرأي وليس له فيما وقفنا عليه مستند يؤول لاجله الظواهر فالحق أن لهم جوعا وعطشا نحو ما الى الطعام والشراب كالجائع والعطشان في الدنيا نحوة اليهما لكنهما لهم هناك قد بلغا الغاية بتسليط الله تعالى عز وجل بعض سبب عادي على نحو ما في الدنيا فيضطرون لذلك الى الضريع والحميم لا يضطر من أفرط به الجوع والعطش في الدنيا الى تناول الكريه البشع من الطعوم والمشروب لكنهم لا يتناولونه بل يزدادون به عذابا فوق العذاب نسأل الله تعالى العفو والعافية عنه وكرمه وقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ شروع في رواية حديث أهل الجنة وتقديم حكاية أهل النار لان أدخل في تهويل الخاتمة وتفخيم حديثها ولان حكاية حسن حال أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار مما يزيد الفكه حسنا وبهجة والتكلام في اعرابه نظير ما تقدم وانما لم تعطف هذه الجملة على تلك الجملة ابتداء بكل تباين مضمونيهما والتحامهما النومة وان بها عن البهجة وحسن النظر أي وجوه يومئذ ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم أو من النعيم أي وجوه يومئذ متنعمة ﴿لِسَعْيِهَا﴾ أي لسعيها الذي عملته في دار الدنيا وهو متعلق بقوله تعالى ﴿رَاضِيَةٌ﴾ والتقديم للاعتناء مع رعاية الفاصلة واللام ليست للتعليل بل مثلها في رضيت بكذا فكأنه قيل راضية بسعيها وذكر بعض المحققين أنها مقوية لتعدي الوصف بنفسه ولهذا قال سفيان في ذلك كما أخرجه عنه ابن أبي حاتم رضيت عملها ورضاها به كناية أو مجاز عن أنه عمود العاقبة فجازى عليه أعظم الجزاء وأحب

Marfat.com

وقيل في الكلام مضاف مقدر أي الثواب سميا راضية وجوز كون اللام للتعليل أي لاجل سعيها في طاعة الله تعالى راضية حيث أوتيت ما أوتيت من الخير ولبس بذاك ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ مرتفعة المحل أو علية القدر والمنزلة إما حسي أو معنوي وجمع أبو حيان بينهما ﴿ لَّا تَسْمَعُ ﴾ خطاب لكل من يصلح للخطاب أو هو مسند الى ضمير الغائبة المؤنثة وهو راجع لوجوه على أن المراد بها أصحابها أو الاسناد مجازي ولذا يقال فيما قيل وأشار بعض الى أن في الآية سعة الاستخدام باعتبار الان المراد بالوجوه أو لا حقيقتها وعند ارجاع الضمير اليها ثانيا أصحابها هم الذين لا يسمعون ﴿ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ أي لغواً فهي مصدر بمعناه ويجوز كونها صفة كما تقدم على أنها للنفس أي ذات لغو وجوز على تقدير كونها صفة كون الاسناد مجازيا لان الكلام ملغوبها لا لاغية ويجوز أن تكون صفة نفس محذوفة أي لا تسمع في نفس لاغية و جملها سمعوها موصوفة بما يسمع كما تقول سمعت زيدا يقول كذا وجوز أن يكون ذلك على المجاز في الاسناد أيضا وقرأ الاعرج وأهل مكة والمدينة ونافع وابن كثير وأبو عمرو بخلاف عنهم لا تسمع بتاء التأنيث مبنيا للمفعول لاغية بالرفع وابن محيصن ويعقوب وابن كثير وأبو عمرو كذلك الا أنهم قرؤا بالياء التحتية لان التأنيث مجازي مع وجود الفاصل والجحدري كذلك الا انه نصب لاغية على معنى لا يسمع فيها أي أحد لاغية من قولك أسمعت زيدا ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ قيل يجري ماؤها ولا ينقطع وعدم الانقطاع اما من وصف العين لانها تلك الجارية فوصفها بالجريان يدل على المبالغة كما في نار حامية واما من اسم الفاعل فانه للاستمرار بقرينة المقام والتنكير للتعظيم واختار الزمخشري كونه للتكثير كالتي مضت نفس أي عيون كثيرة تجري بمائها ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ رفيعة السمك أو القدر وقيل مجلوة من رفعت الكذا أي جلوته ﴿ وَأَكْوَابٌ ﴾ وقداح لا عراها ﴿ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ أي بين أيديهم وقيل على حافات العيون وجوز ان يراد موضوعة من حد الكبار أو واسط بين الصغر والكبر كقوله تعالى قدروها تقديرا ولا يخفى بعده ﴿ وَنَمَارِقُ ﴾ ووسائد قال زهير

كهولا وشبانا حسانا وجوههم ٭ على سرر مصفوفة ونمارق

جمع نمرقة بضم النون والراء وبكسرهما وفتحهما وبضم هاء ﴿ مَّصْفُوفَةٌ ﴾ صف بعضها الى جنب بعض للاستناد اليها والاتكاء عليها وقال الكلبي وسائد موضوعة بعضها الى جنب بعض كالذي جعل صفا أينما أراد أن يجلس للؤمن جلس على واحدة واستند الى أخرى وعلى رأسه وصائف كأنهن البانوت والمرجان ﴿ وَزَرَابِيُّ ﴾ وبسط فاخرة كما قال غير واحد وقال الفراء هي الطنافس التي لها خمل رقيق وقال الراغب أنها في الاصل ثياب الخز منسوبة الى موضع ثم استعيرت للبسط واحدها زربية بكسر الزاي ولم يفرق في الصحاح بين الزرابي والنمارق والظاهر الفرق نعم قيل قد جاء تفرق بعض الزرابي ومنه

نحن بنات طارق ٭ نمشي على النمارق

لظهور أن الوسائد لا يمشي عليها عادة ﴿ مَّبْثُوثَةٌ ﴾ منبسطة أو مفرقة في المجالس ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره وأخرج عبد بن حميد وغيره عن قتادة قال لما نعت الله تعالى ما في الجنة عجب من ذلك أهل الضلالة فانزل سبحانه وتعالى أفلا ينظرون الخ ويرجع هذا في الآخرة الى انكار البعث كما لا يخفى والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر

Marfat.com

بمقتضى المقام وكلة كيف منصوبة بما بعدها على أنها حال من مرفوع خلقت كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله مسلقة افعل النظر والجملة بدل اشتمال من الابل وقد ابدل الجملة وفيها الاستفهام من الاسم الذي قبلها لذوقهم عرفت زيدا أبو من هو على أصح الاقوال على ان العرب قد ادخلت الى على كيف بلا واسطة ابدال كما أدخلت عليها على طريق منهم انهم قالوا انظر الى كيف يصنع كما حكى عنهم انهم قالوا على كيف تبيع الاخرين وذكر أبو حيان في البحر والتذكرة وغيرها أنه اذا عاق الفعل عما فيه الاستفهام إبقى الاستفهام على حقيقته وقيل كيف بدل من الابل وتبعه في التبيان بما في بعضه نظر وجوز في جميع البيان كونها في موضع نصب على المصدر وهو كما ترى والابل يقع على البعران الكثيرة ولا واحد له من لفظه وهو مؤنث ولذا اذا صغر دخلته التاء فقالوا أبيلة وقالوا في الجمع آبال وقد اشتقوا من لفظه فقالوا أبل وقال الرجل وتأبلوا به من هذا الفعل على غير قياس فقالوا ما أبل زيدا ولم يحفظ سيبويه فيما قيل فيها جاء على فعل بكسر الفاء والعين غير إبل أي أيشكرون ما أشير اليه من البعث وأحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التي هي أعجب أعيانهم يستدلون بها على حين كيف خلقت خلقا بديعا ممدولا به من سائر خلق أعظم أنواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيأتها الدالة بتأتي ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنهوض بالاوقار الثقيلة وهي بارکة وإبصالها الاثقال العادية الى الاقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش حتى ان غبها إبلاغ الصدر بكسر فسكون وهو ثمانية أيام بين الوردين وربما يجوز ذلك وتسمى حينئذ الطوازي بالطاء المهملة والزاي وأكثفائها بالسير وربيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحمل كالسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيف يشاء ويقتادها بخطارها في صغير وكبير وفي تأثرها بالصوت الحسن على غاظ أكبادها الى غير ذلك وخصت بالذكر لانها أعجب ما عند العرب من الحيوانات التي هي أشرف الركبات وأكثرها صنا وهم على أحوالها أتم وقوف ومن الحسن أنها خصت بالذكر لانها أكثر النوى والتات وتخرج الان وقيل له الابل أعظم في الاعجوبة فان العرب بعيد العهد بالفيل ثم هو حتزير لا يؤكل لحمه ولا يركب ظهره أي على نحو ما يركب ظهر البعير من غير مشقة في تربيضه ولا يحلب درة وقال أبو العباس المبرد الابل هنا السحاب لان العرب قد تسميها بذلك اذا أتى رسالا كالابل وتزجى كما تزجى الابل وهي في هيأتها اعجبا لشبه الابل بتى ان ارادته منها هنا على طريق التشبيه والمجاز وكأنه كما قال الزمخشري لم يدع القائل بذلك الاطلب المناسبة بين المتعاطفات على ما يقتضيه قانون البلاغة وهي حاصلة مع بقاء الابل في معناها قال الامام المناسب فيما بين السحاب مع العرب وهم أهل أسفار على الابل في البراري فربما انفردوا فيها والمنفرد يتفكر لعدم رفيق يحادثه وشاغل يشغله فيتفكر فيما يقع عليه طرفه فاذا نظر ما معه رأى الابل واذا نظر ما فوقه رأى السماء واذا نظر يمينا وشمالا رأى الجبال واذا نظر لاسفل رأى الارض فأمر بالنظر في خلوته لما يتأتى به النظر من هذه الامور فيبنيها مناسبة يستفاد الاعتبار وقال عصام الدين ان جبال العرب جامع بين الاربعة لان عالم النفس الابل ومدار السقي لهم على السماء ومرعيهم في الارض ومحافظ عالمهم بالجبال وما ألطف ذكر الابل بعد ذكر الفرش فان خطوبها بعده على طرف الثمام والناصح مارووي من كلام قريش منذ نزول تلك الآيات فان ذكرها ألطف وألطف وقرأ الاعمش عن أبي عمرو الى الابل بسكون الباء وقرأ على كرم الله تعالى وجهه وابن عباس رضي الله تعالى عنهما ابل بتشديد اللام وروبت عن أبي عمرو وأبي جعفر والكسائي وقالوا انها السحاب عن قوم من أهل البادية

Marfat.com

(وَإِلَى السَّمَاءِ) التي يعاينونها كلا يوما (كَيْفَ رُفِعَتْ) رفعا بعيد المدى بلا عماد ولا امساك بحيث لا يناله التوهم والادراك (وإِلَى الْجِبَالِ) التي يشاهدون في أسفارهم ويتقلبون بالتياها وأشجارها (كَيْفَ نُصِبَتْ) ونصبت نصبا ثابتا يتأتى معه ارتفاؤها فلا تميل ولا تميد ويمكن الرقي الى ذراها (وإِلَى الأَرْضِ) التي يضربون فيها ويتقلبون عليها (كَيْفَ سُطِحَتْ) سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح أمور أهلها ولا يناسبه ذلك القول بأنها قرية من الكرة الحقيقية لسكان عظيمها وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه وأبو حيوة وابن أبي عبلة خلقت رفعت نصبت سطحت بناء التكلم مبنيا للفاعل والقصور ضمير محذوف وهو العائد الى المبدل منه بدل اشتمال أي خلقتها وقرأ الحسن وهرون الرشيد سطحت بتشديد الطاء والتي أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة ويجوز أن يحمل النظر على الابصار ويكون فيه دعوى ظهور المطلوب بحيث يظهر بمجرد أبصار هذه المخلوقات وهو خلاف الظاهر والفاء في قوله تعالى (فَذَكِّرْ) لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبيء عنه الانكار السابق من عدم النظر أي فاقتصر على التذكير ولا تبلغ عليهم ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ) تعليل للامر وقوله سبحانه (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار أي لست بمتسلط عليهم لتجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار وقرأ الجمهور بمصيطر بالصاد وكسر الطاء والاصل السين والصاد بدل منه فانه من السطر بمعنى التسلط يقال سطر عليه اذا تسلط وقرأ حمزة في رواية بالتمام الصاد زايا وهرون بفتح الطاء وهي لغة تميم وبمسيطر مشد عندهم ويدل عليه فلولم تسيطر لمكان الطاوعة وقوله تعالى (إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ) قيل استثناء منقطع والاظهر بمعنى لكن ومن موصولة مبتدأ وما بعدها صلة والعائد الضمير المستتر فيه وقوله سبحانه (فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ) خبر المبتدا والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط نحو الذي يأتيني فله درهم وجعل من شرطية يعده وجود الفاء فيما يصلح لجوابيتها بدونها والتقدير فهو يعذبه تكلف مستغنى عنه وأيا ما كان ففي التقطع ما يقع بعده الآتية جلة أي لكن من أعرض وأقام على الكفر منهم يعذبه الله تعالى العذاب الاكبر وهذا عذاب الآخرة في النار فانه الاكبر وعذاب الدنيا بالنسبة اليه أصغر وجعل الزمخشري الاتقطاع على معنى لست بمتول عليهم لكن من تولى وكفر منهم فان الله تعالى الوالية عليه والقهر فيعذبه في نار جهنم ولم يحمل على ما قبل متصلا لانه يلزم عليه كونه صلى الله تعالى عليه وسلم متوليا على من تولى وقد حصرت الوالية فيه تعالى وجوز اتصاله بأن يكون من ضمير عليهم فيكون من في محل جر تابعا له وتسلطه صلى الله تعالى عليه وسلم على المتولي باعتبار جهاده وقتله الذي وعد به عليه الصلاة والسلام ولا ينافي حصر الوالية به تعالى لانه بأمره عز وجل فكأنه قيل لست عليهم بمسيطر الا على من تولى وأقام على الكفر فانك تتسلط عليه بما يؤذن لك من جهاده وقتله وسبيه وأسره وبعد ذلك يعذبه الله تعالى في جهنم فيكون في الآية اخبار بعلم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة وجوز أن يكون ابتداء بالجهاد فقط على أن المراد بالعذاب الاكبر القتل وسبي النساء والاولاد وسائر ما يترتب على الجهاد من البلايا فيكون فيها اشارة الى أن هذه الامة أكثر عذابهم في الدنيا ذلك لانا نجد في الامم السابقة من الخسف والمسخ ونحوهما وأليم فيعذبه الخ مقام فتكون عليه

Marfat.com

مشعرا ايذانا بأن ذلك من قبله عز وجل حتى لا يشرك صلى الله تعالى عليه وسلم لادخال له فيه وقال عصام الدين في كون الاستثناء منقطعا اشكال لان المستثنى المنقطع هو المذكور بعدا لا يخرج عن متعدد فيه لعدم دخوله فيه مخالف له في الحكم وليس من تولى وكفر خارجا عن قوله تعالى عليهم ليس حكمهم مخالفا له ثم أجاب بان الاستثناء المنقطع قد يكون لدفع توهم ناشئ مما سبق من انه يخالف المستثنى منه في الحكم فالواجب ذكر حكم له ليعلم انه ليس حكمه مخالفا لحكم المستثنى منه فكأنه ههنا لدفع توهم التعذيب فتأمل وجوز كون الاستثناء متصلا من قوله تعالى فذكر ومن موصولة لا لغير والراد بالعذاب استحقاق العذاب أي فذكر الا من القطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وقوله انا أنت تابع على هذا اعتراض ورجح الانقطاع بان ابن عباس وزيدين علي وقتادة وزيد بن أسلم قرؤا الا حرف تنبيه واستفتاح وقوله تعالى ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ تعليل لتعذيبه تعالى اياهم بالعذاب الاكبر وإياب مصدر آب أي رجع أي ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى أحد سوانا لاستقلالا ولا اشتراكا ووجع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما أن افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرأ أبو جعفر وشيبة إيابهم بتشديد الياء قال البطليوسي في كتاب المثلث هذه القراءة تحتمل تأويلين أحدهما أن يكون إياب بالتشديد فعالا من أوب على زنة فعل كالكتاب فاصله أواب فلما ياء بعد الواو الاولى ساكنا جعلت الواو ياء لسكونها قبل الياء وادغمت الياء في الياء وكسرت الواو لانكسار الهمزة فصار في التقدير أويابا ثم قلبت الواو الاولى ياء أيضا لاجتماع ياء وواو وسكون احداهما وان الواو الاولى اذا لم تمتنع من القلب الى الياء فهي أجدر بالانقلاب والثاني أن يكون فيعالا وأصله إيواب فاعل الفعال سيد وفعله على هذا أيب على وزن فيعل كحيوفل حيفلا من الاياب وأصله ايوب فاعل كما ذكرنا والوجه الاول اقيس لانهم قالوا في مصدره التاويب والتفعيل مصدر فعل لا فيعل ومع ذلك فقد قالوا هو سريع الاوبة والاية فكلامهم آثروا الياء لخفة الشيء وقد ذكر محققو النحويين الزمخشري الا انه في الاول منهما يجوز أن يكون أصله أواب فعالا من أوب ثم قلب ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل بأصل سيد وظاهره أن الواو الاولى هي التي قلبت أولا ياء واعترض بان الظرر أن الواو الاولى اذا كانت موضوعة على الادغام وجاء ما قبلها مكسورا انقلب ياء لاجل الكسر كما في الخروط مصدر الخروط وان ديوانا فان مذكور فالقياس عليه لا تغيير لا يصلح لذلك الحمل على شذوذه وكأن البطليوسي عدل الى ما عدل لذلك وفي الكشف لو جعل مصدر فاعل من الاوب فقد جاء فيه فيعال حتى قال بعضهم ان فعالا مخفف منه لكان أظهر لان فيعالا لا يثبت الا بثبت والاول كالقياس ومعنى الغاية حينئذ لما المبالغة ولما سابقة بعضهم بعضا في الاوب وأما جعله فعالا على ما قرر الزمخشري فابعد الى آخر كلامه وكونه من فاعل جوزه ابن عطية أيضا لكنه قال ويصح ان يكون من أوب فيجيء إيوابا سهلت همزته وكان اللازم في الادغام يردها واوا لكن استحسنت فيه الياء على غير قياس فاعترضه أبو حيان بان قوله وكان اللازم الخ ليس بصحيح بل اللازم اذا اعتبر الادغام ان يكون ايابا لانه قد اجتمعت ياء هي البدائن المدة بالتسهيل وواو وهي بين الكلمة واحداهما ساكنة فتقلب الواو ياء وتدغم فيها الياء فيصير ايابا فلا تغفل ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ في الحذر الاعلى غير لتوهم التراخي الرتبي لا الزماني فان الترتيب الزماني بين إيابهم وحسابهم لا يبن كون إيابهم الينا تعالى وحسابهم عليه سبحانه فانهما أمران مستمران وفي تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها والاتيان بضمير العظمة وعطف الثانية على الاولى بثم الفيدة لبعد منزلة الحساب في الشدة من الاياب من غاية البسط الموجب للتعذيب العذاب مالا يخفى وفي الآية رد على كثير من الشيعة حيث زعموا ان حساب الخلائق على الامير

Marfat.com

كرم الله تعالى وجهه واستدلوا على ذلك بما افتروه عليه وعلى أهل بيته رضي الله تعالى عنهم أجمعين من الاخبار ومعنى قوله كرم الله تعالى وجهه أنا قسيم الجنة والنار ان صح أن الناس من هذه الامة فريقان فريق سمي فهم على هدى وفريق على فهم على ضلال فقسم سمي في الجنة وقسم في النار ولعلهم عنوا أن عليا كرم الله تعالى وجهه يحاسب الخلائق بأمره عز وجل كما يقول فيرهم بان الملائكة عليهم السلام يحاسبونهم بأمره جل وعلا وهو معنى لا ينافي الحصر الذي تقتضيه الآية لكنه إن ثبت وأبى خصومه في الامر كرم الله تعالى وجهه من بين جميع الانبياء والرسل والملائكة المقربين عليهم الصلاة والسلام أجمعين تقتضيه ولا نقص له كرم الله تعالى وجهه في ذلك منه ويكفيه رضي الله تعالى عنه من ظهور شرفه يوم القيامة انه يزف الى الجنة بين النبي وابراهيم عليهما وعليه الصلاة والسلام كما جاء في الحديث الى غير ذلك مما يظهر في ذلك اليوم والله تعالى أعلم

سورة الفجر

مكية في قول الجمهور وقال علي بن أبي طلحة مدنية وآيها اثنتان وثلاثون وثلاثون آية في الحجازي وثلاثون في الكوفي والشامي وتسع وعشرون في البصري ولما ذكر سبحانه فيما قبلها وجوه يومئذ ناعمة ووجوه يومئذ باسرة أتبعه تعالى بذكر الطوائف المكذبين من التجبرين الذين وجوههم خاشعة وأشار جل شأنه الى الصنف الآخر الذين وجوههم ناعمة بقوله سبحانه فيما يأتي النفس المطمئنة وأيضا فيها مما يتعلق بامر الغائبة مافيها وقال الجلال السيوطي لم يظهر لي في وجه ارتباطها سوى ان أولها كالاقسام على عمة ماختم به السورة التي قبلها أو على ماتضمنته من الوعد والوعيد هذا مع ان جملة أم تر كيف فعل ربك مع غاية جلية أفلا ينظرون وهو كما ترى

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَالْفَجْرِ ﴾ أقسم سبحانه بالفجر كما أقسم عز وجل بالصبح في قوله تعالى والصبح اذا تنفس فالمراد بالفجر المعروف كما روى عن علي كرم الله تعالى وجهه وابن عباس وابن الزبير وغيرهم رضي الله تعالى عنهم وقيل المراد صلاته وضوءه للمتهد واصله شق الشيء شقا واسما وسمي الصبح فجرا لكونه فاجرا قيل وهو كاذب لايتعلق به حكم الصوم والصلاة وصادق به يتعلق حكمهما وقد تكلموا في سبب ما يطول وتقدم بعض منه واعل المراد بعضا الصادق فهو أحرى بالقسم به والمراد عند كثير جنس الفجر لا فجر يوم مخصوص وعن ابن عباس ومجاهد فجر يوم النحر وعن عكرمة فجر يوم الجمعة وعن الضحاك فجر ذي الحجة وعن مقاتل فجر ليلة جمع وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي في الشعب عن ابن عباس انه قال هو فجر المحرم فجر السنة وروي نحوه عن قتادة وعن الحسن أيضا وابن الزبير أخرج ابن جرير عنه أيضا أنه قال يعني صلاة الفجر وروي نحوه عن زيد بن أسلم فهو اما على تقدير مضاف أو على اطلاقه على الصلاة مجازا وهو شائع وقيل المراد فجر النهر من الصخور وغيرها ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ هن العشر الأول من الأضحى كما أخرجه الحاكم وصححه وجماعة على ابن عباس وروي عن ابن الزبير ومسروق ومجاهد وقتادة وعكرمة وغيرهم وأخرج ذلك أحمد والنسائي والحاكم وصححه والبزار وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن جابر رفعه ولفظ من العشر ماله وقد أخرج أحمد والبخاري عن ابن عباس مرفوعا ماعن أيام فيهن العمل أحب الى الله عز وجل وأفضل من أيام العشر قيل يارسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل جاهد في سبيل الله بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء وأخرج ابن المنذر وابن أبي

Marfat.com

حاتم عن ابن عباس أنهن العشر الأواخر من رمضان وروى أيضاً عن الضحاك بل زعم التبريزي الاتفاق على أنهن هذه العشر وليه لم يخالف فيه أحد واستدل له بعضهم بالحديث المتفق على صحته قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل العشر يعني العشر الأواخر من رمضان شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله وتفيه بعضهم بان ذلك يحتمل لان يحمل عليه الصلاة والسلام بليلة القدر لانها فيها لا لكونها العشر المرادة هنا وعن ابن جريج أنهن العشر الأول من رمضان وعن يمان وجماعة أنهن العشر الاولى من المحرم وفيها يوم عاشوراء وقد ورد في فضله ما ورد أخرج الشيخان وغيرهما من ابن عباس قال قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقال عليه الصلاة والسلام ما هذا اليوم الذي تصومونه قالوا هذا يوم عظيم أنجى الله تعالى فيه موسى وأغرق آل فرعون فيه فصامه موسى عليه السلام شكرا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنحن أحق بموسى منكم فصامه صلى الله تعالى عليه وسلم وأمر بصيامه وصح في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام أرسل غداة عاشوراء الى قرى الأنصار التي حول المدينة من كان أصبح صائما فليتم يومه ومن كان أصبح مفطرا فليصم بقية يومه فكان الصحابة بعد ذلك يصومونه ويصومون صبيانهم الصغار ويذهبون بهم الى المسجد ويجعلون لهم اللعبة من العهن فاذا بكى أحدهم على الطعام أعطوه اياها حتى يكون الافطار وأخرج أحمد وغيره عن ابن عباز قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود وصوموا قبله يوماً وبعده يوما وجاء في الأمر بالتوسعة فيه على العيال عدة أحاديث ضعيفة لكن قال البيهقي هي وان كانت ضعيفة اذا ضم بعضها الى بعض أحدث قوة وأيدا كان فتذكرها التعظيم وقيل التبعيض لانها بعض ليالي السنة أو الشهر والتعظيم أولى قيل ولولا قصد ما ذكر كان الظاهر تعريفها كأخواتها لانها ليال معهودة معينة وقدر بعضهم على ارادة صلاة الفجر فيها مر مضافا هنا أي وعبادة ليال ويقال نحوه فيما بعد على بعض الأقوال فيه وليس بلازم ولا أثر فيه وقرأ ابن عباس بالاضافة فضبطه بعضهم وليال عشر بلام دون تاء وبعضهم وليالي عشر بالياء وهو القياس والمراد وليالي أيام عشر فحذف الموصوف وهو المعدود وفي مثل ذلك يجوز التاء وتركها في العدد ومنه وأتبعه بست من شوال وما هنا الكسائي صمنا من الشهر خمسا والراجح الترك هنا وقوله فاسئة وجوز أن تكون الاضافة بيانية وهو خلاف الظاهر ﴿ والشفع والوتر ﴾ هما على ما في حديث جابر المرفوع الذي أشرنا اليه فيما تقدم يوم النحر ويوم عرفة وقال الطيبي روينا من الامام أحمد والترمذي عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر فقال الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر ثم قال هذا هو التفسير الذي لا تعبد عنه انتهى وقد رواه عن عمران أيضا عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي حاتم وصححه لكن في البحر ان حديث جابر اصح اسنادا من حديث عمران بن حصين ورواه ذلك أقوال كثيرة فأخرج عبد بن حميد عن الحسن انه قال اقسم ربنا بالعدد كله منه الشفع ومنه الوتر واخرج عبد الرزاق عن مجاهد انه قال الخلق كله شفع ووتر فاقسم سبحانه بخلقه واخرج ابن المنذر وجماعة عنه انه قال الله تعالى الوتر وخلقه سبحانه الشفع الذكر والانثى وروى نحوه عن ابي صالح ومسروق وقرأ ومن كل شيء خلقنا زوجين وقيل المراد شفع تلك الليالي ووترها وقيل الشفع ايام عاد والوتر ليالينا وقيل الشفع ابواب الجنة والوتر ابواب النار وقيل غير ذلك وقد ذكرني كتاب التحرير والتحبير ما قيل فيهما ستة وثلاثين قولا وفي الكشاف قد اكثروا في الشفع والوتر حتى قالوا يسئلونني عن اشياء ما يعلمون فيه وذلك لقلة الطائل تحت

بالتفصي

Marfat.com

بالنهي عنه وقال بعض الافاضل لا اشعار لفظ الشفع والوتر بتخصيص شيء مما ذكر وموافيته بل هو اما يدل على معنى كلي متناول لذلك ولغيره من قسرهما بما فسرهما لم يدع الانحصار فيما فسر به بل افرده بالذكر من أنواع مدلولها مما رآه أظهر دلالة على التوحيد أو معه خلا في الدين أو مناسبة لما قبل أو لما بعد أو أكثر متعلقة بموجبة الشكر أو نحو ذلك من النكات والله تعالى أعلم ثبت من الشارع عليه الصلاة والسلام تفسيرهما ببعض الوجوه فالظاهر أنه ليس مبنياً على تخصيص المدلول بل وارد على طريق التمثيل لما رأى في تخصيصه بالذكر فائدة معتداً بها فحينئذ يجوز للمفسر أن يحمل اللفظ على بعض آخر من محتملاته لفائدة أخرى تبتغى وهو مما يميل اليه أن أل فيهما للجنس لا كما يدعيه والظاهر أن ما تقدم بين الحديثين من باب القطع بالتعيين دون التنزيل لكن يشكل أمر التوفيق بينهما حينئذ والراجح ما قال في البحر كان الدول عليه حديث جابر رضي الله تعالى عنه والله تعالى أعلم بحقيقة الحال وقرأ حمزة والكسائي والاعمش عن ابن عباس وابو رجاء وابن وثاب وقتادة وطلحة والاعمش والحسن بخلاف عنه والوتر بكسر الواو وهي لغة تميم والجمهور على فتحها وهي لغة قريش وهما لغتان كالظنين والظنين بمعنى العالم على ما قال صاحب القاموس والوتر للفرد والشفع والوتر بمعنى الثأر أي الحقد فالكسر هو المدعو وحده والاصمعي حكى فيه أيضا اللغتين وقرأ يونس عن أبي عمرو بفتح الواو وكسر التاء وهو لغة أو نقل حركة الواو في الوقف فيما (والليل إذا يسر) أي يمضي كقوله تعالى والليل اذا ادبر والليل الغاسق والظاهر أنه مجاز مرسل أو استعارة ووجه الشبه كالنهار واذا على ما صرح به العلامة التفتازاني في تلويح بدل من الليل وخبرها من الظرفية مما لا يأباه أو ظرف متعلق بمضاف مقدر وهو السطة على ما اختاره بعضهم والاقسام بذلك الوقت أو تقييد السطة به لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة أو يسرى فيه على ما نقل أبو حيان عن الاخفش وابن قتيبة كقولهم صلى الظلام أي صلى فيه على انه لمجرد في الاسناد باسناد ما للذي هو الزمان كما يستعمل مكان وأيما كان فالمراد بالليل جنسه وقال مجاهد وعكرمة والكلبي المراد به ليلة النحر وهي يسرى الحاج فيها الى المزدلفة بعد الافاضة من عرفات وليس بذاك والاقسام والتقييد على الوجه الاخير لما في التعبير في الليل من نسمة الحط من خبر الدنس وشر قطاع الطريق غالبا وحذفت الياء عند الجمهور وصلا ووقفا من آخر يسر مع أنها لام مضارع غير مجزوم اكتفاء عنها بالكسرة للتخفيف والتوافق وزوى الآي والد ورسمت كذلك في المصاحف ولا ينبغي أن يقال انها حذفت لسقوطها في خطها فانه يقتضي أن القراءة بالمتباع الرسم دون رواية سابقة عليه وهو غير صحيح وعن نافع وأبو عمرو في رواية هذا الحذف بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذف مطلقا ابن كثير ويعقوب وفي تفسير البغوي عن الاخفش عن علة سقوط الياء يسر فعل الليل لا يسرى ولكن يسرى فيه وهو تعليل كثيراً ما يستشكل عنه طلبته والجواب أنه أراد انه استعمل في الظاهر في المعنى وغيرها كان حقه معنى غير لفظه لان المعنى يجر جنسه لا العكس ◆ ان الظهور في أنفس اللفظ ◆ وهذا كما قيل في قوله تعالى ما كانت أمك بغيا لما استعملت بغيا استعمل عن بائعة أسقطت منه التاء ولم يلتفت بغية ومثله من بدائع اللغة العربية ويمكن التمثيل بنحوه على تفسير يسر بيمضي لما فيه من العدول عن الظاهر في المعنى أيضا علمت من أنه مجاز في ذلك وقرأ أبو الدينار الاعرابي والعجاج والوتر ويسر بالتنوين في الثلاثة قال ابن خالويه هذا كما روى عن بعض العرب أنه وقف على أواخر القوافي بالتنوين وان كانت أفعالا أو فيها أل نحو قوله

أفي اللوم عاذل والعتاب ◆ وقولي ان أصبت لقد أصابن

Marfat.com

انتهى وهذا كما قال أبو حيان ذكره النحويون في النوافي المطلقة يعني الحركة اذا لم يترنم القارىء وهي أحد وجهين للعرب اذا لم يترنموا والوجه الآخر الوقف فيقولون الضارب وأضارب كما تقدم اذا وقفوا على الكلمة في الشعر وهذا الاخير أجرى الفواصل مجرى الوقف وعاملها معاملة القوافي المطلقة ويسمى هذا التنوين تنوين الترنم ولا اختصاص له بالاسم ويجلب على غلق أنه قيل يكتب نونا بخلاف أقسام التنوين المختصة بالاسم وقوله تعالى ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾ الخ تحقيق وتقرير للحالة المذكورة القسم بها وكونها مستحقة لان تعظم بالاقسام بها فيه دل على تعظيم المقسم عليه وتأكيده من طريق الكناية فذلك بالاشارة الى القسم به وما فيه من معنى اليمين لزيادة تعظيمه أي هل فيما ذكر من الاشياء ﴿قَسَمٌ﴾ أي مقسم به ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾ أي هل يحق عنده ان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق أن الكل كذلك وانما أوثرت هذه الطريقة عليها للحق وايقانا بظهور الامر وهذا كما يقول المتكلم بعد ذكر دليل واضح الدلالة على مدعاه هل دل هذا على ما قلناه وجوز ان يكون التحقيق ان ذوي الحجر يؤكدون بمثل ذلك القسم عليه فيدل ايضا على تعظيمه وتأكيده فذلك اشارة الى الصغرى التي هي الاقسام هل في القسم بتلك الاشياء قسم حجر مقبول عنده يعتد به ويمثل مثله ويؤكد به القسم عليه وحاصل الوجهين فيما يرجع الى تأكيد القسم عليه واحد الا أن الوجه مختلف لا يتحقق واصل الاول أظهر والحجر العقل لانه يحجر صاحبه أي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان كاملا لنفسه ضابطا لها والقسم عليه محذوف وهو لمعذبن كما يفيده قوله تعالى شأنه ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ الخ فانه استشهاد بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم بما يدل عليه من تعذيب عاد وأضرابهم المذكورين لقومه عليه الصلاة والسلام في الطغيان والفساد على طريقة ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الآية وقوله سبحانه ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وقال أبو حيان الذي يظهر انه محذوف يدل عليه ما قبله من آخر سورة الغاشية وهو قوله تعالى ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ والتقدير فان اليأس اياهم الينا وحسابهم علينا وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قرأ والفجر الى قوله سبحانه اذا يسر فقال هذا قسم على أن ربك لبالمرصاد والى انه هو المقسم عليه ذهب ابن الانباري وعن مقاتل أنه حل في ذلك الخ وحل يعني ان وهو باطل رواية ودراية اذ يبقى عليه قسم بلا مقسم عليه والمراد بعاد أولاد عاد بن عاص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم هاشما واطلاق الاب على نسله مجاز شائع حتى أطلق بعضه بالحقيقة وقد قيل الاولى عاد الاولى والاولى عاد الآخرة قال عماد الدين بن كثير فما ورد في القرآن خبر عاد فالمراد بعاد فيه عاد الاولى الا ما في سورة الاحقاف ويقال لهم أيضا ارم نسبة لهم باسم جدهم والتسمية بالجد كثيرة أيضا وهو اسم خاص بالاولى وعليه قول ابن الرقيات

عجبا تليداً بناه أوله ✽ أدركه طارفيها الرمما

ونحوه قول زهير

وأخرين ترى الساعي عشيتهم ✽ من نسج داود أو مما أورثت إرما

فقوله تعالى ﴿إِرَمَ﴾ عطف بيان اما للاخيرين بانهم عاد الاولى وجوز ان يكون بدلا ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث باعتبار القبيلة وصرف عاد باعتبار الحي وقد يمنع من الصرف باعتبار القبيلة أيضا وقرأ الضحاك بذلك في احدى الروايتين عنه ورجح اعتبار الصرف فيه بحلت السكون وسعه وقدر بعضهم مضافا

Marfat.com

في الكلام أي سبط أرم وجبل ارم عليه اسم أبيهم وهو قول فيه حكاه في القاموس ووجه منع الصرف فيه ظاهر وأبي بعضهم الا جبله اسم جدهم ومعنى كونهم سبطه أنهم ولد ولده ولا يظهر على هذا علة منع صرفه ولعل ذلك هو الذي دعا الى جعله اسم أبيهم لكن رأيت في تعليقات بعض الافاضل على الحواشي السعدية على تفسير البيضاوي ان ارم اذا منع من الصرف سواء كان ابا القبيلة أم لجده العلمية والتأنيث وقال انها موجودتان في عاد أيضا الا انه لكونه ثلاثيا ساكن الوسط يجوز فيه الامران الصرف وعدمه وزعم أن هذا هو الحق ويكونه اسم القبيلة قال مجاهد وقتادة وابن اسحق والاحاجة معه الى تقدير مضاف فقوله تعالى ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ صفة للارم نفسها والمراد ذات القصور الطوال على لغتهم الاحدث منه قومهم رجل مسدد وصمدان اذا كان طويلا وروى هذا عن ابن عباس ومجاهد واشتهر انه كان قد احدهم اتى عشر ذراعا واكثر وفي تفسير الكواشي قالوا كان طول الطويل منهم اربعمائة ذراع وكان احدهم يأخذ الصخرة العظيمة فيلقيها على الحي فيهلكهم وعن قتادة وابن عباس في رواية عطاء المراد ذات الطول والاعمدة وكانوا سيارة في الربيع فاذا هاج النبت رجعوا الى منازلهم وقال غير واحد كانوا يدورون بأهل عمد وخيام يسكنونها حلالا وارتحالا وقيل المراد ذات الرفعة أو ذات الوقار أو ذات الثبات وطول العمر والكل على الاستعارة وقوله تعالى ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ صفة أخرى لها أي لم يخلق مثلهم في عظم الاجرام والقوة في بلاد الدنيا قد سمعت ما نقل من الكواشي آنفا وما ذكر فيه من انه كان أحدهم الخ جاء في حديث مرفوع أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن المقدام بن معد يكرب وقيل ارم اسم مدينة علم قال محمد بن كعب هي الاسكندرية وقال ابن السايب والفراء هي دمشق وقيل اسم ارضهم وهي بين عمان وحضر موت وهي ارض رمال واحقاف فقد قال سبحانه وتعالى واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وبهذا اعترض القول بان مدينتهم الاسكندرية والقول بانها دمشق حيث انهما ليستا من بلاد الاحقاف والرمال الا ان يقال ملكا عاد الاولى وما في آية الاحقاف عاد الاخرة ويلتزم عدم اتحاد منازلهما وعلى القول بكونه اسم مدينتهم أو اسم ارضهم فهو بتقدير مضاف لتصحيح التبعية أي أهل ارم وقيل بتقدير مضاف في جانب التبوع أي بمدينة أو بارض عاد ارم وهو كما ترى ومنع الصرف على الوجهين لما سمعت والاكثرون على انها اسم مدينة عظيمة في أرض اليمن والوصفان لها والمراد ذات البناء الرفيع أو ذات الاساطين التي لم يخلق مثلها سمة وحسن بيوت وساكنين في بلاد الدنيا وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبني مثلها فبنى إرم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار المطردة وانما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته فلما كان منها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحملها قدر عليه مما ثم وضع خبره مادية فاستحضره فقص عليه قصته الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل وخبر شداد لقد كرر أعوه في الضلب بل لم تصح روايته كما ذكره الحافظ ابن حجر فهو موضوع نكرر ابن قلابة وروى عن مجاهد أن ارم مصدر أرم يأرم اذا هلك فارم منصوب على تحو نصب المصدر التشبيهي مضاف الى ذات والتي صفة الذات المراد بها القبيلة أو كعب فعل في

قوله كيف أهلك فكأنه قيل ألم تر كيف أهلك ربك عادا كما دلت عليه ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وهو قول قريب غير قريب وقرأ الحسن بعادارم بإضافة عاد إلى ارم فيلزم أن يكون ارم جدا والوصفان لعاد وأن يكون معدية والوصفان لازم ويجوز أن يكونا لعاد وقرأ ابن الزبير بعاد أرم بالإضافة أيضا الا أن أرم بفتح الهمزة وكسر الراء قيل وهي لغة في المدينة لا غير وعن الضحاك انه قرأ بعاد مصروفا وغير مصروف أرم بفتح الهمزة وسكون الراء للتخفيف وألسنة أرم كنعنع وقرىء إرم ذات بإضافة إرم الى ذات فقيل الارم علم والمعنى بعاد أعلام ذات العماد وهي مدينتهم والتي صفة للذات العماد على الأظهر وعن ابن عباس أنه قرأ أرم بالتشديد فعلا ماضيا ذات بالنصب على المفعول به أي جعل الله تعالى ذات العماد رميما ويكون أرم على هذا البحر بدلا من فعل أو لبيبنا له والزاد بذات العماد عليه اما عاد نفسها ويكون فيه وضع الظهر موضع الضمير والنكتة فيه ظاهرة واما مدينتهم ويكون جعلها رميما أي أهلاكها كناية عن جعلهم كذلك وقرأ ابن الزبير لم يخلق مبنيا للفاعل وهو ضميره عز وجل مثلها بالنصب على المفعولية وعنه أيضا لم تخلق بتاء التأنيث (وثمود) معطوف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود أخي جديس وهما ابنا عابر ابن ارم بن سام بن نوح عليه السلام كانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الأصنام ومنع الصرف للعلمية والتأنيث وقرأ ابن وثاب بالتنوين صرفه باعتبار الحي كما قالوا وظهره أنه عربي وقد صرح بذلك فقيل هو فعول من الثمد وهو الماء القليل الذي لا مادة له ومنه قيل فلان مثمود تمدنه النساء أي قطعن مادة ماله لكثرة عطيته لهن ومثمود اذا كثر عليه السؤال حتى نفدت مادة ماله وعن الراغب أنه لتعري لفتح الصرف للعلمية والعجمة (الذين جابوا الصخر) أي قطعوا صخر الجبال والحفروا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل أول من نحت الحجارة والصخور والرخام ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها بالحجارة ولا أظن صحة هذا البناء (بالواد) هو وادي القرى وقرى بالبادي آخر الطرق والباطن قرى الحجاز والقرى ومتعلق بجابوا أو بمحذوف هو حال من الفاعل أو المفعول قيل الباء للآلة أو السببية فتعلق بجابوا أي جابوه بسببه أي قطعوا الصخر وثقبوه وجعلوه وادبا والعلم عالم قبل ذوي القوة والآمال وهو بخلاف الظاهر وأيا ما كان فالجواب القطع والظاهر أنه حقيقة فيه تقول جبت البلاد أجوبها اذا قطعتها قال الشاعر

ولا رأيت الفوا قبلها حلت ٭ متين وسقاً ولا جابت بها بقرا

ومنه الجواب لانه يقطع السؤال وقال الراغب الجوب قطع الجربة وهي الغائط من الأرض ثم يستعمل في قطع كل أرض وجواب الكلام هو ما يقطع الجوب فيصل من فم القائل الى سمع السامع لكنه خص بما يعود من الكلام بدءا من الخطاب انتهى فاختار لفظ جابوا على نحتوا لما فيه من الدلالة على الاستمرار (وفرعون ذي الأوتاد) وصف بذلك لكثرة جنوده وجيوشهم التي يضربون أوتادها في منازلهم أو لانه كان يدق للمعذب أربعة أوتاد ويشده بها مبطوحا على الأرض فيعذبه بما يريد من ضرب أو اطراق أو غيره وقد تقدم الكلام على ذلك (الذين طغوا في البلاد) اما مجرور على أنه صفة للمذكورين عاد وما بعده أو منصوب أو مرفوع على الذم أي هم الذين طغوا في بلادهم واما الكلام في قوله تعالى (فأكثروا فيها الفساد) أي بالكفر وسائر المعاصي (فصب عليهم ربك) أي أنزل سبحانه انزالا شديداً على كل طائفة من أولئك الطوائف عقيب ما فعلت من الطغيان والفساد (سوط عذاب) أي سوط من عذابه على أن الاضافة بمعنى

Marfat.com

من والعذاب بمعنى المعذب به والمراد بذلك ما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة والسوط في الأصل مصدر من ساط يسوط اذا خلط قال الشاعر

أحارث انا لو لقاط دماؤنا ٭ تزابن حتى لا يمس دم دما

وشاع في الجلد المخصوص الذي يضرب به وسمي بالكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض أولانه يخلط الضرب بالوجع والتعبير عن الزلة بالصب للايذان بكثرة ذنوبه واستمرار وقائه عبارة عن افاضة نبي مقاتع أو جارحجارة في السيلان كالطبوب والرمل واقرانه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع أنه على ما سمعت ليس من هذا القبيل لاعتبار شبهه في سرعة نزوله بالنبي المصبوب وانسبة ما أنزل بسوط قيل للايذان بأنه على عظمه بالنسبة الى ما أعد لهم في الآخرة كالسوط بالنسبة الى سائر ما يعذب به وفي الكشف ان اضافة السوط الى العذاب تقابل ما أصابهم به ولا يأبى ذلك التعبير بالصب المؤذن بالكثرة لان القلة والكثرة من الامور النسبية وجوز أن يراد بالعذاب التعذيب والاضافة حينئذ على معنى اللام وأمر التعبير بالصب والتسمية بالسوط على ما تقدم والآية من قبيل قوله تعالى فأذاقهم الله لباس الجوع وجوز أن تكون الاضافة كالاضافة في لجين الماء أي فصب عليهم ربك عذابا كالسوط على معنى أنواعا من العذاب مخلوطا بعضها ببعض اختلاط طاقات السوط بعضها ببعض وأن يكون السوط مصدرا بمعنى التعويل والاضافة كالاضافة في جرد قطيفة أي فصب عليهم ربك عذابا مسوطا أي مخلوطا وما له فصب أنواعا من العذاب خلط بعضها ببعض وفي الصحاح ساط سوطه عذاب أي نصب عذاب ويقال شدة لان العذاب قد يكون بالسوط وأراد أن الغرض التصوير والأولى بجزالة التنزيل ما تقدم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه صلى الله تعالى عليه وعلى سيدهم مثل ما أصاب أفرادهم المذكورين من العذاب كما ينبيء عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام والمرصاد المكان الذي يقوم به الرصد ويترقبون فيه مقبل من يرصدونه كالبيادات من وقفه وفي الكلام استعارة تمثيلية شبه كونه تعالى حافظا لاعمال العصاة على ما روى عن الضحاك مترقبا لهم بسلكها الطريق الذي يسلكها أحدهم فيوقع به ما يريد ثم أطلق لفظ أحدهما على الآخر والآية على هذا وعيد للعصاة مطلقا وقيل هي وعيد الكفرة وقيل وعيد العصاة ووعد البرهم وهو ظاهر قول الحسن أي يرصد سبحانه أعمال بني آدم وجوز ابن عطية كون الرصاد صيغة مبالغة كالطعام والطحان وتعقبه أبو حيان بانه لو كان كما زعم لم تدخل الباء لانها ليست في مكان مخلوطا لا زائدة ولا غير زائدة وأجيب بانها على ذلك تجريدية لم يلزمه الطلاق الرصاد على الله عز وجل وفيه نبو وقوله تعالى ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ﴾ الخ متصل بما عنده كما قيل انه سبحانه لما ذكر الرصاد من أجل الآخرة فلا يطلب عز وجل الا نسي ظاهرا الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها فان نال منها شيئا أرضى والا سخط وكان القلق أن لا يهمه الا ما يطلبه الله عز وجل ولا يكون حاله ذلك وقيل هو متصل به متفرع عليه على معنى الانسان يؤاخذ لاجل انه بين نفي مبالغ موجب التكبر والافتخار بالدنيا وبين فقر لا يصبر عليه ويستكثر لاجله بالجزع والقول يا ليتني وهو كما ترى ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ أي ما يهمه مما ذكر من يبتليه بالغنى والبر ليرى هل يشكر أم لا والفاء في قوله سبحانه ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين المراد بالابتلاء ولما كان الاكرام والتنعيم حكم شيء واحد اقتصر على قوله أكرمن في قوله سبحانه ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ وليضم اليه ونعمني وهذه جملة من المبتدأ الذي هو الانسان والعائد اما في أما من معنى الشرط والظرف أعني اذا متعلق بقوله وهو

Marfat.com

على أنه التأخير ولا تمنع الفاء من ذلك كما صرح به الزمخشري وغيره من متقدمي النحاة وتبعهم من بعدهم كأبي حيان والسمين والسفاقسي مع جمع غفير من المفسرين وهو كما قال الشهاب الحق الذي لا محيد عنه ومخالفهم في ذلك الرضي ومن تبعه كالبدر الدماميني في شرح التسهيل فقالوا انما يجوز تقديم ما بعد الفاء عليها اذا كان المتقدم هو العامل دون أما والفاء لا يتعلق بتقديمه من الاغراض فان كان ثمت عامل آخر (١) امتنع تقديم غيره فيمتنع أما زيدا ضاربك فاكرم وان جاز أما ضاربك فزيدا اكرم وقالوا في ذلك انهم لما التزموا حذف الشرط لزم دخول أداته على فاء الجواب وهو مستكره فدعت الضرورة للفصل بينهما بشيء مما بعد الفاء والعامل الواحد كاف فيه فيجب الاقتصار عليه وزعم الجرجاني المدعي للطول ان هذا متفق عليه فرد به على المفسرين اقرابهم السابق وقال انه خطأ والصواب ان يجعل الظرف متعلقا بقدر وهو الذي أدى اليه الذوق والتقدير فاما أن الانسان اذا ابتلاه فالظرف من تتمة الجزء الفصولي وهو ليس فاصلا ثانيا كقولك أما أحسان زيد الى الفقير فحسن ورد على تقديره أنه لا يصح وقوع جملة يقول خبرا عن الشأن الا بتعسف كأن يكون الفعل بتأويل المصدر وان لم تكن معه في اللفظ أن المصدرية كما قيل في التسمع بالمبدي خير من أن تراه وهو فرار من السحاب الى المطر وذهب أبو البقاء الى ان اذا شرطية وقوله تعالى فيقول جوابها والجملة الشرطية خبر الانسان ويلزمه حذف الفاء بدون القول وقد قيل الضرورة وقوله عز وجل ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ مابعد معادل لما قبل ويختبره بالخاجة والفقر ليرى مايصبر لا ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ بتقدير وأما هو أي الانسان اذا ما ابتلاه الخ لصح التفصيل وتم التوازن وبقية الكلام فيه كما في سابقه والظاهر ان كلا الجملتين متضمنة لانكار قول الانسان الذي تضمنت وانكار قوله اذا ضيق عليه رزقه ربي أهانن لدلالة على قصور نظره وسوء فكره حيث حسب أن تضييق الرزق اهانة مع أنه قد يؤدي الى كرامة الدارين ولعدم كونه اهانة أصلا لم يقل سبحانه في تعبير الابتلاء فاهانه وقدر عليه رزقه نظير ما قال سبحانه أولا فاكرمه ونعمه وانكار قوله اذا أكرمني مع قوله تعالى فاكرمه أولا من حيث أنه أثبت اكرام الله تعالى له على خلاف ما أثبته الله تعالى وهو قصد أن الله تعالى أعطاه ما أعطاه اكراما له مستحقا ومستوجبا قصدا جاريا على ما كانوا عليه من افتخارهم وزعمهم جلالة أقدارهم والحاصل أن التكرم حكاية عن استحقاق لحسب أو نسب وفي الفعل ما يدل على أن أصل الاكرام منكر لا كونه عن استحقاق وانكار أصل الاهانة يستدعي وجوبه ما أثبته تعالى من الاكرام ان الله عز وجل أثبت الاكرام بايتاء المال والتوسعة وهو جعله اكراما لكنه مثبتا لازائق عنده تعالى فانكر انه ليس من ذلك الاكرام في شيء ويجوز أن يكون الانكار انكار اللاهانة فقط بمعنى أنه انما تفضل عليه بالخير واكرم به اشرف بتفضل الله تعالى واكرامه وانما لم يتفضل عليه بمثل ذلك التفضل هوانا وليس به قبيل ويستدعي ذكر الاكرام في قوله تعالى فاكرمه وفي الآية مع ما بعد نمة من أسلوب قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ولا يخفى ان الوجه هو الاول وقرأ ابن كثير أكرمني وأهانني باثبات الياء فيهما ونافع باثباتها وصلا وحذفها وقفا وخير في الوجهين أبو عمرو وحذفها باقي السبعة فيهما وصلا ووقفا ومن حذفها وقفا سكن النون فيه وقرأ أبو جعفر وعيسى وخالد والحسن بخلاف عنه وابن عامر فقدر بتشديد الدال للمبالغة ﴿ كَلَّا ﴾ ردع للانسان عن قوليه الفكيين وتكذيب له فيهما لا عن الاخير فقط كما في الوجه الاخير وقد نعى الحسن على ما قيل وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما التي لم أنبه بالتي لكرامته على

(١) قيل هذا في غير الظرف التوسيع فيه فليحفظ اه

Marfat.com

ولم أنبه بالخبر طوله على بل ذلك لمحض القضاء والقدر وقوله سبحانه (بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) الخ انتقال وترق من ذمه بالقبيح من القول الى الاقبح من الفعل والالتفات الى الخطاب للتهديد التقريع ولذا لم يقبح وقيل هو بتقدير قل فلا التفات نعم فيه من الاشارة الى تنبيههم عاقبه والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس أي بل انتم أيها الاغنياء وأحوال أشد شراً مما ذكر وأدل على تهالككم على المال حيث بكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من الرأفة باليتيم البرة به والاحسان اليه وفي الحديث أحب البيوت الى الله تعالى بيت فيه يتيم مكرم وقرأ الحسن وعاصم وأبو رجاء وقتادة والجحدري وأبو عمرو لا يكرمون بياء الغيبة (وَلَا تَحَاضُّونَ) بحذف احدى التاءين من تتحاضون أي ولا يحض بعضكم بعضاً (عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ) أي على اطعامه فالطعام مصدر بمعنى الاطعام كالعطاء بمعنى الاعطاء وزعم أبو حيان ان الاولى ان يراد به المعنى المشهور ويكون الكلام على حذف مضاف أي على بذل طعام المسكين والمراد بالمسكين مايسم الفقير وقرأ عبد الله وعائشة وزيد بن علي وعبد الله بن المبارك والقيرزي عن الكسائي كذلك بالجماعة الا انهم ضموا التاء تحاضون من الخاضة وقرأ أبو عمرو ومن سمعت الحسن ومن معه لا يحضون بياء الغيبة ولا ألف بعد الحاء وفي السبعة بناء الخطاب كذلك وكذا النخعان بمعنى والفعل على القراءتين يجوز أن يكون متعديا ومفعوله محذوف فقيل الضمير أو التنسيق وقيل أهليهم أو أعليكم وقيل أحدا ويجوز وهو الاولى أن يكون منزلا منزلة اللازم لانسبيه (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ) أي الميراث وأصله ورث قابدلت الواو تاء كما في تخمة وتكاءة ونحوهما (أَكْلًا لَمًّا) أي جامعا أو ذا لم على المبالغة والم الجمع ومنه قول النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه ✿ على شعث أي الرجال المهذب

والمراد به هنا الجمع بين الحلال والحرام بوما يحمد ومالا يحمد ومنه قول الحطيئة

اذا كان لما يشبع اللؤم ربه ✿ فلا قدس الرحمن تلك الطوائحا

يعني انكم تجمعون في أكلكم بين نصيبكم من الميراث ونصيب غيركم وروي أنهم كانوا لا يورثون الذكور والاصاغر الاولاد فيأكلون نصيبهم ويقولون لا يأخذ الميراث الا من قاتل وحمى الحوزة فعاد وهم يعقلون من شريعة اسمعيل عليه السلام انهم يرثون فاذا فيها قيل ان السور نعى عليهم أكلهم الميراث بدنية ولا يخفى ان الظلم والحرمة الا من الشرع فان الحسن والقبح العقليين ليسا مذهبا لنا وقيل يعني تأكلون ما جمع البيت الموروث من حلال وحرام ما بين بذلك فتقعون في الاكل بين حلال وحرامه . وفي الكشاف يجوز ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه وبأكله أكلا واسعا جامعا بين ألوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه ونحوها لا ينفقه الورثة البطالون ويتلفه بأيدي غير مناسب للسياق (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) أي كثيراً لا قال ابن عباس وأنشد قول أبية

ان تغفر اللهم تغفر جما ✿ وأي عبد لك لا ألما

والمراد انكم تحبونه مع حرص وشره (كَلَّا) ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى (إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) الى آخره استئناف جيء به على طريق الوعيد لتضمن الكلام الردع وقد قال الخليل كسر الخاطر الجليل ونحوه مما تكرير يفيد الاشعار على الاستيعاب فليس الثاني تأكيدا للاول بل لكل منهما اعتبار اخر ففي نحو قولك جاء زيد جاء جاء وقفت الحساب بابا بابا أي

Marfat.com

اذا دكت الارض دكا متتابعا حتى تكسر وتهيل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور وغيرها حتى تزلزلت الارة بعد الارة وصارت هباء منثورا وقال ابن عباد الملك حط المرتفع بالبسط والتسوية وانديك متلم البعير اذا انفرش في ظهره وثقله دكاء اذا كانت كذلك والمعنى عليه اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة المستوية وأيضا كان فوق على ما قيل عبارة عما عرض الارض عند النفخة الثانية ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ قال مقاتل بن سليمان ظهر سبحانه للخلق هنا لك وليس ذلك بمجيء نقلة وكذلك مجيء الملائكة والصافة وقيل الكلام على حذف المضاف اي وجاء أمر ربك وقضاؤه سبحانه واختار جمع انه تمثيل لظهور آيات اقتداره تعالى وتبين آثار قدرته عز وجل وسلطانه عز سلطانه مثلت حاله سبحانه في ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه تظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره ووزرائه وخواصه من بكرة أبيهم وأنت تعلم ما لك في الاذعان من الكلام ﴿وَالْمَلَكُ﴾ أي جنس الملك فيدخل جميع الملائكة كالسموات عليهم السلام ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أي مصطفين أو ذوي صفوف فالتنوين بازاء يوم القيامة ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف عند سماعهم مرتعدين بالجن والانس وقيل يصطفون بحسب أمكنة أمور تعالق بهم وهو قريب مما ذكر وروى ان ملائكة كل سماء تكون صفا حول الارض فالصفوف مسببة عن ما هو الظاهر وقال بعض الاجلة ان الظاهر ان الملك أعم من ملائكة السموات وغيرها والتعريف للاستغراق والدعي أن اصطفافهم بحسب مراتبهم اصطفاف أهل الدنيا في الصلاة وظاهره انه اصطفاف من غير تحديق ورأيت غير أثر في انهم يصطفون محدقين ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قيل هو كناية عن تسلق وبروز الجحيم لمن يرى على أن يكون مجيؤها متجوزا به عن اظهارها واحضارها على حقيقته فقد أخرج مسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها وفي رواية بزيادة حتى تنصب عن يسار العرش فالتقط وزفير وجد في بعض الآثار أن جبريل عليه السلام جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فتجاوه ثم قام النبي عليه الصلاة والسلام منكسر الطرف فسأله على كرم الله تعالى وجهه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اتاني جبريل عليه السلام بهذه الآية كلما اذا دكت الارض الآية فقال له علي كرم الله تعالى وجهه كيف بجهنم يا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تقاد بسبعين الف زمام كل زمام يقوده سبعون الف ملك فيبنما هم كذلك اذ شردت عليهم شردة انفلتت من أيديهم فولوا أيهم ادركوها فاخذوها لاحرقت من في الجمع وفي رواية لولا ان الله تعالى حبسها لاحرقت السموات والارض وتأويل كل ما ذكر ونحوه تأوره وحمله على المجاز لا يدعو اليه الا استحالة الانتقال الذي يقتضيه الحيز الحقيق على جهنم وهو امر غير مستحيل فيجوز أن تخرج وتنتقل من محلها في القعر ثم تسود اليه والجاعل ذلك اليوم اما تتجلى الاذهان ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من اذا دكت وظاهر كلام الزمخشري ان العامل فيه هو العامل فيما بعد اعني قوله تعالى ﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ﴾ وهو قول قد تناسى ما سيوبه وفي البحر المذهور خلافه وهو أن العامل فيه بدل اشتمال العامل والظاهر عند الاول ويتذكر من التذكر ضد النسيان أي يتذكر الانسان ما فرط فيه بتفاصيله بمقاعده آثاره وأحكامه أو باحضار الله تعالى اياه في ذهنه واخطاره له وان لم يتذكره بعد أثرا أو عينا عينه بناء على ان الاعمال تتجسم في النشأة الآخرة فتبرز بما يناسبها من الصور حسنا وقبحا أو من

Marfat.com

الذكر بمعنى الاتعاظ أي يتعظ بما يرى من آثار قدرة الله عز وجل وعظيم عظمته تعالى شأنه وقوله تعالى ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ اعتراض جيء به لتحقيق انه ليس بتذكر حقيقة المراد من الجملوى المعنى وأنه في أوانه والى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر أي ومن أين تكون له الذكرى وقد فات أوانها وقيل هناك مضاف محذوف أي وأنى له منفعة الذكرى ولا بد من تقديره لئلا يكون تناقض وقد علمت ان هذا يتحقق بما قرر اولا على انه انما جعل اختصاص اللام مقصورا على النافع استفاد من غير تقدير ويكون انكار أن تكون الذكرى له لاعليه وأما أنه حكاية لما كان عليه في الدنيا من عدم الاعتبار والاتعاظ فليس بشيء واستدل بالآية على ان التوبة من حيث هي توبة غير واجبة القبول عقلا كما زعم المعتزلة بناء على وجوب الاصلح عندهم وقيل في توجيه انه لو وجب قبولها لوجب قبول هذا التذكر فانه توبة اذ هي كما بين في محله الندم على المعصية من حيث هي معصية والعزم على ان لا يعود فاذا قدر عليها ولم يختر أحد في اختيارها كونها في الدنيا وان كانت الناقصة منها لا تكون الا فيها وهذا التذكر هو عين الندم المذكور وقد صرح الضحاك كما آخر به عنه ان أبي حاتم بانه توبة ولم يقبل لعدم ترتب الغاية عليه التي هي من لوازم القبول واعترض بان المعتزلة انما يقولون بوجوب قبولها بشرط عدم رفع التكاليف وقبل ان تذكره ليس من التوبة في شيء فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ ورد بما تقدم من توجيه الاستدلال فلا تغفل وهذه الجملة بدل اشتمال من يتذكر أو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتني الخ واللام للتعليل والمراد بحياته حياته في الآخرة ومفعول قدمت محذوف فكأنه قال يا ليتني قدمت أعمالا صالحة لأجل حياتي هذه أعمالا صالحة انتفع بها فيها وقيل اللام للتعليل الا ان المعنى يا ليتني قدمت أعمالا صالحة لأجل ان احيا حياة نافعة وقال ذلك لانه لا يموت ولا يحيا حينئذ وهو كما ترى ويجوز ان تكون اللام توقيتية مثلها في نحو كتبته لخمس عشرة ليلة مضين من الشهر وجئت لطلوع الشمس ويكون المراد بحياته حياته في الدنيا أي يا ليتني قدمت وعملت أعمالا صالحة وقت حياتي في الدنيا لانتفع بها اليوم وليس في هذا التمني غاية دلالة على استقلال العبد بفعله وانما يدل على اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة وأما ان ذلك بمحض قدرته تعالى أو بخلق الله عز وجل عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا وزعمه الزمخشري دليلا على الاستقلال ورده به على الجبرية وهم هنا غير المعتزلة زعما منه التغاير بين المعنى والجبر وقد علمت انه لا دلالة في ذلك وفي الكشف ان التمني لم يقع على التحسر على أن ما تذكر طريق هذا والحق لا يقولون بسلب الاختيار بالكلية ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاهوال ﴿لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ لقدامة عز وجل أي لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه سبحانه أحد سواه عز وجل ولكن قيل لا يشكل عذاب الله تعالى ووثاقه ولا يباشرهما أحد وذلك لان العمل في ضمن كل فعل خاص واستعمال ذلك استعمالا شائعا في مثل ذلك وقد حيل بين العير والنزوان كما ان نظم الآية الكريمة على هذا الاسلوب مقبول به وكذا الوثاق وفيه تعظيم عذاب الله تعالى ووثاقه سبحانه لهذا الانسان الذي يشرح من أحواله ما شرح على طريق الكناية فان ادعاء ابن الحاجب من عدم قوة المعنى على تقدير عود الضمير اليه تعالى يناء على فوات التعظيم الذي يقتضيه السياق فمقبول عن نكتة الكناية وأما للانسان الموصوف والاضافة الى المفعول أي لا يعذب ولا يوثق أحد من الزبانية أحدا من أهل النار مثل ما يعذبونه ويوثقونه كانه أشد هؤلاء وهؤلاء لانه أشدهم سيئات أعمال وقبائح أحوال وهو وجه

Marfat.com

حسن بل هو أرجح من الأول الى ما سنشير اليه ان شاء الله تعالى وقرأ ابن سيرين وابن أبي اسحق وأبو عمرو وابن أبي عبلة وأبو بحر بوسلاب والكسائي ويعقوب وسهل وطلحة عن ابي عمرو لا يعذب لا يوثق بالبناء للمفعول فالباقي في عقابه ووثاقه الانسان الموصوف أي لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لشاهد في كفره وشقاقه ونصب العذاب على المصدرية واقع موقع التعذيب اذ الاصل فيه كالسلام بمعنى التسليم ثم نقل الى ما يعذب به أو لانه وضع موضعه كما يوضع العطاء موضع الاعطاء ولذلك الوثاق وجوز أن يكون المعنى لا يحمل عذاب الانسان أحد ولا يوثق وثاقه أحد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى والعذاب عليه جار على التفاريق والنصب على تضمين التعذيب معنى التحميل والاول أنسب بنظام التلبيط على هذا الانسان المفرط أوان المكن والوجه الثاني فقراءة الاولى مطابق لما سبقا كما لا يخفى والمراد من انه لا يعذب أحد مثل عذابه انه لا يعذب أحد من جنسه كالعصاة كذلك فلا يلزم كونه أشد عذابا من ابليس ومن في طبقته ثم ان الظاهر ان المراد جنس الكفر وقيل المراد به أمية بن خلف وقيل أبي بن خلف وهو خلاف الظاهر وان قيل ان الآية نزلت فيمن ذكر و أما القول بان هذا للعذاب الذي يتولى ابليس عليه اللعنة فليس بشيء اذ لا يقال له انسان وكون الضمير له وان لم يسبق له ذكر لا للانسان المذكور في قوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان الخ بالاباعي ان يلتفت اليه فراجع أبو جعفر وشيبة ونافع بخلاف عنوة بكسر الواو وفتوه تعالى (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) الخ حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله تعالى وطاعته عز وجل أثر حكاية من اطمأن بالدنيا ومكن اليها وذكر انه على ارادة القول أي يقول الله تعالى يا أيتها النفس الخ اذا بالذات كما هم سبحانه موسى عليه السلام أو على لسان الملك واستظهر ان ذلك القول عند تمام الحساب وانظر الفاوت مابين حالة الانسان وهذه النفس فذاك يقول يالتني قدمت لحياتي وهذه يقول الله تعالى لها يأيتها النفس المطمئنة الخ وكأنه للايذان بغاية البيان لم يذكر القول وعطف الجملة على الجملة السابقة . والنفس قيل بمعنى الذات ووصفت بالاطمئنان بذلك لانها الترقي بقوتها العاقلة في معارج الاسباب والمسببات الى التبدا التؤثر بالذات جانت صفاته وأسماؤه فتضطرب وتقلق قبل الوصول الى معرفته تعالى فاذا وصلت اليه عز وجل اطمأنت واستغنت به سبحانه عن وجودها وسائر شؤنها والتفاتت الى ماسواه جل وعلا بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى نايح اليقين وبرودته بحيث لا يخالطها شك ما ولا يمازجها سخونة اضطراب القلب في الحق أصلا وهو وجه حسن والارتباط عليه ان هذه النفس هي المتيقظة الذاكرة على خلاف الانسان الموصوف فيما قبل فان التذكر على قدر قوة اليقين ألا ترى الى قوله تعالى انما يتذكر أولوا الالباب وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن يوم القيامة أعني النفس المؤمنة اليوم الواثقة على الايمان وأيد بقراءة أبي يأيتها النفس الآمنة المطمئنة وكلا الوصفين يجري لتلازمهما في الاكثر وهي على هذا أيضا قابل السابق وهو المحسن المتحزن وقرأ زيد بن علي يا أيها بغير تاء وذكر صاحب البديع أن ابا قد تذكر مع المنادى المؤنث قبل وذلك وجه من القياس وذاكتها كما في دنن ولم تجمع في عداد التي والجموع فكذلك لم تؤنث في عداد المؤنث والمشهور النفس هنا مذكرة ثم مؤنثة عما لا تلتفت اليه النفس المطمئنة (ارْجِعِي) أي من حيث هو حيث (إِلَى رَبِّكِ) أي الى محل عنايته تعالى وموقف كرامته عز وجل ذلك أولا وهذا الان للتمهد قبل الحساب كما يفهم من الاخبار موقفاً في المحشر مخصوصاً يكرمهم الله تعالى به لا يجدون فيه ما يجدونه غيرهم في مواقيمهم من النصب ومنه ينادي الواحد بعد الواحد للحساب فتى كان هذا القول عند تمام الحساب

Marfat.com

اقتضى أن يكون التي ماذا؟ ويجوز أن يكون التي ارجعي بخطاب القلب عن الاشغال والالتفات اليها والاهتمام بامرها أقبل أم لا أي الى ملاحظة ربك والانقطاع اليه وترك الالتفات الى ما سواه عز وجل فكنت أولا كان النفس المطمئنة لما دعيت للحساب تمثل فكرها وان كانت مطمئنة بمقتضى الطبيعة وحال اليوم يأمر الحساب وما يفضي اليه وانه مما يحتاج من حال أعمالها أتقبل أم لا فلما تم حسابها وقيل أعمالها قيل لها ذلك تطييباً لقلبها بان الامر قد انتهى وفرغ منه وليس بعد الا كل خير ونداؤها بعنوان الاطمئنان لتذكيرها بما يقتضي الرجوع نظير قولك لشجاع مشهور بالشجاعة أنجم في بعض المواقف بأي الشجاع أنت ولاتحجبوا الظاهر له على الاول لايناسبه والايخفى مافي قوله سبحانه الى ربك على الوجهين من مزيد اللطف بها والاقبال نحو الرجوع الى الله تعالى أولى (رَاضِيَةً) أي بالثواب من النعم التي لاتتناهي ومرضية بالقبول من حضة الحساب وقبول الاعمال وليس بذاك (مَرْضِيَّةً) أي عند الله عزوجل وقيل الراد راضية عن ربك مرضية عنده وزعم انه الاظهر والاقرض بالله غير مناسب للسياق وفيه نظر والوصفان متعاوبان على الحال والظاهر أن الحال الاولى مقدرة وقيل مقارنة وتحتمل الحال الثانية من باب الترقي فقد قال سبحانه وتعالى ورضوان من الله أكبر (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) في زمرة عبادي الصالحين المقاصين في والمنقطعين في سلكهم وكوني في جانبهم (وَادْخُلِي جَنَّتِي) عطف على الجملة قبلها داخلة معها في حيز النداء المفيدة لكون ما بعدها عقيب ما قبلها من غير تراخ وكان الامر بالدخول في جملة عباد الله تعالى الصالحين اشارة الى السعادة الروحانية لكمال استئناس النفس بالجليس الصالح والامر بدخول الجنة اشارة الى السعادة الجسمانية والفضل الاولى على الثانية فقدم الامر الاول وعبر بالثاني على وجه التتميم ونكتة الالتفات فيهما ظاهرة بأدنى التفات وتعدى الدخول أولا بفي وثانيا بدونها قال أبو حيان لان الدخول فيه ان كان غير ظرف حقيقي تعدى اليه في الاستعمال بفي تقول دخلت في الامر ودخلت في الدار والا كان ظرفا حقيقيا تعدى اليه في الغالب بغير وساطتها فلا تقول والراد ارجعي الى موعد ربك واستظهر ان الراد بموعده تعالى على تقدير كون القول المذكور بعد تمام الحساب ماوعده سبحانه من الجنة ولكون مع عباد تعالى الصالحين والفاء تفسيرية واستشكل عليه الامر بالرجوع اذ يقتضي ان تكون الجنة مقرا لنفس قبل ذلك وأجيب بتحقق هذا القتضى بناء على وجودها بالقوة في ظهر آدم عليه السلام حين كان في الجنة وقد قيل نحو هذا في قوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد على ما روى عن أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من ان الراد بالمعاد الجنة دون مكة وأنت تعلم ان هذا على ما فيه لا يتم الا على القول بان جنة آدم عليه السلام هي الجنة التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة لا جنة أخرى كانت في الارض والخلاف في ذلك قوي كما لا يخفى على من راجع كتاب مفتاح السعادة للعلامة ابن القيم واطلع على أدلة الطرفين وقيل الراد ارجعي الى أمر ربك واستظهر ان الراد بالامر على ذلك التقدير واحد الامور ويفسر بعاقبة الله تعالى اياها ليس فيه ما يشغل بالها أو يتعبرها بموقف كريه أو بنحو ذلك مما يتحقق منه ما يقتضيه ظاهر الرجوع وقيل الراد ارجعي الى كرامة ربك وبرادجعي كرامته سبحانه والرجوع اليه باعتبار انها كانت معدومة في البرزخ أو بعد البعث وقيل الحساب في نوع منه والعاد عليه قيل تفسيرية أيضا وعن عكرمة والضحاك أن ذلك القول عند اليت فقيل النفس بمعنى الذات ايضا والراد بالرب هو الله عز وجل والسلام على حذف مضاف ولا يضر عمل كرامته تعالى مرادا به الموقف الخاص على ما سمعت لانه انما يكون لها بعد قبل النفس بمعنى الروح والراد بالرب الصاحب

Marfat.com

وفسر بالجسد وبقي الآية على حالها أي ارجعي الى جسدك كما كنت في الدنيا فادخلي بعد الرجوع اليه في جملة عبادي وادخلي دار ثوابي وقيل المراد بالنفس والرب ما ذكر وقوله تعالى في عبادي على حذف مضاف أي فادخلي في أجساد عبادي وجاء هذا في رواية عن ابن عباس وابن جبير ولا يضر الافراد أولا والجمع ثانيا لان التي على الجنس وقال ابن زيد وجماعة ان ذلك القول عند الموت وأيدا بما أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية عن ابن جبير قال قرئت عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا أيتها النفس المطمئنة الآية فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ان هذا لحسن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اما أن الملك سيقولها لك عند الموت وجاء نحو هذا من رواية الحكيم الترمذي في نوادر الاصول من طريق ثابت بن الجلان عن سليمان بن يسار عن الصديق رضي الله تعالى عنه والنفس عليه بمعنى الروح والتي على هذا القول ارجعي بالموت الى عالم قدس ربك راضية بما نلت من النعيم أو راضية عن ربك مرضية عنده تعالى فادخلي في زمرة عبادي المقربين سكنة حظائر القدس وادخلي جنتي التي أعددتها لذوي النفوس المطمئنة وهذان الدخولان يمكن الرجوع الا أن الدخول الاول يعقبه الاستراحة فيسأل يوم القيامة والثاني يعقبه استراحة لانه يوم التهنئة ان أريد بدخول الجنة دخولها على وجه الخلود الا أن الامر التعلقي يجوز تعقيبه بالفاء ويجوز أن يكون تعقيب الامر بن على هذا الخط ان أريد بالدخول في عباده تعالى انتظامها في سلك العباد الصالحين المقربين من جنسه ويجوز على ارادة هذا التعقيب ان يراد فادخلي في أجساد عبادي ويجوز أن يكون تعقيب الامر بن بالاستراحة ان أريد بدخول في العباد الدخول في زمرة المقربين من سكنة حظائر القدس وبالدخول في الجنة الدخول لا على وجه الخلود بل لنوع من التمتع الى ان تقوم الساعة حتى الحديث ان ارواح المؤمنين في حواصل طيور في الجنة وفي بعض الآثار اذا مات المؤمن أعطى نصف الجنة أي نصف جنة الثنى وعند دخولها يوم القيامة وذكر في وجه ادخالها مع الارواح القدسية فالربا الصغرى فانا انضم بعضها الى بعض تعاضدت قوة أنوار المعارف فيظهر لكل منها ما يكملها فيكون سببا أيضا لتكامل السعادات وتعاظم الدرجات وهو عندي كلام حقيقي وعن بعض السلف ما يؤيد بعض هذه الاوجه أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي صالح انه قال في الآية ارجعي الى ربك عند الموت وارجعي الى ربك آخرة وعن ابن عباس ان الدنيا فانية فيقال لها ادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقيل ان هذا القول بعد الموت وقبل القيامة والمراد برجوعها الى ربها رجوعها الى جسدها لسؤال الملكين أخرج ابن المنذر عن محمد بن كعب القرظي انه قال في الآية ان المؤمن اذا مات أري منزله من الجنة فيقول تبارك وتعالى يا أيتها النفس المطمئنة عبدي ارجعي الى جسدك الذي خرجت منه راضية بما رأيت من ثوابي مرضية عندك حتى يسألك منكر ونكير وقيل انه في مواطن ثلاثة أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم انه قال في الآية بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث ويوم الجمع وتفسير عليه بما يتطرق على الجمع وقيل يجوز ان يكون ذلك في سائر أوقات النفس في حياتها الدنيا والمراد بالامر بالرجوع الى الرب الامر بالرجوع اليه تعالى في كل أمر من الامور والمراد بالامر بالدخول في العباد الامر بالدخول في زمرة العباد الخلص الذين ليس للشيطان عليهم سلطان بالاستثناء من السابق الصالح وبالامر بالدخول في الجنة الامر بالدخول فيها بالقوة القريبة فكأنه سبحانه يبعثه أن يبلغ جل وعلا سوء حال الانارة ووعيدها خاطب النفس بذلك وأرشدها سبحانه الى ما فيه صلاحها ونجاتها ولا يخفى ما فيه فلا يأبى ان يبعد وجها وايا ما كان من الاوجه فالظاهر المنوم فيها وان اخرج ابن أبي حاتم عن

Marfat.com

طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه حين اشترى بئر رومة وجهازها سقاية للناس وقيل انها نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل نزلت في خباب بن عدي الذي سلب أهل مكة رجلوا وجهه الى المدينة فقال القوم ان فازلي هناك خير فأول وجهي نحو قبلتك فطول الله تعالى وجهه نحوها فلم يستطع أحد أن يحوله بعد فتقسيم النفس المذكورة باحد هؤلاء المذكورين كما نقل عن بعض من باب التمثيل وان صورة السبب قطعية الدخول وينبغي أن يحمل قول ابن عباس في تلك النفس كما أخرجه عنه ابن مردويه هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على نحو ذلك واشتهرت الآية على بعض أوجهها بأن الأرواح مخلوقة قبل الابدان ومقرها اذ ذاك في عالم الملكوت والخلاف في المسألة شهير وجمهور المتكلمين على انها مخلوقة عند استعداد الابدان لها وكذا افلاطون وأصحابه وقرأ ابن عباس ومكرمة والضحاك ومجاهد وأبو جعفر وابو صالح وأبو شيخ والجبائي في عبدي على الافراد والمتظهر أن المراد الجنس كما في النفس . والسادة الصوفية قدست نفوسهم كلام طويل في تقسيم مراتب النفس وقالوا أن الآية متضمنة لمراتب ثلاث منها المطمئنة والراضية والمرضية وفسروا كلا بما فسروه في أرادة فليرجع اليه في تفهيم وأنا أقول كما علم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعض الصحابة على ما أخرج الطبراني وابن عساكر من أبي امامة رضي الله تعالى عنه اليك أسأت نفسا معطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك

سورة البلد

مكية في قول الجمهور بتمامها وقيل مدنية بتمامها وقيل مدنية الا أربع آيات من أولها واخرج ابن الضريس بأبي هو وابن المنذر قبل والقوة الاشراف ادبي الزعفراني الاجماع على مكيتها وسيأتي ان شاء الله تعالى أن في بعض الاخبار ما هو ظاهر في نزول صدرها بمكة بعد الفتح وهي عشرون آية بلا خلاف وكلماتها تسع مئة فيما قيل وحروفها من أحب المال وأنفق منه لاتلافا ولم يحض على طعام المسكين فاحتقر جل وعلا فيها الخصال التي تطلب من صاحب المال من تلك الرقبة والطعام في يوم ذي مسغبة ولذا لما ذكر عز وجل النفس المطمئنة هناك ذكر سبحانه هنا بعض ما يحصل به الاطمئنان فقال عز قائلا

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴾ أقسم سبحانه بالبلد الحرام أي مكة فان المراد بالبلد البلد بالاجماع وما عطف عليه على الانسان خلق منصوبا في مكابدة المشاق ومعاناة الشدائد وقوله تعالى ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴾ على ما اختاره في الكشاف اعتراض بين القسم وجوابه وفيه تحقيق مضمونه بذكر بعض المكابدة على نهج براعة الاستهلال وادماج لسوء صنع المشركين ليصرح بذمهم على أن الحل بمعنى المستحل بزنة القتول الذي لا يحترم فكأنه قيل ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمته يستحل بهذا البلد الحرام ولا يحترم كما يستحل الصيد في غير الحرم من شرحبيل بن سعد يحرمون أن يقتلوا به صيدا ويعضدوا شجره ويستحلون اخراجك وقتلك ولي تأييد كون الانسان في كبد بالقسم تثبيت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبث على أن يطا من نفسه الكريمة على احتماله فان ذلك قدر محتوم وجوز أن يكون الحل بمعنى الحلول ضد الحرام قال ابن عباس فيما أخرجه عنه ابن جرير وغيره وأنت يا محمد يحل لك أن تقاتل به وأما غيرك فلا وقال مجاهد أحله الله تعالى له عليه الصلاة والسلام ساعة من نهار وقال سبحانه له ما صنعت فيه من شيء فأنت في حل

Marfat.com

لانؤاخذ به وروى نحو ذلك عن أبي صالح وقتادة وعطية وابن زيد والحسن والضحاك ولفظه يقول سبحانه أنت حل بالحرم فافعل ان شئت أودع وذلك يوم الفتح وقد قتل صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ عبدالله بن خطل وهو الذي كانت قريش تسميه الفدين قتله أبو برزة سعيد بن حريب الأسلمي فضرب بأمره صلى الله تعالى عليه وسلم متفق وهو متعلق بأستار الكعبة وكان قد أظهر الاسلام وكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا من الوحي فارتد وشنع على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بان ما يأتيه من القرآن منه عليه الصلاة والسلام لامن الله تعالى وقتل غيره أيضا كما هو مذكور في كتب السير ثم قال عليه الصلاة و السلام ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام الى أن تقوم الساعة لاتحل لاحد قبلي وان تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الالمنشد فقال العباس يارسول الله الا الاذخر فانه لقيوتنا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه الصلاة والسلام الا الاذخر وتقديم المسند اليه على هذا للاختصاص كما أشير اليه في خبر ابن عباس وحمل على معنى الاستقبال بناء على ان نزول السورة قبل الهجرة التي هي قبل الفتح بكثير وفي خبر رواه عبد بن حميد عن ابن جبير ما هو ظاهر في ان الآية نزلت بمدان ضرب أبو برزة وقيل ان خطل يوم الفتح فان صح لايكون في معنى الاستقبال لكن الجمهور على الاول وفي تعظيم المقسم به وتوكيد المقسم عليه بالاقسام توكيد لما سبق له السكلام وهو على ماذكر ان عادة الاحتمال والكابدة الى الفتح والظفر والفرض تسليته صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ترشيحها بالتصريح بما يكون من الغلبة وتعظيم البلد يدل على تعظيم من أحل له وفي الاقسام به توطئة للمقابلة الآن لتعظيم البلد لتعظيم ساكن فيه وجوز أن يكون الحل على نحو ماذكر في هذا الوجه لكن التي وأنت حل بهذا البلد تابذا ترفه أهله من القاتم متحرج بريء منها والتي في الاقسام بالبلد تعظيمه وفي الاعتراض ترشيح التعظيم والتقريب بكون مكة صلى الله تعالى عليه وسلم في جلالة القدر ومنصب النبوة سائلا فيه مايلينا لما عليه العامة والطبع والعادة فيه بأستكبد المقسم عليه بأنهم من أهل الطبع فلا يفهم شرف مكان والتمكن فيه كأنه قيل أقسم بهذا البلد الطيب بنفسه وان سكن فيه أن أهله الى مرض قلب وشك لايقادر قدره وقيل الحل صفة أومصدر بمعنى الحلال بمثل حل أي نزل يحل حلا وحلولا ويقال أيضا هو حل بموضع كذا كيقال حل به والقول بان الصفة من الحلول حال لاحل ومصدر حل بمعنى نزل الحلول والحل بمعنى الحلة والحلل قلط قاله من قلة التتبع والاعتراض للتدريله صلى الله تعالى عليه وسلم بجعل حلوله عليه الصلاة والسلام مناطا لاعظام البلد بالاقسام به وجعل بعض الاجلة الجملة على هذا الوجه حالا من هذا البلد وكذا جعلها بعضهم حالية على الوجهين قيل الا أن الحال على ثانيهما مقارنة وعلى أولهما مقدرة أو مقارنة ان قيل أن النزول ساعة احلت مكة وجعلها ابن عطية حالا على الوجه الاول أيضا أعني كون الحل بمعنى الاستحلال لكن قيده بكون لا تاثمة غير زائدة فتأمل وأيا ما كان ففي الاشارة والتفاتة الظاهر مقسام الضمير من تعظيم البلد ما فيهما (ووالد) عطف على هذا البلد المقسم به وكذا قوله تعالى (وما ولد) والمراد بالاول آدم عليه السلام وبالثاني جميع ولده على ما أخرج الحاكم وصححه من طريق مجاهد عن ابن عباس ورواه جماعة أيضا عن مجاهد وقتادة وابن جبير وقيل المراد آدم عليه السلام والصالحون من ذريته وقيل نوح عليه السلام وذريته وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي عمران أنهما ابراهيم عليه السلام وجميع ولده وقيل ابراهيم عليه السلام وولده اسمعيل عليه السلام والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لدعي أنه ينبيء من ذلك المطوف عليه من ذرية ابراهيم ومنهما اسمعيل ومسقط رأس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم أجمعين وقال الطبري

Marfat.com

والمورد يحتمل أن يكون الوالد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المتقدم ذكره موما ولد أمته لقوله عليه الصلاة والسلام «أنا لكم بمنزلة الوالد» والصواب المراد عبد الله وآزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وفي القسم بذلك مبالغة في شرفه عليه الصلاة والسلام وهو كما ترى وقيل المراد كل والد وولده من العقلاء وغيرهم ونسب ذلك لابن عباس وأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق عكرمة عنه انه قال الوالد الذي يلد وما ولد الكافر الذي لا يلد من الرجال والنساء ونسب الى ابن جبير أيضا فما عليه نافية فيحتاج الى تقدير موصول يصح به المعنى الذي أريد كأنه قيل ووالد والذي ما ولد والخبار الموصول في مثله لا يجوز عند البصريين ومع هذا هو خلاف الظاهر ولعل ظاهر اللفظ عدم التعيين في المطوفين وظاهر السياق على هذا ان الارادة من له دخل فيه وغيرة بنسبة اليه والتنوير في ذلك ابراهيم وسمعيل عليهما السلام وتنكير والد على ما اختاره غير واحد للتعظيم وايثار ما على من بناء على ان المراد بما ولد العاقل لارادة الوصف فتفيد التعظيم في مقام المدح وانه لا يكتنه كنهه لشدة ابهامها ولما أفادت التعجب أو التعجيب وان لم تكن استفهامية كما في قوله تعالى والله أعلم بما وضعت أي أي مولود عظيم الشان وضعته والتعظيم والتعجيب على تقديران يراد بالولد ذرية آدم عليه السلام مثلا قيل باعتبار الغالب وقيل باعتبار الكثرة وما خص به الانسان من خواص البشر كالعقل وحسن الصورة ومن تأمل في شؤن الانسان من حيث هو انسان يعلم انه من تلك الحيثية مما يتعجب منه ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي في تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين ترميا وما وراءه يدل كبد الرجل كبدا فهو أكبد اذا وجعته كبده وانتفخت فانتشر فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت الكبادة لمقاساة الشدائد كما قيل كأنه يعني أعالجه وأسهد كبده اذا أصاب كبده قال اليد يرثي أخاه

يا من يعل بكبت أريد اذ ٭ قذا وقام الخصوم في كبد

أي في شدة الامر وصعوبة الخطب وعن ابن عمر بكابد الدكر على السراء وبكابد الصبر على الضراء وعن ابن عباس وعبد الله بن شداد وأبي صالح والضحاك ومجاهد أنهم قالوا أي خلقناه منتصب القامة واقفا إذا جعل منكبا على وجهه وقال ابن كيسان أي منتصبا رأسه في بطن امه فاذا أذن له في الخروج قلب رأسه الى قدمي أمه وهذه الاقوال كلها ضعيفة لا يعول عليها بخلاف الاول وله رواه الخلال وصححه وجماعة عن ابن عباس وروى عن غير واحد من السلف انهم جوزوا أن يكون المعنى خلقناه في مرض شاق وهو مرض القلب وفساد الباطن وهذا بناء على الوجه الثالث من الاوجه الاربعة السابقة في قوله تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد والمراد بالانسان عليه الذين علم الله تعالى منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات والظاهر أن المراد على ما مر سابقا جنس الانسان مطلقا وقال ابن زيد المراد بالانسان آدم عليه السلام وبالكبد السهد وضع في وسط السهد كالكبد والكبد والكبداء والكبد بفتح فسكون وليس بشيء أصلا والضمير في قوله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ﴾ على ما مضى ذلك راجع الى ما دل عليه السياق من كابد منه صلى الله تعالى عليه وسلم ما كابد من كفار قريش وبشك حرمة البيت وحرمته عليه الصلاة والسلام وما به للانسان والتهديد معروف لمن يتحطه وقيل على ارادة البعض هو أبو الاشداء بن قدامة الجمحي وكان شديدا قويا متمردا على الله تعالى وكان يبسط له الأديم الشامي فيقوم عليه ويقول من أزالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فيتقطع قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل عمرو بن عبدود وقيل الوليد بن المغيرة وقيل أبو جهل بن هشام وقيل الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ويجوز أن يكون كل من هؤلاء سبب النزول فلا تغفل وجهل عصام الدين الاستفهام

Marfat.com

التعجيب على معنى أيظن (أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ) أى على الانتقام منه ومكافأته بما هو عليه (أَحَدٌ) مع أنه لا يتخلص من الكائدة ومقاساة الشدائد وان اختفت من الناية والمراد في ذلك انماج عدم الايمان بالقيامة (يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا) أى كثيرا من لبد الشيء اذا اجتمع أى يقول ذلك وقت الافتخار ظرا ومباهاة وتسطا على المؤمنين وأراد بنفقتها أنفقه رياء وسمعة ومفاخرة عن الانفاق بالاعلان اظهارا لعدم الاكتراث والله لم يقبل ذلك رجيء نفع فكأنه جعل المال الكثير ضائعا وقيل يقول ذلك اظهارا لشدة عداوته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مريدا بالمال ما أنفقه في معاداته عليه الصلاة والسلام وقيل يقول ذلك إيذاءه عليه الصلاة والسلام فعن مقاتل أن الحرث بن نوفل كان اذا أذنب استفتى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فيأمره عليه الصلاة والسلام بالكفارة فقال لقد أهلكت مالا لبدا في الكفارات والتبعات منذ أسلمت أحدا صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل المراد ما تقدم أولا الا أن هذا القول وقت الانتقام منه وذلك يوم القيامة والتعبير عن الانفاق بالاهلاك لما أنه لم ينفعه يومئذ وقرأ أبو حيوة لبدا بضم الباء وعنه وعن زيد بن علي لبدا بسكون الباء وقرأ مجاهد وابن أبي اسحاق لبدا بضم اللام والباء (أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ) أى حين كان ينفق ماينفق رئاء الناس أو حرصا على معاداته صلى الله تعالى عليه وسلم يعني ان الله تعالى كان يراه وكان يحصله عليه رقيبا فهو عز وجل يسأله عنه ويجازيه عليه وفي الحديث لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيم افناه وعن ماله من جمعه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل به ويجوز أن يكون المعنى ان لم يجده أحد على ان المراد بالرؤية الوجدان اللازم له ولم يعن لن ومر بيا التحقيق الوقوع يعني انه تعالى يجده يوم القيامة فيحاسبه على ذلك وعن الكلبي ان هذا القائل كان كاذبا لم ينفق شيئا فقال تعالى أيظن ان الله تعالى مار أى ذلك منه فضل أولم يفعل لتفق أولم ينفق بل رآه عز وجل وعلم منه خلاف ما قال وقرر سبحانه القدرة على مجازاته وعاسبته والاطلاع على حاله بقوله جل وعلا (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ) يبصر بهما (وَلِسَانًا) يتعبر به عما في ضميره (وَشَفَتَيْنِ) يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والتقبيل وغير ذلك والافراد لغة وأصلها شفهة حذفت منها الهاء وابدل عليه شفي وشفاة وشافيت وهي مما لا يجوز جمعه بالالف والتاء وان كان فيه هاء التأنيث على مالي البحر (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) أى طريق الخير والشر كما أخرجه الحاكم وصححه والطبراني وغيرها عن ابن مسعود وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير عن ابن عباس وروى عن عكرمة والضحاك وآخرين وأخرجه الطبراني عن أبي امامة مرفوعا والنجد مفيور في الطريق الرتفع قال امرؤ القيس

فريقان منهم جازع بطن نخلة ٭ وآخر منهم قاطع نجد كبكب

وسميت نجدا بالارتفاع عن انخفاض تهامة والاستدلال المذكور على هذا وعلى ما بعده ظاهر وقوله تعالى شأنه الآتي سلكناها وقوله تعالى انا هديناه السبيل اما كالصريح أو كالصريح وصف سبيل الخير بالرفعة والنجدية ظاهر بخلاف سبيل الشر فانه في هبوط ظاهر وذروة الطريق الرتفع وحضيض الهاوية فهو على التغليب أو على توهم التغليظ صعودا وقد استعمل الترقي في الوصول الى كل شيء وتركيبه كما قيل وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس أنهما النديان وروى ذلك عن ابن المسيب أى ثديي الام لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه والارتفاع فيهما ظاهر والبطن تحتهما كالغور والشرب تلتسم بثديي الام فتقول أنا وتجديها ما فعلت ونسب هذا التفسير لعلي كرم الله

تعالى

Marfat.com

مسائل وجهه أيضا والقاضي في الدر المنثور من رواية الفريابي وعبد بن حميد وكذا في جمع البيان انه كرم الله تعالى وجهه ان الناس يقولون ان النجدين الخيران فقال لا بل هما الخير والشر ولعل القائل بذلك رأى أن لفظ بحثه مع ظهور الامتنان عليه جدا ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ الاقتحام الدخول بسرعة وفي منتظم ابن الجوزي ما يدل على أن أصله الرمي نفسه فيما من غير روية والعقبة الطريق الوعر في الجبل وفي البحر هي ما صعب من الامور وكان صعودا والجمع عقب وعقاب وهي هنا استعارة لما فسرت به من الاعمال الشاقة الرتبة القدر عند الله تعالى والقرينة ظاهرة وآيات الاقتحام المراد به الفعل والكسب ترشيح ويجوز أن يكون قد جعل فعل ما ذكر اقتحاما وصعودا شاقا وذكره بعد التجدين جعل الاستعارة في الدرجة العليا من البلاغة وأريد ذم المحدث عنه بانه مقصر مع ما أنعم الله تعالى به عليه من النعم العظام والايادي الجليلة الجسام لانه قيل مقصر ولم يشكر تلك النعم العظيمة والايادي الجسيمة بمثل الاعمال الصالحة بل غمط النعمة وكفر بالنعم واتبع هوى نفسه وقوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ اي اي شيء اعلمك ما تعظيم لما أن العقبة المفسرة بقوله سبحانه ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ الخ وتفسيرها بذلك بناء على الاعداد والمجاز وهو لا شبهة في صحته وان لم يتعد العقبة والفك حقيقة فلا حاجة الى تقدير مضاف كما زعمه الامام ليصح التفسير أي وما أدراك اقتحام العقبة فك الخ وقال بعضهم يحتمل أن يراد بالعقبة نفس الذكر عبر بها عنه للصعوبة ولا بأباء وما أدراك الخ لانه بمنزلة ما أدراك ما الذكر فتدبر وهو كما ترى وأخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن أبي شيبة عن ابن عمر أن العقبة جبل زلال في جهنم وأخرج ابن جرير عن الحسن نحوه وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنها النار وفي رواية عبد بن حميد عنه انها عقبتين الجنة والنار وعن مجاهد والضحاك والكلبي انها الصراط وقد جاء في صفته ما جاء والمراد بطية بين الجنة والنار هذا وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي وجاء انه قال ينادي أن العقبة التي ذكر الله تعالى في القرآن مطلبها مسيرة آلاف سنة ومهبطها مسيرة آلاف سنة وهذه الاقوال ان صحت ينبغي عليها أن يراد بالاقتحام المرور والجواز بسرعة وان يقدر المضاف أي وما أدراك ما اقتحام العقبة فك الخ وجعل الفك وما عطف عليه نفس الاقتحام على سبيل المبالغة في تيسيره له حتى كأنه نفسه وما آل المعنى فلا فصل ما ينجو به ويجوز بسببه العقبة الكؤد يوم القيامة وبها يدفع ما نقله الامام عن الواحدي بعد نقله تفسيرها بجبل زلال في جهنم وبالصراط ونحو ذلك وهو قولهم وفي هذا التفسير نظر لان من المعلوم أن هذا الانسان وغيره لم يقتحموا عقبة جهنم ولا جاوزوها فتدبر الآية عليه يكون ايضاحا للواضحات ثم قال ويدل عليه انه لما قال سبحانه وما أدراك ما العقبة فسرها جل شأنه بفك الرقبة والاطعام التي نعم الا أقول بدين من ذلك حتى اصح فيه تفسير الا بمرواية مرفوعة والفك تخليص شيء من شيء قال الشاعر

فيارب مكروب كربت وراءه ○ وعان فككت الغل منه فطلقا

وهو مصدر فك وحكذا الفكاك بفتح الفاء كما نص عليه الفراء والمشهور أن المراد به هنا تخليص رقبة الرقيق من وصف الرقية بالاعتاق وأفرج أحمد وابن حبان وابن مردويه والبيهقي عن البراء رضي الله تعالى عنه أن اعرابيا قال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال أعتق النسمة وفك الرقبة قال أو ليسا بواحد قال لا ان عتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين في عتقها الحديث وعليه يكون تغاير العتق عن الفك مما يتحقق به من باب أولى ومن الفك ما يقع في اعتاق الكلاب مما يصرفه في جهة فكاك نفسه وجاء في فضل الاعتاق أخبار كثيرة منها ما أخرجه أحمد والشيخان والترمذي وغيرهم

Marfat.com

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله : سألت عليه وسلم من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى الفرج بالفرج وهو أفضل من الصدقة عند ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه وعند صاحبيه الصدقة أفضل والآية على ما قبل أدل على قول الامام لكان تقديم الفك على الاطعام من التعبير تفضيل الفك أيضا على الصدقة على ذي القرابة فضلا عن غيره وقال الامام في الآية وجه آخر حسن وهو أن يكون المراد أنت يفك الرء رقبة نفسه بما يكلفه من العبادة التي يصير بها الى الجنة فهي القربة الكبرى وعليه قيل يكون ما بعد من قبيل التخصيص بعد التعميم وفيه بعد ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ مصدر ميمي بمعنى السغب قال أبو حيان وهو الجوع السام وقد يقال سغب الرجل اذا جاع وقال الراغب هو الجوع مع التعب وربما قيل في العطش مع التعب وفسره ابن عباس هنا بالجوع من غير قيد وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابراهيم انه قال في يوم فيه الطعام عزيز وليس بتفسير بالمعنى الموضوع له . ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في أودعه ثم ناصب ذو نصب وليل نائم ذو نوم ونهار صائم ذو صوم ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ أي قرابة فهو مصدر ميمي أيضا من قرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي بمعنى قال الزجاج وفلان قرابتي قبيح لان القرابة مصدر قال

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه ✽ وذو قرابته في الحي مسرور

وفيه بحث وفي الطعام هنا جمع بين الصدقة والصلة وفيها من الاجر ما فيهما وقيل أنه لا يخلص القريب نسبا بل يشمل من له قرب بالجوار ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أي افتقار وهو مصدر ميمي كما تقدم من ترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب وأما أترب فاستغنى أي صار ذا مال كالاثرات في الكثرة كما قيل أثرى وعن ابن عباس انه فسره هنا بالذي لا بيت له من التراب شيء وفي رواية أخرى هو الطريح على ظهر الطريق فاقدا على التراب لا بيت له وهو قريب مما اخرجه ابن مردويه عن ابن عمر مرفوعا لكنه الذي ماواه الزابل فان صح لا يعدل عنه وفي رواية أخرى عن ابن عباس هو الذي يخرج من بيته ثم يلتئم بثلب وجهه اليه ستيقنا انه ليس فيه الا التراب واخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم عنه أنه قال في ذلك يعني بعيد التربة اي بعيدا من وطنه وهو بعيد والصفة على بعض هذه التفاسير صفة كاشفة وبعض آخر مخصصة وأو على مالي البحر للتنويع وقد استشكل عدم تكرار لا هنا مع أنها دخلت على الماضي وقد قالوا يلزم تكرارها حينئذ كما في قوله تعالى فلا صدق ولا صلى وقول الخطيئة

وان كانت النساء فيهم عزوا بيا ✽ وان أنسوا لا كدروها ولا كدوا

وقد قوله لام ابن الطرثت بن جبله ✽ جشمي على أبيه ثم قتله

وألف في جاراته لا يهمه ✽ فاي أمر سيء لا فعله

وأجيب بان اللازم تكرارها لفظا أو معنى وهنا تكرار معنى لان تفسير العقبة بما فسرت يعني الامور المتعددة يلزم منه تغيير الاقتحام فيكون فلا اقتحم العقبة في معنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما بالغ وقد يقال في البيت نحو ذلك بان يقال ان المعنى وفيما تم مقام التكرار ويلزمه على ما قبل جواز لا جاءني زيد وعمرو لا في معنى لا جاءني زيد ولا جاءني عمرو ومنعه بعضهم وقال الزجاج والفراء يجوز أن يكون من قوله تعالى ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فانه عطف على الشيء أعني اقتحم فكأنه قيل فلا اقتحم ولا آمن ولا يلزم منه كون الايمان قبل ما داخل في مفهوم العقبة لانه يكفي في صحة العطف والتكرار كونه جزءا أشرف خص بالذكر محققا فجاءت سورة التكرار ضرورة اذ الحمل على غير ذلك

Marfat.com

عند الفتى ويلزمه جواز لا أبا زيد وضرب على العطف على اللفظ والبعض التقدم بتمه وقيل ان لا لتوكيد والكلام دعاء على ذلك الكافر أن لا يرزقه الله تعالى ذلك الخير وقيل لا تخفف ألا التحضيض كهلا فكأنه قيل فهلا التحم أو الاستفهام محذوف والتقدير ألا التحم ونقل ذلك عن ابن زيد والجبائي وأبي مسلم وفيه أنه لم يعرف تخفيف ألا التحضيضية وانه كما قال الرماني يقبح حذف حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع وقد عيب على عمر بن أبي ربيعة قوله

ثم قالوا تحبها قلت بهرا ✿ عدد الرمل والحصى والتراب

وقولهم لو أريد النفي لم يتصل الكلام ليس بشيء لظهور كان تحت النفي واتصال الكلام به قبل الكلام اخبار عن المستقبل فليس بمتناقض فيه التكرير أي فلا يقتحم النفية الآن ماضيه معلوم بالمشاهدة فالأهم الأخبار عن حالهن الاستقبال لكي تتحقق الوقوع غير بالماضي ونقل الطيبي عن أبي علي الفارسي عدم وجوب تكرير هار اداعلى الزجاج في زعمه ذلك وقال هي كلم والتكرير في نحو فلا صدق ولا صلى لا يدل على الوجوب لأن لم يصرفوا ولم يقتحموا وعلى عدم التكرير جاء قول أمية السابق

ان تغفر اللهم تغفر جما ✿ وأي عبد لك لا ألما

والتبين عند أكثر بة التكرير وأما وجوبه فليس بتبين والله تعالى أعلم وقرأ ابن كثير والتحوان فك فعلا ماضيا رفعا بالضم أو أظهم فعلا ماضياً أيضا وعلى هذه القراءة فك مبدلة من الضم وما بينهما اعتراض ومعناه أنك لم تدركك صعوبتها على النفس وكم نوالها عند الله عز وجل وقرأ أبو رجاء كذلك الا أنه قرأ فاسقبة بالالف على أن فاسقبوب على المفعولية بأظهم أي أظهم في يوم من الأيام اشاقة فاسقبة ويكون بشيا بدلا منه أوصفة له وقرأ هرأيضا والحسن أو اظلم في يوم فالالف أيضا على أنه مفعول به للمصدر وقرأ بعض التابعين فك رقبة بالاضافة أو أظهم فعلا ماضيا وهو معطوف على المصدر تأويله به والتراخي للقهوم من ثم في قوله تعالى ثم كان الخ رتبي فالايمان فوق جميع ما قبله لانه يستقل بكونه سببا للنجاة وشكرا بدون الاعمال كما فيمن آمن بدر طه ومات في يومه قبل أن يجب عليه شيء من الاعمال فان ذلك يتمه ويخلصه بخلاف ما عداه فانه لا يتم به بدونه وقوله سبحانه ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ معطف على آمنوا أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه أو بذلك والصبر على الطاعات أو بالصبر عن المعاصي وعلى المحن التي يبتلى بها الانسان ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ اي بالرحمة على عباده عز وجل ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر او تواصوا باسباب رحمة الله تعالى وما يؤدي اليها من المبرات على ان الرحمة مجاز عن سببها او الكلام على تقدير مضاف وذكر ان تواصوا بالصبر اشارة الى تعظيم امر الله تعالى وتواصوا بالرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى وبهما يملان عليهما مدار الطاعة وهو الذي قاله بعض المحققين الاصل في التصوف امران صدق مع الحق وخلق مع الخلق ﴿أُولَٰئِكَ﴾ اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم بالنعوت الجليلة المذكورة ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أي جهة اليمين التي فيها السعداء أو اليمن لكونهم ميامين على أنفسهم وعلى غيرهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أي جهة الشمال التي فيها الاشقياء أو القوم على أنفسهم وعلى غيرهم ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ﴾ مطبقة ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾ مطبقة من آصدت

Marfat.com

الباب اذا غلقه وأطبقه وهي لغة قريش على ماروى عن مجاهد وظاهر كلام ابن عباس عدم الاختصاص بهم ومن ذلك قول الشاعر

لحن الى أجبال مسكة نأتي ٭ ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة

ويجوز أن يكون من أوصدت بمعنى غلقت أيضا وهمز على حد من قرأ بالسوق بهموزا وقرأ أفيرواحد من السبعة موصدة بغير همز فيظهر أنه من أوصدت وقيل يجوز أن يكون من آصدت بوصلت الهمزة وقال الشاعر

فورما يصالح فلا لينا وقع ٭ وسلا سلاما مأبادوصدا

والرادمغلقة أبوابها اذا أغلقت للتعذيب والعياذ بالله تعالى عليهم وصرح بوعيدهم وإيصرح بوعد المؤمنين لانه الانسب بما سبق له الكلام والاوفق بالغرض والزام وانما جيء بضمير الفصل معهم لافادة الحصر واعتبروا نحويا كأنهم بحيث لا يصلحون بوجه من الوجوه الان يكونوا مقدارا اليهم ولم يسلك نحو هذا المسلك في الجملة الاولى التي في شأن المؤمنين ونقل عن الشيخ انه قال الحكمة في ترك ضمير الفصل في الاولين والاتيان بدله باسم الاشارة أن اسم الاشارة يؤتى به لتمييز ما أريد به أكمل تمييز كقوله

هذا أبو الصقر فردا في محاسنه ٭ من نسل شيبان بين الضال والسلم

ولا كذلك الضمير فان اسم الاشارة البعيد يفيد التعظيم لتنزيل رفعة محل المشار به اليه منزلة بعد درجته فاسم الاشارة للتعظيم والاشارة الى تميزهم واستحقاقهم كل الخير بخلاف أصحاب الشأمة والضمير لا يفيد ذلك الشيء وفيه لزوم الاشارة لا يفيد التعظيم يفيد التحقير كما في قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم وكل الخير لا يكون في الطير يكون في الشر فأي مانع من اعتبار استحقاقهم كل الخير وبالجملة ما ذكره ابن عباس والمثل ماذكرناه هو الاولى فتدبر

سورة الشمس

مكية بالاتفاق وآيها ست عشرة آية في الكوفي والمدني الأول وخمس عشرة في الباقية ولما ختم سبحانه السورة المتقدمة بذكر أصحاب اليمين واصحاب الشأمة أعاد جل شأنه في هذه السورة القريقين على سبيل التفكيك بقوله سبحانه قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وفي هذه فلحها فجورها وتقواها وهو كالبيان لقوله تعالى في الاولى وعد بناء النجدين على أول التفسيرين وختم سبحانه الاولى بما هو من أحوال الكفرة في الآخرة وختم جل وعلا هذه بما هو من أحوالهم في الدنيا فقال عز من قائل

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ أي ضوئها الآخر جدا فالاضافة لتعهد من ابن عباس والراد إذا أشرقت وقام سلطانها وقال بعض المحققين حقيقة الضحى تباعد الشمس من الافق الشرقي وبروزها للناظرين ثم صار حقيقة في وقت ثم لما قيل لاول الوقت ضحوة ولما يليه ضحى ولما بعده الى قريب الزوال ضحاء بالفتح والمد فاذا أضيف الى الشمس فهو مجاز من اشتراقها كما هنا ونقل عن المبرد أن الضحى مشتق من الضح وهو نور الشمس والالف منقلبة من الحاء الثانية وكذلك الواو من ضحوة منقلبة منها وتعقبه أبو حيان بقوله انه مختلف فيه الان المبرد أجل من أن يذهب الى هذا وهذان مادتان مختلفتان لاشتقاق احداهما من الاخرى وأجيب بانه لم يرد الاشتقاق الصغير ولا يخفى حاله على الصغير والكبير ومن مقابل ان ضحاها سحرها وهو تفسير بلازم وهو من مقابل الراد به النهار كله وفيه انه تعالى أقسم به بعيد ذلك ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ أي تبعها فقيل باعتبار طلوعه وطلوعها أي اذا تلا طلوعه طلوعها بان طلع من الافق الشرقي بعد

Marfat.com

طلوعها وذلك أول الشهر فان الشمس اذا غابت من الافق الغربي أول النهار يطلع بعدها القمر لكن لا سلطان له فيرى بعد غروبها هلالا ومناسبة ذلك للقسم به لانه وصف لها بابتداء أمرها فكان الضحى كشباب النهار فكذا غرة الشهر كولادته وقيل باعتبار طلوعه وغروبها أي اذا تلا طلوعه غروبها وذلك في ليلة البدر رابع عشر الشهر فانه حينئذ في مقابلة الشمس والبعد بينهما نصف دور الفلك فاذا كانت في النصف الغربي منه أعني مايلي وؤسنا كان القمر في النصف الشرقي منه أعني مايلي القدامنا فاذا غربت طلع من الافق الشرقي وهو المروي عن قتادة وقولهم سمي بدراً لانه يبدو طلوعه لغروب الشمس فكأنه يبدرها بالطلوع لابتدائه لانه مبني على التقريب ومناسبة ذلك القسم به لانه وقت ظهور سلطانه فيناسب تعظيم شأنه وقال ابن زيد نيهما في الدنيا فالنصف الاول نيهما بالطلوع وفي الآخر بالغروب وعزاه ماذكر في القولين وقيل الراد نيهما في الآخرة بأن طلع وظهر مضيئاً عند غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر فانه فيه يأخذ في زيادة منه قدرا من النور بخلافه في النصف الثاني وهو مروي عن ابن سلام واختاره الزمخشري وقال الحسن والفراء كما في البحر أي نيهما في كل وقت لايستغني منها قيل وانما لم يذكر الشيوأنكر بعض الناس ذهاب أحد من السلف الى أن نور القمر مستفاد من ضوء الشمس وزعم أنه رأى النحويين لايذكرون لغير ما ذكر حجة عليه والحجة من أصل المسألة أنظر من الشمس وهي اختلاف تدكلات النورية فربما زعم أنها تبلع ذهاب نوره عند حيلولة الارض بينه وبينها وكون الاختلاف لاحتمال أن يكون أحد نصفيه مضيئاً والنصف الآخر غير مضيء وأنه يتحرك على محوره حركة وضعية حتى يرى كل نصف منهما تدريجا وكون ذهاب النور عند الحيلولة لاحتمال حيلولة جسم كثيف بينا وبينه لاراه أضعف من حيال القمر كما لا يخفى وقال الزجاج وغيره تلاها معناه امتلأ واستدار فكان تاما فما في الاستدارة وكان النور ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴾ أي جلى النهار الشمس أي أظهرها فانها تتجلى وتظهر اذا انبسط النهار ومضى منه مدة فالاسناد مجازي كالاسناد في نحو صام نهاره وقيل الضمير للدجنة يعود على الارض وقيل على الدنيا والراد بها وجه الارض وما عليه وقيل يعود على الظلمة وجلاها حينئذ يمنى ازالتها وعدم ذكر المرجع على هذه الاقوال علم به والاول أولى لذكر المرجع والسياق الضمائر وجوز بعضهم أن يكون الضمير الرفوع المستتر في جلاها عائداً على الله عزوجل كأنه قيل والنهار اذا جلى الله تعالى الشمس فيكون قد اقسم سبحانه بالنهار في أكمل حالاته وهو كما ترى ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ أي الشمس فيغطي ضوءها والاسناد كما مر وقيل أي الارض وقيل أي الدنيا وهي بالضارع هنا دون الماضي كما في السابق بأن يقال اذا غشيها قال أبو حيان رعاية فاصلة ولم يقل فغشاها لانه يحتاج الى حذف أحد النونين لتدنيه اليهما فانه يقال غشيته كذا كما قال الراغب كذا قيل وقال بعض الاجلة جيء بالضارع للتنبيه على استواء الازمنة عنده تعالى شأنه وقال الطيبي الاولى أن يقال الراد بالليل الظلمة الحادثة بعدم الضوء لا العدم الاصلي والظلمة الاصلية فان هذه أظهر في الدلالة على القدرة وهي مستقبلة بالنسبة لما قبلها فلا بد من تغيير التعبير ليدل على الراد واستصعب الزمخشري الامر في نصب اذا بأن ما سوى الواو الاولى ان كانت عاطفة لزم العطف على معمولي عاملين مختلفين كضرب اليوم مثلا على الشمس المعمول لحرف القسم وعطف الظرف أعني اذا في اذا جلاها على نظيرتها في اذا تلاها للصولة الفصل القسم وان كانت قسمية لزم اجتماع القسمات المتعددة على جواب واحد وقد استكرهه الخليل وسيبويه وأجاب باختيار الشق الاول وانى ما لزمه فقال ان واو القسم يطرح بها البراز الفصل اطرادا (١) فكان هنا مثل

(١) وصرح ابن كيسان بجواز التصريح بفعل القسم مع الواو فلا تغفل اه منه

Marfat.com

خلاف ما إن الباء حيث أبرز معها الفعل تارة وأضمر أخرى فكانت الواو قائمة مقام فعل القسم وإن ساغ مسدها مما والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فهي عاملة الجر وعاملة النصب فالعطف من قبيل العطف على معمولي عامل واحد وهذا كما تقول ضرب زيد عمرا ويكر خالدا فترفع بالواو وتنصب الثاني بمقتضى ضرب الذي هو عاملها الثاني وأنت تعلم ان أول الواوات العواطف هنا ليس مما تعمل فيه النصب فلينه أراد أنها تعمل ذلك ان كان هناك منصوب أو هي عاملة باعتبار ان معنى والشمس وضحاها والشمس وضوئها اذا أشرقت وفيه أيضا أنه لم يقل أحد بأن الحروف العواطف عوامل وأيضا الاشكال مبني على امتناع العطف على معمولي عاملين مطلقا حتى لو جوز مطلقا أو بشرط كون المعطوف مجرورا على مذهب اليه جمع كما في قولك في الدار زيد والحجرة عمرو لم يكن اشكال وأيضا هو مبني على قبول هذا الاستكراه وعدم امكان التخلص من الاجتماع بتقدير جواب للكل من القسمات حتى اذا قيل أو قيل وقدر لكل جواب لم يبق أشكال وأيضا هو مبني على أن اذا ظرفية وهو ممنوع لجواز أن تكون قد تجردت عن الظرفية وحينئذ تكون بدلا عما بعد الواو كما قيل في قوله

وبعد غد يلعب نفسي من غد ٭ اذا راح أصحابي وليست برائح

ان اذا بدل من غد وعلى تسليم أنها ظرفية يجوز أن يقدر مع كل مضاف تتعلق به كان يقدر وقت القسم اذا تجلاها وتجلية النهار اذا جلاها وغشيان الليل اذا يغشاها أو تجعل متعلقة بمحذوف وقع حالا مقدرة مما عليه أي أقسم بالقمر كائنا اذا تلاها وبالليل كائنا اذا جلاها كما زعمه بعضهم وفيه بحث وأيضا يرد على الزمخشري مثل قوله تعالى والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس لان الواو هناك عاطفة وقد تقدم سر فعل القسم كما ذكره الشيخ ابن الحاجب على أن التحقيق كما قال بعض المحققين أن الظرف ليس معمولا لفعل القسم الذي اذا التقييد بالزمان غير مراد حالا كان أو استقبالا وانما هو معمول مضاف مقدر من نحو العظمة لان الاقسام بالشيء اعظام له فكأنه أقسم بعظمة زمان كذا وساقيل عليه من أن القسم انما يتوجه مستمر الاظهار عظمت وابانة شرفه فيجوز تقييده باعتبار جزء المعنى المراد بحسب الاظهار وأيضا اذا كان الاقسام اعظاما اما تقديره فلم يسلم الاستمرار دائما بمبالغة أو تنزيلا وعلى كل حال فليس تحتم ما يكون منشأ بحسب الصناعة والتقدير لينافي به وليظهر ما أريد منه مؤكدا فاللام للقوية ﴿ والسماء وما بناها ﴾ أي ومن بناها وإيثار ما على من لارادة الوصفية تنبيها على ما تقدم في وما ولد كانه قيل والقادر العظيم الشأن الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بتأتيها والمراد به ايجادها بحيث تدل على ذلك ويستدل بها عليه وهو أولى من تفسيره بباني الاشارة بالمراد من البناء (١) وكذا الكلام في قوله تعالى ﴿ والأرض وما طحاها ﴾ أي بسطها من كل جانب ووطأها كدحاها ويكون طحا بمعنى ذهب كقول علقمة

طحا بك قلب في الحسان طروب ٭ بعيد الشباب عصر حان مشيب

ومعنى أشرف وارتفع ومن أبائهم الا والقمر الطامي ويقال طحا يطحو طحوا وطحى يطحى طحيا وقوله سبحانه ﴿ ونفس وما سواها ﴾ أي أنشأها وأبدعها مستعدة لان تظلم وتتبدل أصنافا وقوى أعلاها الظاهرة والباطنة والتنكير للتكثير وقيل للتفخيم على أن المراد بالنفس آدم عليه السلام وهو الاولى لتناسب جواب القسم الآتي ومن ذهب الى ذلك جعله من الاستخدام وذهب الفراء والزجاج والبرد وقتادة وغيرهم الى أن ما في المواضع الثلاث مصدرية أي

(١) وهو أنه ذكر للاستدلال اه منه

Marfat.com

وبنائها وطحوها وتسويتها ولعله الزمخشري بناه ايس بالوجه لقوله تعالى (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) ومايؤدي اليه من فساد النظم وذلك على باقي الحوالي لما يلزم من عطف الفعل على الاسم وانه لا يكون له فاعل لا ظاهر وهو ظاهر ولا مضمر لعدم مرجعه واعترض بان الاخير مستغنى بالافعال السابقة أي بناها طحاها سواها على أن دلالة السياق كافية في صحة الاضمار وأما الاول ففيه أن عطف الفعل على الاسم ليس بشائع وان كان خلاف الظاهر على أنه عطف على مابعد ما كانه قيل ونفس وتسويتها فالهمها فجورها وتقواها واعترض هذا بان الفاء يدل على الترتيب من غير مهلة والتسوية قبل نفخ الروح والالهام بعد النفخ وأجيب بان التسوية تعديل الاعضاء والقوى ومنها الفكرة والالهام عبارة عن بيان كيفية استعمالها في التجديين في هذا الفعل وهو غير مفارق له متأخر عنه متأخر بحسب ازدياد القوى حكمية لا وجودا على ان المهلة في نحوهما عرفي وقد يعد منقطا دون تراخ ثم أنه مشترك الالزام ولا معنى للقول الطبي النظم السري يوجب موافقة القرائن فلا يجوز ونفس وتسويتها فألهمها الله فهي حاصلة والمعنى ذلك بناء على توهم ان قوله تعالى فألهمها جملة وباطلة لا يلوح فساد هذا الوجه وأبى القاضي عبد الجبار الا الصدرية دون الموصولية قال لما يلزم منها تقديم الاقسام بغير الله تعالى على اقسامه سبحانه بنفسه عز وجل وأجاب عنه الامام بأن أعظم المحسوسات الشمس فذكرها الله تعالى مع أولادها الاربعة الدالة عز عظمتها ثم ذكر سبحانه ذاته المقدسة ووصفها جل وعلا بصفات ثلاث ليحظى العقل بادراك جلال الله تعالى وعظمته سبحانه كما يليق به جل جلاله ولا يتأتى هذا الحس فسكان ذلك طريقا الى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات الى بساط أوج كبريائه جل شأنه وجوز أن تكون ما عبارة عن الامر الذي له بنيت السماء وطحيت الارض وسويت النفس من الخلق والصلاح التي لا تخصى ويكون اسناد الافعال اليها مجازا وفاعل ألهمها يجوز أن يكون ذلك أمر ويكون الاسناد مجازا أيضا وهو كالاول والفجور والتقوى على ما أخرج عبد بن حميد وغيره عن الضحاك النصية والطاعة مطلقا قيلين كانا أو فاليين والهامهما النفس على ما أخرج هو وابن جرير وجماعة عن مجاهد تعريفها اياهما بحيث تميز رشدهما من غلاطها وروى ذلك عن ابن عباس كما في البحر وقريب منه قول ابن زيد ألهمها فجورها وتقواها بينهما لها وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهما نحوه عن قتادة والآية على ذلك نظير قوله تعالى وهديناه النجدين وقدم الفجور على التقوى لان المقام يهدا الذي من مبادي تجنبه وهو تخلية والتحلية مقدمة على التحلية وقيل قدم مراعاة للفواصل وأضيفا الى ضمير النفس قيل اشارة الى ان الالهام النفس فجور وتقوى قد استعدت لهما فالمعنى بحسب الاستعداد وقيل رعاية للفواصل أيضا وقوله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) جواب القسم على ما أخرجه الجماعة عن قتادة وابي ذئب الزجاج وغيره وحذف اللام كثير لا سيما عند طول الكلام المقتضي للتخفيف أو لسده مسدها وفاعل زكاها ضمير من والضمير المنصوب للنفس وكذا في قوله تعالى (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) وتكرير قد فيه لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتباين القسم به أصالة والتزكية التنمية والتقوية الاخفاء وأصل دسى دسس فابدل من ثالث الحاءين ياء ثم أبدلت ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها والخلق يعمهم فقال ابدلمن ذلك حرف علة كالالف التي تقتضي تقضي ودسى بمعنى اخفى قال الشاعر

ودست عرا في التراب فأصبحت ... خلالة منه أرامل ضيعا

وفي الكشاف التزكية الانماء والاعلاء والتدسية النقص والاخفاء أي لقد فاز بكل مطلوب ونجا من كل محذور من أتى نفسه واعلاها بالتقوى علما وعملا ولقد خسر من نقصها واخفاها بالفجور

جهلا وقسوة ويجوز ان تفسر التزكية بالتطهير من دنس الخبول والدسية بالاخفاء فيه والتلويث به وايا كان فهي الوعد والوعيد المذكورين مع القسم امالي عليهما بما يدل على العلم بوجوده تعالى ووجوب ذاته سبحانه وتعالى صفاته عز وجل وبذكر عظائم آلائه وجلائل نعمائه جل وعلا من الكلف بعباده ما لايخفى وقوله تعالى (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا) استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها وجعل الزمخشري قوله تعالى قد افلح الخ بيانا لقوله تعالى فالهمها الخ على سبيل الاستطراد وأبى أن يكون جواب القسم وجعل الجواب محذوفا مدلولا عليه بما ذكر قيل ليعتبر من الله تعالى حال كفار مكة الذين كذبوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما يعتبر حال ثمود الذين كذبوا صالحا عليه السلام فقيل ان ذلك لا يلزم من حذف اللام وأنه لا يليق بالنظم المعجز أن يجعل أدنى المكانين أعني التزكية لاختصاصها بالقوة العاقلة المقصود بالاقسام ويعرض عن أعلاهما أعني التحلية بالفضائل الدينية التي هي لب الالباب وزبدة ماتحفت الاحقاب ولو سلم عدم الاختصاص فهي بمقدمة التحلية في البابين وأما حذف القسم عليه فكثير شائع لاسيما في الكتاب العزيز وانما حذف اللام كثيرا لاسيما مع الطول وهو أسهل من حذف الجملة بتمامها وقد ذكره فقد أفلح المؤمنون فاحدا محاما وأن التزكية مرقاة بها الاعداد للاختصاص فلا يليست مقدمة قبل متصودة بالذات ولو سلم فلا مانع من الاعتداد ببعض المقدمات أحيانا لتوقف المقاصد عليها فتدبر وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير أنه قال في قولها ألزمها وأخرجه البيهقي عن أنس مرفوعا وعلى ذلك قال الواحدي وصاحب الكشف الامام أن يوقع في القلب التوفيق والخذلان فاذا أوقع سبحانه في قلب عبد شيئا منهما فقد ألزمه سبحانه ذلك الشيء ويزيد ذلك قوة ما أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن عمران بن حصين أن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقال عليه الصلاة والسلام لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ولا يقتضي ذلك أن لا يكون لقدرة العبد واختياره مدخل في الفجور والتقوى بالكلية وان قيل أن ما ألهم الى خلق الله تعالى ايها فقال بأياه حينئذ قوله تعالى قد أفلح من زكاها الخ حيث جعل فيه العبد فاعل التزكية بالتقوى والدسية بالفجور لان الاسناد يقتضي قيام المسند بالمسند اليه في الجملة المذكورة ولا يتوقف صحة الاسناد حقيقة الى العبد على أكون فعله بالايجاد فالاستدلال بهذا الاسناد على كونه متمكنا من اختيار ما ذكر من الفجور والتقوى وايجاده اياه بقدرة مستقلة فيه على خلاف ما يقول الجماعة ليس بشيء على أن الضمير المستتر في زكاها والذي في دساها لله عز وجل والبارز لنفس بتأويل النفس فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال في ذلك يقول الله تعالى قد أفلح من زكى الله تعالى نفسه فهداه وقد خاب من دسى الله تعالى نفسه فأضله بل أخرج عنه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي أنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في قوله تعالى قد أفلح من زكاها الآية ألهمت نفس زكاها الله تعالى وخابت نفس خبيها الله تعالى من خبيها وأخرج الامام أحمد وابن أبي شيبة ومسلم والنسائي عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ولابن مردويه والطبراني وغيره عن ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام اذا قال هذه الآية وقف وقال ذلك وهذه الاخبار ونحوها قال بعضهم ان ذلك نحو

الروح

Marfat.com

الترجيح ورجحه صاحب الانصاف بان الضمائر في والسماء وما بناها الخ تكون عليه متسقة عائدة على الى آخرها وبأن قوله تعالى قد أفلح من زكاها بالان تزكى مطاوع زكى فيكون المعنى قد أفلح من زكا نفسه تعالى فترك ومع هذا فلا ينبغي ان ينكر ان المعنى السابق هو اللائق بالنظم وما ذكر من الاخبار لا يسر نصا في شيء المعنى الآخر نعم هو نص في تكذيب الزمخشري في زعمه انه من تعكيس القدرية يعني بهم اهل السنة والجماعة فتأمل والطغوى مصدر من الطغيان بمعنى تجاوز الحد في العصيان فعلوا بين الاسم والصفات فعل من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا في الصفة امرأة صديا وخزيا وفي الاسم لقوى وطغوى كذا في الكشاف وغيره وكلام الراغب يدل على ان طغى واوي ويائي حيث قال يقال طغوت وطغيت طغوانا وطغيانا فلا تغفل . والباء عند الجمهور للسببية أي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول خافتي الطيث بجرائه على الله تعالى وجعلها الزمخشري للاستعانة والامر سهل وجوز ان تكون صلة للتكذيب على معنى كذبت بما اوعدت به في لسان نبيها من العذاب ذي الطغوى أي التجاوز عن الحد والزيادة ويوصف العذاب بالطغيان يرتا الذي كما في قوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقد يوصف بالطغوى مبالغة كما يوصف بسائر المصادر لذلك فلا يكون هناك مضاف محذوف . وقرأ الحسن ومحمد بن كعب وحماد بن سلمة طغواها بضم الطاء وهو مصدر أيضا كالرجعى والطغى في المصادر إلا أنه قيل كان القياس الطغيا كالسقيا الآن قيل بالضم لا يفرق فيه بين الاسم والصفة فلهم عاملوا فيه فقلبوا الياء واوا وانت تعلم أن الواو عند من يقول طغوت أصلها (إِذِ انْبَعَثَ) متعلق بكذبت أو بطغوى وانبعث مطاوع بعث بمعنى أرسله والمراد إذ ذهب لشر الناقة (أَشْقَاهَا) أي أشقى ثمود وهو (١) قدار بن سالف أو هو ومن تصدى منه لشرها من الاشقياء الثلاثة على ما قال الفراء أكثرهان افعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة يصلح للواحد والتعدد والذكر والتؤنث وفعال شقاوتهم على من معاهم لما شاركهم المقرم اشتراك الكل في الرضا بفعل تلك الخبائث برذلك يصفها الله تعالى فيهم هي فوق خبائث من عداهم (فَقَالَ لَهُمْ) أي الثمود أو لاتقاعها على ما فيسبل بناء أن المراد به جمع ولا بأس وسقياها كما لا يخفى (رَسُولُ اللَّهِ) هو صالح عليه السلام وعبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السر في اضافة الناقة اليه تعالى في قوله سبحانه (نَاقَةَ اللَّهِ) وهو نصب على التحذير وشرطه ليس تكريره لفظا بل كونه محذرا عما بعده فقط ليدل هو منصوب بتقدير اتركوا أو احذروا لان التحذير لا شرطه ذلك أو النصب عليه كما هنا على ما نص عليه سيبويه والكلام على حذف مضاف أي احذروا عقر ناقة الله أو التي على ذلك وان لم يقدر في نظم الكلام وجوز أن يكون التقدير عظموا أو الزموا ناقة الله وليس بشيء (وَسُقْيَاهَا) أي واحذروا سقياها فلا تشربوا منها نهارا في نوبتها ولا تستأثروا بها عليها وقيل الواو قسمية والمراد ذروا ناقة الله مع سقياها ولا تحولوا بينها وهو كما ترى وقرأ زيد بن علي ناقة الله بالرفع فقيل أي حكم ناقة الله وسقياها فلا تعقروها ولا تستأثروا بالسقيا عليها (فَكَذَّبُوهُ) أي في وعيده إياهم كما حكته بقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم فالتكذيب ظاهر مقدر ويجوز أن يكون ظاهر تضمنه الامر التحذيري السابق وهو الظاهر بحمول العذاب ان فعلوا ما حذرهم منه وقيل ان ما قاله لهم من الامر بالناقة عن الله تعالى لا يؤذن بذلك التعبير عنه عليه السلام بعنوان الرسالة وما قال فانه قال لهم انه قال الله تعالى

(١) قدار بوزن غلام وسناء الجزار اهـ منه

Marfat.com

ناقة الله وسقياها فالتكذيب لذلك وهو وجه لا بأس به ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي فدمر وها أو فدمر وها وضمير الجمع للاتي وجمع على تقدير وحدته لرضا الكل بفعله قال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه سبعة رهط وهو ذرع وأتم ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ ﴾ فاطبق عليهم العذاب وقالوا دمدم عليه القبر أي أطبقه وهو مما تكرر فيه العاد فوزنه فعفل لا فعلل من قولهم ناقة مدمومة اذا لبسها الشحم وغطاها وقال في القاموس معناه أتم العذاب عليهم وقال مؤرج الدمدمة اهلاك باستئصال وفي الصحاح دمدمت الشيء ألزقته بالارض وخططته وقرأ ابن الزبير فدمدم بها بين الدالين والتي كما تقدم ﴿ بِذَنْبِهِمْ ﴾ بسبب ذنبهم العظيم والتصريح بذلك مع دلالة العاد عليه للاشعار بمغايرة الذنب لما يشبهه قال مقاتل ﴿ فَسَوَّاهَا ﴾ الضمير للدمدمة المفهومة من دمدم أي طبق الدمدمة سواء بينهم أو جعلها عليهم سواء فلم يفلت سبحانه منهم أحدا لا صغيرا ولا كبيرا أو هو للذنب والتأنيث باعتبار القبيلة كما في طوعها وأشقاها والتي ماذكر أيضا أو فسواها بالارض ﴿ وَلَا يَخَافُ ﴾ أي الرب عزوجل ﴿ عُقْبَاهَا ﴾ أي عاقبتها وتبعتها كما يخاف الماشون من الملوك عاقبة مايفعلونه وليته وهو استعارة تمثيلية لاهانتهم وأنهم أذلاء عند الله جل جلاله والواو للحال أو للاستئناف ويجوز أن يكون ضمير لا يخاف الرسول والواو للاستئناف لا غير على ماهو الظاهر أي ولا يخاف الرسول عليه الصلاة والسلام اذ كان قد أنذرهم وحذرهم وقال السدي والضحاك ومقاتل والزجاج وابو علي الواو للحال والضمير عائد على انبعاثها اي انبعث اشقاها وهو لا يخاف على نفسه لكفره وطغيانه وهو لبعد عاقبته بكثير وقرأ أبي والاعرج وابن عامر فلا يخاف بالفاء وقرىء ولم يخف بواو وفعل بمعنى واحد واختلف في هؤلاء القوم هل آمنوا ثم كفروا أو ماؤمنوا أصلا فالجمهور على الثاني وذهب بعض الى انهم آمنوا وماتوا صالحين ثم كذبوه وكفروا بقتلها كما مر فصل في موضع آخر وقال الربيع الآمر هي الذين قدس سره في خصوصه انهم وقوم لوط عليه السلام لا نجاة لهم يوم القيامة بوجه من الوجوه ولم يساو غيرهم من الامم المكذبة الهالكة في الدنيا كقوم نوح عليه السلام بهم ولكلامه قدس سره أهل يليقونه فارجع اليهم في فهمه ان وجدتهم * وذكر بعض أهل التاويل ان الشمس اشارة الى ذات واجب الوجود سبحانه وضحاها اشارة الى الحقيقة المحمدية والقمر اشارة الى مادة الممكن المستفيدة الوجود من شمس الذات والنهار اشارة الى العالم بسائر أنواعه التي تجلت به صفات جمال الذات وجلاله والليل اشارة الى وجود مايتعاقد من أنواع الممكنات الساتر في أعين المحجوبين الوجود الحق والسماء اشارة الى عالم العقل والارض اشارة الى عالم الجسم والنفس معلومة ونفخة الله اشارة الى واسطة الفيوض الواصلة اليه سبحانه وسقياها اشارة الى مشربها من عين الذكر والفكر وقال بعض آخر الشمس اشارة الى الوجود الحق الذي هو عين الواجب تعالى فهو أظهر من الشمس الله نور السموات والارض وقال شيخ مشايخنا البدليسي قدس سره

ظاهر أنت ولكن لا ترى * لبيون حجبتها الغلط

وضحاها اشارة الى أول التعينات باسم سبحانه والقمر اشارة الى الاعيان الثابتة القابلة بالفيض الاقدس أو الشمس اشارة الى الذات وضحاها اشارة الى وجودها والاضافة لاعتبار الاعتباري والقمر اشارة الى أول التعينات والنهار اشارة الى الممكنات القابلة بالفيض المقدس والليل اشارة اليها أيضا باعتبار نظر المحجوبين أو النهار اشارة إلى صفة الجمال والليل اشارة الى صفة القهر والجلال والسماء اشارة الى عالم الطائفة وذكر النفس مع دخولها في هذا الاعتداد بناتها والارض اشارة الى عالم الكثافة وتلك اشارة الى الطريقة وسقياها

Marfat.com

مصرها من عين الشريعة وقيل غيرذلك والله تعالى الهادي الى سواء السبيل

سورة الليل

لاخلاف في أنها احدى وعشرون آية واختلف في مكيتها ومدنيتها فالجمهور على أنها مكية وقال علي بن أبي طلحة مدنية وقيل بعضها مكي وبعضها مدني وكذا اختلف في سبب نزولها فالجمهور على أنها نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وروى ذلك باسانيد صحيحة عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما وقال السدي انها نزلت في أبي الدحداح الانصاري وذلك أنه كان في دار مناقي نخلة يطع منها في دار يتامى في جواره بعض بلح فأخذه منهم فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم دعها لهم ولك بدلها نخل في الجنة قابى فاشتراها أبو الدحداح بحائطها فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أهي لهم بالنخلتين في الجنة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم افعل فوهبها فنزلت وروى نحوه مطولا مبهما فيه أبو الدحداح ابن أبي حاتم عن ابن عباس بسند ضعيف كما نص عليه الحافظ السيوطي وذكر بعضهم أن قوله تعالى فيها وسيجنبها الأتقى الخ نزل في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وسكت عما عداه ونقل عن بعض المفسرين ان هذا مجمع عليه وان زعم بعض الشيعة انه نزل في الامير كرم الله تعالى وجهه وسيأتي ان شاء الله تعالى شرح ما له نزل ولما ذكر سبحانه فيما قبله أفعالا فاضلة ليؤذن بشرف من يصدر عنه ذكر سبحانه فيها من الاوصاف ما يحصل به الفلاح وما يحصل به خلافه فقال سبحانه

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أي حين يغشى الشمس كما قوله تعالى يغشى الليل النهار أو كل ما يواريه في الجملة بظلامه والقسم به في الاوجه الثلاثة الليل له

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وانكشف بطلوع الشمس والاول على تقدير كون المقسم النهار أو كل ما يواري اذ ما فيها اشتهار وجود الظلام والثاني على تقدير كونه الشمس اذ ما له اشتهار قرويا فيحسن التقابل بين القرينتين على ذلك واختلاف القبلين معنيا واستقلالا قد تقدم الكلام فيه وقرأ عبد الله بن عبيد بن عمير تجلى بتاءين على أن الضمير للشمس وقرىء تجلى بضم التاء وسكون الجيم على أن الضمير لها أيضا

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ أي والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والانثى من الحيوان للتضاد بذلك وقيل من بني آدم وقال ابن عباس والحسن والكلبي المراد بالذكر آدم عليه السلام وبالانثى حواء رضي الله تعالى عنها وأيا ما كان فما موصولة أو مصدرية والاولى على ما سمعت وتحتمل المصدرية وليس بذاك وقرىء والذي خلق وقرأ ابن مسعود والذكر والانثى وتبعه ابن عباس كما أخرج ذلك ابن النجار في تاريخ بغداد من طريق الضحاك عنه ونسبت لعلي كرم الله تعالى وجهه وأخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن علقمة انه قدم الشام فجلس الى أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه فقال له أبو الدرداء فمن أنت فقال من أهل الكوفة قال كيف سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ والليل اذا يغشى قال علقمة والذكر والانثى فقال أبو الدرداء أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ هكذا وهؤلاء يريدوني على ان أقرأ وما خلق الذكر والانثى والله لا أتابعهم وأنت تعلم أن هذه قراءة شاذة منقولة آحادا لا تجوز القراءة بها لكنها بالنسبائل من سمعها من النبي عليه الصلاة والسلام في حكم الرواية تجوز قراءته بها وذكر ثعلب أن من السلف من قرأ وما خلق الذكر بجر الراء وحكاها الزمخشري عن الكسائي وخرجوا ذلك على البدل من

Marfat.com

ما يشاء وما خلقه الله أي والخلوق الله الذكر والأنثى قيل وقد يخرج على توهم المصدرية بناء على مصدرية ما أي وخلق الذكر والأنثى كما في قوله

تطوف العفاة بأبوابه ... كما طاف بالبيعة الراهب

يجر الراهب على توهم النطق بالمصدر أي كطواف الراهب بالبيعة ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ أي مساعيكم فإن المصدر المضاف يفيد العموم فيكون جمعا معنى ولذا أخبر عنه بجميع أعني قوله تعالى ﴿لَشَتَّى﴾ فإنه جمع شتيت بمعنى متفرق ويجوز أن لا يتبر سعيكم في معنى الجمع ويكون شتى مصدراً مؤنثا كذكرى ويقدر خبرا له بتقدير مضاف أي ذو شتى أو بتأويله بالوصف أي شتيت أو يجعله عين الافتراق مبالغة وأيا ما كان فالجملة جواب القسم كما أخرجه ابن جرير عن قتادة وجوز أن يكون الجواب مقدراً كما مر غير مرة والمراد بتفرق المساعي اختلافها في الجزاء وقوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ الخ تفصيل مبين لتفرقها واختلافها في ذلك وجوز أن يراد باختلافها كون البعض طالبا اليوم الثواب والبعض طالبا للمال الدائي وبعضها مستعانا بالذكر وبعضها مستعانا بالأنثى فيكون الجواب عديم المناسبة بالقسم ولا يخفى بعده وركاكته والظاهر أن المراد بالاعطاء بذل المال ومن هنا قال ابن زيد المراد انفاق ماله في سبيل الله تعالى وقال قتادة الذي أعطى حق الله تعالى وظاهره الحقوق المالية ﴿وَاتَّقَى﴾ أي واتقى الله عز وجل كما قال ابن عباس وفي معناه قول قتادة واتقى ما نهي عنه وفي رواية عنه اتقى الله تعالى وقال مجاهد واتقى البخل وهو كما ترى ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أي بالكلمة الحسنى وهي كما قال أبو عبد الرحمن السلمي وغيره وروي ذلك عن ابن عباس لا إله إلا الله أو هي مادلت على حق كما قال بعضهم وتدخل كلمة التوحيد دخولا أوليا أو بالفعلة الحسنى وهي مثل الاسلام وقال عكرمة وجماعة وروي عن ابن عباس إيضا التوبة بالخلف في الدنيا مع المضاعفة وقال مجاهد الجنة وقيل المثوبة ولا يخفى أن الاعطاء اشارة الى العبادة المالية والاتقاء اشارة الى مايشمل سائر العبادات من فعل الحسنات وترك السيآت مطلقا والتصديق بالحسنى اشارة الى الإيمان بالتوحيد أو بما يعمه وغيره مما يجب الإيمان به وهو تفصيل شامل للمساعي كلها وتقديم الاعطاء لما أنه سبب النزول ظاهرا فقد أخرج الطبراني وصححه عن عامر بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه قال قال أبو قحافة لأبي بكر رضي الله تعالى عنه أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك اذ فعلت ماقلت أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك فقال يا أبه انما أريد ما أريد فنزلت فأما من أعطى واتقى الى والليل اذا يغشى وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر عن ابن مسعود قال ان أبا بكر اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشر أواق فاعتقه فنزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله سيجنبها الأتقى وكذا على القول بانها نزلت في أبي الدحداح ولما كان الإيمان أمرا مبنيا به في نفسه أخر عن الاتقاء ليكون ذكره بعده من باب ذكر الخاص بعد العام مع ما في ذلك من رعاية الفاصلة وقيل المراد أعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الدالة على الحق كلمة التوحيد وفيه أن الفروق في الاعطاء تدافه بالمال خصوصا وقد وقع في مقابلة ذكر البخل والمال وأمر الايمان عليحدة وقيل آخر الآن من جانب الاعطاء الطاعة الاصداق بكلمة التوحيد التي لا يتم الإيمان الا بها ومن جملة الاتقاء الاتقاء عن الاشراك وهما متقدمان على ذلك وليس بشيء ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ فسنهيئه للخصلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة وبيانه من يسر الفرس فركوب لذا أسرجها وألجمها ووصفها

Marfat.com

باليسرى اما على الاستعارة التصريحة أو المجاز المرسل أو التجوز في الاسناد ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بالمال ولم ينفقه في سبيل الخير وقيل أي بخل بفعل ما أمر به ونهى عنه ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ أي وزهد فيما عنده عز وجل كأنه مستغن عنه سبحانه فلم يتله جل وعلا أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى لانه في مقابلة واتقى كما أن قوله تعالى ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ في مقابلة وصدق بالحسنى والمراد بالحسنى فيما مر في الاقوال قبل ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ أي الخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومباديه ووصفها بالعسرى على نحو ما ذكر وأصل التيسير من اليسر بمعنى السهولة لكن أريد التهيئة والاعداد للامر الآتي ما يفضي الى راحة وما يفضي الى شدة والسين في سنيسره قيل لتأكيد وقيل للدلالة على أن لخزاة الوعود منظمة يكون في الآخرة التي هي أمر منتظر متراخ وتقديم البخل والاستغناء والتكذيب بالحسنى على نحو ما تقدم وفي الارشاد لعل تصدير الشرطين بالاعطاء والبخل مع أن كلا منهما أدنى رتبة مما بعد في امتناع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بأن كلا منهما أصيل فيما ذكر لما بعدها من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وقيل التيسير أولا بمعنى اللطف وثانيا بمعنى الخذلان واليسرى والعسرى الطاعة لكونها أيسر شيء على الناقي وأصعبه على غيره والتي أما من أعطى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة عليه أيسر الامور وأهونها من قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام وأما من بخل ألغ فسنخذله ونكله الالطاف حتى تكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشده من قوله تعالى يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء وأصل هذا فسنيسره للطاعة العسرى ثم أريد ما ذكر على أن الوصف هو المقصود بتعلق التيسير أعني التيسير للموصوف أعني الطاعة ومع هذا اطلاق التيسير العسرى مشاكلة وجوز أن يراد باليسرى طريق الجنة وبالعسرى طريق النار وبالتيسير في الموضعين معنى الهداية وهو في الآخرة وعدا ووعيدا وأمر الدعاية فيه على حاله وجوز أن يراد بالتيسير التهيئة والاعداد واليسرى والعسرى الطاعة والمعصية ومباديهما من الصفات المحمودة والمذمومة وهو وجه حسن تعم بعيدين الاول ولازمها حسن الطباق الصحيح في الاخبار أخرج الامام احمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في جنازة فقال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاء ثم قرأ عليه الصلاة والسلام فاما من أعطى واتقى الآيتين وكان حاصل ما أراده صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اعملوا الخ وبكل شأن العبودية وما حقائم لاجله وامرتم به وكلوا الامور الربوبية الغيبية الى صاحبها فلا عليكم بعدها وايانا كان فالمراد بمن اعطى الخ ومن بخل الخ المتصف بعنوان الصلة مطلقا وان كان السبب خاصا الخ الدرة بسموم الافظ لا بخصوص السبب نعم هو قطعي الدخول وقيل من اعطى ابو بكر رضي الله تعالى عنه ومن بخل امية بن خلف وأخرج عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس ان الاول ابو بكر رضي الله تعالى عنه والثاني ابو سفيان بن حرب ونحوه عن عبد الله بن ابي اوفى وفي هذا نظر لان أبا سفيان أسلم وقوي اسلامه في آخر أمره عند أهل السنة وفي رواية الطبراني عنه أن وأما من بخل الخ نزلت في أبي جهل ولعل كل ما قيل من التخصيص فهو من باب التمثيل على بعض افراد العام لتحقق دخوله فيه عند من خصص ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ أي ولا يغني عنه مع ان ما نافية أو اي شيء يغني عنه

Marfat.com

ماله الذي يتخلل به على أنها متقابلة (إذا تَرَدَّى) اى هلك فعل من الردى وهو الهلاك قاله مجاهد وقيل تردى في حفرة القبر قاله قتادة وابو صالح تردى في جهنم ابي سفط وقال قوم ترى بالذال من الرداء وهو كناية عن موته هلاكه (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى) استئناف مقرر لما قبله اى ان علينا بموجب قضائنا الذي هو الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة اى ندلهم ونرشدهم الى الحق أو أن نبين لهم طريق الهدى وما يؤدي اليه من طريق الضلال وما يؤدي اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه فلا يتم الاستدلال بالآية على الوجوب عليه عز وجل الذي يزعمه المعتزلة وقيل المراد أن الهدى بمولانا علينا لا على غيرنا كما قال سبحانه ذلك لانهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وليس الذي أن الهدى يجب علينا حتى يكون بظاهره دليلا على وجوب الاصلح عليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً وفيه أن تعالى الجار بالكون الخاص أعني موكولا خلاف الظاهر ومثله مقابل أن المراد ثم أن علينا طريقة الهدى على معنى أن من سلك الطريقة البينة بالهدى والارشاد اليها يصل الينا كما قيل في قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل أى من سلك السبيل القصد أى المستقيم وصل اليه سبحانه (وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى) أى التصرف الكلي فيهما كيف شاء فنفعل فيهما ما نشاء من الافعال التي من جانبنا ماذكرنا قبين أو على وفق بعثال أو أن لنا ذلك فاتبع من اهتدى واتجع فيه هدانا أولن لنا في ملكنا شيئا فلا يضرنا تركك الاهتداء وعدم اتقائك بهدانا أو فلا ينفعنا اهتداؤك كما لا يضرنا ضلالك فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى) قيل متفرع على كون الهدى عليه سبحانه أى فهددتكم بالانذار وبالغت في محاذيركم وتلظى يعني تلهب وأصله تتلظى بتاءين حذفت منه احداهما وقد قرأ بذلك ابن الزبير وزيد بن علي وطلحة وسفيان بن عيينة وعبيد بن عمير (لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى) المراد به الكافر فانه أشقى من الفاسق ويتضح بذلك وصفه بقوله تعالى (الَّذِي كَذَّبَ) أي بالحق (وَتَوَلَّى) وأعرض عن الطاعة (وَسَيُجَنَّبُهَا) أى سيبعد عنها (الْأَتْقَى) البالغ في اتقاء الكفر والعاصي فلا يحوم حولها واستشكل بأن صلي النار دخولها أو مقاساة حرها وهو لازم دخولها على التقدير السابق يقتضي ان لا يصلى المؤمن العاصي النار لانه ليس داخلا في عموم الاتقى الموصوف بما ذكر وان سيجنبها الاتقى يقتضي بمفهومه ان غير الاتقى أعني التقي في الجملة وهو المؤمن العاصي لا يجنبها بل يصلاها فبين الحصرين مخالفة وأجيب بان الصلي ليس بمطلق دخول النار ولا بمطلق مقاساة حرها بل هو مقاساته على وجه الاشدية فقد نقل ابن المنير عن آية البقرة أن الصلي أن يحضروا سعيرها فيجدوا فيها حرا كثيرا ثم يصرفوا الى شدة فيدوموا وسطه بين أطباقه والتقي لا يعذب بين أطباقها ولا يلقى حرها على وجه الاشدية الا الاتقى وسيبعد عنها الاتقى فلا يدخلها فضلا عن مقاساة ذلك فيلزم من الاول ان غير الاتقى وهو المؤمن العاصي لا يعذب بين أطباقها ولا يلقى حرها على وجه الاشدية ولا يلزم منه أن لا يدخلها ولا يعذب بها أصلا فيجوز أن يدخلها ويعذب بها على وجهها عذابا دون ذلك العذاب ويلزم من الثاني ان غير الاتقى لا يجنبها ولا يلزم منه ان غير الاتقى في الجملة وهو المؤمن العاصي يصلاها ويعذب بين اطباقها أشد العذاب بل غاية ما لا يجنبها فيجوز أن يدخلها ويعذب بها على وجهها عذابا ليس بالاشد فلا مخالفة بين الحصرين واعتذر بعضهم في الصلي الاشدية لما ذكر واللزوم هذا بقوله تعالى وسيجنبها كذا قيل والاحسن جعل السين فيما ليه ليكون التي يجنبها الاتقى ولا بد فيه من العدول بالضمير ان فسيره وهو المؤمن العاصي

Marfat.com

لا يجتنبها ولا بد على معنى أنه يجوز أن يجتنبها ويجوز أن لا يجتنبها البتة فهو صادق بالوقوع الزمخشري الاستشكال بأنه قد علم أن كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص الصلي بالشقي الاتقياء ولا التجنب والتجنب بالأتقى الاتقياء وظاهر الجملتين ذلك وأجاب بما حاصله أن الحصر حيث كانت الآية واردة للموازنة بين حالتي معظم من المفسرين ومعظم من المؤمنين ادعائي مبالغة لا حقيقي كان غير هذا الأتقى غير صال وغير هذا الأتقى غير مجنب بالكلية واستحسنه في الكشف فقال هو مني حسن وأنت تسلم أن مبنى ما قاله على الاعتزال وتخليد العصاة في النار وقال القاضي ان قوله تعالى لا يصلاها لا يدل على أنه تعالى لا يدخل النار الا الكافر كما يقول المرجئة وذلك لانه تعالى ذكر النار فيها فالمراد ان ناراً من النيران لا يصلاها الا من هذه حاله والنار مدركات على ما علم من الآيات فمن أين عرف أن هذه النار لا يصلاها قوم آخرون وتعقبه الزمخشري بأنه ما يصنع عليه بقوله تعالى وسيجنبها الأتقى فقد علم ان أتقى الناس يجنب تلك النار المخصوصة لا الأتقى منهم خاصة وأجيب بأنه لعل هذا القائل لا يقول بمفهوم الصفة ونحوها فلا تفيد الآية المذكورة عنده الحصر ويكون تيسير هذا الأتقى عنده بمجموع التجنب وما سيذكر بعد ولعل من لا يقول بالمفهوم لا يشكل عليه الأمر الآتي الحصر في لا يصلاها الخ فانه كالنص في بادىء النظر فيسأل بديهة الرجعة لمفهوم الصفة فيه على مطلق الدخول وأيدوه بما أخرج الامام احمد وابن ماجه وابن مردويه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يدخل النار الا من شقي قيل ومن الشقي قال الذي لا يعمل لله تعالى طاعة ولا يترك لله تعالى معصية وهذا الخبر ونحوه من الأخبار مما يستندون اليه في تحقيق دعواهم وأهل السنة يؤولون ما صح من ذلك بالنصوص الدالة على تعذيب بعض من ارتكب الكبيرة على مايرى في موضعه وقيل في الجواب أن المراد بالأشقى والأتقى الذي والتي وشاع أفعل في مثل ذلك ومنه قول طرفة

متى رجال ان أموت فان أمت ... فتلك سبيل لست فيها بأوحد

قالوا أراد أحد وأعترض بأنه لا يحسن مادة الاشكال وذلك الشقي في الآية ليس الا الكافر فيلزم الحصر أن لا يدخل النار أولا يعذب بها غير بمعنى أنه مخالف للذهب الحق وأيضا ذلك الذي فيها قد وصف بما وصف لعمل القول بالفهوم يلزم أن لا يجنبها التقي غير الموصوف بذلك لانه الذي لا عمل له وغير الكاملين من الأطفال والمجانين مع ان الحق أنهم يجنبونها وقيل غير ذلك ولعل الاطلاع عليه دقيق النظر في جميع ما قيل واستحضار ما ذكر بالجملة متى أعمل الجميع تستحسن ان قلت بالفهوم ما استحسنت صاحب الكشف عامر من الزمخشري وان لم تكن ممن يقول بتعليد أهل الكثير من المؤمنين فما أدل وجنب يتعدى الى مفعولين فالضمير هنا المفعول الثاني والأتقى المفعول الأول وهو الثاني عن العامل وبذل جنب فلان خيرا وجنب شرا وأطلق قليل جنب فلان فضاء على ما قال الراغب أبعد من الخير وأصل جنبه كما قيل جعله على جانب منه وكثيراً ما يراد به التبعيد ومنه ما هنا ولذا قلنا أي سيبعد عنها الأتقى (الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ) اي يعطيه ويصرفه (يَتَزَكَّى) طالبا ان يكون عند الله تعالى زاكيا نامياً لا يريد به رياء ولا سمعة أو متطهرا من الذنوب فالجملة نصب على الحال من ضمير يؤتي وجوز أن تكون بدلا من الصلة فلا محل لها من الاعراب وجوز ايضا ان يكون الفعل وحده بدلا من الفعل السابق وحده والغرض كما قال الوحيين بان البدل من قسم التابع المعرف بكل ثالث اعرب باعراب سابقه ولا اعراب للصلة حتى يثبت لها تابع فيه وسبب الاعراب وهو الرفع في الفعل متوفر مع قطع النظر عن التبعية وهو على المشهور المجرد من الناصب والجازم ليس معربا باعراب سابقه لظهور

Marfat.com

ذلك في حكم اعراب النبية وهو هنا ليس طايل فتجرد وأجيب مع الاغماض عما في ذلك الشريف عما نبه على بعضه الرضي أما عن الاول فبان المراد أعرب بالاعراب سابقه ان كان له اعراب أو بان المراد اعرب بالاعراب سابقه وجوداً وعدماً وقيل اطلاق التابع على ذلك ونحوه من الحرف والفعل غير الغريب مجاز من حيث المتابعة لتابع لموافقته السابقه فيما له وأما عن الثاني فبان الشيء قد يقصد لغيره وان كان منحققا قبل ذلك الشيء لامر آخر كالف التثنية وواو الجمع فانه يؤتى بهما للدلالة على التثنية والجمع فيتحققان ويأتي عامل الرفع على الفتى والمدوح وهما فيهما قبله فيقصدان له وقال السيد عيسى المراد بقولهم قل ثلاث اعراب ألخ قل ثلاث أعرب لم يكن معربا فتدبر ولا تغفل وجوز ان يكون يترك بتقدير لان يترك متعلقا بيؤتى عليه ثم حذفت اللام وحذفها من ان وأن شائع ثم حذفت ان فارتفع الفعل أو نصب والكلام قول طرفة ٭ ألا أيها الزاجري أحضر الوغى ٭ فقدروى برفع أحضر ونصبه وقيل انه بتقدير لان أو من ان أحضر فصنع فيه نحوما سمعت وأبا كان يدل الكلام على أن المراد بالنصب فعلي وجوه البر والخير وقرأ الحسن ابن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم يزكى بادغام التاء في الزاي (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) استئناف مقرر لما أفاده الكلام السابق من كون اتيانه المزكى خالصا لله تعالى أي ليس لاحد عنده نعمة من شأنها ان تجزى وتكافأ فيقصد باتيان ما يؤتى مجازاتها ويدل عليه ذكر أن يبتغي فتجزى المفعول لان القصد ليس لفاعل معين وقيل ان ذلك لكونه قاصرا وأصله يجزي بها أو يجزيها اياه (إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى) منصوب على الاستثناء المنقطع من نعمة لان الابتغاء لا يندرج فيما قابل لكنه فعل ذلك الابتغاء وجه ربه سبحانه وطلب رضاه عز وجل لا مكافأة نعمة قرأ يحيى وناب بالرفع على البدل من محل من نعمة فانه الرفع لما في الناطية أو على الابتداء ومن مزيدة والرفع في مثل ذلك لغة تميم وعليها قوله

وبلدة ليس بها أنيس ٭ الا اليعافير والا العيس

وروى بالرفع والنصب على ما في البحر قول بشر بن أبي خازم

أضحت خلاء قفاراً لا أنيس بها ٭ الا الجآذر والظلمان تختلف

وجوز أن ينصب على أنه مفعول له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتى ماله لاجل شيء من الاشياء الا لاجل طلب رضا ربه عز وجل لا لمكافأة نعمة فهو استثناء مفرغ من أعم العلل والاسباب وانما أول لان الكلام إنما يؤتى ماله موجب والاستثناء المفرغ يختص بالنفي عند الجمهور لكنه لما علم مما قبله تسامح وما لاحد وقد قال سبحانه أو لا يترك متضمنا نفي الزيادة والبينة على النفي المذكور وقرأ ابن أبي عبلة الا ابتغاء مقصورا وفيه احتمال النصب والرفع وهذه الآيات على ما سمعت نزلت في أبي بكر رضي الله تعالى عنه لما أنه كان يعتق رقابا ضعافا فقال له أبوه ما أراك يا بني تعتق رجالا جلدا فتمنعهم عني وتدفع عني بهم فقال يا أبت انما أريد ما أريد فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه فيما ذكره ابن جرير وابن مردويه في قوله تعالى وسيجنبها الاتقى الآية

Marfat.com

الى آخر السورة واستدل بذلك الامام على انه رضي الله تعالى عنه أفضل الأمة وذكر ان في الآية مايأبى قول الشيعة أنها في علي كرم الله تعالى وجهه وأطال الكلام في ذلك وأنى بما لايخلو عن قيل وقال قوله تعالى ﴿ وَلَسَوْفَ يُرْضَىٰ ﴾ جواب قسم مضمر أي والله لسوف يرضى والضمير فيه للاتقى لعدم عوده ومعود معظم يشمل جميع مايتناوله على أن الوجوه أجلى المذين تحقق الرضا وجوز الامام كون الضمير للرب تعالى حيث قال يجوز ان فسر الجلالة على وجه ملائق وفيه عندي وجه آخر وهو ان المراد ماأعد في الاعالب رضوان الله تعالى ولسوف يرضى الله تعالى عنه وهذا عندي أعظم من الاول لان رضا الله سبحانه عن عبده أكمل لسيده من رضاه عن ربه عز وجل وبالجملة فلا بد من حصول الامرين ﴿ قال سبحانه ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ والظاهر هو الاول وقد قرىء ولسوف يرضى بالبناء للمفعول من الارضاء وما أشار اليه من رضية مرضية غير متعين كما سمعت وفي هذه الجملة كلام يعلم مما سيأتي قريبا ان شاء الله تعالى

سورة الضحى

مكية وآيها احدى عشرة آية بلا خلاف ولما ذكر سبحانه فيما قبلها وعيدها الاتقى وهو سيد الاتقين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عقب سبحانه ذلك بذكر نعمه عز وجل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الامام لما كانت الاولى سورة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وهذه سورة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عقب جل وعلا بينهما ولم يجعل بينهما واسطة ليعلم أن لا واسطة بين رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والصديق رضي الله تعالى عنه وتقديم سورة الصديق على سورته عليه الصلاة والسلام لا يدل على أفضليته منه صلى الله تعالى عليه وسلم ألا ترى أنه تعالى أقسم أولا بغيره من المخلوقات سبحانه ثم أقسم بنفسه عز وجل في عدة مواضع منها السورة السابقة على ما قالت والظاهر قد تتقدم يدي السادة وكثير من السنن أمر بتقديمه على فروض العبادة ولا يضر التوبر تأخره عن أفضاله ولا السنان كونه في أطراف مراته ثم أن ما ذكره زهرة ربيع لا تحصل الفرك كما لا يخفى

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالضُّحَىٰ ﴾ تقدم الكلام فيه والمراد به هنا وقت ارتفاع الشمس الذي يلي وقت بروزها للناظرين دون ضوئها وارتفاعها لانه أنسب بما بعد وأخصه بالاقسام به لانه شباب النهار وقوله فيه قوة غير قريبة من ضدها . وقد عد شرفا يوميا الشمس وسعدا ولانه على ماقالوا الساعة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام والتي فيه النصرة سحرا لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى ففيه مناسبة للمقسم عليه وهو انه تعالى لم يترك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقرله الطافه تعالى وتكليمه سبحانه وقيل المراد به النهار كما في قوله تعالى أن يأتيهم بأسنا ضحى واعترض بالفرق فانه وقع هناك في مقابلة البيات وهو مطلق الليل وهنا في مقابلة الليل مقيدا معنى باعتداد ظلمته فالمناسب أن يراد بوقت ارتفاعه وقوته اضاءته وأجيب بمنع دلالة القيد على الاعتداد وسنتكلم ان شاء الله تعالى على ذلك وأيا ما كان فالظاهر أن المراد الجنس أي وجنس الضحى ﴿ وَاللَّيْلِ ﴾ أي وجنس الليل ﴿ إِذَا سَجَىٰ ﴾ أي سكن أهله على انه من السجو وهو السكون مطلقا كما قال غير واحد والاسناد مجازي أو هو على تقدير المضاف كما قيل ونحوه ماروي عن قتادة أي سكن الناس والاصوات فيه وهذا يكون في الغالب فيما بين طرفيه أو بعد مضي برهة من أوله أو ركد ظلامه من سجا البحر سكنت أمواجه قال الاعشى

Marfat.com

وما قبلنا ان جاش بحر ابن عمكم ... وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا

فالسجو قيل على هذا في الأصل سكون الأمواج ثم صار الراد يسكون ظلامه عدم تنويره بالاشتداد والتزايد أي فيما يحسى ويظهر وذلك اذا كان حسا بوصول الشمس الى سمت القدم وقبله وبعده وصرح باعتبار الاشتداد ابن الأعرابي حيث قال سجا الليل اشتد ظلامه وأخرج ابن المنذر وغيره عن ابن جبير أنه قال أي اذا أقبل فغطى كل شيء وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس تفسير سجا بالليل بدون ذكر التغطية وأخرجها وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه أيضا أنه قال سجا اذا ذهب وكلا التفسيرين خلاف المشهور وشاع ليل ساكن ونهار ساج اما لا ريح فيه ووصف بذلك أعني السكون قيل على الحقيقة كما اذا قيل ليل لا رعد فيه ولا يقال ان الساكن هو الريح بالحقيقة لان السكون عليها حقيقة عدل لانه هواء متحرك ثم انهم يقولون ليل ساج لا ريح فيه لا ليل ساكن ريحه والتحقيق أن يقال ان السكون على تقديره أعني عدم الحركة عما من شأنه الحركة أو كونين في حيز واحد لا يصح على الليل لانه زمان خاص لكن لما كان سكون الهواء بمنزلة عدمه في العرف الذي لعدم الاحساس او لتضمنه عدم الريح لالهواء قيل ليل ساج وساكن ووصف الليل على الحقيقة أي لاسناد فيه الى غير ملابس على انه يحتمل ان يجعل السكون بهذا المعنى حقيقة عرفية وجوز على مافي الآية على هذا الشائع والمعنى الحقيقي بذلك لان الليل الذي لا ريح فيه أبعد عن الزوال وقد ذكر بعض النقاد ان الريح الشديدة ليلا أقصر من أعمار الجاعة ونقل عن قتادة ومقاتل ان المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام والليل ليلة المعراج ومن الناس من فسر الضحى بوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم والليل بشعره عليه الصلاة والسلام كما ذكر الامام وقال لا استبعاد فيه وهو كما ترى ومثله ما قيل الضحى ذكور أهل بيته عليه الصلاة والسلام اثنتهم وقال الامام يحتمل أن يقال الضحى رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم والليل زمان احتباس الوحي فيه لان في حال النزول حصل الاستئناس وفي زمان الاحتباس حصل الاستيحاش أو الضحى نور علمه تعالى الذي يشرف الدنيا من الغيوب والليل عفوه تعالى الذي به يستر جميع العيوب أو الضحى الليل الاسلام بعد ان كان غريبا والليل الشارة الى أنه سيعود غريبا أو الضحى كمال العقل والليل حال الموت أو الضحى علانيته عليه الصلاة والسلام التي لا يرى الخلق عليها غيبا والليل سره صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعلم ما هو الغيب عليها غيبا الخ ولا يخفى أنه ليس من التفسير في شيء وباب التأويل والاشارة يدخل فيه أكثر من ذلك وتقديم الضحى على الليل بناء على ما قدمناه أولا من ظهور زيادة النور والنور شرف ذاتي على الظلمة لكونه وجوديا أو لكثرة منافعه أو لمشابهته العالم الملائكة فانها نورانية وتقديم الليل في السورة السابقة لما فيه من الظلمة التي هي لمدتها أصل للنور الحادث بازائها لاسباب حادثة وقيل تقديمه هناك لان السورة في أبي بكر وهو قد سبقه الشر وتقديم الضحى هنا لان السورة في رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسبقه ذلك وتخصيصه تعالى الوقتين بالاقسام قيل ليشير سبحانه بحافظها الى حال ما وقع له عليه الصلاة والسلام ويؤيد عز وجل في ما توهم فيه فسكانه تعالى يقول الزمان ساعة فساعة ساعة ليل وساعة نهار ثم تارة تزداد ساعات الليل وتنقص ساعات النهار وأخرى بالعكس فلا الزيادة قوى ولا النقصان قلى بل ما حكمك ولكذا أمر الوحي مرة ازال وأخرى حبس فلا كان الازال عن هوى ولا الحبس عن قلى بل كل بحكمة وقيل ليشير عز وجل بحافظها حبيبه عليه الصلاة والسلام كأنه سبحانه يقول انظر الى هذين المتجاورين لا يسلم أحدهما الآخر بل الليل يطلب تارة والنهار أخرى فكيف تطيع أن تسلم من الخلق والقولان مبنيان على أن المراد بالضحى

Marfat.com

النهار كهو بالليل اذا سجى جمع الليل وخصص الضحى على ما سمعت ولا لاسمية وتخصيص الليل بناء على أن المراد وقت اشتداد الظلمة فيسل لأنه وقت خلو القلب بالمحبوب والأمن من كل واش ورقيب وقال الطيبي طيب الله تعالى ثراه في ذلك أنه تعالى أقسم له صلى الله تعالى عليه وسلم بوقتين فيهما صلاته عليه الصلاة والسلام التي جعلت قرة عينه وسبب مزيد قربه وأنسه أما الضحى فلما رواه البخاري في الهجرة عن ابن عباس مرفوعا كتب على النحر ولم يكتب عليكم وأمرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها وأما الليل فلقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك الخ وتكثيرا لهم في زعم غلاة وجهلة فكأنه قيل وحق قربك لدينا ورفاك عندنا لما أصطفيناك وبالغ بك وقربناك فهو كقوله ﴿ونادياك أيها الحبيب﴾ وهو مما تستطيبه أهل الاذواق ويمكن أن يكون الاقسام بالليل على ما نقل عن قتادة من باب وثيابك فطهر وكذا الاقسام بهما على بعض الأوجه الآتية كما لا يخفى وعلى أون المراد بالضحى الوقت المعروف من النهار والليل جميعه قيل ان التفرقة للاشارة الى ان ساعة من النهار توازي جميع الليل كما ان النبي عليه الصلاة والسلام يوازي جميع الأنبياء عليهم السلام والاشارة لكون النهار وقت السرور والليل وقت الوحشة والتنبيه الى أن هموم الدنيا وغمومها أدوم من سرورها وقد روى أن الله تعالى لما خلق العرش أطلت من بشاشة غمامة فقالت ماذا أمطر فأمرت أن تمطر الهموم والأحزان فمطرت مائة سنة ثم انكشفت فأمرت مرة أخرى بذلك وهكذا الى الدام ثلثمائة سنة ثم أطلت من يمين العرش غمامة بيضاء فقالت ماذا أمطر فأمرت أن تمطر السرور ساعة فلذا ترى الهموم والاحزان أدوم من السرور في الدنيا والله تعالى أعلم بصحة الخبر وقيل غير ذلك وقوله تعالى ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ الخ جواب القسم ودوع من التوديع وهو في الأصل من الدعة وهو أن يدعو المسافر بأن يدفع الله تعالى عنه كآبة السفر وأن يبلغه الدعة وخفض العيش كما أن التسليم دعاء له بالسلامة ثم صار متاركا في تشييع المسافر وتركه ثم استعمل في الترك مطلقا وفسر به هنا أي ما تركك الشريف وفي البحر والكشاف التوديع مبالغة في الودع أي الترك لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك قيل وعليه يلزم أن يكون النفي للترك البالغ فيه دون أصل الترك مع أن الظاهر نفي ذلك فلا بد من أن يقال انه انما نفى ذلك لأنه الواقع في ظن المشركين الذي تزلت الآية أو أن البالغة تعود على النفي فيكون المراد البالغة في النفي لانفي البالغة وقد ذكروا نظير هذين الوجهين في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد فتدبر وقيل ان النفي ما قطعك قطع الودع على أن التوديع مستعار للاستمرار لبقية الترك وفيه من اللطف والتعظيم مالا يخفى فان الوداع انما يكون بين الأحباب ومن لم يفارقك كما قال القائل

حياتك نفسي ودعت يوم ودعوا ● فلم أدر أي الظاعنين أشيع

وحقيقة التوديع المتعارف غير متصورة ههنا وتخصيصه على هذا لا يكون وعدا لقوله تعالى للمشركين لأنهم إذا سمعوا ودعه ربه على هذا النفي كيف وهو منزل من اعتقاد كونه عليه الصلاة والسلام بالمحل الذي هو محل اقتضاء تعلق عليه وحيه من ربه سبحانه وقيل في الجواب انه يجوز أن يكون وعدا بعد ذلك لانهم لما نفوا عنه صلى الله تعالى عليه وسلم سبيل أنهم كهنة وسحرة وحين رد عليهم قصد ما يتضرر به فقط على التحقيق وقيل ان الترك مطلق في الاصل وهو الظاهر من حالهم أنهم لم يريدوا التبعية من حيث هي ولا من حيث تحققها في ضمن مالا يخل بشرف مقامه عليه الصلاة والسلام بل التبعية من حيث تحققها في ضمن مايخل بذلك ولما كان المقصود ايذاءه صلى الله تعالى عليه وسلم وازالة وحشته عليه الصلاة والسلام حين بما يتضمن نفي مازعموه على أبلغ وجه كان هذا

Marfat.com

النوع الغير المخل بظاهرك من الترك لم يكن فضلا عما زعموه من الترك القليل بعزيز مقامك وعندي أن الظاهر ان ذلك القول بأي معنى كان صادر على سبيل التهكم اذا كان المراد بالرب هو الله عز وجل وكان القائل من المشركين كما لا يخفى على المتأمل وقرأ عروة بن الزبير وابنه هشام وأبو حيوة وأبو بحرية وابن أبي عبلة ما ودعك بالتخفيف وهي على ما قال ابن جني قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وخرجت على ان ودع تخفف ودع ومعناه معناه قال في القاموس ودعه كوضعه وودع يعني وقيل ليس بمخففة بل هو فعل برأسه يعني ترك وانه يكثر على قول النحاة أماتت العرب ماضي يدع ويذر ومصدرها واسم فاعلها واسم مفعولها واستغنوا بما للترك من ذلك وفي القرب ان النحاة زعموا ان العرب أماتت ذلك والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أفصح منهم وقد قال عليه الصلاة والسلام لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات وقرأ ما ودعك وقال أبو الأسود

لبث شعري عن خليل ما الذي ... شانه في الحب حتى ودعه

وله قول آخر وثم ودعنا آل عمرو وعامر ... فراشي أطراف المثقفة السمر

وهو دليل أيضا على استعمال ودع وهو يعني ترك التزامي يضوين فلا تغفل وفي الحديث اتركوا الترك ما تركوكم ودعوا الحبشة ما ودعوكم وفي المستوفى أن كل ذلك فاسد ورد في كلام العرب ولا عبرة بكلام النحاة واذا جاء غير الله يطن غير معتل فهم وروده نادر وقال الطيبي بعد أن ذكر ورود نظماً ونثراً اذا حسن هذه القرائة الموافقة بين الكلمتين يعني هذه وما بعدها كما في حديث الترك والحبشة لان رد السجع على الصدر وصنعة الترصيع قد جريا منه وقيل ان القائلين انما قالوا ودعه ربه بالتخفيف فنزلت فيكون الحسن له فصد المشاكلة لما قالوه وهم تكلموا بغير الحروف طبرة منهم كان غير الحروف من الفاظ مما يتشاءم به من القال الرديء أو انهم لما قصدوا السخرية حسن استعمال اللفظ وقد قالوا يحسن استعمال الالفاظ الغريبة ونحوها في الهجاء فلا يبعد أن يكون في السخرية كذلك والحق انه بعد ثبوت وروده لا يحتاج الى تكلف حسن له والظاهر أن المراد بالرب هو الله عز وجل وفي التعبير عنه بعنوان الربوبية واضافته الى ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم من اللطف مالا يخفى فكأنه قيل ما تركك بالكلية بصالحات والبسك اياك على سبيل التدريج كما تلك اللائق بك (وَمَا قَلَىٰ) أي وما أبغضك وحذف المفعول للايذان بوجوبه عليه الصلاة والسلام بنسبة القلى وان كانت في كلام منفي لعظمه صلى الله تعالى عليه وسلم وشغلة عليه عليه الصلاة والسلام أو لانه صدوره عنه عز وجل بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم كالعدم من أحبابه ومن أحبه صلى الله تعالى عليه وسلم الى يوم القيامة أو للاستغناء عنه بذكره من قبل مع أن فيه مراعاة للفواصل والفقرة المذكورة في مقارع قلى يقلى كرمى ويقلي كغزو يقال بفتح العين لغة في الضم وتفسير القلى بالبغض تابع في ذلك للقاموس من الراوي فلا زيدا فلا وقلاه أبغضه ومن الثاني فلاه كرماه ورضيه قلى وقلاه وبقلاية أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه أو فلاه في الهجر وقلاه في البغض وفي مفردات الراغب القلى شدة البغض يقال فلاه يقلوه ويقليه فمن جعله من الراوي فواوي ومن القلو أي الرمي من قولهم قلت الناقة براكبها قلوا وقلوت بالفتح فكان القلو هو الذي يقذف القلب من بغضه فلا يقبله ومن جعله من الثاني فمن قلايت البسر والسويق على المقلاة التي ويائيها عقلقة لانحقق وعلى اعتبار شدة البغض فالظاهر ان ذلك في الآية ليس الا لانه الواقع في كلامهم قال المفسرون أبطأ جبريل عليه السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال المشركون قد قلاه ربه وودعه فانزل الله تعالى ذلك وأخرج الحاكم عن زيد بن أرقم قال ما زالت بنت يعلني حتى قلت لامرأة أبي لهب الخ قيل لا جرم ان محمداً صلى الله تعالى عليه

Marfat.com

وسلم قد عجلك قالته عليه الصلاة والسلام وهو سئل الله تعالى عليه وسلم جالس في الافتتاح بالعلم يجوز قال اني والله ما عجلوك ما عجلك الا الله تعالى فقالت هل رأيتي أعمل خطأ أو لي جدي حيلا من سند ثم انطلقت فذكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزال عليه فاتته فقالت مالك يا عبد الله الا قدرت علي فقال فانزل الله تعالى فذكر أخرج الترمذي وصححه وابن أبي حاتم والحفاظ عن جندب البجلي قال رسول الله تعالى عليه وسلم يحجر في أصبعه فقال ☆ ما أنت الا اصبع دميت ☆ وفي سبيل الله ما لقيت ☆ فكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت له أمرأة ما أرى شيطانك الا قد تركك ولي رواية للترمذي أيضا والامام احمد والبخاري ومسلم والنسائي وجماعة بلفظ اشتكى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فأتاه الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وليس فيه حديث المرأة ولا الحجر والرجز وذلك لا يطعن في صحته وقال جمع من المفسرين أتت اليهود سألوه عليه الصلاة والسلام عن اصحاب الكهف وعن الروح وعن قصة ذي القرنين فقال عليه الصلاة والسلام سأخبركم غدا ولم يستثن فاحتبس عنه الوحي فقال المشركون ما قالوا فنزلت وقيل ان عشيان العدي الى صلى الله تعالى عليه وسلم عقوه عنب وقيل عذق تمر فجاء سائل فاعطاه ثم انثراه عشيان بعدهم فقدمه اليه عليه الصلاة والسلام ثانيا ثم عاد السائل فاعطاه وهكذا ثلاث مرات فقال عليه الصلاة والسلام بلاطفا لا تضجر أسائل أنت يا فلان لم تأخر فتأخر الوحي اياما فاستوحش فنزلت ولهم ايضا قالوا ما قالوا واخرج ابن ابي شيبة في مسنده والطبراني وابن مردويه من حديث خولة وكانت تخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان جبريل دخل لحت سرير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فات ولم تدر به فمكث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي فقال يا خولة ما حدث في بيت رسول الله عليه الصلاة والسلام وجبريل لا يأتيني فقلت يأتي الله ما أتى علينا يوم خير من اليوم فاخذ برده عليه وخرج فقلت في نفسي لو هيأت البيت وكنسته فاهويت بالكناسة تحت السرير فاذا بي جبريل فقال لم أزل به حتى بدا لي الخروج فاخذه بيدي فالقيته خلف الدار فجاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ترعد لحيته وكان اذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة فقال يا خولة دثريني فانزل الله تعالى والضحى والليل الى قوله سبحانه فترضى وهذه الرواية تدل على أن الانقطاع كان أربعة أيام وعن ابن جريج انه كان اثني عشر يوما وعن الكلبي خمسة عشر يوما وقيل بضعة عشر يوما عن ابن عباس خمسة وعشرين يوما وعن السدي ومقاتل أربعين يوما وأنت تعلم أن مثل ذلك لا يتفاوت العلم بعدمه والابلاغ يطلع على التحقيق إلا انه عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم وفي بعض الروايات ما يدل على أن قائل ذلك هو النبي عليه الصلاة والسلام فمن الحسن انه قال ابطأ الوحي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لخديجة ان ربي ودعني وقلاني يشكو اليها فقالت لا والذي بملك نفسي ما ابتدأك الله تعالى بهذه الكرامة الا وهو سبحانه يريد أن يتمها لك فنزلت والمشكل هنا بأنه لا يليق بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أن يظن ان الله تعالى تركه وودعه وقلاه وجل الا نحو من النزل وعزل النبي من النبوة غير جائز في حكمة عز وجل والنبي عليه الصلاة والسلام أعلم بذلك وسلم صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا ابطاء الوحي وعلمه لا يخلو اما ان ينهنا عن مصلحة وحكمة وأجيب بأن مراده عليه الصلاة والسلام ان صح ان يجر يا ليعرف قدر علمها أو ليعرف الناس ذلك فقال ما قال صلى الله تعالى عليه وسلم بضرب من التأويل كان يكون قد قصد ان ربي ودعني وقلاني بزعم الكفرين أو ان معاملته سبحانه اياي بابطاء الوحي تشبه صورة معاملة المودع والقالي وانت تعلم ان هذه الرواية شاذة لا يعول عليها ولا يلتفت اليها فلا ينبغي للعاقل ان يرويها

Marfat.com

ونحوها مما دله على أن قائل ذلك خديجة رضي الله تعالى عنها أخرج ابن جرير وابن المنذر عن عروة قال بطأ جبريل عليه السلام عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة أرى ربك قد قلاك مما أرى من جزعك فنزلت والضحى والليل الى آخرها والقول بأنها رضي الله تعالى عنها أرادت ان هذا الجزع لا ينبغي ان يكون الا من قلى ربك اياك وحاشى ان يقلاك فما هذا الجزع بعيد غاية البعد والقول ما عليه الجمهور وصحت به الاخبار ان القائل هم المشركون وانه عليه الصلاة والسلام انما أحزنه بمقتضى الطبيعة البشرية تبيعهم وعدم رؤية جبريل عليه السلام مع مزيد حبه اياه وفي بعض الآثار انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ما جئتني حتى اشتقت اليك فقال جبريل عليه السلام كنت أنا اليك اشوق ولكني عبد مأمور وما نتنزل الا بامر ربك وفي رواية انه عاتبه عليها الصلاة والسلام فقال أما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وراوي هذا يروى ان السبب في ابطاء الوحي وجود جرو في بيته عليه الصلاة والسلام والروايات في ذلك مختلفة وجوز بعضهم أن يكون الابطاء لتجمع الاسباب ثم أنه قد زعم بعض نا على بعض الروايات السابقة جواز أن يكون المراد بربك في ماوعدك ربك دون ما بعد صاحبك والمراد به جبريل عليه السلام وهو كما ترى وجيء لضمن ما سبق من نفي التوديع والقلى انه عز وجل لا يزال يواصله عليه الصلاة والسلام بالوحي والكرامة في الدنيا بشر صلى الله تعالى عليه وسلم بان ما سيؤتاه في الآخرة أجل وأعظم من ذلك فقيل ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ اما باقية صافية عن النوائب على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما أوتي عليه الصلاة والسلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو في الدنيا عن بعض العوارض القادحة في تمشية الاحكام مع أنه عند ما أعد له عليه الصلاة والسلام في الآخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون أمته صلى الله تعالى عليه وسلم شهداء على سائر الامم ورفيع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارات وتقصر دونها الاشارات بمرة لا يخفى البادي بالنسبة الى المطالب كذا في الارشاد والاختصاص الذي اقتضته اللام قيل اضافي على معنى اختصاصه عليه الصلاة والسلام بخيرية الآخرة دون من آذاه وشمت بتأخر الوحي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مانع من عمومه لجميع العالمين أيضا وقد علم بالضرورة ان الخير المعد له عليه الصلاة والسلام خير من المعد لغيره على الاطلاق ويكفي في ذلك اختصاص المقام المعهود به صلى الله تعالى عليه وسلم على ان اختصاص اللام ليس قصريا كما قرر في موضعه وعلى الآخرة على الدار الآخرة لقابلة الدنيا والاولى على الدار الاولى وهي الدنيا هو الظاهر الروى عن أبي اسحق وغيره وقال ابن عطية وجماعة يحتمل ان يراد بهما نهاية أمره صلى الله تعالى عليه وسلم وبدايته فاللام فيهما للعهد أو عوض عن المضاف اليه أي لنهاية أمرك خير من بدايته لانزال تتزايد قوة وتتصاعد رفعة وفي بعض الاخبار المرفوعة ما هو أظهر في الاول أخرج الطبراني في الاوسط والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عرض علي ما هو مفتوح لامتي بعدي فسرني فانزل الله تعالى والآخرة خير لك من الاولى ثم ان ربط الآية بما قبلها على الوجه الذي سمعت هو ما اختاره غير واحد من الاجلة وجوز أن يقال قد تقدم انزاله صلى الله تعالى عليه وسلم على سبيل التعريض بالمشركين وتسكينه صلى الله تعالى عليه وسلم اشعر بذلك فقيل له والآخرة خير لك من الاولى على معنى ان هذا التعريض وان كان مطلوبا الا ان مالك عند الله تعالى في الآخرة خير وأعظم

Marfat.com

وجوز أيضا أن يكون المعنى أن انقطاع الوحي لا يجوز ان يكون لانهم يقولون لانه مزل من النبوة وهو مستحيل في الحكمة بل أقصى ما في الباب أن يكون ذلك لانه حصل الاستغناء عن الرسالة فانقطاعه لمزية الموت وكأنه تعالى قال انقطاع الوحي مني حصل بد على الموت لكن الموت خير لك فان مالك عند الله تعالى في الآخرة أفضل مما لك في الدنيا وهذا كما ترى دون ما قبله بكثير والتبادر ما قررومان الجملة مستأنفة واللام فيها ابتدائية وقد صرح جمع بانها كذلك في قوله تعالى ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ وقالوا فائدتها تأكيد مضمون جملة وبعدها مبتدأ محذوف أي ولانت سوف يعطيك الخ وأورد عليه أن التأكيد يقتضي الاعتناء والحذف ينافيه وأنا قال ابن الحاجب ان المبتدأ المؤكد باللام لا يحذف وان اللام مع المبتدأ كقد مع الفعل وان مع الاسم فكما لا يحذف الفعل والاسم ويبقيان بعد حذفهما كذلك لا يحذف المبتدا وتبقى اللام وانه يلزم التقدير والاصل عدمه وان اللام لتخليص المضارع الذي في حيزها للحال كما أكيد مضمون الجملة وهو هنا مقرون بحرف التنفيس والتأخير قيل يناقض ورد بان المؤكد الجملة لا المبتدا وحده حتى يناقض تأكيده حذفه وكلام ابن الحاجب ليس حجة على الفارسي وأمثاله وان يحذف منها الاسم كثيراً كما ذكره النحاة وكذا قد يحذف بعدها الفعل كقوله

أزف الترحل غير أن ركابنا ❊ لما تزل برحالنا وكان قد

مع أنه لم يقدر فيفرق كما قال الطيبي بين أن وقدر هذه اللام بانها يؤثران في المدخول عليه مع التأكيد بخلاف هذه اللام فان مقتضاها ان تؤكد مضمون الجملة لا غير وهو باق وان حذف المبتدا فالقياس قياس مع الفارق والنحويون يقدرون كثيراً في الكلام كما قدروا المبتدا في نحو قم واسك عليه وهو لاجل الصناعة دون المعنى كما فيما نحن فيه واللام المؤكدة لا تدخل المضارع المخلص للحال أيضا بل هي لمطلق التأكيد فقط وبهم منها الحال بالقرينة لانها لتأكيد ما يكون مع تسليم انها تخلص المضارع للحال أيضا يجوز أن يقال انها لما تجردت لتأكيد هنا تذكر سوف بعدها والمراد تأكيد المؤخر أعني الاعطاء لا تأكيد التأخير فالمعنى ان الاعطاء كائن لا محالة وان تأخر كذلك وعلى تسليم انها للامرين ولا نجيره يجوز ان يقال تزل الاستقبال أعني الاعطاء الذي يطيب الرضا لتحقق وقوعه منزلة الواقع الحالي نظير ما قيل في قوله تعالى ان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة وقيل يحسن هنا جدا فيما نحن فيه على القول بان الاعطاء قد شرع فيه عند نزول الآية بناء على أحد أوجهها الآتية بعد ان شاء الله تعالى وذهب بعضهم بان اللام الأولى للقسم وكذا هذه اللام وبسببها جزم غير واحد فالواو عليه للعطف فكلا الوعدين داخل في القسم عليه ويكون الله تعالى قد أقسم على أربعة أشياء اثنان منفيان واثنان مثبتان وهو حسن في نظري واعترض بان لام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكدة فلو كانت للقسم لقيل لسوف يعطيك ربك ولا يخفى ان هذا أحد مذهبين للنحاة والآخر أنه يستثنى ما قرن بحرف التنفيس كما هنا فقد نقلنا انه نجب اللام وتمتنع النون فيه كقوله

فوربي لسوف يجزي الذي ❊ اسلف الزور مبتاً أو جهلا

ولذا مع فصل معمول الفعل بين اللام والفعل نحو والله منكم لمن قتلتم لاني الله تحشرون ومع كون الفعل للحال نحو لالقسم ولقد يتمان وذلك مع الفعل الذي نحو الله تفتؤ وقد يجيبان وذلك فيما يلي نحو الله لاحكيدن أصنامكم وعليه لا يتجه الاعتراض مع ان المتبوع يدون النون في جواب القسم لان المعطوف عليه كما هنا قائم يقترن في التابع مالا يقترن في المتبوع وانما ذكرت اللام تأكيدا للتسويف فاكيد به وبالجملة هذا الوجه أقل دغدغة من الوجه السابق ولا يحتاج فيه الى توجيه جمع اللام مع سوف اذ لم يقل أحد من

Marfat.com

علماء العربية بان اللام القسمية مختصة المضارع الحال كما لا يخفى على من تتبع كتبهم وظاهر كلام الفاضل الكازروني ان كلا من اللامين موضوع للدلالة على الحال ووجه الجمع على تقدير كونها في الآية قسمية بانها محولة على معناها الحقيقي وسوف محولة على تأكيد الحكم ولما قامت مقام احدى النونين عند أبي علي الفارسي ولقد أحسن رحمه الله تعالى الكلام فيما يتعلق بهذا المقام وأبى على غزارة فضله بما يستبعد صدوره ممن يتكلم وقال عصام الدين الأظهر ان جملة ماوعدك معادية أي ماودعك شيء ومافلاتوالحال ان الآخرة خير لك من الأولى وأنت تختارها عليها ومن حاله كذلك لا يترك ربه فليس ارشاد المؤمنين الى ماهو مآل امرهم الى القرب من الرب عز وجل وتوسيع الصدر لين يتألم فيه من التزام أمر الدنيا والاعراض عن الآخرة وحينئذ معنى قوله سبحانه وسوف يعطيك انه سوف يعطيك الآخرة ولا يخفى حينئذ كل الخفاء الجمل التي وقع ان دخول اللام عليها مع دخوله على الجملة بعدها وسبقهما بالقسم يعد الجملة جواباً وأيضا التي ذكره على تقديرها غير ظاهر من الآية وكان الظاهر عليه عندك بدل لك ولا يخفى مايتك واختلف في قوله تعالى ولسوف يعطيك فقيل هو عدة كريمة تتناول كل ما أعطاه الله عز وجل في الدنيا من كمال النفس وعلوم الأولين والآخرين وظهور الأمر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة في عصره صلى الله تعالى عليه وسلم وفي أيام خلفائه عليه الصلاة والسلام وغيرهم من القرون الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام في مشارق الأرض ومغاربها وما ادخر جل وعلا له عليه الصلاة والسلام في الآخرة من الكرامات التي لا يبلغها إلا هو جل جلاله وعم نواله وقيل عدة بأعطاء سبحانه وتعالى في الدنيا من فتح مكة وغيره والظهور على اعدائه وبما أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن انه قال هي الشفاعة وروى نحوه عن بعض أهل البيت رضي الله تعالى عنهم أخرج ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح قال قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين علي وعليهم الصلاة والسلام أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي قال أي والله حدثني محمد بن الحنفية عن علي كرم الله تعالى وجهه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اشفع لأمتي حتى يناديني ربي أرضيت يا محمد فأقول نعم يارب رضيت ثم قال علي فقال لنا تدرون ما يقولون يا معشر أهل العراق ان أرجى آية في كتاب الله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا قلت انا نقول ذلك قال فكذا أهل البيت تقول ان أرجى آية في كتاب الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل هي الشفاعة وقيل هي أتم من الشفاعة وغيرها ويرشد اليه ما أخرجه العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن النجار عن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على فاطمة وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من جلد الابل فقال انظر يا فاطمة تعجيل مرارة الدنيا بنعيم الآخرة فانزل الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال ابو حيان الاولى العموم لما في الدنيا والآخرة على اختلاف أنواعه والخير المذكور لو سلم فحمله لا يأبى ذلك نعم عطايا الآخرة أعظم من عطايا الدنيا بكثير فقد روى الطبراني وجماعة عن ابن عباس انه قال أعطاه الله تعالى في الجنة ألف قصر من لؤلؤ ترابه المسك في كل قصر مايليق به من الأزواج والخدم وأخرج ابن جرير عنه انه قال في الآية من رضا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يدخل أحد من أهل بيته النار وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عنه انه قال رضاه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدخل أمته كلهم الجنة وفي رواية الخطيب في تلخيص المتشابه من وجه آخر عنه لا يرضى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأحد من أمته في النار (٨) وهذا مما يقتضيه

(٨) ومن هنا قيل لا أرجى آية الرجاء في سورة الضحى فانه ان ترضى وفيها سبب لا اله الا الله

Marfat.com

شفقته عليه الصلاة والسلام على أمته فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم حريصا طويلا وقايم مهتما بأمرهم وقد أخرج مسلم كما في الدر المنثور عن ابن عمر التصل الله تعالى عليه وسلم لما قرأ قول الله تعالى في ابراهيم عليه السلام في بعني فانه مني وقوله تعالى في عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك الآية فرفع عليه الصلاة والسلام يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وفي اعادة اسم الرب مع اضافته الى ضميره عليه الصلاة والسلام مالا يخفى ايما من اللطف به صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله تعالى (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) تعديل لما اقتضاه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم من اول امره الى وقت النزول من فنون انعامه العظام ليستشهد بالخاص الموجود على الترقب الموعود ايزداد قلبه تثبيتا وصدره ترحيب طمأنينة وسرورا وانشراحا وحبورا وقد فصلت الجملة والهمزة لانكار النفي وتقرير النفي على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك الخ ووجدته على ما قال الرضي بمعنى اصبته على صفة ويراد بالوجود فيه العلم مجازا بعلاقة اللزوم وفي مفردات الراغب الوجود اضرب وجود بالحواس الظاهرة ووجود بالقوى الباطنة ووجود بالعقل ومناسب الى الله تعالى من الوجود فبمعنى العلم المجرد اذ كان الله تعالى منزها عن الوصف بالجوارح والآلات وقد فسره بعضهم هنا بالعلم وجعل مفعوله الاول الضمير ومفعوله الثاني يتيما وبعضهم بالصادفة وجعله متعديا لواحد بمعنى لقيه هنا والمعنى الم تعلم ان الصادفة لائصح في حقه تعالى لانها ملابسة ما لم يكن في علمه سبحانه وتقديره جل شأنه فلابد من التجوز بها عن تعلق علمه عز وجل بذلك والتيم الانقطاع الصبي عن أبيه قبل بلوغه والايواء ضم الشيء الى آخر يقال آوى اليه فلانا أي ضمه الى نفسه أي ألم يعلمك طفلا لا أب لك فضمك الى من قام بامرك روى أن عبد المطلب بعث ابنه عبد الله أبا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمتار تمرا من يثرب فتوفي ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جنين فدأنت عليه منة أشهر فلما وضعته كان في حجر جده مع أمه فكانت وهو عليه الصلاة والسلام ابن ست سنين وتابع عليه الصلاة والسلام ثماني سنين مات جده فكفله عمه الشقيق الشقيق أبو طالب بوصية من أبيه عبد المطلب وأحسن تربيته صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الكشاف ماتت أمه عليه الصلاة والسلام وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه وكان شديد الاعتناء بامره الى ان بنته الله تعالى وكان يرى منه صلى الله تعالى عليه وسلم في صغره ما لم ير من صغير روى انه قال يوما لاخيه العباس ألا أخبرك عن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بما رأيت منه فقال بلى قال اني ضممته الى فكنت لا أفارقه ساعة من ليل ولا نهار ولم اتهن عليه أحدا حتى أني كنت أنومه في فراشي فامرني ليلة ان يضطجع ثيسابه وينام معي فرأيت الكراهية في وجهه وكره ان يخالفني فقال يا عماه اصرف وجيسك عني حتى أضطجع ثيسابي اني لا أحب ان تنظر الى جسدي فتجيبت من قوله وصرفت بصري حتى دخل الفراش فلما دخلت معه الفراش اذا بيني وبينه ثوب والله ما أدخلك في فراشي فاذا هو في غاية الابن وطيب الرائحة كانه قمر في الليلة فجعلت لانظر الى جسده فما كنت أرى شيئا وكنت أطفه من فراشي فاذا قمت لاطلبه نادني حتى اذا ياعم فارجع وكنت كثيرا ما أسمع منه كلاما يعجبني وذلك منه ما مضى بعض الليل وكنا لا ننسى على الطعام والشراب ولا نحمد وكان يقول في أول الطعام بسم الله الاحد فاذا فرغ من طعامه قال الحمد لله فكنت العب منه ولم أر منه لقمة ولا ضحكا ولا جاهلية ولا وقف مع الصبيان ولم يأتهون وهذا لعمري فيض من فيض

في البديع من سعادة جده ✻ أثر النجابة ساطع البرهان

Marfat.com

وقيل المعنى ألم يجدك يتيما أبتك المراضع فآواك من مرضعة تحنو عليك بان رزقها بصحبتك الخير والبر لا حتى أعجبتك ونكفلك والاول هو الظاهر وقيل غير ذلك مما ستعلمه بعيد ان شاء الله تعالى ومن بدع التفاسير على ما قال الزاهدي ان يتيما من قولهم درة يتيمة والمعنى ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك والاولى عليه ان يقال ألم يجدك واحداً عديم النظير في الطيبة لم يحو مثلك صدف الا مكان فآواك اليه وجملك في حق اصطفائك وقرأ أبو الاشعث فأوى ثلاثيا فيجوز أن يكون من أواه بمعنى آواه وان يكون من أوى له أي رحمه ومصدره الواية (١) ومأوية وماوية وتحقيقه على ما قال الراغب أي رجع اليه بقلبه ومنه قوله ٥ أواني ولا كفران لله أية ٥ وقوله تعالى (وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَى) معطوف على مايقتضيه الانكار السابق كأنه أشير اليه أو على المضارع الذي هو داخل في حكمه كأنه قيل ألم يوجدك يتيما فآوى ووجدك غافلا عن الصنائع التي لا تهتدي اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقوله سبحانه وان كنت من قبله لمن الغافلين فهداك الى مناهجها في نصائب ما أوحي اليك من الكتاب الذين وعلمك ما لم تكن تعلم وعلى هذا قال الواحدي أكثر المفسرين وهو اختيار الزجاج وروى سعيد بن المسيب أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سافر مع عمه أبي طالب الى الشام فبينما هو راكب ناقة ذات ليلة ظلماء وهو نائم جاءه ابليس فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها بالحبشة ورده الى الناقة فما في الآية اشارة الى ذلك على ما قيل وقيل اشارة الى ما روى عن ابن عباس من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضل وهو صغير عن جده في شعاب مكة فرآه أبو جهل منصرفا من أقطاره فرده الجده وهو متعلق باستار الكعبة يتضرع الى الله تعالى في أن يرد اليه محمدا وذكر له أنه لما رآه أتبع الناقة وأخذ زمامها من خلفه فابت أن تقوم فاركبه أمامه فقامت الناقة تقول بالحبش هوالامام فكيف يقوم خلف المقتدى وفي ارجاعه عليه الصلاة والسلام الى أهله على يدأبي جهل وقد علم سبحانه منه انه قرعونه يشبه ارجاع موسى عليه السلام الى أمه على يد قرعون وقيل ضل عليه الصلاة والسلام مرة أخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمع صائحا يقول يا معشر من في السماء ضل الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قائم تحت شجرة يذب بالاغصان والاوراق وقيل أطافت به حية عند باب مكة حين فطمته وجاءت به الى عبد المطلب فضلا على هذه الروايات من ضل في طريق اذا سلك طريقا غير موصلة لقصده وضعف حمل الآية على ذلك بان منه بالنسبة الى ما تقدم لا يعد من نعم الله تعالى على مثل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم التي يمتن سبحانه بها عليه وقيل الضال الفريدة في البيداء ليس حولها شجر والمراد أما وجدك وحدك ليس معك أحد فهداك الناس اليك وأوى بشرك منفردا وقال الجنيد قدس سره أي وجدك متحيرا في بيان الكتاب المنزل عليك فهداك ليبانه وقيل قريب مما قبل الاول وقال بعضهم وجدك غافلا عن قدر نفسك فاطلعك على عظيم محلك وقيل وجدك ضالا عن معنى محض المودة فسقاك كاسا من شراب القربة والمودة فهداك به الى معرفته عز وجل وقال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه كنت ضالا عن هويتي فدلني الازل فتهت عليك بعرفاني وهو قريب من سابقه وقال الطريحي أي وجدك مترددا في غوامض معاني الهية فهداك لها وهو أيضا كذلك وقال ذلك منزع صوفي ورأى أبو حيان في معانيه ان الكلام على حذف مضاف والمعنى ووجد رحمتك ضالا فهدى بك وهو كما ترى في بعض ذلك وقوله تعالى

(١) قوله ومأوية وماوية الاول مشدد والثاني مخفف اه

Marfat.com

(وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) على نمط سابقه والعائل الفقير من عال يعيل عيلا وعيلة وعيولا وعيلا الفقر أي وجدك معدم القنيات فأغناك بما حصل لك من ربح التجارة وذلك في سفره صلى الله تعالى عليه وسلم مع ميسرة الى الشام وما وهبته لك خديجة رضي الله تعالى عنها من المال وكانت ذا مال كثير فلما تزوجها عليه الصلاة والسلام وهبته جميعه له صلى الله تعالى عليه وسلم الا يقول قائل ما يتأتى على سيده الشريف عليه الصلاة والسلام وقال أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وكان أيضا ذا مال فاني به لك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام ما تركت لعيالك فقال تركت الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بما أفاد عليك من الغنائم وفيه ان السورة مكية والغنائم انما كانت بعد الهجرة وقيل المراد فتملك وأغنى قلبك فان غنى القلب هو الغنى وقد قيل من عدم القناعة لم يغده المال غنى وقيل أغناك به عز وجل عما سواه وهذا الغنى بالافتقار اليه تعالى وفي الحديث اللهم أغنني بالافتقار اليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك وبهذا أم يبعض المحراد فقال .

ويعجبني فقري اليك وبي بكن ٭ ليعجبني لولا محبتك الفقر

وشاع حديث الفقر فخري وحمل الفقر فيه على هذا المعنى وهو على ما قال ابن حجر باطل موضوع وأشد منه وضعا وبطلانا ما يذكره بعض المتصوفة اذا تم الفقر فهو الله سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا وقد خاضوا في بيان المراد به مما لا يدفع بضاعته بل لا يقتضي استقامته وقيل عائلا أي ذا عيال من عال يعول عولا وعيالة كثر عياله وبحمل للغنيين قول جرير

الله زاد في الكتاب فريضة ٭ لابن السبيل والفقير العائل

والسبيل الثاني فيه أظهر ورجح الأول في الآية بقراءة ابن مسعود عديما وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن ذا عيال في أول أمره صلى الله تعالى عليه وسلم وقرأ الجراني عيلا كسيد بشد الياء المكسورة هذا وذكر عصام الدين في هذه الآيات انه يحتمل أن يراد باليتيم فاقد العلم فان الآباء ثلاثة من ملكك ومن زوجك ومن ولدك وبناسب حمل الضلال على الضلال عن العلم وحمل العيال أي على تعليم عائلا بذا عيال على عيال الامة العالمة منه بمعرفة مصالح الدين مع احتياجه الى المعرفة فاغناه الله تعالى بالوحي اليه عليه الصلاة والسلام ولا يخفى ما فيه وحذف المفعول في الافعال الثلاثة للظهور المراد مع رعاية الفواصل وقيل ليدل على سعة الكرم والمراد آواك وآوى لك وبك وهداك وهك وبك وأغناك وبك وبك وظاهر الفاء مع تلك الافعال أبى ذلك وأقول الامام الكلام في الآيات وأني فيها بيت ومعين ولولا خشية الملل لذكرنا ما فيه (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) فلا تستذله لفقره قال ابن عطاء وقريب منه قول مجاهد لا تحقره وقال سفيان لا تظلمه بضيع مالك وفي معناه ما قيل لا تغلبه على ماله وعلى التقييد المراد الغالب والاولى حمل القهر على العلة والتذليل مما يراد به التسلط بما يؤذي أو باستعمال التحقير في منيه على القول بجوازه وفي مفردات الراغب القهر الغلبة والتذليل مما ويستعمل في كل واحد منهما وقرأ ابن مسعود والنبي وابراهيم النبي فلا تكهر بالكاف بدل القاف ومعناه على ما قال البحر فلا تقهر وفي تهذيب الازهري الكهر القهر والكهر عبوس الوجه والكهر الغشم واختار بعضهم هنا أوسطها فالنهي فلا تعبس في وجهه وهو نهي عن الغشم والقهر على ما سمعت من معناه من باب الاولى وايا ما كان ففي الآية دلالة على الاعتناء بشأن اليتيم وعن ابن مسعود مرفوعا من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمر عليها يده نور يوم القيامة وعن عمر رضي الله تعالى عنه مرفوعا أيضا ان اليتيم الذي اختر لبكائه عرق الرحمن فقول الله تعالى للملائكة بالملائكتي من ابكى هذا اليتيم

Marfat.com

الذي غيب أبوه في التراب فيقول اللائكة أنت أعلم فيقول الله تعالى بالملائكتي إني أشهدكم أن علي أن أسكنه وإرضاءه أن أرضيه يوم القيامة فكان عمر رضي الله تعالى عنه اذا رأى يتيما مسح رأسه وأعطاه شيئاً ولم يصح في كيفية مسحه شيء والرواية عن ابن عباس في ذلك قد قيل فيها ماقيل وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال أنا وكافل اليتيم كهاتين اذا اتقى الله عز وجل واشار بالسبابة والوسطى إلى غير ذلك من الاخبار ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ أي فلا تزجره ولكن تفضل عليه بشيء أو ردّه بقول جميل وأريد به عند جمع السائل المستجدي الطالب لشيء من الدنيا وتدل الآية على الاعتناء بحاله أيضا وعن ابراهيم ابن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وعن ابراهيم النخعي السائل يريد الآخرة يجيء الى باب أحدكم فيقول أتتمون الى أعليكم بشيء وشاع حديث للسائل حق وان جاء على فرس وقد قال فيه الامام أحمد لا في تمييز الطيب من الخبيث لا أصل له وأخرجه أبو داود عن الحسين ابن علي رضي الله تعالى عنهما موقوفا وسكت عنه وقال العراقي سنده جيد وتبعه غيره وقال ابن عبد البر انه ليس بالقوي وهول لشيء على ماقال الامام أحمد وفي معناه احتمالان قال منها يؤذن بالاعلام بأمر السائل وروى من طرق عن عائشة وغيرها وصدق السائل ما أفلح من رده وهو أيضا على ماقال ابن المديني لا أصل له وقال ابن عبد الرحيم أسانيده ليست بالقوية ثم أخرج الطبراني في الكبير عن أبي امامة مرفوعا بقرب منه وهو لو كان الناس يعلمون ما أعلم من رده لم أقف على من تصدق . ثم الشيء على الخير على ماقاله الراغب في السؤال فان أعم ولم ينفع الرد الجميل فلا يأس بالزجر وقال أبو الدرداء والحسن وسفيان وغيرهم المراد بالسائل هنا السائل عن العلم والدين لا السائل المال والمعنى النهي عن زجره على القول الأول يعلم بالأولى ويشهد للاولوية أنه أنه لا وعيد على ترك أعطاء المستجدي لمن يجده مايستجديه بخلاف ترك جواب سائل العلم لمن يعلم فقد الحديث من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار وسيأتي ان شاء الله تعالى مايقبل من ان الظاهر الثاني من القولين ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ فان التحدث بها شكرها قال عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة والفضيل بن عياض وأخرج البخاري في الأدب وأبو داود والترمذي وحسنه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي والضياء عن جابر بن عبد الله مرفوعا من أعطى عطاء فوجد فليجز به فان لم يجد فليثن به فمن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور ولقد استحب بعض السلف التحدث بالنعم من الطيرالة لا لإرادة الرياء والافتخار وعليه الاقتداء بل بعض أهل البيت رضي الله تعالى عنهم حمل الآية على ذلك أخرج ابن أبي حاتم عن مقسم قال قلت الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما فقلت أخبرني عن قول الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث فقال الرجل المؤمن يسدل عملا صالحا فيخبر به أهل بيته وأخرج ابن أبي حاتم عنه رضي الله تعالى عنه أنه قال فيها اذا أصبت خيرا فحدث اخوانك والظاهر أن المراد بالنعمة ما أفاضه الله تعالى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم من فنون النعم التي من جملتها مافتح وأخرج ابن المنذر وغيره عن مجاهد تفسيرها بالنبوة وروى ذلك عنه أيضا تفسيرها بالقرآن وروايته في الأول محمد بن اسحق وفي الثاني السدي وعليهما المراد بالتحديث التبليغ ولا يخفى أن كلا التفسيرين غير مناسب لما قبل وهذه الجمل الثلاث مرتبة على ما قبلها فقيل على الف والنعم الشوش وعامل الفتى اذا كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك وهداك وأغناك فهما يكن من شيء فلا تنس نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلاث واقتد بالله تعالى فتطف على اليتيم وترحم على السائل فقد ذقت اليتم والفقر وقوله تعالى وأما بنعمة الخ في مقابلة قوله سبحانه وجدك ضالا فهدى لنبوته وشموله هدايته عليه الصلاة والسلام من

Marfat.com

الضلال بتعليم العراة وغير ذلك من النعوت وإراءة الترتيب لتقديم حقوق العباد على حقه عز وجل فانه سبحانه وتعالى غني عن العالمين وقيل لتقديم التخلية على التحلية أو للفرق أو لمراعاة الفواصل ونظر في كل ذلك وقال الطيبي الظاهر ان المراد بالسائل طالب العلم لا المستجيد وعليه الأنسب من كون التفصيل على الترتيب فيقال انه تعالى ذكر أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم على وفق الترتيب الخارجي بان يراد ببدايته عليه الصلاة والسلام مايعم توقيفه النظر الصحيح في سبأ فلعله كان صلى الله تعالى عليه وسلم موفقا لذلك وقبل أن يجيء عليه الصلاة والسلام مثلا أو يراد بافتقاده ماكان بعد البعثة ثم فصل سبحانه على ذلك الترتيب لجهل عدم غير اليتيم في مقابلة إيوائه تعالى له عليه الصلاة والسلام في يتمه وعدم زجر السائل طالب العلم والتلميذ منه في مقابلة هدايته له والتحدث بالنعمة في مقابلة التي وان كانت النعمة شاملة لجواهره وآثر سبحانه تحديث على ظاهر قبل ليكون ذكر النعمة منه عليه الصلاة والسلام حديثا لإنشاء وبوجوده صار غالب صالحة والله تعالى أعلم وندب التكبير عند خاتمة هذه السورة الكريمة وكذا مابعدها الى آخر القرآن العظيم فقد أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في السنن من طريق أبي الحسن البزي القنبري قال سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرأت على اسماعيل بن قسطنطين فلما بلغت والضحى قال كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختم فاني قرأت على عبد الله بن كثير فلما بلغت والضحى قال كبر حتى تختم وأخبره عبد الله ابن كثير أنه قرأ على مجاهد فامره بذلك وأخبره ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أمره بذلك وأخبره ان أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أمره بذلك وأخبره ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمره بذلك وكان ذلك منه عليه الصلاة والسلام فرعا بنزول الوحي بعدنا آخره ونعته حتى قبل هذا قبل هذا وعلى ذلك عمل الناس اليوم والحمد لله رب العالمين

سورة ألم نشرح

وتسمى سورة الشرح وهي كما روى عن ابن الزبير ومجاهد مكية وأخرج ذلك ابن الضريس والنحاس والبيهقي وابن مردويه عن ابن عباس وفي رواية عنه زيادة نزلت بعد الضحى وزعم البقاعي انها عنده مدنية وفي حديث طويل أخرجه ابن مردويه عن جابر بن عبد الله مايقتضي ظاهره أن قوله تعالى فيها فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا نزل بالمدينة لكن في صحة الحديث توقف وآيها ثمان بالاتفاق وهي شديدة الاتصال بسورة الضحى حتى انه روى عن طاوس وعمر بن عبد العزيز انهما كانا يقولان هما سورة واحدة وكانا لم تقرآنهما في الركعة الواحدة وما كانا يفصلان بينهما بتسمية الرحمن الرحيم ودليل ذلك الذي حكاه الفارسي منهم قال الامام والذي دعا الى ذلك هو ان قوله تعالى ألم نشرح للعطف على قوله تعالى ألم يجدك يتيما وليس كذلك لان الأول كان عند اقتسام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من ابتداء الكثرة وكانت الحالة حال صحة وضيق صدر والثاني يقتضي ان يكون حال النزول منشرح الصدر طيب القلب فأنى يجتمعان وفيه نظر والحق ان مدار مثل تلك الرواية الآحادية والتواتر كونهما سورتين والفصل بينهما بالبسملة نعم هما متصلتان معنى جدا ويدل عليه مافي حديث الاسراء الذي أخرجه ابن أبي حاتم ان الله تعالى قال له عليه الصلاة والسلام ياأحمد ألم أجدك يتيما فآويت وضالا فهديت وعائلا فاغنيت وشرحت لك صدرك وحططت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر الا ذكرت معي الحديث

﴿بسم الله الرحمن الرحيم ألم نشرح لك صدرك﴾ الشرح في الأصل الفتح والتوسع وشاع استعماله

في الايضاح ومنه شرح الكتاب انا أوضحه لنا أن فسح الشيء وسطه مستلزم لاظهار باطنه وما خفي منه وكذا شاع في سرور النفس حتى لو قيل أنه حقيقة عرفية فيه لم يبعد وذلك انا اذا نطق بالقلب كان قيل شرح قلبه بكذا أي سره به لان القلب كالمنزل للنفس ويلزم عادة من فسح المنزل وتوسعته سرور النازل فيه وكذا اذا تعلق بالصدر الذي هو محل القلب وربما يؤذن ذلك بسعة القلب لما أن العادة كالظرفية في أن توسعة مأحوال المنزل انما تكون اذا كان المنزل واسعا فيوسع ماحواليه لتحصيل زيادة بهجة ونحوها فيه فينتقل منه الى سرور النفس بالواسطة وقد يراد به اذا تعلق بالقلب أو الصدر أيضا تكثير مافيه من المعلومات فقيل يخيل انها تحتاج الى فضاء تكون فيه وان ذلك محل لها فتى كانت كثيرة اقتضت ان يكون محلها واسعا لبسعها وقد يراد بها تكثير مافي النفس من ذلك فقيل أيضا يخيل أن تكثير معلوماتها يستدعي توسيعها وتوسيعها يستدعي توسيع ذلك لتنزيله منزلة محلها وقد يراد به تأييد النفس بقوة قدسية وأنوار الهية بحيث تكون مبدأ لمواهب المعلومات ومبدأ لكواشف الملكات وعرشا لانواع التجليات وفرشا لسوانح الواردات فلا يضيق شأن عن شان ويستوي قلبه يكون وكائن وكان ووجه نسبته الى الصدر على نحو ماس وارادة القلب من الصدر والنفس من القلب بعلاقة الحلية ونحوها مما لاتميل اليه النفس وارادة كل مما ذكر بقرينة المقام والاسب بمقسام الامتنان هنا ارادة هذا المعنى الاخير وجوز غيره فالمعنى الم نفسح صدرك حتى حوى عالي الرتب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والافادة فما صدك للغاية بالعلائق الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤن الحق وليسل الذي لم يزل عملك وشغلك باطلاعك على دقائق الامور وحقارة الدنيا فهان عليك احتمال المكاره في الدعاء الى الله تعالى ونقل عن الجمهور ان المعنى ألم نفسحه بالحكمة ونوسعه بتيسيرنا للتدارك مايوحي اليك بعد ماكان يدق عليك وعن ابن عباس وجماعة اشارة الى شق صدره الشريف في صباه عليه الصلاة والسلام وقد وقع هذا الشق على مافي بعض الاخبار وهو عند مرضعته حليمة فقد روى عنها انها قالت في شأنه عليه الصلاة والسلام لم يزل نتعرف من الله تعالى الزيادة والخير حتى بلغت سنه وفصلته فكان يشب شبابا لايشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن احرص شيء على بقائه عندنا لما نرى من بركته فقلنا لامه لو تركته عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وباء مكة فلم تزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فو الله انه لبعد مقدمنا به بشهر أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة لهم لنا خلف يرعيان غنما جاء أخوه يشتد فقال ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثيابا بيض فاضجعاه وشقا بطنه فرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فوجدناه قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال أي بني ماشأنك قال جاءني رجلان عليهما ثيابا بيض فاضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه فما أدري ما هو فرجعنا به معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلق فرد به الى اهله قبل ان يظهر به ماتخوفه قالت فاحتملناه الى اهلنا فقالت ما ردكما به فقد كنتما حريصين عليه فقلنا نخشى الاحداث والاحداث فقالت ماذاك بكما فاصدقاني شانكما فلم نزل بها حتى اخبرناها خبره فقالت اخشيتما عليه الشيطان لا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شان فدعاه عندها ولي حديث لابي يطول وأبى نعيم وابن عساكر مايدل على تكرر وقوع ذلك له عليه الصلاة والسلام وهو عند حليمة وقد وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا بعد بلوغه صلى الله تعالى عليه وسلم في الدر المنثور أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن أبي بن كعب ان ابن العبرة قال يارسول الله ما أول مارأيت من أمر النبوة فاستوى رسول

Marfat.com

الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت أبا هريرة التي لقي بحراء ابن عشرين سنة وأشهر اذا بكلام فوق رأسي واذا رجل يقول لرجل أهو هو فاستقبلاني بوجوه لم أرها بخلق قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أجدها على أحد قط فأقبلا الي يمشيان حتى اذا دنيا أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لاحدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه اغسل صدره فهوى أحدهما الي صدري فشقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فاذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ثم حز بها بين رجل يميني وقال اغد واسلم فرجعت أغدوبها رأفة على الصغير ورحمة على الكبير والذي رأيته في شرح الخريدة لابن حجر المكي رواية هذا الخبر بلفظ آخر وفيه أني لبحراء واسمة ابن عشر حجج اذا أتاني جبلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه أهو هو قال آخر ماقيه فيكون الشق عليه قبل الوقوع أيضاً والله تعالى أعلم ثم انه على الروايتين ليس لصاحبي شق وقوع شق قبله لجواز أن يكون الذي استخرجه من النبوة هو هذا لا ما قبله ووقع له عليه الصلاة والسلام أيضا عند نبي جبريل عليه السلام بالوحي في غار حراء وعن روى ذلك الطيالسي والحرث في مسنديهما وكذا أبو نعيم واللفظ له أن جبريل وميكائيل عليهما السلام شقا صدره وغسلاه ثم قال اقرأ باسم ربك الآيات ووقع أيضا مرة أخرى تواترت بها الروايات خلافا لمن أنكر هاتيك الاسراء به صلى الله تعالى عليه وسلم روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ما بين بطشت من ذهب فيها ماء زمزم فشرح صدري الى لبتي وكذا قال قتادة قلت يعني لأنس ما يعني قال الى أسفل بطني قال فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشي ايمانا وحكمة ثم أتي بدابة دون البغل وفوق الحمار البراق فانطلقت مع جبريل عليه السلام حتى أتينا السماء الدنيا الحديث وظن القاضي عبد الجبار في ذلك بما حاصله انه يلزم على وقوعه في الصغر وقبل النبوة تقدم المعجزة على النبوة وهو لا يجوز ووقوعه بعد النبوة وان لم يلزم عليه ماذكر الا أن ماذكر معه من حصول الغسل وادخال الرأفة والرحمة وحشو الايمان والحكمة يرد عليه ان الغسل مما لا أثر له في التكميل الروحاني وانما هو لازالة أمر جسماني وانه لا يصح ادخال ما ذكر وحشوه فانا هو شيء يخلقه الله تعالى في القلب وليس بشيء فان تقدم الخارق على النبوة جائز عندنا ونسميه ارهاصا والاخبار كثير في وقوعه له عليه الصلاة والسلام قبل النبوة والغسل بالماء كان لازالة امر جسماني ولا يبعد أن يكون ازالته وغسل الغل بماء مخصوص يلزم على ماصح في بعض الروايات والقائل البقيني انه أفضل من ماء الكوثر وجوابه تبديل المزاج وهو محال ودخل في التكميل الروحاني والرياضة التي يحصل بها تبديل المزاج ويرشد الى ذلك تغير أحوال النفس واخلاقها حيا وكيوة وشيخوخة والمراد من ادخال الرأفة وحشو الايمان مثلا ادخال ما به يحصل كل ذلك وكثيرا ما يسمى السبب باسم المسبب مجازا ويحتمل أن يكون على حقيقته ونجسم المعاني جائز وقال العارف بن أبي جمرة كما في المواهب اللدنية للقسطلاني ماحاصله ان ما دل عليه كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على جوهريته وجسميته من أعيان المخلوقات التي ليس للحواس الى ادراكها سبيل هو كما دل عليه كلامه عليه الصلاة والسلام في نفس الامر وان الحكم من المتكلم أو نحوه عليها بالعرضية انما هو باعتبار ما ظهر له بظنه والظل حد يقف عنده والحقيقة في الحقيقة ما دل عليه نور الشارع المؤيد بالوحي الالهي والنور القدسي المطلق يجتاحهما في جو المخلوق الى حيث لا يسمع لنحلة الظل ندبة ولا الرواد عنه عثنة فالايمان والحكمة ونحوهما مما دل عليه كلام النبي

Marfat.com

صلى الله تعالى عليه وسلم على جوهريتها جواهر مخصوصة الامكان وان حصيا من حصيها كذلك انتهى والامر فيه اعتقاداً وانكاراً اليك ولا ألزمك الاعتقاد فما أريد ان أشق عليك وقال بعض الاجلة لعل ذلك من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني قد وقع كثيرا كما مثل له عليه الصلاة والسلام الجنة والنار في عرض حائط مسجده الشريف وقاءته كذف المنوى بالمحسوس وهو ميل الى عدم الوقوع حقيقة وقد قال غير واحد جميع ما ورد من الشق واخراج القلب وغيرهما يجب الايمان به وان كان خارقا للعادة ولايجوز تأويله لصلاحية القدرة له ومن زعم ذلك وقع في هوة المعتزلة في تأويلهم نصوص سؤال الملكين وعذاب القبر ووزن الاعمال والصراط وغير ذلك بالتذهي وأما حكمة ذلك مع امكان ايجاد ما ترتب عليه بدونه فقد أطالوا الكلام في بيانها في موضعه ثم حمل الشرح في الآية على ذلك الشق ضعيف عند المحققين والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري من امتنان للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لايقدر أحد ان يجيب عنه بغيره والمراد التعليل الى ضمير العظمة للايذان بعظمته وجلالة قدره وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من أول الامر بأن الشرح من مناقبه عليه الصلاة والسلام ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم وتشويقا له عليه الصلاة والسلام الى مايطيب لتمكن عنده وقت ورود. فضل تمكن وقرأ أبو جعفر المنصور بفتح الحاء وخرجه ابن عطية وجماعة على أن الاصل ألم نشرحن بنون التأكيد الخفيفة فأبدل من النون الفا ثم حذفها تخفيفا كما في قوله

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس

ولايخفى ان الحذف هنا أغرب منه هناك البتة لان ذلك في الامر وهذا في النفي وقد روى ابن جني في الشق عن أبي جعفر انه قرأ ألم نشرح بفتح الحاء دون النون وكيف كان فهو شيء به الاسهاب والاطناب لالايجاز والاختصار والبيت يحتمل انه مصنوع والاول في التمثيل ماانشده ابو زيد في نوادره

من أي يومي من الموت أفر * أيوم لم يقدر أم يوم قدر

وقال قرأ واحد لما جيء بين الحاء والشين ألفا خرجها فظن السامع انه فتحها وفي البحر ان هذه القراءة تخريجها أحسن مما ذكر وهو ان الفتح على لغة بعض العرب من النصب بلم فقد حكى اللحياني في نوادره أن منهم من ينصب بها ويجزم بلن عكس المعروف عند الناس وعلى ذلك قول عائشة بنت الاعجم أمدح القارئ ابي عيد

في فتى ماتم أمضى رأيه قدما * ولم يدانوا في الامر الذي فعلا

وخرجها بعضهم على ان الفتح لمجاورة ما بعدها كالكسر في قراءة الحمد لله بالجر وهو لايناسبني في بيت عائشة ويناسبني فيما بعدها نحما مر وقوله تعالى ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ عطف على ما أشير اليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قيل قد شرحنا لك صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح لما مر من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان في وصفه نوع طول فناخير الجار والمجرور عنه لحل بتجاوب اطراف النظم الكريم والوزر الحمل الثقيل أي وحططنا عنك حملك الثقيل ﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ اى حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك أعني الصرير ولا يختص بصوت المفاصل والرحال بل يضاف الى المفاصل فيقال نقيض المفاصل ويراد صوتها فنقيض الظهر مايسمع من مفاصله من الصوت لثقل الحمل وعليه قول عباس بن مرداس

وأنقض ظهري ما تطوي منهم * وكنت عليهم معقلة حتنا

واستلم

Marfat.com

والمناقش للحمل المسناد السبب الخلق مجازا والمراد بالحمل النقض هنا ما صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة مما يشق عليه صلى الله تعالى عليه وسلم تذكره لكونه في نظره العالي دون ما هو عليه عليه الصلاة والسلام بعد أو غفلته عن الشرائع ونحوها مما لا يدرك الا بالوحي مع تطلعه صلى الله تعالى عليه وسلم له أو حيرته عليه الصلاة والسلام في بعض الامور كإباء حتى الرسالة أو الوحي وظنه فقد كان يثقل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في أبتداء أمره جدا أو ما كان يرى صلى الله تعالى عليه وسلم من خلال قومه مع العجز عن الزامهم لعدم طاقتهم له والتباعهم للحق أو ما كان يرى من تعنتهم في ايفاك عليه الصلاة والسلام أوهمه عليه الصلاة والسلام من وفاة أبي طالب وخديجة بناء على نزول السورة بعد وفاتهما ويراد بوضعه على الأول مفترته وعلى الثاني ازالة غفلته عليه الصلاة والسلام عنه بتعليمه اياه بالوحي ونحوه وعلى الثالث ازالة ما يؤدي الحيرة وعلى الرابع تيسيره له صلى الله تعالى عليه وسلم بتدريجه واعتياده وعلى الخامس توفيق بعضهم الاسلام كعمرة وعمر وغيرهما وعلى السادس تقويته صلى الله تعالى عليه وسلم على التحمل وعلى السابع ازالة ذلك برفعه الى السماء حتى انه قال مالك وحياء وفوزه بمقاعدة محبوبه الأعظم ومولاه عز وجل وأيا ما كان فوق الكلام استعارة تبعية والوضع ترشيح لها وليس فيه دليل لمانع العصمة كما لا يخفى واختار أبو حيان أن وضع الوزر كناية عن عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن الذنوب وتطهيره من الأدناس عبر عن ذلك بالوضع على سبيل المبالغة في اتحاد ذلك كما يقول القائل رأيت ملك مدينة الزبرقان لم يصدر منه زيارة على طريق المبالغة في اتحاد الزيارة منه له والتمثيل عليه بحاله على ما قيل وقيل المراد وزر أمتك وانما أضيف اليه صلى الله تعالى عليه وسلم لاهتمامه بشأنه وتذكره في أمره والمراد بوضعه رفع عقابه في الدنيا من العذاب العاجل مادام صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم وما داموا يستغفرون فقد قال سبحانه وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ولا يخفى بعد هذا الوجه وقرأ أنس وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرأ (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) بالتشديد وغيرها وأي رفع كان قرن اسمه عليه الصلاة والسلام باسمه عز وجل في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصل عليه في ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالألقاب كيا أيها المدثر يا أيها المزمل يا أيها النبي يا أيها الرسول وذكره سبحانه في كتب الأولين وأخذ على الأنبياء عليهم السلام وأممهم ان يؤمنوا به صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عن مجاهد وقتادة وعهد بن كعب والضحاك والحسن وغيرهم انهم قالوا في ذلك لا أذكر إلا ذكرت معي وفيه حديث مرفوع أخرج ابن مردويه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتاني جبريل عليه السلام فقال ان ربك يقول أتدري كيف رفعت ذكرك قلت الله تعالى أعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي وكان ذلك من الاقتصار على ما هو أعظم قدرا من المراد رفع الذكر ويشير الى عظم قدره قول حسان

أغر عليه للنبوة خاتم ✽ من الله مشهود يلوح وشاهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه ✽ اذا قال في الخمس المؤذن أشهد

ولا يخفى لطف اعتبار الرفع بعد الوضع والكلام في العطف وزيادة لك كالذي سلف والعدول في قوله عز وجل (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) عن مالك الكشاف فصيحة والكلام بعده صلى الله تعالى عليه وسلم مسوق للتسلية والتأنيس قال كان للمشركين يهودي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

Marfat.com

والتؤمين بالفقر والضيقة حتى سبق الى ذهنه الشريف عليه الصلاة والسلام انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار أهله والتفاوت فذكره سبحانه مالأنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال تسالى تأنيه ان مع العسر يسرا كانه قال سبحانه خولناك ماخولناك فلا تيأس من فضل الله تعالى فان مع العسر الذي أنعم فيه يسرا وهو ظاهر في ان أل في العسر للعهد وأما التنوين في يسرا فللتعظيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما وأي يسر والمراد بما يسر ما يؤمن الفتوح في أيام دعوته ولله تعالى على افضل خلقه صلى الله عليه وسلم أو يسر الدنيا بالنظر لقوله تعالى (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) يحتمل أن يكون تكريراً لجملة السابقة لتقرير مضمونها ولتوفر الدواعي والتفكير في القلوب كما هو شأن التكرير ويحتمل ان يكون وعداً مستأنفاً وال والتنوين على ماسبق بيد ان المراد باليسر هنا مالايسر لهم في أيام الطفاء أو يسر الآخرة واحتمال الاستئناف هو الراجح لما علم من فضل التأسيس على التأكيد ولأن لفظ الله تعالى الدول على أفضل الاحتمالين وأولاهما والتام كما تقدم بمقام التأسيس والتفيس والاستئناف نحوي والتجرد عن الواو أكثر من ان يحصى والاحتياج الى بيان نكتة لانه الاصل وقال عصام الدين لايبعد ان تكون نكتة الفصل كونه في صورة التكرير فاحفظه فانه من البدائع والعجب بنحو ما ذكرنا وكان الظاهر على ماسمعت من المراد باليسر تعريفه الا انه أوثر التنكير للتفخيم وقد يقال ان فائدته الظهور في التأسيس لان النكرة المعادة ظاهرها التغاير والاشعار بالتفرق بين العسر واليسر ويظهر مما ذكر وجه ما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير والحاكم والبيهقي عن الحسن قال خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام فرحا مسرورا وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وافاد بعض الاجلة ان الكلام تقرير لما قبله وعدة له صلى الله تعالى عليه وسلم بتيسير كل عسير فالعاد قيل سببية ودخلت على السبب وان تعارف دخولها على المسبب لتسبب ذكره عن تحقيقه فان ذكر أحدهما يستدعي ذكر الآخر وال في العسر للاستغراق فيدخل فيه سبب النزول والتنوين في يسرا على ما سبق كأنه قيل فعلنا لك كذا ولذا لان مع كل عسر كصدق الصدر والوزر النقض الظهر والحزن يسرا عظيما كالشرح والوضع ورفع الذكر فلا تيأس من روح الله تعالى اذا عراك مايغمك وقال بعضهم العاد للتفريج وهو من قبيل تفريع الحكم على الدليل في صورة الاستدلال بالجزئي على الكلي وذلك كما تقول لما ترى الى الانسان والفرس والغنم فيها تحرك الفك الاسفل عند التضغ فاعلم بذلك ان كل حيوان يفعل كذلك فتدبر وفي الجملة الثانية الاحتمالان السابقان والاستئناف أيضا هو الراجح لما تقدم وعلى اتحاد العسر وتعدد اليسر يكون الحاصل من الجملتين ان مع كل عسر يسرين عظيمين والظاهر ان المراد بقولك اليسرين يسر دنيوي ويسر اخروي وقيل الظاهر ان الجملة الثانية تكرير للاولى وتأكيد لها فاليسر فيها عين اليسر في الاولى كما ان العسر كذلك والكلام نظير قولك ان مع الفارس رمحا ان مع الفارس رمحا وهو ظاهر في وحدة الفارس والرمح وان يغلب عسر يسرين ليس نصا في الحمل على الاستئناف إذ يصح على التأكيد أيضا بان يكون مبنيا على كون التنوين في يسراً للتفخيم لجعل القوة الرجاء على يسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة ويشهد لذلك انه ليس في مصحف ابن مسعود الجملة الثانية مع انه جاء عنه أيضا ان يغلب عسر يسرين وقيل يمكن أن يحمل الخبر على انه لن يغلب فرد من أفراد العسر ذكر اليسر مرتين وتكريره في مقام الوعد وهو كما ترى والظهور على جميع الأوجه انه شبه التقارب بالتقارن فاستعير لفظ مع لمعنى بعد وذلك المبالغة في مقاربة اليسر العسر واتصاله به واستدل أمر الاشتراق بان من العسر مالا يغلب يسر دنيوي كالفقر والمرض الداعيين الى الموت ولا أراك ترضى القول بان الموت يسر دنيوي وان من العسر

Marfat.com

مالا يغلبه يسر أخرى أيضا لكسر الكافر والجواب بان الحكم بالنسبة للمؤمنين كما يقتضيه مقام التسلية والتأنيس ويشعر به ماروى مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم قال كتب أبو عبيدة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يذكر له جوعا من الروم ومايخوف منهم فكتب اليه عمر رضي الله تعالى عنه أما بعد فانه مهما ينزل بعبد مؤمن شدة يجعل الله تعالى بعده فرجا وان يغلب عسر يسرين لايصم الاشكال اذ يرى منه ان من عسر المؤمن مالايغلبه يسر دنيوي كما هو ظاهر بل منه مالا يغلبه يسر أخروي أيضا وذلك لكسر المؤمن الجازع فانه لايثاب عليه في الآخرة والظاهر من اليسر الاخروي هو الثواب فيرد على ذلك كسر وارادة المؤمن الصابر يبقى معها ان من عسره أيضا مالا يغلبه اليسر الدنيوي وأجاب بعض على وجه التأكيد بان الاستغراقي مرفي ويكفي فيه ان العسر في الغالب يغلبه يسر وعلى وجه التأنيس بهذا مع كون الحكم بالنسبة للمؤمن الصابر وآخر بان الحكم مشروط بمشيئته تعالى وان لم يذكر قيل ويشعر بذلك مأخرجه عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في الآية قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عسر بهذه الآية أحدهم فقال عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر يسرين تالله تعالى يسر بن وبهم من لا يعض الاماثل انه يجوز على وجه أن يكون مع على ظاهره والتنوين في يسر لا وعليه لا اشكال في الاستغراق لا يحتاج الى ان يقال العسر عن نوع من اليسر وأنه دفع ماهو أعظم مما أصابه منه ويجوز أن يكون التنوين التفخيم أيضا ويكون اليسر العظيم المقارن للعسر هو دفع ذلك الاعظم وما من عسر الا وعند الله تعالى أعظم منه وأعظم وانه لايأتي ذلك ان يغلب عسر يسرين اما لان اللفظ لم يغلب فرد من أفراد العسر ذكر اليسر مرتين في مقام التسلية أو لان الآية أفادت ان مع العسر يسرا وقد علم ان بعده آخر على ماجرت به العادة الغالبة أو فهم من قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا ان كان نزوله متقدما وذكر بعضهم ان الذي على حقيقتها عند الخاصة على معنى ان كل ماقابل المحبوب محبوب كما يشير اليه قول القائل عمر بن العارض قدس سره

وتعذيبكم عذبي وجوركم ... على ما يقضي الهوى لكم عدل

وقول الآخر

يرجا لم أر لوعة حبه ... وجدا جاى منت اصنت

وتسمية ذلك عسرا لانه في نفسه وعند العامة كذلك لا بالنسبة الى من أصابه من المقربين المستغرقين لهوى الكل كما ترى ثم انه يبعد ارادة المعية الحقيقية ما أخرجه البزار وابن أبي حاتم والطبراني في الاوسط والخاطب والبيهقي في الشعب من أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا وحياله حجر فقال عليه الصلاة والسلام لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فانزل الله تعالى ان مع العسر يسرا الخ ولفظ الطبراني وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان مع العسر يسرا وارادة المعية من القبيل والقال وكأن من اختاره اختاره لذلك مع الاستئناس له بسبب النزول لكن الذي يقتضيه الظواهر ومقاماتنا الخطابية الاستغراقي فاذا قيل يخلا بد من القول بكون من أصابه العسر واتقا بالله تعالى حسن الرجاء به عز وجل منقطعا اليه سبحانه أو بنحو ذلك من القيود قدر والله تعالى اليسر لكل ما يتسر وقرأ ابن وثاب وأبو جعفر وعيسى العسر ويسرا في الموضعين بضم السين ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ ﴾ أي من عبادة كتبليغ الوحي ﴿فَانصَبْ﴾ فاتعب في عبادة أخرى شكرا للمنعم ولعدد ما عليك من النعم السالفة ولعدد ما عليك من الآلاء الآتية أو عز وجل لما عد عليه ما عدد ووعده صلى الله تعالى عليه وسلم بما وعد بثه على الشكر والاجتهاد في العبادة وان لا يخل وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من

Marfat.com

عبادة أتبعها بأخرى (وَإِلَىٰ رَبِّكَ) وعده (فَارْغَبْ) فاحرص بالسؤال ولا تسأل غيره تسأل فاقة القادر على الاسعاف لا غيره عز وجل وأخرج ابن جرير وغيره من طرق عن ابن عباس انه قال أي اذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء وروى نحوه عن الضحاك وقتادة وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود أي اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وعن الحسن أي اذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم نحوه وأخرج ابن نصر وجماعة عن مجاهد أي اذا فرغت من أسباب نفسك وفي لفظ من دنياك فصل وفي رواية أخرى عنه نحو ما روى عن ابن عباس والانسب بحل الآية على ما تقدم وأما قول ابن عباس ومن معه فهو تخصيص لبعض العبادات فراغا وشغلا مثلا لا لأن اللفظ خاص وهو الاظهر وكذا يقال فيما روى عن ابن مسعود وانما لان الصلاة أم العبادات البدنية والمناسب العبادة فهما وقول الحسن فيه ما شاع من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الاكبر وهو قريب الا أنه قيل عليه أن السورة مكية والامر بالجهاد بعد الهجرة والبعثة بقول بمدنيتها أو بمدنية هذه الآية أو انها مما تأخر حكمه عن تلوه كآيات أخر وقول مجاهد نظر فيه الى ان الفراغ أكثر ما يستعمل في الخلو عن الاشغال الدنيوية لا في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اغتنم فراغك قبل شغلك وهو أضعف الاقوال بعد مما يقتضيه السياق وتؤذن به الفاء وقال عصام الدين لا سبب ان يراد اذا فرغت من يسر فانصب بعسر آخر طلبا ليسرين فانا كنت كذلك فكن واقفا الى ربك يعني لا تتحمل عسر الدنيا طمعا في يسرين فيها بل تحمل عسر طلب الرب وقربه جل شأنه ليسرين اتتني والعمري أنه خلاف ما يفيده من لا سقم في ذهنه من اللفظ وأشعرت الآية بأن اللائق بحال العبد أن يستغرق أوقاته بالعبادة أو بأن يفرغ الى العبادة بعد أن يفرغ من أمور دنياه على ما سمعت من قول مجاهد فيها وذكروا ان قعود الرجل فارغا من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل والسيادة التقية وعن عمر رضي الله تعالى عنه اني لاكره ان أرى أحدكم فارغا سبالا لا في عمل دنياه ولا في عمل آخرته وروى أن شريكا مر برجلين يصطرعان فقال ما هذا أمر الفارغ وقرأ أبو السماك فرغت بكسر الراء وهي لغة قال الزمخشري ليست بفصيحة وقرأ قوم فانصب بفتح الباء منونة من الانصباب والمراد فتوجه الى عبادة أخرى هل التوجه ونسب الى بعض الامامية انه قرأ فانصب بكسر الصاد فقيل أي فاذا فرغت من النبوة فانصب عليا للامامة وليس في الآية دليل على خصوصية المتمول فلمن ان يقدره أبا بكر رضي الله تعالى عنه فان احتج الامامي بما وقع في غدير خم مشبع الذي دلالته على ما ثبت عنده على النصب وهمت على ما يريده الامامي واحتياجا قدره بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس وقال انه أوفق بانا فرغت لما انه صدر منه عليه الصلاة والسلام في مرض وفاته قيل وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم بخلاف ما لان في الغدير فانه لا يظهر ان زمانه زمان فراغ من النبوة لظهور كون زمان الامر كذلك وان رجع وقال الراغب اذا فرغت من الحج فانصب علما ورد عليه أن مكية السورة مع ما لا يخفى وقال في الكشاف لو صح ذلك فرائض الحج لقاضي ان يقرأ هكذا ويجعله أمرا بالنصب الذي هو بعض على أمر الله تعالى وجهه ومعاونه وفيه نظر ومن الناس من قدر المفعول خليفة والامر فيه هين وقال ابن عطية ان هذه القراءة شاذة ضعيفة التي لم تثبت عن عالم وقرأ زيد بن علي وابن أبي عبلة فرغب أمر من رغب بتشديد الغين أي فرغب الناس الى طلب ما عنده عز وجل

Marfat.com

سورة والتين

ويقال لها سورة التين بلا واو مكية في قول الجمهور ومن قتادة انها مدنية وكذا عن ابن عباس على ما في البحر وجمع البيان برواية العدل وأخرج عنه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي مايوافق قول الجمهور ويؤيده اشارة الحضور في قوله تعالى وهذا البلد الأمين فان المراد به مكة باجماع المفسرين فيما نعلم وآيها ثمان آيات في قولهم جميعا ولما ذكر سبحانه في السورة السابقة حال أكثر النوع الانساني بالانفاق بل أكثر خلق الله عز وجل على الاطلاق صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر عز وجل في هذه السورة حال النوع وما ينتهي اليه أمره وما أعد سبحانه لمن آمن منه بفلك القرء الأكمل وظرهذا النوع الفضل صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وعظم وكرم فقال عز قائلا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ أقسم بهذه مباركة شريفة على ماذهب اليه كثير هذا البلد الأمين فمكة حماها الله تعالى بلا خلاف وجاء في حديث مرفوع وهو مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومبعثه والأمين فعيل اما بمعنى فاعل أي الآمن من أمن الرجل بضم الميم أمانة فهو أمين وجاء أمانة أيضا كما جاء كريم وكرام ولم يسمع أمن اسم فاعل وسمع على معنى النسب كما في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذي أمن وأمانته أن يحفظ من دخله كما يحفظ الامين مايؤتمن عليه فنزيه تشبيه بالرجل الامين واما بمعنى مفعول أي المأمون من أمنه أي لم يخفه ونسبته الى البلد مجازية والمأمون حقيقة الناس أي لا تخاف غوائلهم فيه أو السلام على الحذف والايصال أي المأمون فيه من الغوائل والقسم لهذه الاشارة للتعظيم وأما طور سينين فالجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام وبقال له طور سيناء بكسر السين والمد ويفتحها والمد وقد قرأ بالاول هنا بدل سينين عمر بن الخطاب وعبد الله وطلحة والحسن وبالثاني عمر أيضا وزيد بن علي وطور سينين بفتح السين وهي لغة بكر وتميم وقد قرأ بها ابن أبي اسحق وعمرو بن ميمون وأبو رجاء وفي البحر أنه لا يختلف في أنه جبل بالشام وتعقبه الشهاب بانه خلاف المشهور فان المعروف اليوم بطور سيناء هو بقرب التيه بين مصر والعقبة وسينين قيل اسم للبقعة التي فيها الجبل أضيف اليه الطور ويدخل في الاعراب معاملة سنين ونحوه فيعرب بالواو والياء ويقر على الياء والحركات الثلاث بحركات الاعراب وقال الأخفش سينين جمع بمعنى شجر واحدته سينة فكأنه قيل طور الاشجار وأخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر وعبد بن حميد عن ابن عباس أنه قال سينين هو الحسن وأخرج عبد بن حميد نحوه عن الضحاك ولذلك أخرج هو وجماعة من مكرم بزيادة بلسان الحبشة وأخرج هو أيضا وابن جرير وابن مردويه وغيرهم عن قتادة أنه قال سينين مبارك حسن فهو شجر والاضافة على ماذكر من اضافة الصفة الى الموصوف واما التين والزيتون فروى جماعة عن قتادة أن الاول منهما الجبل الذي عليه دمشق والثاني الجبل الذي عليه بيت المقدس ويقال على ما أخرج سعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن أبي حبيب الحرث بن يزيد الاول طور تينا والثاني طور زيتا وذلك لانهما منبتا التين والزيتون وكان الكلام على هذا اما على حذف مضاف أو على التجوز بأن يكون قد تجوز بالتين والزيتون عن منبتيهما وشاع ذلك وأخرج عبد بن حميد عن أبي عبد الله الفارسي أن التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس ولعل اطلاقهما عليهما لان فيهما شجرا من جنسهما وعن كعب الاحبار أنهما دمشق وإيلياء بيت المقدس وكأن تسميتهما بذلك من تسمية المحل باسم الحال فيه وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب أنهما

Marfat.com

مسجد أصحاب الكهف ومسجد الجبل، وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس أنهما مسجدا نوح عليه السلام الذي بنى على الجودي وبيت المقدس وعن شهر بن حوشب أنهما الكوفة والشام وتعقب بأن الكوفة بلدة اسلامية مصرها سعد بن أبي وقاص في أيام أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه وإنما أراد الارض التي تسمى اليوم بالكوفة فقد كانت كما في القاموس وغيره منزل نوح عليه السلام وقال بعضهم ان الكوفة بلد كانت قبل لكنها خربت فجددت في أيام عمر رضي الله تعالى عنه وقيل هما جبلان بارض حلوان وهمذان وجبال الشام لانهما منابتهما وأيا ما كان فالتعاطفان متناسبة في أن المراد بهما أماكن مخصوصة وقيل المراد بهما الشجران المذكوران وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس أنه قال التين والزيتون الجبال التي يأكلها الناس وأخرج ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن مجاهد نحوه وحكاه في البحر أيضا عن ابراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وعكرمة والحسن وحاصلها الله تعالى على هذا القول بالاقسام بهما من بين الثمار لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لاغصل لها وغذاء لطيف سريع الانهضام بل قيل انه أصلح الفواكه غذاء اذا أكل على الخلاء ولم يتبع بشيء وهو دواء كثير النفع يفتح السدد ويقوي الكبد ويذهب الطحال وعسر البول وهزال الكلى والمغص والربو وعسر النفس والسعال وأوجاع الصدر وخشونة القصبة الى غير ذلك ومن على الرضا بن موسى الكاظم على جدهما وعليهما السلام أنه يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الباسور وروى أبو نعيم أنه أهدى الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ولم أقف للمحدثين على شيء في هذا الحديث لكن قال داود الطبيب بعد سرد نبذة من خواص التين وفي نفعه من البواسير حديث حسن وذكر أن نفعه من النقرس اذا دق مع دقيق الشعير أو الفتح أو الحلبة وذكر أنه حينئذ ينفع من الاورام الحابسة وأوجاع المفاصل وله مفرداً ومركباً خواص أخر كثيرة وكذا الشجرته لا يخفى على من راجع كتب الطب وما أشبه شجرته بؤثر على نفسه ويكرم بفعل ولا يقول وأما الزيتون فيوافيلوه وفاكهة فيما قيل وقالوا ان الكلبي منه لانه يضيء في الظلم والتسمين وتقوية الاعضاء ويكثف فضلا عما ذكر عم الاصطباح به في المساجد ونحوها مع ما فيه من المنافع لتحسين الالوان ونصفية الاخلاط وشد الاعصاب وتفتيح السدد واخراج الدود والادرار ونقيت الحصى واصلاح الكلى شربا بالماء الحار وكقلع البياض وتقوية البصر اكتحالا الى غير ذلك وشجرته من الشجرة المباركة المذكورة هنا في التنزيل وانما نبهت خواص أجزائها ظهر لك انها أسهل من تفاريق العصا وعن معاذ بن جبل أنه مر بشجرة زيتون فأخذ منها سواكا فاستاك به وقال سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعت عليه الصلاة والسلام يقول هو سواكي وسواك الانبياء عليهم السلام قبلي وقال بعضهم ان تفسيرهما بما ذكر هو الصحيح وكان المراد عليه ان تلك الاماكن المقدسة وزيتونها والغرض من القسم بتلك الاشياء الاباحة من شرف البقاع المباركة وماظهر فيها من العلم والبركة ويرجع الى القسم بالارض المباركة وبالبلد الامين وفيه ومن الى فضل البلد كما يدل عليه كلام صاحب الكشاف وبين الفاضل الكشف بقوله وذلك أن فضل بركتي الارض المقدسة الدنيوية والدينية بفاثر الشجرتين أو ثمرتيهما والطور الذي نودي منه موسى عليه السلام وناب اليوع منابهما والارض المباركة على سبيل الكناية فظهر التناسب في القسم على وجه بين اذ عطف البلد على مجموع الثلاثة لانها

Marfat.com

بالفرد بهذا الاعتبار لا تنافي والأرض التي باركنا فيها دينا ودنيا والبلد الآمن من دخله في القرآن وذلك بركة يتضاءل دونها كل بركة ويتضمن ذلك أن شرف ذلك البقاع فناجاه موسى عليه السلام بربه عز وجل أيانا مسعودة وفي نوحيت في البلد الأمين ثم قال والحق على (١) الظاهر أريد الثابت أو الدهر ان يقوله الثانية بين الأولين والبلد الأمين لان مناسبة طور سينين البلد غير مناسبته لهما والكلام مسوق للاول انتهى فتأمل فانه دقيق وأيا كان فجواب القسم قوله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) الخ وأريد بالانسان الجنس فهو شامل للمؤمن والكافر لا بخصوص بالثاني واستدل عليه بصحة الاستثناء وان الاصل فيه الاتصال وقوله تعالى (فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) في موضع الحال من الانسان أي كائنا في تقويم أحسن تقويم والتقويم التثقيف والتعديل وهو فعل الله عز وجل فمن أين الانسان كائنا في ذلك على مالزيد انه متلبس به نظير قولك فلان في رخاء يعني أنه مرخى عليه وقال الفراء هو مؤول بمعنى القوام أو التقويم فيه مضاف مقدر أي قوام أحسن تقويم أو في زائدة وما بعدها في موضع المفعول الثاني وقد ناب فيه عن المصدر صفته والتقدير قومناه تقويما أحسن تقويم والمراد بذلك جعله على أحسن ما يكون صورة ومعنى فيتمثل ماله من النصاب القابلة وحسن الصورة والاحساس وجودة العقل وغير ذلك ومن أمعن نظره في أمره وأحال فكره في دقائق ظاهره وسره رآه كما قال بعض الأجلة بديع الجري الغريب والشاهد ومطلع نيري فلكي الافادة والاستفادة والنسخة الجامعة لما في رسائل اخوان الصفا وسائر الفنون والمدارج ببطون طروس العجائب الأنيقة الودعة فيه لما كان ويكون وظهر له صدق ما قيل ولسلب لعل كرم الله تعالى وجهه

دواؤك فيك ولا تشعر ✻ ودائك منك وما تبصر
وتزعم انك جرم صغير ✻ وفيك انطوى العالم الأكبر

وكما يدل على أحسنية تقويمه ان الله تعالى رسم فيه من الصفات ما تذكر صفاته عز وجل ودلالته عليها اشبه علما مريدا قادرا الى غير ذلك وقال تعالى لخلقوا باخلاق الله تعالا يتوهم ان ما للعبد على العبد حرام ويكفي في هذا الباب وهو القول الفصل ان الله تعالى خلقه بيديه وأمر سبحانه ملائكته عليهم السلام بالسجود له وهم المكرمون لديه وجاء ان الله تعالى خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن وهو تأبى احتمال عود الضمير على آدم على معنى خلقه غير متنقل في الأطوار كزيد ولكونه النسخة الجامعة قال ابن عطاء الرازي من عرف نفسه فقد عرف ربه والناس يزعمونه محدثا وليس كما قال النووي بثابت ومن يحيى بن أكثم وبعض الحنفية أنهما أفضل من قال لزوجته ان لم تحكوني أحسن من القمر فانت طالق بعد وقوع الطلاق واستدلا بهذه الآية في قصة مشهورة والقمراء في تفضيل معشوقهم على القمر لية انه ما يضرق هذه تطلق الحصر والحق أن الفرق مثل الصبح ظاهر وتم في قوله تعالى (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) التراخي الزماني أو الرتبي والرد إما بمعنى الجعل فينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر كما في قوله

فرد شعورهن السود بيضا ✻ ورد وجوههن البيض سودا

فاسفل مفعول ثان له هنا والمعنى ثم جعلناه من أسفل السافلين ثم أقبح من قبيح وأسفل من كل سافل خلقا وتركيبا لسلبهم جريه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات وجوز أن يكون الرد بمعنى

(١) قوله والحق على الخ كذا في النسخ ولعله على الظاهر اذا أريد أو حيث اه

Marfat.com

تغيير الحال فهو مشعر بواحد وأسفل حال من الضمير أي رددناه حال كونه أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم أصحاب النار وأن يكون الرد بمعنى التصيير وأسفل منصوب بنزع الخافض وجعل الأسفل عليه صفة لمكان ويريد بالسافلين الأسكنة السافلة أي رددناه الى مكان أسفل الأمكنة السافلة وهو جهنم أو الدرك الأسفل من النار ويعكر على هذا جمعها جمع السلامة وكونه للعاصلة أو التنزيل منزلة العقلاء ليس مما يرتاح له والحمل الأول على ذلك أن يراد الى أسفل من سفل من أهل الدركات وقال عكرمة والضحاك والنخعي وقتادة في رواية المراد بذلك رده الى الهرم وضعف القوى الظاهرة والباطنة أي نميرده بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتدلى جلده وكلّ بصره وسمعه وبعد ولذا حديدين وتغير كل شيء منه فيعدل ويصوته خفات وقوله ضعف وشيبة خرف والآية على هذا نظير قوله تعالى ثم يرد الى أرذل العمر وقوله سبحانه ومن نعمره ننكسه في الخلق وهو باعتبار الجنس فلا يلزم أن يكون كل الانسان كذلك وفي العرب أسفل قبل الأوجه السابقة والأوجه منه غير حقي ثم اشار من السياق الاشارة الى حال الكافر يوم القيامة وانه يكون على أقبح صورة وأبشعها بعد ان كان على احسن صورة وأبدعها للعلم بشكره نالت النعمة فوجها بوجها وزاد ذاك لايلائمه ومن هنا قيل إن خلاف الظاهر والظاهر هو الاول كما هو المروي عن الحسن ومجاهد وأبي العالية وابن زيد وقتادة أيضاً وقرأ عبد الله السافلين مقرونا بالواو وقوله تعالى (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) على ما اقتضاه استثناء متصل من ضمير رددناه العائد على الانسان فالمعنى جميع المؤمنون لا يردون أسفل سافلين يوم القيامة ولا تقبح صورهم بل يزدادون بهجة الى بهجتهم وحسنا الى حسنهم وقوله تعالى (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) أي غير مقطوع أو غير ممنون به عليهم مقرر لما يفيده الاستثناء من خروجهم من حكم الرد وبين الكيفية حكمهم وعلى الاخير الاستثناء منقطع والوصول مبتدأ وجملة لهم أجر خبره والفاء للتضمن للمبتدا معنى الشرط والكلام على معنى الاستدراك كأنه قيل لكن الذين آمنوا لهم أجر الخ وهو لدفع مايتوهم من ان التداوي في أرذل العمر يقتضي التداوي في غيره فلا يرد انه كيف يكون منقطعا والمؤمنون داخلون في المردودين الى أرذل العمر غير خارجين لغيرهم في الحكم وقال بعض المحققين الانقطاع لانه لم يقصد اخراجهم من الحكم وهو مدار الاتصال والانقطاع كما صرح به في الأصول لا الخروج والدخول فلا تغفل وحمل غير واحد هؤلاء المؤمنين على الصالحين من الهرمى كأنه قيل لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى لهم ثواب دائم غير منقطع أو غير ممنون به عليهم لغيرهم على مالبثوا به من الهرم والبيخوخة الذين ابلاهم عن النهوض لاداء وظائفهم من العبادة أخرج أحمد والبخاري وابن حبان عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الاجر مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما وفي رواية عنه ثم قرأ صلى الله تعالى عليه وسلم فلهم أجر غير ممنون أخرج الطبراني عن عباد بن أوس قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى يقول اذا ابتليت عبدا من عبادي مؤمنا فحمدني على ما ابتليته فانه يقوم من مضجعه ذلك اليوم وكفنه أمه من الخطايا ويقول الرب عز وجل اني أنا قيدت عبدي هذا وابتليته فأجروا له ما كنتم تجرون له قبل ذلك وهو صحيح وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس انه قال في الآية اذا كبر العبد وضعف عن العمل كتب له أجر ما كان يعمل في شبيبته ومن الناس من حملهم على عمر قرأ القرآن وجعل الاستثناء متصلا اعتبارا لهم من حكم الرد الى أرذل العمر بناء على ما أخرج الحاكم

وصححه

Marfat.com

وصحه والبيهقي في الشعب عن ابن عمر قال من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر وذلك قوله تعالى لكيلا يعلم بعد علم شيئا أخرجه عبد بن حميد وابن جرير عن عكرمة نحوه وفيه لا ينزل ذلك النزل الذي الهرم ثم لا يعلم من بعد علم شيئا أحد من قرأ القرآن ولا يخفى ان تخصيص الذين آمنوا بالخصص بخلاف الظاهر ولي كون أحد من اقرأ لا يرد الى أرذل العمر توقف فاينتبع والخطاب في قوله تعالى ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾ عند الجمهور الانسان على طريقة الالتفات للتعديد التوبيخ والتبكيت والفاء للتفريع التوبيخ عن البيان السابق والباء للسببية والمراد بالدين الجزاء بعد البعث أي فما يجعلك كاذبا بسبب الجزاء والاخبار به بعد هذا الدليل والذي ان خلق الانسان من نطفة وتطويره على وجه يبهر الاذهان ويضيق عنه نطاق البيان أو هذا مع تحويله من حال الى حال من اوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فأي شيء يضطرك أيها الانسان بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه فان في مكذب بالحق فهو كاذب وقال قتادة والاخفش والمراد الخطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أي فأي شيء يكذبك بالجزاء بعد ظهور دلايله وهو من باب الاطناب والتعريض بالمكذبين أي انه لا يكذبك شيء مما بعد هذا البيان بالجزاء لا كهؤلاء الذين لا يبالون بآيات الله تعالى ولا يرفعون بها رأسا فالاستفهام لتوبيخ التكذيب وافادة أنه عليه الصلاة والسلام لاستمرار الدلائل وتعاضدها مستمر على ما هو عليه من عدم التكذيب وفيما مر الخطاب ليس في الأول وجوز على هذا الوجه كون الباء بمعنى في وكونها للسببية وتقدير مضاف عليهما والمعنى أي شيء يتسبب الى التكذيب في اخبارك بالجزاء أو بسبب اخبارك به بعد هذا الدليل وكونها صلة التكذيب والدين بمعناه والمعنى أي شيء يجعلك مكذبا بدين الاسلام وروى هذا عن مجاهد وقتادة والاستفهام على ما سمعت وجوز كون الدين بمعناه على الوجه الاول أيضا وبعض من ذهب الى كون الخطاب لسيد الثقلين صلى الله تعالى عليه وسلم جعل ما بعني من لان المعنى عليه أظهر وضعف بأنه خلاف المعروف في ما للايقاع في الارتكاب مع عدة بقائها على المعروف فيها ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ أي أليس الذي فعل ما ذكر بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه سبحانه أحكم الحاكمين بين الاعادة والجزاء والجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي وعيد للكفار وأنه عز وجل يحكم عليهم بما هم أهله من العذاب وأيا كان فالاستفهام على ما قيل تقرير بما بعد النفي ويدل على ذلك ما أخرجه الترمذي وأبو داود وابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى قوله تعالى أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين وجاء في بعض الروايات الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول اذا أتى على هذه الآية سبحانك فبلى وقد تقدم ما يتعلق بهذا في تفسير سورة لا أقسم بيوم القيامة فتذكر

سورة العلق

واسمي سورة اقرأ لا خلاف في مكيتها وأما الخلاف في عدد آيها ففي الجمل هي خمسون آية وفي العراق تسع عشرة وفي الشامي ثماني عشرة وفي أنها أول نازل أولا فذهب كثير الى أنها أول نازل فقد أخرج الطبراني في الكبير بسند على شرط الصحيح عن أبي رجاء العطاردي قال كان أبو موسى الاشعري يقرئنا فيجلسنا حلقا عليه ثوبان أبيضان فلما تلا هذه السورة اقرأ باسم

Marfat.com

ربك قال هذا أول سورة أنزلت على محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اخرج الحاكم في المستدرك والبيهقي في الدلائل وصححاه عن عائشة نحوه وأخرج غير واحد عن مجاهد قال أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم وروى الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل أولا قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال أحدثكم بما حدثنا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فساق الحديث مستدلا به على ما ادعاه وأجاب عنه الأولون بعدة أجوبة مر ذكرها وقبل الفاتحة واحتج له بحديث مرسل رجاله ثقات أخرجه البيهقي في الدلائل والواحدي من طريق يونس بن بكير عن يونس بن عمر عن أبيه عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل وأجيب عنه بان ما فيه يحتمل أن يكون خبر المنازل بعد اقرأ وبأيها المدثر مع ان غيره أقوى منه برواية وجزم جابر بن زيد بان أول ما نزل اقرأ ثم ن ثم يا أيها المزمل ثم يا أيها المدثر ثم الفاتحة وقيل أول ما نزل صدرها الى ما لم يعلم في ثلاث مرات ثم نزل آخرها بعد ذلك بإشارة الله تعالى وهو ظاهر ما أخرجه الامام أحمد والشيخان وعبد بن حميد وعبد الرزاق وغيرهم من طريق ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة في حديث بدء الوحي وفيه فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترجف بوادره الى ان قالت ثم إن خديجة ورقة أن توفي وفتر الوحي وفي آخر ما رووا قال ابن شهاب وأخبرني أبو سلمة عن جابر ابن عبد الله الانصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه بينا أنا أمشي اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فرجعت منه فرجعت فقلت زملوني زملوني فانزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر فحمي الوحي وتتابع ويعلم ضعف الاستدلال على كون سورة المدثر أول نازل من القرآن على الاطلاق بما روى أولا عن جابر المذكور كما لا يخفى على الواقف عليه وقد ذكرنا صدر الكلام في سورة المدثر فتوقف فيه وهو يحدث عن فترة الوحي وقوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء وقوله فحمي الوحي وتتابع أي بعد فترته وبالجملة الصحيح كما قال البعض وهو الذي أختاره ان صدر هذه السورة الكريمة أول ما نزل من القرآن على الاطلاق كيف وقد ورد حديث بدء الوحي المروي عن عائشة من أصح الاحاديث وفيه مجيء الملك فقال اقرأ فقال قلت ما أنا بقارىء فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد الخ والظاهر ان ما فيه تاويل قال النووي هو الصواب وذلك انما يتصور أولا والا لكان الاشتباه من أشد الناس وبطابقه مذكوره الآتية في باب بدأ جابر البيان ومشيرا اليه ان شاء الله تعالى وفي الكشف الوجه حمل قول جابر على السورة الكاملة وفي شرح صحيح مسلم للنووي الصواب أن أول ما نزل اقرأ أي مطلقا وأول ما نزل بعد فترة الوحي يا أيها المدثر وأما قول من قال من المفسرين أول ما نزل الفاتحة فباطلاقه أظهر من أن يذكر انتهى وتمام الكلام في هذا المقام يطلب من محله والله تعالى أعلم ولما ذكر سبحانه في سورة التين خلق الانسان في أحسن تقويم بين عز وجل هنا أنه تعالى خلق الانسان من علق فسكان ما تقدم كالبيان لتلك الصورة وهذا كالبيان لتلك المادة وذكر سبحانه هنا أيضا من أحواله في الآخرة ما هو أبسط مما ذكره عز وجل هناك فقال سبحانه وتعالى

(بسم الله الرحمن الرحيم) (اقرأ) أي ما يوحى اليك من القرآن فالمفعول مقدر بقرينة المقام كما قيل وليس الفعل منزلا منزلة اللازم ولا أن مفعوله قوله تعالى (باسم ربك) على أن الباء زائدة كما قال

Marfat.com

أبو عبيدة وزعم أن الذي اذكر ربك بل هي أصلية ومعناها اللازمة وهي متعلقة بما عندها أو بمحذوف وقع حالا كما روى عن قتادة والذي اقرأ مبتدئا أو مفتتحا باسم ربك أي قل بسم الله ثم اقرأ وهو ظاهر في أن الفتح بغير اسمه عز وجل لم يكن امتثالا واستدل بذلك على أن البسملة جزء من كل سورة وفيه بحث وكذا الاستدلال به على أنها ليست من القرآن لامكانية ان يقال انما تختص القرآن المقصر منزولا بغيرها ويحتمل استدل على انها ليست بقرآن في أوائل السور بانها لم تذكر فيما صح من أخبار بدء الوحي فجوابه ان كيفية نزول هذه الآيات كما أفاده النووي عليه الرحمة ثم قال وجواب الثبتين انها لم تنزل أولا بل نزلت في وقت آخر كما نزل باقي السورة كذلك وهذا خلاف ما أخرج الواحدي عن عكرمة والحسن أنهما قالا أول ما نزل من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم وأول سورة اقرأ وكذا خلاف ما أخرجه ابن جرير وغيره من طريق الضحاك عن ابن عباس انه قال اول ما نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا محمد استعذ ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم وقد عد القول بانها أول ما نزل أحد الاقوال في تعيين أول منزل من القرآن وقال الجلال السيوطي أن هذا القول لا يعد عندي قولا برأسه فانه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها فهي أول آية نزلت على الاطلاق وفيه منع ظاهر كما لا يخفى وجوز ككون الباء للاستعانة متعلقة بما عندها أو بمحذوف وقع حالا ورجحت التابعية بملازمتها عن ايلام كون اسمه تعالى آلة لغيره وقد تقدم ما يتعلق بذلك أول الكتاب ثم انه ليس في الامر المذكور تكليف بما لا يطاق سواء حمل الامر على الندب أم لا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ان ما أوحي قرآن فهو مكلف بقراءته عليه الصلاة والسلام ولا محذور في كون القرأ لغ مأموراً بقراءته لصدق المأمور بقراءته عليه وهذا كما يقول الشخص اسمع ما أقول لك فانه مأمور بسماع هذا اللفظ أيضا وقد ذكر جمع من الاصوليين ان هذا بيان للمأمور به في قول جبريل عليه السلام اقرأ المذكور في حديث بدء الوحي المتفق عليه قال الآمدي عند ذكر أدلة جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب الذي ذهب اليه جماعة من الحنفية وغيرهم ومن الأدلة ما روى أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اقرأ فقال وما اقرأ كرر عليه ثلاث مرات ثم قال له اقرأ باسم ربك الذي خلق فاخر بيان ما أمره به أولا مع اجابته الى ما بعد ثلاث مرات من أمر جبريل عليه السلام وسؤال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع امكان بيانه أولا وذلك دليل جواز التأخير الى آخر ما قال سؤالا وجوبا لا يتعلق بهما غرضنا ولا يخفى أن كون هذا بيانا للمراد على الوجه الذي ذكرناه ظاهر وكونه كذلك يجعل اقرأ باسم ربك الى آخر ما نزل أو بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ لغ على ما ادعاه الجلال معمولا لاقرأ المكرر في كلام جبريل عليه السلام مما لا أظن ان أصوليا يقول به ومنه كونه كذلك يحمل الآية على ما سمعت عن أبي عبيدة وأما بناء الاستدلال على ما في بعض الآثار من أن جبريل عليه السلام جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بحراء ومعه حرير ابيض من ديباج مكتوب فيه اقرأ باسم ربك الى ما يعلم فقال له اقرأ فقال عليه الصلاة والسلام ما أنا بقارىء قال اقرأ باسم ربك بان يكون القرأ لغ بيانا وتلاوة من جبريل عليه السلام لما في الخط النزل لعدم العلم فيما فيه وان كان مقاعدا منزلة الجهل الديراعلم فلا يخفى حاله فتأمل ثم ان في كلام الآمدي من حيث رواية الخبر ما فيه فلا تغفل والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضمير صلى الله تعالى عليه وسلم للاشعار بتبليغه عليه الصلاة والسلام الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَ ﴾ اثر كره عليه الصلاة والسلام أول النعماء العائمة عليه صلى الله تعالى

Marfat.com

عليه وسلم منه سبحانه مع ما في ذلك من التنبيه على قدرته تعالى على تعليم القراءة بالطف وجه وقيل تأكيد عدم ارادة غيره تعالى من الرب فان العرب كانت تسمي الاصنام أربابا لكنهم لا يسمون الخالق الا بالله والفعل اما منزل منزلة اللازم أي الذي له الخلق أو مقدر مفعوله عاما اي الذي خلق كل شيء والاول ابعد لعموم اضافة الوجوه بل يكون وجه لتخصيص الانسان بالذكر في قوله تعالى (خَلَقَ الْإِنْسَانَ) انه اشرف المخلوقات وفيه من بدائع الصنع والتدبير ما فيه فهو ادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة مع ان التنزيل اليه ويجوز أن يراد خلق الانسان الا انه لم يذكر أولا وذكر ثانيا قصداً لتفخيمه بالابهام ثم التفسير ومن الزمخشري أن المناسب ان يراد خلق الانسان بعد الامر بقراءة القرآن تنبيها على انه تعالى خلق القراءة والقدرة كما أن ذكر خالق الانسان عقيب تعليم القرآن أول سورة الرحمن لنحو ذلك وقوله تعالى (مِنْ عَلَقٍ) أي دم جامد البيان كمال قدرته تعالى باظهار ما فيه بالاولى والآخرة من التباين البين وأتى به دالا على الجمع لان الانسان مراد به الجنس فهو في معنى الجمع فأتى بما خلق منه كذلك لمطابقه مع ما في ذلك من رعاية الفواصل والدلالة على ما قيل السر في تخصيص هذا الطور من بين سائر أطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب أدل على كمال القدرة لكونهما أبعد منه بالنسبة الى الانسان وفي البحر لم يذكر سبحانه مادة الاصل بني آدم عليه السلام وهو التراب لان خلقه من ذلك إنما يكون منكرا عند الكفار فذكر مادة الفرع وخلقهم منها وتركا مادة أصل الخلقة تقريبا الافهامهم وهو على ما فيه لا يحسم مادة السؤال وقيل خاص هذا الطور نذكيرا له عليه الصلاة والسلام لما وقع من شرح الصدر قبل النبوة واخراج العلق منه ايذاناً تمرناً تاما لما يكون له بعد فكأنه قيل الذي خلق الانسان من جنس ما أخرجه من صدرك الشريف البهيك بذلك لشمول مايليق البك الآن وبهذا تقوى مناسبة هذه السورة لسورة الشرح قبلها أتم مناسبة لاسيما على تفسير الشرح بالدق فتدبره ومن الناس من زعم ان المراد بالانسان آدم عليه السلام وان الذي خلق آدم من طين يخلق بالبد وهو مما لا تعلق به بد القبول ولما كان خلق الانسان أول النعم الدالة عليه منه تعالى والقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته سبحانه وصف ذاته تعالى بذلك أولا ليستدل به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر جل وعلا الامر بقوله تعالى (اقْرَأْ) أي افعل ما أمرت به تأكيداً للايجاب وتعميما لما يطلب من قوله تعالى (وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) الخ لانه كلام مستأنف سيق لارادة اعتنائه صلى الله تعالى عليه وسلم من الغير بقوله عليه الصلاة والسلام لجبريل عليه السلام حين قال له اقرأ أنا بقارىء يريد أن القراءة ليست من شأني فكيف أقرأ وأنا أمي فقيل وربك الذي أمرك بالقراءة مختص بأسمه الاكرم (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) أي علم الخط بواسطة القلم لانه تعالى فكما علم سبحانه القارىء بواسطة الكتابة بالقلم يمكنك بدونها وحقيقة الكرم اعطاء ما ينبغي لا لغرض فهو صفة لا يدانيه تعالى في الطافها أحد فاضل الفياض وجوزان لا يكون اقرأ هذا تأكيدا للاول وانما ذكر ليوصل بما يزيح العذر جلا وربك الخ في موضع الحال من الضمير المستتر فيه وقوله تعالى (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) بدل اشتمال من علم بالقلم أي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية مالم يخطر بباله وفي حذف المفعول أولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه عز وجل والاشعار بأنه تعالى يعلمه عليه الصلاة والسلام من العلوم ما لا يحيط به العقول مالا يخفى فانه في الارشاد وقدر بعضهم مفعول علم الخط وجعل بالقلم متعلقا به وأيد بقراءة

Marfat.com

ابن الزبير الذي علم الخط بالقلم حيث صرح فيما بذلك وقال الطيبي ان المرأ الاول أمر بالقراءة لنفسه وقيل محققا والثاني أمر بالقراءة للتبليغ وقيل في الصلاة المشار اليها فيما بعد وجيء وربك الخ تحتمل الحالية والاستئنافية وحاصل المعنى على إرادة القراءة فالتبليغ في قولك بلغ قومك وربك الاكرم الذي يثيبك على عملك يا يقتضيه كرمه ويقويك على حفظ القرآن ابتداء وأولى الاوجه وأظهرها التأكيد وأبعد بعضهم جدا فزعم ان باسم في البسملة متعلق بالمرأ الاول وباسم ربك متعلق بالمرأ الثاني ليفيد التقديم اختصاص اسم الله تعالى بالابتداء وجوز أيضا ان يبقى باسم الله على ما هو المشهور فيه واقرأ أمر بأحداث القراءة وباسم ربك متعلق بالمرأ الثاني فذلك ولا يخفى أن الظاهر تعلق باسم ربك بما عنده وتقديم الفعل ههنا لوقوع الآن السورة المذكورة على ما سبق من الصحيح أول سورة نزلت فالقراءة فيها أهم نظرا للمقام وقيل انه لو سلم كون غيرها نازلا قبلها لايضر في حسن تقديم الفعل لان المعنى كما سمعت من قراءة اقرأ مفتتحا باسم ربك أي قل باسم الله ثم اقرأ فلو افتتح بغير البسملة لم يكن ممتثلا فضلا عن أن يفتتح بما يضادها من أسماء الاصنام ولو قدم الجار أفاد معنى آخر وهو أن المطلوب عند القراءة أن يكون الافتتاح باسم الله تعالى لا باسم الاصنام ولا تكون القراءة في نفسها مطلوبة لا على أن مقتضى التقديم أن يكون أصل الفعل مسلما على ما هو عليه من زمان طويل كان أو خبرا وأجاب من علق الجار بالثاني بان مطلوبية القراءة في نفسها استفيدت من القرأ الاول فلا فضل والظاهر أن العلق بالقلم غير معين وقيل هو قلم نبي كتب وقال الضحاك هو ادريس عليه السلام وهو أول من خط وقال كعب هو آدم عليه السلام وهو أول من كتب وقد نسبوا الآدم وادريس عليهما السلام نقوشا مخصوصة في كتابة حروف الهجاء والذي يدل على العلم عدم صحة ذلك وقد أدمج سبحانه وتعالى التنبيه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة وجل الرتب الفخيمة ولولاه لم يقم دين ولم يصلح عيش ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره سبحانه دليل الآمر الغني والمطلوب به وقد قيل في ذلك

لعاب الافاعي القاتلات لعابه ● وأري الجني اقتاره أيد عوامل

ولما نسبه الزمخشري في ذلك ليعضهوني على ما قيل نفسه

ورواقم يرقش كل أرقم ● فعلت لحظي بالأقحى السدى

سود القوائم ما يجف مسيرها ● الا اذا لبست بياض الفرى

ولهم في هذا الباب كلام فصل يضيق عنه الكتاب وظاهر الآثار ان الكتابة في الامم غير العرب قديمة وفيهم حدثة لاسيما في أهل الحجاز وذكر غير واحد ان الكتابة نقلت اليهم من أهل الحيرة وانهم أخذوها من أهل الانبار وذكر الكلبي والطبرسي بمعنى ان الناقل الخط العربي من العراق الى الحجاز حرب ابن امية وكان قد تعلم الحيرة فعاد الى مكة به وأنه قيل لابنه أبي سفيان عن أخذ أبوك هذا الخط فقال نقل من أسلم بن أسدرة وقال سألت أسلم عن أخذ هذا الخط فقال من واضعه مرا مر بن مرة وقيل كان لمرا مر كتابة يسمونها المسند متصلة غير منفصلة وكان لما شان عندهم فلا يتعاطاها الا من اذن له في تعلمها واصناف الكتابة كثيرة وزعم بعضهم ان جل كتابات الامم الثمانية عشر صنفا العربية والعبرية والسريانية والبرشانية واليونانية والرومية والقبطية والبربرية والاندلسية والهندية والصينية والسريانية والعلم عندالله تعالى باعتبار الاصول والا فالفروع تونيف ان لا يحصيها قلم كما لا يخفى والله تعالى أعلم ولم يرض العلماء من الادب وصف غيره تعالى بالاكرم كما يفعله كثير من العامي في رسائلهم فيكتبون الى فلان الاكرم ومع هذا يعدونه وصفا نازلا ويستهجنونه بالنسبة للمخلوق ونحوهم من الاغبر وقد يعدون

Marfat.com

به اليهودي والنصراني ونحوهما مع انه تعالى يقول وربك الاكرم فعلى العبد ان يراعي الادب مع مولاه شاكرا كرمه الذي أولاه ﴿كَلَّا﴾ ردع لمن كفر من جنس الانسان بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان لم يجر لها ذكر لان مفتتح السورة الى هنا القطع بدل على عظيم منته تعالى على الانسان فالمقابل كلا كان ردعا للانسان الذي قابل تلك النعم الجلائل بالكفران والطغيان وكذلك التعليل بقوله تعالى ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾ أي ليتجاوز الحد في المعصية واتباع هوى النفس ويستكبر على ربه عز وجل وقال السكلبي أي ليرتفع من منزلة الى منزلة في اللباس والطعام وغيرهما وليس بذاك وقدر بعضهم بعد قوله تعالى مالم يعلم ليتذكر تلك النعم الجليلة فيطغى وكفر كلا وقيل كلا بمعنى حقا لعدم مايتوجه اليه الردع والزجر ظاهرا فقوله سبحانه ان الانسان الخ بيان لما أريد احقاقه وهذا الى آخر السورة قيل نزل في أبي جهل بعد زمان من نزول الآيات السابقة وهو الظاهر ومع نزوله في ذلك الذين المراد بالانسان الجنس وقوله سبحانه ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ مفعول من أجله أي يطغى لان رأى نفسه مستغنيا على ان جملة استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى علم والفاعل ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد نحو علمني فقسه قالوا ان ذلك لايكون في غير أفعال القلوب وفقد وعدم وذهب جماعة الى أن رأى البصرية قد تعطى حكم القلبية في ذلك وجعلوا منه قول عائشة لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان والقدوا

ولقد أراني للرماح دريئة ✿ من عن يميني تارة وأمامي

فانا جعلت رأى هنا بصرية فالجملة في موضع الحال وتمثيل طغيانه برؤيته لايناسب الاستغناء كما يلوح به قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد على الأول وعجزه رؤيته ظاهر الحال من غير روية وتأمل في حقيقته على الثاني وعلى الوجهين المراد بالاستغناء الغنى بالمال أعني مقابل الفقر المعروف وقيل المراد أنه رأى نفسه مستغنيا عن ربه سبحانه بعشيرته وأمواله وقوته وهو خلاف الظاهر وبعيد ظاهر ماروى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أترعم ان من استغنى طغى فانجبل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا نأخذ منها فنطغى فدعا ربنا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بالامم الخالية فكف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الدعاء فانه عليم وقرأ قنبل بخلاف عنه أن رآه بحذف الالف التي بعد الهمزة وهي لام الفعل وروى ذلك عنه ابن مجاهد وغلطه فيه وقال ان ذلك حذف لا يجوز وفي البحر ينبغي ان لا يغلط بل يتطلب له وجها وقد حذفت الالف في نحو من هذا قال ✿ وصاني العجاج فيمن وصى ✿ يريد وصاني فحذف الالف وهي لام الفعل وقد حذفت في مضارع رأى في قولهم أصاب الناس جهد لو ترأف بكاؤه وحذفه لا يقاس لكن اذا صحت الرواية وجب القبول فالقراآت جاءت على لغة العرب قياسا وشذاذا وقوله تعالى ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والخطاب قيل للانسان والالتفات للتشديد في التهديد ويجوز أن يكون الخطاب لسيد الطاغين صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد أيضا تهديد الطاغي وتحذيره وعليه الاكثر نظرا الى الخطابات قبله والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى والالف فيها للتانيث والتقديم للحصر والقصر على الله أي ان الى ربك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره سبحانه استقلالا أو اشتراكا فنرى حينئذ عاقبة الطغيان وفي هذه الآيات على ما قيل اعتراض التفيه على مذمة المال كما ان في الآيات الاول اعتراض التنبيه على مدح المال وفي ذلك مرغبا في الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال وقوله تعالى

Marfat.com

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى) ذكر لبعض آثار الطبران ووعيد عليها ولم يخالف المفسرون كما قال ابن عطية في ان العبد المصلي هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والناهي هو اللعين أبو جهل فقد أخرج أحمد ومسلم والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة أن أبا جهل حالف باللات والعزى لئن رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي ليطأن على رقبته ولينكرن وجهه فأتى رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو يصلي ليفعل فما جاءهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له مالك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وأنزل الله تعالى فلا ان الانسان الى آخر السورة وقول الحسن هو أبو جهل كان ينهى سفيان عن العلاء لايكاد يصح لانه لاخلاف في ان اسلام سفيان رضي الله تعالى عنه كان بالمدينة بعد الهجرة كما انه لاخلاف في ان السورة مكية نعم مكي الآية عام فان كان ماحكي من أبي جهل واقعا حكما شاملا له والعلاة التي أشارت اليها الآية كانت على ماحكي أبو حيان صلاة الظهر وحكى أيضا أنها كانت أول جماعة وهي أول جماعة أقيمت في الاسلام وانه كان معه عليه الصلاة والسلام أبو بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما فر أبو طالب ومعه ابنه جعفر فقال له يابني صل جناح ابن عمك وانصرف مسرورا وأنشأ يقول

ان عليا وجعفرا ثقتي ✻ عند ملم الزمان والكرب
والله لا أخذل النبي ولا ✻ يخذله من يكون من حسبي
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما ✻ أخي لامي من بينهم وأبي

وفي هذا نظر لان الصلاة فرضت ليلة الاسراء بلا خلاف وادعى ابن حزم الاجماع على انه كان قبل الهجرة بسنة وحزم ابن فارس بانه كان قبلها بسنة وثلاثة أشهر وقال السدي بسنة وستة أشهر وموت أبي طالب كان قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين لانه كان قبل وفاة خديجة بثلاثة وقيل بخمسة أيام وكانت وفاتها بعد البعثة بعشر سنين على الصحيح فأبو طالب على هذا لم يدرك فرضية الصلاة نعم حكى القاضي عياض عن الزهري ورجحه النووي والقرطبي أن الاسراء كان بعد البعث بخمس سنين لكن قيل عليه ما قيل فليراجع والذي قيل يمنع القطع وعبر به اشارة الى عدم الفتور الذين على غير ذلك وفي بعض الاخبار ماظاهره انه حصل منه نهي لعلي فقد أخرج أحمد والترمذي وصححه وغيرهما عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي جاء أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا ألم أنهك عن هذا فأغلظ وتهدد بيده لاستقبال لاستحضار الصورة الماضية النوع غرابة والرؤية قيل قلبية وكذا في قوله تعالى (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى) وقوله عزوجل (أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) والمفعول الاول للاول المذكور والثاني والثالث المحذوف وهو ضمير يعود عليه أو اسم الاشارة يشار به اليه والمفعول الثاني الثالث قوله سبحانه (أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) والاولان متوجهان اليه أيضا وهو مقدر هنا وترك اظهاره اختصارا ونظير ذلك أخبرني عن زيد ان وقعت عليه أو عن زيد ان وقعت عليه أخبرني عنه ان توسلت اليه ما يوجب حق وليس ذلك من التنازع لان الجملة لا يصح اظهارها وانما هو من الطلب المعنوي والحذف في غير التنازع وجواب الشرط في الجملتين محذوف دلالة أي يعلم عليه ويقدر حسبما تقتضيه الصناعة وقيل يدل عليه أرأيت مرادا به ما سيذكر قريبا ان شاء الله تعالى ويقدر كذلك والكلام عليه أيضا نظير ما مر آنفا والضمائر المستترة في كان وما بعد من الافعال قاض والراد من أرأيت أخبرني

Marfat.com

فان الرؤية لما كانت سببا للعلم اجرى الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والاستفهام الواقع موقع المفعول الثاني هو متعلق الاستخبار هنا وهذا الاجراء على ما يفهم من كلام بعض الأئمة يكون مع الرؤية البصرية والرؤية القلبية والاحاطة فيه قولان والخطاب في الكل على ما اختاره جمع لكل من يصلح أن يكون مخاطبا ممن له مسكة وقيل الانسان كالخطاب في الى ربك وتنوين عبدا على ما هو ظاهر للتعظيم والتكثير وتقييد النهي بالظرف يشعر بان النهي عن الصلاة حال التلبس بها وفصل بين الجملة للاعتناء بامر التشنيع والوعيد حيث أشعر ان كل جملة مقصودة على حيالها فتقطع سبحانه على الناهي أولا بنهيه عن الصلاة وأوعده عليه مطلقا بقوله لمسالي أرأيت الذي الخ أي أخبرني بامن له أدنى تمييز أو أيها الانسان عن ينهى عن الصلاة بعض عباد الله تعالى أما يعلم بان الله تعالى يرى ويطلع فيجازيه على ذلك النهي وشنع سبحانه عليه ثانيا بنهيه عن ذلك وأوعده عليه أيضا على تقدير أنه على زعمه على هدى ورشد في نفس النهي أو أنه أمر بواسطته بالتقوى لان النهي عن الشيء أمر بضده أو مستلزم له فقال تعالى شانه أرأيت ان كان الخ أي أخبرني عن ذلك الناهي أما يعلم ان الله يطلع فيجازيه ان كان على هدى ورشد في نفس النهي او كان أمرا بواسطته بالتقوى كما زعم وشنع جل شانه عليه ثالثا بالوعد عليه أيضا على تقدير انه في نفس الامر وفيما يقوله تعالى مكذبا بحقية الصلاة متوليا عنها معرضا عن فعلها بقوله تعالى أرأيت ان كذب الخ أي أخبرني عن ذلك الناهي أما يعلم بأن الله تعالى يطلع على أحواله ان كذب بحقية ما نهى عنه وأعرض عن فعله على ما تقول نحن والحاصل انه تعالى شنع وأوعد على النهي عن الصلاة بدون امر ض حال الناهي الرضي أو الحقيق ثم شنع وأوعد جل وعلا عليه مع العرض حاله الرضي ثم شنع عز وجل وأوعد عليه مع العرض حاله الحقيق وهذا كالترقي في التشنيع والجمهور على عدم تقييد ما في حيز الشرطيتين بما ذكرنا حيث قالوا ان كان على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى أو كان أمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما زعم وا كان مكذبا بالحق ومتوليا عن الصواب كما تقول وذكر ان الشرط الثاني تكرار للاول لان معنى الاول انه ليس على الهدى وأوضح بان ادخال حرف الشرط في الاول لارخاء العنان صورة والتهكم حقيقة اذ لا يكون في النهي عن عبادته تعالى والامر بعبادة الأصنام هدى البتة وفي الثاني لذلك والتهكم على عكس الاول للاذعان أنه مكذب متول فسأ لهما الى واحد وليس ان الرؤية في الجملة الاولى بصرية فلا تحتاج الى مفعول ثان وفي الثانية والثالثة قلبية والمفعول الاول على ما تقدم والمفعول الثاني سد مسده الجملة الشرطية بجوابها وهو في الاخيرة ام يعلم الخ المذكور وفيما قبلها محذوف دل هو عليه ولم تعطف الاخيرة على ما قبلها للايذان باستقلالها بالوقوع في نفس الامر وباستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب واما ما قبلها فامر الشرط فيه ليس الا التوسيع الدائرة وهو السر في تجريده عن الجواب والاصالة به على جواب الشرطية بعده والخطاب في الكل لمن يصلح له والتنوين في عبدا للتعظيم عليه الصلاة والسلام واستظهر النهي وتأييد التعجيب منه والتي أخبرني عن ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى الخ ما ذكرنا ألم يعلم بان الامر كما يقول فيجازيه بما حق اجتراءه على ما فعل ويؤيد ان أرأيت في الجمل الثلاث من الرؤية القلبية والمفعول الاول للاولى الوصول ومفعولها الثاني الجملة الشرطية الاولى بجوابها المحذوف اكتفاء عنه بجواب الشرطية الثانية اذ علم من ضرورة التقابل وأرأيت الثانية تكرار الاولى وأرأيت الثالثة ومفعولها الاول محذوف قرينة مستغنية لانها تقابل الاولى فالتقابل بين الشرطين يقتضي أن قوله تعالى ان كان الخ وقوله سبحانه

Marfat.com

ان كذب الخ وفي الايمان بالجملة الاخيرة من دون العطف ترشيح للكلام المبكت وتنبيه على حقية الشرط وهذا صرح بجوابه ليتمحض وعيدا والخطاب على ما تقدم أولا والكلام من قبيل الكلام المنصف وارخاء لعنان وقيل عبدا ولم يقل نبيا لعلمي فكأنه قيل أخبرني يا من له أدنى تمييز عن حال هذا الذي ينهى وهي عباد الله تعالى فضلا عن النبي المجتبى من صلاته ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى أو كان آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاصنام كما يزعم وكذلك ان كان على التكذيب بالحق والقول عن الدين الصحيح كما تقول أرأيت زيدا ان جاءك وقيل أرأيت في الجملتين الثانية والثالثة تكرار الاولى والشرطيتان بجوابهما سادتان مسد المفعول الثاني الاول وألم يعلم الخ جواب الشرط الثاني وجواب الاول محذوف لدلالته عليه ولم يقل او ان كذب الخ لاتباس بتغيير لما قبله على ما قيل والتفنن على نحو ماسمعت وأورد على جميع هذه الاقوال ان في تجويز الايمان بالاستفهام في جزاء الشرط من غير الفاء وان صرح الزمخشري في كشافه والرضي وامتنعه ابو حيان بقوله تعالى قل أرأيتم ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون بحثا لان ظاهر نقل الزمخشري نفسه في المفصل ونقل غيره وجوب الفاء اذا كان الجزاء جملة انشائية والاستفهام وان لم يبق على الحقيقة لم يخرج على مافي الكشف من الاسناد وقال أبو حيان ان وقوع جملة الاستفهام جوابا للشرط بغير فاء لا أعلم أحدا أجازه بل نصوا على وجوب الفاء في كل ما اقتضى طلبا بوجه ما ولا يجوز حذفها الا في ضرورة أو شعر وقال الصفاقسي في شرح التسهيل ان جعل هل يهلك جزاء مشكل لعدم اقتران بالفاء والاقتران بها في مثل ذلك واجب واعترض أيضا جعل الجملة الشرطية في موضع المفعول الثاني لا رأيت بان مفعولها الثاني لايكون الا جملة استفهامية كما نص عليه أبو حيان وجماعة أو قسما من الارشاد وقال الخفاجي ان جعل الشرطية في موقع المفعول والجملة الاستفهامية في موقع جواب الشرط لما على ظاهره أو مثل أنبأني لدلالتها على ذلك جعلا كأنهما اذلك اسدها مسد المفعول والجواب وبما ذكر صرح الرضي والصفاقسي في شرح التسهيل في باب اسم الاشارة فما قيل من ان المفعول الثاني لا رأيت لا يكون الا جملة استفهامية غالب لما صرحوا بانه اكثر مجيئه فلا يلتفت اليه ولم يجعلوا فيما ذكر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولا للكافر الناهي لان السياق يقتضي خروج الناهي والنهي عن مورد الخطاب واستظهر في البحر جعله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجوز غيره جعله للكافر والمراد تصوير الحال بعنوان غريب وهو كما ترى وقيل الضميران في ان كان وأمر للعبد الصالح والضمائر في كذب وتولى ويعلم للذي ينهى وعامل النهي على ما قال الفراء أرأيت الذي ينهى عبدا يصلي والنهي على الحذي وأمر بالتقوى والناهي مكذب متولى فما أعجب من هذا والظاهر ان جواب الشرط عليه محذوف وهو فما أعجب من هذا بقرينة أرأيت فانه يفيد التعجب والتزوية فيه قيل عقبة والمفعول الثاني محذوف نحو هذا الجواب وقيل بصيرة وألم يعلم الخ جملة مستأنفة لتقرير ماقبلها وتأكيده وأو تخييرية ومعنى الواو قبل الخطاب في أرأيت الثانية للكافر وفي الثانية للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو عز وجل كأنه لم الذي حضر الخصمان يخاطب حاضرا والآخر غائبا وكأنه سبحانه قال يا كافر اخبرني ان كانت صلاته عبادة وهداية الى الله تعالى أمر بالتقوى أتنهاه وأخبرني أيها الرسول ان كان الناهي مكذبا بالحق متوليا عن الدين الصحيح ألم يعلم بان الله تعالى يجازيه وسكت عما للعابد من الخطاب في أرأيت الاول فقيل لسكل من يصلح له وقيل للانسان وقيل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كالخطاب في الثالث وقوله تعالى بجعل له جعلا مفعولا لرأيت وبجعل له جواب الشرط وأو كما في سابقه والمراد بذكر الامر بالتقوى في الجملة الثانية الان

Marfat.com

النهي على ما قيل كان عن الصلاة والأمر بها وكان الظاهر عليه ان يذكر في الجملة الاولى أيضاً بان يقال أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلى او أمر بالتقوى لكنه حذف اكتفاء بذكره في الثانية والقصر على ذكر الصلاة ولم يمكن لان الامر بالتقوى دعوة قولية والصلاة بدعوة فعلية والفعل أقوى من القول وانما كانت دعوة وأمراً لان المقتدي بها فعل فعلا كان في قوة قوله افعلوا مثل فعلي قبل فالذكور والا ليس النهي عن الصلاة بل النهي حين الصلاة وهو محتمل ان يكون لها او لغيرها ولما لم تنحصر الصلاة اذا انحصرت في تكبيرة أنفس الفعل بالعبادة وتكبيرة غير مطلوبة في تلك الحالة يكون عن الصلاة والدعوة مما تذكر في الجملة الثانية فتفهم بلا تأمل وجواز الالتفات في الشرط كما يكون الخطاب في الشرط له عليه الصلاة والسلام وقال في بيان معنى أرأيت ان كان الخ أرأيت ان صار على الهدى واشتغل بامر نفسه أما كان يليق به ذلك اذ هو رجل عاقل فوقوعه على اختيار فرأى الصائب والاهتداء والامر بالتقوى أما كان ذلك خيراً له من الكفر بالله تعالى والنهي عن خدمته سبحانه وطاعته عز وجل كأنه تعالى يقول تالف عليه كيف فوت على نفسه الرتب العلية والمنح بالمراتب الزكية واختار عصيانه لدين هذه الجملة توبيخاً على تفويته ما ينفع وما يعدها توبيخاً على كسب ما يضر فقال ان قوله تعالى أرأيت الذي الخ استفهام لعاينان الانسان ان رآه مستغنياً والرؤية يعني الابصار أي أشاهدت الذي ينهى عبداً اذا صلى وعرفت طريقة الانسان المذكور وانه لا يكفي بكفرك ويتجاوز الى تكليفك العبد الذي أرسل للمنع من الكفر ان بالكفران وقوله سبحانه أرأيت ان كان الخ توبيخ له على فوت معلا يليق كفوت الهدى والامر بالتقوى يعني أعلمت انه على الهدى او امر بالتقوى وقوله عز وجل أرأيت ان كذب الخ توبيخ له ايضاً كسب ما استحقاق العذاب والبعد عن رب الارباب أي اعلمت انه على أي حالة وجد واحفظه وقوله تعالى ألم يعلم الخ توبيخ شديد بعد توبيخ على كسب حال السوء وفوت حال السعيد النهي وهو كالذي قبله فتأمل جميعها لتفهم والله تعالى يراعه أعلم ثم ان الآية وان نزلت في أبي جهل فانه لما كان كل من نهى عن الصلاة ومنع منها فهو شريكه في الوعيد ولا يلزم على ذلك المنع عن النهي عن الصلاة في الدار المغصوبة والاوقات المكروهة لان النهي عنه في الحقيقة ليس عن الصلاة نفسها بل عن وصفها المقارن والمدة الاحتراز تعالى بعضهم عن النهي مطلقاً فروى عن أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه انه رأى في المنام أقواماً يصلون فقال ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له رضي الله تعالى عنه ألا تنهاهم فقال رضي الله تعالى عنه أخشى أن أدخل تحت وعيد قوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى وفي رواية لا أحب أن أنهى عبداً اذا صلى ولكن أحدثهم بما رأيت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سئل نحو هذا السؤال أبو حنيفة عليه الرحمة فقد روى ان أبا يوسف قال له أبقول النعمان حين يرفع رأسه من الركوع اللهم اغفر لي فقال يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهي ويناس على النهي عن الصلاة النهي عن غيرها من أنواع العبادة ولا فرق بين النهي القولي والنهي الحالي ومنه أن يشتغل المرء عن ذلك وقد ابتلي به كثير من الناس (كَلَّا) ردع للناهي الذين وزجر له واللام في قوله تعالى (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ) موطئة للقسم أي والله الذي لم ينته عما هو عليه ولم يتزجر (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) أي لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار يوم القيامة والسفع كالاخذ الجذب بشدة وسفع بناصية فرسه جذب قال عمرو بن معد يكرب

قوم اذا كثر الصياح رأيتهم ○ مابين ملجم مهره أو سافع

Marfat.com

وقال مؤرج السدوسي الأحد بلغة قريش والناصية شعر الجبهة وتطلق على مكان الشعر وألف في الأيدي والكشح وما بين الأضافة وهو معنى أوتيا وشاع الضاف اليه في تلو الكلام كناية عن سحبه إلى النار وقول أبي حيان انه ذم بالناصية من جميع الشخص لايخفى ما فيه وقيل المراد لنسحبنه على وجهه في النار يوم يعرفون بسيماهم بشارة بأنه تعالى يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجروه ان لم يتبه وقد فعل عز وجل فقد روى انه لما نزلت سورة الرحمن قال صلى الله تعالى عليه وسلم من يطرؤها على رؤساء قريش فقام ابن مسعود وقال أنا يارسول الله فلم يأذن له عليه الصلاة والسلام لضعفه وصغر جثته حتى قالها ثلاثا وفي كل مرة كان ابن مسعود يقول أنا يارسول الله فأذن له صلى الله تعالى عليه وسلم فأتاهم وهم مجتمعون حول الكعبة فشرع في القراءة فقام أبو جهل فلطمه وشق ثوبه وأدماه فرجع وبكاء فدمان فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بما فعل فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك فقال عليه السلام شافع فما كان يوم بدر قال عليه الصلاة والسلام انسوا أبا جهل في القتلى فرآه ابن مسعود مصروعا يخور فاراق على صدره فتح عينه فعرفه فقال لله الرغبت مرتقى صعبا يارويبي الغنم فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولايعلى عليه فاراح قطع رأسه فقال الذين دونك فاقطعه يسبق فقطعه ولم يقدر على حمله فدق أذنه وجعل فيها خيطا وحمل يجره حتى جاء به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال جبريل عليه السلام يضحك ويقول يارسول الله أذن يأذن والرأس زيادة وكأن تخصيص الناصية بالذكر لان الجر كان شديد الاهتمام بشرحيائها وتعليبها أولان السحب بها غاية الاذلال عند العرب إذ لا يكون إلا مع مزيد الامساك والاستيلاء ولان عادتهم فلك في البائم وقرأ محبوب وعرون بالرفع عن أبي عمرو لتقدمي بالنون الشديدة وقرأ ابن مسعود لاسفعن كذلك مع اسناد الفعل الى ضمير المتكلم وحده وكتبت النون الخفيفة في قراءة الجمهور ألفا اتباعا لحال الوقف فانه يوقف عليها بالالف تشبيها لها بالتنوين وقاعدة الكتبة مبنية على حال الوقف والابتداء ومن ذلك قوله ٭ وممما نشأ منه زارة أدما ٭ وقوله ٭ يخبيه الجاهل مالم يعلما ٭ وقوله تعالى (نَاصِيَةٍ) بدل من الناصية وجاز ابدالها من المعرفة وهي نكرة لانها وصفت بقوله سبحانه (كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) فاستفادت بالافادة وقد ذكر البصريون أنه يشترط لابدال النكرة من المعرفة الافادة لا غير ومذهب الكوفيين أنها تبدل منها بشرطين اتحاد اللفظ ووصف النكرة وليدل بظاهره على ناصية هذه صفتها وهذا مما يأتي على سائر المذاهب ووصف الناصية بما ذكر مع أنه صفة صاحبها للمبالغة حيث يدل على وصفه بالكذب والخطا بطريق الاولى ويفيد أنه لشدة كذبه وخطئه كأن كل جزء من أجزائه يكذب ويخطأ وهو كقولهم لمسائل تصف ألسنتهم الكذب وقولهم وجوهها يصف الجمال والاسناد مجازي من اسناد ما للكل الى الجزء وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة وزيد بن علي ناصية كاذبة خاطئة بنصب الثلاثة على الذم والكسائي في رواية برفعها أي هي ناصية الخ (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) النادي المجلس الذي يندى فيه القوم أي يجتمعون للحديث ويجمع على أندية والكلام على تقدير المضاف أي فليدع أهل ناديه أو الاسناد فيه مجازي أو أطلق اسم المحل على من حل فيه ومثله قولهم هذا مجلس ونحوه كما قال جرير أو ذو الرمة

لهم مجلس صهب السبال أذلة ٭ سواسية أحرارها وعبيدها

وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم ٭ وأندية ينتابها القول والفعل

وهذا اشارة الى ما منع من أن يأخذ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعونه على ذلك أم أتيت فأنت عليه الصلاة والسلام فقال أتيه دني أما أكثر أهل النادي نادبا الامر على ما في البحر فتجوز والاشارة الى أنه لايقدر

Marfat.com

على نحو (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) أي ملائكة العذاب ليجروه الى النار وهو في الاصل الشرط أي أعوان الولاة واختلف فيه فقيل جمع لا واحد له من لفظه كبرابرة وقال أبو عبيدة واحده زبنية بكسر فسكون كعفرية وقال الكسائي واحده زبني بالكسر كأنه نسب الى الزبن بالفتح وهو الدفع ثم غير للنسب وكسر أوله كالدبي وأصل الجمع زباني فقيل زبانية بحذف احدى يائيه وتعويض التاء عنها وقال عيسى بن عمر والاخفش واحده زابن والعرب قد تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه وان لم يكن من أعوان الولاة ومنه قوله

معاشر في القوى مطاعين في الوغى ☆ زبانية غلب عظام حلومها

وسمي ملائكة العذاب بذلك لدفعهم من يعذبونه الى النار وهذا الدفع الذي يباشرونه على ما روي من أنواع وعذابه الاحقاب الزبانية فيما والظاهر أن مدفع بروع المجرد عن الناصب والجازم بورسم في المصاحف بدون واو الاتباع الرسم اللفظ فانها محذوفة فيه من الوصل لالتقاء الساكنين أو لمغايرة فاصلة مجزوم في جواب الامر وقيه نظر وقرأ ابن أبي عبلة سيدعي الزبانية بالبناء للمفعول ورفع الزبانية (كَلَّا) ردع للكافر المبين بعد ردع وزجر للاثر زجر (لَا تُطِعْهُ) أي دم على ما أنت عليه من معاداته (وَاسْجُدْ) وواظب غير مكترث به على سجودك وهو على ظاهره أو مجاز عن الصلاة (وَاقْتَرِبْ) وتقرب بذلك الى ربك وفي الصحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعا أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء وفي الصحيح وغيره أيضا من حديث ثوبان مرفوعا عليك بكثرة السجود فانك لا تسجد لله تعالى سجدة الا رفعك الله تعالى بها درجة وحط عنك بها خطيئة وبهذه الاخبار ونحوها ذهب غير واحد الى أن السجود أفضل أركان الصلاة ومن الغرائب أن الحسن بن عبد السلام من أئمة أئمة الشافعية قال بوجوب السجود فيه وفي البحر ثبت في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام سجد في اذا السماء انشقت وفي هذه السورة وهي من العزائم عند على كرم الله تعالى وجهه وكان مالك يسجد فيها في خاصة نفسه والله تعالى الموفق

سورة القدر

قال أبو حيان مدنية في قول الاكثر وحكى الماوردي مكيه وذكر الواحدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة وقال الجلال في الاتقان فيها قولان والاكثر على أنها مكية ويبتدل لكونها مدنية بما أخرجه الترمذي وابن أبي حاتم عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أرى بني أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت انا أعطيناك الكوثر ونزلت انا أنزلناه في ليلة القدر الحديث وهو كما قال الزرقاني حديث منكر انتهى وقد أخرج الجلال هذا الحديث في الدر المنثور عن ابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل أيضاً من رواية يوسف بن سعد وذكر فيه أن الترمذي أخرجه وضعفه وابن الخطيب أخرج عن ابن عباس نحوه وأيضا عن ابن الزبير بلفظ قال نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم أريت بني أمية يصعدون منبري فساءني ذلك فأنزلت انا أنزلناه في ليلة القدر فهي قول الزرقي هو منكر تردد عندي وأيا ما كان فقد استدل بهذا على كون السورة مدنية وأجيب بانه يحتمل أن يكون ذلك اخبارا على مغيب والظاهر أن يكون المنبر موجودا زمن الرؤيا وهو لم يتخذ الا في المدينة وأيا ست في المكي والثماني وعشرين فيما عدادها وجاء في حديث أخرجه محمد بن نصر عن أنس مرفوعا انها تعدل ربع القرآن وذكر غير واحد من الشافعية أنه يسن قراءتها بعد الوضوء وقال بعض أقسام ثلاثا ووجه مناسبتها لما

Marfat.com

قيل أنها كالتعليل للامر بقراءة القرآن المتقدم فيه كأنه قيل اقرأ القرآن لان قدره عظيم وشأنه خطير وقال الخطابي الراد بالكناية في قوله تعالى فيها انا أنزلناه الاشارة الى قوله تعالى اقرأ وانما وضمت بعد وان تضاه القاضي أبو بكر بن العربي وقال هذا بديع جدا والظاهر أنه أراد ان الضمير المصوب في ذلك لاقرأ الخ على ما سمعه ان شاء الله تعالى وكونه أراد أنه المقروء المفهوم من اقرأ فيكون في معنى رجوعه للقرآن خلاف الظاهر فلا تغفل

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ الضمير عند الجمهور للقرآن وادعى الامام فيه اجماع المفسرين وكاد يستدل بقولهم ان قائلا لو قال لغير جوده جبريل عليه السلام او غيره لضحك قالوا وفي التعبير عنه بضمير الغائب مع عدم تقدم ذكره تعظيم له أي تعظيما أي بتصدير بأنه لفرط شأنه كالحاضر عند كل أحد فهو في قوة المذكور وكذا في اسناد انزاله الى نون العظمة مرتين وتأكيد الجملة وأشار الزمخشري الى افادة الجملة اختصاص الانزال به سبحانه بناء على انها من باب أنا سعيت في حاجتك مما قدم فيه الفاعل المنوي على الفعل وتعقب بان ماذكروه في الضمير المفصل دون المتصل كما في اسم ان هنا نعم الاختصاص يفهم من سياق الكلام وفيه انهم لم يصرحوا باشتراط ذلك وكذا في تفخيم وقت انزاله بقوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ فانه من الدلالة على ان علومها خارج عن دائرة دراية الخلق لايعلم ذلك ولا يبلغ كنهه الا علام الغيوب كما يشعر به قوله سبحانه ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ فان بيان اجمالها انما أريد به تشويقه عليه الصلاة والسلام الى دراينها فان ذلك مما يرغب عن الوعد بادراكها ومن سفيان بن عيينة ان كل ما في القرآن من قوله تعالى ما أدراك أعلم الله تعالى به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وما فيه من قوله سبحانه وما يدريك لم يعلمه عز وجل وقد مر بيان بقية اعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من تاكيد التعظيم والتفخيم مالا يخفى والمراد بانزاله فيها انزاله كله جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فقد صح عن ابن عباس انه قال أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة الى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله تعالى ينزله على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعضه في أثر بعض وفي رواية بدل وكان بمواقع النجوم ثم تلا فلا أقسم بمواقع النجوم وفي رواية أخرى عنه أيضا أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا ونزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بجواب كلام العباد وأعمالهم وفي أخرى انه أنزل في رمضان ليلة القدر جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم رسلا في الشهور والايام وكون النزول بعد في عشرين سنة قول لهم وقال بعضهم وهو الاشهر في ثلاث وعشرين وقال آخر في خمس وعشرين وهذا الخلاف في مدة اقامته صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة بعد المبعث وقال الشعبي المراد ابتداء انزاله فيها والدور ان أول ماانزل من الآيات اقرأ والله كان نزولها بحراء نهارا نعم في البحر روى ان نزول الكل في حراء كان في العشر الاواخر من رمضان فان صح وكان المراد كان ليلا فذاك والا فالظاهر كلام الشعبي غير مستقيم اللهم الا ان يقال ان المراد بابتداء انزاله الى السماء الدنيا فيها ولا يلزم أن يتحد ذلك وابتداء انزاله عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في الزمان ثم ان في أنزلناه على ما ذكر احبوزا في الاسناد لانه أسنده فيه بما فجزء الى الكل أو مجازا الظرف أو تضمينا وقيل المراد انزاله من اللوح الى السماء الدنيا مفرقا في ليالي قدر على أن المراد بليلة الجنس فقد قيل ان القرآن أنزل الى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين وكان ينزل في كل ليلة ما يقدر الله تعالى انزاله في كل السنة ثم ينزله سبحانه منجما في جميع السنة وهذا القول ذكره الامام احتمالا ونقله القرطبي كما قال ابن كثير من مقاتل لكنه مما لا يعول عليه والصحيح المعتمد عليه كما قال

Marfat.com

ابن حجر في شرح البخاري انه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة في السماء الدنيا بل حكى بعضهم الاجماع عليه نعم لا يبعد القول بأن السفرة هناك نجموه لجبريل عليه السلام في الليالي التي كررة وأجاب السيد عيسى الصفوي بأنه لا محذور في ذلك بناء على جواز مثل أنكلم اخبرك من الكلم فوقك أنكلم وفي ذلك اختلاف بين الدواني وغيره ذكره في رسالته التي ألفها في الجواب عن مسئلة الخلق الاصم أو يقال يرجع الضمير القرآن باعتبار جملته وقطع النظر عن أجزائه فيخبر عن الجملة بانا أنزلناه وان كان من جملته انا أنزلناه المندرج في جملته من غير تغاير له بخصوصه وقد ذكروا ان الجزء من حيث هو مستقل مغاير له من حيث هو في ضمن الكل وفي الاتقان عن أبي شامة فان قلت انا أنزلناه ان لم يكن من جملة القرآن الذي نزل جملة فما نزل جملة وان كان من الجملة فما وجه هذه العبارة قلت لها وجهان أحدهما أن يكون المعنى انا محكما ينزل في ليلة القدر وقضينا به وقدرناه في الازل والثاني أن لفظ أنزلناه ماض ومعناه على الاستقبال أي تنزله جملة في ليلة القدر انتهى وهو بظاهره في كلا وجهيه رجعه الله تعالى شامة حسن فاجل في ذلك نظرا فلعلك ترى وقيل الضمير انا أنزلناه في فضل ليلة القدر أو في شأنها والكلام على تقدير مضاف أو الظرفية مجازية كما في قول عمر رضي الله تعالى عنه حدثت أن يترل في القرآن وقول عائشة رضي الله تعالى عنها الا أعقر في نفسي من أن يترل في القرآن وجعل بعضهم في ذلك الشائعية والضمير قبل القرآن بالمعنى الغائر بين الكل والجزء وقيل المعنى السورة ولا يأباه كون الانزال فيها لما مر آنفا فلا حاجة الى أن يقال المراد بها ما عدا الانزال في ليلة القدر وقيل يجوز أن يراد به الشروع لاشتماله على ذلك وأيا ما كان فحمل الآية على هذا المعنى غير معول عليه والمعول عليه ما تقدم والمراد بالانزال الاظهار القرآن من عالم الغيب الى عالم الشهادة أو الى السماء الدنيا على نحو ذلك مما لا يشكل رده الى القرآن واختلفوا في تلك الليلة فقيل أنها رفعت فلم ير في ذلك وهو كما قال الكرماني غلط لان الخبر الخبر يرده والمراد رفع تعيينها فيه ومن عكرمة أنها ليلة النصف من شعبان وهو قول شاذ غريب كما في تحفة الحفاظ وظاهر ما هنا مع ظاهر قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن يرده وعن ابن مسعود انها تنتقل في ليالي السنة فتكون في كل سنة في ليلة ونسبه النووي الى أبي حنيفة وصاحبيه والاكثرون على انها في شهر رمضان فعن ابن رزين أنها الليلة الاولى منه وعن الحسن البصري الليلة العشرون وقد يدور كلا القولين في صحيحها وحكى عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضا وعن النبي مرفوعا التاسعة والعشرون وحكى موقوفا على ابن مسعود أيضا وعن محمد بن اسحق الحادية والعشرون كما في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري أن عليه الصلاة والسلام قال قد رأيت هذه الليلة ثم نسيتها وقد رأيتني أسجد من صبيحتها في ماء وطين قال أبو سعيد فمطرت السماء من تلك الليلة فوكف المسجد فابصرت عيناي رسول الله وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين وفي مسلم من صبيحة ثلاث وعشرين ومنه مع ما قبله مال الشافعي عليه الرحمة الى أنها الليلة الطارئة أو الثالثة والعشرون وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن أنيس انه سئل عن ليلة القدر فقال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اطلبوها الليلة وتلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين وأخرج أحمد وأبو داود وابن جرير وغيرهم عن بلال قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة القدر ليلة أربع وعشرين وفي الاتقان وغيره أنها الليلة التي أنزل فيها القرآن وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي ذر أنه سئل عن ليلة القدر فقال كان عمر وحذيفة وناس من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يشكون انها ليلة سبع وعشرين وأخرج ابن نصر وابن جرير في تهذيبه عن معاوية قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التمسوا ليلة القدر

Marfat.com

في آخر ليلة من رمضان وفي رواية أحمد عن أبي هريرة مرفوعا انها آخر ليلة وقيل هي في العشر الاوسط تنتقل فيه وقيل في أوتاره وقيل في أشفاعه وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من شهر رمضان وفي حديث أخرجه أحمد وجماعة عن عبادة بن الصامت مرفوعا وحديثين آخر جهما ابن جرير وغيره عن جابر ابن سمرة وعن عبد الله بن جابر كذلك ما يدل على ما ذكر أيضا بل الاخبار الصحيحة الدالة عليه كثيرة وبالجملة الاقوال فيها مختلفة جدا الا أن الاكثرين على أنها في العشر الاواخر لكثرة الاحاديث الصحيحة في ذلك وأكثرهم على انها في أوتارها لذلك أيضا وكثير منهم ذهب الى انها الليلة الباقية من تلك الاوتار وصح من رواية الامام أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن حبان وغيرهم أن زر بن حبيش سأل أبي بن كعب عنها حلف لا يستثني انها ليلة سبع وعشرين فقال له بم تقول ذلك يا أبا المنذر فقال بالآية والعلامة التي قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها تصبح من ذلك اليوم تطلع الشمس ليس لها شعاع وبعض الاخبار عن ابن عباس ظاهرة في ذلك وفي بعضها الاستثناء له بايمان على جلالة شأن البينة التي قالوا انها اتاهم نام من كون السموات سبعا والارضين سبعا والايام سبعا والبطر سبعا والطواف بالبيت سبعا والسجود على سبع الى غير ذلك مما ذكره لا دفعت من الاخبار الصحيحة المتظافرة وهو زمان ضعف اليقين وقلة يزيد أجر العمل وورد الامر بالاجتهاد في التجليات تزيد الصفية وانها في الاوتار أرجى للاحاديث أيضا مع ان الله تعالى وتر يحب الوتر وقال ابن حجر الهيتمي اختار جمع انها لا تلزم ليلة بعينها من العشر الاواخر بل تنتقل في لياليه فمنها أو اعواما تكون وترا احدى أو ثلاثا أو غيرها وشفعا أو اعواما تكون شفعا اثنين أو أربعا أو غيرها قالوا ولا تجتمع الاحاديث المتعارضة فيها الا بذلك والامام الذهبي رضي الله تعالى عنه قال بجمع بين الاحاديث بقضيه التي ولا يخفى ان الجمع بذلك بين الاحاديث المتعارضة فيها مطلقا مما لا يتأتى وانما يتأتى الجمع بذلك بين الاحاديث المتعارضة فيها بالنظر الى الشهور وقيل في الجمع مطلقا بالتنقل ومانع من التعيين في الجملة أو على التحقيق محمول على ليلة قدر في شهر رمضان المخصوص بان يكون قد علم صلى الله تعالى عليه وسلم أنها في أول شهر رمضان فرض ليلة كذا فقال عليه الصلاة والسلام هي ليلة كذا أي في هذا الشهر رمضان المخصوص وعلم عليه الصلاة والسلام انها في شهر رمضان بعده ليلة كذا غير تلك الليلة التي ذكرها قبل فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هي ليلة كذا وعلم صلى الله تعالى عليه وسلم انها في آخر في العشر الاخير منه فقال هي في العشر الاخير أي من هذا الشهر المخصوص وهكذا وهو كما ترى وعلى القول بانتقالها ادعى بعضهم أنه اذا كان أول الشهر ليلة كذا فهي الليلة الباقية وان كانت ليلة كذا فهي الليلة الخامسة والعشرون الى آخر ما قال وقد ذكرناه مع نظره في الطراز المذهب وليس في ذلك ما يقوم حجة على الغير وفي بعض الاخبار ذكر علامات لها في حديث الامام أحمد والبيهقي وغيرهما عن عبادة بن الصامت من امارتها انها ليلة بلجة ساطعة ساكنة لا حارة ولا باردة كأن فيها قمرا ساطعا لا يرمى فيها يتجم حتى الصباح وأخرج نحوا منه ابن جرير في تهذيبه وابن مردويه عن جابر بن عبد الله مرفوعا وحمل ذلك ان صح على ليلة القدر من شهر رمضان المخصوص كالتعين لعدم الحراره ولا أظنك فيما يظهر والحكمة في اخفائها أن يجتهد من يطلبها في العبادة في غيرها ليصادفها كأن يحيي ليالي شهر رمضان كلها كما كان دأب السلف والامام في هذا المقام كلام يجل منك عن النظر بمثله والسري الذي سهرنا فيه سهرا بينا وأتى فيه بما يوشك ان يدل على جهله ومتى ليلة القدر ليلة القدر وسميت بذلك لما روى عن ابن عباس وغيره انه يقدر

Marfat.com

فيها ويقضي مايكون في تلك السنة من مطر ورزق وأحياء وأماتة الى السنة القابلة والمراد اظهار تقديره تعالى ذلك للملائكة عليهم السلام المأمورين بالحوادث الكونية والا فتقديره تعالى جميع الاشياء ازلي قبل خلق السموات والارض لكن قال بعض الاجلة كون التقدير في هذه الليلة بدخل عليه قول كثير انه ليلة النصف من شعبان وهي المراد بالليلة المباركة التي قال الله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم واجاب بان هنا ثلاثة اشياء الاول نفس تقدير الامور أي تعيين مقاديرها وأوقاتها وذلك في الازل والثاني اظهار تلك المقادير للملائكة عليهم السلام بان تكتب في اللوح المحفوظ وذلك في ليلة النصف من شعبان والثالث اثبات تلك المقادير في نسخ وتسليمها الى الوابها من المقدرات فتدفع نسخة الارزاق والنباتات والامطار الى ميكائيل عليه السلام ونسخة الحروب والرياح والجنود والزلازل والصواعق والخسف الى جبريل عليه السلام ونسخة الاعمال الى اسرافيل عليه السلام ونسخة المصائب الى ملك الموت وذلك في ليلة القدر وقيل يقدر في ليلة النصف الآجال والارزاق وفي ليلة القدر الامور التي فيها الخير والبركة والسلامة وقيل يقدر في هذه ما يتعلق به اعزاز الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين وفي ليلة النصف يكتب أسماء من يموت ويسلم الى ملك الموت والله تعالى أعلم بحقيقة الحال وقال الزمخشري التي ليلة العظمة والشرف من قولهم رجل له قدر عند فلان أي منزلة وشرف وسميت بذلك لان من أتى بفضل الطاعات فيها صار ذا قدر وشرف عند الله عز وجل أو لان الطاعات لها فيها ذلك وقيل لانه نزل فيها كتاب ذو قدر لرسول ذي قدر الى امة ذات قدر وقيل لانه يتنزل فيها ملائكة ذوات قدر وقال الخليل بن أحمد التي ليلة الضيق من قدر عليه رزقه ضيق وسميت بذلك لان الارض تضيق فيها بالملائكة عليهم السلام وغيرها من أجل شهر باعتبار العبادة عند الاكثرين على معنى ان العبادة فيها خير من العبادة في الف شهر ولا يلزم مقدار خيريتها منها الا هو سبحانه وتعالى وهذا تفضل منه تعالى وله عز وجل ان يخص ماشاء لما شاء بما شاء من غير عمل فليس خير من عمل كثير ولا ينافي هذا قاعدة ان قليلا كثير وشق فان أفضل خير مسئول انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعائشة رضي الله تعالى عنها أجرك على قدر نصبك لانها أعطيت على ماقال غير واحد ولا شك ان العمل القليل قد يفضل الكثير باعتبار الزمان وباعتبار المكان وباعتبار كيفية الاداء الصلاة واحدة أديت بجماعة فانها تعدل خمسا وعشرين مرة صلاة منها أديت على الانفراد الى غير ذلك ثم هذه الافضلية قد تحصل في بعض وقد لا كما فيما نحن فيه ولا محجر على الله عز وجل ولا يعلم ماتفضل سبحانه الا هو جل شأنه وتخصيص الالف بالذكر قيل اما للتكثير كما في قوله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وكثيرا مايراد بالاعداد ذلك وفي البحر حكايات التي عليه خير من الدهر هذا وما أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن مجاهد ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله تعالى ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك وتقاصرت اليهم أعمالهم فانزل الله تعالى السورة وأخرج ابن أبي حاتم عن علي بن عروة قال ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوما أربعة من بني اسرائيل عبدوا الله تعالى ثمانين حولا لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون فعجب أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد أمتك من عباد هؤلاء الخير ثمانين سنة فقد أنزل الله تعالى عليك خيرا من ذلك فقرأ عليه اذا أنزلناه الخ ثم قال هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك منه فسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق

بان

Marfat.com

بان يسموا عابدين من أولئك العباد وقال أبو بكر الوراق كان ملك كل من سليمان وذي القرنين خمسمائة شهر فقبل الله تعالى العمل في هذه الامة لان أدركها خيرا من ماسكهما وفي هذا نظر لانه ان أريد بذي القرنين الاول فهو على القول به قد ملك أكثر من ذلك بكثير وان أريد به الثاني أعني قاتل دارا فهو قد ملك أقل من ذلك بكثير وقيل أوحى الله تعالى عليه وسلم أعمار الامم قلة فاستقصر أعمار أمت فخفف عليه الصلاة والسلام أن لا يبلغوا من العمل مثل مابلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر لسائر الامم وذكره الامام مالك في الموطا وقد سمعت ما يدل على ان الالف اشارة الى ملك بني أمية وكان على ما قال الخادمي بن العضل ألف شهر لا يزيد يوم ولا ينقص يوم على ماقيل ثمانين سنة وهي ألف شهر تقريبا لانها ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر ولا يخفى على ذلك ملكهم في جزيرة الاندلس بعد لانه ملك يسير في بعض اقراق الارض وآخر عمارة العرب والما لم يعد من ملك منهم هناك من خلفائهم وقالوا بانقراضهم بهلاك مروان الحمار وطعن القاضي عبد الجبار في صحة هذه الآية اشارة لما ذكر بان أيام بني امية كانت مذمومة أي باعتبار الغالب فيهم ان يقال في شأن تلك الليلة انها خير من ألف شهر مذمومة

ألم تران السيف ينقص قدره ٭ اذا قيل ان السيف خير من العصا

وأجيب بان تلك الايام كانت مطيعة بحسب السعادات الدنيوية فلا يعدان يقول الله تعالى انها مطيعة لذلة في السعادات الاخروية افضل من تلك في السعادات الدنيوية فلا تبقى فائدة والخاتمة في أن تلك الليلة لستغرق يوما أم لا فقال الشعبي نعم يوما مثلا وقيل لعل الوجه فيه ان ذكر الليالي يستتبع الايام ومنه اذا ذكر اشتراك الليلين لزمناه يوميهما والكثير لا لكن قيل يحسن الاجتهاد في يومها لا يحسن فيما والما جاء في وصفها ان الشمس تطلع صبيحتها وليس لها شعاع لتقدم أنوار الملائكة الصاعدين والنازلين فيها فانه لا فائدة فيه سوى معرفة يومها ولا فائدة فيها لو لم يحسن الاجتهاد فيه ومنع بانه يجوز ان تكون الفائدة معرفتها نفسها ليجتهد فيها من قابل بناء على انها لا تتنقل وظاهر الآية انها افضل من ليلة الجمعة والسنة خلافا وأكثر الائمة على انها افضل منها للآية ولان الله تعالى انزل فيها القرآن وهو هو ولم ينزله في غيرها ولانه سبحانه امر بطلبها فمن ابن عباس انه قال في قوله تعالى وابتغوا ما كتب الله لكم ليلة القدر ولانه عز وجل جعلها ليلة القرب والحكم قال جل شأنه فيها يفرق كل امر حكيم وسماها جل وعلا ليلة القدر اى التقدير ولما روى عن كعب انه قال ان الله تعالى اختار الساعات فاختار ساعات اوقات الصلاة واختار الايام فاختار يوم الجمعة واختار الشهور فاختار شهر رمضان واختار الليالي فاختار ليلة القدر فهي افضل ليلة في افضل شهر ولان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حث على العمل فيها فقد صح من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وفي رواية وما تأخر وبني عليه الصلاة والسلام ان يخص ليلة الجمعة بقيام ويومها بصيام ولان سبحانه وتعالى أخفاها ولم يعينها كما أخفى سبحانه أعظم أسمائه عز وجل ولا أخفى جل شانه أفضل الصلوات وهي الصلاة الوسطى الى غير ذلك وذهب أكثر الحنابلة كما في الحسن الجزري وعبد الله ابن بطة وابي حفص البرمكي وغيرهم الى ان ليلة الجمعة أفضل لما أخرج ج مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يغفر الله تعالى ليلة الجمعة لاهل الاسلام اجمعين وهذه فضيلة لم تجيء لغيرها ونحوه ماروى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من ليلة جمعة الا وينظر الله تعالى الى خلقه ثلاث مرات فيغفر لمن لا يشرك بالله تعالى شيئا ولان روى ابن بشكوال في كتابه

Marfat.com

القربة الى رب العالمين يستدعه الى عمر رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اكثروا الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة والغرة من الشيء خياره ولا تقدروني كثيرون منهم الامام احمد ان يومها سيد الايام وأعظمها واعظم عند الله تعالى من يوم النحر ويوم الاضحى وصح ابن حبان خبر لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة فهي لذلك سيدة الليالي وأعظمها وأفضلها ولانها ميقاتة مشهودة يشهدها الخاص والعام من ذكر وأنثى وصغير وكبير وبصير وضرير وتصل بركتها الى الاحياء والاموات وليلة القدر غير معينة فلا ينتفع بها الا القليل الى غير ذلك وأجاب هؤلاء عن الآية بانه لا يراد فيها انها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر كما قال قتادة وغيره فانه ايضاً انها خير من الف شهر ليس فيها ليلة جمعة ويدل للامرين ان اكثر اسباب النزول السابقة تدل على ان المراد بالشهور شهور من تقدمنا وهي ليس فيها ليلة قدر ولا ليلة جمعة وعن سائر الاستدلات بأن بعضها معارض وبعضها لا يدل على اكثر من فضلها وهو ما لا ينكره احد والاولون اجابوا عن مستدلاتهم بنحو ما اجابوا لتعارض قال احمد بن الحسين بن يعقوب بن قاسم الفرى من الحنابلة ان القولين في المسألة قولان ثابتان بين الاصحاب والكل دلائل تدل على صوابيته فلا ينبغي لاحد ان يطلق الخطأ على قائل منهما وانت بعد التأمل في ادلة الطرفين والوقوف على أحوالها يتبين عندك أفضلية ليلة القدر وتدين ليلة الجمعة وههنا قول متوسط بين القولين حكى القاضي أبو يعلى ان أبا الحسن التميمي من الحنابلة أيضا كان يقول ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن افضل من ليلة الجمعة لما حصل فيها من الخير الكثير الذي لم يحصل في غيرها فاذا اسقطنا من ليالي القدر فليلة الجمعة افضل منها وقبل تغايره في ليلة المعراج مع ليلة الجمعة ونحوها ثم ان ظاهر كلام بعض الحنفية كصاحب الجوهرة ان ليلة النحر افضل من ليلة القدر وسائر ليالي السنة ويرد عليه ظاهر الآية ايضا وله يجيب بنحو ما سبق آنفا ونقل الطحطاوي عليه الرحمة في حواشي الدر المختار عن بعض الحنفية ان افضل الليالي ليلة مولده عليه الصلاة والسلام ثم ليلة القدر ثم ليلة الاسراء والمعراج ثم ليلة عرفة ثم ليلة الجمعة ثم ليلة الصف من شعبان ثم ليلة العيد وانا لا ارى ان له ما يعول عليه في ذلك والله تعالى اعلم وما اشير اليه من كونها من خصائص هذه الامة هو الذي يقتضيه اكثر الاخبار الواردة في سبب النزول وصرح به الهيثمي وغيره وقال القسطلاني انه معترض بحديث ابي ذر عند النسائي حيث قال فيه يا رسول الله أتكون مع الانبياء فاذا ماتوا رفعت قال بل هي باقية ثم ذكر ان عمدة القائلين بذلك الخبر الذي قدمناه في سبب النزول ومن رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم تفاسير اعمار أمته عن أعمار الامم وتعقبه بقوله هذا احتمال قلنا أول فلا يدفع الصريح في حديث أبي ذر كما قاله الحافظان ابن كثير في تفسيره وابن حجر في فتح الباري انتهى والحق الاول والصراحة في حيز المنع وقد أخرج الديلمي من أنس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى وهب لامتي ليلة القدر لم يعطها من كان قبلهم فتأمل والاعتدال وقوله تعالى ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ استئناف مبين لنشاط فضلها على تلك المدة المديدة فضمير فيها لليلة وزعم بعضهم ان الجملة صفة لالف خير والضمير لها وليس بشيء وجوز بعضهم كون الضمير للملائكة على أن الروح مبتدأ لا معطوف على الملائكة وفيها خبره لاشتمال ينزل والجملة حال من الملائكة وهو خلاف الظاهر والروح عند الجمهور هو جبريل عليه السلام وخص بالذكر لزيادة شرفه مع انه النازل بالذكر وقيل ملك عظيم لو التقم السموات والارض كان ذلك لقمة واحدة وذكر في التيسير من وصفه ما يبهر العقول والله تعالى اعلم بصحة الخبر وقال كعب ومقاتل الروح خلقة من الملائكة لا كالملائكة الا تلك الليلة كالرهاد الذين

Marfat.com

لازم الا يوم العيد أو ليلة وقيل حفظة على الملائكة كالملائكة الحفظة علينا وقيل خلق من خلق الله تعالى يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس ويخلق ما لا نعلمون وما يعلم جنود ربك الا هو والظاهر على ما قيل خدم أهل الجنة وقيل هو عيسى عليه السلام ينزل لمطالعة هذه الامة والبر والذي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل أرواح المؤمنين ينزلون لزيارة أهليهم وقيل الرحمة كما قرىء لا تيأسوا من روح الله بالضم وعلى الاول للمدول والظاهر الذي نقله لا الاخبار أن النزل الى الارض فقيل ان ذلك لما ذكر الله تعالى بعد وسيأتي ان شاء الله تعالى الكلام فيه وقيل ينزلون اليها للتسليم على المؤمنين وقيل لان الله تعالى جعل قضية هذه الليلة في الاستقبال بطاعات في الارض فهم ينزلون اليها لتصير طاعاتهم أكثر تولدا كما أن الرجل متى يذهب الى مكة تصير طاعته كذلك فيكون المقصود من الاخبار بذلك ترغيب الانسان في الطاعة وقال عصام الدين يحتمل أن يكون نزولهم لامورا كما اذا لبس في السماء ليل واجلة حينئذ مقررة لما سبق لامهيئة لشاط الفضل وفيه نظر لا يخفى وقيل غير ذلك مما سنذير اليه ان شاء الله تعالى وقيل المراد تنزلهم الى السماء الدنيا وهو خلاف المتبادر وانزل منه بكثير كون المراد بتنزلهم تنزلهم من مراتبهم العلية من الاشتغال بالله تعالى والاستغراق بعظمة جلاله عز وجل ليسلموا على المؤمنين واستظهر ان المراد بالملائكة عليهم السلام جميعهم واستند كل بان لهم كثرة عظيمة لا تتحملها الارض وكذا السماء الدنيا لانها قبل تنزلهم مملوءة اطت السماء وحق لها ان تطت ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم واحبب انهم ينزلون فوجا فوجا فمن نازل وصاعد كالحجاج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة مثلا بالزحام لكن لاعلى وجه الاجتماع بل هم بين داخل وخارج وفي التعبير بتنزل القيد للتدريج دون النزل ومز اليه وقيل انهم لكونهم انوارا لا تزاحم بينهم فالنور اذا ملأ حجرة مثلا لا يمنع من ادخال الف نور عليه وهو كما ترى ومن الناس من خص الملائكة ببعض فرقهم وهم سكان سدرة المنتهى او بعض منهم وفي الغنية للقطب الرباني الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال اذا كان ليلة القدر يأمر الله تعالى جبرئيل عليه السلام ان ينزل الى الارض ومعه سكان سدرة المنتهى سبعون الف ملك ومعهم الوية من نور فاذا هبطوا الى الارض ركز جبريل عليه السلام لوائه والملائكة عليهم السلام الويتهم في اربعة مواطن عند الكعبة وقبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومسجد بيت المقدس ومسجد طور سيناء ثم يقول جبريل عليه السلام انشروا فينتشرون ولا يبقى دار ولا حجر ولا بيت ولا سفينة فيها مؤمن او مؤمنة الا دخلته الملائكة عليهم السلام الا بيتا فيه كلب او خنزير او خمر أو جنب من حرام او صورة تماثيل فيسجدون ويقدسون ويهللون ويستغفرون لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا كان وقت الفجر ثم يصعدون الى السماء فيستقبلهم سكان سماء الدنيا فيقولون لهم من اين اقبلتم فيقولون كنا في الدنيا الا ان الليلة ليلة القدر لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول سكان السماء الدنيا ما فضل الله تعالى بحوالج امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول جبريل عليه السلام ان الله تعالى غفر لصائمهم وشفع لمطعميهم فترفع ملائكة سماء الدنيا أصواتهم بالتسبيح والتقديس والثناء على رب العالمين شكرا لما أعطى الله تعالى هذه الامة من المغفرة والرضوان ثم تقيمهم ملائكة السماء الدنيا الى الثانية كذلك وهكذا الى السابعة ثم يقول جبريل عليه السلام باسكان السموات ارجعوا فيرجع ملائكة كل سماء الى مواضعهم فاذا وصلوا الى سدرة المنتهى يقول لهم سكانها أين كنتم فيجيبونهم مثل ما أجابوا اهل السموات فيرفع سكان سدرة المنتهى اصواتهم بالتسبيح والتهليل والثناء فتسمع جنة المأوى ثم جنة النعيم وجنة عدن والفردوس ويسمع عرش الرحمن فيرفع

Marfat.com

العرش صوته بالتسبيح والتهليل والثناء على رب العالمين شكرا لما أعطى هذه الأمة ويقول الجليل جل جلاله غفرت البارحة لصالحي أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وشفعت صالحيها في طالحيها فيقول الله عز وجل صدقت يا مرتى ولأمة محمد عليه الصلاة والسلام عندي من الكرامة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وفي رواية عن كعب نزول جميع ملائكة سدرة المنتهى مع جبريل عليهم السلام ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى وأن جبريل عليه السلام لا يدع أحدا من الناس إلا صافحه وفي رواية لا يدع مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلم عليه إلا من الخمر وآكل لحم الخنزير والمتضمخ بالزعفران وأن علامة مصافحته عليه السلام اقشعرار الجلد ورقة القلب ودمع العين وروى في نزوله مع الملائكة عليهم السلام وعروجهم معهم غير ذلك وقد ذكرت بعضا من ذلك الإمام وغيره ونسأل الله تعالى صحة الاعتبار وذكر يعقوب أن جبريل عليه السلام يقسم تلك الليلة ما ينزل من رحمة الله تعالى حتى يستغرق أحياء المؤمنين فيقول يا رب بقي من الرحمة كثير فما أصنع به فيقول الله عز وجل قسم على أمهات أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقسم حتى يستغرقهم فيقول يا رب بقي من الرحمة كثير فما أصنع به فيقول سبحانه وتعالى قسمه على الكفار فيقسمه عليهم فمن أصابه منهم شيء من تلك الرحمة مات على الإيمان ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ متعلق بينزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أي ملتبسين بأذن ربهم أي بأمره عز وجل والتقييد بذلك لتعظيم أمر تنزلهم وقيل الإشارة إلى أنهم يرغبون في أهل الأرض من المؤمنين ويودون أن ينزلوا إليهم فيستأذنون فيؤذن لهم فينوع ترغيب في الاجتهاد في الطاعة واستدعاء أمر هذه الرغبة مع كثرة المعاصي وأحيب بأنهم غير واثقين على تفاصيلها أو لم يعتبروها مانعة من ذلك لأنهم يرون من أنواع الطاعات مالا يرونه في السماء أو لسموا أعين الصلحاء المؤمنين في الحديث القدسي لأعين المذنبين أحب إلى من زجل المسبحين أو ليجتمعوا مع من بينه وبينهم مناسبة من الصديقين أداء لواجب الحق فإن أرواح الصديقين المتجردة عن جلابيب الأبدان لم تزل تزور الملائكة عليهم السلام في مواطنهم يعرجون إليهم فناسب أن تزورهم الملائكة عليهم السلام في زوايا ما انقضى ذلك الاجتماع مع غيرهم ممن ليسوا كذلك فإنه أمر نبيل ● ولأجل هذين ألف عين تبكي ● ﴿مِن كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي من أجل كل أمر تعلق به التقدير في تلك السنة إلى قابل وأظهره سبحانه وتعالى لهم قائلا غير واحد فمن بمعنى اللام التعليلية متعلقة بتنزل قال عصام الدين فإن قلت المقدرات لا تنحصر في تلك الليلة بل في تمام السنة فلماذا تنزل الملائكة عليهم السلام فيها لأجل تلك الأمور قلت لعل تنزلهم لتعيين انقضاء تلك الأمور لهم وتنزلهم لأجل كل أمر ليس على معنى تنزل كل واحد لأجل كل أمر ولا تنزل كل واحد لأمر بل على معنى تنزل الجميع لأجل جميع الأمور حتى يحتاجون في الكلام لتقسيم السائل على المقولات التسع وأقول يمكن أن يكون تنزلهم لإعداد القوابل لقبول ما أمروا به وإشارة ما ذكره من التقسيم إلى أنه يجوز أن يكون نزول الواحد منهم لعدة أمور وقولهم من أجل كل أمر تعلق إلخ قد تقدم ما فيه من البحث فتذكر وقال أبو حاتم من بمعنى الباء أي تنزل بكل أمر فقيل أي من الخير والبركة وقيل من الخير والشر وجعلت الباء عليه للسببية فيرجع المعنى إلى نحو ما مر وبنحو من جعلها للملابسة والمراد بملابستهم له ملابستهم للآمر به فكأنه قيل تنزل الملائكة وهم مأمورون بكل أمر يكون في السنة وكونهم ينزلون وهم كذلك لا يستدعي فعلهم جميع ما أمروا به في تلك الليلة والظاهر على ما قالوا أن المراد بالملائكة المقدرات أي تنزيلهم لأجل كل الأمور التي تتعلق بها التقدير ليتنزلوا لأجلها على النحو السابق وهو خلاف ما تدل عليه الآثار من عدم اختصاصهم بالمقدرات فتدبر وكأنه قيل إن من كل أمر متعلق بقوله

Marfat.com

تعالى ﴿ سَلَامٌ ﴾ وهو مصدر بمعنى السلامة خبر مقدم وقوله تعالى ﴿ هِيَ ﴾ مبتدأ أي هي سلام من كل أمر مخوف وتعلق بذلك على التوسع في الظرف والأصول المصدر لا يتقدم عليه في المشهور وقيل هو متعلق بمحذوف مقدم يفسره المذكور ومن وافق على كلام السلامة التفتازاني في أوائل شرح التلخيص في مثل ذلك فيما سلف مما ذكر وقيل من كل أمر متعلق بينزل لكن على معنى تنزل الى الارض منفصلة من كل أمر لها في السماء وفائدة له وفيه اشارة الى مزيد الاهتمام بالتنزل الى الأرض وفيه من البعد ما فيه وتقديم الخبر للحصر كما في قولهم أنا أبو النجم والأخبار بالمصدر للمبالغة أي ما هي الا سلامة جدا حتى كأنها عين السلامة قال الضحاك في معنى ذلك الله تعالى لا يقدر ولا يقضي فيها الا السلامة قيل اي لا ينفذ تقديره تعالى وقضاؤه الا بذلك وحاصله لا يوجد الا ذلك وقال مجاهد انها سالمة من الشيطان وأذاه وروى ان الشيطان لا يخرج في ليلة القدر حتى يضيء فجرها ولا يستطيع أن يصيب فيها أحدا بخبل أو داء أو ضرب من ضروب الفساد ولا يفعل فيها ساحر ولا عمل ما يصدر من الماضي على هذا من النفس الامارة بالسوء لا بواسطة الشيطان واستشكل كلام الضحاك بناء على ما قيل فيه بأنه لا تخلوا ليلة من الشر والأمر المخوف ولا موجد الا الله عز وجل فلعله أراد ما تقدم تقييده بغير بعيد من أن المتعال انما يقدر في هذه الليلة السلامة والخير أي لا يظهر سبحانه للملائكة عليهم السلام الا تقديره عز وجل ذلك وقيل ما هي الا سلامة على نحو ما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا رحمة وانما أتى بصيغة تامة السلامة والنجاة من الهلاك يوم القيامة حيث ان من قابلها إيقانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقيل السلام مصدر بمعنى التسليم أي ما هي الا تسليم لكثرة التسليم والمسلمين من الملائكة على المؤمنين فيها وروى ذلك عن الشعبي ومنصور وجويبر بن التسليم للمبالغة أيضا وقوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ غاية لمن تعميم السلامة أو التسليم على الوجه الأخير متعلق بسلام ومطلع اسم زمان وقد صرحوا أنه من يفعل ويفعل بفتح العين وضمها على فعل مفتوح العين وجوز كونه مصدرا ميميا بمعنى الطلوع ويحتاج الى تقدير مضاف قيل هو وقت أو ما في معناه لتعدد الغاية والتي فيكونان من جنس واحد وصح تعلق الجار بذلك مع الفصل لان ليس بمصدر نظرا للحقيقة وأفاد العارمي وغيره أنه لا بد من أن يؤتى بسلام أو مسلمة ليصح التعلق أما لو أتى على مصدريته فلا يصح لزوم الفصل بين الصلة والموصول وذهب بعضهم الى أن الفصل بين المصدر ومعموله بالتمام مغتفر وجوز أن تتعلق الغاية بينزل على معنى أنه لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى وقت طلوع الفجر وتعقب بأنه تعسف لان سلام هي أجنبي وليس باعتراض فلا يحسن الفصل به وجوز جعلا من الضمير المجرور في قوله تعالى فيها أي ذات سلامة أو سلام لا يلحق حالا وقيل يجوز أن يكون الوقف على سلام وهو خبر لمحذوف ومن كل أمر متعلق به وهي مبتدأ وحتى مطلع الفجر خبره ولم يجوز ذلك الطيبي والعارمي وغيرهما قالوا لعدم الفائدة بالاخبار عنها بانها حتى مطلع الفجر اذ كل ليلة يشاركها في هذه الصفة وأجيب بأنه لما أخبر عنها بانها خير من ألف شهر وفهم انها مخالفة لسائر الليالي في الصفة وكان ذلك مظنة توهم أن خاتمها في المقدار مغايرة لفواتح الليالي فيه أيضا دفع ذلك بقوله تعالى هي حتى مطلع الفجر أي لم تخالف سائر الليالي في ذلك وان خالفتها في الفضل والخيرية وقرأ ابن عباس ومكرمة والكلبي من كل امرىء بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الميم قبلها في آخره أي نزل من أجل كل انسان أي من أجل ما يتعلق به مما قدر في تلك الليلة ويرجع الى نحو ما تقدم أو من أجل مصلحته من الاستغفار له ونحوه على أن المراد بذلك كل امرىء مسؤ من على ما قيل وقيل الجار متعلق بسلام والمراد بكل امرىء الملائكة عليهم السلام أي سلام وتحيتي على المؤمنين من كل ملك وأنكر ذلك ابن حي هذه القراءة أبو حاتم وقرأ أبو رجاء والاعمش وابن وثاب وطلحة وابن

Marfat.com

مجمعون والكسائي وأبو عمرو بخلاف عنه مطلع بكسر اللام على أنه مصدر كالمرجع ويقدر مضاف أي مبدأ أوانه زمان على غير قياس كالمدخل فان مفعلا بالكسر قياس بفعل مكسور العين وفي البحر قيل مطلع ومطلع بالفتح والكسر مصدران في اللغة أيضا وقيل المصدر بالفتح وموضع الطلوع بالكسر عند أهل الحجاز انتهى وأراد الموضع ههنا لا موضع لها كما لا يخفى هذا واعلم أنه يسن الدعاء في هذه الليلة المباركة وهي أحد أوقات الاجابة وأخرج الامام أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قلت يارسول الله ان وافقت ليلة القدر فما أقول قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني ويجتهد فيها بانواع العبادات من صلاة وغيرها وقال سفيان الثوري الدعاء في تلك الليلة أحب من الصلاة ثم أفاد أنه اذا قرأ ودعا كان حسنا وكان سل الله تعالى عليه وسلم يجتهد في ليالي شهر رمضان ويقرأ فيها قراءة مرتلة لا يمر بآية رحمة الا سأل ولا بآية عذاب الا تعوذ وقرأ ابن رجب ان الاكمل الجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر ولقد كان عليه الصلاة والسلام يفعل ذلك كله لاسيما في العشر الاواخر ويحصل فيها على ماقال البعض بصلاة التراويح واخرج البيهقي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى المغرب والعشاء في جماعة حتى ينقضي شهر رمضان فقد أصاب من ليلة القدر بحظ وافر وأخرج مالك وابن أبي شيبة وابن زنجويه والبيهقي عن سعيد بن المسيب قال من شهد العشاء ليلة القدر في جماعة فقد أخذ بحظه منها وفي تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي عليه الرحمة يسن قرائيا كتبها ولا ينال فضلها أي كله الا من ألهمه الله تعالى عليها النهى والظاهر انه متى رؤيتها ما يحصل به العلم له بها على ما خصت به من الانوار وتنزل الملائكة عليهم السلام أو نحوا من الكشف الغير المعتبر عما لا يعرف حقيقته الا أهله وهو كالنص في انها يراها من شاء الله تعالى من عباده وقال أبو حفص بن شاهين على ماحكاه ابن رجب ان الله تعالى لم يكشفها لاحد من الاولين والآخرين ولا النبيين والمرسلين في يوم ولا ليلة الا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فانه قد أراها عليه وعرفه قدرها أراه عليه الصلاة والسلام اياها في منامه وعرفه في أي ليلة تكون فأصبح عالما بها وأراد ان يخبر بها الناس لسروره فتلاحى رجلان بين يديه رجلان فانسيها صلى الله تعالى عليه وسلم وأمر بطلبها في ليالي العشر الاواخر لانهم لا يرونها كاشفة أبدا ولا يراها أحد بعده صلى الله تعالى عليه وسلم أصلا فأمروا بذلك ليجتهدوا فيطلبوها في الليالي المباركة النهى وحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم رآها ونسيها قد رواه الامام مالك والامام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم وهو مما لا تردد في صحته لكن في دلالته على انه لم يعلم عليه الصلاة والسلام بها ولم يرها بعد ولا يراها أحد من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم ابدا تردد والحمل الامر بالاتمام في العشر الاواخر مثلا يقيد الرجاء رؤيتها فيها اذ ما الاترجى في زمان أو مكان لا يحسن أن يؤمر أحد باتمامها فيه عادة وفي بعض الاخبار مايدل على أن رؤيتها منامية وقعت لغيره صلى الله تعالى عليه وسلم ففي صحيح مسلم وغيره عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان رجالا من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه أروا ليلة القدر في المنام في السبع الاواخر فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الاواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الاواخر وحيث تقرر قول ابن شاهين من غيره أيضا وغلط في شرح الصحيح للنووي اعلم أن ليلة القدر موجودة وأنها ترى ويحققها من شاء الله تعالى من بني آدم كل سنة في رمضان كما تظاهرت عليه الاحاديث وأخبار الصالحين بها ورؤيتهم لها أكثر من أن تحصى وأما قول القاضي عياض عن الهلب بن أبي صفرة لايمكن رؤيتها حقيقة فغلط فاحش نبهت عليه لئلا يغتر به النهى

Marfat.com

ق في الكلام على هذه الليلة بحث مهم وهو أنه على قول المنذرين لاختلاف المطالع يلزم القول بتعددها في رمضان وكونها وتراً من لياليه عند قوم وشفعاً عند آخرين فلا يصح الطلاق القول باحدها وكذا لا يصح الطلاق القول بانها ليلة كذا كليلة السابع والعشرين أو الحادي والعشرين مثلاً من الشهر على ذلك أيضاً بل لا يصح الطلاق القول بان وقت التقدير وتنزل الملائكة ليس فالليلة عند قوم نهار في الجهة السامعة لاقدامهم وهي قد تكون مسكونة ولو بواسطة مسقفة أو غير فيها وربما يكون زمان الليل عند قوم بعضه ليلا وبعضه نهاراً عند آخرين كاهل بعض العروض البعيدة عن خط الاستواء بل قد تنقضي أشهر بالليل ونهار على قوم ولم ينقض يوم واحد في بعض العروض بل لا يصح أيضاً الطلاق القول بانها في رمضان وانها الليلة الاولى أو الاخيرة منه اذ الشهر مدخولاً وخروجاً مختلف بالنسبة الى مكان البسيطة وأجاب بعض بالتزام ان ما أطلق من القول فيها ليس على اطلاقه فيكون القول بوترتها بالنسبة الى قوم وبشفعيتها بالنسبة الى آخرين وهكذا القول بانها ليلة كذا من الشهر وبالتزام انها ليلة بالنسبة الى قوم نهار بالنسبة الى آخرين وان التعبير بالليلة لرعاية مكان النزل عليه القرآن عليه الصلاة والسلام وغالب المؤمنين به فان ما هو سنت اقدامهم عما اليهم نهاره لم يعبر بالمسفرين بل لاستمرار يعبر يوم حتى يرث الله تعالى الارض ومن عليها وقال انها حيث كانت نهاراً عند قوم لا يبعد ان يعطي الله تعالى أجرها من اجتهد من غيرهم في ليلة ذلك النهار وان يعطي بعدد ذلك أيضاً من اجتهد منهم ليلا وهي نهار وعلى نحو هذا يقال في الصور التي ذكرت في البحث وأنت ان هذا نوع من الجمع بين الاحاديث المتعارضة وان في قولهم بسن الاجتهاد في يوم نهار مزيد بحث فتدبر هذا ما ظهر لي وأجاب آخر بما يستحي القلم من ذكره ويرى تركه هو الحري بقدره وسمعت من بعض أحبابي ان الشيخ اسماعيل البرغوثي عليه الرحمة عرض فيما شرح من صحيح البخاري لقنني من هذا البحث والجواب عنه ولم أقف عليه وعندي ان البحث قوي والامر مما لا اشكال فيه ومثل ليلة القدر فيما ذكر وقت نزوله سبحانه وتعالى الى السماء الدنيا من الليل كما صحت به الاخبار وكذا ساعة الاجابة من يوم الجمعة الى امثال أخر والشيخ ابن حجر لم يعتبر حمله الله تعالى كلام طويل في الاول لم يحضرني منه الآن ما يروى الغليل وأثيره فان حجر كلام مختصر في الثاني وهو مشهور وربما يقال انها لكل قوم ليلتهم وان اختلفت مدخولاً وخروجاً بالنسبة الى آفاقهم كسائر لياليهم فتدخل الليلة مطلقاً في بغداد مثلاً عند غروب الشمس فيها وبعد نصف ساعة منه تدخل في اسلامبول مثلاً وذلك أول وقت الغروب فيها وهكذا والخروج على عكس ذلك فسكان الليلة راكب يسير الى جهة فيصل الى كل منزل في وقت ويلتزم ان تنزل الملائكة حسب سيرها ولا يبعد ان ينزل عند كل قوم ما شاء الله تعالى منهم عند أول دخولها عندهم ويرجعون عند مطلع فجرها عندهم أيضاً ويبقى التنزل منهم هناك الى ان تنقضي الليلة في جميع الصورة فيرجعون معاهد انقضائها ويلتزم القول بتعدد التقدير حسب السير أيضاً بان يقدر اقتضاء في أي جزء شاء سبحانه منها بالنسبة الى من عندهم أموراً تتعلق بهم ومناط الفضل لكل قوم تحققها بالنسبة اليهم وقيامهم فيها ومثل هذه الليلة فيما ذكر سائر أوقات العبادة كوقت الظهر والعصر وغيرهما وهذا غاية ما يخطر بالبال فيما يتعلق بهذا الاشكال وأمر ما يمكر عليه من أخبار الآحاد سهل على ان الكثير منها في حيز المقال فتأمل في ذلك والله عز وجل يتولى هداك ثم ان ليلة القدر عند السادة الصوفية ليلة يختص فيها السالك بتجل خاص يعرف به قدره ورؤيته بالنسبة الى محبوبه وهي وقت ابتداء وصول السالك الى عين الجمع ومقام الواصلين في المعرفة وما الطف قول الشيخ عمر بن الفارض قدس سره

Marfat.com

وقل الليالي ليلة القدر ان دنت ٭ كما قل أيام القضا يوم جمعة

هذا والله تعالى الهادي الى سواء السبيل

سورة البينة

وتسمى سورة القيامة وسورة الحمد وسورة المنفكين وسورة البرية وسورة لم يكن قال البقاعي الجمهور على قولنا الجمهور وقال ابن الزبير وعطاء بن يسار مدنية قاله ابن عطية وفي كتاب التحرير مدنية وهو قول الجمهور وروى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية واختاره يحيى بن سلام البلخي وقال ابن الفرس الأشهر أنها مكية ورواه ابن مردويه عن عائشة وجزم ابن كثير بأنها مدنية واستدل على ذلك بما أخرجه الامام أحمد وابن قانع في معجم الصحابة والطبراني وابن مردويه عن أبي جهيمة البدري قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب الى آخرها قال جبريل عليه السلام يا رسول الله ان ربك يأمرك أن تقرئها أبيا فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابي رضي الله تعالى عنه أن جبريل عليه السلام أمرني أن أقرئك هذه السورة فقال أبي أوقد ذكرت ثم يا رسول الله قال نعم فبكى وهذا هو الاصح وآيا تسع في البصري وثمان في غيره وجاء في فضلها ما أخرجه أبو موسى المديني في المعرفة من اسمعيل بن أبي حكيم عن مطر الزيتي أو الدمشقي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى يسمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول أبشر عبدي فو عزتي لاسألنك عن حال من أحوال الدنيا والآخرة ولامكنن لك في الجنة حتى ترضى ووجه مناسبتها لما قبلها ان قوله تعالى فيما يكن الذين لم كالتعليل لانزال القرآن كأنه قيل انما انزلناه لانه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى يأتيهم رسول يتلو صحفا مطهرة وهي ذلك المنزل فلا تغفل

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي اليهود والنصارى وأراد بهم بذلك العنوان قبل الاعظم شناعة كفرهم وقبل للاشعار بعلة مانسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وهو مبني على وجه يأتي ان شاء الله تعالى في الآية بعد وأراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد اتيانهم عليهم السلام بالاحاد في صفات الله عز وجل ومن التبيين كما قال علم الهدى الشيخ أبو منصور الماتريدي في التأويلات الآتي منهم من لم يكفر بعد تبين وكان على الانعناد الحق حتى توفاه الله تعالى وعد من ذلك النجاشي من النصارى فقيل انهم كانوا على الحق قبل بعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والتبيين يقتضي كفر جميعهم قبل البعث والظاهر خلافه وأيد ارادة التبعيض بما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من أن المراد بأهل الكتاب اليهود الذين كانوا بأطراف المدينة من بني قريظة والنضير وبني قينقاع وقال بعض لا نسلم ان التبيين يقتضي كفر جميعهم قبل البعث لجواز ان يكون التبيين عندهم بالذين كفروا باعتبار علمهم بعد البعثة كأنه قيل لم يكن هؤلاء الكفرة وبدؤا بأهل الكتاب ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ وهم من اعتقدوا لله سبحانه شريكا صنما او غيره وخصهم بعض بعبدة الاصنام لان مشرك العرب الذين بمكة والمدينة وما حولهما كانوا كذلك وهم المقصودون هنا على ما روي عن الحبر وايدا كان فالعطف على أهل الكتاب والالزم على التبعيض أن لا يكون بعضهم كافرين ليجب العدول عنه للتبيين لايهم بعض من المجموع كما افاده بعض الأجلة واحتمال ان يراد بالمشركين أهل الكتاب وشركهم قولهم المسيح ابن الله وعزير ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والعطف لمغايرة العنوان ليس بشيء وقرىء والمشركون بالرفع عطفا على الوسول وحمل قراءة الجمهور على

Marfat.com

والكوفيون اجاز ان الجر للجوار لا يجوز عندهم والجار والمجرور في موضع الحال من ضمير كفروا وقوله تعالى (مُنفَكِّينَ) خبر يكن والانفكاك في الاصل افتراق الامور المتصلة بنوع مزاولة وأريد به المفارقة لما كانوا عليه عما عرفه ان شاء الله تعالى والوصف اسم فاعل من تلك المادة دون الفعل لما فيه من الدلالة على التجدد والحدوث مع ابهام بعض الجهات أنه وصف منها والخبر محذوف أي والمدين اتباع الحق أو نحوه وتعقب مع كونه خلاف الظاهر بأن خبر كان وأخواتها لا يجوز حذفه في السعة لا اقتصارا ولا اختصارا وحين ليس خبر أي في الدنيا ضرورة وقوله تعالى (حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) متعلق بمنفكين والبينة صفة بمعنى اسم الفاعل أي البين الحق أو هي بمعناها المعروف وهو الحجة الناشئة للمدعي وراد بها المعجز وعلى الوجهين فقوله تعالى (رَسُولٌ) بدل منها بدل كل من كل او خبر لمحذوف أي هي رسول وتوجيه التفخيم والتذكير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله سبحانه (مِنَ اللَّهِ) في موضع الصفة له يفيد التفخيم الاضافية فهو مؤكد لما افاده التنوين من التفخيم الذاتي وقوله تعالى (يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً) صفة أخرى له أو حال من الضمير في صفته الاولى كان قوله سبحانه (فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ) صفة ثانية له محققة أو حال من الضمير في صفته الاولى أي مطهرة ويجوز أن يكون الصفة أو الحال هنا الجار والمجرور فقط وكتب مرتفع بالفاعلية أو بالابتدائية على الخلاف في البينة عليه عليه الصلاة والسلام على الثاني ظاهر وعلى الثاني لاتحاد بالاعتبار أن أعلاقه وصفاته صلى الله تعالى عليه وسلم كانت بالغة حد الاعجاز كما قال الزمخشري في الكشف وأشار اليه البوصيري بقوله

كذاك بالعلم في الأمي معجزة ... في الجاهلية والتأديب في اليتم

ويعلم منه حكمة مجيئه عليه الصلاة والسلام بتلوها أو باعتبار مضمونها معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم غير مادتي وظهورها وجوز أن يراد بالبينة القرآن لانه بين الحق أو معجز مثبت للمدعي وروى ذلك عن قتادة وابن زيد ورسول عليه قيل بدل اشتمال أو بدل كل من كل أيضا بتقدير مضاف أي بينة أو وحي أو معجز أو مستطاب رسول أو هو خبر مبتدا محذوف أي هي رسول ويقدر منه مضاف كما سمعت وجوز أن يكون رسول مبتدأ لوصفه وخبره جملة يتلو الخ وجملة الابتداء وخبره مفسرة للبينة وقيل اعتراضية لمدحها وقيل صفة لها صرايا القرآن وراد بالصحف الطاهرة اللوح والقلم الرابط ولقرأ أبي وعبد الله رسولا بالنصب على الحالية من البينة والصحف جمع صحيفة ولما الصحائف القراطيس التي يكتب فيها وأصلها البسوط من الشيء والراد بتطهيرها تنزيهها من الباطل على سبيل الاستعارة التصريحية ويجوز أن يكون في الكلام استعارة مكنية أو تخييلية من إسناد ما للحال في التجوز في النسبة فكأنه قيل محمد لا يمسها الا المطهرون والراد بالكتب المكتوبات والقيمة الناطقة والمستقيمة نفسها بالمعنى وفي التيسير هي كتب الانبياء عليهم السلام والقرآن مصدق لها فكأنها فيه ووصفه عليه الصلاة والسلام بتلاوة الصحف المذكورة بناء على الدور من أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقرأ الكتاب كما أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يكتب من باب التجوز في النسبة الى الفعول لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قرأ ما فيها فكأنه قرأها وقيل على تقدير مضاف أي مثل صحف وقيل في ضمير فيها استعارة مكنية بتشبيهه عليه الصلاة والسلام لتلاوته مثل ما فيها بتلاوتها أو الصحف مجاز عما فيها بعلاقة الحلول فتى ضمير فيها استخدام لعوده على الصحف بالمعنى الحقيقي وقيل المراد بالرسول جبريل عليه السلام ويوصف الصحف بتلاوته عليه الصلاة والسلام لتلقيه منه اللوح المحفوظ وتطهيرها ما سبق والمراد بتلاوته عليه الصلاة والسلام إياها ظاهر وفي فيها

Marfat.com

مجازا عن وجه اباحة غير وجيه والاولى حمل الرسول على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المروي عن ابن عباس ومقاتل وغيرهما وقد اختلفوا في المعنى المراد بالآية اختلافا كثيرا حتى قال الواحدي في كتاب البسيط انها من اصعب مالي القرآن نظما وتفسيرا وبين ذلك بناء على ان الكفر وصف لكل من الفريقين قبل البعثة بان الظاهر ان الذين لم يكن الذين كفروا من الفريقين منفكين عما هم عليه من الكفر حتى يأتيهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وحتى لابتهاء الغاية فتقتضي أنهم انفكوا عن كفرهم عند اتيان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خلاف الواقع وينافضه قوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) فالظاهر في ان كفرهم تفرقهم عند ذلك فقال جار الله كان الكفار من الفريقين يقولون قبل البعثة لا ننفك عما نحن فيه من ديننا حتى يبعث الله تعالى النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بعثه الله تعالى ما كانوا يقولون ثم قال سبحانه وما تفرق الخ يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق وأفرقهم على الكفر الا بغيا وتحاسدا في الشأن ان يقول الغير القاسق لمن يطالبه بتمام ما أنا فيه حتى يرزقني الله تعالى النبي فيرزقه الله عز وجل ذلك فيزداد فسقا فيقول واعطه فلا يكون منفكا عن الفسق حتى نوسر وما فسقت وانت في الفسق الا بعد اليسار بذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وحاصله ان الاول من باب المشاكلة لزعمهم وقوله سبحانه وما تفرق الخ الزام عليهم حيث الله تعالى الزمهم على سبيل التوبيخ والتعيير فقال هذا هو الحق وظاهره انه اراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وحمل على الثبات على الكفر والباطل لاستلزامه اياه وعدم التعرض للقدرين في قوله تعالى وما تفرق الخ لعلم حالهم من حال الذين اوتوا الكتاب بالاولى وقيل وهو قريب من ذلك من وجه وفيه ايضاح له من وجه اي لم يكونوا منفكين عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان الى ان اتاهم ما جهلوه مبدئا للاجتماع والاتفاق ما عرفوه مبدئا للانفكاك والافتراق كما قال سبحانه وما تفرق الخ وفي التعبير بالمنفكين اشارة الى وكادة وعدهم وهو من أهل الكتاب مشهور حتى أنهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما نقول فنقتلكم معه قتل عاد وارم ومن المشركين لما سمعه وقع من مأخرهم بعد ما شاع من أهل الكتاب واعتقدوا صحته عما شاهدوا مثلا من بعض من يوثق به منهم من قومهم كزيد بن عمرو بن نفيل فقد كان يتطلب نبيا من العرب ويقول قد أظل زمانه وانه من قريش بل من بني هاشم بل من بني عبد المطلب ويشهد لذلك انهم قبيل بعثته عليه الصلاة والسلام سموا منهم فيروا عدة وقد يحمد رجاء أن يكون النبي المبعوث والله أعلم حيث يجعل رسالته والتعبير عن اتباعه بصيغة المضارع باعتبار حال المحكي لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى والذين ما تولوا الشياطين أي تلك وقوله تعالى وما تفرق الخ كلام مسوق لمزيد التقبيح على أهل الكتاب خاصة ببيان ان ما سبب اليهم من الاشكال يمكن الاعتذار في الامر بل بعد وضوح الحق وزين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بايتاء الكتاب الذي هو كل الكتب من مطالعته والاحاطة بما في ضمائمه من الاحكام والاخبار التي من جملتها ما يتعلق بالنبي عليه الصلاة والسلام وهذه بعثته بعد ذكره فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس فطائفتان وكلاهما مؤلاء والمشركون باعتبار انطباقهم على الرأي المذكور في حكم فريق واحد غير ما صدر منهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبار الاستقلال في من

Marfat.com

فريق أهل الكتاب وإيذانا بان افكالهم من الرأي الذي ذكر ليس بطريق الاتفاق على رأي آخر بل بطريق الاختلاف القديم وتعقب الزمخشري بانه ليس في الكلام ما يدل على انه حكاية ولا على ارادة منفكين عن الوعد بالبيان الخ وقال القاضي عبد الجبار الذي لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وتبعه الامام بان تفسير لفظ حتى بما ذكر ليس من اللغة في شيء وانما اراد ان المراد استمرار النفي وان في الكلام حذفا اي لم يكونوا منفكين عن اكفرهم في وقت من الاوقات حتى وقت ان تأتيهم البينة الا انه عبر بما ذكر لانه اخصر وفيه ايضا مالا يخفى وقيل النفي لم يكونوا منفكين عن ذكر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالمناقب والفضائل الى ان انعم عليهم فعرفوا فيه وقال قل منهم فيه عليه الصلاة والسلام قولا زورا وتعقب بأنه لا دلالة على ارادة ما قدر متعلق الانفكاك وقيل النفي لم يكونوا منفكين عن كفرهم الى وقت مجيء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فلما جاءهم تفرقوا فمنهم من آمن ومنهم من اصر على كفره ويكفي ذلك في الصدق عوجب حتى وتعقب بأن ظاهر وما تفرق الخ ذم لهم وتشنيع عليهم ويؤيده قوله سبحانه بعد ان الذين كفروا من اهل الكتاب الخ وبعد ذلك على حال التفرق على ايمان بعض واصرار بعض وقيل النفي لم يكونوا منفكين عن كفرهم بأن يتردوا فيه بل كانوا جازمين معتقدين حقيته الى ان انعم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعند ذلك اضطربت خواطرهم وافكارهم وتشككت كل في دينه ومقالته وفيه مالا يخفى وقيل معنى منفكين هالكين من قولهم انفك صلا المرأة عند الولادة وهو ان ينفصل فلا يلتئم والمعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين الا بعد قيام الحجة عليهم بارسال الرسل وانزال الكتب وقريب منه معنى ما قيل لم يكونوا منفكين عن الحياة بأن يؤتوا ويهلكوا حتى تأتيهم البينة وهو كما ترى وقيل المراد انهم لم يفكوا عن دينهم حقيقة الى مجيء الرسول الثاني الصحف المبينة لسخه وبطلانه ولما جاء وتبين ذلك انفكوا عنه حقيقة وان بقوا عليه صورة وفيه ما فيه وقال أبو حيان الظاهر ان المعنى لم يكونوا منفكين أي منفصلا بعضهم عن بعض بل مستمرين كل منهم مقرا الآخر على ما هو عليه مما اختاره لنفسه هذا من اعتقاده بشريعته وهذا من اعتقاده بأسلافه وحاصله انه الصلت مودتهم واجتمعت كلمتهم الى أن أتتهم البينة وما تفرق الذين أوتوا أي من المتمرنين والمنفصل بعضهم من بعض فقال كل ما يدل عنده على صحة قوله الا من بعد ما جاءتهم البينة وكان يقتضي عند مجيئها ان يجتمعوا على اتباعها ولا يخفى ان قوله بل كان مستقل منهم الخ في حيز المنع وايضا حال وما تفرق على ما حقه عليه غير ظاهر وقال ابن عطية هنا وجه بارع المعنى وذلك ان يكون المراد لم يكن هؤلاء القوم منفكين من امر الله تعالى وقدرته ونظره سبحانه حتى يبعث عز وجل اليهم رسولا منذرا يلزم تعالى عليهم به الحجة ويتم على من آمن به النعمة فحكاه قال ما كانوا ليتركوا سدى ولهذا نظائر في كتاب الله جل جلاله هذا ما تظن نابه سؤالا وجوابا وجر حاوتعديلا والله تعالى أقول ما تقدم في تقرير الاشكال مبني على مذهب القائلين بعموم الغاية وهم الاكثر الفقهاء وجماعة من المتكلمين كالقاضي أبي بكر والقاضي عبد الجبار وأبي الحسين البصري وغيرهم دون مذهب الخبر القائلين به وهم أصحاب الامام أبي حنيفة وجماعة من الفقهاء والمتكلمين واختاره الآمدي واستدل عليه بما استدل ورد ما يعارضه من ادلة المخالف وعليه يمكن ان يقال انه سبحانه وتعالى بين أولا حال الذين كفروا من الفريقين الى وقت إتيان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله عز وجل لم يكن الذين كفروا من من أهل الكتاب والمشركين منفكين أي منحازين عليه من الدين حسب اعتقادهم فيه الى ان يأتيهم الرسول ولما لم يتعرض في ذلك للمذهب الحاطم بعد اتيان الرسول عليه الصلاة والسلام بينه سبحانه بقوله

Marfat.com

جل وعلا وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الخ أي وما تفرقوا فرق بعض منهم الحق وآمن وعرفه بعض آخر منهم وعاند فلم يؤمن في وقت من الأوقات الا من بعد ماجاءتهم البينة وطوى سبحانه ذكر حال المفترقين لفظه الأولى من جانبه تعالى ذكر بعد حال كل من الفريقين المؤمن والكافر وما في الآخر نبقوله سبحانه ان الذين كفروا الخ وقوله تعالى ان الذين آمنوا الخ والذي أميل اليه مما تقدم كون الانفكاك عن الوعد باتباع الحق ولعل القرينة على اختياره حالية ويحتمل نحوا آخر من التوجيه وذلك بأن يجعل الكلام من باب الاعمال فيقال ان منفكين يقتضي متعلقا هو الذي منه وتأبيهم يقتضي فاعلا وليس في الكلام سوى البينة فنجعل منهما يقتضيه فاعل فيه تأبيهم وحذف معمول منفكين لدلالة عليه فكأنه قيل لم يكن الذين كفروا من الفريقين منفكين عن البينة حتى تأبيهم البينة وحيث كان المراد بالبينة الرسول كان الكلام في قوة لم يكونوا منفكين عن الرسول حتى يأتيهم ويراد بعدم الانفكاك عن الرسول حيث لم يكن موجودا اذ ذاك عدم الانفكاك عن ذكر موالوعد باتباعه ويكون في الكلام في الآية على نحو ما سبق على تقدير ارادة منفكين عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق وان شئت قلت في قوله تعالى وما تفرق الخ أنه على معنى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب عن الرسول وما انفكوا عنه بالاصرار على الكفر الا من بعد ماجاءهم فدخل جميع ما أتيتك به والمتتالي أتيتك بأسرارك انتهاء وقوله تعالى (وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ) جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا والمراد بالامر مطلق التكليف ومتعلقه محذوف واللام للتعليل والكلام في تعليل أفعاله تعالى شهير والاستثناء مفرغ من أعم العلل أي والحال أنهم ما فعلوا في كتابهم بما كانوا به لغيه من الاشياء الا لأجل عبادة الله تعالى وقال الفراء العرب تجعل اللام موضع أن في الامر كأمرتك لتسلم وكذا في الارادة كيريد الله ليبين لكم فيي هنا يعني أن أي الا بأن يعبدوا الله وأيد بقراءة عبدالله الا أن يعبدوا فيكون عبادة الله تعالى هي المأمور بها والامر على ظاهره والاول هو الاظهر وعليه قال علم الهدى أبو منصور الماتريدي هذه الآية علم منها معنى قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أي الا لامرهم بالعبادة فيلم التطبيع من العاصي وهو كما قال الشهاب كلام حسن دقيق (مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ) أي جاعلين دينهم خالصا له تعالى فلا يشركون به عز وجل فالدين مفعول لمخلصين وجوز أن يكون نصبا على اسقاط الخافض ومفعول مخلصين محذوف أي جاعلين أنفسهم خالصة له تعالى في الدين وقرأ الحسن مخلصين بفتح اللام وحينئذ يتعين هذا الوجه في الدين والاول ثم جوز أن يكون نصبا على المصدر والعامل ليعبدوا أي ليعبدوا الله تعالى بالعبادة الدين (حُنَفَآءَ) أي مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام وفيه من تأكيد الاخلاص مالا يخفى فالحنف الميل الى الاستقامة ومعنى مائل الرجل الى الاعوجاج أحنف القاموس أو مجاز مرسل عن ابن عباس تفسير حنفاء هنا بحجاجا وعن قتادة بحاجين معرضين عن نكاح الام والقادم وعن أبي قلابة بمؤمنين بجميع الرسل عليهم السلام وعن مجاهد يتبعون دين ابراهيم عليه السلام وعن الربيع بن أنس يستقبلون القبلة بالصلاة وعن بعض مجاهدين في الدين ومحال الاقوال لا يخفى (وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ) ان اريد بهما مافي شريعتهم من الصلاة والزكاة فالامر بهما ظاهر وان اريد مافي شريعتنا فنى أمرهم بهما في كتابهم ان امرهم باتباع شريعتنا أمر لهم بجميع أحكامها التي هما من جملتها (وَذَٰلِكَ) اشارة الى ماذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وما فيه من البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف (دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ) أي الكتب القيمة

Marfat.com

قال بعضهم اشارة الى ماتقدم في قوله تعالى فيما كتب قيمة والبه ذهب محمد بن الاشعث الطالقاني وقال الزجاج أي الامة القيمة أي المستقيمة وقال غير واحد أي ملة القيمة والتاء الاعتبارى بين الدين والملة يصحح الاضافة وبعضهم لم يقدر موصوفا ويجعل القيمة بمعنى الله وقيل أي الحجج القيمة وقرأ عبد الله رضي الله تعالى عنه الدين القيمة فقيل التأنيث على تأويل الدين بالملة وقيل الهاء للمبالغة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) قيل بيان حال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين للايذان بخروج المختص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مضامدة شواهد النبوة في الكتاب بهم فالمراد بهؤلاء الذين كفروا هم المتقدمون في صدر السورة وفي ذلك احتمال آخر بالاخلال ومعنى كونهم في نار جهنم أنهم يصيرون اليها يوم القيامة لكن التحقق ذلك لم يصرح به وجيء بالجملة اسمية أو يقدر متعلق الظرف بمعنى الاستقبال أو أنهم فيها الآن على الحكاية فارجهنم على ما يوجبها من الكفر فجاز اخبار ملابسها طلاق اسم السبب على السبب وجوزت الاستعارة وقيل ان ما هم فيه من الكفر والعاصي دون النار الا أنها ظهرت في هذه النشأة بصورة عرضية وستظهر في النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية وقد مر نظيره فتدبر (خَالِدِينَ فِيهَا) حالمن المستكن في الظرف أو الاشتراك الفريقين في دخول النار بطريق الخلود لا يناقي تفاوت عذابهما في الكيفية فان جهنم والعياذ بالله تعالى دركات وعذابها ألوان فيعذب أهل الكتاب في درك منها نوعا من العذاب والمشركون في درك أسفل منه بعذاب أشد لان كفرهم أشد من كفر أهل الكتاب وكون أهل الكتاب كفروا بالرسول صلى الله تعالى وعليه وسلم مع علمهم بحوله الشريفة وصحة رسالته من كتابهم ولم يكن للمشركين علم بذلك لعلمهم لا يوجب كون عذابهم أشد من عذاب المشركين ولا مساويا له فان الشرك غلو عظيم وقد انضم اليه من أنواع الكفر في المشركين مما ليس عند أهل الكتاب وقد استدل بالآية على خلود الكفار مطلقا في النار (أُولَئِكَ) اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد لبعد منازلهم في الشر أي أولئك البعداء المذكورون (هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) أي الخلق وقيل أي البشر والمراد قيل هم شر البرية أعمالا فتكون الجملة في حيز التعليل للخلود في النار وقيل شر عاقبة ومصيرا فتكون تأكيدا لمضمون ما تقدم ورجح الاول بانه الموافق لما سيأتي ان شاء الله تعالى في حق المؤمنين وأيضا كان فالحكم على ما قيل مشكل فان ابليس وجنوده شر منهم أعمالا ومقاما وكذا المشركون المنافقون حيث ضموا الى الشرك النفاق وقد قال سبحانه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقال بعض لايبعد أن يكون في كفار الامم من هو شر منهم كفرعون وعاقر الناقة وأجاب بان المراد بالبرية المعاصرون لهم ولا يخفى أنه يبقى معه الاشكال بابليس ونحوه وأجيب بان ذلك اذا كان الحصر حقيقيا وأما اذا كان اضافيا بالنسبة الى المؤمنين بحسب زعمهم فلا اشكال اذ يكون الذين أولئك هم شر البرية لاغيرهم من المؤمنين كما يزعمون كلا أو بعضا وقيل يراد بالبرية البشر ويراد بشريتهم شريتهم بحسب الاصل ولايبعد أن يكونوا بحسب ذلك هم شر جميع البرية لما أن كفرهم مع العلم بصحة رسالته عليه الصلاة والسلام ومشاهدة معجزاته الذاتية والخارجية ووعد الايمان به عليه الصلاة والسلام ومع اطلاعهم به النبية في قلوب من يأتي بعدهم ونسبتهم به ضلال كثير من الناس الى غير ذلك مما اقتضت واستلزمه من القبائح شر كفر وأقبحه لايتصور مثله لاحد من البشر الى يوم القيامة وكذا سائر أضدادهم من تحريف الكلم عن مواضعه وصد الناس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وانكارهم اياه عليه الصلاة والسلام وكون كفر فرعون وعاقر الناقة وقبلهما بتلك المثابة غير مسلم ويلزم دخول المنافقين في عموم الذين كفروا أو كون كفرهم وأضدادهم دون كفر واضداد

Marfat.com

المذكورين وفيه شيء لا يخفى فتأمل وقيل ليس المراد بأولئك الذين كفروا أقولنا خصوصين وهم الذين منهم أولا إلى الأمم الغابرة فلم ولم يزل من سالف الدهر الى آخره وهو على ما فيه لا يتم بدون حمل البرية على البشر فلا تغفل وقرأ الأعرج وابن عامر ونافع البرئة هنا وفيما بعد بالهمز: فقيل هو الأصل من برأهم الله تعالى بمعنى ابتدأهم واخترع خلقهم فهي فعلة بمعنى مفعولة لكن عامة العرب لا تعمل هكذا التزموا تسهيل الهمزة بالابدال والادغام فقالوا البرية كما قالوا الذرية والخابية وقيل ليس بالاصل وانما البرية غير همز من البرى المنصور بمعنى التراب فهو أصل برأسه والقراءتان مختلفتان أصلا ومادة ومتفقتان معنى في رأي وهو أن يكون المراد عليهما البشر ومختلفتان فيه أيضا في رأي آخر وهو ان يكون المراد بالهموز الخليقة المائلة للملائكة والجن بالبشر وبغير الهموز البشر المقصورون من التراب فقط وأيما كان فليست القراءة بالهمز خطأ كيف وقد نقلت عن ثبت عصمته مع ان الهمز لغة قوم من أنزل عليه الكتاب صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ بيان لمحاسن أحوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من تعقيب الترهيب بالترغيب أو هو على ما أشرنا اليه سابقا وقال عصام الدين ان قوله تعالى ان الذين كفروا الخ كالتأكيد لقوله تعالى وذلك دين القيمة اذ لا تحقيق لكونها الملة القيمة فوق أن يكون جزاء المرض هذا وجزاء المتمثل ذلك الا أن ذلك اقتضى قوله تعالى ان الذين آمنوا الخ وكانه فصل لتخييل عدم المناسبة بين الجملتين لافي المسند اليه ولا في المسند ﴿ أُولَئِكَ ﴾ أي المتصفون بما هو الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة ﴿ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ وقرأ عبد الله بن عباس بن عبد الواحد هم بخار البرية وهو جمع خير كبيت وبيوت ﴿ جَزَآؤُهُمْ ﴾ بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعات ﴿ وَبُّهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ تقدمت نظائر هذه الآية مرارا وفي تقديم مدحهم بخير البرية دون أن يقال الذين يكون ما منهم في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجميع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها تنبيها وتأكيد الخلود بالأبد من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى والظاهر ان جملة هم خير البرية خبر اسم الاشارة وكذا جاءه وزعم بعض الاجلة أن الاسلوب بالدليل السابق ان تجعل معترضة ويكون الخبر ما بعدها وفيه نظر وقوله تعالى ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ استئناف نحوي واخبارهما تفضل عز وجل به زيادة على ما ذكر من أجزية أعمالهم ويجوز أن يكون بيانا جوابا لمن يقول أثم فوق ذلك أمر آخر ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر أو حالا بتقدير قد أو بدونه ويجوز أن يكون دعائيا من ربهم وهو مجاز عن الايجاد مع زيادة التكريم وهو خلاف الظاهر وبعده عطف قوله تعالى ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ عليه وعلل رضاهم بأنهم بلغوا من المطالب قاصيتها ومن المآرب ناصيتها وابيح لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي ما ذكر من الجزاء الرضوان ﴿ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ فان الخشية ملاك السعادة الحقيقية والفوز بالمراتب العلية اذ لولاها لم تترك المعاصي والمعاصي ولا استعد ليوم يؤخذ فيه بالاقدام والنواصي وفيه اشارة الى أن مجرد الايمان والعمل الصالح ليس موصلا الى أقصى المراتب ورضوان من الله أكبر بل الموصل له خشية الله تعالى وانما يخشى الله من عباده العلماء وقال الجنيد قدس سره الرضا على قدر قوة العلم والرسوخ في المعرفة وقال عصام الدين الاظهر ان ذلك اشارة الى ما يترتب عليه الجزاء والرضوان من الايمان والعمل الصالح وتعقب بان فيه غفلة عما ذكر وعن انه لا يكون حينئذ

Marfat.com

لقوله تعالى ذلك الخ كبير فائدة والغرض العنوان الربوبية المبرية عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الحكم والتحذير من الاغترار بالثروة واستدل بقوله تعالى ان الذين آمنوا الخ على ان البشر أفضل من الملك لظهور أن المراد بالذين آمنوا المؤمنون من البشر وفي الآثار مايدل على ذلك أخرج ابن أبي حاتم من أبي هريرة مرفوعا أتسجدون لمنزلة للملائكة من الله تعالى والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله تعالى يوم القيامة أعظم من منزلة الملك واقرؤا ان شئتم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت قلت يارسول الله من أكرم الخلق على الله تعالى قال ياعائشة أما تقرئين ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وأنت تعلمين ان هذا ظاهر في ان المراد بالبرية الخليقة مطلقا ليتم الاستدلال ثم أنه يحتاج أيضا الى ادخال الانبياء عليهم السلام في عموم الذين آمنوا وعملوا الصالحات بان لا يراد بهم قوم بخصوصهم اذ لو لم يدخلوا لزم تفضيل عوام البشر أي الذين ليسوا بانبياء منهم على خواص الملائكة أعني رسلهم عليهم السلام وذلك مما لم يذهب اليه أحد من أهل السنة بل هم يكفرون من يقول به فليتفطن والامام قد ضعف الاستدلال في تفسيره بالا يخفى عن بحث ولعل الاولى في القال جعل الحصر اضافيا بالنسبة الى ما يزعمه أهل الكتاب والمشركون قالا أوحالا من انهم هم خير البرية وكذا يجعل الحصر السابق بالنسبة الى مايزعمونه من أن المؤمنين هم شر البرية وبهذا ما سبق من الآثار في حيز المنع ثم الظاهر ان المراد بالذين آمنوا الخ مقابل الذين كفروا والاقوى من الذين انصفوا بما في حيز الصلة بخصوصهم وزعم بعض أنهم مخصوصون فقد أخرج ابن مردويه عن علي كرم الله تعالى وجهه قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ألم تسمع قول الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية هم أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض اذا جئت الامم للحساب يدعون غرا محجلين وروى نحوه الامامية عن يزيد بن شراحيل الانصاري كاتب الامير كرم الله تعالى وجهه وفيه انه عليه الصلاة والسلام قال ذلك لعند الوفاة ورأسه الشريف على صدره رضي الله تعالى عنه وأخرج ابن مردويه أيضا عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ان الذين آمنوا الخ قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين وذلك ظاهر في التخصيص ولذا ما ذكره الطبرسي الامامي في مجمع البيان عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال في الآية نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه وأهل بيته وهذا ان صحت عنه لايحذورفيه اذلا يستدعي التخصيص بل الدخول في العموم وهم بلا شبهة داخلون فيه دخولا أوليا وأما تقدمهم فلا تسلم عنه فانه يلزم عليه أن يكون علي كرم الله تعالى وجهه خيرا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والامامية وان قالوا به رضي الله تعالى عنه خير من الانبياء حتى أولي العزم عليهم السلام ومن الملائكة حتى المقربين عليهم السلام لا يقولون بخيريته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان قالوا بان البرية على ذلك مخصوصة بمن عداه عليه الصلاة والسلام فالدليل الدال على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم خير منه كرم الله تعالى وجهه قيل إنها مخصوصة أيضا بمن عدا الانبياء والملائكة ومن قال أهل السنة يخيريته فالدليل الدال على خيريتهم وبالجملة لا ينبغي أن يرتاب في عدم تخصيص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالامير كرم الله تعالى وجهه وشيعته ولا به رضي الله تعالى عنه وأهل بيته وان دون اثبات صحة تلك الاخبار خرط القتاد والله تعالى أعلم ثم ان الروايات في أن هذه السورة قد نسخ منها كثير كثيرة منها أخرج الامام أحمد والترمذي والحاكم وصححه عن أبي أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى أمرني ان أقرأ عليك

Marfat.com

القرآن فقرأ عليه الصلاة والسلام لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب فقرأ أبيها ولو أن ابن آدم سأل وديا من مال فاعطيه سأل ثانيا ولو سأل ثانيا فاعطيه سأل ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وان الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل ذلك فلن يكفره وفي بعض الآثار أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اقرأه هكذا ماكان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى يأتيهم البينة رسول من الله يتلو اصحفا مطهرة فيها كتب قيمة ان أقوم الدين طبيعة مسلمة غير مشركة ولا يهودية ولا نصرانية ومن يعمل صالحا فلن يكفره وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وماتوا الكتاب لما جاءهم أولئك عند الله شر البرية انما كان الناس الا أمة واحدة ثم ارسل الله النبيين مبشرين ومنذرين يأمرون الناس يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويعبدون الله وحده أولئك عند الله خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه أخرج ذلك ابن مردويه عن أبي رضي الله تعالى عنه وهو غالب لما صح عنه فلا يعول عليه كما لا يخفى على العارف بعلم الحديث

سورة الزلزلة

ويقال سورة اذا زلزلت وهي مكية في قول ابن عباس وابن عمر وعطاء ومدنية في قول قتادة ومقاتل واستدل له في الاتقان بما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال لما نزلت فمن يعمل مثقال ذرة الخ قلت يارسول الله اني لراء عملي قال نعم قلت تلك الكبائر الحمر قال نعم قلت الصغار الصغار قال نعم قلت وانكل أبي قال أبصر يا أبا سعيد فان الحسنة بعشر أمثالها الحديث وأبو سعيد لم يكن الا بالمدينة ولم يبلغ الا بعد أحد وأيما كان في الكولي والذي الأول وتبع في الباقي وصحح في حديث الترمذي والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس مرفوعا اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وجاء في حديث آخر تعدل ربعا ووجه ما في الأول بأن أحكام القرآن تنقسم الى أحكام الدنيا واحكام الآخرة وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة اجمالا وزادت على القارعة بأخراج الاثقال وحديث الأخبار وما في الآخر بان الايمان بالبعث الذي قررته هذه السورة ربع الايمان في الحديث الذي رواه الترمذي لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله الا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر وبياتي ان شاء الله تعالى ما يتعلق بهذا المقام وكأنه لما ذكر عز وجل في السورة السابقة جزاء الفريقين المؤمنين والكافرين كان ذلك كالمرك للسؤال عن وقته فبينه جل شانه في هذه السورة فقال عز من قائل

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ أي حركت لحركة بكاد يفاجئها ولا تستقر ﴿زِلْزَالَهَا﴾ أي الزلزال المخصوص بها الذي تقتضيه بحسب الحكمة الالهية لتبقية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده زلزال فكان هناك وراءه ليس زلزال بالنسبة اليه أو زلزالها العجيب الذي لا يقادر قدره فالاضافة على الوجهين للعهد ويجوز أن يراد الاستغراق لان زلزالا مصدر مضاف فيعم أي زلزالها كله وهو استغراق عرفي لقصد به المبالغة وهو مراد من قال أي زلزالها الداخل في حيز الامكان أو حتى يقتضيه الحكمة وقرأ الجحدري وعيسى زلزالها بفتح الزاي وهو عند ابن عطية مصدر كالزلزال بالكسر وقال الزمخشري المكسور مصدر والمفتوح

Marfat.com

اسم للحركة المرة والنصب ههنا على المصدر تجوزا لسده مسد المصدر وقال أيضا ليس في الآية دليل بالفتح الا في المضاعف وذكروا أنه يجوز في ذلك الفتح والكسر الا ان الاغلب فيه اذا فتح أن يكون بمعنى اسم الفعل كفعال بمعنى مفاصل وانفاض بمعنى مفاضض ووسواس بمعنى موسوس وليس مصدرا فقد ان مالك وأما في غير المضاعف فلم يسمع الا نادرا سواء كان صفة أو اسما جامدا ويرام وبسطام معربان ان قيل بصحة الفتح فيهما من النادر جاء بمجيئين وهو الناقة التي ربما ظلع ولم يثبت بعضهم غيره وزاد ثعلب فهاز لؤلؤ والحجر الصلب وقيل هو جمع وقيل هو لغة ضعيفة والفصيحة فهر بتشديد الراء وزاد آخر قسطلا وهو الغبار وهذا الزلزال على ما ذهب اليه جمع عند النفخة الثانية لقوله تعالى ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ فقد قال ابن عباس أي موتاها وقال الفراء والزجاج ومقاتل سيد أي كنوزها وموتاها وروى عن ابن عباس أيضا وهذه الكنوز على هذا القول غير الكنوز التي تخرج أيام الدجال على ما وردت به الاخبار وذلك بان تخرج بعضا في أيامه وبعضا عند النفخة الثانية ولا بعد في أن تكون بعد الدجال كنوز أيضا فتخرجها مع ما كان قد بقي يومئذ وقيل هو عند النفخة الاولى وأثقالها ما في جوفها من الكنوز أو منها ومن الاموات ويعتبر الوقت عندا وقيل يحتمل أن يكون اخراج الموتى كالكنوز عند النفخة الاولى واحيائها في النفخة الثانية وتكون على وجه الارض بين النفختين وأنت تعلم انه خلاف ما دل عليه النصوص وقيل انها تزلزل عند النفخة الاولى فتخرج كنوزها وتزلزل عند الثانية فتخرج موتاها وأريد هنا بوقت الزلزال مبدأ الوقتين والقصر بعضهم على تفسير الاثقال بالكنوز مع تمسكون المراد بالوقت وقت النفخة الثانية وقال تخرج الارض كنوزها يوم القيامة ليراها أهل الموقف فيتحسر العصاة اذا نظروا اليها حيث عصوا الله تعالى فيها ثم تركوها لاتفي عنهم شيئا وفي الحديث تلقي الارض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوانات من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا وقيل ان ذلك الكنوز بها جاء الذين كنزوا وجنوه وظهورهم وأيا ما كان فالاثقال جمع ثقل بالتحريك وهو على ما في القاموس متاع المسافر وقل نفيس مصون وتجوز به ههنا على سبيل الاستعارة عن الثاني ويجوز أن يكون جمع ثقل بكسر فسكون بمعنى حمل البطن على التشبيه والاستعارة أيضا كما قال الشريف المرتضى في الغرر وأشار الى أنه لا يطابق على ما ذكر الا بطريق الاستعارة ومنهم من فسر الاثقال ههنا بالاسرار وهو مع مخالفته لما ثور بعيد واظهار الارض في موقف الاشهاد لزيادة التقرير وقيل للايذان الى تبديل الارض غير الارض أو لان اخراج الارض حال بعض أجزائها والظاهر ان اخراجها ذلك مسبب عن الزلزال كما ينقض البناء البخرج ما فيه من الصلب ونحوه واذا اختيرت الواو على العاد تفويضا لذهن السامع اذا قيل وامل الظاهر اذ لم ترد السببية والسببية بليغ كرقل عاذكر من الحوادث من غير تعرض للسببية منها على الآخر ﴿ وَقَالَ الْإِنْسَانُ ﴾ أي كل فرد من أفراد الانسان لما يبرهم من الطامة الكبرى وبدهيم من الداهية العظمى ﴿ مَا لَهَا ﴾ تزلزلت هذه الزلزلة من الزلزال وأخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهدوه من الامر الهائل وقد سيرت الجبال في الجو وصيرت هباء وذهب غير واحد الى ان المراد بالانسان الكافر غير المؤمن بالبعث والاظهر هو الاول على أن المؤمن يقول ذلك بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ بدل من اذا وقوله تعالى ﴿ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ أي الارض واحتمال كون الفاعل المخاطب كما زعم العارس لا وجه له عامل فيها وقيل العامل مضمر يدل عليه مضمون الجملة بعد والتقدير يصدرون اذا زلزلت ويومئذ متعلق

Marfat.com

يتحدث واذا عليه لمجرد الظرفية وقيل هي نصب على المفعولية لاذكر محذوفا أي اذكر ذلك الوقت فليست ظرفية ولا شرطية لوجوب ان تكون شرطية منصوب بجواب مقدر أي يكون مالا يدرك كنهه أو نحوه والمراد بوم القيامة اذ زلزلت الظاهر وأخرجت أثقالها وقال الانسان ما لها تحدث الخلق ما عندها من الاخبار وذلك بان يخلق الله تعالى فيها حياة وعلما وتتكلم حقيقة تشهد بما عمل عليها من طاعة أو معصية وهو قول ابن مسعود والثوري وغيرهما ويشهد له الحديث الحسن الصحيح الغريب أخرج الامام أحمد والترمذي عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها ثم قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها ان تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا فهذه اخبارها والباء في قوله تعالى ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ للسببية أي تحدث بسبب ايحاء ربك لها وأمره سبحانه إياها بالتحديث واللام بمعنى الى أي أوحى اليها لان المعروف تعدي الوحي بها كقوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل) لكن قد يتعدى باللام كما في قول الحجاج يصف الارض أوحى لها القرار فاستقرت ٥ وتعديها بالراسبات الثبت والمعنى اختيارها لاعانة الفواصل ويجوز أن تكون اللام للتعليل أو للتعدية لان الارض تحدث بتسبيل الصلاة يحمل لها التعديث منزلة مضمنها بامر يذكر قبله كالتحديث والوحي اليه هي أخبار الوحي يحتمل ان يكون وحي الهام وان يكون وحي ارسال بان يرسل سبحانه اليها رسولا من الملائكة بذلك وقال الطيبي وقوم التحديث استعارة أو مجاز مرسل لمطلق دلالة حالها والايجاد احداث ما تدل به فيحدث مزيد بل فيها من الاحوال ما يكون به دلالة تقوم مقام التحديث بالكلام حتى ينظر من يقول مالها الى ثلك الاحوال فيدل ولا زلزلت ولا قطعت الامواج وان هذا ما كانت الانبياء عليهم السلام ينذرونه ويحذرون منه وما يعلم هو أخبارها وقيل الايجاد على تقدير كون التحديث حقيقيا أيضا مجاز عن أحداث حالة ينطقها سبحانه بها كايجاد الحياة وقوة التكلم والاخبار على ما سمعت آنفا وقال يحيى بن سلام تحدث بما أخرجت من أثقالها ويشهد له ما في حديث ابن ماجه في سننه تقول الارض يوم القيامة لرب هذا ما استودعتني وعن ابن مسعود تحدث يوم الساعة اذا قال الانسان مالها فتخبر أن أمر الدنيا قد انقضى وأمر الآخرة قد أتى فيكون ذلك جوابا لهم عند سؤالهم وقال الزمخشري يجوز أن يكون المعنى تحدث تحديث أن ربك أوحى لها أخبارها على أن تحديثها بان ربك أوحى لها تحديث باخبارها كما تقول نصحتني في نصيحة بان نصحتني في الدين فاخبارها عليه هو أن ربك أوحى لها والباء تجريدية مثلها في قولك اتيت فلانا الئيم به رجلا متناهيا في الشر وكان الظاهر تحدث بخبرها بالافراد وكذا على ما قبله من الوجهين لكن جمع للمبالغة كما يشير اليه القال ونحوه قول الشاعر

فاتاني حسكال التي يزبارة ٥ كانت عقالة كخفاش طائر

فلو استطعت حلت على الدهر(١) ٥ لتطول ليلتنا سواد الناظر

ولا يخفى بعده وبالغ أبو حيان في رد ما قبله فقال هو مذهب يترفع القرآن عنه وأبعد الفرس من مهملة وقوله من سجية ما يليق بالانس الكناسة وهي كما استعمال ذلك عوام أهل الغرب وليس كما قال ويجوز أيضا أن يكون بان ربك بالغ به الامر أخبارها كالتقول بومئذ تحدث بان ربك أوحى لها الا ترى قول حدث كذا وحدث بكذا فيصح إبدال بان بالغ من أخبارها وان أحدهما مجرور والآخر منصوب لا يضر لما في بعض الاشياء الا ترى ان ذلك في الامتناع كالاعي حيان كما استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم على اذ نسبته باختيار فوطيها استغفرت من الذنب الان

(١) قوله فلو الخ كذا في النسخ ولا يخفى على من له المام بالعصر ما فيه اه

البدل هو المقصود فهو في قوة عامل آخر بخلاف التأكيد ثم هو أيضا خلاف الظاهر ويبعد في ذلك الاطلاق أن لا يدل على المأثور لاسيما اذا صح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل هنا بحث وهو أنهم اختلفوا في نحو حدثت هل هو منصب على مفعول واحد أو إلى أكثر فذهب الزمخشري وغيره ونقل عن سيبويه الى الثاني وهو متجه ملحق بافعال القلوب فينصب مفعولين كحدثت زيداً الخبر أو لا فلا كحدثت عمرا قائما فاخبارها عليه هو المفعول الثاني والمفعول الاول محذوف كما أشرنا اليه ولم يذكر لانه لا يتعلق بذكره غرض اذ الغرض تهويل اليوم وانه مما ينطق فيه الجماد بقطع النظر عن الحدث كائنا من كان وقال الشيخ ابن الحاجب اتفاقهم منصب لواحد وما جاء بعده لتبين المفعول المطلق فمبرا قائما في حدثت زيدا عمرا قائما منصوب لوقوعه موقع المصدر لانكونه مفعولا ثانيا وثالثا ولا يقال كيف يصح أن يقع مالبس بفعل في المعنى أعني عمرا قائما مصدرا لانه لم يكن مصدرا باعتبار كونه عمرا قائما ولكن باعتبار كونه حديثا مخصوصا فالوجه الذي صحح الاخبار به عن الحديث اذا قلت حديث زيد عمرو قائم هو الذي صحح وقوعه مصدراً باعتبارها عليه في موقع المفعول والمفعول به محذوف لما تقدم بل قال بعضهم انك اذا قلت حدثت حديثا أو خبرا فلا نزاع في انه مفعول مطلق والظاهر أن الاخبار في زعمه كذلك ويعقب ذلك في الكشف بأن ما ذكره الشيخ غير مسلم فانه لم يفرق بين التحديث والحديث والاول هو المفعول المطلق كيف وهو يجر بالباء فتقول حدثته الخبر وبالخبر ومعلوم أن ما دخل عليه الباء لا يجوز أن يكون مفعولا مطلقا وقد يقال لعل الشيخ لم يفرق في حيز المنع وكيف يتفق مثل ذلك على مثله لكنه قائل بأن أثر المصدر مستفاد من مصدر مذكور كما سمعته آنفا في نحو ضربته سوطا وامل ما قررناه في غير ما دخلت الباء وقال الطيبي يمكن أن يقال ان حدث واخواتها متعديات الى مفعول واحد حقيقة وجعلها متعديات الى ثلاثة أو الى اثنين تجوز أو تضمين لمعنى الاعلام والتأنيس له بكلام نقله عن الفصل وكلام نقله عن صاحب الافليد فتأمل وقرأ ابن مسعود نبئي بأخبارها وسعيد بن جبير نبئي بالتخفيف ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي يوم اذ ماذكر وهو يقع ظرف لقوله تعالى ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ يخرجون من قبورهم مسرعين دفقوا فيها الى موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه قرنين وزرقا كبين وماشين ومقيدين بالسلاسل وغير مقيدين وعن بعض السلف متفرقين الى سعيد وأسعد وشقي وأشقى وقيل إلى مؤمن وكافر وعن ابن عباس أهل الايمان على حدة وأهل كل دين على حدة ويجوز أن يكون المراد كل واحد وحده لا ناصر له ولا عاضد كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى وقيل متفرقين بحسب الاقطار ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ أي ليبصروا جزاء أعمالهم خيرا كان أو شرا فالرؤية بصرية والكلام على حذف مضاف أو على انه يجوز بالاعمال عما يترتب عليها من الجزاء وقدر بعضهم كتب أو صحائف وقال آخر لا حاجة إلى التأويل والاعمال تجسم نورانية وظلمانية بل يجوز رؤيتها مع عرضيتها وهو كما ترى وقيل المراد ليعرفوا أعمالهم ويوقفوا عليها تفصيلا عند الحساب فلا يحتاج الى ماذكر أيضا وقال القاضي الصدور مقابل الورود فيردون الحشر ويصدرون منه متفرقين فقوم الى الجنة وقوم الى النار ليروا جزاء أعمالهم من الجنة والنار وليس بخال وأما كان فقوله تعالى ليروا متعلق بيصدر وقيل هو متعلق بأوحى لها ومايليها اعتراض وقرأ الحسن والاعرج وقتادة وحماد بن سلمة والزهري وأبو حيوة وعيسى ونافع في رواية ليروا بفتح الياء وقوله تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ تفصيل ليروا والذرة نملة صغيرة حمراء رقيقة ويقال انها تجري اذا مشى لها حول وهي على في الذة

Marfat.com

قال امرؤ القيس

من القاصرات الطرف لو دب محول ✻ من الذر فوق الاتب منها لاثرا

وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء وأخرج هناد عن ابن عباس لتأخذ كل بدة في التراب تبر فواتها تنفع فيها وقال كل واحدة من هؤلاء لاستقلال ذرة وانتصاب خيرا وشرا على التمييز لان مثقال ذرة مقدار وقيل على البدلية من مثقال والظاهر أن من في الموضعين عامة للمؤمن والكافر وان المراد من رؤية ما يعادل مثقال ذرة من خير أو شر مشاهدة جزائه بان يحصل له ذلك واستشكل بان ذلك يقتضي اثابة الكافر بحسناته وما يقابلها من الخير مع أنهم قالوا أعمال الكفرة محبطة وادعى في شرح المقاصد الاجماع على ذلك ليس وقد قال سبحانه وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال عز وجل أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وقال تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد الآية وكون خيرهم الذي يرونه تخفيف العذاب يدفعه قوله تعالى فلا يخفف عنهم العذاب وقوله سبحانه زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويقتضي أيضا عقاب المؤمن بصغائره اذا اجتنب الكبائر مع أنهم قالوا انها مكفرة حينئذ لقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وقول ابن الزبير ان الاجتناب لا يوجب التكفير عند الجماعة بل التوبة أو مشيئة الله تعالى ليس بشيء لان التوبة والاجتناب سواء في حكم النص ومشيئة الله تعالى هي السبب الأصيل فالتزم بعضهم كون المراد بمن الأولى السعداء وبمن الثانية الاشقياء بناء على ان في يعمل لمع تفصيل ليصدر الناس أشتاتا وكان مفسرا بما حاصله فريق في الجنة وفريق في السعير فالمناسب أن يرجع كل فقرة الى فقرة التفاتا في الفصل الجمل والاظهر قوله سبحانه فمن يعمل ومن يعمل بتكرير أداة الشرط يقتضي التباين بين العاملين وقال آخرون بالعموم الا ان منهم من قال في الكلام قيد مقدر تراه الطيوره والمسيء من آيات أخر فالتقدير فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ان لم يحبطه ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ان لم يكفر ومنهم من جعل الرؤية أعم مما تكون في الدنيا وما تكون في الآخرة فالكافر يرى جزاء خيره في الدنيا وجزاء شره في الآخرة والمؤمن يرى جزاء شره في الدنيا وجزاء خيره في الآخرة فقد روى البغوي وابن جرير وابن المنذر وغيرهم عن محمد بن كعب القرظي انه قال فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو مؤمن فيرى ثوابه ذلك في الدنيا في نفسه وأهله وماله حتى يلقى الآخرة وليس له فيها خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر وهو مؤمن فيرى وبال ذلك في الدنيا في نفسه وأهله وماله حتى يلقى الآخرة وليس عليه فيها شر وأخرج العابراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وابن أبي حاتم وجماعة من اسن قال ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يا نبي مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ نزلت عليه فمن يعمل مثقال ذرة الآية فرفع أبو بكر يده وقال يا نبي الله وانا لنؤاخذ من مثقال ذرة من شر فقال عليه الصلاة والسلام يا أبا بكر ألست ترى في الدنيا ما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة وفي رواية ابن مردويه عن أبي أيوب انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له اذ رفع يده من عمل منكم خيرا جزاه في الآخرة ومن عمل منكم شرا يره في الدنيا مصيبات وأمراضا ومن يكن فيه مثقال ذرة من خير دخل الجنة ومنهم من قال المراد من رؤية ما يعادل مثقال ذر الخير والشر مشاهدة نفسه عن غير أن يتبين معه الجزاء ولا عدمه بل يخوض كل منهما الى سائر الدلائل الباطنة بخلو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر وثالثه بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه وبه يندفع ما أخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث عن ابن عباس من قوله في الآية ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا وشرا في

Marfat.com

فنيا الا أراد الله تعالى ايذاءه فاما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر له من سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيريه حسناته وسيئاته فيرد حسناته ويعذبه بسيئاته وأختار هذا الطيبي قال انه يساعده النظم والمعنى والاسلوب أما النظم فان قوله تعالى فمن يعمل الخ تفصيل لما عقب به من قوله سبحانه يصدر الناس اشتاتا ليروا أعمالهم فيجب التوافق والاعمال جمع مضاف يفيد العموم والاستغراق ويصدر الناس مفيد بقوله عز وجل اشتاتا فيفيد أنهم على طرائق شتى للنزول في منازلهم من الجنة والنار بحسب أعمالهم المختلفة ومن ثم كانت الجنة ذات درجات والنار ذات دركات وأما المعنى فانها وردت لبيان الاستقصاء في عرض الاعمال والجزاء عليها كقوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وأما الاسلوب فانها من الجوامع الحاوية لفوائد الدين أصلا وفرعا روينا عن البخاري ومسلم عن أبي هريرة سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الحمر أي عن صدقتها قال لم ينزل علي فيها شيء الا هذه الآية الجامعة الفاذة أي المتفردة في معناها فللها عليه الصلاة والسلام وروى الامام أحمد عن صخصعة بن معاوية عم الفرزدق انه أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ عليه الآية فقال حسبي لا أبالي ان لا أسمع من القرآن غيرها الحديث وأقول الظاهر عموم من وكون الترادفية للجزاء كما تقدم وكذا الظاهر كون ذلك في الآخرة ولا اشكال وذلك لان الفقرة الأولى وعد والثانية وعيد وهذا ان الوعد لازم الوقوع تفضلا وكرما والوعيد ليس كذلك فيفوض أمر الدر في الثانية على الدلائل وهي ناطقة بانه ان كان كفرا الا يغفر وان كان صغيرة من مؤمن اجتنب الكبائر يكفر وان كان كبيرة من مؤمن أو صغيرة منه وهو غير اجتنب الكبائر فتحت المشيئة وعذرا أنس وأبي أيوب السابقان الا بأيمان ذلك بعد التامل ولا يبعد فيما أرى أن يكون ماعدا الكفر من الكافر كذلك وأما أمر الخبر فباق على مايقتضيه الظاهر وهو بالنسبة الى المؤمن ظاهر واما بالنسبة الى الكافر فتخفيف العذاب للاحاديث الصحيحة فقد ورد ان عمانا يخفف الله تعالى عنه لكرمه وان أبا لهب كذلك السرور بولادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واعتاقه لجاريته ثويبة حين بشرته بذلك والحديث في تخفيف عذاب أبي طالب مشهور ومايدل على عدم تخفيف العذاب فالعذاب فيه محمول على عذاب الكفر حسب مراتبه فهو الذي لايخفف والعذاب الذي دلت الاخبار على تخفيفه غير ذلك ومعنى احباط اعمال الكفار انها لاتنجيهم من العذاب المقدر كاعمال غيرهم وهو معنى كونها سرابا وهباء ودعوى الاجماع على احباطها بالكلية غير ثابتة ومع المخالفون بالتكاليف في المأمورات والمنهيات اتفاقا والخلاف انما هو في خطابهم في غيرها من الفروع ولا شك انه لامعنى لخطاب بها الاعقاب تاركها وثواب فاعلها وأنه التخفيف والى هذا ذهب العلامة شهاب الدين الخفاجي عليه الرحمة ثم قال وما في البصيرة وشرح الفارق وتفسير النقلي من أن أعمال الكفرة الحسنة التي لايشترط فيها الايمان كانجاد الغريق واطفاء الحريق واطعام ابن السبيل يجزون عليها في الدنيا ولا تدخر لهم في الآخرة كالمؤمنين بالاجماع المصرح به في الاحاديث فان عمل أحدهم في كفره حسنات ثم أسلم اختلف فيه هل يثاب عليها في الآخرة أولا بناء على أن اشتراط الايمان في الاعتداد بالاعمال وعدم احباطها هل هو بمعنى وجوده الايمان عند العمل أو وجوده ولو بعد الموت صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث أسلمت على ماسلف لك من خير غير مسلم ودعوى الاجماع فيه غير صحيحة الان كون وقوع جزائهم في الدنيا دون الآخرة كالمؤمنين مذهب البعض وذهب آخرون الى الجزاء بالتخفيف وقال الكرماني ان التخفيف واقع لكنه ليس بسبب عملهم بل لامر آخر كشفاعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودرجاته ومنه مايكون

Marfat.com

لابي لهب كما قال الزركشي انتهى والقاضي ان يقول ان الحفاظة من آثار عمل المتفوع الخير أيضا فتأمل وسبب نزول الآية على ما أخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير أنه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه كان المسلمون يرون انهم لا يؤجرون على الشيء القليل اذا أعطوه فيجيء السكين الى أبوابهم فيستقلون ان يعطوه التمرة والبسرة فيردونه ويقولون ماعندنا بشيء لما نؤجر على ماتعطي ولعل نحبه وكان آخرون يرون انهم لا يلامون على الذنب اليسير الكذبة والنظرة والقبلة وأشباه ذلك ويقولون انما وعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت الآية ترغيبهم في القليل من الخير ان يعملوه وتحذيرهم اليسير من الشر أن يعملوه وفيها من دلالة الخطاب مالا يخفى وقد كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يعدها يتصدقون بما قل وكثر فقد روى ان عائشة رضي الله تعالى عنها بعثت الينا ابن الزبير بمائة ألف وثمانين ألف درهم في غرارتين فدعت بطبق وجعلت تقسمها بين الناس فلما أمست قالت لجاريتها هلمي وكانت صائمة فجاءت بخبز وزيت فقالت ما أمسكت لنا درهما تشتري به لحما تفطر عليه فقالت لو ذكرتيني لفعلت وجاء في عدة روايات انها أعطت سائلا يوما حبة من عنب فقيل لها في ذلك فقالت هذه أثقل من ذر كثير ثم قرأت الآية وروى نحو هذا عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك رضي الله تعالى عنهم وكان غرضهم تعليم الناس انه لا يأس بالتصدق بالقليل وعلم بذلك أسوة برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد أخرج الزجاجي في أماليه عن أنس بن مالك أن سائلا أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاعطاه تمرة فقال السائل نبي من الأنبياء بالتصدق بتمرة فقال عليه الصلاة والسلام أما علمت فيها مثاقيل ذر كثيرة وجاء انه عليه الصلاة والسلام قال اتقوا النار ولو بشق تمرة ثم قرأ الآية وتقديم عمل الخير لانه أشرف القسمين والمقصود بالاصالة لا يخفى حسن موقعه ويعلم منه ان هذا الاحصاء لا ينافي كرمه عز وجل المطلق وما يحكى من ان اعرابيا أخر خيراً يريد فقيل له قدمت وأخرت فقال

هذا بطن هرشى أو قفاها فانه ✽ كلا جانبي هرشى لهن طريق

فغفلة عن الخاتمة القرآنية أولته أراد انه يتساوى السائل الآيس وغيره وأولى أحرى لان القراءة به جائزة وقرأ الحسن ابن علي على جده وعليهما الصلاة والسلام وابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعبد الله بن مسلم وزيد بن علي وأبو حيوة والكلبي وخليد بن نشيط وأبان عن عاصم والكسائي في رواية حميد بن الربيع عنه يره بضم الياء في الوضعين وقرأ هشام وأبو بكر يره بسكون الهاء فيهما وأبو عمرو بضمها مشبعة وباقي السبعة بالاشباع في الاول والسكون في الثاني والاسكان في الوصل لغة حكاها الاخفش ولم يحكها سيبويه وحكاها الكسائي أيضاً عن بني كلاب وبني عقيل وقرأ عكرمة يراه بالالف فيهما وذلك على لغة من يرى الجزم بحذف الحركة المقدرة على حرف العلة كما حكى الاخفش أولعل مايقال في غير القرآن من لوم ان من موصولة لاشرطية كما قيل في قوله تعالى انه من يتق ويصبر في قراءة من أثبت يا يتق وجزم يصبر وجوز ان تكون الالف الاشباع والوجه الاول أولى والله تعالى أعلم

سورة العاديات

مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء مدنية في قول أنس وقتادة واحدى الروايتين عن ابن عباس وقد أخرج عنه البزار وابن المنذر وابن ابي حاتم والدارقطني في الافراد وابن مردويه انه قال بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خيلا فاستشرت شهراً لا يأتيه منها خبر فنزلت والعاديات الخ

Marfat.com

وآيها احدى عشرة آية بلا خلاف وأخرج أبو عبيد في فضائله من مرسل الحسن انها تعدل بنصف القرآن وأخرج ذلك محمد بن نصر من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس مرفوعا ولم اقف على سنده ولما ذكر سبحانه فيما قبلها الجزاء على الخير والشر أتبع ذلك فيما يشتبه من آثار دنياه على آخرته ولم يستند لما يفعل الخير ولا يخفى مافي قوله تعالى هناك وأخرجت الأرض أثقالها وقوله سبحانه هنا اذا بعثر مافي القبور من المناسبة والعلاقة على ماسمعت من أن المراد بالاثقال مافي جوفها من الأموات أو مايسهم والكنوز

(بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات) الجمهور على انه قسم بخيل الغزاة في سبيل الله تعالى التي تعدو أي تجري بسرعة نحو العدو واصل العاديات العادوات بالواو فقلت باء لانكسار ماقبلها وقوله تعالى (ضبحا) مصدر منصوب بفعله المحذوف أي تضبح أو يضبحن ضبحا والضبح موضح الخيل وضبحها صوت انفاسها عند عدوها وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس الخيل اذا عدت قالت اح اح فذلك ضبحها وأخرج ابن جرير من طريق أبي صالح عنه الضبح من الخيل الجحمحة ومن الابل النفس وفي البحر لصوت جوفها عند العدو الشديد ليس بصهيل ولا رغاء ولا نباح بل هو غير الصوت المعتاد من صوت الحيوان الذي ينسب هو اليه وعن ابن عباس ليس يضبح من الحيوان غير الخيل والكلاب ولا يصح عنه فان العرب استعملت الضبح في الابل والاسود من الحيات والبوم والارنب والثعلب وربما نسبه الى الفوس أنشد أبو حنيفة في صفتها

حنانة من نعم أو آل * تضبح في الكف ضباح الثعلب

وذكر بعضهم ان أصله للثعلب فاستعير للخيل كما في قول عنترة

والخيل تكدح حين تعد * بح في حياض الموت ضبحا

وانه من ضبحته النار غيرت لونه ولم تبالغ فيه ويقال الضبح لونه تغير الى السواد قليلا وقال أبو عبيدة الضبح وكدا الضبح يعني العدو الشديد وعليه قيل انه مفعول مطلق للعاديات وليس هناك فعل مقدر وجوز على تفسيره بما تقدم أن يكون نصبا على المصدرية به أيضا لكن باعتبار ان العدو مستلزم للضبح فهو في قوة فعل الضبح ويجوز أن يكون نصبا على الحال مؤولا باسم الفاعل بناء على ان الأصل فيها أن تكون غير جامدة أي والعاديات ضابحات (فالموريات قدحا) الايراء اخراج النار والقدح هو الضرب والصك المعروف يقال قدح فاورى اذا أخرج النار وقدح فاصلد اذا قدح ولم يخرجها والراد بها الخيل أيضا أي فالتي توري النار من صدم حوافرها الحجارة وتسمى تلك النار نار الحباحب وهو اسم رجل بخيل كان لا يوقد الا نارا ضئيلة لئلا يضيفه المضيفان فضربوا بها المثل حتى قالوا ذلك لما تقدحه الخيل بحوافرها والابل باخفافها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على ما تقدم وجوز كونه على التمييز المحول عن الفاعل أي فالوري قدحها وأبعد من القدح وعن قتادة الموريات مجاز في الخيل توري نار الحرب وتوقدها وهو خلاف الظاهر (فالمغيرات) من أغار على العدو اذا هجم عليه بغتة يخيله اليهم أو فعل أو أمر فالاغارة سمة أصحاب الخيل واستدعاؤها لها بالتجوز فيه أو بتقدير المضاف والاصل فالمغير أصحابها أي فالتي يغير أصحابها العدو عليها وقيل بسببها (صبحا) أي في وقت الصبح فهو نصب على الظرفية وذلك هو المعتاد في الغارات كانوا يبعثون ليلا لئلا يفتضح بهم العدو ويهجمون صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وكانوا يتحسنون بذلك ومنه قوله

Marfat.com

قوله(١) الذين صبحوا الصباحا ✲ يوم النخيل غارة ملحاحا

(فَأَثَرْنَ بِهِ) من الاثارة وهي التهييج وتحريك الغبار ونحوه والاصل أثورن نقلت حركة الواو الى ماقبلها وقلبت ألفا وحذفت لاجتماع الساكنين والفعل معطف على الاسم قبله وهو العاديات أو مابعده لانه اسم فاعل وهو في معنى الفعل خصوصا اذا وقع صلة كما هنا فهو في قوة والذي عدون فأورين فاثرن ولاشك ان في متلو الان الفعل تابع فلا يزيد دخول أل عليه ولا حاجة الى أن يقال هو معطوف على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه والحكمة في مجيء هذا فعلا بعد اسم فاعل على ما قال ابن المنير تصوير هذه الافعال في النفس فان التصوير يحصل بايراد الفعل بعد الاسم لما بينهما من التخالف وهو أبلغ من التصوير بالانباء للمناسبة وكذلك التصوير بالمضارع بعد المضارع كقول ابن معد يكرب

باتي قد لقيت الهول يهوي ✲ بشهب كالصحيفة صحصحان

فأحشد فأضربه فخرت ✲ صريعا لليدين وللجران

ولخص هنا الفائدة من مقال الطيبي ان الخيل وصفت بالاوصاف الثلاثة لترتب عليها ما قصد من الظفر بالفتح فجيء بهذا الفعل الماضي وما بعده مسببين عن اسماء الفاعلين فأفاد ذلك ان تلك الصفات أثمرت هاتين البغيتين ويفهم منه ان الفاء لتفريع ما بعدها عما قبلها وجعله مسببا عنه وسيأتي الكلام فيها قريبا ان شاء الله تعالى وضمير به للصبح والباء ظرفية أي فهيجن في ذلك الوقت (نَقْعًا) أي غبارا وخصص الاثارة بالصبح لانه لايثور أولا يظهر ثورانه بالليل وبهذا يظهر ان الايراد الذي لايظهر في النهار واقع في الليل وفي ذكر اثارة الغبار اشارة بلا غبار الى شدة العدو وكثرة الكر والفر وكثيرا مايشيرون به الى ذلك ومنه قول ابن رواحة

عدمت بنيتي ان لم تروها ✲ نثير النقع من كنفي كداء

وقال أبو عبيدة النقع رفع الصوت ومنه قول لبيد

فتى يقع صراخ صادقي ✲ يطلبوه ذات حرس وزجل

وقول عمر رضي الله تعالى عنه وقد قيل له يوم توفي خالد بن الوليد ان النساء قد اجتمعن يبكين على خالد ما على نساء بني المغيرة ان يسفكن على أبي سليمان دموعهن وعن جلوس الباكي نقع والالتفات الذي عليه فهيجن في ذلك الوقت صباحا وهو صباح من أيام عليه واقع بالذكور الذي الاول وجوز كون ضميره للعدو الدال عليه العاديات أو للاغارة الدال عليها الغيرات والتذكير لتأويلها بالجري ونحوه والباء للسببية أو للملابسة وجوز كونها ظرفية أيضا والضمير للمكان الدال عليه السياق والاول أظهر والعطف ومتعلق الضمير بدا في قوله عز وجل (فَوَسَطْنَ) (بِهِ) أي فتوسطن في ذلك الوقت (جَمْعًا) من جموع الاعداء وجوز فيه وفي باله نحو ما تقدم في به قبله وجوز أيضا كون الضمير للنقع والباء للملابسة أي فتوسطن ملتبسات بالنقع جمعا أو عن على ما قيل للمصدية ان أريد بها ومعلت الغبار والغارات كما في الارشاد للدلالة على ترتيب ما بعد كل منها على مالبله فتوسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الايراد المترتب على العدو وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة فاثرن وفوسطن بتشديد الثاء والسين وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه وزيد بن علي وقتادة وابن أبي ليلى الاولى بالجمهور والثاني كذلك والغي على تشديد الاول فاظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار وعلى تشديد الثاني على نحو ماتقدم فقد تقرر ان التوسط اختلفوا متلازما بمعنى واحد وانهما تعاقبا على الغي فيزيد به جمعا أي

(١) قوله قوله الخ المشهور نحن قائلون اه منه

جهته

Marfat.com

جملته تطير من أي قسم وشقين وقال الزمخشري الشد بدفيه للتعدية والباء مزيدة فانه يقال في قوله تعالى وأتوا به في قراءة وهي مبالغة في وسطن ويجوز أن يكون قلب ثورن الى وترن ثم قلبت الواو همزة فالتقى على ماضي وهو تحمل مستقى منه ومن السدي ومحمد بن كعب وعبيد بن عمير أنهم قالوا العاديات هي الابل تعدو ضبحا من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى ولسب الى علي كرم الله تعالى وجهه فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الانباري في كتاب الاضداد وابن مردويه والحاكم وصححه عن ابن عباس قال بينا أنا في الحجر جالس اذ أتاني رجل فسألني عن العاديات ضبحا فقلت الخيل حين تغير في سبيل الله تعالى ثم تأوي الى الليل فيصنعون طعامهم ويوقدون نارهم فانطلق حتى فذهب الى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وهو جالس تحت سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضبحا فقال سألت عنها أحدا قبلي قال نعم سألت عنها ابن عباس فقال هي الخيل حين تغير في سبيل الله تعالى فقال اذهب فادعه لي فلما وقفت على رأسه قال نفثي الناس عما الا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام لبدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد ابن الاسود فكيف تكون العاديات ضبحا انما العاديات ضبحا الابل تعدو من عرفات الى المزدلفة فاذا أوو الى المزدلفة أوروا النيران والمغيرات صبحا من المزدلفة الى منى فذلك جمع وأما قوله تعالى فاثرن به نقعا فهو نقع الارض حين تطؤها بخفافها قال ابن عباس فنزعت عن قولي الى قول علي كرم الله تعالى وجهه ورضي الله تعالى عنه واستدلال رده كرم الله تعالى وجهه كون المراد بها الخيل بما كان من أمر غزوة بدر بان ابن عباس لم يدع أن ألـ في العاديات للعهد وأنها اشارة الى عاديات بدر ولا أن السورة نزلت في شأن تلك الغزوة ليلزم تحقق ذلك فيها ودخولها تحت العموم بل ظاهر كلامه حمل ذلك على جنس الخيل التي تعدو في سبيل الله عز وجل وان حملت على العهد وقيل ان المعهود هو الخيل التي بعثها عليه الصلاة والسلام للغزو فلما سمعت صدر السورة وكذا على ما روي من أنه عليه الصلاة والسلام بعث الى أناس من بني كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصاري وكان أحد النقباء فابطأ عليه صلى الله تعالى عليه وسلم خبرها فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا له عليه الصلاة والسلام بسلامتها وبشارة له صلى الله تعالى عليه وسلم باغارتها على القوم لم يبعد وأجيب بانه كرم الله تعالى وجهه أراد أن غزوة بدر هي أفضل غزوات الاسلام وبدرها الذي التبس فيه الظلام فيتعين ان لا تكون المراد ذلك ويبقى في الآية ما يناسبها من المعاني ولا يخفى ان هذا الجواب لا يحتمل ازيد ضعفه الاشارة عليه والطلاق أحمة عاديات الافكار اليه والاحرى ان الخبر لا صحة له وتصحيح الحاكم عليه عند أهل الاثر بكثرة التساهل فيه وانه غير مثير ثم ان النقل عنه رضي الله تعالى عنه في المراد بالعاديات متعارض فما تقدم انه ابل الحجاج ونقل صاحب الكشاف انه كرم الله تعالى وجهه فسرها بابل بدر وان ابن مسعود هو الذي فسرها بابل الحجاج ويرجح ارادة الخيل ان الاثارة النقع فيما أظهر منها في الابل ثم ان ذلك الخبر يقتضي أن القسم يتناول الخيل والابل وجماعة الغزاة أو الحجاج الموقدة نارا لطاعتها أو نحوه وفي بعض الآثار عن ابن عباس ما هو أصرح مما تقدم في تفسير الوريات بما يناير العاديات بالذات في البحر عنه انها الجماعة التي تورى نارها بالليل لطاعتها وطاعتها وفي رواية أخرى منه انها جماعة الغزاة تكثر النار ارهابا ورويت الغايرة عن أخرين أيضا عن مجاهد وزيد بن أسلم وهو رواية أخرى عن ابن عباس هي الجماعة تكر في الحرب فالضرب تقول اذا أرادت الكر بالرجل والله لاورين به ومن الغريب ما روي عن عكرمة أنها أنثة الرجال نورى النار من عظم ما يتكلم به ويظهر من الحجج والدلائل واظهار الحق وابطال الباطل وهو كما ترى ومن البعيد والاشارات ان

Marfat.com

يكون القسم به القوى العاقلة اذ بالعقل الموريات بالاخبار عن أنوار المعارف والخيرات على الهوى والعادات اذا ظهر فان مثل أنوار القدسي قارن به شوقا فوسطن بذلك النوق جمعا من جموع الطيرين وبكل ما قيل ان ذلك قسم بالهمم العالية التي تعدو في سبيل الله تعالى خارجا من جوف انفاسها صوت الدعاء من شدة العدو وغاية الشوق بحيث يسمع الروحانيون ضجيج دعائها وتضرعها والحاسبا تسوق سواك الطريق الوعر الذي يشاق بجبال القالب الموريات بحوافر الفكر نار الهداية المستكنة في حجر القالب وقت تخطير القاطعة والخيرات بعد سلوكها في جبال القالب الراسية في ظلام الليل القابي وعبورها عنها الى أفق عالم النفس وتنفس صبح النفس على الخواطر النفسية وشؤن القريحة بذلك الجري غبار الخواطر وأثرنه اثارا يخترق خاطر من الخواطر فوسطن بذلك جمعا من جنود القوى العقلية وحزب الخواطر الفكرية التي هي حزب الرحمن فوسط عالم النفس وهم في هذا الباب غير ذلك وإياما كان فالقسم عليه قوله تعالى ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ أي الكفور جحودمن كند الناقة اذا قرها وإذ كرها وأنشدوا

كنود لنهاب الرجال ومن يكن ... كنودا لنهاب الرجال يبعد

وعن ابن عباس ومقاتل الكنود بلسان كندة وحضر موت العاصي وبلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان كنانة البخيل السيء الملكة ومنه الارض الكنود التي لا تنبت شيئا وقال الكلبي لغوه الا أنه قال وبلسان بني مالك البطيء ولم يذكر حضر موت بل اقتصر على كندة وتفسيره بالكفور هنا مروي عن ابن عباس والحسن وأخرجه ابن عساكر عن أبي امامة مرفوعا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي رواية أخرى عن الحسن أنه قال هو اللائم لربه عز وجل يعد السيآت وينسى الحسنات وروى الطبراني وغيره بسند ضعيف عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتدرون ما الكنود قالوا الله تعالى ورسوله أعلم قال هو الكفور الذي يضرب عبده ويمنع رفده ويأكل وحده وأخرج البخاري في الادب المفرد والحكيم الترمذي وغيرهما نفسيره بالذي يمنع رفده ويمنع رفده ويأكل وحده ويضرب عبده موقوفا على أبي امامة والظهور على تفسيره بالكفور وفي ما ذكر لا يخفى لو عن كفران والكفران المبالغ فيه يجمع صفوفا منه وال في الانسان الجنس والحكم عليه بما ذكر باعتبار بعض الافراد وقيل المراد به كافر معين لما روى عن ابن عباس أنها نزلت في فرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي وأيد بقوله تعالى بعد أفلا يعلم لائه لا يليق الا بالكافر وفي الآس بن نظر وقيل المراد به كل الناس على معنى أن طبع الانسان يحمله على ذلك الا إذا عصمه الله تعالى بلطفه وتوفيقه من شاء واختاره عصام الدين وقال فيه مدح للمؤمنين لتعميم على خلاف طبعهم وارتضاه غيره بالتعليق بكنود والام غير مانعة من ذلك وقدم للفاصلة مع كونه أهم من حيث ان الكلام البالغ انما هو على كنود نعمة عز وجل وقيل للتخصيص على سبيل البلاغة ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي الانسان كما قال الحسن وعبد بن أسلم ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ أي على كنوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾ للظهور أثره عليه فالشهادة بلسان الحال الذي هو أفصح من لسان المقال وقيل هي بلسان المقال لكن في الآخرة وقيل شهيد من الشهود لا من العبادة بمعنى أنه كفور مع علمه بكفرانه وعدل النوم مع العلم به غاية الظاهر الأول وقال ابن عباس وقتادة ضمير أنه عائد على الله تعالى أي وان ربه سبحانه شاهد عليه فيكون الكلام على سبيل الوعيد واختاره الزمخشري فقال هو الأصح لان الضمير يجب عوده الى أقرب مذكور قبله وفيه ان الوجوب ممنوع والسياق الغائر وعدم تذكيرها يرجح الاول فان الضمير السابق أعني ضمير ربه للانسان ضرورة وكذا الضمير اللاحق أعني الضمير في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ أي المال

Marfat.com

وروده بهذا المعنى في القرآن كثيرا حتى زعم عكرمة أن الخير حيث وقع في القرآن هو المال وخصه بعضهم بالمال الكثير واستدل به في قوله تعالى ان ترك خيرا الوصية واطلاق كونه خيرا باعتبار ما يراه الناس والا فقد مر هو شر يوم القيامة واللام للتعليل أي أنه لأجل حب المال (لَشَدِيدٌ) أي لبخيل كما قيل وكالبخيل شديد يقال له متشدد كما في قول طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي ... عقيلة مال الفاحش المتشدد

وشديد فيه يجوز أن يكون بمعنى مفعول كأن البخيل شد من الافضال ويجوز أن يكون بمعنى فاعل لأنه شد سرته فلا يخرج منها شيئا ويجوز غير واحد ان يراد بالشديد القوي واستعماله الأظهر وكان اللام عليه بمعنى في أي وانه لقوي مبالغ في حب المال والمراد قوة حبه له وقال الزمخشري الذي وانه لحب المال وإيثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة المال وشكر نعمته سبحانه ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الأمر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا وجعل النيسابوري اللام على هذا للتعليل وليس بظاهر فتأمل وقال الفراء يجوز ان يكون المعنى وانه لحب الخير لشديد الحب بمعنى انه يحب المال ويحب كونه عبيرا الا أنه اكتفى بالحب الأول من الثاني كما قال تعالى اشتدت به الريح في يوم عاصف أي في يوم عاصف الريح فاكتفى بالأول من الثانية وقال غيره أي انه لشديد لحب الخير كأنوات انه لزيد لمضروب في انه لمضروب لزيد وظاهر تمثيل انه اعتبر حب الخير مفعولا به للشديد وان شديدا سم فاعل جيء به على قبيل المبالغة وان اللام في حب للتقوية وفيه ما فيه وقيل يجوز أن يعتبر أن شديدا صفة مشبهة كانت مضافة الى مرفوعها وحب المضاف الى الخير اضافة المصدر الى مفعوله ثم حول الاسناد وانتصب الراجع على التشبيه بالمفعول به ثم قدم وجر باللام وفيه مع قطع النظر عن الكلام أن تقدم معمول الصفة عليها لا يجوز وكونه مجرورا في مثل ذلك لا يجدي نفعا اذ ليس هو فيه نحو زيد بك فرح كما لا يخفى ويفهم من كلام الزمخشري في الكشاف جواز أن يراد بما هو عنده تعالى من العلامات على أن المعنى انه لحب الخيرات لفرس متبسط ولكنه شديد منقبض وقوله تعالى (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ) الخ تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ومفعول يعلم محذوف وهو العامل في اذا وهي ظرفية أي أيفعل مايفعل من القبائح أو ألا يعلم فلا يعلم الآن ما له اذا بعثر من في القبور من الموتى وأراد ما في كونهم اذ ذاك بمنزل من وثبة العلام وقال المولى العامل في اذا الظرفية يعلم وأورد عليه أنه لا يراد منه العلم في ذلك الوقت بل العلم في الدنيا وأجيب بأن هذا اذا يرد اذا كان ضمير يعلم راجعا الى الانسان وذلك غير لازم على هذا القول لجواز أن يرجع اليه عز وجل ويكون مفعولا يعلم محذوفا والتقدير أفلا يعلم الله تعالى عاملين عما فعلوا اذا بعثر على أن يكون العلم كناية عن الجزاء والمعنى أفلا يجازيهم الخابث ويكون الجملة المؤكدة بمحققا وتقرير الهذا المعنى وهو كما ترى وقيل ان اذا مفعول به ليعلم على معنى أفلا يعلم ذلك الوقت ويعرف تحقيقوقل ان العامل فيها بعثر بناء على أنها شرطية تصير مضافة قالوا ولا يجوز أن يعمل فيها الخبر لان مابعد إن لا يعمل فيما قبلها وأوجيه الاوجه ماقدمناه وتعدى العلم إذا كان بمعنى المعرفة لواحد شائع وتقدم تحقيق معنى البعثرة فتذكر وقرأ عبد الله بحثر بالحاء والثاء المثلثة وقرأ الاسود بن زيد بحث بهما بدون راء وقرأ نصر بن عاصم بحثر كقراءة عبد الله لكن بالبناء للفاعل (وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ) أي جمع ما في القلوب من الخزائم المضمرة وأظهر كاظهار الذهب من القشر وجعله أو ميز خيره من شره فقد استعمل حصل الذي بمعنى ميزه من غيره كما في البحر وأصل التحصيل اخراج الذهب من القشر كاخراج الذهب من معجر المعدن

Marfat.com

والبر من الثرى وتخصيص ما في القلوب لأنه الأصل لأعمال الجوارح ولما كانت الأعمال بالنيات وكان أول الفكر آخر العمل جميع ما فعل تابع له فيستدل على الجميع صرح بعلوكتابقوأ ابن يحمر ونصر بن عاصم ومحمد بن أبي معدان وحصل مبنيا للفاعل وهو ضمير عز وجل وقرأ ابن يحمر وناصر أيضا حصل مبنيا للفاعل خفيف الصاد فاعله هو الضمير ﴿إِنَّ رَبَّهُم﴾ أي المبعوثين كني عنهم بعد الاحياء الثاني بضمير الغيبة بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بالناء على تلوينهم في الحالين ﴿بِهِمْ﴾ بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم اذ يكون ما هو من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور والظرفان متعلقان بقوله تعالى ﴿لَخَبِيرٌ﴾ أي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به لا يتهيء عنه تقييده بذلك اليوم ولا فطلق عنه عز وجل بل كان وما يكون وقرأ أبو السماك والعجاج ان ربهم بهم يومئذ خبير بفتح همزة أن واسقاط لام التأكيد فان وما بعدها في تأويل مصدر معمول لبلغ على ما ستظهره بعضهم وأيد به كون بلغ معلقة عن العمل في إن ربهم الخ على قراءة الجمهور لكان اللام واذا على هذا لا يجوز تعلقها بخبير أيضا لكونه في صلة أن المصدرية فلا يتقدم معمولها عليها وسلم أمره مما تقدم وقيل الكلام على تقدير لام التعليل وهي متعلقة بحصل كأنه قيل وحصل ما في الصدور لان ربهم بهم يومئذ خبير والأول أظهر والله تعالى أعلم وأخبر

سورة القارعة

مكية بلا خلاف وآيها احدى عشرة آية في الكوفي وعشرة في الحجازي وثمان في البصري والشامي وكلماتها اثنا قبلها أظهر من أن تذكر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ الجمهور على أنها القيامة نفسها ومبدؤها النفخة الأولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق وقيل صوت النفخة وقيل الضجة في النار ذات التغيظ والزفير وليس بشيء وأيا كان فهي من القرع وهو الضرب بشدة بحيث يحصل منه صوت شديد وقد تقدم الكلام فيها وكذا ما يتعلق به اعراب ما فحصل في الكلام على قوله تعالى الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة وقرأ عيسى القارعة بالنصب وخرج على أنه باضمار فعل أي اذكر القارعة وقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ قيل أيضا منصوب باضمار اذكر كما قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتهويله عليه الصلاة والسلام الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يدريك ما هي وقال الزمخشري ظرف لمضمر دلت عليه القارعة أي تقرع يوم وقال الحوفي ظرف ثاني مقدرا وبعضهم قدر هذا الفعل مقدما على القارعة وجعلها لا عملا له أيضا وقال ابن عطية ظرف القارعة نفسها من غير تقدير وإبيين أي القوارع أراد وتعقبه أبو حيان بانه ان أراد اللفظ الأول ورد عليه الفصل بين العامل وهو في صلة أل والمعمول بالخبر وهو لا يجوز وان اراد الثاني أو الثالث فلا يلتئم معنى الظرف معه وأيد بقراءة زيد بن علي يوم بالرفع على ذلك وقدر بعضهم المبتدأ وقتها والفراش قال في الصحاح جمع فراشة التي تطير وتلقت في النار وهو المروي عن قتادة وقيل هو طير رقيق يقصد النار ولا يزال يتلهم على المصباح ونحوه حتى يحترق وقال الفراء هو غوغاء الجراد الذي ينتشر في الأرض ويركب بعضه بعضا من الهول وقال صاحب التأويلات المختلفوا في تأويله على وجوه لكن كلها ترجع

Marfat.com

الى معنى واحد وهو الاشارة الى الحيرة والاضطراب من هول ذلك اليوم واختار غير واحد ماروى عن قتادة وقالوا شبهوا في الكثرة والانتشار والضعف والقلة والهوى والذهاب على غير نظام والسير الى قاص من كل جهة حين يدعوهم الى المحشر بالفراش المتفرق للطاير قال جرير

ان الفرزدق ما علمت وقومه ● مثل الفراش غشين نار المصطلي

(وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) أي الصوف مطلقا أو المصبوغ كما قيده الراغب به وقد تقدم الكلام فيه في المعارج وكان بمعنى صار أي وتصير جميع الجبال كالعهن (الْمَنْفُوشِ) المفرق بالاصبع ونحوها في تفرق اجزائها وتطايرها في الجو حسبما يحاق به غير آية وقوله تعالى (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) الى آخره بيان اجمالي لتحزب الناس حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال العامة للكل وهذا اشارة الى وزن الاعمال وهو مما يجب الايمان به حقيقة ولا يكفر منكره ويكون بعد نطاير الصحف وأخذها بالايمان والشمائل وبعد السؤال والحساب كما ذكره الواحدي وغيره وجزم به صاحب كنز الاسرار يوزن له لسان وكفتان كاطباق السموات والارض والله تعالى أعلم بالحال وقد روى القولب عن ابن عباس والحسن البصري وغيرهما شرح القاصد لكثير من المفسرين ومكانه بين الجنة والنار كما في نوادر الاصول وذكر يقبل بالعرش فأخذ جبريل عليه السلام بعموده انظر الى لسانه ويكاثيل عليه السلام أين عليه والاشهر الاصح انه ميزان واحد كما ذكرنا لجميع الامم ولجميع الاعمال فقوله تعالى موازينه وهو جمع ميزان وأصله موزان بالواو لكن قلبت بعد السكونها وانكسار ما قبلها قبل التنظير كالجمع في قوله تعالى لقلبت عاد الرسالين في وجه أو باعتبار أجزائه نحو ثبت مقاديره أو باعتبار تعدد الافراد للتعابير الاعتبارية كما قيل في قوله

● لمان برق أو شعاع شموس ● وزعم الرازي على ماقيل عنه أن فيه حديثا مرفوعا وقال آخرون يوزن نفس الاعمال فتصور الصالحة بصور حسنة نورانية ثم تطرح في حسكفة النور وهي التي للحسنات فتثقل بفضل الله تعالى وتصور الاعمال السيئة بصور قبيحة ظلمانية ثم تطرح في كفة الطالة وهي التي للسيئات بعدل الله تعالى واختاره قاب المحققين في مقام طرق المادات نوع أو مقيد بقدر آخر المقيمة الاولى وقد ذهب بعضهم الى أن الله تعالى يخلق أجساما على عدد تلك الاعمال من غير تقليبها وادعى ان فيه أثرا والظاهر ان الثقل والخفة منوطان في الدنيا فما ثقل زال الى أسفل ثم يرفع الى عليين وماخف طاش الى أعلى ثم تزل الى سجين وبهذا صرح القرطبي وقال بعض المتأخرين هاهنا خلاف حاق الميزان أن عمل المؤمن اذا رجح سعد وثقلت سيآته وان الكافر تثقل كفته فتهوي الاخرى من الحسنات ثم للاعمال الصالح برفعه وفي كونه دليلا نظر وذكر بعضهم أن صفات الوزن أن يجعل جرم أعمال العباد في الميزان مرة واحدة الحسنات في كفة النور عن يمين العرش جهة الجنة والسيآت في كفة الظلمة جهة النار ويخلق الله تعالى لكل انسان علما ضروريا يدرك به خفة أعماله وثقلها وقيل نحو هذا ان علامة الرجحان عود من نور يثور من الحسنات حتى يكسو كفة السيآت وعلامة الخفة عود ظلمة يثور من كفة السيآت حتى يكسو حسكفة الحسنات فالكيفيات الاربع وستظهر حقيقة الحال بالميزان وهو قال القرطبي لا يكون في حق أحد الا في الحديث الصحيح فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن الحديث وأجرى الانبياء عليهم السلام وقوله سبحانه يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام والصابر في الوزن لمن شاء الله تعالى من الفريقين وذكر القاضي منذر بن سعيد البلوطي أن أهل الصبر لا توزن أعمالهم وانما يصب لهم

Marfat.com

الاجر صبا والظاهر أنه يدرج الفاسق في الكافر والحق أن أعمالهم معدومة ووزن الظواهر الآيات والاحاديث الكثيرة والمراد في الآية وزنا ناقصا والصحيح ان الجن مؤمنهم وكافرهم كالانس في هذا الشأن كما قرر في محله والتفصيل فيما نحن فيه على ما سمعت عن القرطبي بالنسبة الى من توزن أعماله كالانسان الى الناس مطلقا وأنكر المعتزلة الوزن حقيقة وجماعة من أهل السنة والجماعة منهم مجاهد والضحاك و الاعمش قالوا ان الاعمال أعراض ان أمكن بقاؤها لا يمكن وزنها فالوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وجوزوا فيما هنا أن تكون الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى وأن معنى ثقلها رجحانها وروى هذا عن الفراء أي فمن رجحت مقادير حسناته ورزينا (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ) المشهور جعل ذلك من باب النسب أي ذات رضا وجوز ان تكون راضية بمعنى المفعول أي مرضية على التجوز في الكلمة نفسها وأن يكون الاسناد مجازيا وهو حقيقة الى صاحب العيشة وجوز ان يكون في الكلام استعارة مكنية وتخييلية على ما قرر في كتب المعاني لكن ذكر بعض الاجلة ههنا الزاما نفيسا وهو أن مآل الناسب يؤول بذي كذا فلا يؤنث لانه إنما يجر على موصوف فالحق بالجوامد ونقل عن السيرافي انه قال يقدح فيما عللوا به سقوط الهاء في عيشة راضية وفيه وجهان أحدهما أن تكون بمعنى ذات راضية أعلها فهي ملازمة لهم راضية بهم والآخر أن تكون الهاء للمبالغة كعلامة ورواية ووجه بأن الهاء لما لزمت لئلا تسقط الياء فيحال بالبنية كنسابة ونحوها وهم يقولون ناقة مهارية ومشدان وباب مفعل ومفعال لا يؤنث وقد ادخلوا الهاء في بعضه كمسكة انتهى ثم قال ان هذا حقيق بالقبول ويحتمل الجواب بوجوه أحدها ان راضية هنا فيه ليس من باب النسب بل هو اسم فاعل أريد به لازم معناه الان من شاء شيأ ورضي به لازمه فهو مجاز مرسل أو استعارة ويجوز ان يراد أنه مجاز في الاسناد وما ذكر بيان لمنشاء الثاني ان الهاء للمبالغة ولا تختص بفعل وفاعل برواية أيضا والثالث أنه يجوز الحاق الهاء في المثل لحفظ البنية ومعلوم لما تقدم والتنبيه للتعارض بالدال التي لاحظته فلا تقيس خلافا لبعض أصحاب الكشاف (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) بان لم يكن له حسنة يعتد بها او ثقلت سيئاته على حسناته (فَأُمُّهُ) أي فاواه كما قال ابن زيد وغيره (هَاوِيَةٌ) أريد بها النار كما يؤذنه قوله تعالى (وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ) فانه تقرير لهايته ابهامها والاخبار بخروجها عن المعهود للتفظيع والتهويل وذكر أن اطلاق ذلك عليها لغاية عمقها وبعد مهواها فقد روي أن أهل النار تهوي فيها سبعين خريفا وخصها بعضهم بالباب الاسفل من النار وغير من الأولى بالام على التشبيه بها بالام مفزع الولد وملاذه وفيه تمسك به وقيل شبه النار بالام في انها تحيط به المحاطة رحم الولد بالام ومن قتادة وأبي صالح وعكرمة والكلبي وابن زيد للمسيء فام رأسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا وفي رواية أخرى عن قتادة هو من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلاك هوت أمه لانه اذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا ومن ذلك قول كعب بن سعد الغنوي

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا ... وماذا يرد الليل حين يؤوب

وفي الكشف ان هذا أحسن لمطابقة قوله سبحانه في عيشة راضية وما فيه من المبالغة وقال الطيبي أنه الاظهر والبحث فيه طويل والضمير أعني هي عند الجماعة الذي دل عليها الكلام وعلى ما قدمنا هاوية وعلى الوجه الثاني لا يحتاج به الكلام كما لا يخفى فام رأسه هاوية في نار وما أدراك ما هيه لغ وأطلق اللفظة في هذه هذا السكت وحذفها في الوصل ابن أبي اسحق والاعمش وحمزة وأثبتها الجمهور ووقع نار على التباعد

Marfat.com

مبتدأ محذوف أي هي نار وحامية نعت لها وهو من الحمى الشتاء الحر قال في القاموس هي الشمس والنار حيا وحميا وحموا اشتد حرها وجيء بضمهم على ما قبل من حيث القدر في حمية فسره بذات حمى وهو كما ترى وقرأ طلحة فامه بكسر الهمزة قال ابن خالويه وحكى ابن دريد أنها لغة وأما النحويون فيقولون لا يجوز كسر الهمزة الا ان يتقدمها كسرة أو ياء والله تعالى أعلم

سورة التكاثر

وكان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما أخرج ابن أبي حاتم عن سعد بن أبي هلال يسمونها المقبرة وهي مكية قال أبو حيان عند جميع المفسرين وقال الجلال السيوطي على الاشهر وعدل لكونها مدنية وهو المختار لما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي بريدة قال نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار في بني حارثة وبني الحرث تفاخروا وتكاثروا فقالت احداهما فيكم مثل فلان وفلان وقال الآخرون مثل ذلك تفاخروا بالاحياء ثم قالوا انطلقوا بنا الى القبور فجاءت احدى الطائفتين فقال فيكم مثل فلان تشير الى القبر ومثل فلان وقال الآخرون مثل ذلك فانزل الله تعالى ألهاكم التكاثر الخ وأخرج البخاري وابن جرير عن أبي ابن كعب قال كنا نرى هذا من القرآن لو أن لابن آدم واديين من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ثم يتوب الله على من تاب حتى نزلت ألهاكم التكاثر الخ وأخرج الترمذي وابن جرير وابن المنذر وغيرهم عن بريدة رضي الله تعالى عنه ما نزلت هذه في عذاب القبر حتى نزلت ألهاكم التكاثر وعذاب القبر لم يذكر الا في المدينة كما في الصحيح في أمر اليهودية التي والت عائشة على معذبتها قال بعض الاجلة انه الحق وأولى ثمان بالانتفاء وهي تعدل ألف آية من القرآن أخرج الحاكم وابن مردويه في الشعب عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر وأخرج الخطيب في المتفق والمفترق والديلمي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ في ليلة ألف آية لقي الله تعالى وهو ضاحك في وجهه فقبل يا رسول الله من يطوى على ألف آية فقرأ سورة ألهاكم التكاثر الى آخرها ثم قال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده انها لتعدل ألف آية وذكر ناصر الدين بن المنير في سر ذلك أن القرآن ستة آلاف ومائتا آية وكسر فاذا تركنا الكسر كان الالف سدس القرآن وهذه السورة تشتمل على سدس من مقاصد القرآن فانها على ما ذكره الزمخشري ستة أنواع وهي تعريف المدعو اليه وتعريف الصراط المستقيم وتعريف الحال عند الرجوع اليه عز وجل وثلاثة منها وهي تعريف أحوال المطيعين وحكاية أقوال الجاحدين وتعريف منازل الطريق وأحدها معرفة الآخرة المشار اليه بتعريف الحال عند الرجوع اليه تعالى المشتمل عليه السورة والتعبير على هذا الذي بألف آية أظهر وأجل من التعبير بالسدس الذي والامر والله تعالى أعلم وراء ذلك ومناسبتها لما قبلها ظاهرة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * أَلْهَاكُمُ﴾ أي شغلكم وأصل اللهو الغفلة ثم شاع في كل شاغل ومقصه التعريف بالفاضل الذي يسر الفؤاد وهو قريب من اللعب ولذا ورد بعناه كثيرا وقال الراغب اللهو ما يشغل الانسان مما يعنيه ويهمه قيل ولهذا سمي الطبل الذي يسر الفؤاد عند الصافرة والتي جبلكم لاهين غافلين ﴿التَّكَاثُرُ﴾ أي التباري في الكثرة والتباهي بالأنساب يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ حتى اذا استوعبتم عدد الاحياء

Marfat.com

صرتم الى القابر وانتظم الى ذكر من فيها فتكاثرتم بالاموات فالاية داخلة في القبا وقد تقسم من سبب النزول ما يوضح ذلك وعن الكلبي ومقاتل أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا أيهم أكثر عدداً فكثرتهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي أهلكنا في الجاهلية فعادوا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم وزيارة القابر على ما تقسم على ظاهرها وأما على هذا فقد عبر بها عن بلوغهم ذكر الموتى كناية أو مجازا واستحسن جمله تمثيلا وفي الكشاف عبر بذلك عما ذكر تهكما بهم ووجهه بعض بأنه قيل أنتم في فعلكم هذا كمن يزور القبور من غير غرض صحيح وبعض آخر بأن زيارة القبور للاتعاظ وقد ذكر الموت وهم مكبون على لهوها مبيا للغفلة وهذا أولى والمعنى ألهاكم تفاخركم ولا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من أمر الدين الذي هو أهم وأبقى من كل مهم وحذف الفاعل للتعظيم المأخوذ من الابهام بالحذف والبالغة في القسم حيث أشار الى أن ما يلهي مذموم فضلا عن اللهي عن أمر الدين وقيل الراء للتكاثر بالاموال والاولاد والمعنى أن متهوقبرتم منغمين أعماركم في طلب الدنيا والاشتغال بها والتهالك عليها الى أن أتاكم الموت لا لهاكم غير هذا عما هو أولى بكم من السعي لدار بكم والعمل لآخرتكم وصدره قد أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس وهو وابن أبي حاتم وابن أبي شيبة عن الحسن وزيارة القابر عليه عبارة عن الموت كما قال الشاعر

الى رأيت الصمد تبنا ذكرا ٭ ثم يخلص العبد خليل عمرا ٭ ثم الضباء أو يزور القبرا

وقال جرير زار القبور أبو مالك ٭ فاصبح الأم زوارها

وفي ذلك اشارة الى تحقق البعث بحيث أن العرب سمع ذلك فقال بعث القوم فقالة ورب الكعبة قال الزائر متصرف لا محالة وعن عمر بن عبد العزيز لتقال لا بد لمن زار أن يرجع الى جنة أو نار وفيه أيضا اشارة الى قصر زمن اللبث في القبور والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع أو لتغليب من مات أولا أو طويل موت آبائهم بمنزلة موتهم وعسا يقضي منه العجب قول أبي مسلم ان الله عز وجل ينكي بهذه السورة يوم القيامة نفيرا للكفار وهم في ذلك الوقت قد ندمت منهم زيارة القبور وقيل هذا تأنيب على الاشتغال من زيارة القبور لتكثير ابن مسلف ومباهاة وتفاخرا به لا للاتعاظ وتذكرا للآخرة كما هو المشروع ويشير اليه خبر أبي داود نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة ولا يبعد ان الآية بمعزل من ذلك تمم لا كلام في ذم زيارة القبور للتفاخر بالزور أو للتباهي بالزيارة كما يفعل كثير من الجهلة المنتسبين الى التصوفة في زيارتهم القبور المتناخ عليهم الرحمة هذا مع ما علم فيها من منكرات انفقدوها طامات وفضائح انخذوها شرائع الى أمور تضيق عنها صدور السطور وقرأ ابن عباس وعائشة ومعاوية وأبو عمران الجوني وأبو صالح ومالك بن دينار وابو الجوزاء وجماعة ألهاكم بالمد على الاستفهام وروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابن عباس أيضا والنبي وابي العالية وابن أبي عبلة والكسائي في رواية ألهاكم بهمزتين والاستفهام للتقرير (كَلَّا) ردع عن الاشتغال بالامور عما يعنيهم وتنبيه على الخطأ فيه لات عاقبته وخيمة (سَوْفَ تَعْلَمُونَ) سوء عاقبة ما أنتم عليه اذا عاينتم عاقبته والعلم يعنى المعرفة المتعدية لواحد (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) تكرير للأول تأكيد وتم الدلالة على أن الثاني أبلغ كما يقول العظيم لعبده أقول لك ثم أقول لك لافعلن بك ولكونه أبلغ نزل منزلة الغاية فعطف والا فالتوكيد لا يعطف على المؤكد لما بينهما من شدة الاتصال وأنت تعلم ان المتبع هو رأي الجمهور وقد صرح المفسرون والنحاة بخلافه ونقل عن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه الاول في القبور والثاني في النشور فلا تكرير والتراخي على ظاهره ولا كلام في العطف وقال الضحاك الزجر الاول ووعيده

Marfat.com

الكافرين وما بعده المؤمنين وهو خلاف الظاهر ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ أي لو تعلمون علم اليقين أيحدكم على الأمر اليقين أي حكمكم ما ستيقنونه من الأمور فالعلم مضاف للمفعول واليقين بمعنى المتيقن صفة للمصدر وجوز أبو حيان كون الاضافة من اضافة الموصوف الى صفته أي العلم اليقين وقاعدة الوصف ظاهرة بناء على أن العلم يطلق على غير اليقين وجواب لو محذوف للتهويل أي لو تعلمون كذلك لفعلتم مالا يوصف ولا يكنه أو لارتدعتم ذلك عن التكاثر وغيره أو نحو ذلك وقوله تعالى ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ جواب قسم مضمر أكسكده به الوعيد وشدد به التهديد وأوضح به ما أنذروه بعد إجماله تفخيما ولا يجوز أن يكون جواب لو لامتناعية لانه يعلق الوقوع وجوابها لايكون كذلك وقيل يجوز ويكون الذي سوف تعلمون الجزاء ثم قال سبحانه لو تعلمون الجزاء علم اليقين الآن لترون الجحيم يعني تكون الجحيم دائما في نظركم لاتغيب عنكم وهو كما ترى ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا ﴾ لتكرير لما أكد وثم للدلالة على الابلغية وجوز أن تكون الرؤية الاولى اذا رأتهم من بعيد والثانية اذا وردوها أو اذا دخلوها أو الاولى اذا وردوها والثانية اذا دخلوها أو الاولى للمعرفة والثانية للمعاينة والمباشرة وقيل يجوز أن يكون المراد لترون الجحيم فيرجع الضمير الى الجحيم وهذا نحو النبأة في قوله تعالى فارجع البصر كرتين وهو خلاف الظاهر جدا ﴿ عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ أي الرؤية التي هي نفس اليقين فان الانكشاف بالرؤية والمشاهدة فوق سائر الانكشافات فهو أعلى بأن يكون عين اليقين فعين بمعنى النفس مثلها في نحو جاء زيد نفسه وهو صفة مصدر مقدر أي رؤية عين اليقين والعامل فيه لترونها وجوز أن يكون متنازعا فيه للفعلين قبله وفي الخلاف يلزم لا أعلم يحقق طبق ما في اليقين في الآية على ما قال السيد السند العلم الذي لاشك فيه وفي الاصطلاح اعتقاد الشيء انه كذا مع اعتقاد انه لايمكن الا كذا اعتقادا مطابقا للواقع غير ممكن الزوال وقال الراغب اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية واخواتها يقال علم يقين ولا يقال معرفة يقين وهو سكون النفس مع ثبات الفهم وفسر السيد اليقين بما سمعت ونقل عن أهل الحقيقة عدة تعبيرات فيه وعلم اليقين بما أعطاه الدليل من ادراك الشيء على ماهو عليه وعين اليقين بما أعطاه المشاهدة والكشف وحق اليقين وراء ذلك حتى اليقين وقال على سبيل التمثيل علم اليقين كالعلم بالموت وعلم اليقين واذا عاين الملائكة عليهم السلام فهو عين اليقين واذا ذاق الموت فهو حق اليقين وعلم غير ذلك ومبنى أكثر هذا على الاصطلاح فلا تغفل وقرأ ابن عامر والكسائي لترون بضم التاء وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه وابن كثير في رواية وعاصم كذلك بالحواقي الثلاث وضمها في الثلاثة الجامعة وأذهب وابن أبي عبلة بضمها فيما روي عن الحسن وأبي عمرو بخلاف عنهما أنهما همزا الواو ووجه بأنهم استثقلوا الضمة على الواو فهمزوا كالخليف كما همزوا في وأت وقال الفراء ترك الهمز لان الضمة حركة عارضة لالتقاء الساكنين فلا يعتد بها لكني لا أرى صحت الكلمة بحيث لاتزول أعني حركة الاصالة فهمزوا وقد همزوا من الحركة العارضة التي تزول في الوقف نحو اشتروا الضلالة فالهمز من حد أولى ﴿ ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ قيل الخطاب للكفار وحمل ذلك من الحسن ومقاتل واختاره الطيبي والنعيم على الكل ما يتلذذ به من مطعم ومشرب ومفرش ومركب وكذا قيل في الخطابات السابقة وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه صرح بأن الخطاب في لترون الجحيم للكفار كما مر وحملوا الرؤية عليه على رؤية الدخول وحملوا السؤال على سؤال التقريع والتوبيخ لما أنهم لم يشكروا ذلك بالايمان به عز وجل والسؤال قيل يجوز أن يكون

Marfat.com

بعد رؤية الجحيم ودخولها كما يشعر بذلك عن أشياء أخر مما يؤذن به قوله تعالى قلنا ألقيا فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير وقوله سبحانه ما سلككم في سقر وذلك لأنه إذا ذاك أشد إيلاما وأدعى للاعتراف بالتقصير فتم على ظاهرها وأن يكون في موقف الحساب قبل الذهاب إلى الجنة فتكون ثم للترتيب الذكري وقيل الخطاب مخصوص بكل من ألقاه في غيه عن دينه والتعميم مخصوص بما تقدم عن ذلك لظهور أن الخطاب في ألقيا لكل طاغ للقرائن فيكون قرينة على ما ذكر ولتخصيص الكثيرة كقوله تعالى قل من حرم زينة الله والطيبات وهذا أيضا يحمل السؤال على سؤال التوبيخ ويدخل فيه ذكر الكفار وفسقة المؤمنين وقيل الخطاب عام وكذا السؤال بمعنى سؤال التوبيخ وغيره والتعميم خاص واختلف فيه على أقوال فأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن ابن مسعود مرفوعا هو الأمن والصحة وأخرج البيهقي عن الأعمش عن أكرم الله تعالى وجهه قال التعيم الماء البارد وأخرج ابن مردويه عن أبي الدرداء مرفوعا أكل خبز البر والتوبل الحلو وشرب ماء الفرات بردا وأخرج ابن جرير عن ثابت البناني مرفوعا التعيم السؤال عنه يوم القيامة كسرة تقويه وماء يرويه وثوب يواريه وأخرج الخطيب عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفسره قال الخصاف والماء وفلق الكسر وروى عنه وعن جابر أنه ملاذ الآكول والمشروب وقال الحسين بن الفضل هو تخفيف الشرائع وتيسير القرآن ويروى عن جابر الجعفي من الأعاجيب قال دخلت على الباقر رضي الله تعالى عنه فقال ما يقول أرباب التأويل في قوله تعالى لتسألن يومئذ عن النعيم فقلت يقولون الخل والماء البارد فقال لو أنك أدخلت بيتك أحدا وأقعدته في ظل وسقيته الثمن عليه قلت لا قال فالله تعالى أكرم من أن يطعم عبده ويسقيه ثم يسأله عنه قلت ما تقول فيه قال التعيم هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنعم الله تعالى به على أهل العالم فاستنقذهم به من الضلالة أما سمعت قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا ومن رواية الصادق من الأعاجيب أيضا أن أبا عبد الله رضي الله تعالى عنه قال لأبي حنيفة رضي الله تعالى عنه في الآية ما التعيم عندك بالإنسان فقال القوت من الطعام والماء البارد فقال أبو عبد الله قال أو قفك الله تعالى بين يديه حتى يسألك عن كل أوقاتك أو شربة شربتها أو لقمة لقمتها بطوان وقوفك بين يديه فقال أبو حنيفة فالتعيم قال نحن أهل البيت أنعم الله تعالى بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد الكفر وبنا ألف الله تعالى بين قلوبهم وجمعهم أخوانا بعد أن كانوا أعداء وبنا هداهم إلى الإسلام وهو النعمة التي لا تنقطع والله تعالى سائلهم عن حق التعيم الذي أنعم سبحانه به عليهم وهو محمد وعترته عليه وعليهم الصلاة والسلام والله الطيبين لأدري لهذا صحة وفيها ما ينادي على عدم صحتها كالا يخفى على من ألقى السمع وهو شهيد والخطاب عموم الخطاب والتعيم بيد أن المؤمن لا يترتب عليه في شيء مما ينال في الدنيا بل يسأل غير معذب وأما يترتب على الكافر كما ورد ذلك في حديث رواه الطبراني عن ابن مسعود ويدل على عموم الخطاب ما أخرج مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وآخرون عن أبي هريرة قال خرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما فقوموا فقاموا معه عليه الصلاة والسلام فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيت فلما رأته صلى الله تعالى عليه وسلم قالت مرحبا فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لها أين فلان قالت انطلق يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصاري فنظر إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر فقال كلوا من هذا وأخذ الشفرة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك

Marfat.com

الدقق وشربوا فلما شبعوا وروا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأبي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة وفي رواية ابن حبان وابن مردويه عن ابن عباس أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحبيه انطلقوا الى منزل أبي أيوب الأنصاري فقالت امرأته مرحبا بنبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه فأين أبو أيوب فقطع مذقة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما أردت ان تقطع لنا هذا ألا جئت من كمرة قال أجيئ يا رسول الله ان تاكلوا من كمرة وبسره ورطبه ثم ذبح جديا فشوى نصفه وطبخ نصفه فلما وضع بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ من الجدي فجاء فرمى به وقال يا أبا أيوب ألم نهك عن هذا فالطعة رضي الله تعالى عنها فانها لم تصب مثل هذا منذ أيام فذهب أبو أيوب الى فاطمة رضي الله تعالى عنها فلما أكلوا وشبعوا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لخبز ولحم وتمر وبسر ورطب ودمعت عيناه عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده ان هذا هو النعيم الذي تسألون عنه قال الله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فهذا النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة فذكر ذلك على أصحابه فقال عليه الصلاة والسلام في إحدى هذه الغزوات لأصبن هذا الغصن بأيديكم فقولوا بسم الله فلما ضربتم فقولوا الحمد لله الذي أشبعنا وأنعم علينا وأفضل فان هذا كفاف بذلك ولبس المراد في هذا الخبر حصر النعيم مطلقا فيما ذكر بل حصر النعيم بالنسبة الى ذلك الوقت الذي كانوا فيه جياعا وكذا فيما يصح من الأخبار التي فيها الاقتصار على شيء أو شيئين أو أكثر فكل ذلك من باب التنبيه ببعض أفراد جنس بالذكر لأمر اقتضاه الحال ويؤيد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في غير رواية عند ذكر شيء من ذلك هذا من النعيم الذي تسألون عنه بل النعيم الكبير الخفي أن السؤال يعم المؤمن والكافر عن جميع النعم سواء كان مالا يدمت أولا لان كل ما يهب الله تعالى يجب أن يكون مصروفا الى طاعته سبحانه لا الى معصيته عز وجل فيكون السؤال والقاء عن الشكل ويؤكده قوله عليه الصلاة والسلام لا تزول قدما العبد حتى يسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وعن علمه ماذا عمل به لان في نعيمه داخل فيما ذكره عليه الصلاة والسلام ويشكل عليه ما أخرجه عبد الله بن الامام احمد في زوائد الزهد والديلمي عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث لا يحاسب بين العبد وبين خمس يستظل به وكسرة يسد بها صلبه وثوب يواري به عورته وأجيب بانه ان صح فالمراد لا يناقش الحساب بين وقيل المراد ما يضطر العبد اليه من ذلك فيأتيه فاضل ورأيت في بعض الكتب أن الطعام الذي يؤكل مع النعيم لا يسأل عنه وكان ذلك لان في الأكل معه جبراً للقلب وإزالة لوحشته فيكون ذلك بمنزلة الشكر فلا يسأل عنه سؤال تقريع وفي القلب من صحة ذلك شيء والله تعالى أعلم

سورة العصر

مكية في قول ابن عباس وابن الزبير والجمهور ومدنية في قول مجاهد وقتادة ومقاتل وآياتها ثلاث بلا خلاف وسميت بذلك لما جمعت من العلوم بما جعلت فقد روي عن العالمي عليه الرحمة انه قال لو لم ينزل غير هذه السورة لكفت الناس لأنها اشتملت جميع علوم القرآن واخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب عن أبي مدينة وكانت له صحبة قال كان الرجلان من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة والعصر ثم يسلم أحدهما على الآخر وفيها اشارة الى محل من لم يأته الكثار وقلما وضعت يده سورة

(بسم الله الرحمن الرحيم * والعصر) قال مقاتل أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها لأنها الصلاة الوسطى عند الجمهور لقوله عليه الصلاة والسلام شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ولما في مصحف

Marfat.com

حفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر وفي الحديث من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وروي ان امرأة كانت تصيح في سكك المدينة دلوني على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرآها عليه الصلاة والسلام فساطها ماذا عدت فقالت يا رسول الله ان زوجي غاب فزنيت فجاءني ولد من الزنا فألقيته الولد في دن خل فمات ثم بعت ذلك الخل فهل لي من توبة فقال عليه الصلاة والسلام أما الزنا فعليك الرجم بسببه وأما القتل فجزاؤه جهنم وأما بيع الخل فقد ارتكبت كبيراً لكن قلت أنك تركت صلاة العصر ذكر ذلك الامام وهو لعمري امام في مثل ذلك مما لا يعول عليه عند أئمة الحديث فإياك والاقتداء به وخصت بالفضل لأن التكليف في أدائها أشق لاشتغال الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم وقيل أقسم عز وجل بوقت تلك الصلاة الفضية صلاته أو طلق آدم أبي البشر عليه السلام فيه من يوم الجمعة والى هذا ذهب قتادة فقد روي عنه أنه قال العصر التي أقسم سبحانه به كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة وقال الزجاج العصر اليوم والعصر الليلة وعليه قول حيدين ثور

ولم يلبث العصران يوم وليلة ✻ اذا طلبا أن يدركا ما لهما

وقيل العصر نكرة والعصر عشية وهما الايرادان وعليه وعلى ماقبله يكون القسم بواحد من الامرين غير معين وقيل المراد به عصر النبوة وكأنه عنى به وقت حياته عليه الصلاة والسلام فانه اشرف الاعصار لتشريف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو زمان حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وما بعده الى يوم القيامة ومقداره فيما مضى من الزمان مقدار وقت العصر من النهار ويؤذن بذلك مارواه البخاري عن سالم ابن عبد الله عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وشرفه لكونه زمان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته التي هي خير أمة أخرجت للناس ولا يضره تأخيره كما لا يضر السنان تأخره عن الطراف مرانه والتور تأخره من أطراف أقصائه وقال ابن عباس هو الدهر أقسم عز وجل بالاشتات على أصناف التجائب ولما قيل له أبو العجب ولاك لسالي يذكر بالقسم به ما فيه من العبر وأعدادها لتنبيه الانسان المستهتر الخسران والسعادة ويعرض عز وجل لما في الاقسام به من التعظيم بغي أن يكون له خسران أو دخل فيه كما يزعمه من يضيف الحوادث اليه وفي اضافة الخسران بعد ذلك للانسان اشعار بأنه صفة له لا للزمان كما قيل

يعيبون الزمان وليس فيه ✻ معايب غير أفعال الزمان

ولعلك بأن استعمال العصر بذلك المعنى غير ظاهر ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ أي خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف أعمارهم في مبانيهم التي لا يخلصون بها الى الآخرة بل يضرهم لما حلوا الساعة والتعريف للاستغراق بقرينة الاستثناء والتنكير قيل للتعظيم أي في خسر عظيم ويجوز أن يكون للتنويع أي نوع من الخسر غير ما يعرفه الانسان ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فانهم في تجارة رابحة وصفقة مربحة وهو الغابي الحميس واشتروا الباقي النفيس وامتدلوا الباقيات الصالحات بالفانيات الرائحات فبلغوا من سعادة مالا يبلغ وظفروا بما لا يوصف ولا يحد والمراد بالموصول كل من اتصف بعنوان الصلة لا على كرم الله تعالى وجهه وسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه فقط كما يتوهم من اقتصار ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في الذكر عليهما بل هما داخلان في ذلك دخولا أوليا ومثل ذلك اقتصاره في الانسان الخاسر على أبي جهل وهو ظاهر وعدا بيان لتكليفهم لانفسهم وقوله تعالى ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ الخ بيان لتكليفهم

Marfat.com

غيرهم أي وصى بعضهم بعضا بالأمر الثابت الذي لا سبيل الى انكاره ولا زوال في القلوب لحاسن آثاره وعواقبه من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله عليهم السلام في مقوصل ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ عن المعاصي التي تشتاق اليها النفس لحسن الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يثقل عليها أداؤها وعلى ما ينتلى الله تعالى به عباده من المصائب والصبر المذكور داخل في الحق وذكر بعده مع افادة البيان والفضل المتناهي هو به لابراز كمال العناية به ويجوز ان يكون الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضي الله تعالى والثاني عبارة عن رتبة السعادة التي هي الرضا بفعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق اليه من فعل أو ترك بل هو تلقي ما ورد منه عز وجل بالجميل والرضا به باطنا وظاهرا وقرأ سلام وهرون وابن موسى عن أبي عمرو والنصر بكسر الصاد والصبر بكسر الباء قال ابن عطية وهذا لا يجوز ألا في الوقف على نقل الحركة وروى عن أبي عمرو بالصبر بكسر الباء اتباعا وهذا كما قال لا يكون أيضا الا في الوقف وقال صاحب اللوامح قرأ عيسى البصرة بالصبر بنقل حركة الراء الى الباء لئلا يحتاج الى أن يزيل بعض الحركة في الوقف ولا الى أن يسكن فيجمع بين ساكنين وذلك انة ثالثة وليست بمثابة بل مستقيمة وذلك دلالة على الاعراب والفصل من التقاء الساكنين وتأويله على الوقوف عليه من السكون الذي ومن هذا كما في البحر قوله

أنا جرير كنيتي أبو عمرو ✻ اضرب بالسيف وسعد في النصر(١)

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال يقرأ والعصر ونوائب الدهر ان الانسان الى خسر وانه فيه الى آخر الدهر وأخرج عبد بن حميد وابن أبي داود في المصاحف عن ميمون بن مهران أنه قرأ والعصر ان الانسان الى خسر وانه فيه الى آخر الدهر الا الذين آمنوا الخ وذكر انها قراءة ابن مسعود هذا واستدل بعض المتزلة بها في هذه السورة على ان مرتكب الكبيرة الحد في النار لانه لم يستثن فيها من الخسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ وأجيب عنه بانه لا دلالة في ذلك على أكثر من كون غير المستثنى في خسر وأما على كونه مخلدا في النار فلا كيف والخسر عام فهو اما بالخلود ان مات كافرا وأما بالدخول في النار ان مات عاصيا وإن مغفورا ما يفوت الدرجات العالية ان غفر وهو جواب حسن والشيخ الماتريدي رحمه الله تعالى في التفسير عن ذلك الكلمات مذكورة في التأويلات فلا تغفل وفي السورة من الترغيب الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان يحب المرء لاخيه ما يحب لنفسه مالا يخفى

سورة الهمزة

مكية وآيها تسع بلا خلاف في الاربع واما ذكر سبحانه فيها قبلها أن الانسان سوى من استثنى في خسر بين عز وجل فيها أحوال بعض الخاسرين فقال عز من قائل

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ تقدم الكلام على اعراب مثل هذه الجملة والهمز الكسر كالهزم والغمز الطعن كالغيبة شاعا في الكسر من اعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وأصل ذلك كان استعارة لانه لا يتصور الكسر والطعن الحقيقيان في الاجسام فصار حقيقة عرفية ذلك وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة وقلة إلا للمكثر الضحك قال زياد الاعجم

انا الذبيانيّ ان سقط نكاثرني ✻ وان تغيبت كنت الطاعن الغزره

(١) قوله وسعد في النصر كذا في النسخ قبل الصاد عين مهملة اه

Marfat.com

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وجماعة عن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فقال هو الشدة يلقيها الفرق بين الجمع الفرق بين الأخوان وأخرج ابن أبي حاتم وعبد بن حميد وغيرهما عن مجاهد الهمز الطعان في الناس واللمز العيان في الأنساب وأخرج عبد بن حميد عن أبي العالية الهمز في الوجه واللمز في الخلف وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن جريج الهمز باللسان واليد واللمز باللسان وقيل غير ذلك وماتقدم أجمع وقرأ الباقر رضي الله تعالى عنه لكل همزة بسكون الهاء فيهما على البناء للتابع في مثل الفحول وهو للسخر منه الذي يأتي بالأضاحيك فيضحك منه ويهمز ويلمز وتزل ذلك على ما أخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن اسحق عن عثمان بن عمر في أبي بن خلف وعلى ما أخرج من السدي في أبي بن عمرو والنفق الشرير الأخنس بن شريق فانه كان مغتابا كثير الوقيعة وعلى ما قال ابن اسحق في أمية بن خلف الجمحي وكان يهمز النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويعيبه وإلى ما أخرج ابن جرير وغيره عن مجاهد في جميل بن عامر وعلى ما قيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقضه منه وعلى قول في الناس إن وائل ويجوز أن يكون نازلا في جميع من ذكر لكن استقر كل نزولها في الأخنس بناء على ما صححه ابن حجر في الأصابة أسلم وكان من الوقاحة قولهم فسلا يأتي الوليد الآتي في حقه فاما ان لا يصح ذلك أو لا يصح اسلامه وأيضا استشكلت قراءة الباقر رضي الله تعالى عنه بناء على ما سمعت في معناها وكون الآية نازلة في الوليد بن المغيرة ونحوه من عظماء قريش ويه اندفع باقي التأويلات من أنه لبيب عيب الكافر بدين الفاضلين مع ان فيه ما لا أقبح منهما وهو الكفر وأما أجاب به من أن الكفر غير قبيح لنفسه بخلافهما فلا يخفى ضعفه لان قبوت الاعتقاد الصحيح أقبح من كل شيء قبيح وقوله تعالى (الَّذِي جَمَعَ مَالاً) بدل من كل بدل كل وقيل بدل بعض من كل وقال الجبائي يجوز أن يكون صفة له لأنه معرفة على ما ذكره الزمخشري في قوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد اذ جعل جملة معها سائق حالا من كل نفس لذلك ولا يخفى ما فيه ويجوز أن يكون منصوبا أو مرفوعا على الذم وتكرير مالا للتعظيم والتكثير وقد كان عند القائلين انها نزلت في الأخنس أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وجوز أن يكون للتحقير والتقليل باعتبار أنه عند الله تعالى أقل وأحقر شيء وقرأ الحسن وأبو جعفر وابن عامر والأخوان جمع بعد اللام للتكثير وهو أوفق بقوله تعالى (وَعَدَّدَهُ) أي عده مرة بعد أخرى حبا له وشغفا به وقيل جعله أصنافا وأنواعا كالدنانير ومتاع ونقود حكاه في التأويلات وقال غير واحد أي جعله عدة ومدخرا لنوائب الدهر ومصائبه وقرأ الحسن والكلبي وعدده بالتخفيف فقيل معناه وعده فهو فعل ماض فك ادغامه على خلاف القياس كما في قوله

مهلا اعادل قد جربت من خلقي ... اني أجود لأقوام وان ضنوا

وقيل هو اسم بمعنى العدد المعروف معطوف على ماله أي جمع ماله وضبط عدده وأحصاه وليس ذلك على ماقي الكشف من باب علفتها تبنا وماء باردا لان جمع العدد عبارة عن ضبطه واحصائه فلا يحتاج الى تكلف وعلى التوجيهين أيد بالقراءة المذكورة التي الأولى قراءة الجمهور وقيل هو اسم بمعنى الاتباع والأنصار يقال فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الأنصار وما يصلحهم وهو معطوف على ماله أيضا أي جمع ماله وقومه الذين ينصرونه (يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ) جملة حالية أو استئنافية وأخلده وخلده بمعنى أي تركه خالدا أي ما كان مكثا لا يتناهي أو مكثا طويلا جدا والكلام من باب الاستعارة التبعية والمراد ان المال طول أمله وبناء الأماني البعيدة فهو يعمل من تشييد البنيان وغرس الأشجار وكري

Marfat.com

الاشهار ونحو ذلك ممن يظن انه ماله أبقاه حيا والاظهار في مقام الاضمار لزيادة التقرير والتعبير بالماضي للمبالغة في المنع المراد وجوز أن يراد انه حاسب ذلك حقيقة الغرط غروره واشتغاله بالجمع والتكاثر عما عامله من قوارع الآخرة أو لزعمه ان الحياة والسلامة من الامراض والآفات تدور على مراعاة الاسباب الظاهرة وان المال هو المورد لكرتها والملك القاطع في مدتها وقيل المراد انه يحسب المال من المجدات والاظهر فيه ان الخلود دنيوي او اخروي ذكرا أو عينا اما النظر في اثبات هذه الخاصة للمال والغرض منه التعريض بان تملكها ينبغي للعاقل أن يكب عليه وهو السعي للآخرة وهو بعيد جدا وانا لم يجعل بعض الاجلة التعريض وجها مستقلا وزعم عصام الدين أنه يحتمل أن يكون فاعل أخلد الحاسب ومفعوله المال أي يظن أن يحفظ ماله أبدا ولا يعرف أنه معرض للحوادث أو للمفارقة بالموت ﴿ قبل بقدر مال البخيل بحادث أو وارث وهو لعمري بعيد لا عصام له ﴿ كَلَّا ﴾ ردع له عن ذلك الحسبان الباطل أو عنه وعن جمع المال وجعله الغرض على ما قيل واستظهر أنه ردع عن الهمز واللمز وتعليل بأنه بعيد لقطا ومعنى وأنا لا أرى بأسا في كون ذلك مترددا له عن كل ما تضمنت الجمل السابقة من الصفات القبيحة وقوله تعالى ﴿ لَيُنْبَذَنَّ ﴾ جواب قسم مقدر واقعة استئناف مبين لعلة الردع أي والله ليطرحن بسبب أفعاله المذكورة ﴿ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ أي في النار التي من شأنها أن تحطم كل من يلقى فيها وبناء فعلة للتنزيل الفعل لكونه طبيعيا منزلة العادة والحطم كسر الشيء بالفم ثم استعمل لكل كسر متناه وأنشدوا

انا حطمنا بالقضيب دعصا ٭ يوم كسرنا أنفه لبعضا

ويقال رجل حطمة أي أكول تشبيها بالنار والدليل في أكولها كما في جوفه تنوره وفسر الضحاك الحطمة هنا بالدرك الرابع من النار وقال الكلبي هي الطبقة السادسة من جهنم وحكى القشيري عنه أنها الدرك الثاني وقال الواحدي هي باب من أبواب جهنم وزعم أبو صالح أنها النار التي في قبور الكفرة وليس بشيء وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴾ لتهويل أمرها ببيان انها ليست من الامور التي تناط بعقول الخلق وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه والحسن بخلاف عنه وابن محيصن وحميد ومجرون عن أبي عمرو لينبذان بضمير الاثنين العائد على الهمزة ولمازه ومن الحسن أيضا لينبذن بضم الذال وحذف ضمير الجمع فقيل هو راجع لكل همزة باعتبار أنه متعدد وقيل له ولعدده أي اتباعه وأنصاره بناء على ما سمعت في قرائنه هناك ومن أبي عمرو لتنبذنه بتون الحطمة وهاء النصب وتون التأكيد وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنه في الحطمة وما أدراك ما الحطمة ﴿ نَارُ اللَّهِ ﴾ خبر مبتدا محذوف والجملة لبيان شان السؤال عنها أي هي نار الله ﴿ الْمُوقَدَةُ ﴾ بامر الله عز وجل وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل أمرها ما لا مزيد عليه ﴿ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾ أي تعلو أوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما أن الفؤاد الطف ما في الجسد وأشده تألما بادنى أذى يمسه أو لانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة والملكات القبيحة ومنشأ الاعمال السيئة فهو أنسب بما تقدم من جميع أجزاء الجسد وأخرج عبد بن حميد وابن ابي حاتم عن محمد بن كعب انه قال في الآية انا كل على شيء منه حتى ينتهي الى فؤاده فانا يلتمس فؤاده ليتدأ خلقه وجوز أن يراد الاطلاع المعنوي والكلام على سبيل المجاز وذلك أنه لما كان لكل من المعذبين عذاب من النار على قدر ذنبه الفؤاد من صفات قلبه قيل انها تطلع الاشد ذا في عذابا من القلوب فتعلم مالها فتجازى فالاحسب مالها من العدة للتعذيب كعذاب ارباب الاشارة يقولون ان

Marfat.com

ماذكر اشارة الى العذاب الروحاني الذي هو اشد العذاب (إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) أي مطبقة وتمام الكلام مر في سورة البلد (فِي عَمَدٍ) جمع عمود كما قال الراغب والفراء وقال ابو عبيدة جمع عماد وفي البحر وهو اسم جمع للواحد عمود وقرأ الاخوان وابو بكر عمد بضمتين وهرون عن أبي عمرو بضم العين وسكون الميم وهو في القراءتين جمع عمود بلا خلاف وقوله تعالى (مُّمَدَّدَةٍ) صفة عمد في القراءات الثلاث أي طوال والجار والمجرور في موضع الحال من الضمير المجرور في عليهم أي كائنين في عمد ممددة أي موثقين فيها مثل القناطر وهي خشب أو حديد توضع فيها خروق يوضع فيها الرجل المحبوسين من الصوص بالضم أو خزانة محذوف أي هم كائنون في عمد موثقون فيها وهي والعياذ بالله تعالى على ماروى عن ابن زيد عمد من حديد وأخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس انهم ان نار واستظير بعضهم ان العمد تمد على الابواب بعد أن توصد عليهم تأكيدا لايأسهم والله تعالى اعلم بذلك وفي حديث طويل أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن أبي هريرة مرفوعا أن الله تعالى بعد ان يخرج من النار عصاة المؤمنين وأطوطهم مكثا فيها من يمكث سبعة آلاف سنة يمت عزوجل الى أهل النار ملائكة باطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فيطبق عليهم بتلك الاطباق ويعمد بتلك المسامير ويعمد تلك العمد ولا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح ولا يخرج منه غم ويتسامع الجبار عزوجل على عرشه وتحت داخل أهل الجنة بنعيمهم ولا يستيئسون بعدها أبدا وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفيرا وشهيقا وفيه فذلك قوله تعالى انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة اللهم أجرنا من النار ياطير مستجار وعلى هذا يكون الجار والمجرور متعلقا بمؤصدة حالا من الضمير فيها كما قال صاحب الكشف وحكاه الطيبي في الارشاد عن أبي البقاء انه صفة لمؤصدة وقال بعض الامائل عليه أن يكون صلة مؤصدة على معنى أن الابواب أوصدت بالعمد وعمدت بها وأيد بما أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه قال في الآية أدخلهم في عمد وقعدت عليهم في أعناقهم السلاسل فسدت بها الابواب ثم ان مادكر لاشماره باطلوه وأعدية العذاب يناسب كون العمد فيهم كفارا عتوا ولزوا شر البشر صلى الله تعالى عليه وسلم وما تقدم من حمل العمد على القناطر قبل يناسب الصوم لان القناطر كانه مأوى من امراض الناس فيناسب أن يعذب بالقناطر كالصوص فلا يلزم الطرد ولعله يقال من تأمل في هذه السورة ظهر له العجب العجاب من التناسب فانه لا يوازي في الوصف في قوله تعالى عزة نزة قبل الخطة للتعادل ولما أفاد ذلك كسر الاعراض قويل بكسر الاضلاع الدال عليه بالخطة وجيء بالنبذ التي من الاستحقار في مقابلة ماظن الظالم نفسه من الكرامة ولما كان منشأ جمع المال سيطرة حب القلب جيء في مقابله بتطلع على الافئدة ولما كان من شأن جامع المال الحب له أن يعمد عليه قيل في مقابله انها عليهم مؤصدة ولما تضمن ذلك طول الامل قيل في عمد ممددة وقد صرح بذلك بعض الاجلة فتامل والله تعالى أعلم

سورة الفيل

مكية وآيها خمس بلا خلاف فيهما وكانه لما تضمن الهمز واللمز من الكفرة نوع كيده عليه الصلاة والسلام عقب ذلك بقصة أصحاب الفيل للاشارة الى أن على حكيدهم في الدنيا تدميرهم فان عناية الله عز وجل برسوله صلى الله تعالى عليه وسلم أقوى وأتم من عنايته سبحانه بالبيت فالسورة معتبرة الى ماآلهم في الدنيا اثر بيان ماآلهم في الاخرى ويجوز ان تكون للاستدلال على ماأشير اليه فيما قبلها من أن الشأن لايئس من الله تعالى شيئا أو على قدرته عزوجل على انفاذ ماتوعد به أولئك الكفرة في

قوله

قوله سبحانه ليبلغن في الخطبة الخ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ الظاهر ان الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام بانكار عدمها وهي بصرية تجوز بها عن العلم على سبيل الاستعارة التبعية أو المجاز المرسل لانها سببه ويجوز جعلها عقلية من اول الامر الان ذاك أبلغ وعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لما أنه سمعه متواترا وكيف في محل نصب على المصدرية بفعل والذي أي عمل فعل وقتيل على الحالية من الفاعل والكيفية حقيقة بالفعل لا بالمرتبة لامكان الاستفهام والجملة سادة مسد المفعولين اثر وجوز بعضهم نصب كيف بتر لاستلاج معنى الاستفهام منه كما في شرح المفتاح للشريف وصرح أبو حيان باستناده لانه يراعى صدارته ايقاد لحكم اصله وتعليق الرؤية بكيفية فعل تعالى شأنه لا ينافيه بان يقال ألم تر ما فعل وبأن لم الدخول الخاصة والاتيان بواو على كيفية حالية وهيئة آتية دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وغريبته وشرف رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فان ذلك كما قال غير واحد من الارهاصات لما روى أن النصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابراهيم بن المنذر شيخ البخاري لا يشك في ذلك أحد من العلماء وعليه الاجماع وقال ما خالفه وهم أي من أنها كانت قبل بخمس عشرين أو بخمس عشرة سنة أو بثلاث وعشرين سنة أو بثلاثين سنة أو باربعين سنة أو بخمسين سنة الاقوال المذكورة في حكتب السير والاول الرجح الذي عليه الجمهور قيل ولادته عليه الصلاة والسلام في اليوم الذي بعث الله تعالى فيه الطير على أصحاب الفيل من ذلك العام وهو المذكور في تاريخ ابن حيان وهو ظاهر قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولد عليه الصلاة والسلام يوم الفيل وذهب السهيلي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد بعدها بخمسين يوما وكانت في المحرم والولادة في شهر ربيع الاول وقال الحافظ الدمياطي بخمسة وخمسين يوما وقيل باربعين وقيل بشهر والمشهور ما ذهب اليه السهيلي وفي قوله تعالى ربك نوع رمز الى الارهاص وكون ذلك لاشرف البيت ودعوة الخليل عليه السلام لا ينافي الارهاص وكذا لا ينافيه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الصحيح لما بركت ناقته وقال الناس خلأت أي حرنت ما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل لم يدع أن ما كان للارهاص لا يقع ومثل هذه المثال لا يضر تعددها ويؤيد الارهاص قصة الزرامطة وغيرهم وتفصيل القصة ان أبرهة الاشرم بن الصباح الحبشي كما قال ابن اسحق وغيره وهو الذي يكنى بأبي يكسوم بالسين المهملة ولا بأباء التسمية بابرهة بناء على أن معناه بالحبشة الابيض الوجه كما لا يخفى وقيل انه الحارث خرج على ارباط ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بكسر النون بعد سنتين من سلطانه فقاتلوه وقد أرصد الاشرم خلفه فلاته عشرة فعمل عليه ارباط بحربة فضربه يريد بالقوة فوقعت على حوبه فخرجت حاجيه وأقعده وبه وشغله وقتا سمى الاشرم فعمل عشرة من خلف أبرهة فقتله وملك مكانه فغضب النجاشي فاسترضاه فرضي فاتبته ثم أنه بنى بصنعاء كنيسة لم ير مثلها في زمانها سماها القليس بقاف مضمومة ولام مفتوحة مشددة كما في ديوان الادب أو هذه حكذا قيل وبعدها ياء مثناة سفلية ثم سين مهملة وكان ينقل اليها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب على ما يقال من قصر بلقيس زوج سليمان عليه السلام وكتب الى النجاشي انني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها قبلك ولست بتنه حتى أصرف اليها حج العرب فلما تحدثت العرب بكتابه ذلك غضب رجل من النساءة أحد بني فقيم بن عدي من كنانة فخرج حتى أتاها فقعد فيها أي أحدث واطلع قبلتها بعذره ثم خرج ولحق بأرضه فأخبر أبرهة

Marfat.com

فقال من منع هذا فقيل رجل من أهل هذا البيت الذي تحج اليه العرب فكذ غضب لما سمع قولك انصرف اليها حج العرب فعمل ذلك فاستشاط أبرهة غضبا وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه وقيل أججت رفقة من العرب نارا حولها فحملتها الريح فاحرقتها فغضب لذلك فاسر الحبشة فتيات ولجيزت فخرج في ستين ألفا على ماقيل منهم ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وروى ذلك عن الضحاك وقيل ألف فيل وقيل معه محمود فقط وهو قول الاكثرين الاوفق بظاهر الآية فسمعت العرب بذلك فاعظموه وفظعوا بعزمه حياءه حقا عليهم فخرج اليه رجل من اشراف اليمن وملوكهم يقال له ذونفر بن الحارث من قومه وسائر العرب فقاتله فهزم وأخذ أسيرا فأراد قتله فقال أيها الملك لاتقتلني فعسى ان يكون بقائي معك خيرا لك من قتلي فتركه وحبسه عنده حتى اذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي بن معه من قومه وغيرهم فقاتله فهزم وأخذ أسيرا فهم بقتله فقال نحوما سبق فخلى سبيله وخرج به معه حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب الثقفي في رجال من ثقيف فقالوا له أيها الملك انا نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس لك عندنا خلاف وليس بيتنا هذا الذي تريد يعنون بيت اللات انما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم فبعثوا معه أبا رغال خرج ومعه أبو رغال حتى انزله المغمس فمات هو وضع بطريق الطائف معروف فقام رغال أبو رغال ودفن هناك فرجمت قبره العرب كما قال ابن اسحق وقيل القبر الذي هناك لابي رغال رجل من ثمود وهو أبو ثقيف كان بالحرم يدفع عنه فلما خرج منه اصابته النقمة التي أصابت قومه بالمغمس فدفن فيه واختاره صاحب القاموس ذاكرا فيه حديثا رواه أبو داود في سننه وغيره عن ابن عمر مرفوعا وقال فيما تقدم بعد نقله عن الجوهري ليس بجيد وجمع بعض بجواز أن يكون قبران لرجلين قال منهما أبو رغال ثم أن أبرهة بعث وهو بالمغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود حتى انتهى الى مكة فساق أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير وقيل أربعمائة بعير لعبد المطلب وكان يومئذ سيد قريش فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم بحربه فعرفوا أن لا طاقة لهم به فكفوا وبعث أبرهة حناطة الحميري الى مكة وقال قل لسيد أهل هذا البلد ان الملك يقول اني لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فان هو لم يرد حربي فائتني به فلما دخل حناطة مكة على عبد المطلب قال له ما أمر به فقال عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا به طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه ثم انطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفر وكان صديقه فدخل عليه فقال له هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدوة وعشيا ماعندي غناء في شيء مما نزل بك الا ان أنيسا سائس الفيل منزل لي فأوصيه بك وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بدالك ويشفع لك عنده بخير ان قدر على ذلك فقال حسبي فبعث اليه فقال له ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب عير مكة ويطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤس الجبال وقد أصاب الملك له مائتي بعير فاستأذن له عليه وانعته عنده بما استطعت فقال افعل فكلم أبرهة ووصف عبد المطلب بما وصفه به ذو نفر فأذن له وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم فلما رآه أكبره وعظمه من أن يجلس تحته وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سريره ملكه فنزل عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه الى جنبه وقال يترجمان له سل حاجتك فقال حاجتي ان الملك قد أصاب مائتي بعير لي ولي فيها رجاء فليرد علي بعيري فلما قال ذلك لترجمانه قال له قد كنت أعجبتني حين رأيتك فزهدت فيك حين كلمتني أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه فقال له انا ربها والبيت له رب سيمنعه فقال ما كان ليمتنع مني فقال له أنت وذاك فرد عليه بعيره فانصرف عبد المطلب الى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في رؤس الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الجيش وبعث معه نفرا من بنيه فأتى الحرم فأخذ بحلقة باب الكعبة هو وبنوه يدعون الله تعالى ويستنصرونه على أبرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

لاهم ان المرء يمنع رحله ... فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم ... عدوا محالك

ان كنت تاركهم وكعبتنا ... فأمر ما بدا لك

وانصرف عبد المطلب ومن معه الى رؤس الجبال ينتظرون ما يفعل بأبرهة وجنده فلما أصبح أبرهة غدا لدخول مكة وهيأ فيله وعبأ جيشه فلما وجهوا الفيل الى مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام الى جنب الفيل فأخذ بأذنه فقال له برك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام فبرك الفيل وخرج نفيل حتى صعد الجبل فلما ذهب ليضرب الفيل ليقوم أبى عليه فأدخل مرزبة بين أذنيه فضرب بها فصاح الفيل وبرك فاقتحم نفيل الجبل ونجا وذهب الفيل يشتد فضربوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول فوجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق فعل ذلك فاستناط أبرهة غضبا وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه وقيل أججت رفقة من العرب نارا حولها فحملتها الريح فاحرقتها فغضب لذلك فاسر الحبشة فتيات ولجيزت فخرج في ستين ألفا على ماقيل منهم ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وروى ذلك عن الضحاك وقيل ألف فيل وقيل معه محمود فقط وهو قول الاكثرين الاوفق بظاهر الآية فسمعت العرب بذلك فاعظموه وفظعوا بعزمه وأرادوا حياءه حقا عليهم فخرج اليه رجل من اشراف اليمن وملوكهم يقال له ذونفر بن الحارث من قومه وسائر العرب فقاتله فهزم وأخذ أسيرا فأراد قتله فقال أيها الملك لاتقتلني فعسى ان يكون بقائي معك خيرا لك من قتلي فتركه وحبسه عنده حتى اذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي بن معه من قومه وغيرهم فقاتله فهزم وأخذ أسيرا فهم بقتله فقال نحوما سبق فخلى سبيله وخرج به معه حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب الثقفي في رجال من ثقيف فقالوا له أيها الملك انا نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس لك عندنا خلاف وليس بيتنا هذا الذي تريد يعنون بيت اللات انما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم فبعثوا معه أبا رغال خرج ومعه أبو رغال حتى انزله المغمس فمات هو وضع بطريق الطائف معروف فقام رغال أبو رغال ودفن هناك فرجمت قبره العرب كما قال ابن اسحق وقيل القبر الذي هناك لابي رغال رجل من ثمود وهو أبو ثقيف كان بالحرم يدفع عنه فلما خرج منه اصابته النقمة التي أصابت قومه بالمغمس فدفن فيه واختاره صاحب القاموس ذاكرا فيه حديثا رواه أبو داود في سننه وغيره عن ابن عمر مرفوعا وقال فيما تقدم بعد نقله عن الجوهري ليس بجيد وجمع بعض بجواز أن يكون قبران لرجلين قال منهما أبو رغال ثم أن أبرهة بعث وهو بالمغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود حتى انتهى الى مكة فساق أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير وقيل أربعمائة بعير لعبد المطلب وكان يومئذ سيد قريش فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم بحربه فعرفوا أن لا طاقة لهم به فكفوا وبعث أبرهة حناطة الحميري الى مكة وقال قل لسيد أهل هذا البلد ان الملك يقول اني لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فان هو لم يرد حربي فائتني به فلما دخل حناطة مكة على عبد المطلب قال له ما أمر به فقال عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا به طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه ثم انطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفر وكان صديقه فدخل عليه فقال له هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدوة وعشيا ماعندي غناء في شيء مما نزل بك الا ان أنيسا سائس الفيل منزل لي فأوصيه بك وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بدالك ويشفع لك عنده بخير ان قدر على ذلك فقال حسبي فبعث اليه فقال له ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب عير مكة ويطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤس الجبال وقد أصاب الملك له مائتي بعير فاستأذن له عليه وانعته عنده بما استطعت فقال افعل فكلم أبرهة ووصف عبد المطلب بما وصفه به ذو نفر فأذن له وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم فلما رآه أكبره وعظمه من أن يجلس تحته وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سريره ملكه فنزل عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه الى جنبه وقال يترجمان له سل حاجتك فقال حاجتي ان الملك قد أصاب مائتي بعير لي ولي فيها رجاء فليرد علي بعيري فلما قال ذلك لترجمانه قال له قد كنت أعجبتني حين رأيتك فزهدت فيك حين كلمتني أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه فقال له انا ربها والبيت له رب سيمنعه فقال ما كان ليمتنع مني فقال له أنت وذاك فرد عليه بعيره فانصرف عبد المطلب الى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في رؤس الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الجيش وبعث معه نفرا من بنيه فأتى الحرم فأخذ بحلقة باب الكعبة هو وبنوه يدعون الله تعالى ويستنصرونه على أبرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

لاهم ان المرء يمنع رحله ... فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم ... عدوا محالك

ان كنت تاركهم وكعبتنا ... فأمر ما بدا لك

وانصرف عبد المطلب ومن معه الى رؤس الجبال ينتظرون ما يفعل بأبرهة وجنده فلما أصبح أبرهة غدا لدخول مكة وهيأ فيله وعبأ جيشه فلما وجهوا الفيل الى مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام الى جنب الفيل فأخذ بأذنه فقال له برك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام فبرك الفيل وخرج نفيل حتى صعد الجبل فلما ذهب ليضرب الفيل ليقوم أبى عليه فأدخل مرزبة بين أذنيه فضرب بها فصاح الفيل وبرك فاقتحم نفيل الجبل ونجا وذهب الفيل يشتد فضربوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول فوجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق فعل ذلك

Marfat.com

القصة قبل والارة عيدافة وهو خلاف ما مضت من القول الرجيح لهم الا ان يقال أنه تجل فيه ذلك النور وان كان قد انتقل ثم قال ارجعا قال لعلها حاجتك فقال حاجتي أن يرد على اللات والعزى فقال أبرهة ارجعا قال فرجعا فقدمت أتيتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين أتيتني في مائتي بعير أصبتها لك وتركت بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه فلا تكلمني فيه فقال عبد المطلب اني رب الابل وان البيت رب سيمنعه قال ما كان ليمنع مني قال أنت وذاك وفي رواية فدخل عليه مع عبد المطلب نفاثة بن عدي سيد بني بكر وخويلد بن واثلة سيد هذيل فعرضا عليه ثلث أموال أهل تهامة على أن يرجع ولا يهدم البيت فأبى فرد الابل على عبد المطلب فانصرف الى قريش فأخبرهم الخبر فتحرزوا في شعب الجبال تخوفا من مرة الجيش ثم قام فأخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل ويستنصرونه فقال وهو آخذ بحلقة الباب

لاهم ان المرء يـ ـمنع رحله فامنع حلالك
وانصر على آل الصلـ ـب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليـ ـبهم ◦ ومحالهم غدوا (١) محالك
جروا جموع بلادهم ◦ والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم ◦ جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعـ ـبتنا فأمر ما بدا لك

وقال أيضا

يارب لا أرجو لهم سواكا ◦ يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا ◦ امنعهم أن يخربوا قراكا

ثم أرسل الحلقة وانطلق هو ومن معه الى شعب الجبال ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما أصبح تهيأ لدخول وحبى جيشه وهيأ الفيل فلما وجهوه الى مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام الى جنب الفيل فأخذ بأذنه فقال ابرك محمود وارجع راشدا فانك في بلد الله الحرام ثم أرسل اذنه فبرك أي ساط وخرج نفيل يشتد حتى أصعد في الجبل فضربوا الفيل وأرجموه ليقوم فأبى ووجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول الى الشام فعل مثل ذلك فوجهوه الى مكة فبرك فلم يقوموا الطير يلعب فيزيدهم ذلك ويجمع ذلك وقيل ان عبد المطلب هو الذي ترك الله وقال لما عاذ الرجل ببيته عاذ الله والذي حصر وأرسل الله تعالى عليها طيرا من البحر قيل سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مثل الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار بحدتها حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال العدس والعدس لا يصيب أحدا منهم الا هلك ويروى أنه يقتلها على رأس أحدهم فتخرج من دبره وينساقط لحمه فجعلوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاؤا يسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل حين رأى ما نزل بهم

أين المفر والالاه الطالب ◦ والأشرم المغلوب ليس الغالب
وقال أيضا
ألا حييت عنا يا رديـنا ◦ تحمل عنا من الاصباح عينا
رديـنة لو رأيت ولا تريه ◦ لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتني وحمدت أمري ◦ ولاقيت التي لا شيء فوقها
فكل القوم تسأل عن نفيل ◦ كأن علي للحبشان دينا

وجعلوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون في كل منهل وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم تسقط أنملة أنملة كلما سقطت أنملة تبعها منه مدة ثم دم وقيح حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات

(١) قوله غدوا بالدين المعجمة بمعنى الدنو أريد به تقريب الزمان ويروى عدوا بالمهملة أي ظلما اه منه

Marfat.com

حتى انصدع صدره عن قلبه وقد أشار الى ذلك ابن الزبعرى بقوله من أبيات يذكر فيها مكة

سائل أبرهة الجيش عما ترى * وسؤوف يأتي الجاهلين عليما
مستون ألفاً لم يؤوبوا أرضهم * بل لم يعش بعد الإياب سقيما

وفيما ذكرناه من سير كثيرة ذكر إن هذا وجملة ما في سيره وفيه ان الطير إنما صنعت ما صنعت وذكر بعضهم انه إنما نجا منهم أمير واحد دخل على النجاشي فأخبره الخبر والطير على رأسه فلما فرغ ألقى عليه الحجر فخرت البطارق تلك على رأسه فاطلعتهم وقيل ان ملك الفيل وقائده تخلفا في مكة فسألا عني عائشة أنها قالت أدركت قائد الفيل وسائسه بمكة أعمين مقعدين يستطعمان الناس وعن عكرمة ان من اصابه الحجر جدري وهو أول جدري ظهر في أرض العرب فمن يعقوب بن عتبة انه حدث ان أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام وأنه أول ما رؤي بها مرائر الشجر الحرمل والخطل والعنم ذلك العام أيضا ويروى أن عبد المطلب لما ذهب الى شعف الجبال بمن معه بقي ينتظر ما يفعل القوم وما يفعل بهم فلما أصبح بعث أحد أولاده على فرس له سريع ينظر ما فعلوا فذهب فإذا القوم مقتدطين جميعا فرجع راكضا رأسه كاشفا عن خلفه فلما رأى ذلك أبوه قال ألا ان الفرس العرب وما كشف عن مؤخرته الا مستبشراً أو نذيراً فلما دنا من نادبهم قالوا ملوراك قال هلكوا جميعا فخرج عبد المطلب وأصحابه اليهم فأخذوا أموالهم وقال عبد المطلب

أنت منعت الحبش والأثالا * وقد رموا بمكة الأحبالا
وقد حسبنا منهم القتالا * وكل أمر منهم ممثالا
* شكراً وحمداً لليك المتعالا *

هذا ومن أراد استيفاء القصة على أتم ما ذكر فعليه بمطولات كتب السير وقرأ السفير أم تر بسكون الراء جميعا في اظهار أثر الجازم لان جزمه بحذف آخره فاسكان ماقبل الآخر للاجتهاد في اظهار أثر الجازم قيل والسر فيه هنا الاسراع الى ذكر مايهم من الدلالة على أمر الالوهية والنبوة أو الاشارة الى الحث في الاسراع بالرؤية ايماء الى ان أسرع على كثرتهم كان لمح البصر من يسارع الى رؤيته لم يدركه حق الادراك وتعقب هذا بان تقليل البنية يدل على قلة المثنى وهو الرؤية لا على قلة زمانه وقيل اصل السفير الزمن من أول الامر الى كثرة الخلف في أولئك القوم فتدبر وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ الخ بيان اجمالي لما فعل الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما في قولك معطوف على الجملة الاستفهامية ماقبلها كأنه قيل قد جعل كيدهم في تضليل الكعبة وتخريبها وصرف شرف أهلها لهم في تضييع وابطال بان صرفهم أشنع تدمير وأصل التضليل من ضل عنه اذا ضاع فاستعير هنا للابطال ومنه قيل لامرىء القيس الضليل لانه ضاع دمه وقيل أبطل وخيب ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ أي جماعات جمع الابكسر الهمزة وتشديد الباء الموحدة وحكى الفراء ابالة بخففا وهي حزمة الحطب الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وتستعمل أيضا في غيرها ومنه قوله

كانت تهدد من الاصوات راعدة * اذ سالت الارض بالخطي الاباليل

وقيل واحده إبول مثل عجول وقيل إبيل مثل سكين وقيل أبل وقال أبو عبيدة والفراء لاواحد له من لفظه كعباديد الغرقى من الناس الذاهبون في كل وجه والعصابة التطمع الفرقا وجاءت هذه الطير على ماروى من جميع من جهة البحر ولم تكن نجدية ولا تهامية ولا حجازية وزعم بعض ان حمام

Marfat.com

الطير من تلقاء نفسها ولا يصح ذلك وبما نقل عن جبلة الحيوان من انها تتشاءم وتتفاءل بين السماء والأرض وقد تقدم الخلاف في كونها ومن عكرمة كأن وجوهها مثل وجوه السباع إلى آخر قيل ذلك ولا بعده (تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ) صفة أخرى لطير وعبر بالمضارع لحكاية الحال واستحضار تلك الصورة البديعة وقرأ أبو حنيفة وأبو يحيى وعيسى وطلحة في رواية يرميهم بياء التحتية والضمير للستر المفهم أيضا والتذكير لانه اسم جمع وهو على ما حكى الخفاجي لازم التذكير فتأنيثه لتأويله بالجماعة وقيل يجوز الامران وهو ظاهر كلام أبي حيان وقيل الضمير عائد على ربك ويأبى ذلك ونسبة القراءة المذكورة لابي حنيفة رضي الله تعالى عنه حكاها في البحر وعن صاحب التقريب أنه رضي الله تعالى عنه الاقرا اذا وان القراآت المتواترة موضوعة (بِحِجَارَةٍ) صفة حجارة أي كائنة من طين متحجر معرب سنك كل وقيل هو عربي من السجل بالكسر وهو الدلو الكبيرة وسمي كون الحجارة من الدلو أو اتباعة كثيرة كالماء الذي يصب من الدلو فيه استعارة مكنية وتخييلية وقيل من الاسجال بمعنى الارسال والمعنى من مثل شيء مرسل ومن في جميع ذلك ابتدائية وقيل من السجل وهو الكتاب أطلق السجل وجعل علما للديوان الذي كتب فيه عقاب الكفار والمعنى من جملة العذاب المكتوب المدون فن تبعيضية والخلاف في حجم تلك الطير ولكنا في حجم تلك الحجارة فمن أنها مثل الخطاطيف وان الحجارة أمثال الحمص والعدس وأخرج أبو نعيم عن نوفل بن أبي معاوية الديلي انه قال رأيت الحمى التي رمي بها اصحاب الفيل حمى مثل الحمص والجدري من العدس حمر بحتة (١) كأنها جزع ظفار وأخرج ابو اسمعيل الدلائل عن ابن عباس أنه قال حجارة مثل البندق وفي رواية ابن مردويه عنه مثل بعر الغنم وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن عبيد بن عمير أنه قال في الآية هي طير خرجت من قبل البحر كالها رجال السند منها حجارة أمثال الابل البوارك وأصغرها مثل رؤس الرجال لا تريد أحداً منهم إلا أصابته ولا أصابته إلا قتلته والقول عليه ان الطير في الحجم كالخطاطيف وأن الحجارة منها حاملوها الحصى ودونها وفويقها وروى ابن مردويه وأبو نعيم عن أبي صالح انه مكتوب على الطير اسم من رمي به واسم أبيه وأنه رأى ذلك عند أم هانئ (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود أو أكل حبه فبقي صفراً منه والكلام على هذا على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أو على الاستعارة المجازي والتشبيه بذلك لذهاب أرواحهم وبقاء أجسادهم أو لان الطير يحرارة يحرق أجوافهم ويذهب غير واحد الى أن التي كتبين أنها الدواب وذاك والذي كرمت إلا أنه لم يذكر بهذا اللفظ فجئت جاء على الآداب القرآنية فشبه بقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث فيه الظهار لتشويه حالهم وقيل التي كتبين أنها الدواب وتروثه والمراد جعلهم في حكم التبن الذي لا يتبع منه الدواب أي مبتذلين خالين لا يلتفت اليهم أحد ولا يجتمعون ولا يدخرهم كتبين في الصحراء تفعل به الدواب ما شاءت لعدم حافظ له إلا انه وضع ما كول موضع أكلته الدواب فكناية للماضي في صورة الحال وهو كما ترى وكأنه لما أن عيشهم طعم الكبة ناسب اعقابهم بالحجارة ولما ان الذي أكثر تخريبهم مدرة الكثاتي شبههم فيما فعل سبحانه بهم على القول الاخير بالروث أو لما ان الذي أثاره احتراقها بما حملت الريح من نار الحرب على ما سمعت شبههم عز وجل فيما فعل جل شأنه بهم بعصف أكل حبه على ما أشرنا اليه أخيرا وقرأ أبو الدرداء فيما نقل ابن خالويه ما كول بفتح الطاء طرحة الباء طرحة الميم وهو شاذ وعطا كما أتبعوا في قولهم لحوم بفتح الحاء طرحة الميم والله تعالى أعلم

(١) قوله بحتة بالضم السواد اه منه

Marfat.com

سورة قريش

ويقال سورة الايلاف قريش وهي مكية في قول الجمهور مدنية في قول الضحاك وابن السائب وآيها خمس في الحجازي وأربع في غيره وتناسبها لما قبلها أظهر من أن يخفى بل قالت طائفة انهما سورة واحدة واحتجوا عليه بان أبي بن كعب لم يفصل بينهما في مصحفه بالبسملة بما روى عن عمرو بن ميمون الازدي قال صليت المغرب خلف عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقرأ في الركعة الاولى والتين وفي الثانية لم تر والايلاف قريش من غير ان يفصل بالبسملة وأجيب بان جمعا أثبتوا الفصل في مصحف أبي والثبت مقدم على النافي وبان خبر ابن ميمون ان سلمت صحته مختل لعدم سماعه والده قرأهما سرا ويدل على كونها سورة مستقلة ما أخرج البخاري في تاريخه والعقيلي والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من أم هانيء بنت أبي طالب أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فضل الله تعالى قريشا بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم أني فيهم وفي لفظ النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم والصبر على القتال وعبدوا الله تعالى سبع سنين وفي لفظ عشر سنين لم يعبده سبحانه أحد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم لايلاف قريش وجاء نحو هذا الاخير في خبرين آخرين أحدهما عن الزبير بن العوام يرفعه والثاني عن سعيد بن المسيب عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤيد الاستقلال احتمال كون آيها ليست على نمط آي ما قبلها وأنت تعلم انه بعد ثبوت تواتر الفصل لا يحتاج الى شيء مما ذكر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ الايلاف على ما قال الخفاجي مصدر ألفت الشيء وآلفته من الالف وهو كما قال الراغب اجتماع مع التئام وقال البعوي في القرين الايلاف عهود بينهم وبين الملوك فكان هاشم يؤلف ملك الشام والمطلب كسرى وعبد شمس وتوفل يؤلفان ملك مصر والحبشة قال ومعنى يؤالف يعاهد ويصالح وفيه آلف على وزن فاعل ومصدره الافا بغير ياء قبل أو ألف الثلاثي كتب كتابا ويكون الفعل منه أيضا على وزن أفعل مثل آمن ومصدره ايلافا كايمان وحمل الايلاف على النهي خلاف ما عليه الجمهور كما لا يخفى على المتتبع وفي البحر الايلاف مصدر آلف رباعيا والالف مصدر ألف ثلاثيا يقال ألف الرجل الامر ألفا وآلافا وآلف غيره اياه وقد يأتي ألف متعديا لواحد كالف ومنه قوله

من المؤلفات الرمل أدماء حرة ٭ شعاع الضحى في جيدها يتوضح

وسيأتي ان شاء الله تعالى ما في ذلك من القراآت وقريش ولد النضر بن كنانة وهو أصح الاقوال وأثبتها عند القرطبي قيل وعليه الفقهاء لظاهر ما روي أنه عليه الصلاة والسلام سئل من قريش فقال من ولد النضر وقيل ولد فهر بن مالك بن النضر وسمي ذلك من الاثبرين بل قال الزبير بن بكار أجمع النسابون من قريش وغيرهم على أن قريشا انما تفرقت من فهر واسمه عند غير واحد قريش وفهر لقبه وبكنى بابي غالب وليس ولد مالك بن النضر وهو خسيف وفي بعض السير انه لاعقب للنضر ابن كنانة الا مالك وأعقب من مالك بل هو قول رافضي يريد به نفي حقية خلافة الشيخين أبي بكر وقصي بن حكيم وقيل مرة الشهور بلقبه كلاب لكثرة صيده أو لكلابه أي مواليه في الحرب للاعداء ثم قصي جمع قريشا في الحرم حتى الحقوه مسكنا بعد ان كانوا متفرقين في غيره وهذا الذي عناه الشاعر بقوله

Marfat.com

أبوا نصى كان يدعى مجمعا ✿ به جمع الله القبائل من فهر

فلا يدل على ما زعمه أصلا وهو في الأصل تصغير قرش بفتح القاف اسم لدابة في البحر أقوى دوابه تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وبذلك أجاب ابن عباس معاوية لما سأله لم سميت قريش قريشا وتلك الدابة تسمى قرشا كما هو المذكور في كلام الخبر وتسمى قريشا وعليه قول تبع كما حكاه عنه أبو الوليد الأزرقي وأنشده أيضا الخبر لمعاوية الا أنه نسبه للجمحي

وقريش هي التي تسكن البحـ ✿ ـر بها سميت قريش قريشا
تأكل الثث والسمين ولا تـ ✿ ـترك يوما لذي جناح ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ✿ يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهـم آخر الزمان نبي ✿ يكثر القتل فيهم والخموشا

وقال الفراء هو من التقرش بمعنى التكسب معولا على ذلك التجار ثم وقيل من التقريش وهو التفتيش ومنه قول الحرث ابن حلزة

أيها السائلون عنا ✿ عند عمرو فهل لنا بالعباد

سموا بذلك لان أباهم كان يفتش عن أرباب الحوائج ليقضي حوائجهم ولذا كانوا هم يفتشون على ذي الحاجة من الحاج ليسدوها وقيل من التقرش وهو التجمع ومنه قوله

اخوة قرشوا الذنوب علينا ✿ في حديث من دهرهم وقديم

سموا بذلك لتجمعهم بعد التفرق والتصغير اذا كان من المزيد تصغير ترخيم واذا كان من ثلاثي مجرد فهو على أصله وأيا ما كان فهو للتعظيم مثله في قوله

وكل أناس سوف تدخل بينهم ✿ دويهية تصفر منها الأنامل

والنسبة اليه قرشي وقريشي كما في القاموس وأجمعوا على صرفه عكارا مواقيعمض الحي ويجوز منع صرفه لحصوله فيه معنى القبيلة فتأنيث وعليه قوله ✿ وقى قريش المضلات وسادها ✿ ومن سيويه أنه قال في نحو مسد وقريش وتأليف هذه الأحياء الكثر وان جاءت أسماء قبائل فإثر حسن والام في لايلاف للتعليل والجار والمجرور متعلق عند الخليل بقوله فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى غير محصورة فان لم يعبدوا لسائر نعمه سبحانه فليعبدوا لهذه النعمة الجليلة ولما لم تكن في جواب شرط حذفي كانت في الحقيقة زائدة فلا يمنع تقديم معمول ما بعدها عليها وقوله تعالى ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ بدل من إيلاف قريش ورحلة مفعول لايلافهم على تقدير ان يكون من الالفة أما اذا كان من الوالة بمعنى المساعدة فهو منصوب على نزع الخافض أي مساعدتهم على أو لاجل رحلة الخ والمعنى لايلاف قريش ثم ابدال الفيد منه للتعظيم وروى عن الاخفش أن الجار متعلق بمضمر أي فعلنا ما فعلنا من اهلاك اصحاب الفيل لايلاف قريش وقال الكسائي والفراء كذلك الا انهما قدرا الفعل بدلالة السياق الجوا كأنه قيل ألجوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وترلهم عبادة الله تعالى الذي أمنهم ورزقهم وآمنهم فلذا أمروا بعبادة ربهم المنعم عليهم بالرزق والامن عليه وقرن بالفاء التفريعية ومن الاخفش أيضا أنه متعلق بجعلهم كعصف في السورة قبله والتراكيب كالسورة الواحدة فلا يضر الفصل بالبسملة خلافا لجمع والتي أطلقت سبحانه من قصدهم من الحبشة وأم يسلطهم عليهم ليبقوا على ما كانوا عليه من ايلافهم رحلة الشتاء والصيف أو أطلقت عز وجل من قصدهم ليشير الناس ولا يجترىء عليهم أحد فيتم لهم الامن في رحلتهم ولا يبالي هذا كون اعلافهم

Marfat.com

للكرم باستتباعه البيت الجواز تعليله بامرين فان كلا منهما ليس علة حقيقية لجمع التعدد وقال غير واحد ان اللام للعاقبة وكان لقريش رحلتان رحلة في الشتاء الى اليمن ورحلة في الصيف الى بصرى من أرض الشام كما روى عن ابن عباس وكانوا في رحلتهم آمنين لانهم أهل حرم الله تعالى ولانهم التجار فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب وعن ابن عباس أيضا أنهم كانوا يرحلون في الصيف الى الطائف حيث الماء والظل ويرحلون في الشتاء الى مكة للتجارة وسائر أغراضهم وأفردت الرحلة مع أن المراد رحلتا الشتاء والصيف لامن الالبس وظهور المعنى ونظيره قوله ✿ حمامة بطن الوادين ترنمي ✿ حيث لم يقل بطني الواديين وقوله

قلوا في بعض بطنكم تعفوا ✿ فانت زمانتكم زمن خميص

حيث لم يقل بطونكم بالجمع لذلك وقول سيبويه ان ذلك لايجوز الا في الضرورة فيه نظر وقال النقش كانت لهم أربع رحل وتبعه ابن عطية بأن قول مردود وفي البحر لاينبغي أن يرد فان أصحاب الايلاف كانوا أربعة اخوة وهم بنو عبد مناف هاشم كان يؤالصعاف الشام أخذ منه حبلا فأمن به في تجارته الى الشام وعبد شمس يؤالف الى الحبشة والطالب الى اليمن ونوفل الى فارس فكان هؤلاء يسمون التجرين فيختلف تجر قريش بطيل هؤلاء الاخوة فلا يتعرض لهم قال الازهري الايلاف شبه الاجارة بالظئرة فان كان كذلك جاز أن يكون لهم رحل أربع باختيار هذه الاماكن التي كانت التجارة في خفارة هؤلاء الاربعة فيها فيكون رحلة هنا اسم جنس يصلح للواحد والاكثر وفي هؤلاء الاخوة يقول الشاعر

يأيها الرجل المحول رحله ✿ هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العهد من آفاقها ✿ والراحلون لرحلة الايلاف
والراقدون وليس يوجد رائش ✿ والقائلون هلم للاضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم ✿ حتى يصير فقيرهم كالكافي

انتهى وفيه غفلة لا تخفاك سابقا عن القرطبي ثم ان ايراد ماذكر من الرحل الاربع غير ظاهر كالايخفى وقرأ ابن عامر لايلاف قريش بلا ياء ووجه ذلك عامر وفي كتاب السبعة قراءة ابن عامر بالياء كما استدل قراءة الاولى وبمعنى هذا رسم الاول في المصاحف الشامية باليا ورسم الثاني بغير ياء كما قاله السيوطي وجعل ذلك شاهدا على ان القراء يقيدون بالرواية سواء دون رسم المصحف وذكر في وجه ذلك انها رسمت في الاول على الاصل وتركت في الثاني اعتمادا على الاول وهو كما ترى فقد روى عن أبي بكر عن عاصم أنه قرأ بهمزتين فيهما الثانية ساكنة وهذا شاذ وان كان الاصل ولكنهم لما أبدلوا الهمزة التي هي فاء الكلمة لثقل اجتماع همزتين وروى محمد بن داود النقار عن عاصم انه سهلا فهم بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنة ناشئة عن حركة الهمزة الثانية لما أثبتت والصحيح وجوده عن القراءة بهمزتين ولم قرأ كالجماعة وقرأ أبو جعفر فيما حكى الزعفراني لالف قريش وقرأ فيما حكى ابن عطية الفهم وحكيت عن عكرمة وابن كثير وأنشدوا

زعمتم أن إخوتكم قريش ✿ لهم إلف وليس لكم إلاف

وعن أبي جعفر أيضا ولاين عامر لإلافهم على وزن فعل دون أبي جعفر أيضا لإلاف بياء ساكنة بعد اللام ووجهه كما أبدل الثانية ياء حذف الاولى حذفا على غير قياس وعن عكرمة لأالف قريش على صيغة المضارع المنصوب بان مضمرة بعد اللام ورفع قريش على القاطعة ومنه أيضا لالف على الامر وعنه وعن هلال بن فنجان بتاج لام

Marfat.com

الأمر والظاهر ان البلاغيم على جميع ذلك منصوب على المصدرية وفي أو من تعرض له وقرأ أبو السماك رحمه بضم الراء وهي حينئذ بمعنى الجهة التي يرحل اليها وأما مكسور الراء فهو مصدر على ما صرح به في البحر ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ هو الكعبة التي حبث من أصحاب الفيل ومن عمر أله سل الناس بمكة عند الكعبة فقرأ فليعبدوا رب هذا البيت جبل يرمى باسمه اليها وهو في الصلاة يزيدي اقة تعالى ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم﴾ بسبب ذلك الرحلتين اللتين تمكنوا منهما بواسطة كونهم من حيرانه ﴿مِّن جُوعٍ﴾ شديد كانوا فيه قبلهما وقيل أريد بالقحط الذي أقوا فيه الخليل عليه السلام ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ عظيم لا يقادر قدره وهو خوف أصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم أو خوف الجذام كما أخرج ذلك ابن جرير وغيره عن ابن عباس فلا يصيبهم في بلدهم فضلا منه تعالى كالطاعون وعنه ايضا انه قال اطعمهم من جوع بدعوة ابراهيم عليه السلام حيث قال وارزقهم من الثمرات وآمنهم من خوف حيث قال ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا ومن قبل تطيبة أي أنعم عليهم وأطعمهم لازالة الجوع عنهم ويقدر المضاف الظهر هذا القبيل أو يقال الجوع علة بادية ولا تقدير وقيل بدلية منها في قوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وحكى الكرماني في غرائب التفسير انه قيل في قوله تعالى وآمنهم من خوف ان الخلافة لا تكون الا فيهم وهذا من البطلان بمكان كما لا يخفى وقرأ النبي من تافع من خوف باخفاء النون في الخاء وحكى ذلك عن سيبويه وكذا اخفاؤها مع الين نحو من على ملا والله تعالى أعلم

سورة الماعون

وتسمى سورة أرأيت والدين والتكذيب وهي مكية في قول الجمهور وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير كما في الدر المنثور وفي البحر انها مدنية في قول ابن عباس وقتادة وحكى ذلك أيضا عن الضحاك وقال عبد الله المفسر الضرير نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل ونصفها في المدينة في عبد الله بن ابي المنافق. وآيها سبع في العراقي وست في البقية ولم أر سبحانه في سورة قريش أطعمهم من جوع ذم مزوجل هناك ليعبدوا رب هذا البيت المكين وهنا قال تعالى هناك فليعبدوا رب هذا البيت ذم سبحانه هناك بالعبادة أولا لعدد نعمه تعالى على قريش وثانيا لايمنون بالبيت والحرم أتبع سبحانه امتنانه عليهم تهديدهم بالجزاء لو تخونهم من عذابه فقال عز قائلا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ استفهام أريد به التشويق السامع الى معرفة المكذب وان ذلك مما يجب على المتدين الحذر عنه وعن فعله وفيه أيضا تعجيب منه والخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو لكل من يصلح له والرؤية بمعنى المعرفة المتعدية لواحد وقال الحوفي يجوز أن تكون بصرية وعلى الوجهين يجوز أن يتجوز بذلك عن الاخبار فيكون المراد بأرأيت أخبرني وحينئذ يحتمل ان تكون متعدية لاثنين أو لها الموصول وثانيهما محذوف تقديره من هو أو أليس مستحقا للعقاب والقول بأنه لا تكون الرؤية المتجوز بها إلا بصرية فيه نظر وكذا الخلاف القول بان كاف الخطاب لا تلحق البصرية اذ لا مانع من ذلك بعد التجوز فلا يرجح كونها علمية قراءة عبد الله أرأيتك بكاف الخطاب الزيدة كما في عمدة الناسك لبدر الدين الجزار وهو أحد مبانيه ومنه كاذين تعالن وفي معناه قول مجاهد الحساب أو الاسلام كما هو الاشهر والمراد من فسره بالقرآن وكذا من فسره كابن عباس بحكم الله عز وجل وقرأ الكسائي أرأيت بحذف الهمزة كما حل الناطق في حذف همزته على مضارعه

(م ٢١ ـ ج ٣٠ و ٣٠ الثاني)

Marfat.com

الظرف فيه حذفها وهذا كما أخلق تمديده في الأفعال والمعنى لصدير الفعل هنا بهمزة الاستفهام سهل أمر الحذف فيه لمشابهته لفظ المضارع البدوء بالهمزة ومن هنا كانت هذه القراءة أقوى توجيها كما في قوله

صاح هل ريت أو سمعت براع ✽ رد في الضرع ما قرى في الحلاب

وقيل أخلق بهمزة الاستفهام بارى ماضي الأفعال لشدة مشابهته به وعدم التذاوت الابتنائية هي لحقها في حكم السكون وليس بذاك وان زعم ابن الأنباري وجمع الفاضل قوله تعالى ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ قبل للسببية ومابعدها مسبب عن التفويق الذي دل عليه الكلام السابق وقيل والفاء في جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدأ والموصول خبره والتقدير هل عرفت الذي يكذب بالجزاء أو بالاسلام ان لم تعرفه فذلك الذي يكذب بذلك هو الذي يدع اليتيم أي يدفعه دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للدلالة على التحقير وقيل للاشعار بعلة الحكم أيضا وفي الاتيان بالموصول من الدلالة على تحقق الصلة ما لا يخفى وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه والحسن وأبو رجاء والجحدري يدع بالتخفيف أي يترك اليتيم لا يحسن اليه ويجفوه ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ أي ولا يبعث أحدا من أهله وغيرهم من الموسرين ﴿عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أي بذل طعام المسكين وهو ما يتناول من الغذاء والتعبير بالطعام دون الاطعام مع احتياجه للتقدير المضاف كما أشرنا اليه للاشعار بأن المسكين لما أنه مالك لا يعطى له كما في قوله تعالى في أموالهم حق للسائل والمحروم فهو بيان لمدة الاستحقاق وفيه اشارة الى ان الامتناع وقيل الطعام هنا بمعنى الاطعام وكلام الراغب يحتمل ذلك فلا يحتاج الى تقدير المضاف وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما ولا يحاض مضارع حاضض وهذه الجملة عطف على جملة الصلة داخلة معها في حيز التعريف للتكذيب فيكون سبحانه وتعالى قد جعل علامات الاقدام على ايذاء الضعيف وعدم بذل المعروف على معنى ان ذلك من شأنه ولوازم جنسه ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي غافلون غير مبالين بها حتى لفوتهم بالكلية أو بخروج وقتها أولا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والسلف ولكن يقرؤونها نقرا ولا يخشعون ويتجدون فيها ويتمهلون وفي كل واد من الاودية غير مبالين بما يرتكبون فيسلم أحدهم منها ولا يدري ما قرأ فيها الى غير ذلك مما يدل على قلة المبالاة بها والمساهلة كثيرة في الزاد بهذا السهو ولعل في ذلك من باب التهكم فعن أبي العالية هو الالتفات عن اليمين واليسار وعن قتادة عدم مبالاة الرء أصلى أم لم يصل وعن ابن عباس وجماعة تأخيرها عن وقتها وفيه حديث أخرجه غير واحد عن سعد بن ابي وقاص مرفوعا وقال الحاكم ولا يبعد وقد أصح وعن أبي العالية هو أن لا يدري الرء عن كم انصرف عن شفع أو عن وتر وفسر بعضهم السهو عنها بالتأخير كما وقال الزاد بالمصلين المنافقون بدلة أهل الصلاة ان أريد بالترك الترك رأسا وعدم الفعل بالكلية أو المصلون في الجملة ان أريد بالترك الترك أحيانا ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ الناس ليمدحوهم حيث يروا الناس ويروونهم طلبا للثناء عليهم ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ أي الزكاة كما جاء عن علي كرم الله تعالى وجهه وابن الحنفية وابن عباس وابن عمر وزيد بن أسلم والضحاك وعكرمة ومنه قول الراعي

أطلبة الرحمن ما معشر ✽ حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى لله من أموالنا ✽ حق الزكاة منزلا تنزيلا
قوم على الاسلام لما يمنعوا ✽ ما عونهم ويضيعوا التنزيلا

ومن عبد بن كعب والكلبي المعروف لكن وأخرج جماعة عن ابن مسعود تفسيره بما يتعاوره الناس بينهم من القدر والفأس والدلو ونحوها من متاع البيت وجاء ذلك عن ابن عباس أيضا في خبر رواه عنه الضياء في

Marfat.com

الفخار والطاووس والبيض وغيرها وردوا فيه عدة أحاديث مرقومة ومتى ذلك قد يكون محظورا في الصريح كما اذا اشتمل على افتراء وقيحا في الروية كما اذا اشتمل في غير حال الضرورة وعوض ما أخرج ابن أبي شيبة عن الزهري انه لسان قريش وقال أبو عبيدة والزجاج والبرد هو في الجاهلية كل ما فيه منفعة من قليل أو كثير وأريد به في الاسلام الطاعة واختلف في أصله فقال قطرب أصله ما دوام من الدين وهو الثبات القليل وقالوا ماله مدة أي شيء قليل وقيل أصله معونة والالف عوض من الهاء فوزنه مفعل في الاصل كمكرم فتكون الميم زائدة ووزنه بعد زيادة الالف عوضا ما فعل وقيل عواسم مفعول من أعان يعين وأصله معوون فقلب فصارت عيه مكان فائه فصار موعون ثم قلبت الواو ألفا فصار ماعونا فوزنه مفعول بتقديم العين على الفاء والفاء على اللام كما قيل في الجاثية والكلام ترق من ذلك الشرف الى شرف أقوى أي اذا كان دع اليتيم والحض بهذه المثابة فما بال المصلي الذي هو ساه عن صلاته التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر مرتكب لهذه في أفعاله الذي هو شعبة من الشرك ومانع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الاسلام أو مانع الاعارة التي هي أدنى المعارف الناس اعارتها فضلا عن اخراج الزكاة من ماله فذلك الم على التكذيب الذي لا يخفى والشرف له الذي لا يبقى والغرض التغليظ في أمر هذه الرذائل التي ابتلى بها كثير من الناس وأنها لا تناسب سمات المكذب بالدين فان على المؤمن المتقد له أن يبعد منها براحل ويتبين أن أم في منصب التكذيب بالدين والمراد بالتكذيب على هذا الجنس والاشارة لا تمنع منه كما لا يخفى وقيل هو أبو جهل وكان وصيا ليتيم فأتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا عنيفا وقال ابن جريج هو أبو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل الوليد بن المغيرة وقيل العاص بن وائل وقيل عمرو بن عائذ وقيل منافق يخيل وعلى جميع هذه الاقوال يكون مبتدأ وحينئذ فالقول بان السامعين عن الصلاة للرائين أيضا صرف قال صاحب الكشف غير ملائم بل يكون شبه استطراد مستفاد من الوصف المعرف الذي دع اليتيم على معنى أن الدع اذا كان حاله انه على التكذيب فما حال السهو عن الصلاة وما عطف عليه وهما أشد من ذلك وأشد وانما جعل شبه استطراد على ما قال لان الكلام في التكذيب الآتي التحذير من الدع بالاصالة والمراد بالجنس الصادق بالجمع وكون ذلك تكذيبا واضحا كما قيل غير واضح فكان قيل أخبرني بالقول فيمن يكذبون بالدين وفيمن يؤذون اليتيم أحسن حظيوما يعتمون أم قبيح والغرض من الاول بالقبح على أسلوب قوله تعالى قبل أنتم متهودون تم قيل فويل للمصلين على معنى اذا علم أن حالهم قبيح فويل لهم فوضع المصلين موضع الضمير لافادة على انهم مع الاتصاف بالتكذيب متصفون بهذه الاشياء أيضا وجعل بعضهم الفاء في فويل على العطف المذكور للسببية وهذا الوجه يقتضي اتحاد المصلين والمكذبين وعليه قيل المراد بهم المنافقون بل روى الطبراني القول بأنهم المرادون عن ابن عباس ومجاهد والامام مالك وقال في البحر يبعد عليه الذين هم يراؤن ويصح أن يراد بالمصلين على الاتحاد المكلفون بالصلاة والمحكوم بكفرهم غير منافقين ويسهوهم عن الصلاة تركهم اياها بالكلية ويلتزم القول بأن الكفار مكلفون بالفروع مطلقا واعترض أبو حيان ذلك الوجه بأن التركيب عليه تركيب غريب وهو كقولك أكرمت الذي يزورني فذاك الذي يحسن الي والشائع في الذهن منه أن ذلك مرفوع بالابتداء وعلى تقدير النصب بالعطف يكون التقدير أكرمت الذي يزورني فأكرمت ذلك الذي يحسن الي واسم الاشارة فيه غير متمكن فكيف ما هو قبيح اذ لا حاجة اليه بل القبيح أكرمت الذي يزورني فالذي يحسن الي أو أكرمت الذي يزورني فيحسن الي وقيل ان اسم الاشارة هنا مقحم للاشارة الى بعد المنزلة في الشر والفساد فتأمل وجوز أيضا أن يكون العطف عطف ذات

Marfat.com

على ذلك. والاستخبار عن حال المكذبين وحال المؤمنين أحسن هو أم قبيح على قياس ما مر ونتبه في الكشاف بأنه لا يلائم المقام رجوع الضمير الى الطائفتين حتى يوضع موضع المسلمين فافهم وقرأ ابن اسحق والاشهب يؤون بالقصر وتشديد الهمزة وفي رواية أخرى عن ابن اسحق أنه قرأ بالقصر وترك التشديد والله تعالى أعلم

سورة الكوثر

وتسمى كما قال البقاعي سورة النحر وهي مكية في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل وتسع في البحر الى الجمهور مدنية في قول الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد وفي الاتقان أنه الصواب ورجحه النووي عليه الرحمة في شرح صحيح مسلم لما أخرج الامام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي والبيهقي في سننه وغيرهم عن أنس بن مالك قال أغفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اغفاءة فرفع رأسه متبسما فقال إنه أنزل علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر حتى ختمها الحديث وفي الخبار سبب النزول ما يقتضي تعدد النزول وسنسمع بعضا منها ان شاء الله تعالى ومن هنا استشكل أمرها وذكر الخفاجي أن البعض تأبى صحيح فيه أنها نزلت مرتين وحينئذ فلا اشكال وآيها ثلاث بلا خلاف وليس في القرآن كما أخرج البيهقي عن ابن شوذب سورة آيها أقل من ذلك بل قد صرحوا بأن العصر سورة في القرآن وقال الامام هي كالتتمة للتي قبلها لان السابقة وصف الله تعالى فيها المنافق بأربعة أمور البخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة فذكر عز وجل في هذه السورة في مقابلة البخل انا أعطيناك الكوثر أي الخير الكثير وفي مقابلة ترك الصلاة فصل أي دم على الصلاة وفي مقابلة الرياء لربك أي لرضاه لا للناس وفي مقابلة منع الماعون وانحر وأراد به سبحانه التصدق بلحوم الاضاحي ونحو ذلك فاعتبر هذه المناسبة العجيبة التي قلما تنفك

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ﴾ وقرأ الحسن وطلحة وابن عيصن والزعفراني أعطيناك بالنون وهي على ما قال الزمخشري لغة العرب العرباء من أول قريش وذكر غيره انها لغة بني تميم وأهل اليمن وابيت من الابدال الصناعي في تيء ومن لازمه صلى الله تعالى عليه وسلم اليد العليا النطية واليد السفلى النطاة وكتب عليه الصلاة والسلام لوائل أعطوا النبجة أي الوسط في الصدقة ﴿ الْكَوْثَرَ ﴾ فيه أقوال كثيرة فذهب أكثر المفسرين الى انه نهر في الجنة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في آخر الحديث المتقدم آنفا الذي رواه الامام أحمد ومسلم ومن معهما هل تدرون ما الكوثر قالوا الله تعالى ورسوله أعلم قال هو نهر أعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يارب انه من أمتي فيقال انك لا تدري ما أحدث بعدك وقوله عليه الصلاة والسلام على ما أخرجه الامام أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه وآخرون من أنس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم دخلت الجنة فاذا أنا بنهر حافتاه خيام الدر فضربت يدي الى ما يجري فيه فاذا المسك الاذفر فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك الله تعالى وجاء في حديث عن أنس أيضا قال دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال قد أعطيت الكوثر قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما الكوثر قال نهر في الجنة عرضه وطوله مابين المشرق والمغرب لا يشرب منه أحد فيظمأ ولا يتوضأ منه أحد فيتمعر أبدا لا يشرب منه من أطفر فضي ولا من قتيل أهل بغي وروي عن عائشة انها قالت هو نهر في الجنة حافته جواري من أطفر فرسخ ماؤه أشد بياضا

Marfat.com

من اللبن وأحلى من العسل شاطئاه الدر والياقوت والزبرجد خص الله تعالى به نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقالت ليس أحد يدخل اصبعيه في أذنيه الا سمع خرير ذلك النهر وهو على الشعيب الذي قيل هو حوضه عليه الصلاة والسلام في المحشر وقيل بعضهم الاختلاف في الروايات سببه ملاحظة اختلاف سرعة السير وعدمها وهو قبل الميزان والصراط عند بعض وبعدهما قريبا من باب الجنة حيث يحبس أهلها من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم ليتحللوا من التبعات التي بينهم عند آخرين ويكون على هذا في الأرض المبدلة وقيل له صلى الله تعالى عليه وسلم حوضان حوض قبل الصراط وحوض بعده ويسمى كل منهما على ما حكاه القاضي زكريا كوثرا وصحح رحمه الله تعالى انه بعد الصراط وان الكوثر في الجنة وان ماءه ينصب فيه وقد يسمى كوثرا وليس هو من خواصه عليه الصلاة والسلام كالنهر السابق بل يكون لسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يرده مؤمنو أممهم ففي حديث الترمذي ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون أيهم أكثر واردة وانى أرجو أن أكون أكثرهم واردة وهو كما قال حديث حسن غريب وهذه المباهاة لا يجب الايمان بها كما يجب الايمان بحوضه عليه الصلاة والسلام عندنا خلافا للمعتزلة النافين له لكونه أخبار بلغت مبلغ التواتر بخلاف أخبارها آحاد بل قيل الانكار تبلغ الصحة ورأيت في بعض الكتب ان الكوثر هو النهر الذي ذكره أولا وهو الحوض وهو على ظهر مائة عظيم يكون مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث يكون فيكون في المحشر اذ يكون عليه الصلاة والسلام فيه وفي الجنة اذ يكون عليه الصلاة والسلام فيها ولا يعجز الله تعالى نبي وقيل هو أولاده عليه الصلاة والسلام لان السورة نزلت ردا على من عابه صلى الله تعالى عليه وسلم وهم والحمد لله تعالى كثيرون قد ملؤا البسيطة وقال أبو بكر بن عياش وبان بن وثاب أصحابه وأتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم الى يوم القيامة وقيل بقاء أمته صلى الله تعالى عليه وسلم وهم أيضا كثيرون في كل قطر وان كانوا اليوم في بعض الأقطار والأمر لله تعالى أول قبل وعن الحسن انه القرآن وفضائله لا تحصى وقال الحسين بن الفضل هو تيسير القرآن وتخفيف الشرائع وقيل هو الاسلام وقال هلال هو التوحيد وقال عكرمة هو النبوة وقال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه هو نور قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو العلم والحكمة وقال ابن كيسان هو الايثار وقيل هو الفضائل الكثيرة التي خصه بها عليه الصلاة والسلام وقيل المقام المحمود وقيل غير ذلك وقد ذكر في البحر ستة وعشرين قولا فيه وصحح في البحر قول النهر وجماعة انه الخير الكثير والنعم الدنيوية والأخروية من الفضائل والفواضل ورواه ابن جرير وابن عساكر عن مجاهد وهو التفسير عن الحبر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقد أخرج البخاري وابن جرير والطبراني من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير عنه رضي الله تعالى عنه أنه قال الكوثر الخير الذي أعطاه الله تعالى إياه عليه الصلاة والسلام قال أبو بشر قلت لسعيد فان ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة قال النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله عز وجل إياه صلى الله تعالى عليه وسلم وحكى هذا الجواب عن ابن عباس نفسه أيضا وفيه اشارة الى أن ما صح في الأحاديث من تفسيره صلى الله تعالى عليه وسلم إياه بالنهر من باب التمثيل والتخصيص لنكتة والا فيمكن صحة الحديث في ذلك بل قد يكون متواترا كيف يعدل عنه الى تفسير آخر وكذا يقال في سائر ما في الأقوال السابقة وغيرها. وهو فوعل من الكثرة صيغة مبالغة في الشيء الكثير كثرة مفرطة قيل للاعرابية رجع اللبن في الصغر بم آب ابنك قالت بكوثر وقال الكميت

وأنت الخير يا ابن مروان طيب ... وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

Marfat.com

في حذف موصوفه ما لا يخفى من البلاغة على ما أفاده شيخ الإسلام ابن أبي شريف في إمداده الأعطيناك الإبداء الإشارة إلى أن ذلك عطاء على جهة التمليك فإن الإعطاء قد يكون كثيرا ما يستعمل في ذلك وقد قوله تعالى لسليمان عليه السلام هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بعد قوله حساب ملكا وقيل فيه الإشارة إلى أن العطي وإن كان كثيرا في نفسه قليل بالنسبة إلى شأنه عليه الصلاة والسلام بناء على أن الإبداء لا يستعمل إلا في الشيء العظيم كقوله تعالى وآتاه الله الملك وقد آتينا داود منا فضلا وآتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم والإعطاء يستعمل في القليل والكثير كما قال تعالى أعطى قليلا وأكدى ففيه من تعظيمه عليه الصلاة والسلام ما فيه وقيل التعبير بذلك لأنه بالتفضل أنسب بخلاف الإبداء فإنه قد يكون واجبا ففيه إشارة إلى الدوام والتزايد أبدا الآن التفضل نتيجة كرم الله تعالى الغير المتناهي وفي جعل الفعول الأول ضمير الخاطب دون الرسول أو نحوه اعتبار بأن الإعطاء غير منال بل هو من محض الاختيار والمشيئة وفيه أيضا من تعظيمه عليه الصلاة والسلام بالخطاب ما لا يخفى وجوز أن يكون في إسناد الإعطاء إلى الإشارة إلى أن تدامي فيه للملائكة والأنبياء المتقدمين عليهم السلام وفي التعبير بالماضي قبل الإشارة إلى تحقق الوقوع وقبل الإشارة إلى تعظيم الإعطاء وأنه أمر مفروغ عنه إشارة إلى أن يفعل بعد وقيل إشارة إلى بشارة أخرى كأنه قيل لنا هنأتك أسباب سعادتك قبل دخولك في الوجود فكيف نهمل أمرك بعد وجودك واشتغالك بالعبودية وقيل الإشارة إلى أن عمر الله تعالى بالأغناء والإفقار والإسعاد والإشقاء ليس أمرا حدثا بل هو حاصل في الأزل وبني الفعل على البناء لتأكيد والتقوي وجوز أن يكون للتخصيص على بعض الأقوال السابقة في الكوثر وفي تأكيد الجملة بأن ما لا يخفى من الاعتناء بشأن الخبر وقيل لرد استبعاد السامع الإعطاء لما أنه إجلال وتعظيم في غاية الكثرة وجوز أن يكون لرد الإنكار على بعض الأقوال في الكوثر أيضا والفاء في قوله تعالى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إعطاءه تعالى إياه عليه الصلاة والسلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها أحدا من العالمين مستوجب للمأمور به أي استيجاب أي فدم على الصلاة لربك الذي أعطاك ما أعطاك من الخير خالصا لوجهه عز وجل خلافا للساهين عنها المرائين فيها أداء لحق شكره تعالى على ذلك فإن الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر وقدا قيل فصل دون فاشكر وانحر البدن التي هي خيار أموال العرب باسمه تعالى وتصدق على الفقراء خلافا لمن يدعه ويتبع منهم المأمون لذا قيل وجعل السورة عليه كالقاية لما قبلها كما فعل الإمام ولم يذكروا مقابل المكذبين بالدين وقال الشهاب الخفاجي أن الكوثر بمعنى الخير الكثير الشامل للأخروي يقابل ذلك لما فيه من البيان ضمنا ولذا لما كان بمعنى النهر والحوض والأمر على تفسيره بالإسلام وتفسير الدين به أيضا في غاية الظهور والمراد بالصلاة عند أبي مسلم الصلاة المفروضة وأخرج ذلك ابن جرير وابن أبي حاتم عن الضحاك وأخرجه الأول وابن المنذر عن ابن عباس وذهب جمع إلى أنها جنس الصلاة وقيل المراد بها صلاة العيد وبالنحر التضحية أخرج ابن جرير وابن مردويه عن سعيد ابن جبير قال استعذه الآية يوم الحديبية أتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام فقال قم فانحر وارجع فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخطب خطبة الأضحى ثم ركع ركعتين ثم انصرف إلى البدن فنحرها فذلك قوله تعالى فصل لربك وانحر واستدل به على وجوب تقديم الصلاة على التضحية وليس بشيء وأخرج عبد الرزاق وغيره عن جماعة عطاء ومكحول وأبي العالية قالوا المراد صلاة الصبح بالمزدلفة والنحر بمنى والأكثرون على أن المراد بالنحر نحر الأضاحي واستدل به بعضهم على وجوب الأضحية لكن الأمر بمجرد قوله تعالى فتأمروه وأجيب بالتخصص بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث كتب علي ولم تكتب عليكم الضحى

Marfat.com

والأضحية والوتر وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي الأحوص أنه قال وانحر أي استقبل القبلة بنحرك والمذهب الفراء وقال يقال منازلهم تتناحر أي تتقابل وأنشد قوله

أبا حكم هل أنت عم مجالد ... وسيد أهل الأبطح المتناحر

وأخرج ابن أبي حاتم والخلعي وابن مردويه والبيهقي في سننه عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال لما نزلت هذه السورة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا أعطيناك الخ قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لجبريل عليه السلام ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي فقال انها ليست بنحيرة ولكن يأمرك اذا تحرمت الصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت واذا ركعت واذا رفعت رأسك من الركوع فانها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين هم في السموات السبع وان لكل شيء زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة وأخرج ابن جرير عن أبي جعفر رضي الله تعالى عنه أنه قال في ذلك ترفع يديك أول ما تكبر في الافتتاح وأخرج البخاري في تاريخه والدارقطني في الافراد وآخرون من الامير كرم الله تعالى وجهه أنه قال ضع يدك اليمنى على ساعد اليسرى ثم ضعهما على صدرك في الصلاة وأخرج نحوه أبو الشيخ والبيهقي في سننه عن أنس مرفوعا ورواه جماعة عن ابن عباس ورووى عباس وروى عن عطاء ان معناه اقصد بين السجدتين حتى يبدو نحرك وعن الضحاك وسليمان التيمي انهما قالا معناه ارفع يديك عقيب الصلاة عند الدعاء الى نحرك ولعل في هذه الاحاديث عند الآخرين مقالا والا فما قالوا الذي قالوا وقد قال الجلال السيوطي في حديث علي كرم الله تعالى وجهه الاول انه أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم في المستدرك بسند ضعيف وقال فيه ابن كثير انه حديث منكر جدا بل أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات وقال الجلال في الحديث الآخر عن الامير كرم الله تعالى وجهه أخرجه ابن أبي حاتم والطبراني بسند لا بأس به ويرجح قوله الآخرين ان لم يصح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مخالفته ان الاشبه استقبال النحر في نحر الابل دون تلك المعاني وان سنة القرآن ذكر الزكاة بعد الصلاة وما ذكر بذلك الفعل قريب منها بخلافه على تلك المعاني وان ما ذكروه من المعاني يرجع الى آداب الصلاة أو ايقاعها فيدخل تحت فعل ربك ويبعد عطفه عليه دون ما عليه الاكثر مع أن القوم كانوا يصلون وينحرون الاوثان فالانسب أن يؤمر صلى الله تعالى عليه وسلم في مقابلتهم بالصلاة والنحر له عز وجل هذا واختار الخوص في فصل الخ كما أشرنا اليه لدلالة السياق عليه وقيل لدلالة لام الاختصاص وفي الالتفات عن ضمير العظمة الى خصوص الرب مضافا الى ضميره عليه الصلاة والسلام تأكيد الترغيب صلى الله تعالى عليه وسلم في اداء ما أمر به على الوجه الاكمل (إِنَّ شَانِئَكَ) أي مبغضك كائنا من كان (هُوَ الْأَبْتَرُ) الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر وأما أنت فنسلك ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة وذلك في الآخرة فالابتر مما يندرج تحت البيان وأصل البتر القطع وشاع في قطع الذنب وقيل لمن لا عقب له أبتر على الاستعارة شبه الولد والاثر الباقي بالذنب لكونه خلفه فكأنه بعضه وعدمه بعدمه وفسره قتادة بالخامل الذليل وليس بذاك كما يفصح عنه سبب النزول وفيها عليه دلالة على ان أولاد البنات من الذرية كالابن غير واحد واسم الفاعل أعني شانيء هنا قيل بمعنى الماضي ليكون معرفة بالاضافة فيكون الابتر خبره ولا يمتنع ذلك بن كان يبغضه عليه الصلاة والسلام قبل الايمان من أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم هداه الله تعالى للايمان وقال حلاوته فكان صلى الله تعالى عليه وسلم أحب اليه من نفسه وأعز عليه من روحه ولم يكن أبتر لما أن الحكم على العام يفيد علة ما أفاده فيفيد الكلام ان الابتر بالنسبة

Marfat.com

بالبعض فتدبر ومسوقد زل في أولئك الاكابر رضي الله تعالى عنهم واختار بعضهم في دفع ذلك حمل اسم الفاعل على الاستمرار فهم لم يشعروا على البعض والظاهر أنه انقطع نسل كل من كان مبغضا له عليه الصلاة والسلام حقيقة وقبل انقطع حقيقة أو حكما لان من أسلم من نسل المبغضين انقطع انتماء أريحت بالدعاء ونحوه لانه لا عصمة بين مسلم وكافر وما أشرنا اليه من ان هو ضمير فصل هو الاظهر وجوز أن يكون مبتدأ خبره الابتر والجملة خبر شانئك وحينئذ يجوز مناسبا أن يكون بمعنى الحال أو الاستقبال وحل شانئك على الجنس هو الظاهر وخصه بعضهم بمن جاء في سبب النزول واحدا أو متعددا وفيه رواية أخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال كان أبو لهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية فمات القاسم عليه السلام وهو أول ميت من ولده عليه الصلاة والسلام بمكة ثم مات عبد الله عليه السلام فقال العاص بن وائل السهمي قد انقطع نسله فهو ابتر فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر وأخرج ابن أبي حاتم وابن جرير عن شمر بن عطية قال كان عقبة بن أبي معيط يقول انه لا يولد لابي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر وهو ابتر فانزل الله تعالى فيه ان شانئك هو الابتر وأخرج الطبراني وابن مردويه عن أبي أيوب قال لما مات ابراهيم بن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال المشركون يعنهم الى بعض فقالوا ان هذا الصابي قد بتر الليلة فانزل الله تعالى انا أعطيناك السورة وأخرج عبد بن حميد وغيره عن ابن عباس انه قال في الآية هو أبو جهل أي لانها نزلت فيه وهذا المقدار في الرواية عن ابن عباس لا يأبى ما رواه وحكاية أبي حيان عنه انه قال ابتر الحبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج أبو جهل الى أصحابه فقال بتر محمد عليه الصلاة والسلام فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر لا يكاد يصح لان هلاك الامين أبي جهل على التحقيق قبل وفاة ابراهيم عليه السلام وعن عطاء انها نزلت في أبي لهب والجمهور على نزولها في العاص بن وائل وأيا ما كان فلا ريب في ظهور عموم الحكم والجملة كالتعليل لما يفهمه الكلام فكأنه قيل انا أعطيناك ما لا يدخل تحت الحصر من النعم فصل لربك خالصا لوجه ربك ولا تكترث بقول الشانيء الكريه فانه هو الابتر لا أنت وانا أكيدها قبل الاشعار بأن مضمونها وقيل هو مثله في نحو قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وذلك لمكان فلا تكترث الخ المفهوم من السياق وفي التعبير بالابتر دون البتور على ما قال شيخ الاسلام ابن تيمية مالا يخفى من المبالغة وعم هذا الشيخ عليه الرحمة فلا من جزأي الجملة فقال انه سبحانه بشر شانيء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كل خير فبشر أهله وماله ويشر ذلك في الآخرة وبشر حياته فلا يفتخ بها ولا يتزود فيها صالحا لمعاده وبشر قلبه فلا يحيى الخير ولا يؤمن بمعرفة تعالى وعبته والايمان برسله عليهم السلام وبشر أعماله فلا يستعمله سبحانه بطاعته وبشر من الانصار فلا يجد أحدا ناصرا ولا معينا وبشر من جميع القرب فلا يذوق لها طعما ولا يجد لها حلاوة وان باشرها بظاهره فقلبه شارد عنها وهذا جزاء كل من شنأ ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لاجل هواه لكن تأول آيات الصفات أو الحادثها على غير مراد الله تعالى ومراد رسوله عليه الصلاة والسلام لو تبين أن لا تكون نزلت أو قيلت ومن أقوى الدلالات على شنآنه عليه السلام سبه من يستدل بها الباقي على مادات عليه بين الخلق وأي شنآن لرسول عليه الصلاة والسلام أعظم من ذلك ولذلك أهل السماع الذين يرقصون على سماع الشاد والدفوف والصبابات فانا سمعوا القرآن يتلى أو قرىء في مجلسهم استطاروا واستثقلوه وكفاك من أثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة الى غير ذلك والكل نصيب من الابتار على قدر شنآنه التي وفي بعضهم نظر لا يخفى وقرأ ابن عباس شنيك بغير

Marfat.com

ألف حقيل مقصور من شانى كما فالوارد فى بارد مورق بارد وجوز أن يكون بناء على فعل هذا وعلى هذا فالسورة المكية على قصرها وإيجازها قد اشتملت على مايناهى على عظم إعجازها وقد أطال الامام فى الكلام وأتى بكثير مما يستحسنه ذوو الافهام وذكر ان قوله تعالى والبحر متضمن الاخبار بالغيب وهو سنة ذات يده صلى الله تعالى عليه وسلم وأنت وقيل منه فى ذلك ان ذلك هو الاثر. وذكر أنه روى أن مسيلمة الكذاب عارضها بقوله أنا أعطيناك الزماجير فصل لربك وهاجر ان مبغضك رجل كافر. ثم بين الفرق من عدة أوجه وهو لعمرى مثل الصبح ظاهر ومن أراد الاطلاع على أزيد مما ذكر فليرجع الى تفسير الامام والله تعالى ولى التوفيق والانعام

سورة الكافرون

وتسمى المقشقشة كما أخرجه ابن أبى حاتم عن زرارة بن أوفى وهو من قولهم قشقش المريض اذا صح وبرأ لأنى البراءة من الشرك والنفاق وتسمى أيضا كما قال جمال القراء سورة العبادة وكذا تسمى سورة الاخلاص وهى عند ابن عباس والجمهور مكية وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير انها مدنية وحكاه فى البحر عن قتادة على خلاف فى جميع البيان من الفاظ مكيتها وأيا ما كان فقول الدوانى انها مكية بالاتفاق ليس فى محله. وأيا ما كان الاختلاف وفيما الاتفاق فهو مما قيلنا من الامر باخلاص العبادة له عز وجل ويكفى ذلك فى التناسبة بينها وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لجبلة بن حارثة وهو أخو زيد بن حارثة وقد قال له عليه الصلاة والسلام مقتى شيئا أقوله عند منامى نحو ذلك كما فى حديث أخرجه الامام أحمد والطبرانى فى الاوسط وأمر صلى الله تعالى عليه وسلم أنسا بان يقرأها عند منامه أيضا مطلقا لذلك بما ذكر كما أخرجه البيهقى فى الشعب وأمر عليه الصلاة والسلام خبابا بذلك أيضا كما فى حديث أخرجه البزار وابن مردويه وأخرج أبو يعلى والطبرانى عن ابن عباس مرفوعا ألا أدلكم على كلمات تنجيكم من الاشراك بالله تعالى اقرؤن (قل يا أيها الكافرون) عند منامكم وروى الديلمى عن عبد الله بن جراد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للسافق لايصل الضحى ولا يقرأ قل يا أيها الكافرون وبين قرائتها أيضا مع سورة (قل هو الله أحد) فى ركعتى سنة الفجر التى هى عند الآخرين أفضل السنن الرواتب وكذا فى الركعتين بعد المغرب (١) وهى حجة على من قال من الائمة انه لايسن فى سنة الفجر غير سورة قل يا أيها الكافرون جاء فى حديث أخرجه الطبرانى فى الاوسط من ابن عمر مرفوعا وفى آخر أخرجه فى الصغير عن معمد بن أبى وقاص كانت انما تعدل ربع القرآن ووجه ذلك الامام بان القرآن مشتمل على الامر بالمأمورات والنهى عن المحرمات وكل منهما اما ان يتعلق بالقلب أو بالجوارح فيكون أربعة أقسام وهذه السورة مشتملة على النهى عن المحرمات المتعلقة بالقلب فتكون ربع القرآن وتطلب بتلك العبادة

(١) قوله وهى حجة الخ محل على مضروب عليه فى نسخة المؤلف نصه فقد أخرج الامام أحمد والترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه وابن حبان وغيرهم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال رمقت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خمسا وعشرين مرة وفى لفظ شهرا فكان يقرأ فى الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفى حديث آخر عند ابن ماجه وابن حبان عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام كان يقول نعم السورتان يقرأ فى الركعتين قبل الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد الخ غير ذلك من الاخبار وهى حجة الخ اه منه

Marfat.com

أعم من الغاية والغائية والأمر والنهي المتعلقان بها لايختصان بالمأمورات والمنهيات الفعلية والقالية وان مقاصد القرآن العظيم لا تنحصر في الأمر والنهي المذكورين بل هو مشتمل على مقاصد اخرى كأحوال المبدا والمعاد ومن هنا قيل الاقرب ان يقال ان مقاصد القرآن التوحيد والاحكام الشرعية وأحوال المبدا والتوحيد عبارة عن تخصيص الله تعالى بالعبادة وهو الذي دعا اليه الأنبياء عليهم السلام اولا بالذات والتخصيص انما يحصل بترك عبادة غيره تعالى وعبادة الله عز وجل اذا التخصيص له جزآن النفي عن الغير والاثبات للمخصص به فصارت المقاصد بهذا الاعتبار اربعة وهذه السورة لاشتمال على ترك عبادة غيره سبحانه والتبري منها فصارت بهذا الاعتبار ربع القرآن ولكونها ليس فيها التصريح بالامر بعبادة الله عز وجل كما أن فيها التصريح بترك عبادة غيره تعالى لم تكن لنصف القرآن وقيل ان مقاصد القرآن صفات الله تعالى والنبوات والاحكام والمواعظ وهي مشتملة على أساس الاول وهو التوحيد ولما عدلت بربعه وذكر بعض أجلة أحبابي العاملين أدام الله تعالى ايامهم ان مجموع ذلك احتمالا فيحتمل ان الدين الذي تضمنه القرآن اربعة أنواع عبادات ومعاملات وجنايات وما تكلت السورة متضمنة النوع الأول فكانت ربعا وتعقب بانه ان أراد فكانت ربعا من القرآن فلا نسلم صحة تفريعه على كون الدين الذي تضمنه القرآن أربعة أنواع وان اراد فكانت ربعا من الدين فليس الكلام فيه انما الكلام في كونها تعدل ربعا من القرآن اذ هو الذي تدور به الاخبار على اختلاف ألفاظها والتلازم بينهما غير مسلم على ان المغايرة الحقيقية بين ماذكر من الانواع غير بينة وأجيب باحتمال ان يراد أن مقاصد القرآن هي تلك الاربعة التي هي الدين ولا يبعد ان يكون ماتضمن واحدا منها عدل القرآن كله مقاصده وغيرها ولا يرد على الحصران من مقاصده أحوال المبدا والمعاد فيدخول ذلك في العبادات بنوع عناية وعدم التقابل الحقيقي لايضر اذ يكفي في الغرض عد أهل العرف تلك الامور مقابلة ولو بالاعتبار فتأمل جميع ذلك والله تعالى الهادي لاقوم السبل

﴿بسم الله الرحمن الرحيم قل يا أيها الكافرون﴾ قال أجلة المفسرين المراد بهم مخصوصون من قريش علم الله تعالى انهم لايأتي منهم الايمان أبدا أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الانباري في المصاحف عن سعيد بن ميناء مولى أبي البختري قال لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب وأمية بن خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلتعبد ما تعبد ونعبد ما نعبد ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله فان كان الذي نحن عليه أصح من الذي أنت عليه كنت قد أخذت منه حظك وان كان الذي أنت عليه اصح من الذي نحن عليه كنا قد أخذنا منه حظنا فانزل الله تعالى يا أيها الكافرون حتى انتهت السورة وفي رواية ان رهطا من قريش قالوا لرسول الله تعالى عليه وسلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا ونعبد الهك سنة فقال عليه الصلاة والسلام معاذ الله تعالى ان اشرك بالله سبحانه غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى الكعبة والملأ من قريش فقام عليه الصلاة والسلام على رؤسهم فقرأها عليهم فايسوا وقاموا وقد بالغوا في الايذاء فعند ذلك قال الله تعالى لا يغوتهم شيء مما يأتي اليوم ويا أيها الكافرون عموم الذين كفروا الآن الكفر كان فيهم القديم وهم بجحده لهم أو لان الخطاب مع الذين يعلم استمرارهم على الكفر فهو كالتلازم لهم أو للمسارعة الى ذكر ما يقال لهم لشدة الاعتناء به وهم دون المشركين مع أنهم عبدة أصنام والاكثر الغير منهم بمعنى الان ما ذكر انما لهم فيكون أبلغ في قطع رجائهم الفارغ وقيل هذا للاشارة الى أن الكفر كله ملة واحدة ولا يبعد أن

Marfat.com

يكون في هذه الاشارة اشكالهم أيضا وفي ندائه عليه الصلاة والسلام بيا أيها الذين كفروا دليل على عدم اشتراكه عليه الصلاة والسلام يوم ان الذي قل بالامر والمراد حقيقة الامر خلافا لصاحب التأويلات الكافرين بأنها الكافرون (لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد) يقال أن فيه تكرارا فما فائدة الجملة الثانية على ما في البحر توكيد الاولى على وجه أبلغ لاسمية المؤكدة والرابعة توكيد الثانية وهو الذي اختاره الطيبي وذهب اليه الفراء وقالوا ان القرآن نزل بلغة العرب ومن عاداتهم تكرار الكلام قصد التأكيد والافهام فيقول الطبيب بل بل والمتنبي لا لا وعليه قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وأنشد قوله

كلا وكم عندي لهم من صنيعة ٭ أيادي سنوها على وأوجبوا

وقوله نبئ الغراب بين لي غدوة ٭ ثم كم بفراق ليسلى ينعق

وقوله هلا سألت جموع كندة ٭ يوم ولوا أين أينا

وهو كثير نظما ونثرا وفائدة التأكيد هنا قطع أطماع الكفار وتحقيق اليأس بأنهم لن يكفروا أبدا واعترض بأن تأكيد الجمل لا يكون مع المخاطب الا ثم وأن القائل بذلك قال الواو على ثم والظاهر ان من قال بالتأكيد جعل الجملة الرابعة معطوفة على الثالثة وجعل الجموع معطوفا على مجموع الجملتين الاوليين فهناك مجموعان متغايران يؤكد ثانيهما أولهما والغاية الثانية الاولى بما فيه من الاستمرار عطف عليه بالواو فلا يرد ما ذكر ويتضمن ذلك نفي تأكيد الجزء الاول من الثاني فالجزء الاول من الاول وتأكيد الجزء الثاني من الثاني فالجزء الثاني من الاول والاظهر ما في البحر لا يكاد يجوز كما لا يخفى والذي عليه الجمهور انه لا تكرار فيه لكنهم اختلفوا فقال الزمخشري لا أعبد أريد به نفي العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال والذي لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيما سألتموني منكم من عبادة الله وما كنت عابدا قط فيما سلف ما عبدتم فيه وما عبدتم في وقت ما فأنا على عبادته والظاهر انه اعتبر في الجملة الاخيرة استمرار النفي وله حمل المضارع فيها على افادة الاستمرار والصور وفي الثانية استغرق النفي الازمنة الماضية وقال الطيبي أنه جعل القرينتين الاوليين الاستقبال والاخريين للماضي واعترض عليه بان الحصر بين الفريقين ذكرها في الاولى غير صحيح وانت تدري بما ظاهر كلام سيبويه وقال الخفاجي ما ذكره الطيبي لو يفيد بعدم القرينة القائمة على مايخالفه ولو في ولا أعبد في التجوز والحمل على غيره فالنص لدفع التكرار هنا وان قيل يتحقق الاستمرار من القول بالتغاير الطرفي فالكلام في عابد الاول وعدم ضرر فقده في الثاني لان النصب به للدلالة وقيل القرينتان الاوليان الاستقبال كما مر والاخريان الحال واختاره أبو حيان أي وانت في الحال بعابد معبودي كم ولا أنتم في الحال بعابدي معبودي وقيل بالعكس وعليه كلام الزجاج وهي السنة وقيل الاوليان الماضي والاخريان الاستقبال نقله ابن كثير عن حكاية البخاري وغيره وقال أيضا عن شيخ الاسلام ابن تيمية ان المراد بقوله سبحانه لا أعبد ما تعبدون نفي الفعل لانها جملة فعلية وبقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم نفي قبوله صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك بالكلية لان النفي بالجملة الاسمية آكد فكأنه نفي الفعل وكونه عليه الصلاة والسلام قابلا لذلك وسياق النفي الوقوع ونفي امكانه الشرعي ونوقش في افادة الجملة الاسمية نفي القبول ولا يعدان بالبيان معنى الجملة الفعلية نفي الفعل في زمان معين والجملة الاسمية بمعناها نفي الدخول تحت هذا النوع مطلقا

Marfat.com

من غير عرض الزمان فانه قيل أنا عن لا يصدق عليه هذا المعبود أصلا وأنتم عن لا يصدق عليه ذلك المعبود فتدبر وقيل الأولان تنفي الاعتبار الذي ذكره الكافرون والآخران تنفي على العموم أي لا أعبد ما تعبدون رجاء أن تعبدوا الله تعالى ولا أنتم عابدون رجاء أن اعبد صنمكم ثم قيل ولا أنا عابد صنمكم لغرض من الأغراض بوجه من الوجوه وكذا انتم لا تعبدون الله تعالى لغرض من الأغراض وإيثار ما في ما أعبد قيل على جميع الأقوال السابقة على من لان المراد الصفة كأنه قيل ما أعبد من المعبود العظيم الشأن الذي لا يقادر قدر عظمته وجوز أن يقال لما أطلقت ما على الأصنام أولا وهو اطلاق في عرف أطلقت على المعبود بحق الضالة ومن يقول ان ما يجوز أن تقع على من يعقل ونسب الى سيبويه لا يحتاج الى ما ذكر وقال أبو مسلم ما في الأولين بمعنى الذي مفعول به والمقصود المعبود أي لا أعبد الأصنام ولا تعبدون الله تعالى وفي الآخرين مصدرية أي ولا أنا عابد مثل عبادتكم المبنية على الشك وان شئت قلت على الشرك الفرق لها من كونها عبادة حقيقة ولا أنتم عابدون مثل عبادتي المبنية على اليقين وان شئت قلت على التوحيد والاخلاص وعليه لا يكون تكرار أيضا وقال بعض الأجلة في هذا المقام ان قوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله سبحانه ولا أنا عابد ما عبدتم انما لاجلها تنفي الحال أو الاستقبال أو أحدهما المحالي والآخر للاستقبال وعلى التقادير فلفظ ما انما مصدرية في الموضعين وانما موصولة أو موصوفة فيه. وأما مصدرية في أحدهما وموصولة أو موصوفة في الآخر وهذه ستة احتمالات حاصلة من ضرب الثلاثة في الاثنين ولم يلتفت الى تقديم صورة الاختلاف الى الفرق بين الأولى والأخرى ولا الى الفرق بين الموصولة والموصوفة لتكثير الأقسام لان صور الاختلاف متساوية الأقدام في دفع التكرار وتؤدي الموصولة والموصوفة متقاربان فيكتفى باحداهما وكذا الحال في قوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد في الموضعين ومعلوم انه لا تكرار في صورة الاختلاف سواء كان باعتبار الحال والاستقبال أو باعتبار كون ما في أحدهما موصولة أو موصوفة وفي الآخر مصدرية ونفي عبادتهم في الحال أو الاستقبال بمعونة عليه الصلاة والسلام بناء على عدم الاعتداد بعبادتهم لله تعالى مع الاشراك الخليط لها وجعلها كعدمها منثورا كما قيل

اذا صافى صديقك من تعادى ... فقد عاداك واقطع الكلام

ومن هنا قال بعض الأفاضل في اخراج الآية عن التكرار احتمال أن يكون المراد من قوله تعالى لا أعبد ما تعبدون نفي عبادة الأصنام ومن قوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد نفي عبادة الله تعالى من غير تعرض لنفي آخر ولا كان حقه أن يقولوا اكتفاء عن المراد أو نحوها كيف يسوغ لك أن تنفي عنك عبادة ما سيد وهذا عبادة المعبودين أيضا سيدنا الله تعالى فليتأمل في الباب أطيب منه غير أردف ذلك بقوله سبحانه ولا أنا عابد ما عبدتم ليخ الاشارة الى انهم ما عبدوا الله حقيقة وانما عبدوا شيئا قالوا انه الله والله عز وجل ورد ذلك أي ولا أنا عابد في وقت من الأوقات الاله الذي عبدتم لانكم عبدتم شيئا لخيلتموه وذلك بعنوان ما تخيلتم ليس بالاله الذي أعبده ولا أنتم عابدون في وقت من الأوقات ما أنا على عبادته لاني انما أعبد الاله المتصف بالصفات التي قام البرهان على انها صفات الاله النفس الأمري ويعلم منه وجه غير ما تضمنه كلام الكافرون دون المدثرون وكأنه لم يؤت بالقرينتين الأولين ليخلا التي ويكتفى بهما عن الأخريين لانهما أوفق بجوابهم مع ان هذا الاسلوب أنسب لهم فلا تغفل ومن الناس من اختار كون ما في القرينتين الأوليين موصولة منسولاته فانها والراد انها ألوهية تلك الالهة عليه الصلاة والسلام والراد نفي العبادة ملاحظا معها

Marfat.com

التعلق بما تعلقت به من المفعول بل هو المقصود وحط النظر كما يقتضي ذلك وقوع القرينتين في الجواب وبتير الاستقبال رعاية للغالب في استعمال لا داخلة على المضارع مع كونه أوفق بالجواب أيضا وبكونت قد تم بها فكأنه قيل لا أعبد في المستقبل ما تعبدون في الحال من الأصنام أي لا أحدث ذلك حينما تطلبونه مني وتدعوني فيه ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد في الحال وكونها في الأخريين مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر وقع مفعولا مطلقا لما قيل كما فصل أبو مسلم ليتضمن الكلام الاشارة الى بيان حال العبادة في نفسها من غير نظر الى تعلقها بالمفعول وان كانت لا تخلو عنه في الواقع اثر الاشارة الى بيان حالها مع ملاحظة تعلقها بالمفعول ويراد استمرار النفي في كليهما كما في قوله تعالى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفي ذلك من اشكالهم ما ليس في الاقتصار على ما تم به الجواب فكأنه قيل ولا أنا عابد على الاستمرار عبادة مثل عبادتكم التي اذ هيتم بها أصرار كم لان عبادتي مأمور بها وعبادتكم منهي عنها ولا أنتم عابدون على الاستمرار عبادة مثل عبادتي التي أنا مستمر عليها لانكم الذين خذلهم الله تعالى وختم على قلوبهم وانى الحبيب اللبوب بالحق فلا زلتم في عبادة منهي عنها ولا زلت في عبادة مأمور بها والتأني لتغاير الفرق بين العبادتين بوجه آخر واشعار الاستمرار في ما أصد بتصدير به العدول عن ما عبدتم الذي يقتضيه ما عبدتم قبله اليه وعن العدول في الثانية الى ذلك لان أنواع عبادته عليه الصلاة والسلام لم تكن تامة بعد بل كانت تتجدد لها أنواع أخر فأتى بما يفيد الاستمرار التجددي للاشارة الى حقية جميع ما يأتي به صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك وقال الزمخشري لم يقل ما عبدت كما قبل ما عبدتم لانهم كانوا يعبدون الأصنام قبل البعث وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت وتعقب بان فيه نظرا لما ثبت أنه عليه الصلاة والسلام كان يتحنث في غار حراء قبل البعثة ونص أبو الوفاء علي ابن عقيل على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان متعبدا قبل بعثه بما يصح عنه أنه من شريعة ابراهيم عليه السلام وأما بعد البعث فقال ابن الجوزي في كتاب الوفاء فيه روايتان عن الامام أحمد احداهما أنه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي لامن جهتهم ولا تقليم ولا كشهم البتة واختار هو أبو الحسن التميمي وهو قول أصحاب أبي حنيفة الثانية ان لم يكن متعبد الا بما يوحى اليه من شريعته وهو قول المعتزلة والاشعرية والاصحاب الشافعي وجهان كالروايتين والقائلون بانه عليه الصلاة والسلام متعبد بشرع من قبله اختلفوا في التعيين فقيل كان متعبدا بشريعة ابراهيم عليه السلام وعليه أصحاب الشافعي وقيل بشريعة موسى عليه السلام الا ماتسخ في شرعنا وظاهر كلام أحمد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان متعبدا بكل ماصح أنه شريعة لنبي قبله ما لم يثبت نسخه لقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال ابن قتيبة لم تزل العرب على بقايا دين اسماعيل عليه السلام كالحج والختان وايقاع الطلاق الثلاث والغسل من الجنابة وتحريم المحرم بالقرابة والصهر وكان عليه الصلاة والسلام على ماكانوا عليه من الايمان بالله تعالى والعمل بشرائعهم التي والمنزلة لم يجوزوا ذلك لزعمهم ان فيه مفسدة وهو ايجاب الغيرة ثم من أصولهم وجوب التبدل النظر في آيات الله تعالى وأدلة توحيده سبحانه ومعرفته عز وجل ولا يمكن أن يدخل صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك في الكلف العبادة قد تطلق على أعمال الجوارح الواقعة على سبيل القربة كالايمان والنية والاخلاص شروط ومنه الفقيه واحد أشد على الشيطان من الف عابد والخالف انه عليه الصلاة والسلام كان متعبدا بما الفي قبل نبوته بعرج أولا قبل الامام فخر الدين وجماعة من الحنفية وفي الحسين البصري واليه ذهب الى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن متعبدا و أجابوا من الطواف والتحنث

Marfat.com

وغيرها من الكلام انها لا تحرم من غير شرع حتى يقال الآتي بها لابد أن يكون متعبداً بل هي من مقتضيات الطبائع المستمرة والغرائز الغريزية دون نظر الى قرية والرمخشري اختار ذلك القول وعليه بنى تفسيره وقد ظهر أنه لم يخالف أصله في وجوب التعبد النقلي بالنظر في الآيات وأدلة التوحيد والمعرفة ثم قال والظاهر حمل ما أفيد على افادة الاستمرار والتصوير على أنهم ما كانوا ينكرون ما كان عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما مضى عبادة كانت أولا بل كانوا يعظمونه ويقدسونه بالأمين الى آخر الفكر ما كان عليه بعد النبوة فكذلك قبل ثانيا ولا أنتم عابدون ما أعبد اذ لو قيل ما عبدت لم يطابق القابل فيه أن ما كانوا يؤمنونه من موافقته عليه الصلاة والسلام قبل النبوة لم يكن صحيحا بل انما كان ذلك لانه لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم مأمورا بالدعوة التي قدمنا وزعم بعضهم ان تغاير الأسلوبين في هذه السورة لتغاير أحوال الفريقين وليس بشيء وفي تكليف مثل هؤلاء الطاعنين بما ذكر على القول بافادة الاستمرار على الكفر بالإيمان بحث مذكور في كتب الأصول ان اردت فارجع اليه وسيأتي ان شاء الله تعالى في سورة تبت اشارة ما الى ذلك وقوله تعالى (لَكُمْ دِينُكُمْ) هو عند الاكثرين تقرير لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم كما ان قوله تعالى (وَلِيَ دِينِ) متضمن تقرير لقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد والمعنى أن دينكم هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي فلا تطمعوا به أصلا فكونوا بمعزل عني فان ذلك من المحالات وأن ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم أيضا لان الله تعالى قد ختم على قلوبكم لسوء استعدادكم أولا فكنتم ملتبسين بالباطل الذي هو عبادتي لا تنكون أو استلابي لها أولان ما تعبدونه من الاشراك وحيث ان مقصود كل من الفريقين في هذا الباب كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما وجوز أن يكون هذا تقريرا لقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم والآية على ما ذكر محكمة غير منسوخة كما لا يخفى أو المراد المتاركة على معنى الى نبي مبعوث لكم لا دعوتكم الى الحق والنجاة فانا لم نتبعوني ولم تتبعوني فدعوتي لكما ولا تدعوني الى الشرك فهي على هذا كما قال غير واحد منسوخة بآية السيف وفسر الدين بالجزاء أي لكم جزاؤكم ولي جزائي قيل والكلام على الوجهين استئناف بياني فانه قيل فما يكون اذا بقيت على عبادة الهتك فقيل لكم الخ والمراد بكون لهم الغير ويكون له عليه الصلاة والسلام الخير لكن أتى بالغير في لكم للقصد اليه وعليه لا نسخ أيضا ويحتمل أن يكون المراد غير ذلك مما تكون عليه الآية منسوخة وغيره لا يخفى وقد يفسر الدين بالحال كما هو أحد معانيه حسبما ذكره القالي في أماليه وغيره أي لكم حالكم اللائق بكم الذي يقتضيه سوء استعدادكم ولي حالي اللائق بي الذي يقتضيه حسن استعدادي وأهلية عليه كالتعليل لما تضمنه الكلام السابق فلا نسخ والأولى أن نفسرها لا تكون عليه منسوخة لان النسخ خلاف الظاهر فلا يصار اليه الا عند الضرورة والامام الرازي أوجه في تفسيرها لا يخطر ببالي عن نظر وذكر عليه الرحمة انه جرت السادة بان الناس يستدلون بهذه الآية عند المتاركة وذلك لا يجوز لان القرآن ما أنزل ليستدل به بل ليهتدى به وفيه ميل الى سد باب الاقتباس والصحيح جوازه فقد وقع في كلامه عليه الصلاة والسلام وكلام كثير من الصحابة والأئمة والتابعين وللجلال السيوطي رسالة وافية كافية في ازالة الالتباس عن وجه جواز الاقتباس عن وجه جواز الاقتباس وما ذكر من الدليل فالظاهر من أدلته على ضعفه وقرأ سلام ويعقوب ديني بياء وصلا ووقفا وحذفها القراء السبعة والله تعالى أعلم

Marfat.com

سورة النصر

وتسمى سورة التوديع لما روى عن إبن مسعود أنها تسمى سورة التوديع لما فيها من الإيماء الى وفاته عليه الصلاة والسلام وتوديعه الدنيا ومافيها وجاء في عدة روايات عن إبن عباس وغيره ما صح الله تعالى عليه وسلم قال حين نزلت نعيت الى نفسي وفي رواية البيهقي عنه أنه لما نزلت دعا عليه الصلاة والسلام فاطمة رضي الله تعالى عنها وقال انه قد نعيت الى نفسي فبكت ثم ضحكت فقيل لها فقالت أخبرني انه نعيت اليه نفسه فبكيت ثم أخبرني بأنك أول أهل بيتي لحاقا بي فضحكت وقد فهم ذلك منها عمر رضي الله تعالى عنه وكان يقبل عليه الصلاة والسلام بعدها فعل مودع وهي مدنية على القول الأصح في تعريف المدني فقد أخرج الترمذي في مسنده والبيهقي من حديث موسى بن عبيدة وعبدالله بن دينار وصدقة بن يسار عن إبن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أوسط أيام التشريق بمنى وهو في حجة الوداع فاجاء نصر الله والفتح حتى ختمها الخبر وأخرجه أيضا إبن أبي شيبة وعبد بن حميد وغيرهما لكن قال الحافظ بن رجب بعد أن أخرجه عن الأولين أن اسناده ضعيف جدا وموسى بن عبيدة قال احمد لا تحل الرواية عنه وعليه ان صح يكون نزولها قريبا جدا من زمان وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم فان مابين حجة الوداع واجابته عليه الصلاة والسلام داع الحق ثلاثة أشهر وبضع وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة أنه قال والله ماعاش صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نزول اذا جاء نصر الله والفتح الا قليلا سنتين ثم توفي عليه الصلاة والسلام وفي البحر ان نزولها عند منصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم من خيبر وأنت تعلم أن غزوة خيبر كانت في سنة سبع أواخر المحرم فيكون مابين الزمنين أكثر من سنتين ويدل على مدتها أيضا ما أخرجه مسلم وابن أبي شيبة وابن مردويه عن إبن عباس أنه قال آخر سورة نزلت من القرآن جميعا اذا جاء نصر الله وآيها ثلاث بالاتفاق وفيها الاشارة الى اضمحلال ملة الأصنام وظهور دين الله عز وجل على أتم وجه وهو وجه مناسبتها لما قبلها ويحتمل غير ذلك وهي على ما أخرج الترمذي وغيره من حديث أنس اذا جاء نصر الله والفتح ربع القرآن ولم أظفر بوجه ذلك وسيأتي ان شاء الله تعالى ما يتعلق به

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ اي اعانته تعالى واظهاره ايك على عدوك وهذا معنى النصر الذي يدل ويشهد لانه الواقع بالوعد الحق ﴿وَالْفَتْحُ﴾ وجوز ان يراد به المدى بين ومضاء الحفظ والفتح يتضمن النصر بالمعنى الأول حينئذ يكون الكلام ممثلا على افادة النصرين والأول هو الظاهر واذا منصوب بسبح واتفاق غير عالمة على ما عليه الجمهور في مثل ذلك وأبو حيان على أنها مستولة للفعل بعدها وليست مضافة اليه وسيأتي ان شاء الله تعالى قول آخر والمراد بهذا النصر ما كان في أمر مكة من غلبته عليه الصلاة والسلام على قريش وذكر القشي عن إبن عباس أن النصر هو صلح الحديبية وكان في آخر سنة ست واما الفتح فقد أخرج جماعة عنه وعن عائشة أن المراد به فتح مكة وروى ذلك عن مجاهد وغيره وصححه الجمهور وكان في السنة الثامنة وقال إبن شهاب ثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان على رأس ثمان سنين ونصف من الهجرة وخرج عليه الصلاة والسلام على ما أخرجه أحمد بسند صحيح عن أبي سعيد لليلتين خلتا من شهر رمضان وفي رواية أخرى عن أحمد لثمان عشرة وفي أخرى لثنتي عشرة وعند مسلم لست عشرة وقال الواقدي خرج صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الاربعاء لعشر خلون من رمضان بعد العصر وشهد السهيلي وكان السلمون في تلك الغزوة عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب وفي "البدائع"

Marfat.com

عشر ألفا وجمع بني السبرة خرج بهما عليه الصلاة والسلام من المدينة ثم تلاحق الالفان والاولى أن يحمل النصر على ما كان مع الفتح المذكور فان كانت السورة الكريمة نازلة قبل ذلك فالامر ظاهر والتضمن الاعلام بذلك قبل كونه وهو من أعلام النبوة وان كانت نازلة بعده فقال الما تريدي في التأويلات ان اذا بمعنى اذ التي للماضي وجيئها بهذا المعنى كثير في القرآن وعليه فيكون متعلقة بفعل كنحي الامر أو أتم النعمة على العباد أو نحو ذلك لايصح لان الكلام حينئذ نحو أضرب زيدا أمس وقال بعض الاجلة عن الما يستقبل كما هو الاكثر في استعمالها وحينئذ لم يكن بد من أن يجعل شيء من ذلك مستقبلا مترقبا باعتبار أن فتح مكة كان أمر الفتوح والمستور لما يكون من بعده فهو مترقب باعتبار مايدل عليه وان كان متحققا باعتباره في نفسه وجوز ان يكون الاستقبال باعتبار مجموع ما في حيز اذا فانه ما هو مستقبل وهو ما تضمنه قوله سبحانه ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ وهو باعتبار آخر داخل وهو ما لا بأس بان لم يكن الرؤية بعد تمام الدخول وقيل المراد جنس نصر الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين وجنس الفتح فيعم ما كان في أمر مكة زادها الله تعالى شرفا وغيره وأمر الاستقبال عليه ظاهر وأيدا كان فالمراد بالنبي المعهود وهو حقيقة فيه على مايقتضيه ظاهر كلام الراغب وقال القاضي عياض والظاهر أن الخطاب في رأيت للنبي عليه الصلاة والسلام والرؤية بصرية أو علمية متعدية لمفعولين والناس العرب ودين الله ملة الاسلام التي لادين له تعالى يضاف اليه غيرها والافواج جمع فوج وهو على ما قال الراغب الجماعة المارة المسرعة ويراد به مطلق الجماعة قال الخفاجي وقياس جمعه أفوج ولكن استغنت الضمة على الواو فعدل الى أفواج وفي البحر قياس فعل صحيح العين أن يجمع على أفعل لا على أفعال ومثل السين بالعكس فالقياس فيه أفعال كعوض وأعواض وشذ فيه أفعل كثوب وأثوب وتعسب أفواجا على الحال من ضمير يدخلون وأنا جملة يدخلون في محل نصب من الناس على الاحتمال الاول في الرؤية ومفعول ثان على الاحتمال الثاني قيدا وكونها حالا أيضا بجعل رأيت بمعنى عرفت كما قال الزمخشري تعقبه أبو حيان بقوله لاأعلم أن رأيت جاءت بمعنى عرفت فيحتاج في ذلك الى استثبات والمراد بدخول الناس في دينه تعالى أفواجا أي جماعات كثيرة اسلامهم من غير قتال وقد كان ذلك بين فتح مكة ووفاته عليه الصلاة والسلام وكانوا قبل الفتح يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين أخرج البخاري عن عمرو بن سلمة قال لما كان الفتح بادر كل قوم باسلامهم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت الاحياء تقوم باسلامها فتح مكة فيقولون دعوه وقومه فان ظهر عليهم فهو نبي وعن الحسن قال لما فتح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة قالت الاعراب أما اذ ظفر بأهل مكة وقد أجارهم الله تعالى من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فدخلوا في دين الله تعالى أفواجا وقال أبو عمر بن عبد البر لم يتوف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي العرب رجل كافر بل دخل الكل في الاسلام بعد حنين والطائف منهم من قدم وفدا ومنهم من قدم وافدا ولذلك ابن عطية فقال المراد والله تعالى أعلم العرب عبدة الاوثان كانت انصارى بني تغلب ما أراهم أسلموا في حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن أعطوا الجزية وناس بعضهم على انهم لم يسلموا اذ ذاك فالمراد بالناس عبدة الاوثان من العرب كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن ونحوهم وقال عكرمة ومقاتل المراد بالناس أهل اليمن وفدتهم سبعمائة رجل وأسلموا واضح له بما أخرجه ابن جرير من طريق الحسين بن عيسى عن مسعر عن الزهري عن أبي حازم عن أبي عباس قال بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المدينة اذ قال الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قيل يارسول الله وما أهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم

لينة

Marfat.com

لينة طباعهم الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وأخرجه أيضا من طريق عبد الأعلى عن معمر عن عكرمة مرسلا وقوله عليه الصلاة والسلام الإيمان يمان جاء في حديث أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الإيمان يمان والحكمة يمانية فقيل قال صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك لان مكة يمانية ومنها بعث صلى الله تعالى عليه وسلم وقصد الإيمان وقيل أراد عليه الصلاة والسلام مدح الأنصار لأنهم يمانون وقد تبوؤا الدار والإيمان وقول ابن عباس في الخبر في المدينة يعارض قول من قال ان ذلك انما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم بتبوك وكان بينه وبين اليمن مكة والمدينة وهما دار الإيمان ومظهراه ويحتمل تكرر القول والظاهر انه تعالى على أهل اليمن لاسراعهم الى الإيمان وقبولهم له بلا سيف ويشمل الأنصار من أهل اليمن وغيرهم فكان الإيمان حيثكان في منع فؤادهم فقبلوه كما أنهى اليهم كن بجدتك ومنه في الثناء عليهم قوله عليه الصلاة والسلام أجد نفس ربكم من قبل اليمن وقال صمام الدين يحتمل أن يكون المخاطب في رأيت الناس عاما لكل مؤمن ثم قال ومما يحتاج في القلب أن المناسب بقوله تعالى يدخلون في دين الله أفواجا أن يحمل قوله سبحانه والفتح على فتح باب الدين عليهم انتهى وكلا الامرين كما ترى وقرأ ابن عباس لما اخرج أبو عبيدة وابن المنذر عنه اذا جاء فتح الله والنصر وقرأ ابن كثير في رواية يدخلون بالبناء للمفعول (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) اى فنزهه تعالى بكثرة تقرب يدل على التنزيه حامدا له جل وعلا زيادة في عبادته والثناء عليه سبحانه لزيادة انعامه سبحانه عليك فالتسبيح التنزيه لا التلفظ بكلمة سبحان الله والباء للملابسة والجار والمجرور في موضع الحال والحمد مضاف الى المفعول والفاعل محذوف والتقدير فسبح ربك حامدا له تعالى وهو تنزيهه سبحانه عما لا يليق به عز وجل من النقائص واثبات الحمد وهو اثبات ما يليق به تعالى من الفضائل له لعظم ما انعم سبحانه به عليه عليه الصلاة والسلام وقيل أي نزهه تعالى عن العجز في تأخير ظهور الفتح واحمده على التأخير وصفه تعالى بان توقيت الأمور من عنده ليس إلا لحكمة لا يعرفها الا هو عز وجل وهو كما ترى وليد ذلك بما في الصحيحين عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن لعلي هذا مع قوله تعالى (وَاسْتَغْفِرْهُ) أي اطلب منه ان يغفر لك وكذا بما في مسند الامام أحمد وصحيح مسلم عن عائشة أيضا قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر في آخر أمره من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه وقال ان ربي كان اخبرني ان سأرى علامة في امتي وامرني اذا رأيتها ان اسبح بحمده واستغفره انه وروى ابن جرير من طريق حفص ابن عاصم عن النبي من ام سلمة قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء الا قال سبحان الله وبحمده قال إني امرت بها وقرأ السورة وهو غريب وفي المسند عن ابن عيدة عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جاء نصر الله والفتح كان يكثر اذا قرأها وركع أن يقول سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي انك أنت التواب الرحيم نعم وجوز أن تكون الباء للاستعانة والحمد مضاف الى الفاعل أي سبحه يا حمد سبحانه به نفسه قال ابن رجب اذا لبس في تسبيح بحمده تسبيح المنزلة يتخلى لتحلل كثير من الصفات وقد كان بعض الرؤساء يقول سبحان ربي الأسفل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والظاهر الملابسة وجوز ان يكون التسبيح مجازا عن التعجب بعلاقة السببية فان من رأى أمرا عجيبا قال سبحان الله أي اتعجب التنزيه الله تعالى عالم بخطر بباله وبال أحد من ان يحاسب أحدا على أعمال الخير وأحمده تعالى على منه وهذا التعجب تعجب

(م ٣٣ ـ ج ٣٠ روح المعاني)

Marfat.com

بتأمل فاتر يصح أن يؤمر به وليس الامر بمعنى الخبر بان هذه القصة من شانها أن يتعجب منها لازعم ابن المنير والتبريزي بان الامر في صيغة فاتعجب ليس أمرا بين السقوط نعم هذا الوجه ليس بنفي مرام الاخبار والفاء على ان ذلك أمر له صلى الله تعالى عليه وسلم بالاستعداد للتوجه الى ربه تعالى والاستداد فقائه بعد ما أكمل دينه وأدى ما عليه من البلاغ وأيضا ما ذكرناه من الآثار آنفا لا يساعد عليه وقيل المراد بالتسبيح الصلاة لاشتماطها عليه وقاله ابن الجوزي عن ابن عباس اي فصل له تعالى حامدا على نعمه وقد روى صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخل مكة صلى في بيت ام هاني ثمان ركعات وزعم بعضهم انه صلاها داخل الكعبة وليس بالصحيح وايا ما كان فهي صلاة الفتح وهي سنة وقد صلاها سعد يوم فتح المدائن وقيل صلاة الضحى وقيل أربع منها للفتح واربع للضحى وعلى كل ليس فيها دليل على ان المراد بالتسبيح الصلاة والاخبار ايضا لا تساعد على خلافه واستغفره صلى الله تعالى عليه وسلم قيل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان دائما في الترقي فاذا ترقى الى مرتبة استغفر لما قبلها وقيل مما هو اولى بنظر الشريف خلاف الاولى بمنصبه المنيف وقيل كان من سهو او لو قبل النبوة وقيل لتعليم امته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو استغفار لامته عليه الصلاة والسلام اي واستغفر لامتك وجوز بعضهم كون الخطاب في رأيت عاما وقال ههنا يجوز حينئذ ان يكون الامر بالاستغفار لمن سواه عليه الصلاة والسلام وادخاله صلى الله تعالى عليه وسلم في الامر تغليب وهذا خلاف الظاهر جدا واستشكل ان قال احمد ناصر عن القيام بحقوق الله تعالى كما ينبغي وادائها على الوجه اللائق بجلاله جل جلاله وعظمت سبحانه وانما يؤديها على قدر ما يعرف والعارف يعرف ان قدر الله عز وجل اعلى واجل من ذلك فهو يستحي من عجزه ويرى انه مقصر وكلما كان الشخص بالله تعالى اعرف كان له سبحانه اخوف ورؤية تقصيره ابصر وقد كان كهمس يصلي كل يوم الف ركعة فاذا صلى اخذ بلحيته ثم يقول لنفسه قومي يا مأوى كل سوء فوالله ما رضيتك لله عز وجل طرفة عين ومن مالك بن دينار لقد حملت ان ارمي اذا مت ان يتعلق بي كما يتعلق بالبيد الآبق الى سيده فاذا سألني قلت يارب اني لم ارض لك نفسي طرفة عين فيمكن أن يكون استغفاره عليه الصلاة والسلام لما يعرف من عظيم جلال الله تعالى وعظمت سبحانه فيرى ان عبادته وان كانت اجل من عبادة جميع العابدين دون ما يليق بذلك الجلال وتلك العظمة التي هو وراء ما يخطر بالبال فيستحيي ويفزع الى الاستغفار وقد صح انه عليه الصلاة والسلام كان يستغفر الله في اليوم والليلة اكثر من سبعين مرة والاشارة الى قصور العابد عن الاتيان بما يليق بجلال الربوبة وان بذل الجهود شرع الاستغفار بعد كثير من الطاعات فقد ذكر والدي يشرع لصلي المكتوبة أن يستغفر عقبها ثلاثا ولعل من تجدد في الاسحار يستغفر ما شاء الله تعالى وقد احتج ان يستغفر بعد الحج فقد قال تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم وروي انه يشرع لهم الوضوء وقالوا يشرع لهم الوضوء وان يذل المجهود شرع الاستغفار بعد كثير من الطاعات فقد ذكر والدي يشرع لصلي المكتوبة أن يستغفر عقبها ثلاثا ولعل من تجدد في الاسحار يستغفر ما شاء الله تعالى وقد احتج ان يستغفر بعد الحج فقد قال تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم وروي انه يشرع لهم الوضوء وقالوا يشرع لهم الوضوء وقد قال ابليس لما قام من الفلس سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك فلي الامر بالاستغفار رمز من هذا الوجه على ما ليس الى ما فهم من النهي والتشهير أن ذلك للدلالة على مغارفة تمام أمر العبودية وتكامل أمر الدين (١) والكلام وان كان مشتملا على التعليق وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار قيل على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيئا الا ورأيت

(١) قوله والكلام وان كان مشتملا على التعليق بحسب ما في نسخة المؤلف لكن ذلك واقع في معرض الوعد ووعد الكريم يدل على قرب الموعود به الان اعلم ان ما جاء وقتا قال بعض العلماء جعل الله عمر عدائك كعمر عدائك وتقديم التسبيح الخ لكنه مضروب عليه تأمل اه منه

Marfat.com

الله تعالى فيه لان جميع الاشياء مرايا لتجليه جل جلاله وذلك لان في التسبيح واحمد توجها بالذات لجلال الخالق وكماله وفي الاستغفار توجها بالذات لحال العبد وتقصيراته ويجوز أن يكون تأخير الاستغفار عنهما لما أشرنا اليه في مشروعية تعقيب العبادة بالاستغفار وقيل في تقديمها عليه تعليم أدب الدعاء وهو ان لا يسأل ابتداء من غير تقديم الثناء على المسؤل منه ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ أي منذ خلق للثقلين أي مبالغا في قبول توبتهم فليكن الاستغفار التائب متوقعا القبول فاعلا في موضع التعليل لما قبلها والاختيار توابا على غفارا مع ان الذي يستدعيه استغفره ظاهراً لتنزيله كما قال بعض الاجلة على ان الاستغفار انما يقع اذا كان مع التوبة وذكر ابن رجب ان الاستغفار المجرد هو التوبة مع طلب المغفرة بالدعا والقرون بالتوبة استغفر الله تعالى وأتوب اليه سبحانه هو طلب المغفرة بالدعاء فقط وقال أيضا ان المجرد طلب وقاية شر الذنب الماضي بالدعاء والندم عليه ووقاية شر الذنب المتوقع بالعزم على الاقلاع عنه وهذا الذي يمنع الاصرار كما جاء ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة ولا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار والقرون بالتوبة مختص بالنوع الاول فان لم يصحب الندم على الذنب الماضي فهو دعاء محض وان صحب ندم فهو توبة اتمي والظاهر أن ذلك الدعاء المحض غير مقبول وفيه من سوء الادب مع الله تعالى ما فيه وقال بعض الافاضل ان في الآية احتباكا والاصل واستغفره انه كان غفارا وتب اليه انه كان توابا وأيد بما قدمناه من حديث الامام أحمد ومسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها وحمل الزمان الماضي على زمان خلق الثقلين هو ما ارتضاه غير واحد وقال الطيبي في التأويلات أي لم يزل توابا لا أنه سبحانه تواب باعتبار الكسب وأحدثه على ما يقوله المعتزلة من أنه سبحانه صار توابا لا أنا الخلق فتابوا فقبل توبتهم فانما قبل ذلك فلم يكن توابا ورد عليه بأن قبول التوبة من الصفات الاضافية والنزاع في حدوثها واختار بعضهم مذاهب الى الماتريدي على أن المراد أنه تعالى لم يزل بحيث يقبل التوبة وما آلت قدم منشأ قبولها من الصفات اللائقة به جل شأنه وفي ذلك مما يقوي الرجاء به عز وجل ما فيه وصح لو لم تقبلوا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم وفي الاستغفار خير الدنيا والآخرة أخرج الامام أحمد من حديث عطية عن أبي سعيد مرفوعا من قال حين يأوي الى فراشه أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه غفر له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وان كانت مثل رمل عالج وان كانت عدد ورق الشجر وأخرج أيضا من حديث ابن عباس من أكثر من الاستغفار جعل الله تعالى له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب أستغفر الله تعالى وأتوب اليه واسأله أن يجعل لي من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا بحرمة كتابه وسيد أحبابه صلى الله تعالى عليه وسلم

سورة تبت

وتسمى سورة المسد وهي مكية وآيها خمس بلا خلاف في الامرين ولما ذكر سبحانه فيما قبل دخول الناس في ملة الاسلام عقبه بذكر هلاك بعض ممن لم يدخل فيها وخسرانه

على نفسه فليبك من ضاع عمره ٭ وليس له منها نصيب ولا سهم

كما قيل في وجه الاتصال وقيل هو من اتصال الوعيد بالوعيد وفي السورة عليه الصلاة والسلام وقال الامامي ذلك انه تعالى لما قال لكم دينكم ولي دين فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اللهم فاجزني فقال الله تعالى لك النصر والفتح فقال فما جزاء من آذاني ودعاني الى عبادة الاصنام فقال تبت يداه ولقد أوعد الوعيد على الوعيد

Marfat.com

ليكون النصر متصلا بقوله تعالى ولي دين والوعيد راجعا الى قوله تعالى لكم دينكم على حد يوم تبيض وجوه الآية فتأمل هذه المناسبة الحاصلة بين هذه السور مع أن سورة النصر من آخر ما نزل بالمدينة وتبت من أوائل ما نزل بمكة لتعلم ان ترتيبها من الله تعالى وبأمره عز وجل ثم قال ووجه آخر وهو انه تعالى لكم دينكم ولي دين فكانه قيل لهم ماجزاء القطع قال حصول النصر والفتح ثم قيل فما جزاء الماضي قال الخسار في الدنيا والعقاب في العقبى كما دلت عليه سورة تبت انتهى وهو كما ترى

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ تَبَّتْ﴾ أي هلكت كما قاله ابن جبير وغيره ومنه قولهم أتبابا أم ثبارا يدعون أم هلكا من الغرم والتحبير أي خسرت كما قال ابن عباس وابن عمر وقتادة وعن الاول أيضا خابت وعن يمان بن وثاب صفرت من كل خير وهي على ما في البحر أقوال متقاربة وقال الشهاب ان مادة التاب تدور على القطع وهو مؤد الى الهلاك ولهذا فسر به وقال الراغب هو الاستمرار في الخسران وتضمنه الاستمرار قيل استتب الدان كذا أي استمر ويرجع هذا المعنى الى الهلاك ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ هو عبد العزى بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شديد العداوة والمناسبة له عليه الصلاة والسلام ومن ذلك ما في الجمع عن طارق المحاربي قال بينا أنا بسوق ذي المجاز اذا أنا برجل حدث السن يقول أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا واذا رجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه وعرقوبيه ويقول يا أيها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يزعم انه نبي وهذا عمه أبو لهب يزعم انه كذاب وأخرج الامام أحمد والشيخان والترمذي عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يابني فهر يابني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك سائر الايام ألهذا جمعتنا فنزلت وروى أنه مع ذلك القول أخذ بيده حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن هذا يعلم وجه ايثار التباب على الهلاك ونحوه مما تقدم واسناده الى يديه وكذا مما روى البيهقي في الدلائل عن ابن عباس أيضا أن أبا لهب قال لما خرج من الشعب وظاهر قريشا ان محمدا يعدنا الباطل لا نراها كائنة يزعم انها كائنة بعد الموت فاذا وضع في يديه ثم نفخ في يديه ثم قال لنا لكم ما أرى فيكم شيئا مما يقول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت تبت يدا أبي لهب وما روى عن طارق يعلم وجه التثنية فقط فالبدان على الشق الشر وقد والكلام بتقدير مضاف يدل عليه السياق ﴿وَتَبَّ﴾ دعاء بالهلاك أو خبر وان يكون اخبارين بالهلاك وبذلك الامرين والتعبير بالماضي في الموضعين لتحقق الوقوع وقال الفراء الاول دعاء بالهلاك جاء على ان اليدين لما كنايتان عن الذات والنفس والمتبادر من الرجوع الى الجملة أو المجاز من الملابس الجزء على الكل كما قال عمي الشعر والقول في رده انه يشترط أن يكون الكل يعدم بعدمه كالرأس والرقبة واليد ليست كذلك غير مسلم لتصريح أهل اللغة بخلافه هنا وفي قوله تعالى وأيدهم بروح منه وقالوا بأيديكم الى التهلكة أو المراد على ما قيل بذلك العضو بعدم حقيقة أو حكما كما في الخلاف بين الزيدية والبدعي الشافعي أو المضاف لبعض الاصلي فان الذات من حيث الصانها بما قصد اتصافها به تصدق بذلك العضو والثاني الخبار بالحصول أي وكان ذلك وحصل كقول القائل

جزاني جزاه الله شر جزائه ٭ جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

واستظهر أن هذه الجملة حالية وقد مقدرة على الشهور كما قد أبان مسعود وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس

Marfat.com

في سبب النزول اقترانت هذه السورة ثبت يدا أبي لهب وتب وعلى هذه القراءة يتجه أن يكون ذلك دعاء لان قد لا تدخل على أفعال الدعاء وقيل الاول اخبار عن هلاكه حينئذ فقد روي انه لما نزل الاصل تزلزل بالايذاء قالوا والثاني اخبار عن هلاكه نفسه وفي التأويلات اليد بمعنى النعمة وكان يحسن الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والى قريش ويقول ان كان الامر لما عند يد وان كان لقريش فكذلك فأخبر أنه خسرت يداه التي كانت عنده التي صلى الله تعالى عليه وسلم بمنادته له ويده التي عند قريش أيضا بخسران قريش وهلاكهم في بدائي عليه الصلاة والسلام فهذا معنى ثبت يدا أبي لهب والمراد بالثاني الاخبار بهلاكه نفسه وذكر بكنيته لاشتهاره بها وقد أريد لشرهه بدعوة السوء وان تبق سمة له وذكره بأشهر عليه أوفق بذلك ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب كما قيل علي بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع أو لكراهة ذكر اسمه القبيح أولانه كان روي من طائل كان يكنى بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك أو لتجانس ذات لهب وبوافقه افتخاره بمنى والقول بأنه ليس بتجنيس لتغلي الاعاجيس في الفاصلة وهم قالوا لم يعترضوه فيه أو لجعله كناية عن الجهنمي فكأنه قيل ليت يدا جهنمي وذلك لان تشبيه الى اللهب كالتشبيه الآتي الى الوقد يدل على ملابسته له وملازمته اياه كما يقال هو أبو الخير وأبو الشر وأخو الفضل وأخو الحرب ان يلابس هذه الامور ويلازمها وملازمته لذات تستلزم كونه جهنميا لزوما عرفيا فان اللهب الحقيقي هو لهب جهنم فالانتقال من أبي لهب الى جهنمي انتقال من اللازم الى الملازم أو بالعكس على اختلاف الرأيين في الكناية فان اللازم بينهما في الجملة متحقق في الخارج والذهن الا ان هذا اللزوم انما هو بحسب الوضع الاول أعني الاتفاقي دون الثاني أعني العلمي وهم يعتبرون في الكنى المعاني الاصلية فأبو لهب باعتبار الوضع العلمي مستعمل في الشخص المعين وينتقل منه باعتبار وضعه الاصلي الى ملابس اللهب وملازمه لينتقل منه الى انه جهنمي فهو كناية عن الصفة بالواسطة وهذا باعتبار العلامة الثاني فهذه كناية بلا واسطة لان معناه الاصلي أعني ملابس اللهب ملحوظ مع معناه العلمي واتحق مع العلامة لان أبا لهب يستعمل في الشخص المعين والتكلم بناء على اعتبار المعاني الاصلية في الكنى ينتقل منه الى المعنى الاصلي ثم ينتقل منه الى الجهنمي ولا يلاحظ معه معناه الاصلي والا لكان لفظ أبي لهب في الآية مجازا سواء لوحظ (١) معه معناه الاصلي بطريق الجزئية أو التقييد لكونه غير موضوع للمجموع وما قيل ان المعنى الحقيقي لا يكون مقصودا في الكناية وان مناط الفائدة والصدق والكذب فيها هو المعنى الثاني وهنا قصد الذات المعين فليس بشيء لان الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادته منه فيجوز هنا ان يكون كلا المعنيين مرادا وفي الفتاح تصريح بان المراد في الكناية هو المعنى الحقيقي ولازمه جميعا وزعم السيد أيضا ان الكناية في أبي لهب لانه اشتهر بهذا الاسم ولكونه جهنميا فعدل اسمه على كونه جهنميا لا حاتم على أنه جواد فانا أطلق وقصد به الانتقال الى هذا المعنى يكون كناية عنه وفيه انه يلزم منه ان تكون الكناية في مثله موقوفة على اشتهار الشخص بذلك العلم وليس كذلك فانهم يكنون من الكنية الى ما يلزم مسماها باعتبار الاصل من غير توقف على الشهرة قال الشاعر

قد مدت أنا الخاسن في أراه ٭ الطويل كاد يجنني اليه
فلما أن رأيت رأيت فرعا ٭ ولم أر من يليه ابنا لديه

(١) سواء لوحظ الخ كذا في النسخ بغير ذكر الطرف الثاني المقابل لقوله لوحظ اه منه

Marfat.com

على أن فيه بعدا ما فيه وقرأ ابن عامر وابن كثير أبي طب بسكون الهاء وهو من تغيير الاعلام على ما في الكشاف وقال أبو البقاء الفتح والسكون لغتان وهو قياس على المذهب الكوفي (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ) أي لم يغن عنه ماله حين حل به العذاب على أن ما نافية ويجوز أن تكون استفهامية في محل نصب بما بعدها على أنها مفعول به أو مفعول مطلق أي أي اغناء أو أي شيء أغنى عنه ماله (وَمَا كَسَبَ) أي والذي كسبه على أن ما موصولة ويجوز أن تكون مصدرية أي وكسبه وقال أبو حيان اذا كان ما الاولى استفهامية فيجوز أن تكون هذه كذلك أي وأي شيء كسب أي لم يكسب شيئاً وقال عصام الدين يحتمل أن تكون نافية والمعنى ما أفاد عنه ماله مضرة وما كسب منفعة وظاهره أنه جعل فاعل كسب ضمير المال وهو كما ترى وانظر في البحر موصولتها فالعائد محذوف أي والذي كسبه به من الارباح والنتائج والمنافع والزراعة والاتباع أو ما أغنى عنه ماله الموروث من أبيه والذي كسبه بنفسه أو ماله والذي كسبه من عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فالمال الضحاك أو من عمله الذي يظن انه منه على شيء كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كما قال قتادة ومن ابن عباس ومجاهد ما كسب من الولد أخرج أبو داود عن عائشة مرفوعا ان أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وروى أنه كان يقول ان كان عايقول ابن آمنة حقا فانا أفتدي منه نفسي يعالي ووادي وكان له ثلاثة آبناء عتبة ومعتب وقد أسلما يوم الفتح وسر النبي عليه الصلاة والسلام باسلامهما ودعا لهما وشهدا حنينا والطائف وعتيبة بالتصغير ولم يسلم وفي ذلك يقول صاحب كتاب الاغاني

ترحت عتبة اذ أجرما ٭ وأخيبت عتبة اذ أسلما

كذا معتب مسلم فاخترز ٭ وخلف ابن سيف سلما

وكانت أبولهب يشتم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند عتيبة وزوجة أخيها عند اخيه عتيبة فلما نزلت السورة قال أبولهب لما رأيي ورأسكما حرام ان لم تطلقا ابنتي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فطلقاها الا ان عتيبة الصغير كان قد أراد الخروج الى الشام مع أبيه فقال لآتين محمداً عليه الصلاة والسلام وأوذيه فأتاه فقال يا محمد اني كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم نفل لجاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يصبه عليه الصلاة والسلام شيء وطلق ابنته أم كلثوم فاتجه عليه الصلاة والسلام بما قال وقيل فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فكره ذلك وقال له ما أعلك بالرجل أخي من هذه الدعوة فرجع الى أبيه ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير وقال لهم ان هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب أغيثوني يامعشر قريش في هذه الليلة فاني أخاف على ابني دعوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم حولا من الاسد فجاء أسد يتشمم وجوههم حتى أتى عتيبة فتلته وفي ذلك يقول حسان

من يرجع العام الى أهله ٭ فما أكيل السبع بالراجع

وهلك أبو لهب نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجنبه أهله خافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثا حتى انتن فلما خافوا العار استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه وفي رواية حفروا له حفرة ودفعوه بعود حتى وقع فيها فقذفوه بالحجارة حتى واروه وفي أخرى انهم لم يحفروا له وانما أسندوه فاحتط وقذفوا عليه الحجارة من حيث لم يروا فكان الامر كما أخبر به القرآن وقرأ عبد الله وما اكتسبه بزنة الافتعال (سَيَصْلَى نَارًا) سيدخل عما قريب الاحالة في الآخرة ويقاسي حرها

Marfat.com

والسين لتأكيد الوعيد والتنوين للتعظيم أي ناراً عظيمة (ذَاتَ لَهَبٍ) ذات اشتعال وتوقد عظيم وهي نار جهنم وجعلها أغنى لمح قال في الكشف الكشاف جواباً لما كان يقوله انا افتدى بمالي وبقومي من عذاب ربي فيه تحسيره وتهكم بما كان يفتخر به من المال والبنين وهذا ما أجمل تصوير لهلاكه بما يظهر سببه عدم إغناء المال والولد وهو ظاهر على تفسير ما كسب بالولد وقال بعض الأفاضل الأول إشارة لهلاك عمله وهذه إشارة لهلاك نفسه وهو أيضاً على بعض الأوجه السابقة فتذكر ولا تغفل وقوله تعالى (وَامْرَأَتُهُ) عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وقوله تعالى (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) نصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على أن الإضافة غير حقيقية للاستقبال على ما ستسمعه إن شاء الله تعالى وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان أخرج ابن عساكر عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر رضي الله تعالى عنهما أن عقيل بن أبي طالب دخل على معاوية فقال معاوية له أين ترى عمك أبا لهب من النار فقال له عقيل إذا دخلتها فهو على يسارك مفترش عمتك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب ولا أظن صحة هذا الخبر عن الصادق لأن فيه ما فيه وكانت على ما في البحر عوراء وسميت بذلك لأنها على ما أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير عن ابن زيد كانت تأتي بأغصان الشوك تطرحها بالليل في طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل كانت تحمل حزمة الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريقه عليه الصلاة والسلام وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يطؤه كما يطأ الحرير وروي عن قتادة أنها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عنه وعن مجاهد أنها كانت تمشي بالنميمة وأخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن أيضاً وروي عن ابن عباس والسدي ويقال لمن يمشي بالنمائم يحمل الحطب بين الناس أي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر فالحطب مستعار للنميمة وهي استعارة مشهورة ومن ذلك قوله

من البيض لم تصطد على ظهر لأمة ۞ ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

وجعله رطباً ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر ففيه إيغال حسن وكذا قول الراجز

إن بني الأدرم حمالو الحطب ۞ هم الوشاة في الرضاء والغضب

وقال ابن جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحطب على ظهره إذا كان يكتسب الآثام والخطايا والظاهر أن الحطب عليه مستعار للخطايا بجامع أن كلا منهما مبدأ للإحراق وقيل الحطب جمع حاطب كحارس وحرس أي تحمل الجناة على الجنايات وهو محمل بعيد وقرأ أبو حيوة وابن مقسم سيصلى بضم الياء وفتح الصاد وشد اللام ومريئته بالتصغير والهمز وقرئ ومريته بالتصغير وقلب الهمزة ياء وإدغامها وقرأ الحسن وابن إسحق سيصلى بضم الياء وسكون الصاد واختلس حركة الهاء في امرأته أبو عمرو في رواية وقرأ أبو قلابة حاملة الحطب على وزن فاعلة مضافاً وقرأ الأكثرون حمالة الحطب بالرفع والإضافة وقرئ حمالة للحطب بالتنوين رفعاً ونصباً وبلام الجر في الحطب وقوله تعالى (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر في موضع الحال من الضمير في حمالة وقيل من امرأته المعطوف على الضمير وقيل الظرف حال منها وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو خبر لامرأته وهي مبتدأ لا معطوفة على الضمير وحبل فاعل وعلى قراءة حمالة بالرفع قيل امرأته مبتدأ وحمالة خبر وفي جيدها حبل خبر ثان أو حال من ضمير حمالة أو الظرف كذلك وحبل مرتفع به على الفاعلية أو امرأته مبتدأ وحمالة صفته لأنه للماضي فيتعرف بالإضافة والخبر على ما سمعت أو امرأته عطف على الضمير وحمالة خبر مبتدأ محذوف أي هي حمالة وما بعد خبر ثان أو حال من ضمير حمالة على نظير ما مر وفي التركيب غير ذلك من أوجه الإعراب سيذكر إن شاء الله تعالى وبعض ما ذكرنا ههنا غير مطرد على

جميع الاوجه في معنى الآية كما لا يخفى عند الاطلاع عليها على التأمل والمسد ما مسد أي فتل من الحبال فلا شديداً من لف الفتل على ما قال أبو الفتح ومن أي لف على ما قيل وقيل من حلفاء شجر باليمن يسمى المسد وروى ذلك عن ابن زيد وقد يكون كما في البحر من جلود الابل أو أوبارها ومنه قوله

ومسد أمر من أبانق ٭ لبست بالبساب والاحقاق

أي في متنها حبل مما مسد من الحبال والمراد تصويرها بصورة الخطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تخسيسا لحالها وتحقيرا لشأنها تنقيصا من ذلك وبقضي بطلبها اذ كانا في بيت العز والشرف وفي منصب الزعامة والسيادة وقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بحاله الخطب فقال

ما ذا أرمت الى شتمي وتنقصي ٭ ألم ما تعير من حالة الحطب

غراء شاذخة في المجد غرتها ٭ كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

وقد أغضبها ذلك فروى أنها لما سمعت السورة أتت أبابكر رضي الله تعالى عنه وهو مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المسجد وبيدها الحجر فقالت يا ابن أن صاحبك هجاني ولا فض فمك وان كان شاعرا فانا شاعرة أقول

مذمما أبينا ٭ ودينه قلينا ٭ وأمره عصينا

وأبى الله تعالى بصرها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فروى ان أبا بكر قال لها هل ترى معي أحدا فقالت أنهزأ بي لا أرى غيرك فسكت أبو بكر وهمت وهي تقول قريش تعلم اني بنت سيدها فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام للصديق حجبني عنها فلائكة فما رأتني وكفى الله تعالى شرها وقيل ان ذلك ترشيح للمجاز بناء على اعتباره في حالة الحطب وفي الكشاف يحتمل أن يكون التي تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يفعل كل مجرم بالجاني حاله في جرمه وعليه فالحبل مستمر للسلسلة وروي هذا عن عروة بن الزبير وابن عامر وسفيان وأبي الاعراب على تعلق الكشف انه ان نصب حالة يكون حالا من الضمير والجملة أعني في جيدها حبل عن المعطوف على ضمير سيصلى أي سيصلى امرأته على هذه الحالة أو يكون حالة اعتبارية على الذم والجملة وحدها حالا أو امرأته في جيدها حبل جملة وقعت حالا عن الضمير ويحتمل عطف الجملة على الجملة على ضعف وعلى الرفع يحتمل أن تكون الجملة حالا وان يكون امرأته مبتدأ على القاعدة وحالة الحطب في جيدها جملة لا محل لها من الاعراب وقعت بيانا لكيفية صليها أي هي في حالة الحطب انتهى فتأمل ولا تغفل وعلى جميع الاوجه والاحتمالات انما لم يقل سبحانه في عنقها والمعروف أن يذكر العنق مع الحبل ونحوه مما فيه اذعان كما قال تعالى في اعناقهم أغلالا والجيد مع الحلي كقوله ٭ وأحسن من جيسه للابحة حليا ٭ ولو قال عنقها كان غثا من الكلام قال في الروض الانف لانه يهجم نحو فيحترق بعذاب أليم أي لا جيد لها فيحتمل ولو كان لكانت حالته هذه وتحطيبها قبل امرأته ولم يقل زوجه انتهى وهو بديع جدا الا انه يعكر على آخره قوله تعالى وامرأته قائمة والله سبحانه هنا على ما قال بالقام ومن الناس من قال ان في جيدها قلادة من ودع وفي معناه قول الحسن من خرز وقال ابن السيب كانت قلادة فاخرة من جواهر وأنها قالت واللات والعزى لأعطين على عداوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الزاد على هذا انها تكون في نار جهنم ذات قلادة من حسد بعد قلادتها التي كانت تفتخر فيها

لاعتقادها

Marfat.com

لاطلقها الخ وعلى ما قبله تجوين أمر فلا دلتها لتأكيده ذمها بالبخل الدال عليه قوله تعالى حالة الحطب على ما تقتضيه سابقا من افادة ويحتمل غير ذلك ووجه التعبير بالجيد على ما ذكر كما لا يخفى وزعم بعضهم أن الكلام يحتمل أن يكون دعاء عليها بالحبل وهو من الدعين مناط الثريا ثم ذكر أنها ماتت يوم ماتت محزومة بحبل حملت به حزمة حطب لكن هذا لا يستدعي حمل ما ذكر على الدعاء هذا واستدل أمر التكليف أبي لهب بالايمان مع قوله تعالى سيصلى الخ بأنه بعد ان أخبر الله تعالى عنه بأنه سيصلى النار لابد أن يصلاها ولا يصلاها الا الكافر فالاخبار بذلك يتضمن الاخبار بأنه لا يؤمن أصلا ففي كان مكلفا بالايمان بما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن المعلوم كرارا أن يكون مكلفا بان يؤمن بان لا يؤمن أصلا وهو جمع بين النقيضين خارج من محال الامكان وأجيب عنه بأن ما يعلم عدم الايمان بجميع ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما تعلق به القرآن الكريم حتى يلزم أن يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر ويقال نحو هذا في الجواب عن تكليف الكافرين بناء على القاعدة المقررة في قوله تعالى قل يا أيها الكافرون الخ بالايمان بناء على تجويز مع قوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد الخ بناء على دلالته على استمرار عدم عبادتهم ما يعبد عليه الصلاة والسلام وأجاب بعضهم بأن قوله تعالى سيصلى الخ ليس نصا في أنه لا يؤمن أصلا فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب منه أن دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره ولا يجري هذا في الجواب عن تكليف أولئك الكافرين بناء على فهمهم السورة افادة الاستمرار وأجاب بعض آخر بان من جاء فيه مثل ذلك وعلم به مكلف بان يؤمن بما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم وأجاب الكعبي وأبو الحسين البصري ولقد القاضي عبد الجبار بغير ما ذكر مما رده الامام وقيل في خصوص هذه الآية أن المعنى سيصلى نارا ذات لهب ويخلد فيها ان مات ولم يؤمن فليس ذلك مما هو نص في أنه لا يؤمن ومافنده الاجوبة وما عليها يطلب من مطولات كتب الاصول والكلام واستدل بقوله تعالى وامرأته على صحة أن تكعة الكفار والله تعالى أعلم

سورة الاخلاص

وسميت بها لما فيها من التوحيد ولما سميت أيضا بالاساس فان التوحيد أصل لسائر أصول الدين وعن كعب قال الحافظ بن رجب سمعت السموات السبع والارضون السبع على هذه السورة قل هو الله أحد ورواه الزمخشري عن أبي وأنس مرفوعا وإذا قرأ أحد من الحدثين القديرين كذلك وكيف كان فالمراد به كما قال ما خلقت السموات والارضون الا لتكون دلائل على توحيده تعالى وسر فاضلتها التي اقتضت اعلاء السورة وقيل معنى تأسيسها عليها أنها انما خلقت بالحق كما قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناها الا بالحق وهو العدل والتوحيد وهو ان يرجع الى الاول لا يخلو عن نظر وقيل المراد أن مصحح ايجاده تعالى لها هي بعض كلماته التي عناها الله تعالى بقوله تعالى ما نفدت كلمات الله والسورة من وصفه عز وجل واستحقاقه ان يكون له سبحانه شريك اذ لو لا ذلك لم يمكن وجودها لامتناع ما قرره بعض الاجلة في توجيه برهنة قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفيه بعض تعسف وايضا سورة قل هو الله احد كما هو مشهور يشير اليه الاثر ايضا والمتقدمة لما سميت في الصحيح سورة الكافرون وسورة التوحيد وسورة التفريد وسورة التجريد وسورة النجاة وسورة الولاية وسورة المعرفة لان معرفة الله تعالى أنما تتم بمعرفة ما فيها وفي الخبر أن رجلا سمع قارئا فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا عبد عرف ربه وسورة الجلال قيل لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ان الله جميل يحب

(ج ٢٤ — ج ٣٠) التفسير

Marfat.com

الجلد فسألوه صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك فنزل الصمد لم يلد ولم يولد ولا نظير هذا لأحد وسورة الكافرون لوروودها جوابا لمن قال انسب لنا ربك على ما سنذكره ان شاء الله تعالى وقيل لما أخرجه الطبراني من طريق عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي عن الوازع بن نافع عن أبي ملكة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكل شيء نسبة ونسبة الله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد وهو كما قال الحافظ ابن رجب ضعيف جدا وعثمان يروي المناكير وفي الميزان انه موضوع وسورة الصمد وسورة المعوذة لما أخرج النسائي والبزار وابن مردويه بسند صحيح عن عبد الله بن أنيس قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وضع يده على صدري ثم قال قل فلم أدر ما أقول ثم قال قل هو الله أحد فقلت حتى فرغت منها ثم قال قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق فقلت حتى فرغت منها ثم قال قل أعوذ برب الناس فقلت حتى فرغت منها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما حككذا فتعوذ وما تعوذ المتعوذون بمثلهن قط وسورة الناس قيل والروى ابن عباس أنه تعالى قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم حين عرج به أعطيتك سورة الإخلاص وهي من ذخائر كنوز عرشي وهي الدافعة لضغطة القبر ونفخات الشيطان والظافر بعلم هذا الأمر وبما ورد ما أخرجه ابن الضريس عن أبي أمامة أربع آيات نزلت من كنز العرش لم ينزل منه غير من أم الكتاب وآية الكرسي وخاتمة سورة البقرة والكوثر وحكمه حكم المرفوع بل أخرجه الشيخ ابن حبان والبيهقي وغيرهما بالسند عن أبي أمامة مرفوعا وسورة العصر قيل لأن الملائكة عليهم السلام تحضر لاستماعها اذا قرئت وسورة الكفرة قيل لأن الشيطان يفر عند قرائتها وسورة البراءة قيل لما روى أنه عليه الصلاة والسلام رأى رجلا يقرؤها فقال أما هذا فقد برىء من الشرك ولم أدر من روى ذلك نعم روى أبو نعيم من طريق عمرو بن مرزوق عن شعبة عن مهاجر قال سمعت رجلا يقول لعهيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر فسمع رجلا يقرأ قل يا أيها الكافرون فقال قد برىء من الشرك وسمع آخر يقرأ قل هو الله أحد فقال ظفر له وعليه فأطلق بهذا الاسم سورة الكافرون والمعول الأول أن يقال سميت بذلك لما في حديث الترمذي من أنس من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة كتب الله تعالى له براءة من النار وسورة التذكرة لانها تذكر خالص التوحيد وسورة النور قيل لما روى من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لكل شيء نورا ونور القرآن قل هو الله أحد وسورة الإيمان لانه لا يتم بدون ما تضمنته من التوحيد وقد ذكر معظم هذه الأسماء الامام الرازي وبين وجه التسمية بها بما لا مزيد عليه والرجل رحمه الله تعالى ليس بامام في معرفة أحوال المرويات لا يعتنا من سبينا الولا يبالي بما ذلك فيكتب ما ظفر به وان عرف شدة ضعفه وهي مكية في قول عبد الله الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقتادة مدنية في قول ابن عباس ومحمد بن كعب وأبي العالية والضحاك كما في البحر وخبر ابن عباس السابق ان صح ظاهر في انها عنده مكية وفي الاتقان فيها قولان مشهوران في سبب نزولها متعارضين وجمع بينهما بتكرر نزولها ثم ظهر لي ترجيح انها مدنية الخ وعلى ما في الكتابين لا يخفى ما في قول الدواني انها مكية بالاتفاق من الدلالة على قلة الاطلاع وآيها خمس في المكي والمدني أربع في غيرهما ووضعت هنا قبل الزلزال في القسط بين نواسلها ومقطع سورة المد وقيل وهو الأولى انها متصلة بقل يا أيها الكافرون في المعنى فهما بمنزلة قل التوحيد في النفي والاثبات ولما بينهما من المشابهين المقتضيين وقرن بينهما في القراءة في صلوات كثيرة على ما قاله بعض الأئمة كركعتي الفجر والطواف والضحى وسنة المغرب وصبح المسافر ومغرب ليلة الجمعة الا انه فصل بينهما بالسورتين لما تقدم من الوجه ونحوه وقال في إيلافها سورة ثبت وما على أبي طلب بخصوصه وجاء فيها أخبار كثيرة تدل على مزيد فضلها بما تقدم

Marfat.com

أعطا وروى مبارك بن فضالة عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله إني أحب هذه السورة وقل هو الله أحد يقال ان حبك إياها أدخلك الجنة وأخرجه الامام أحمد في المسند من أبي النضر عن مبارك المذكور عن أنس وذكر البخاري ان حبها يوجب دخول الجنة تعليقا وروى مالك عن عبد الله بن عبد الرحمن قال سمعت أبا هريرة يقول أقبلت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة وأخرجه النسائي والترمذي وقال حديث صحيح لا نعرفه الا من حديث مالك وأخرج أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب عن بريدة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى وفي المسند عن محجن بن الأدرع ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دخل المسجد فاذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد ويقول اني أسألك يا الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر لي ذنوبي انك أنت الغفور الرحيم فقال نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث مرات قد غفر له قد غفر له قد غفر له وأخرج البخاري ومالك وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد ان رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن وأخرج احمد والنسائي في اليوم والليلة من طريق هشيم عن أبي بن كعب أو رجل من الأنصار قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن ولفظه من أحسن بعد من أشرك بالله تعالى وآمن بما جاء انه تعدل ثلث القرآن في عدة أخبار مرفوعة وموقوفة وفي المسند من طريق ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن أبي الطيب عن أبي سعيد قال بات قتادة بن النعمان يقرأ الليلة كلها يقل هو الله أحد فذكر ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال والذي نفسي بيده انها لتعدل نصف القرآن أو ثلثه وحمل على ذلك من الرأي والروايات تبين الثلث واختلف في المراد بذلك فقيل المراد أنها باعتبار معناها ثلث من القرآن المقرأ الى ثلاثة لان ثواب قراءتها ثلث ثواب القرآن والى هذا ذهب جماعة لكنهم اختلفوا في بيان ذلك فقيل أن القرآن يشتمل على قصص وأحكام وعقائد وهي لذاتها لما يتعلق بالعقائد فكانت ثلث الأخبار وقال الغزالي في الجواهر ما حاصله ان مدار تلك الأخبار أنواع العلوم الثلاثة التي هي أم ما في القرآن علم المبدأ وعلم المعاد وعلم ما بينهما أعني الصراط المستقيم وقال الجويني الطالب التي في القرآن معظمها الأصول الثلاثة التي بها يصير الانسان مسلما ويحصل الايمان وهي معرفة الله تعالى والاعتراف بصدق رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم واعتقاد القيام بين يديه وهذه السورة تفيد الأصل الأول فهي ثلث من هذا الوجه وقيل القرآن قسمان خبر وانشاء والخبر قسمان خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق فهذه ثلاثة اثلاث وسورة الاخلاص أخلصت الخبر عن الخالق فهي بهذا الاعتبار ثلث وهذا كما ترى وأيا ما كان فليل لا تنافي بين رواية الثلث ورواية عدل القرآن لها المذكورة في الكشاف على تقدير ثبوتها لجواز ان يقال هي عدل القرآن باعتبار ان المقصود التوحيد وما عداه فروائع اليه ويؤيد اعتبار الاجزاء فيها دون الثواب ما في صحيح مسلم من طريق قتادة عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أيعجز أحدكم ان يقرأ في يوم ثلث القرآن قالوا ثم قال الله تعالى جزأ القرآن

Marfat.com

ثلاثة أجزاء فقال هو الله أحد ثلث القرآن وقيل المراد تعدل الثلث ثوابا بالظواهر الاحاديث وضعف ذلك ابن عقيل وقال لايجوز أن يكون الثلثي الله أجر ثلث القرآن لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات فيكون ثواب قراءة القرآن بتمامه اضعافا مضاعفة بالنسبة لثواب قراءة هذه السورة والنووي أورد هذا الاشكال على هذا القول ثم أجاب بان القاري ثوابين تفصيليا بحسب قراءة الحروف واجماليا بسبب ختمه القرآن فثواب (قل هو الله أحد) يعدل ثلث ثواب الختم الاجمالي لاغير ونظيره اذا عين أحد ابن بنين له دارا في كل يوم دنانير وعين له اذا أتمه جائزة أخرى غير أجرته اليومية وفي شرح البخاري للكرماني فان قلت المدة في قراءة الثلث أكثر منها في قراءتها فكيف يكون حكمه حكمها قلت يكون ثواب قراءة الثلث بمقدور ثواب قراءتها بقدر ثواب مرة منها الان التضعيف في الاصل دون الزائد وتبع منافي مقابلة زيادة الثقة وقال الخفاجي بعد أن قال ليس فيما ذكر مايثلج الصدر ويطمئن اليه البال والذي عندي في ذلك ان الناظر في معنى كلام الله تعالى المتدبر لآياته تواليا ومقالا له وان لم يفهمه ثواب آخر فالمراد ان من تلاها مراعيا حقوق ادائها فاهما دقيق معانيها كانت تلاوته لها مع ذلك وتدبرها تعدل ثواب تلاوة ثلث القرآن من غير نظر في معانيه أوتلت ليس فيه مايتعلق بمعرفة الله تعالى وتوحيده والابدع في أشرف المعاني اذا فهم لبعض من أشرف الالفاظ أن يعدل من جنسي تلك الالفاظ مقداراً كثيراً كوزن ذهب زنته عشرة مثاقيل مرصع بنفائس الجواهر يساوي ألف مثقال ذهبا فصاعداً انتهى ولا أرى له حكما زائدا على غيره مما تقدم والذي اختاره أنه يقال لامانع من ان يخص الله عز وجل بعض العبادات التي ليس فيها كثير مشقة بثواب اكثر من ثواب ماهو من جنسها وانشق منها باضعاف مضاعفة وهو سبحانه الذي لاحجر عليه ولايتناهي جوده وكرمه فلا يبعد أن يتفضل جل وعلا على قاريه القرآن بكل حرف عشر حسنات ويزيد على ذلك اضعافا مضاعفة جدا للقاريء الاخلاص بحيث يعدل ثوابه ثواب قاريء ثلث منه غير مشتمل على تلك السورة ويفوض حكمة التخصيص الى علمه سبحانه ولكنا يقال في أمثاله وهذا مراد من جعل ذلك من الفضائل الذي استأثر الله تعالى بعلمه وليس هذا ببعيد ولا أبدع من تخصيص بعض الازمنة والامكنة المتحدة الماهية بان للعبادة منه ولو قليلة من الثواب مايزيد أضعافا مضاعفة على ثواب العبادة في مجاوره مثلا ولو كثيرة بل قد خص سبحانه بعض الازمنة والامكنة بوجوب العبادة فيه وبعضها بحرمتها فيه وله سبحانه في كل ذلك من الحكم مالم يعلم به أحد وقال ابن عبد البر (١) السكوت في هذه المسألة أفضل من الكلام فيها وأسلم وكذلك حديث معاوية بن معاوية الليثي الذي افتتح به الامام الكلام في هذه السورة الكريمة خرجه الطبراني وأبو يعلى من طرق فيها ضعيفة والاحاديث الصحيحة الواردة فيها تكفي في فضلها بل

(١) قوله السكوت في هذه المسألة أفضل من الكلام فيها وأسلم وكذلك حديث معاوية الخ لكذا في النسخ لكن في نسخة المؤلف بعد قوله وأسلم مانصه ثم أسند الى اسحق بن منصور قلت لاحمد بن حنبل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ماوجهه فلم يتم فيها على أمر ثم ذكر عن الامام أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه انهما وهما امامان بالسنة ماقالا ولا قعدا في هذه المسألة وقد سئلا عنها ومراده من ذلك تأييد مادعى من ان السكوت أسلم وهو كذلك لكن على الوجه الذي قررناه وقد ورد في تكرار قراءتها خمسين مرة أوأكثر من ذلك وعشرات عقيب كل صلاة أحاديث كثيرة فيها كما قال الحافظ ابن رجب ضعف وكذلك حديث الخ لكنه مضروب عليه في نسخته ولايخفى عليك الحال في كلا الامرين اه منه

Marfat.com

قيل لذلك انها أفضل سورة في القرآن ومنهم من استدل عليه بما روى الدارمي في مسنده عن أبي الجوزة عن صفوان الكلاعي قال قال رجل يا رسول الله أي سور القرآن أعظم قال قل هو الله أحد وفي المسند من طريق معاذ بن رفاعة وأسيد بن عبد الرحمن عن عطية بن عامر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والانجيل والزبور والقرآن العظيم قلت بل قال فاقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم قال يا عطية لا تنساهن ولا تبت ليلة حتى تقرأهن وروى الترمذي بعض هذا الحديث وحسنه ولا يدل على أنها أفضل سور القرآن مطلقا بل أنها من الافضل وقال ابن الحداد العجب ممن ينكر الاختلاف في الفضل مع كثرة النصوص الواردة فيه واختلف القائلون بالتفضيل فقال بعضهم الفضل راجع الى عظم ومضاعفة الثواب بحسب التفاوت النفس وحدتها وتدبرها عند أوصاف العلا وقيل بل يرجع لذات اللفظ فان تضمنته سورة الاخلاص مثلا من الدلالة على الوحدانية وصفات الجلال ليس موجودا في ثبت مثلا بالتفضيل انما هو بالمعاني الحية وكثرتها وتفاضل الجليل عن البيق ان معنى التفضيل بين الآيات والسور يرجع الى أشياء أحدها أن يكون العمل بها أولى من العمل بالاخرى وأعود على الناس وعلى هذا يقال في آيات الامر والنهي والوعد والوعيد خير من آيات القصص لانه انما أريد بها تأكيد الأمر والنهي والانذار والتبشير ولا غنى للناس عن هذه الامور وقد يستغنون عن القصص فكان ما هو اعود عليهم وانفع لهم مما يجري مجرى الاصول خيرا لهم كالجدل نعم لما لا بد منه الثاني ان يقال الآيات التي تشتمل على تمجيد اسماء الله تعالى وبيان صفاته والدلالة على عظمته عز وجل افضل بمعنى انها اسنى واجل قدرا مما لا تشتمل على ذلك الثالث ان يقال سورة خير من سورة او آية خير من آية بمعنى ان القارىء يتحمل له بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل ويتأدى منه بتلاوتها عبادة كآية الكرسي والاخلاص والمعوذتين فان قارئها يتحمل بقراءتها الاحتراز عما يخل والاعتصام بالله تعالى ويتأدى بتلاوتها عبادة الله سبحانه لما فيها من ذكر كبريائه تعالى بالصفات العلا على سبيل الاعتقاد لها وسكون النفس الى فضل ذلك الذكر وبركته واما آيات الحكم فلا يقع بنفس تلاوتها التامة حكم وانما يقع بها عمل وقد يقال ان سورة الفضل من سورة لان الله تعالى جعل قراءتها اقراءة اضعافها كما سواها وأوجب بها من الثواب ما لم يوجب سبحانه لغيرها وان كان الذي الذي لاجله بالغ بها هذا المقدار لا يظهر لنا وهذا نظير ما يقال في تفضيل الازمنة والامكنة بعضها على بعض على ما سمعت آنفا وبالجملة التفضيل باحد هذه الاعتبارات لا ينافي أون الكل كلام الله عز وجل ومنحد النسبة اليه سبحانه كما لا يخفى والله تعالى أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * قل هو الله أحد﴾ المشهور أن هو ضمير الشأن وهو الراجح على الابتداء خبره الجملة بعده ومثلها لا يكون لها رابط لانها بين المبتدا في الذهن والسر في تصديرها به التنبيه من أول الامر على فخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة التحقيق والتقرير فان الضمير لا يفهم منه من أول الامر الا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما أفاده مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وقول الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز ان له مع ان حسنا بل لا يصح بدونها غير مسلم نعم قال الشهاب القاسمي ان هنا اشكالا لانه ان جعل الخبر مجموع معنى الجملة الذين في باب القضية أعني هو والله ومعنى أحد والنسبة بينهما ظاهر ان الظاهر ان ذلك المجموع ليس هو الشأن وانما الشأن مضمون الجملة الذي هو بمفرده أعني الوحدانية وان جعل مضمون الجملة الذي هو مفرد فتخصيص عدم الرابط بالجملة الخبرية عن

Marfat.com

ضمير الشأن فيرتبط الاول جملة كذلك لان الخبر لابد من اتحاده بالمبتدا بحسب الذات ولا يتحد به كذلك الا مضمون الجملة الذي هو مفرد وأجيب باختيار الشق الاول ولا يرتد الضمير من هذا الضمير أحدا بل ضمير القصة ضرورة أن مضمون الجملة الذي هو مفرد ليس بقصة وانما القصة مضامين الذين في باب القصة وأيضا هم يعدون مثل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أصدق ما قال العبد ولا اله الا الله عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما أعطيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد من الجمل التي هي بين المبتدأ في المعنى الخبر الخاتمة الى الضمير ذلك ومن المعلوم أن ما يقال ليس المضمون الذي هو مفرد بل هو الجملة بذلك التي والتزام يونس كسر همزة ان بعد القول وكذا تمثيلهم بما ينطق الله حسبي والى أي منطوق الذي أنطق به ذلك اذ من الظاهر أن ما نطق به هو الجملة بالمعنى المعروف وقد دل بالكلام ابن مالك في التسهيل على المراد يكون الجملة التي لا تحتاج الى رابط عين المبتدأ أيها وقعت خبرا عن مفرد مدلولا جملة وهو ظاهر فيما قلنا يضاف كون ذلك شاذا اي عطيا من الامور باعتبار ما تضمنه ووصف الكلام بالنظم ومقابله بهذا الاعتبار شائع ذائع وقال العلامة احمد التيمي ان اريد أنها عينه بحسب المفهوم فهو مشكل لعدم الفائدة وان اريد عينه بحسب الصدق مع التغاير في المفهوم كما هو شان سائر الموضوعات مع محمولاتها فقد يقال انه مشكل ايضا اذ ما صدق ضمير الشأن أعم من الله أحد والناس لا يحمل على العام في القضايا الكلية ودعوى الجزئية في هذا المقام يأبو عنه تصريحهم بأن ضمير الشأن لا يخلو عن ابهام وبعبارة أخرى وهي ان ما صدق عليه ضمير الشأن مفرد وما صدق الجملة مركب ولا شيء من المفرد بمركب ولما تراهم يؤولون الجملة الواقعة خبرا بمفرد صادق على المبتدا ليصح وقوعها خبرا والتزام ذلك في الجملة الواقعة خبرا عن ضمير الشأن ينافيه تصريحهم بانها غير مؤولة بالمفرد وان كانت في موقعه وأجيب بان معنى قولهم هو ضمير الشأن انه ضمير راجع اليه وموضوع موضعه وان لم يسبق له ذكر للايذان بانه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد وانه يشير الى مذكور عليه يعود الى ضمير ونحوهم في عد الضمائر التي ترجع الى متأخر لفظا ورتبة منها ضمير الشأن فانه راجع الى الجملة بعده مساعدة لما ذكروها لان بيان الشأن وتعيين المراد به بها فما صدق الضمير هو بعينه ما صدق الشأن الذي عاد هو عليه فيختار الشق الثاني بانا ان يراد بالشأن الشأن المعهود اذ عليه تجعل القضية شخصية نظير هذا زيد واما أن يراد الشأن الكلي وتجعل القضية مهملة وهي في قوة الجزئية كما قيل بعض الناس الله أحد وجاء الايسلم الذي ادعى تصريحهم به من عدم تعين البعض قبل ذكر الجملة وحملها عليه وما صدق عليه الشأن كما يكون مفردا يكون جملة فليكن هنا كذلك واستبعد الاول واحتمال الكلية مبالغة نحو قل الصيد في جوف الفرا كما ترى فليتأمل وجوزوا ان يكون هو ضمير السؤال عنه أو المطلوب معناه أو نسبته فقد أخرج الامام أحمد في مسنده والبخاري في تاريخه والترمذي والبغوي في معجمه وابن عاصم في السنة والحاكم وصححه وغيرهم عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا محمد انسب لنا ربك فانزل الله تعالى قل هو الله أحد السورة وأخرج ابن جرير وابن المنذر والطبراني في الاوسط والبيهقي بسند حسن وآخرون عن جابر قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انسب لنا ربك فانزل الله تعالى قل هو الله أحد الخ وفي الباب عن ابن عباس ابن عامر بن الطفيل وأربد ابن ربيعة أتيا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عامر الا ندعوا يا محمد قال الى الله تعالى أفتن ذهب هو أم من فضة أم من حديد ام من خشب فانزلت هذه السورة فدلك الله تعالى اربد بالصاعقة وعامرا بالطاعون وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الاسماء والصفات عن ابن عباس ان اليهود جاءت الى النبي عليه الصلاة

Marfat.com

والسلام منهم ككعب بن الأشرف وحيي بن أخطب فقالوا بالحمد سف لنا ربك الذي بعثك فانزل الله تعالى السورة وكون السائلين اليهود مروي عن الضحاك وابن جبير وقتادة ومقاتل وهو ظاهر في ان السورة مدنية وجاز رجوع الضمير الى ذلك المسئل به من السؤال وجرى ذكره فيه وهو عليه مبتدأ و الاسم الجليل خبره وأحد خبر بعد خبر وأجاز الزمخشري أن يكون بدلا من الاسم الجليل على ما هو المختار من جواز ابدال النكرة من المعرفة وان يكون "هو" مبتدأ محذوف أي هو أحد وأجاز ابو البقاء ان يكون الاسم الاعظم بدلا من هو وأحد خبره والله تعالى وتقدس علم على الذات الواجب الوجود كما ذهب اليه جمهور الاشاعرة وغيرهم خلافا للمعتزلة حيث قالوا انه علم في حقه سبحانه بدل لان أحداً لا يسمى به ذاته تعالى الخصوص بخصوصاتي يوضع له واما يعلم بمفهومات كلية منحصرة في فرد فيكون اللفظ موضوعا لانتال تلك المفهومات الكلية فلا يكون علما ورد بانه تعالى عالم بخصوصية ذاته فيجوز أن يضع لفظا بازائه بخصوصه فيكون علماً وهذا على مذهب القائلين بأن الواضع هو الله تعالى ظاهر الا انه يلزم أن يكون ما يفهم من لفظ الله غير ما وضع له اذ لا يعلم غيره تعالى خصوصية ذاته تعالى التي هي الموضوع له على هذا التصدير والقول بانه يجوز ان يكون المفهوم الكلي آلة الوضع ويكون الموضوع له هو الخصوصية التي يصدق عليها المفهوم الكلي كما قيل في هذا ونظائره يلزم عليه ايضا ان يكون وضع اللفظ لما لا يفهم منه فانا لا نفهم من أسمائه تعالى الا تلك المفهومات الكلية والظاهر ان الملائكة عليهم السلام كذلك لاحتجاب ذاته عز وجل عن غيره سبحانه ومن هنا استظهر بعض الاجلة ما نقل عن حجة الاسلام ان الاسم الجليل جار في الدلالة على الوجود الحق الجامع لصفات الالهية الثبوت بثبوت الربوبية للفرد بالوجود الحقيقي مجرى الاعلام اي وليس بعلم وفيه ما يتعلق بذلك أول الكتاب فارجع اليه بق في هذا المقام بحث وهو ان الاعلام الشخصية كما تزيد انما ان يكون كل منها موضوعا لشخص المعين كما هو المتبادر للجمهور فاذا اخبر احد بتولد ابن له فسماه زيداً مثلا من غير ان يبصره يكون ذلك اللفظ اسما لصورة الخيالية التي حصلت في مخيلته وحينئذ اذا لم يكن المولود بهذه الصورة لم يكن اطلاق الاسم عليه بحسب ذلك الوضع ولو قيل بكونه موضوعا للمفهوم الكلي المنحصر في ذلك الفرد لم يكن علما كما سبق ثم انا سمعنا علما من تلك الاعلام الشخصية ولم نبصر مسماه أصلا فانا لا نفهم الخصوصية التي هو عليها بل ربما نخيل شيء على غير ما هو عليه من الصور وإما أن يكون جميع تلك الصور الخيالية موضوعا له فيكون من قبيل الالفاظ المشتركة بين معان غير محصورة واما أن يكون الموضوع له هو الخصوصية التي هو عليها فقط فيكون غيرها خارجا عن الموضوع له فيكون فهم غيرها من الخصوصيات منه غلطا فانا أن يتراك دعوى كون تلك الاعلام جزئيات حقيقية ويقال انها موضوعات للمفهومات الكلية المنحصرة في الفرد أو يلتزم أحد الاحتمالات الاخر والاولى والاحق بالاعتبار هو الاول واحد فالهمزة بدلا من الواو وأصله وحد وابدال الواو المفتوحة همزة قليل ومنه قولهم امرأة أناة بزنة فعالة من الونى وهو الفتور وهذا بخلاف أحد الذي يلازم النفي ونحوه ويراد به العموم كما في قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين وقوله عليه الصلاة والسلام أحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وقوله تعالى هل تحس منهم من أحد وقوله سبحانه فلا تد منهم أحدا وقوله عز وجل وان أحد من المشركين استجارك فان همزته أصلية وقيل الهمزة فيه أصلية كالهمزة في الآخر والفرق بينهما كما قال الراغب ان المختص بالنفي منهما الاستغراق جميع الناطقين ويشاول القليل والكثير على طريق الاجتماع والافتراق نحو ما في الدار

Marfat.com

أحد أي لاواحد ولا اثنان فصاعدا لاجتمعين ولا مفترقين ولهذا لم يصح استعماله في الاثبات لان النفي المتضادين يصح ولا يصح اثباتهما فلو قيل في الدار أحد لكان فيه اثبات واحد مفرد مع اثبات ما فوق الواحد اجتمعين ومفترقين وذلك ظاهر الاحالة والتأول ذلك ماذوق الواحد يصح ان يقال ماجاءني أحد اثنان وعليه الآية المذكورة آنفا والمستعمل في الاثبات على ثلاثة أوجه الاول ان يضم الى العشرات نحو أحد عشر واحد وعشرون والثاني أن يستعمل مضافا أومضافا اليه يعني الاول كما في قوله تعالى اما أحدكما فيسقي ربه خمرا وقولهم يوم الاحد أي يوم الاول والثالث أن يستعمل مطلقا وصفا وليس بذلك الا في وصف الله تعالى وهو وأن كان أصله وحداً الا أن وحدا يستعمل في غيره سبحانه نحو قول النابغة

كأن رحلي وقد زال النهار بنا ☆ بذي الجليل على مستأنس وحد

الثنى وقال مكي أصل أحد واحد قابدلوا الواو همزة فاجتمع ألفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احداهما تخفيفا وفرق ثعلب بين أحد وواحد بان أحدا لايبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال احد واثنان كما يقال واحد واثنان ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به سبحانه وفرق بعضهم بينهما أيضا بان الاحد في النفي نص في العموم بخلاف الواحد فانه محتمل للعموم وغيره فيقال مافي الدار أحد ولا يقال بل اثنان ويجوز ان يقال مافي الدار واحد بل اثنان ونقل عن بعض الحنفية انه قال في التفرقة بينهما ان الاحدية لاتحتمل الجزئية والعددية بخلاف الواحدية تحتمل الا يقال مائة واحدة والف واحد ولا يقال مائة أحد ولا الف احد وبني على ذلك مسئلة الامام محمد بن الحسن التي ذكرها في الجامع الكبير اذا كان لرجل اربع نسوة فقال والله لاأقرب واحدة منكن صار موليا منهن جميعا ولم يجز أن يقرب واحدة منهن الا بكفارة ولو قال والله لا أقرب أحدا كن لم يصر موليا الا من احداهن والبيان اليه وفرق الخطابي بأن الاحدية تفرد الذات والواحدية التي للمشاركة في الصفات ونقل عن المحققين التفرقة بعكس ذلك ولا يخفى في شأنه تعالى أحد الامرين من الآخر قيل الواحد الاحد في حسكم اسم واحد وفسر الاحد هنا ابن عباس وأبو عبيدة كما قال ابن الجوزي بالواحد وأيد بقراءة الاعمش قل هو الله الواحد وفسر بما لا يتجزأ ولا ينقسم وقال بعض الاجلة أن الواحد مقول على ما كان بالتشكيك فالراجح هنا حيث أطلق الوصف بالواحدية التي لا يمكن أن يكون أزيد منها ولا أقل فهو مايكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد خارجا وذهنا وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وهو مأخوذ من كلام الرئيس أبي علي بن سينا في تفسيره السورة الجليلة حيث قال ان أحدا دال على أنه تعالى واحد من جميع الوجوه وأنه لا كثرة هناك أصلا(١) لا كثرة معنوية وهي كثرة المقومات والاجناس والفصول ولا كثرة الاجزاء الخارجية المتمايزة كالاتلاف المادة والصورة والكثرة الحاصلة بالقوة أو بالفعل كما في الجسم وذلك يتضمن لكونه سبحانه منزها عن الجنس والفصل والمادة والصورة والاعراض والابعاض والاعضاء والاشكال والالوان وسائر مايلزم الوحدة الكاملة والبساطة المطلقة اللائقة بكرم وجهه عز وجل عن أن يشبهه شيء أو يساويه سبحانه شيء وقال ابن عقيل الحنبلي الذي يصح لنا من القول مع اثبات الصفات أنه تعالى واحد في الهيته لاثنين وقال غيره من المحققين كالحافظ ابن رجب هو سبحانه الواحد في الهيته

(١) قوله لا كثرة معنوية الخ كذا في النسخ ولعله سقط من قلم المؤلف ولا كثرة حسية وهي كثرة الاجزاء الخارجية والمحرر المنقول عن ابن سينا اه

Marfat.com

وربوبيته فلا معبود ولا رب سواه عز وجل واختار بعد وصفه تعالى بما ورد له سبحانه من الصفات أن الراد الواحدية الكاملة وذلك على الوجهين كون الضمير للشأن وكونه للمسؤل عنه والأصح أن يراد الواحد بالعدد أصلا إذ يخلو الكلام عليه من الفائدة وذكر بعضهم أن الاسم الجليل يدل على جميع صفات الكمال وهي الصفات الثبوتية ويقال لها صفات الاكرام أيضا والأحد يدل على جميع صفات الجلال وهي الصفات السلبية ويتضمن الكلام على كونهما خبرين الاخبار بكون المسؤل عنه متصفا بجميع الصفات الجلالية والكمالية وتنقب بأن الالهية جامعة لجميع ذلك بل كل واحد من الاسماء الحسنى كذلك لان الربوبية الالهية لا يمكن التعبير عنها لجلالتها ومعظمها الا بأنه هو هو وشرح تلك الربوبية باوازم منها ثبوتية ومنها سلبية واسم الله تعالى متناول لها جميعا فهو اشارة الى هويته تعالى والله سبحانه كالتعريف لها فلذا عقب به وكلام الرئيس ينادي بذلك وسنشير اليه ان شاء الله تعالى وقرأ عبد الله وابي هو الله احد بغير قل وقد اتفقوا على انه لا بد منها في قل يا ايها الكافرون ولا تجوز في ابت فقيل لعل ذلك لان سورة الكافرين مشافهة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او موازعته عليه الصلاة والسلام لهم ومثل ذلك يناسب ان يكون من الله تعالى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم مأمور بالانذار والجهاد وسورة ابت معاتبة لابي لهب والنبي عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم وأدب جسيم فلو امر بذلك لزم مواجهته بهو هو امره صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه السورة توحيد وهو يناسب ان يقول به كثرة ويؤمر بان يدعو الباحثين وقيل في وجه قل في سورة الكافرون ان فيها الامر ان يكون من الله تعالى فلا أعبد ما تعبدون فلا بد فيها من ذكر قل وفيه نظر لانه لا يلزم ذكره بهذا اللفظ فافهم وقال الدواني في وجه ترك قل في ابت لا يبعد ان يقال ان القول بمعاتبة أبي لهب اذا كان من الله تعالى كان أدخل في زجره وتقبيحه وقبل فيه رمز إلى أن تكونه على الملات عند صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينبغي أن يريه بمثل هذا الكلام الا الذي خلقه اذ لا يبعد أن يأذن مسلم من أقاربه لو سبه أحد غيره عز وجل فقد أخرج ابن ابي الدنيا وابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله تعالى عنهما قال مرت دودانة ابي لهب برجل فقال هذه ابنة عدو الله أبي لهب فاقبلت عليه فقالت ذكر الله تعالى أبي بشتمه وشرفه وترك اباك بجهالته ثم ذكرت ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فخطب فقال لا يؤذين مسلم بكافر ثم ان الثابت قل على قراءة الجمهور في المصحف والتزام قرائتها في هذه السورة ونظائرها مع انه ليس من مآب المأمور قل ان يلتفظ في مقام الاثبار الا بالقول قال الثاني بلى في التأويلات لان المأمور ليس المخاطب به فقط بل في احد الثقلين بالطريق الاولى فالثابت يليق على من الجمهور مذاهل العباد وقيل يمكن ان يقال المخاطب بل نفس القائل كأنه تعالى أمره بأن قل أحد عند مقام هذا المضمون ينبغي ان يأمر نفسه بالقول به وعدم التجاوز عنه فتامل والله تعالى الموفق وقوله تعالى (اللهُ الصَّمَدُ) مبتدأ وخبر وقيل الصمد نعت والخبر ما بعده وليس بشيء . والصمد قال ابن الانباري لا خلاف بين أهل اللغة أن السيد الذي ليس فوقه أحد الذي يصمد اليه الناس في حوائجهم وأمورهم وقال الزجاج هو الذي يقصر اليه السؤدد ويصمد اليه أي يقصد في شيء وأنشدوا

لقد بكر النعي بخير بني أسد ○ بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقوله دفوه بصمام ثم قالت له ○ خذها حزيت فانت السيد الصمد

وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس انه قال هو السيد الذي قد كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه العظيم

Marfat.com

الذي قد كمل في معلمه والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمه وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وعن أبي هريرة هو الذي لم يخرج منه شيء ولم يدخل فيه شيء وعن ابن جبير هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وعن الربيع هو الذي لا تعتريه الآفات وعن مقاتل ابن حيان هو الذي لا عيب له وعن قتادة هو الباقي بعد خلقه ونحوه قول مجمر هو الدائم وقول مرة الهمداني هو الذي لا يبلى ولا يفنى وعنه أيضا هو الذي يحكم ما يريد بغير مسئلة لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال الأحد الأحد والصمد الذي لا جوف له وروى عن الحسن ومجاهد ومنه قوله

شهاب حروب لا تزال جياده ● عوابس بالسكن الصكيم مصمدا

وعن أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود قال الصمد الذي ليس له أحشاء وهو رواية عن ابن عباس وعن عكرمة هو الذي لا يطعم وفي رواية أخرى الذي لا يخرج منه شيء وعن الشعبي هو الذي لا يأكل ولا يشرب وعن طائفة منهم أبي بن كعب والربيع بن أنس الذي لم يلد ولم يولد لأنهم جعلوا ما بعده تفسيرا للمراد المقول عليه تفسيرا بالسيد الذي يصمد اليه الخلق في الحوائج والمطالب وتفسيره بالذي لا جوف له وما عداهما انما راجع اليهما أو هو مما لا تعلق عليه اللغة وجعل معنى كونه تعالى سيدا أنه مبدأ الكل وفي بعض تفسيره بالذي الخلق الحاجة اليه ما سواه وقال يحتمل أن يكون كلا المعنيين مرادا فيكون وصفا له تعالى بمجموع السلب والايجاب وهو ظاهر في جواز استعمال المشترك في كلا معنييه كما ذهب اليه الشافعي والذي اختاره تفسيره بالسيد الذي يصمد اليه الخلق وهو فعل بمعنى مفعول من صمد بمعنى قصد فيتعدى بنفسه وباللام واطلاق الصمد بمعنى السيد عليه تعالى مما لا خلاف فيه وان كان في اطلاق السيد نفسه خلاف والصحيح اطلاقه عليه عز وجل كما في الحديث السيد الله وقال السويدي لا يطلق عليه تعالى مضافا فلا يقال سيد الملائكة والناس مثلا وقصد الخلق اياه تعالى بالحوائج أعم من القصد الارادي والقصد الطبيعي والقصد بحسب الاستعداد الأصلي الثابت لجميع المخلوقات اذ هي كلها متوجهة الى المبدأ تعالى في طلب كمالاتها منه عز وجل وتعريفه دون أحمد قبل لعلهم يصمدونه تعالى دون أحمديته وتعقب بانه لا يخلو من كدر لان علم المخاطب بمضمون الخبر لا يقتضي تعريفه بل انما يقتضي أن لا يلقى اليه الا بعد تنزيله منزلة الجاهل لان فائدة لازم فائدة الخبر يتنزل من هذا المقام فالاولى أن يقال ان التعريف لافادة الحصر كقولك زيد الرجل ولا حاجة اليه في الجملة السابقة بناء على أن مفهوم أحد الجزء من أنحاء التركيب والتصمد مطلقا الى آخر ما تقدم مع انهم لا يعرفون أحديته تعالى ولا يعترفون بها واعترض بأنه يقتضي ان الخبر اذا كان معلوما للمخاطب لا يخبر به الا بتنزيله منزلة الجاهل أو لافادة لازم فائدة الخبر أو اذا قصد الحصر وهو باطل مما تقرر في المعاني من أن كون المبتدأ والخبر معلومين لا ينافي كون الكلام مفيدا للسامع فائدة مجهولة لان ما يستفيده السامع من الكلام هو انتساب أحدهما للآخر وكونه هو هو فيجوز أن يقال هذا انهم يعرفونه تعالى بوجه ما ويعرفون معنى المقصود سواء كان هو الله سبحانه أو غيره عندهم ولكن لا يعرفون انه هو سواء كان بمعنى القرد الكامل أو الجنس فيه الله تعالى لهم وقيل ان أحدا في غير الحق والصمد لا يطلق على غيره تعالى فلم يحتج الى تعريفه بخلاف الصمدانية جاء لكونهم اطلاقه على غيره عز وجل أي كالبيتين السابقين فعرفوا تكرار الاسم الجليل دون الاثنين بالضمير فيسل الاشعار بان من لم يتصف بالصمدية لم يستحق الالوهية وذلك على ما صرح به الهمداني مأخوذ من افادة تعريف الجزأين الحصر فانا قلت السلطان العادل أشعر بان من لم يتصف

Marfat.com

بالعدل لم يستحق السلطة وقيل ذلك لان تعليق الصمد بالله يشعر بعلية الالوهية للصمدية بناء على أنه في الاصل صفة واذا كانت الصمدية نتيجة للالوهية فيستحق الالوهية من لم يتصف بها ويحتج فيه بأن الالوهية فيما يظهر للصمدية لانه انما يصيد ليكون غنيا اليه دون العكس الا أن يقال المراد بالالوهية مبدؤها وما تترتب عليه لاكونه معبودا بالفعل وانما لم يكتف بمبتدا واحد لان احد والصمد هو الاسم الجليل بان يقال الله الاحد الصمد للتنبيه على ان كلا من الوصفين مستقل في تعين الذات وتراد العاطف في الجملة المذكورة لانها كالدليل عليه فان من كان غنيا بالذات محتاجا اليه جميع ما سواه لا يكون الا واحدا وما سواه لا يكون الا ممكنا محتاجا اليه أو لانها كالنتيجة لذلك بناء على ان الاحدية تستلزم الصمدية والنفي للطبق وبالجملة هذه الجملة من وجه تنبيه الدليل ومن وجه تنبيه النتيجة في مستأنفة أو مؤكدة وقرأ أبان بن عثمان وزيد بن علي وعمرو بن عبيد ومسلم وابن سيرين والحسن وابن أبي اسحق وأبو السماك وأبو عمرو في رواية يونس ومحبوب والاصمعي والقزاز وعبيد أحد القراء بحذف التنوين لالتقاء الساكنين لا لام التعريف وهو موجود في كلام العرب وأكثر ما يوجد في الشعر كقول أبي الاسود الدؤلي

فألفيته غير مستعتب ○ ولا ذاكر الله الا قليلا

وقول الآخر

عمرو الذي هشم الثريد لقومه(١) ○ ورجال مكة مسنتون عجاف

والجيد هو التنوين وكسر الالتقاء الساكنين وقوله تعالى ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ الخ علة لما سبق ونفي ذلك عنه تعالى لان الولادة تقتضي انفصال مادة من سبحانه وذلك يقتضي التركيب الناقي للصمدية أو لان الوالد من جنس أبيه ولا يجانسه تعالى أحد لانه سبحانه واجب وغيره ممكن ولان الوالد على ما قيل يطلبه الناقل لاعانته أو ليخلفه بعده وهو سبحانه عالم باق غير محتاج الى شيء من ذلك والاقتصار على الماضي دون أن يقال لن يلد لوروده رداً على من قال ان الملائكة بنات الله سبحانه أو المسيح ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ويجوز أن يكون المراد استمرار النفي وعبر بالماضي لمطابقة قوله تعالى ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ وهو لابد أن يكون بصيغة الماضي ونفي الولودية عنه سبحانه لاقتضائها المادة فيلزم التركيب الناقي للطبق والاحدية الحقيقية أو لاقتضائها سبق العدم ولو بالذات أو لاقتضائها الحاجة المنتجة على واجب الوجود وقدم نفي الولادة لانه الاهم لان طائفة من الكفار لم يدعوا خلافه بخلاف نفي الولودية أو لكثرة دعوى خلاف الاول دون خلاف الثاني بناء على أن النصارى يلزمهم بواسطة دعوى الاتحاد القول بالولادة والولودية فيمن يتقدونه الها وذلك على ما تضمنته اثيم يقولون الاب هو الاقنوم الاول من الثالوث والابن هو الثاني الصادر منه صدورا أزليا مساويا للازلية له وروح القدس هو الثالث الصادر عنهما كذلك والطبيعة الالهية واحدة وهي لكل من الثلاثة وكل منها متحد معها مع ذلك هم ثلاثة جواهر لا جوهر واحد فالاب ليس هو الابن والابن ليس هو الاب وروح القدس ليس هو الاب ولا الابن وهما ليسا روح القدس ومع ذلك الله واحد اقنوم لاهوت واحد وطبيعة واحدة وجوهر واحد وكل منهم متحد مع اللاهوت وان كان بينهم تمايز والاول هو الوجود الواجب الجوهري والثاني هو النطق الجوهري ويقال له الكلمة والثالث هو الافادة الجوهرية ويقال لها الحياة فالثلاثة أقانيم جوهرية وهي على تمايزها متمايزا حقيقيا وقد يطلقون عليه اضافيا أي باضافة بعضها الى بعض جوهر وطبيعة واحدة هو الله وليس يوجد فيه غيره بل كل ما هو داخل فيه دين ذاته ويقولون ان له تعالى عما يقولون أربع اضافات أولاها ابوية التعقل في الاقنوم الاول ثانيتها بنوية التعقل في الاقنوم الثاني

(١) قوله لقيفة المشهور لقومه اه منه

Marfat.com

الذي هو صورة عقل الأب ثالثها فاعلية الانبثاق في الاقنوم الأول والثاني اللذين لهما الارادة رابعتها مفعولية هذا الانبثاق في الاقنوم الثالث الذي هو حب الارادة الالهية التي للاقنوم الأول والثاني وزعموا أن التمييز بالفاعلية والمفعولية في الاقانيم الالهية على سبيل التوسع وليست الفاعلية في الأب نحو الابن الابنوة وفيه في الابن نحو روح القدس ليست الا بمصدور منهما وليست المفعولية في الابن وروح القدس الابنوة في الابن والانبثاق في الروح ويقولون في ذلك مما يجب الايمان به وان كان فوق العقول البشرية ويزعمون أن تلك الاقانيم أسماء نطقوها من الحواريين فالاقنوم الأول في الطبيعي الالهي يدعى أبا والثاني ابنا وكلمة ونورا وضياء وشعاعا والثالث روح القدس ومفريا وهو معنى فوطيبالرومانية اذا لخيط وقالوا في بيان وجه الاطلاق ان ذلك لان الاقنوم الأول بمنزلة ينبوع ومبدأ أعطى الاقنوم الثاني الصادر عنه بفعل يقتضي شبه فاعله وهو فعل العقل طبيعته وجوهره كذلك حتى ان الاقنوم الثاني الذي هو صورة الأول الجوهرية الالهية مساو له كمال المساواة وحد الايلاد هو صدور حي من حي بالذات ومبدأ مقارن يقتضي شبه طبيعته وهذا كذلك بل أبلغ لان الثاني الطبيعية الالهية نفسها فلا يدع اذا سمي الأول أبا والثاني ابنا وانما فيصل الثاني الذات لان الايلاد ليس على نحو ايلاد الحيوان والنبات بل بفعل العقل أي بتصور الأب لأقنومه وفيه ذاته ولا شك ان تلك الصورة الذات لانها مفهومية العقل ونطقه وقيل لهما حكمة لانه حكيمان مولودا من الأب بفعل عقله الالهي الذي هو حكمة وقيل له نور وشعاع وضياء لانه حي كان حكمة كان به معرفة حقائق الاشياء وانكشافها كالذكورات وقيل للثالث روح قدس لانه صادر من الأب والابن بفعل الارادة التي هي واحدة للاب والابن وينبثق منهما بفعل هو كهيجان الارادة بالحب نحو محبوبها فهو حب الله والله نفسه هو الروح الصرف والقدس عنه والكل من الأول والثاني وجه لان يدعى روحا لاشتراك الاسمين لكن لما دعي الأول باسم يدل على رتبته واضافته الى الثاني والثاني كذلك اختص الثالث بالاسم الشائع ولم يدع ابنا وان كان له طبيعة الأب وجوهره لان لانه لم يصدر من الأب بفعل يقتضي شبه فاعله بعني بفعل العقل بل صدر منه فعل الارادة فالثاني من الأول كهابيل من آدم والثالث كهواء منه والكل حقيقة واحدة لكن يقال هابيل ابن ولا يقال هما بنت وقيل له منزلي لانه كان عيدا الان يأتي الحواريين فيخبرهم لفقد المسيح عليه السلام وأما الفاعلية والمفعولية فلانهما غير موجودين حقيقة الابوة والبنوة ههنا لا تقتضيهما كما في المخلوقات والما لا يقال هما الاب علة ومسبب لابنه وان قيل هناك فالثلاثة متساوية في الجوهر والذات ومتعلق الارادة والفعل من كل وجه ثم أنهم زعموا تجسد الاقنوم الثاني وهو الكلمة واتحاده باشراق أجزاء البتول من الدم بقوة روح القدس فكان المسيح عليه السلام المركب من الناسوت والكلمة والكلمة مع اتحادها لم تخرج عن بساطتها ولم تتغير لانها الحد الذي ينتهي اليه الاتحاد فلا مانع في جهتها من الاتحاد وكذا لا مانع في جانب الناسوت منه فلا يتصاعى اقتضاء شيء زعموا أن المسيح عليه السلام كان الها تاما وانسانا تاما ذا طبيعتين ومشيئتين قائمتين بالاقنوم الالهي وهو الاقنوم الكلمة ومن ثم حمل عليه الصفات الالهية والبشرية معا لكن من جهتين ثم انهم زادوا في الطنبور نغمة وقالوا ان المسيح أطعم يوما الحواريين خبزا وسقاهم خمرا فقال أكلكم لحمي وشربكم دمي فالمتحدث مني وانا متحد مع الأب الى وقت آخر هي أشهر من ان تذكر ويطول بما ذكرنا انه لا فرق عندهم بين أن يقال ان الله ثالث هو المسيح وبين أن يقال ان المسيح ابنه وبين أن يقال انه سبحانه ثالث ثلاثة ولقد جاد في التنزيل كل من هذه الأقوال منسوباً اليهم ولا حاجة الى جعل في قول القوم منهم كما قال غير واحد

Marfat.com

من المفسرين والمتكلمين ثم لا يخفى مناقاة ما ذكره للاحد بالصمد بقولهم ان الاقانيم مع كونها ثلاثة جواهر متمايزة تمايزا حقيقيا جوهر واحد لبساطته لا يتبعض ولا يخفى وما يذكرونه من المثال لا يضاح ذلك فهو من الايضاح بمنزل وبعيد عن المقصود بألف ألف منزل ولكنا ذكرنا في ضمن هذا الكتاب ما يتعلق ببعض عقائدهم مع رده الا انه كان قبل النظر في كتبهم وقد اعتمدنا فيه ما ذكره المتكلمون منهم واليوم لما عزم على تأليف رسالة تتضمن تحرير اعتقاداتهم في الواجب تعالى وذكر شبههم العقلية والنقلية التي يستدلون بها ويعولون في الثبات عليها حسبما وقفنا عليه في كتبهم مع ردها على أتم وجه ان شاء الله تعالى ونسأل الله تعالى التوفيق لذلك وأن يسلك سبحانه بنا في جميع أمورنا أقوم المسالك فهو سبحانه الجواد الاجود الذي لم يجبه من توجه اليه بالرد ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي لم يكافئ أحد ولم يماثله ولم يدانه من ساحبه وغيرها وقيل هو نفي للكفاءة المغايرة بين الازواج وهو كما ترى وبالجملة الفواعل مذهب اليه المبرد وغيره والاصل أن يؤخر الا أنه قدم للاهتمام لان المقصود نفي الكفاءة عن ذاته عز وجل والاهتمام أيضا قدم الخبر مع ما فيه(١) من رعاية الفواصل قيل لان الظرف هنا وان لم يكن خبرا يصلح مقوله معنى الكلام لانك لو قلت لم يكن له أحد لم يكن له معنى فلما احتيج اليه صار بمنزلة الخبر فحسن ذلك وقال أبو حيان كلام سيبويه في الظرف الذي يصلح أن يكون خبرا وهو الظرف التام وما هنا ليس كذلك وقال ابن الحاجب قدم الظرف للفواصل ورعايتها ولم يقدم على أحد لئلا يفصل بين المبتدأ وخبره وفيه نظر ظاهر وجوز ان يكون الظرف حالا من أحد قدم عليه رعاية للفاصلة ولئلا يلتبس بالصفة أو الصلة وأن يكون خبرا لكن ويكون كفوا حالا من أحد قدم عليه لكونه نكرة أو حالا من الضمير في الظرف الواقع خبرا وهذا الوجه نقله أبو علي في الحجة عن بعض النحاة ورده بانه كما سمعت آنفا عن أبي حيان ظرف ناقص لا يصح أن يكون خبرا فان قدر له متعلق خاص وهو كمائن ونحوه عاملته العائدة يكون كفوا زائدا والمعنى وقوع الجملة من الثلاث متماسكة دون ما عداها من هذه السورة لانها سيقت لغرض واحد وهو نفي المماثلة والمناسبة عنه تعالى بوجه من الوجوه وما تضمنت أقسامها لان المسائل اما ولد أو الله أو نظير فيهما فانحصار الاقسام واجتماعها في القسم لزم الطلب فيها بالواو كما هو مقتضى قواعد المعاني وفي حكمكفوا لغات ضم الكاف وكسرها وفتحها مع سكون الفاء وضم الكاف مع ضم الفاء وقرأ حمزة ويعقوب وناقع في رواية كفؤا بالهمز والتخفيف ومعناه بالحركة وابدال الهمزة واوا وواق السبعة بالحركة مهموزا وسهل الهمزة الاعرج وأبو جعفر وشيبة وناقع في رواية وقرأ أخرى عنه كفي من غير همز نقل حركة الهمزة الى الفاء وحذف الهمزة وقرأ سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس كفاء بكسر الكاف وفتح الفاء والمد كما في قول النابغة

لا تقذفني برکن لا كفاء له ... أي لا مثل له كما قال الاعلم وهذه السورة الجليلة قد تظوت مع قلتها على أعظم المعارف الالهية والعقائد الاسلامية وانما جاء فيها ما جاء من الاخبار دون ما ورد من الآثار وذلك لتحقيق معنى الالهية بالصمدية التي معناها وجوب الوجود أو لابد أن يكون وجوده كل ما عداه من الموجودات لتعلب فكانت بيان انه لا يتولد عنه غيره لانه غير متولد عن غيره ومن أحاط بما ذكرنا من أحوال ان كان الهاجع الموجودات فيما ضاها الوجود عليها

(١) قوله من رعاية الفواصل قيل لعل الصواب في نسخة الواقف بصدد رعاية الفواصل ومن سيبويه أنه اختار أن لا يقدم الظرف اذا لم يكن خبرا وفي شرح الكتاب للسيرافي إن قال قائل فما اختار سيبويه أن لا يقدم الظرف اذا لم يكن خبرا وكتاب الله تعالى أولى بأفصح اللغات قيل له الكلام مضروب عليه وهو كما لا يخفى محتاج اليه اه منه

Marfat.com

فلا يجوز أن يفيض الوجود على مثله كما يمكن وجوده من غيره ثم عقب ذلك ببيان انه ليس في الوجود ما يساويه في قوة الوجود فمن أول السورة الى الصمد في بيان ماهيته السالبة ولوازم ماهيته ووحدة حقيقته وانه غير مركب أصلا ومن قوله تعالى لم يلد الى أحد في بيان انه ليس ما يساويه من نوعه ولا من جنسه لا بأن يكون سبحانه متولدا ولا بأن يكون متولدا منه ولا بأن يكون موازي في الوجود وبهذا البلغ يحصل تمام معرفة ذاته عز وجل التي وأشار فيه الى أن ولم يولد كالتعليل لما قبله وكأن قد قال قبل انت كل ما كان ماديا أو كان له علاقة بالمادة يكون متولدا عن غيره فيصير تقدير الكلام لم يلد لانه لم يولد والاشارة الى دليله في أول السورة فانظر إيمكن لها معنى غير اعتبار سوى انه هو فانه يوجب أن لا يكون متولداً من غيره والا لكانت هويته مستفادة عن غيره فلا يكون هو فانه وظاهر العطف يقتضي عدم اعتبار ما أشار اليه من العلة وقد علمت فيما سبق وجه ذكره وجعل بعضهم العطف فيه قريبا من عطف لا يستكبرون على لا يستحسرون وأشار بعض السلف الى أن ذكر ذلك لانه جاء في سبب النزول انهم سألوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه سبحانه من أي شيء هو أمن ذهب هو أم من فضة وهل ورث الدنيا ولمن يورثها وقال الامام ان هو الله أحد ثلاثة ألفاظ وكل واحد منها اشارة الى مقام من مقامات العالمين فالمقام الأول مقام المقربين وهو أعلى مقامات السائرين الى الله تعالى وهؤلاء نظروا بعيون عقولهم الى ما هيات الاشياء وحقائقها من حيث هي فما رأوا موجودا سوى الحق لانه الذي يجب وجوده لذاته وما عداه ممكن لذاته فهو من حيث ذاته ليس فقالوا هو اشارة الى الحق اذ ليس هناك في نظرهم موجود يرجع اليه سواه عز وجل ليحتاج الى التمييز والمقام الثاني لاصحاب اليمين وهؤلاء شاهدوا الحق سبحانه موجودا وكثرا شاهدوا الخلق فحملت كثرة في الوجودات في نظرهم فلم يكن هو فاتي بالاشارة الى الحق بل لا بد من تمييز فاحتاجوا الى ان يقرنوا لفظة الله بلفظ قبل لاجلهم هو الله والمقام الثالث مقام أصحاب الشمال الذين يجوزون أن يكون واجب الوجود أكثر من واحد والا لما كذلك فلي باعتبارهم عليهم وابطالا لقالتهم التي وبعض الصوفية عند لفظة هو من عداد الاسماء الحسنى بل قال ان هاء التنبيه هي اسمه تعالى الحقيق لدلالته على القوية المطلقة مع كونه من ضروريات النفس الذي به بقاء حياة النفس واشعار رسمه بالاحاطة ومرتبته من العدد الى دوائره وعدم فنائه ونقل القرطبي عن الامام انه قال طفى بعض الشارع ياهو يا من هو يا من لا اله الا هو وعلى ذلك انعقد أكثر الشارع اليوم ولم يرد ذلك في الاخبار المقبولة عند المحدثين والله تعالى أعلم

سورة الفلق

مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر ورواية كريب عن ابن عباس ومدنية في قول ابن عباس في رواية أبي صالح وقتادة وجماعة وهو الصحيح لان سبب نزولها سحر اليهود كما يأتي ان شاء الله تعالى ولم أنها سحرته عليه الصلاة والسلام بالمدينة كما جاء في الصحاح فلا يلتفت لمن صحح مكيتها مكية وكذا الكلام في سورة الناس وآيها ست بلا خلاف ولما شرح أمر الالهية في السورة قبلها جيء بما بعدها شرحا للاستعاذة منه بالله تعالى من الشر الذي في مراتب العالم ومراتب مخلوقاته وهي والسورة التي بعدها نزلتا معا كما في الدلائل للبيهقي فقلت قرنتا مع ما اشتركتا به من التسمية بالمعوذتين ومن الافتتاح بقل أعوذ . وأخرج مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنزلت علي آية لم أر مثلهن قط

Marfat.com

قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وأخرج البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن عائشة أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات وجاء في الحديث أن من قرأ جوامع سورة الاخلاص ثلاثا حين يمسي وثلاثا حين يصبح كفتاه كل شيء وفي فضلها أخبار كثيرة غير ما ذكر وعن ابن مسعود أنه أنكر قرآنيتها أخرج الامام أحمد والبزار والطبراني وابن مردويه من طرق صحيحة عنه انه كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول لاتخلطوا القرآن بما ليس منه انهما ليستا من كتاب الله تعالى انما امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يتعوذ بهما وكان ابن مسعود لايقرأ بهما قال البزار لم يتابع ابن مسعود أحد من الصحابة وقد صح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قرأ بهما في الصلاة واثبتا في المصحف وأخرج الامام أحمد والبخاري والنسائي وابن حبان وغيرهم عن زر بن حبيش قال أتيت المدينة فلقيت أبي بن كعب فقلت له يا أبا المنذر اني رأيت ان مسعود لايكتب المعوذتين في مصحفه فقال أما والذي بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالحق لقد سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنهما وما سألني عنهما أحد منذ سألت غيرك فقال قيل لي فقلت فقولوا فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا الاختلاف قدح بعض المتعصبين في اعجاز القرآن قال لو كانت بلاغة ذلك بلغت حد الاعجاز المتميز به عن غير القرآن فلم يختلف في كونه منه وأنت تسلم أنه قد وقع الاجماع على قرآنيتهما وقالوا ان انكار ذلك اليوم كفر واسأل ابن مسعود رجع عن ذلك وفي شرح المواقف ان اختلاف الصحابة في بعض سور القرآن مروي بالآحاد الفيدة للظن والجموع القرآن منقول بالتواتر المفيد لليقين الذي يضمحل الظن في مقابلته فتلك الآحاد مما لايلتفت اليه ثم ان سلمنا اختلافهم فيما ذكر قلنا انهم لم يختلفوا في نزوله على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا في بلوغه في البلاغة حد الاعجاز بل في مجرد كونه من القرآن وذلك لايضر فيما نحن بصدده اللهم وعكس هذا القول في السورتين المذكورتين قيل في سورتي الحفد والخلع وفي الفاظهما روايات منها مايلتئم به الحنفية فقد روي انهما في مصحف أبي بن كعب وفي مصحف ابن عباس وفي مصحف ابن مسعود فهما ان صح انهما كلام الله تعالى منسوخا التلاوة وليسا من القرآن كما لا يخفى

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ قُلْ أَعُوذُ ﴾ أي ألتجيء وأعتصم وأنحرز ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فعل بمعنى مفعول صفة مشبهة كالقبض بمعنى مقبوض من فلق بمعنى شق وفرق وهو يعم جميع الموجودات الممكنة فانها تنشق فتظهر بنور الايجاد عنها سيما مايخرج من أصل كالبيض من الحيوان والانهار من السحاب والنبات من الارض والاولاد من الارحام وخص عرفا بالصبح والطلاقهم الفلق عليه مع أولهم فلق الله تعالى الليل من الصبح على نحو اطلاق المشرق على الصباح مع قولهم سطعت الشمس من المشرق وتخصيصه بالمعنى العام أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس ولفظه الفلق الخلق وأخرج الطستي عنه انه فسره بالصبح وأنشد رضي الله تعالى عنه قول زهير

الفارج الهم مسدولا وغالكره ۝ كما يفرج غم الظلمة الفلق

وهو مروي عن جابر بن عبد الله ومجاهد وقتادة وابن جبير والقرظي وابن زيد وعليه فتعليق التعوذ باسم الرب المضاف الى الفلق الذي هو من أنور عجائب الظلمة والسابق بعد الرتق مدة ليتناسب العائذ مايعوذ منه والجائة

Marfat.com

منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاجتهاد بفرع باب الالتجاء اليه عز وجل وقيل ان في تخصيص الخلق بالذكر لانه الموجود من يوم القيامة فالقبور والموتى أخوالهم والخارجون من منازلهم صباحا منهم من يذهب للتجارة وسرور ومنهم من يكون من مطالبة ديون في غموم وشرور الى أحوال أخر فتكون الميادة هي أشبه شيء بما يكون لهم في المعاد وفي تفسير القاضي أن لفظ الرب هنا أوقع من سائر الأسماء أي التي يجوز اضافتها الى الخلق على ما يسبق لان الاعاذة من الضار تربية وهو على تعميم الخلق ظاهر لشمولها الفساق والاستعاذة منه وعلى تخصيصه بالصبح قيل لانه مشعر بانه سبحانه قادر مدبر للاحوال مقلب للاطوار فيزيل الهموم والاحزان وقال الرئيس بن سينا بعد أن حمل الخلق على خلقة السموم القاتلة ينور الوجود إن في تذكير الرب سراً لطيفاً من حقائق العلم وذلك أن الهروب لا يستغني في شيء من حالاته عن الرب كما يشاهد في الطفل مادام مربوبا ولما كانت المخافات الممكنة غير منتهية عن الخاصة البدأ الاول لا جرم ذكر لفظ الرب للاشارة الى ذلك وفيه اشارة أخرى من خطيات العلوم وهو أن السود والسواد في اللغة عبارة عن الالتجاء الى الهروب عرفه بالرب دل ذلك على أن عدم الحصول ليس لامر يرجع الى الستار الفياض للخيرات بل لامر يرجع الى قابليا فان من الظرف انه ليس شيء من السؤالات وغير ما يحول به من جانب المبدأ الاول سبحانه بل الكل حاصل موقوف على ان يصرف الستعد جهة قبوله اليه وهو المعنى بالاشارة النبوية ان لربكم في أيام دهركم نفحات من رحمته الا فتعرضوا لها بين ان نفحات الالطاف دائمة وانما البخل من المستعد انتهى وفي رواية عن ابن عباس أيضا وجماعة من الصحابة والتابعين ان الخلق جب في جهنم وأخرج ابن مردويه والديلمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قول الله عز وجل قل أعوذ برب الفلق قال هو سجن في جهنم يحبس فيه الجبارون والمتكبرون وان جهنم لتعوذ بالله تعالى منه وأخرج ابن مردويه عن عمرو بن عنبسة قال صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ قل أعوذ برب الفلق فقال يا ابن عنبسة أتدري ما الفلق قلت الله ورسوله أعلم قال بئر في جهنم فاذا سمرت البئر فيها سمر جهنم وان جهنم لتتعوذ منها يتعوذ ابن آدم من جهنم وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن كعب قال الفلق بيت في جهنم اذا فتح صاح أهل النار من شدة حره وعن الكلبي الفلق في جهنم وقيل هو جهنم وهو على ما في الكشاف من قولهم لما انفلق من الارض الفلق والجمع فلقان كخلق وخلقان وتخصيصه بالذكر قيل لانه مسكن اليهود فمن بعض الصحابة أنه قدم الشام فرأى دور أهل القرية وملاعبهم فيه من خفض العيش وملوسع عليهم من متاعهم فقال لا أبالي أليس من وراءهم الفلق وفسر بما روى آنفا عن كعب ومنهم الذي سحر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ففي تعليق العياذ بالرب بمضافا اليه عدة كرة بعد اعادته صلى الله تعالى عليه وسلم من شرهم ولا يخفى ان هذا مما لا يثلج الصدر وأظن ضعف الاخبار السالفة ويترجح في نظري الفني الأول فالمعنى ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي من شر الذي خلقه من الخلق وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطباع والاختيار والظاهر عموم الشر للضار البدنية وغيرها وزعم بعضهم أن الاستعاذة هنا من الضار البدنية والبهائم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدار اضافة الرب الى الفلق بالمعنى العام وهو كما ترى تعم الذي يتبادر الى الذهن ان عمومه لعموم الدنيا وقال بعض الاماثل هو عام لكل شر في الدنيا والآخرة وشر الانس والجن والشياطين وشر السباع والهوام وشر النار وشر الذنوب والهوى وشر النفس وشر النسل وظاهره تعميم ما خلق بحيث يشمل

Marfat.com

نفس الشيطنة ولا يأبى ذلك نزول السورة ليستعيذ بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجوز بعضهم جعل ما مصدرية مع تأويل المصدر باسم المفعول وهو تكلف مستغنى عنه واضافة الشر الى ما خلق قبل لاختصاصه بمزيد الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة المستتبع لكون والفساد وأما عالم الامر الذى أوجده بمجرد أمر كن من غير مادة فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالكلية والظاهر أنه عنى بعالم الامر عالم المجردات وهم الملائكة عليهم السلام وأورد عليه بعد قبض الطرف عن عدم ورود ذلك في لسان الشرع أن منهم من يصدر منه شر كخسف البيداء وتعذيب العباد وأجيب بأن ذلك بأمره تعالى فلم يصدر الا امتثال الامر لا لقصد الشر من حيث هو شر فلا إيراد نعم يرد أن كونهم مجردين خلاف القطار الذى عليه سلف الامة ومن تبعهم بل هم أجسام لطيفة نورية ولو سلم لتجردهم قلنا يستلزم حصر المجردات فيهم حكيف وقد قال كثير بتجرد الجن فقالوا انها ليست أجساما ولا حالة فيها بل هي جواهر مجردة قائمة بانفسها مختلفة بالماهية بعضها خيرة وبعضها شريرة وبعضها ذكرية حرة عفة للخيرات وبعضها دنية خبيثة عبة للشرور والآفات وبالجملة ماخلق أعم من المجرد على القول به وغيره والمخلوق له تعالى أي موجد بالاختيار بعد العدم الا ان المراد الاستعاذة مما فيه شر من ذلك وقرأ عمرو بن فائد على مافي البحر من شر بالتنوين وقال ابن عطية هي قراءة عمرو بن عبيد وبعض المنزلة القائلين بان الله تعالى لم يخلق الشر وحملوا على النفي وجعلوا الجملة في موضع الصفة أي من شر ماخلقه الله تعالى ولا أوجده وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل النفي وأنت تعلم أن القراءة بالرواية لا بشيء من هذه القراءة هذا التوجيه بل يجوز ان تكون مابعد الا من شر على تقدير الحذوف قد حذف قبل الا ما يقابله عليه أي من شر شر ماخلق (وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ) تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبل لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولأن تعيين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاجابة والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه وأصل الغسق الانسكاب يقال غسقت العين اذا انسكبت دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه على الاستطارة وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لما فيه لحدوث فيه على حد نهاره صائم وتذكيره لعموم شمول الشر لجميع أفراده والمراد بوقوبه (إِذَا وَقَبَ) أي اذا دخل ظلامه في كل شيء وأصل الوقب الثقرة والحفرة ثم استعمل في الدخول ومنه قوله

وقب العذاب عليهم فكأنهم ... خلقوا مكان السموم فأخمدوا

وكذا في القبيلة ان ذلك كالدخول في الوقب أي الثقرة والحفرة وقد فسر هنا بالدخول بأيضا والتقييد بهذا الوقت لان حدوث الشر فيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ومن أمثالهم الليل أخفى للويل وتفسير الغاسق بالليل والوقوب بدخول ظلامه أخرجه ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس ومجاهد وابن أبي حاتم عن الضحاك وروى عن الحسن أيضا والبه ذهب الزجاج الا أنه جعل الغاسق بمعنى البارد وقال أطلق على الليل لانه أبرد من النهار وقال محمد ابن كعب هو النهار ووقب بمعنى دخل في الليل وهو كما ترى وقيل القمر اذا امتلأ نورا على ان الغسق الامتلاء وقوبه دخوله في الخسوف واسوداده وقيل التعبير عنه بالغاسق لسرعة سيره وقطعه البروج على ان الغسق مستعار من السيلان وقيل التعبير عنه بذلك لان جرمه مظلم وانما يستنير من ضوء الشمس ووقوبه على القولين الحاق في آخر الشهر والتجوز بحدوثه نحسا وقلك الاعتقاد السحرة بالسحر المؤثر للمرض الآتي ذلك الوقت قيل وهو الناسب لسبب نزول واستدل على تفسيره بالقمر بما أخرجه

Marfat.com

الامام أحمد والترمذي والحاكم وصححه وغيرهم من عائشة قالت نظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوما الى القمر لما طلع فقال يا عائشة استعيذي بالله تعالى من شر هذا فان هذا الغاسق اذا وقب ومن سلم هذا الاينبغي العدول الى تفسير آخر وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب أنه قال الغاسق اذا وقب الشمس اذا غربت وبأن الخلاق الغاسق عليها لاستلائها نورا وقيل ابن زيد عن العرب أن الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها وكانت الاسقام والطواعين تكثر عند ذلك وروى تفسيره بذلك غير واحد عن أبي هريرة مرفوعا وفي الحديث اذا طلع النجم ارتفعت العاهة وفي بعض الروايات زيادة عن جزيرة العرب وفي بعضها ماطلع النجم ذات غداة الارفعت عن أمة أو عاهة أو خفت وفيه روايات أخر فليراجع شرح المناوي الكبير للجامع الصغير وقيل أريد بذلك الليلة اذا دخلت واخلاق الغاسق عليها لاستلائها بما وقيل أريد بها اذا دخل في الجسد واخلق عليه الغاسق السيلانه من نابها وبالقوانين لايحول عليه وقيل هو في شريعتي الانسان والصبر يوصف بالظلمة والسواد وروايه مجموعه وذكر الجسد الفيروزابادي في القاموس في مادة وقب قولا في معنى الآية زعم أنه حكاه الغزالي وغيره عن ابن عباس ولا أظن صحة نسبته اليه لظهور أنه عورة بين الاقوال ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ أي ومن شر النفوس السواحر اللاتي يفعلن عقدا في خيوط ويتفلن عليها فالنفاثات صفة للنفوس واخبر عنها بذلك لتأنيث مع أن تأثير السحر انما هو من جهة النفوس الخبيثة والارواح الشريرة وسلطانه منها وقدر بعضهم النساء موصوفا والاول أولى ليشمل الرجال ويتضمن الاشارة السابقة ويطابق سبب النزول فان الذي سحره صلى الله تعالى عليه وسلم كان رجلا على المشهور كما سنسمع ان شاء الله تعالى وقيل أعانه بعض النساء ولكون مثل ذلك من عمل النساء وكيدهن غلب التأنيث على الذكر هنا وهو جار على ما فصله الخفاجي في شرح درة الغواص والنفث النفخ مع ريق كما قال الزمخشري وقال صاحب اللوامح هو شبه النفخ يكون في الرقية ولا ريق معه فان كان ريق فهو نفل والاول هو الاصح لما نقله ابن القيم من أنهم لما سحروا استعانوا على تأثير فعلهم بنفس يخارجه بعض أجزاء أنفسهم الطيبة وقرأ الحسن النفاثات بضم النون وقرأ هو أيضا وابن عمر وعبد الله بن القاسم ويعقوب في رواية الناقات وأبو الربيع والحسن أيضا النفثات بضم ألف بالحذرات وتشريفها اما للعهد أو للايذان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتخصيصه بالذكر لما روى البخاري ومسلم وابن ماجه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سحر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله حتى اذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا الله تعالى ثم دعاني ثم قال أشعرت يا عائشة أن الله تعالى قد أفتاني فيما استفتيته فيه فقلت وما ذاك يا رسول الله فقال جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي ماوجع الرجل قال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي شيء قال في مشط ومداة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في بئر ذي اروان قالت فاتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في اناس من اصحابه ثم قال يا عائشة والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين قالت فقلت يا رسول الله افلا اخرجته قال لا اما انا فقد عافاني الله تعالى وكرهت ان اثير على الناس شرا فامرت بها فدفنت وهذان المذكوران على ما يدل عليه رواية ابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس هما جبريل وميكائيل عليهما السلام ومن حديثها في الدلائل الذي يعقبه بعد ذكر حديث المذكور فاصبح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غدا ومعه أصحابه الى البئر فدخل رجل فاستخرج جف طلعة من تحت الراعوفة فاذا فيها مشط ورسول

Marfat.com

الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن مشاطة رأسها فقال نعم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأين هي قال بمقرورة في بئر ذي أروان وفي رواية أنه أحدى عشرة عقدة فأتاه جبريل عليه السلام بالمعوذتين فقال يا محمد قل أعوذ برب الفلق وحل عقدة من شر ما خلق وحل عقدة حتى فرغ منها وحل العقد كلها وجعل لا ينزع إبرة إلا وجد لها خفة ثم يجد بعد ذلك راحة فقيل يا رسول الله لو قتلت اليهودي قال قد عافاني الله تعالى وما أراه من عذاب الله تعالى أشد وفي رواية ان الذي تولى السحر لبيد بن الأعصم وبناته فرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل جبريل بالمعوذتين وأخبره بموضع السحر وعن سحره وبم سحره فأرسل صلى الله تعالى عليه وسلم عليا كرم الله تعالى وجهه والزبير وعمارا فنزحوا ماء البئر وهو كنقاعة الحناء ثم رضوا رأس البئر فاخرجوا أسنان المشط ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فجاؤا بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه الصلاة والسلام خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام صلى الله تعالى عليه وسلم كأنما أنشط من عقال (١) والرواية الاولى أصح من هذه وقال الامام المازري قد أنكر ذلك الحديث المبتدعة من حيث انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع وأجيب بأن الحديث صحيح وهو غير مراغم للعاص ولا إلزام عليه حط منصب النبوة والتشكيك فيها لان الكفار أرادوا بقولهم مسحور انه مجنون وحاشاه ولو سلم ارادة ظاهره فهو كأف قبل هذه الغصة أو مرادهم ان السحر أثر فيه وان ما يأتيه من الوحي من تخيلات السحر وهو كذب أيضا لان الله تعالى عصمه فيما يتعلق بالرسالة وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث عليه الصلاة والسلام بسببها وهي مما يعرض البشر فقد يجوز يخيل اليه من ذلك مالا حقيقة له وقد قيل انه انما كان يخيل اليه انه وطيء زوجاته وليس بواطيء وقد يتخيل الانسان مثل هذا في المنام فلا يعد تخيله في اليقظة وقيل انه يخيل أنه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما تخيله فتكون اعتقاداته عليه الصلاة والسلام على السداد وقال القاضي عياض قد جاءت روايات حديث عائشة بين السحر أثر تسلط على جسده الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم وظواهر جوارحه لا على عقله عليه الصلاة والسلام وقلبه واعتقاده ويكون معنى ما في بعض الروايات حتى يظن انه يأتي أهله ولا يأتيهن وفي بعض انه يخيل اليه انه فعل الخ انه يخيل له من نشاطه وتقدم عادته القدرة عليهن فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور وقال ما جاء في الروايات من انه عليه الصلاة والسلام يخيل اليه فعل شيء ولم يفعله ونحوه فحصول على التخيل بالبصر لا الخلل تطرق الى العقل وليس في ذلك ما يدخل لبسا على الرسالة ولا طعنا لاهل الضلالة اشي وبخهم أنكر أصل السحر ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه الى خيالات باطلة لا حقائق لها ومذهب أهل السنة وعلماء الامة على اثباته وان له حقيقة كغيره من الاشياء لدلالة الكتاب والسنة على ذلك ولا ينكر في العقل ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام مخصوصة والتركيب بين قوى على تركيب لا يعرفه الا الساحر وإذا شاهد الانسان بعض الاجسام منها قاتلة كالسموم ومنها مسلمة كالادوية الضارة ومنها مضرة كالادوية الضارة للمرض يستبعد عقلا ان يخترعه الساحر بعلم قوى قتالة أو علم مهلكات أو مؤذيه

(١) قوله وقال الامام المازري الخ قال في لسان المواقف ضعفوا عليه ونقل الفاربردي عن أبي بكر الاصم انه قال ان حديث السحر المروي هنا مشروط بما يلزمه من مساس قول الكفرة انه عليه الصلاة والسلام مسحور وهو مخالف لنص القرآن المعلوم وقال الامام المازري الخ تأمل اهـ منه

Marfat.com

الى الشر فمع ذلك لا يخلو من تأثير نفساني لان القائلين بها اختلفوا في القدر الذي يقع به فقال بعضهم لا يزيد تأثيره على قدر الشرقة بين المزوج وجوه لان الله تعالى اذا ذكر ذلك لمطيعا لا يكون عنده وتهويلا له فلو وقع به أعظم منه لذكره لان القليل لا يضرب عند المبالغة الا بأدنى أحوال المذكور ومذهب الاشاعرة انه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك وهو الصحيح عقلا لانه لا فاعل الا الله وما يقع من ذلك فهو عادة أجرى الله تعالى ولا تعترض الافعال في ذلك وليس بعضها أولى من بعض ولورود الشرع بقصوره عن مرتبة الوجوب المصير اليه ولكن لا يوجد شرع قاطع يوجب الاقتصار على ما قاله القائل الاول وذكر الشرقة بين الزوجين في الآية ليس بنص في منع الزيادة وانما النظر في أنه ظاهر أو لا والفرق بين الساحر وبين النبي والولي على قول الاشاعرة بأنه يجوز خرق العادة على يد الساحر ويبقى في الكتب الكلامية وغيرها من شروح الصحاح وقيل في الآية المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين الطعين بلسان حلوا وهو ضرب من بدع التفاسير (ومن شر حاسد إذا حسد) أي اذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولا وفعلا ومن ذلك على ما قيل النظر الى المحسود وتوجيه نفسه الخبيثة نحوه على وجه الغضب فان نفس الحاسد حينئذ تتكيف بكيفية خبيثة ربما تؤثر في المحسود بحسب ضعفه وقوة نفس الحاسد شرا قد يصل الى حد الاهلاك ورب حاسد يؤذي بنظره بعين حسده نحو ما يؤذي بيد العيات بنظرهن وذكروا أن العائن والحاسد يشتركان في أن كلا منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من تريد اذاه الا أن العائن تتكيف نفسه عند مقابلة العين والمعاينة والحاسد يحصل حسده في الغيبة والحضور وأيضا العائن قد يعين من لا يحسده من حيوان وزرع وان كان لا يفلت من حسد صاحبه والتقييد بذلك اذ لا ضرر فيه بل قيل ان ضرر الحسد انما يحيق بالحاسد لا غير فقال علي كرم الله تعالى وجهه فقدر الحسد أعدله بدأ بصاحبه فقتله وقال ابن المعتز

اصبر على حسد الحسو ... د فان صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها ... ان لم تجد ما تأكله

واعلم أن الحسد يطلق على تمني زوال النعمة الغير وعلى تمني استصحاب عدم النعمة وعلى ايصال الغير من نفس أو فقر أو نحوه والاطلاق الاول هو الشائع والحاسد بكلا الاطلاقين مخلوق خذله الله تعالى وعند عباده مرذول آت بالمآثم الكبائر على ما اشتهر بينهم لكن التحقيق ان الحسد الغريزي الجبلي انما يصل باختياره من الاذى مقابل مايل التصنع بدأ عاد بالحماية الله تعالى فجاهد نفسه لاشرفه بل بتأديب صاحبه على جهاد نفسه حسن معاملة أخاه تواضعا عظيما الى ذلك من شدة غلبة الطبع لا يطلق ويطلق الحسد على الغبطة مجازا وان ذلك شائع في العرف الاول وهي أن يكون له مثل ما لأخيه من النعمة من غير تمني زوالها وهذا هو الذي ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله تعالى مالا وسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله تعالى الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس وقال أبو تمام

لم يحسدوه لا ولو بين لحيته ... وما حاسد في الكرمات يحاسد

وقال أيضا وأعذر حسودك فيما قد خصصت به ... ان الثناء حسن في مثلها الحسد

هذا وقال الرئيس ابن سينا العامل القوة الحيوانية فهي غلمة غاسقة منكدرة على خلاق النفس الناطقة التي هي المستفيدة فانها خلقت في جوهرها نقية صافية مبرأة عن كدورات المادة وعلائقها قابلة لجميع الصور والحقائق وانما تلوثت من الحيوانية والظلمات في الحسد الشارة الى القوى البهائية

Marfat.com

من حيث انها تزيد في المقدار من جميع جهاته الطول والعرض والعمق فكانها انفذت في البعد الثالث ولما كانت العلاقة بين النفس الانسانية والقوى البدنية بواسطة الحيوانية لاجرم قدم ذكر القوى الحيوانية على القوى النباتية والضرر اللازم من هاتين القوتين في جوهر النفس هو استحكام علائق البدن وانتباع تقضيها بالفعل للوائق بها اللائق بجوهرها وهو الاحاطة بملكوت السموات والارض والانتقاش بالنقوش الباقية وهي بقوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد النزاع الحاصل بين البدن وقواه وبين النفس فالحاسد هو البدن من حيث له القوتان والمحسود هو النفس فالبدن ومال عليها فما أحسن حالها عند الاعراض عنه وما أعظم فرحتها بالمفارقة ان لم تكن لوثت منه وقبل العاشق الشارة الى البدن والمتعلقات الى النباتات والحاسد الى الحيوان ولما كان الانسان لا يتضرر من الاجسام الفلكية وانما يتضرر من الاجسام العنصرية وهي اما معدن أو نبات أو حيوان أمر بالاستعاذة من شر كل منها ولما القوابل كما ترى والله تعالى أعلم

سورة الناس

واسمى مع ما قبلها كما أشرنا اليه قبل بالمعوذتين بكسر الواو والفتح خطأ وكذا بالمقشقشتين وتقدم الكلام في أمر مكيتها ومدنيتها وهي ست آيات لا سبع وان اختاره بعضهم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ قُلْ أَعُوذُ ﴾ وقرىء في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام كما قرىء بحذفها ﴿ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ أي مالك أمورهم ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وأعلم الناس هنا أبو عمرو والدوري عن الكسائي وكذا في كل موضع وقع فيه مجرورا ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ عطف بيان على ما اختاره الزمخشري حيث به البيان ان تربيته تعالى الناس لا تجري بطريق تربية سائر الملاك لما تحتاجون من تمالئهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى ﴿ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴾ فانه لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمور سياستهم والتوفي لترتيب مبادىء معظمهم وحاجتهم بل هو قهاري أمر الملوك بل هو بطريق العبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم اجادا واماتة وايجادا وافعادا وجوزت البدلية أيضا وأنت تعلم أن الاتباع بمقتضى مقامنا وان لم يكن جاريا فهو في حكمه ولعل العدول هنا الى اختياره وتخصيص الاضافة الى الناس مع انتظام جميع العالم في سلك ربوبيته تعالى وملكوته والوهيته على ما في الارشاد للارشاد الى منهاج الاستعاذة الحقيقة بالاعاذة فان الوصول الحاصل بربه والتشبث اليه بالربوبية والملوكية والعبودية في ضمن جنس هو فرد من أفراده من دواعي مزيد الرحمة والرأفة وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان الموصوف بعداوتهم فتى التخصيص على انتظامهم في ملك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والقصر بعض الاجلة في بيان وجه التخصيص على كون الاستعاذة هنا من شر ما يخص النفوس البشرية وهي الوسوسة كما قال تعالى ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ ﴾ وبحث فيه بعد الاغماض عما فيه من القصور في توفية المقام حقه بأن شر الوسوس كما يلحق النفوس يلحق الابدان أيضا وفيه شيء ستدير ان شاء الله تعالى اليه واختار هذا الباحث في ذلك أنه

Marfat.com

لما كانت الاستعاذة فيما سبق من شر كل شيء أضيف الرب الى كل شيء أي ينادي على عموم الخلق والملائكة من شر الوسواس لم يضف الى كل شيء وكان النظر الى السورة السابقة يقتضي الاضافة الى الوسواس لكنه لم يضف اليه حطا لمرتبته عن اضافة الرب الجليل الى الشيطان وكان في هذا الحط ومزاً الى الوعد بالاعاذة وهو الذي يجعل لذاكر حظا في أياد حتى المقام وربما يقال ان في اضافة الرب الى الناس في آخر سورة من شأنه تذكير الأول أمر عرفوه في عالم الذر وأخذ عليهم العهد بالاقرار به فيما بعد كما أشار اليه قوله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى الآية فيكون في ذلك تحريض على الاستعاذة من شر الوسواس لئلا ينسى أمر ذلك العهد وفيه أيضا رمز الى الوعد الكريم بالاعاذة وذكر القاضي أن في النظم الجليل اشارا بعرائب الناظر التوجه لمعرفة حاله فانه يسمع أولا ما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة أنه ربا ثم يتأمل في النظر حتى يتحقق أنه سبحانه غني عن الكل وذات الى شيء ومصارف أمره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على أنه المستحق للعبادة لامحيد ويتدرج في وجوه الاستعاذة المتنوعة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات فان عادة من ألم به هم أن يرفع أمره لسيده ومربيه كوالديه فان لم يقدر على رفعه رفعه لملكه وسلطانه فان لم يزل ظلامات شكاه الى ملك الملوك ومن اليه التمسك والفزع وفي ذلك اشارة الى عظم الآفة المستعاذ منها ولأن بها هنا لازم تتحرج منه الأقلام كما لا يخفى على من ألم به وكان له بالضريبة المظهرة أدنى الم وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتعريف بالاضافة وقيل لانكرار فانه يجوز ان يراد بالناس بعض أفراده فالناس الأول بعض الأجنة والأطفال المخاطبون قاربة والثاني الكهول والشبان لانهم المخاطبون ان يسوسهم والثالث الشيوخ المتعبدون الموحدون لله تعالى وهو على ما فيه يبعد حديث اعاذة النبي معرفة وان كان أفضليا والوسواس عند الزمخشري اسم مصدر بمعنى الوسوسة والمصدر بالكسر وهو صوت الحلي والهمس الخفي ثم استعمل في الخطرة الردية وأريد به هنا الشيطان سمي بذلك مبالغة كأنه نفس الوسوسة أو الكلام على حذف مضاف أي ذي الوسواس وقال بعض أئمة العربية ان فعال ضربان صحيح كدحرج وثنائي مكرر كصلصل وهما مصدران مطردان فعلة وفعلال بالكسر وهو الهمس والفتح كذلك كثر في المكرر كالنسناس والأول كما في التلاني كما قالوا وطواط لضرب وتزار للمكثر والحق أنه صفة فليحمل عليه ما في الآية الكريمة من غير حاجة الى التجوز أو حذف المضاف وقد تقدم في سورة الزلزال ما يتعلق بهذا المبحث فتذكر فانا في غنى عن قدم والظاهر ان المراد الاستعاذة من شر الوسواس من حيث هو ووسواس وما آله الى الاستعاذة من شر وسوسته وقيل المراد الاستعاذة من جميع شروره وانما قيل من شر الوسواس وإن يكفل من شر وسوسة الوسواس قيل وعليه يكون القول بأن شره يلحق البدن كما يلحق النفس أظهر منه على الظاهر وعد من شره انه كما في صحيح البخاري يقعد على قافية رأس العبد اذا هو نام ثلاث عقد مراده بذلك منه من الباطنة وفي عد هذا من الشر البدني خفاء ويمكن عد منه التخبيط اذا خلق عند أهل السنة انه قد يكون من مسه كما تقدم في موضعه وقوله تعالى ﴿الْخَنَّاسِ﴾ صيغة مبالغة أو نسبة أي الذي عادته ان يخنس ويتأخر اذا ذكر الانسان ربه عز وجل أخرج الضياطي الحافظ وابن المنذر وغيرهم عن ابن عباس قال ما من مولود يولد الا على قلبه الوسواس فاذا عقل فذكر الله تعالى خنس فاذا غفل وسوس وله على ما روى عن قتادة خرطوم كخرطوم الكلب ويقال ان رأسه كرأس الحية وأخرج ابن شاهين عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله

Marfat.com

تعالى عليه وسلم يقول ان الوسواس خطما كخطم الطائر فاذا غفل أدلى آدم وضع ذلك المنقار في أذن القلب يوسوس فان ذكر الله تعالى تكس وخنس فلذلك سمي الوسواس الخناس ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ قيل أريد فليوسوس مجازا وقال بعضهم ان الشيطان يدخل الصدر الذي هو بمنزلة المنجاز فيلقي منه ما يريد القاءه الى القلب ويوصله اليه ولا مانع عقلا من دخوله في جوف الانسان وقدوره السمع به كما سمعت فوجب قبوله والايمان به ومن ذلك ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ومن الناس من حمله على الخيال وقال في الآية انها لا تقتضي الدخول كما ينادي عليه البيان الآتي وقال ابن سينا الوسواس القوة التي توقع الوسوسة وهي القوة المتخيلة بحسب صيرورتها مستعملة لنفس الحيوانية ثم ان حركتها تكون بالعكس فان النفس وجهتها الى المبادي المفارقة بالقوة المتخيلة اذا أخذتها الا الاشتغال بالمادة وعلائقها فتلك القوة تخنس اي تتحرك بالعكس وتجذب النفس الانسانية الى العكس فلذلك تسمى خناسا ونحوه ما قيل ان القوة الوهمية في تساعد العقل في التفسات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست وأغفلت الوسوسة وتفكك ولا يخفى ان تفسير كلام الله تعالى بامثال ذلك من شر الوسواس الخناس والقاضي ذكر الاثير عن سبيل التنظير الاول وجه التنزيل والتفسير بناء على حسن الظن بوصول الوسول اما الجر على الوصفية والرفع والنصب على الذم والتنصيص على ان وقف القارئ على أحد هذين الوجهين على الخناس وأما على الاول فلي الكواشي أنه لا يجوز الوقف وتعقبه الطيبي بان في عدم الجواز نظرا قاصية وفي الكشف انه اذا كان صفة فالحق غير مسلم انهم الا على وجه وهو أن الوقف الحسن شامل انه في قاصة خاصة ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ بيان الذي يوسوس على أنه ضربان جني وانسي كما قال تعالى شياطين الانس والجن أو متعلق بيوسوس ومن لابتداء الغاية أي يوسوس في صدور هم من جهة الجن كما أن يلقي في قلب المرء من جهتهم انهم يغلبون ويضرون ومن جهة الناس مثل ان يلقي في قلبه من جهة المجنيين والكهان انهم يعلمون الغيب ويجوز فيه الحالية من ضمير يوسوس والبدلية من قوله تعالى من شر بإعادة الجار وتقدير المضاف والبدلية من الوسواس على أن من تبعيضية وقال الفراء وجماعة هو بيان قدم بناء على أنه يطلق على الجن أيضا فيقال كما نقل عن الكلبي ناس من الجن كما يقال نفر ورجال منهم وفيه أن المعروف عند الناس خلافه مع ما في ذلك من شبه بعل قسم الشيء قسيما له وشبهه لا يناسب بلاغة القرآن وان سلم صحته وتعقب أيضا بانه يلزم عليه القول بان الشيطان يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الانس ولم يقم دليل عليه ولا يجوز حمل الآية دليلا لما لا يخفى وأقرب منه على ما قيل أن يراد بالناس الناس بالياء مكبرة في قراءة بعضهم من حيث أفاض الناس بالكسر ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من أفراد الفريقين مثل بشيان حق الله تعالى الا من تدارك شوائع عصمته وتداوله واسع رحمته جعلنا الله ممن نال من عصمته الحظ الاوفى وكالئه مولاه من رحمته واعلم أنه قيل ان حروف هذه السورة غير المكررة اثنان وعشرون حرفا وكذا حروف الفاتحة وذلك بعدد السنين التي أنزل فيها القرآن فليراجع ويتدبر ويوجه الامر كما ذكر لا يخفى ان كون مدى النزول اثنتين وعشرين سنة قول البعض والمشهور انها ثلاث وعشرون اللهم وعلى هذا الرمز ما قيل ان أول حروفه الباء وآخرها النون فكأنه قيل بس أي حسب فهو اشارة الى أنه كاف عما سواه ورمز الى قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقد نظم ذلك بعض الفرس فقال

Marfat.com

أول وآخر فرآن زنه بالمد وسين ● يبقى انتدره وحيان وهير ما فرآن بس

ومنها من الرموز كثير لكن قيل لا ينبغي أن يقال انه مراد الله عز وجل نعم قد أرشد عز وجل في هذه السورة الى الاستعانة به تعالى شأنه كما أرشد جل وعلا اليها في الفاتحة بل لا يبعد أن يكون مراده تعالى على القول بان ترتيب السور بوحي سبحانه من ختم كتابه الكريم بالاستعاذة به تعالى من شر الوسواس الاشارة كما في الفاتحة الى بداءة شأن الدنيا والدين الى أنها ملاك الامر كله وبها يحصل حسن الخاتمة فسبحانه من ملك جليل ما أجل شأنه ولله در التنزيل ما أحسن فاتحته وخاتمته

(وبعد) فهذا والحمد لله تأويل رؤيای من قبل، قد جليها ربي حقا فأسعدني وله الشكر بالتوفيق لتفسير كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من الاباطيل يتلق. فاذ وفقني يا ألهي لتفسير عبارته ووفقتني على ما تضمنت من مضمر اشارته فاجعلني يا رباه ممن يتعلم بحكم حبله، ويتمسك بعروته الوثقى، ويأوي من القتاليات الى حرز معقله، ويستظل بظلال كهفه الاوفى وأعذني به من وساوس الشيطان ومكايده، ومن الارتباك بحبائل غروره ومصايده، واجعله وسيلة لي الى أشرف منازل الكرامة، وسلما أعرج فيه الى محل السلامة. فطالما يا ألهي أسهرتني آياته، حتى خلفت برأسي سنة الكرى، فلم أفق الا وقد لطمتني من مفاتح عجائب سوره ذات سوار، وكم وكم سرت بي بانوار عباراته، حتى حققت لي دعوى عند الصباح يحمد القوم السرى، فلم أشعر الا وقد نفضت نواعس السوادي من فضل مئزر مياه الصبح بخمار، ولم أزل أسود الاوراق في تحرير ما أفضت علي حتى بيض نسخة عمري الشيب، وأجهد النظر بتحديق الاحداق، فيما أفضيت به من التدابير الى حتى بل برد شبابي القشيب بعدما مع ما فيه من طلاوة من طلال غادية، وجلابيب جائرة، وزمان غشوم وغيوم وابلها غيوم، فما أدراك يا ألهي أمورا أنت بها يا ألهي أعلم، ولم يكن لي فيها سواك من يرحم، وأكثر ذلك يا ألهي قد كان حيث أعلقني خدمة كتابك، ومننت علي من غير حد بالتفحص عن مستودعات خفاياك، فما ألقى اليه بحرت مؤنة عمرة الباد، وهب لي أمن يوم التناد، وأعذني بلطفك، واغفني بمنتك، ووفقني الذي هو أزكى، واستعملني بما هو أرضى، واسلك بي الطريقة المثلى، وتولني معطيات الهدى، وزودني باقيات التقى، وأصلح ذريتي، وبلغني بهم أمنيتي، واجعلهم خلصاء نجباء، وهداة مهديين، وكن لي ولهم في جميع الامور واحفظنا واحفظهم من فتن دار الغرور، وأيد اللهم خليفتك في خليقتك، وولاته بحرمة الاملاك الاملاك كلك، وسلم على روح معالي المكرمات على الاطلاق، وروح معالي القلوب المؤمنين والمؤمنات على سائر الآفاق، وعلى آله وأصحابه، وكل من سلك سنن منه واقتفى، وقال في ظلال خليل شريعته قالا حسبي ذلك وكفى، وقد صادف تسليم القلم من رقوده وسجوده على ظهر وباسمي الداد، واضطجاعه في بيت الدواة بعد قيامه على ساق الخدمة لكتاب رب العباد ليلة الثلاثاء لاربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ألف ومائتين وسبع وستين، من هجرة سيد الاوائل والاواخر صلى الله تعالى عليه وسلم، وجاء تاريخه (أكمل تفسير روح المعاني)

والحمد لله باطنا وظاهرا وله

سبحانه الشكر

أولا وآخرا

Marfat.com

فهرست

الجزء الثلاثين من تفسير روح المعاني للعلامة الآلوسي

صحيفة

٢ (سورة النبأ)
٢ وجه مناسبتها للمرسلات
٣ تساؤل المشركين عن يوم القيامة استهزاء
٤ مذاهبهم في إنكار البعث
٤ وعيد المتساءلين المستهزئين
٥ تكرير ماتقدم من الوعيد
٥ تحقيق النبأ المتساءل عنه بتصدير بعض الدوائر الناطقة بحقيته
٦ الكلام على جعل الجبال أوتاداً وبيان مذاهب الفلاسفة المتقدمين والمحدثين
٧ بيان مافي النوم من الراحة وما في البعث من السر وما في النهار من المعاش
٨ الكلام على حقيقة السبات وبيان مذاهب المتقدمين والمتأخرين من الفلاسفة في ذلك
٩ الكلام على المسرود في الخلافة في وضعها
١٠ الكلام على نزول المطر من السحاب
١٠ بيان ما يترتب على نزول المطر من أنواع النبات
١١ بيان سرتأخير ما يشتاقون عنه ويستعجلون به
١٢ الكلام على البيان الناس أفواجا يوم ينفخ في الصور
١٢ بيان أن السماء تتفتق يوم النفخ في الصور
١٣ بيان تسيير الجبال كالسراب يومئذ والكلام على السراب
١٤ بيان أن جهنم مرصاد للطاغين تعود بالقه منها ومن كل ما يؤدي اليها
١٤ بيان أن قوله تعالى (لابثين فيها أحقابا)

صحيفة

ليس فيه دلالة على خروج الكفرة من النار
١٥ بيان ما يذوقه الكفار في النار
١٦ بيان أنهم جوزوا بذلك وفاقا لأعمالهم
١٦ تعليل استحقاق العذاب المذكور
١٧ تأويل قوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) وبيان أنها أشد آية في كتاب الله على الكفار
١٨ بيان ما يتنعم به المؤمنون في الجنة
١٩ تأويل قوله تعالى (رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لايملكون منه خطابا)
٢٠ بيان أن الروح أعظم الملائكة
٢٠ بيان أن الملائكة يوم القيامة يأوون صفوفا متحققين تحقيق عظمة الله
٢١ بيان أن يوم قيامهم متحققين هو اليوم الحق
٢٢ بيان أن الكافر يتمنى يوم القيامة أن يكون ترابا
٢٢ (سورة النازعات)
٢٢ أقسام الله تعالى بطوائف من ملائكته الموت
٢٤ بيان ما قالوه بعضهم من أن هذا اقسام بالنفوس الفاضلة
٢٦ بيان أن قلوب العباد تضطرب من شدة الفزع يوم ترجف الراجفة
٢٧ حكاية مايقوله المنكرون البعث المكذبون بالآيات الناطقة
٢٨ تسلية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ايذاء قومه بان يصيبهم مثل ماأصاب من كان أقوى منهم وهم قوم موسى عليه السلام

Marfat.com

صحيفة

٢٩ بيان الآية الكبرى التي أراها موسى عليه السلام لفرعون

٣٠ تكذيب فرعون وعصيانه وادعاؤه أنه رجيم بالأعلى وبيان ماتزل به من النكال

٣١ ابيان البعث والرد على منكريه

٣٢ بيان أن دحو الأرض بعد خلق السماء لايعارض تقدم خلق الأرض على السماء

٣٤ تأويل قوله تعالى (أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها)

٣٥ بيان أحوال معاد الكفار

٣٧ تأويل قوله تعالى « يسألونك عن الساعة أيان مرساها »

٣٨ تأويل قوله (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها)

٣٩ (سورة عبس)

٣٩ بيان سبب نزولها

٤٠ تأويل قوله (فأنت له تصدى)

٤١ المبالغة في ارشاده صلى الله عليه وسلم الى مهم معاودة ماعوتب عليه

٤٢ تأويل قوله (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة)

٤٣ التعجب من شدة افراط الانسان في الكفر

٤٤ بيان أفراط الانسان في الكفر بتفصيل ماأفاض الله عز وجل عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره

٤٥ تأويل قوله (فلينظر الانسان الى طعامه)

٤٦ بيان معنى نبي الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه تفسير الأب

٤٨ بيان ان الانسان يفر من جميع الناس يوم القيامة وبيان سبب هذا الفرار

٤٩ (سورة التكوير)

٤٩ أقوال العلماء في معنى تكوير الشمس

٥٠ بيان ان النجوم تنقض وتسقط عند فناء العالم

٥٠ الكلام على حشر الوحوش

صحيفة

٥٢ الكلام على وأد البنات عند العرب

٥٣ القائل على عظم جناية الوأد

٥٣ بيان أن النزل وأد خفي

٥٤ استدلال الزمخشري على أن أطفال المشركين لايخلدون وعلى ان العذاب لايستحق الا بالعناد ومناقشة المصنف له وتحقيق المقام

٥٥ بيان أن صحف الاعمال تخرج من تحت العرش

٥٦ تأويل قوله تعالى (علمت نفس ما أحضرت)

٥٧ أقسام الله تعالى ببعض مخلوقاته على ان القرآن حق

٥٩ بيان صفة جبريل عليه السلام

٦٠ مناقشة الزمخشري في تفضيله جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

٦٠ بيان أن رسول الله رأى جبريل بالافق المبين على صورته الاصلية

٦١ نفي أن يكون القرآن قول شيطان وبيان أنه موعظة وذكر

٦٢ (سورة الانفطار)

٦٢ تأويل قوله (اذا السماء انفطرت)

٦٣ تأويل قوله (ما غرك بربك الكريم)

٦٥ ردع الناس عن الاغترار بكرم الله تعالى

٦٥ الكلام على الحفظة من الملائكة

٦٧ (سورة التطفيف)

٦٧ مناسبتها لما قبلها

٦٨ وعيد المطففين وبيان كيفية تطفيفهم

٧٠ تأويل قوله (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم)

٧١ الكلام على « سجين »

٧٢ بيان أنه لايكذب بيوم الدين الا كل معتد أثيم

٧٣ الدليل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة

٧٤ بيان حال كتاب المؤمنين

٧٤ بيان أحوال المؤمنين في الآخرة

Marfat.com

صحيفة
٧٥ بيان ما يسقاه المؤمنون في الجنة
٧٦ حكاية بعض قبائح مشركي مكة
٧٨ (سورة الانشقاق)
٧٨ الكلام على انشقاق السماء
٧٩ تأويل قوله (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا)
٨٠ الكلام على حساب المؤمنين
٨٠ بيان حال من أوتي كتابه وراء ظهره
٨١ تأويل قوله (فلا أقسم بالشفق)
٨٢ تأويل الترقين طبقا عن طبق
٨٣ التعجب من عدم ايمان الكفار وعدم سجودهم عند سماع القرآن
٨٤ (سورة البروج)
٨٥ تعريف البروج لغة وبيان اصطلاح أهل الهيئة فيها
٨٦ تأويل (وشاهد ومشهود)
٨٧ تأويل قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) وبيان قصتهم
٨٩ تأويل قوله (النار ذات الوقود)
٩٠ بيان ان أصحاب الأخدود لم ينكروا من المؤمنين سوى الا يمانهم بالله
٩١ بيان ان بطش الله شديد وانه هو الذي يبدىء ويعيد
٩٢ بيان ان كفار مكة أشد كفرا من عاد وثمود
٩٣ رد كفرهم وابطال تكذيبهم بالحق
٩٤ (سورة الطارق)
٩٤ بيان معنى الطارق
٩٥ تأويل قوله (ان كل نفس لما عليها حافظ)
٩٦ حث الانسان على النظر في مادة تكونه
٩٦ بيان ان الانسان مخلوق من ماء دافق
٩٧ بيان منشأ هذا الماء
٩٨ بيان أنه تعالى قادر على بعث الانسان
٩٩ الاقسام بالسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع على أن القرآن حق
صحيفة
١٠٠ تأويل قوله (انهم يكيدون كيدا)
١٠١ (سورة الأعلى جل وعلا)
١٠١ مناسبتها لما قبلها
١٠٢ وجوب تنزيه اسماء الله تعالى عما لا يليق وبيان خلاف العلماء في لفظ اسم هل هو مقحم في الآية أم لا
١٠٣ تأويل قوله (الذي خلق فسوى)
١٠٥ نفي نسيان النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن الا ما شاء الله وأقوال العلماء في ذلك
١٠٦ بيان أنه صلى الله عليه وسلم لا يخرج على النسيان فيما هو من أصول الشرائع والواجبات
١٠٧ تأويل (فذكر ان نفعت الذكرى)
١٠٨ بيان من يتذكر ومن لا يتذكر
١٠٩ بيان ما يؤدي الى الفلاح
١١٠ بيان أن ايثار الدنيا على الآخرة سبب في عدم النفع
١١١ (سورة الغاشية)
١١٢ بيان معنى الغاشية
١١٢ أحوال أهل النار
١١٣ طعام أهل النار
١١٤ بيان حال أهل الجنة
١١٥ الاستدلال على البعث بالاستطراق لأنظاره
١١٧ تأويل قوله تعالى لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر
١١٩ (سورة الفجر)
١١٩ اقسام الله تعالى بالفجر والليالي العشر من ذي الحجة
١٢٠ تأويل قوله والشفع والوتر
١٢٢ الكلام على عاد
١٢٤ الكلام على ثمود
١٢٤ سبب العذاب على عاد وثمود وفرعون لفسادهم وأفسادهم

Marfat.com

صحيفة
١٢٥ تعليل ما تقدم وفيه ايذان بان كفار مكة بصدد مثل ما أصاب من قبلهم
١٢٦ تأويل قوله « وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه »
١٢٦ ردع الانسان عن القولين المتقدمين
١٢٧ ذم الانسان بفعله ما هو اقبح من القول المتقدم
١٢٧ ردع الانسان عما تقدم وتعليل ذلك
١٢٨ تأويل قوله « وجيء يومئذ بجهنم » الخ
١٣٠ حكاية أحوال من الطيأن بعد ذكر الله تعالى وطاعته والكلام على النفس المطمئنة
١٣١ اختلاف النقاد في وقت ذلك القول
١٣٢ (سورة البلد)
١٣٢ تأويل قوله (وأنت حل بهذا البلد)
١٣٤ تهديد من كايد النبي صلى الله عليه وسلم
١٣٦ تأويل (وهديناه النجدين)
١٣٧ الكلام على العقبة وبيان المراد بفك الرقبة
١٣٨ تأويل قوله (أو اطعام في يوم ذي مسغبة) الخ
١٤٠ (سورة الشمس)
١٤١ بيان أن نور القمر مستفاد من ضوء الشمس
١٤٢ تأويل قوله (فألهمها فجورها وتقواها)
١٤٤ الدليل على أن فاعل التزكية والتدسية هو الله تعالى
١٤٥ بيان ما وقع بثمود من العذاب جزاء تدسيتهم وطغيانهم الناقة
١٤٧ (سورة الليل)
١٤٧ أقسام الله تعالى بالليل والنهار وما خلق الذكر والانثى على تفرق سعي الناس
١٤٨ تفصيل تفرق مساعي الناس واختلافها
١٤٩ تأويل (وما يغني عنه ماله اذا تردى)
١٥٠ بيان أن النار يصعد عليها كل من باع في الدنيا الشرك والعاصي
١٥٢ (سورة الضحى)

صحيفة
١٥٢ اقسام الله تعالى بالضحى والليل اذا سجى على أنه ما قلا النبي صلى الله عليه وسلم ردا على المشركين
١٥٤ بيان المراد بالضحى
١٥٥ الرد على المشركين في ادعائهم أن الله قلا النبي عليه الصلاة والسلام
١٥٨ أقوال النقاد في المراد بقوله تعالى « وللآخرة خير لك من الأولى »
١٥٩ تأويل « ولسوف يعطيك ربك فترضى »
١٦١ بيان ما قاله أبو طالب لأخيه العباس رضي الله عنه من العجائب ما شاهده من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
١٦٢ أقوال النقاد في تفسير قوله تعالى « ووجدك ضالا فهدى »
١٦٣ الدليل على وجوب الاعتناء باليتيم
١٦٤ النهي عن زجر السائل والأمر بالتحدث بنعمة الله
١٦٥ (سورة ألم نشرح)
١٦٥ بيان معنى الشرح
١٦٨ تأويل قوله « ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك »
١٦٩ رفع ذكر النبي بالنبوة
١٧٠ تأويل قوله « أن مع العسر يسراً »
١٧١ أمر النبي عليه الصلاة والسلام بالنصب في العبادة بعد الفراغ من تبليغ الوحي
١٧٢ تأويل قوله « وإلى ربك فارغب »
١٧٣ (سورة والتين)
١٧٣ أقسام الله تعالى بالتين والزيتون الخ
١٧٥ بيان معنى خلق الانسان في أحسن تقويم
١٧٧ توبيخ المكذبين بالبعث
١٧٧ (سورة العلق)
١٧٧ بيان أنها أول ما نزل من القرآن وذكر

Marfat.com

صحيفة
الخلاف في أول ما نزل منه وتعليق القسام
٩٧٨ تأويل قوله « اقرأ باسم ربك الذي خلق »
٩٨٠ تأويل قوله « علم الانسان مالم يعلم »
٩٨٢ ردع من كفر بالله وبيان أن من عادة الانسان الطغيان وارتكاب المعاصي والكبر ان رأى نفسه مستغنيا
٩٨٣ ذكر بعض آثار الطغيان والوعيد عليها
٩٨٦ تأويل قوله « لنسفعاً بالناصية »
٩٨٨ (سورة القدر)
٩٨٩ الكلام على ليلة القدر وما يتعلق بها من نزول القرآن فيها وأحيائها وبيان ما ورد في ذلك
٩٩٠ الدليل على تفضيل ليلة القدر على ليلة الجمعة
٩٩٤ تنزل الملائكة في ليلة القدر
٩٩٦ بيان ما تنزل لأجله الملائكة
٩٩٧ تأويل قوله (سلام هي حتى مطلع الفجر)
٩٩٨ بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ليلة القدر وان رؤيتها منامًا وقعت لغيره
٩٠٠ (سورة البينة)
٩٠٠ تأويل قوله تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) الخ
٩٠١ بيان المراد بالكتب القيمة
٩٠٢ بيان أن أهل الكتاب لم يزدادوا نفرة الا بعد بعثة النبي عليه الصلاة والسلام جحودا وعنادا
٩٠٤ بيان ما أمروا به
٩٠٥ بيان حال الكفار في الآخرة
٩٠٦ بيان حال المؤمنين في الآخرة
٩٠٨ (سورة الزلزلة)
٩٠٩ بيان ما تخرج الأرض عند النفخة
٩١٠ بيان أن سبب اخراج الأرض أثقالها هو أمر الله لها بذلك
٩١١ بيان أن الناس يخرجون من قبورهم

صحيفة
يومئذ للحساب
٩١٤ تفصيل ما يراه الناس يومئذ من أهاويل
٩١٤ (سورة العاديات)
٩١٥ تأويل قوله والعاديات ضبحا فالموريات قدحا
٩١٦ تأويل قوله فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا
٩١٨ بيان ان الانسان جحود لنعمة ربه
٩١٩ تهديد الانسان على ما يفعله من القبائح
٩٢٠ (سورة القارعة)
٩٢١ بيان تنوع أحوال الناس الى سالين وشقي على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما في الآخرة
٩٢٣ (سورة التكاثر)
٩٢٣ بيان أن الشغل على سدس من مقاصد القرآن
٩٢٤ ردع الانسان عن الاشتغال بما لا يعنيه
٩٢٥ تأويل قوله « لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم »
٩٢٦ بيان ان النعيم الذي يسأل عنه الانسان يوم القيامة مخصوص بما ألهاه عن ربه
٩٢٧ (سورة العصر)
٩٢٧ بيان معنى العصر الذي أقسم الله به
٩٢٨ بيان أن كل الناس في خسر الا المؤمنين
٩٢٩ (سورة الهمزة)
٩٢٩ بيان معنى الهمزة
٩٣١ تأويل قوله « لا لينبذن في الحطمة »
٩٣٢ (سورة الفيل)
٩٣٢ مناسبتها لما قبلها
٩٣٣ الكلام على قصة الفيل
٩٣٣ سبب وقوع الحرب بين أبرهة والعرب
٩٣٥ انقاذ ابرهة بعبد المطلب
٩٣٤ دعاء عبد المطلب ربه لحفظ البيت
٩٣٦ ارسال الطير على جيش أبرهة ترميهم بالحجارة من سجيل

Marfat.com

صحيفة

٢٢٨ (سورة قريش)
٢٢٨ الكلام على أصل قريش
٢٤٠ الكلام على رحلتي قريش
٢٤١ (سورة الماعون)
٢٤٢ تهديد المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
٢٤٤ (سورة الكوثر)
٢٤٤ اختلاف المفسرين في معنى الكوثر وبيان الراجح من أقوالهم وما ورد في ذلك من الآثار
٢٤٦ دليل من قال بوجوب الأضحية
٢٤٧ تأويل قوله (إن شانئك هو الأبتر)
٢٤٩ (سورة الكافرون)
٢٤٩ مناسبتها لما قبلها وبيان أنها تعدل ربع القرآن
٢٥١ قطع طمانية المشركين في أن يعبد النبي صلى الله عليه وسلم مايعبدون
٢٥٢ اختلاف العلماء هل كان النبي صلى الله عليه وسلم متعبداً بشرع من قبله قبل البعثة أم لا
٢٥٥ (سورة النصر)
٢٥٥ اختلاف العلماء في المراد بالفتح والنصر
٢٥٦ تأويل قوله (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا)
٢٥٧ تفسير قوله تعالى (فسبح بحمد ربك واستغفره) وبيان ماورد في الاستغفار وما المراد بالتسبيح
٢٥٩ (سورة تبت)
٢٥٩ بيان وجه اتصالها بما قبلها
٢٦٠ تفسير قوله تعالى (تبت يدا أبي لهب) وبيان سبب نزولها
٢٦١ بيان سبب تسميته بأبي لهب وذكر بيان اختلاف الرأيين في الكنانة
٢٦٢ بيان ماوقع لعتبة بن أبي لهب

صحيفة

٢٦٣ تفسير قوله تعالى (وامرأته حمالة الحطب) الآية
٢٦٤ ذكر أوجه الاعراب في الآية
٢٦٥ (سورة الاخلاص)
٢٦٥ ذكر عدة أسماء سميت بها
٢٦٦ ذكر الخلاف في مكيتها وعدد آيها
٢٦٧ ذكر مالها من الفضائل وانها تعدل ثلث القرآن
٢٦٩ ذكر السر في تصدير الجملة بضمير الشأن والجواب عن اشكال الشهاب القاسمي
٢٧١ مبحث في الكلام على غرابة أحد وبيان الفرق بينه وبين أحد الذي يلازم النفي
٢٧٢ تفسير ابن عباس وغيره لأحد
٢٧٣ مبحث في معنى الصمد
٢٧٤ السر في تكرار لفظ الجلالة
٢٧٥ تفسير قوله تعالى (لم يلد ولم يولد)
٢٧٥ مطلب في الأبناق عند النصارى والأنام ورد عقيدتهم
٢٧٨ (سورة الفلق)
٢٧٩ تفسير قوله تعالى «قل أعوذ برب الفلق» وبيان ما المراد بالفلق
٢٨١ مبحث في أضافة الشر الى ماخلق
٢٨٢ ذكر سبب نزول قوله تعالى «ومن شر النفاثات في العقد»
٢٨٣ وجه انكار المنزلة للحديث لما فيه من حط منصب النبوة والجواب عن ذلك
٢٨٤ تفسير الرئيس ابن سينا للآيات الكريمة
٢٨٥ (سورة الناس)
٢٨٦ بيان مناسبتها لما قبلها
٢٨٧ مبحث في وسوسة الشيطان وهو شر بان
٢٨٨ من اسرار عدد السور ان حروفها غير المكررة وكذا حروف الفاتحة بعدد سني النزول

(م)

Marfat.com

Marfat.com